هداية الأخيار

في سيرة الداعي إلى الله

محمد الهدار

مفتي محافظة البيضاء

تأليف

حسين بن محمد الهدار

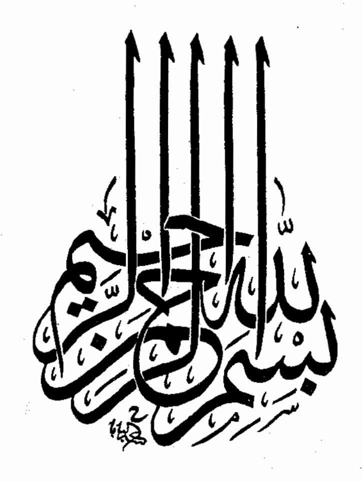




تأليف

حسين بن محمد هدار

فرع الدراسات والمناهج ومركز التراث
رباط الهدار للعلوم الشرعية - البيضاء



رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب - دار الكتب بصنعاء (١٩٥)

الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م



المترجم له الداعي إلى الله محمد الهدار



إلى من أفنى نفسه في خدمة الدين ..

وحمل مشعل الهداية حتى أنار الطريق ..

والدي الكريم ..

إلى جيل اليوم والغد الباحث عن الحياة الأبديّة ..

إلى كل نفسٍ مُزكّاةٍ وعقلٍ مستنير ..

أقدّم هذا الجمع المتواضع ..

المؤلّف

تمهيد

بِسْمِ اللّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد للّه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه في كلِّ لحظة أبداً، عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وصلى اللّه على سيدنا ونبينا محمد الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، صلى اللّه عليه وآله وسلم وعلى آله الطاهرين، وصحابته الراشدين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعدُ فها أنا ذا أقدم في كثير من الخجل سيرةَ عَلم من الأعلام جدد اللّه به كثيراً من أمور الدين، ونشربه شريعة سيد المرسلين صلى اللّه عليه وآله وسلم . وليس لدي من الأهلية ما يجعلني أَلِجُ هذا البحر الخِضَمَّ المتلاطم؛ إذ إن لَدَيّ من القصور والتقصير ما يجعلني أُحْجِمُ عن هذا الأمر، بل ويجعل مِن يَراعِي الهزيلِ جواداً أَحْجَمَ أمامَ رُتبةٍ علياء تنخلعُ الرقابُ تحت ذُراها، غير أنه طَلَبَ مني مَن لا مندوحةَ لي عن تلبيةِ طلبه أن أجمع ما لديّ من سيرة هذا الإمام العظيم؛ لتكون نبراساً وعلماً يُستضاء به في هذا الزمن العجيب والغريب، وفي دياجير جهله وظلامه الدامس والقاتم، لعل اللّه سبحانه وتعالى يوفق مَنِ اطَّلَعَ عليها للعمل بما فيها، ولتكون دليلاً ومرشداً لكل طالبِ رُشْدِهِ من الخلف وخلف الخلف إلى يوم الدين .

لذلك فقد بادرتُ إلى هذا الأمر قياماً بواجب الطاعة ووفاءً ببعض الحق، ورجاء أن يعم النفع بها، وفي الحديث: «فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى مِن سامع» رواه أحمد ؛ وإن كان لدي من الجهل والعجز ما يجعلني أَقِفُ وأعطي القوسَ باريها إلا أن واجبَ الطاعة أَلَحَّ عليَّ للقيام بذلك، لعلي أن أكون من المتسببين في نشر معالم هذا العَلم وسيرتِه العطرة، وفي الحديث الشريف: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثة، إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له» رواه مسلم.

وعلى الرغم من ذلك كلّه فإني أرى أنَّ أيَّ كلامٍ عن فقيدنا الراحل لا يَفِيهِ حقَّـه، ومن الصعب أن تُجمع سيرته بين دَفَّتي كتابٍ، كما أرى أن مَن لـم يجالسه لا يستطيع أنَّ يستوعب كلَّ ما قام به من أدوارٍ عظيمةٍ في حياته على كل المستويات . لقد منحه اللّه نَفْساً كبيرةً وعظيمة . نعم إنها كذلك، بل وعلى كل المقاييس وأمام كـل المعايير على الرغم من جسده الواني والسقيم، والـذي يصعـب عليـه أن يخطـوَ بـه خُطُـواتٍ معدودةٍ .

وإذا كـــانتِ النُّفُـــوسُ كِبـــاراً   تَعِبَـــتْ في مُرادِهـــا الأَجســـامُ

لقد خَلَّفَ لنا تُراثاً فِكْرِيّاً قلَّ أن يُوجَدَ له نَظِـيرٌ عـبر مؤلَّفاتـه القيمـة، ومـن خـلال طلابه الأفذاذ السائرين على منهجه القويم، وعبر سيرته و طريقه المستقيم .

ولذلك فإنّ ما سأكتُبه في هذا الجمع عن هـذا الجِهبـذ العظيـم مُنَسَّقٌ علـى النَّحْـوِ التـالي: لـمحاتٌ عـن حَياتِـه، وولادتِـه ونشـأتِه، وموطنِـه، وطلبِـه للعلـم، وشـيوخِه ورَحَلاتِه للدعوة إلى اللّه، وأهمِ أعماله، ووفاتِه، ومِراثِيه .

أَسْأَلُ اللّه سبحانه أن يَنْفَعَ بها، وأَنْ يجعلَ عملي هذا وكُلَّ أعمالي خالصـةً لوجهـه الكريم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبُنا ونعم الوكيل .



مُقَدّمَة

تكلم الكثير من الكُتّاب عن كثيرٍ من العلماء والمصلحين وأرباب الفكر والأدب، فسجَّلوا بذلك أمجاداً لن تُنسى ربما كانت دافعاً قوياً للخلف للسير على وفقِ منهجٍ ومنوالٍ رُسِمَ ليحفظ السَّيرَ من التَّعَثُّرِ والاعوجاج ، وها أنا أُدلي بدلوي وبجهدي المتواضع في حفظِ سِيرةِ عالم جِهْبذٍ ومجاهدٍ عظيم، وناسكٍ مُتَبَتّلٍ وعابدٍ وَجِلٍ، وكاتبٍ كبيرٍ، وشاعرٍ مُفْلِق، ومُرَبٍّ قديرٍ، وخطيبٍ مِصْقَعٍ، طالما أَجْهَدَ نفسَه لِيُسْعِدَ غيرَه، ويَنْعَمَ مجتمعُه بالخير والصلاح والفلاح . إنها طريقة الأنبياء والمرسلين، والأولياء الصالحين، ﴿رَضِيَ اللّه عنهم ورَضُوا عنه ذلك لمن خَشِيَ رَبَّه﴾ .

إن الجهابِذَةَ من الرجال - ومنهم فقيدُنا الراحل - لم يَصِلُوا إلى هذا السُّؤْدُدِ والمجدِ الرفيع إلا لأنهم أماتوا مطامِعَهم وتركوا رَغَباتِ نُفُوسِهم لِيَعِيشُوا حياةً دعا إليها رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، ولِيُرْشِدُوا غيرَهم إليها . بل واتجهوا إلى مضمار تسابقَ فيه الرجال من أساطين العلم وعمالقته. لقد أَفْنَوْا أنفسَهم في خدمة مولاهم، ونظروا بثاقب فِكْرِهِم إلى الدنيا وإذا بها دارُ ممرٍّ إلى حياةٍ لا فناء فيها، وللّه در القائل:

إن للّه رِجالاً فُطَنا	طَلَّقُوا الدنيا وخافوا الفِتَنا
نَظَرُوا فيها فلما عَلموا	أنَّها لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنا
جَعَلُوها لُجَّةً واتَّخَذُوا	صالِحَ الأعمالِ فيها سُفُنا

لقد جعلوا من ذلك الممر مزرعةً للدار الباقية، والتي يكون الإنسان فيها أحوجَ ما يكون لعملٍ صالحٍ يُكْسِبُه الأمنَ في يوم الفزع الأكبر.. ﴿يومَ يَفِرُّ المرءُ مِن أخيه . وأمِّه وأبيه . وصاحبتِه وبنيه﴾، ﴿يومَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيرَ الأَرْضِ والسَّماواتُ وبَرَزُوا للّه الواحِدِ القَهّار﴾. يَوْمٌ قال فيه مَن بَراه: ﴿يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم إنَّ زَلْزَلَةَ الساعَةِ

شَيءٌ عَظِيم. يومَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وتَرى الناسَ سُكارَى وما هُمْ بسُكارَى ولكنَّ عَذابَ اللّه شديد﴾ . جعلنا اللّه من الآمنين يوم الفزع الأكبر، وسترنا بستره الجميل في الدارين، إنه أكرم مَن سَتَر، وأرحم من غَفَر .



نَسَبُه

هو محمد بن عبدالله الملقب الهَدارّابن شيخ بن أحمد بن محسن[1] بن علي بن صالح بن محمد بن صالح بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم مَولى عِينات ابن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن السقاف ابن محمد مولى الدويلة ابن علي بن علوي ابن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ابن محمد صاحب مرباط ابن علي خالع قسم ابن علوي بن محمد مولى الصومعة ابن علوي بن عبيدالله ابن المهاجر إلى الله تعالى أحمد بن عيسى النقيب ابن محمد جمال الدين ابن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط عليه السلام ابن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء عليهما السلام بنت المصطفى عليه وآله أفضل الصلاة والسلام.

عابد العلماء وعالم العُبّاد ونبراس الزهاد، لم نسمع في هذا العصر بمثله، راقب الله في سرِّه وجهره وفي أقواله وحركاته وسكناته وحالاته، ولم يبرح طَرْفَةً عن امتثال أمر ربه ولم يضيع من عمره ساعةً، وهو الذي يكرر:

فمَن تَفُتْهُ ساعةٌ من عُمْرِهِ　　　تَكُنْ عَلَيهِ حَسْرَةً في قَبْرِهِ

مجملُ وقته في طاعة إنْ لم نَقُلْ كله، فهو الذي يتحرى النية الصالحة في العادات فضلاً عن العبادات، وبذلك كان وحيد عصره وفريد دهره، صوّاماً قوّاماً زاهداً في

---

(١) هو أول من هاجر من حضرموت إلى البيضاء بصحبة أخيه سالم، ولعل ذلك في بداية القرن الثالث عشر الهجري كما تشير الدلائل، أما أخوهما صالح بن علي بن صالح فقد هاجر إلى جزر القمر ومر ببلدة بتّيوسكن بها فترة، ثم انتقل ولده علي إلى جزر القمر، وأسس حفيده السلطان أحمد سلطنة جزر القمر، ومن ذريته الآن أحمد البدوي بن محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن السلطان أحمد، ولازال من ذريتهم خلق كثير في جزر القمر .

الدنيا راغباً في الآخرة، مَن جالسه وسايره عرف ورعه وزهده وعلم أنه عالم عاملٌ ذو خُلُقٍ حَسَنٍ وحِلم قَلَّ أن يوجد له نظير، وقد أكرمه اللّه بكرامات لا نستطيع حصرها يتحدث عنها كثيرٌ ممن جالسه.

نُبَذٌ عن شمَائِلِه ولمعٌ عن حيَاتِه رَضِيَ اللّه عَنْهُ

إن حياةَ عالمنا الأجلّ وفقيدِنا العظيم حياةٌ مُلِئَتْ بأصنافِ المجاهدات والعزائم، فهو الطالب المجِدُّ والمتربعُ في أعلى مراتبِ الأخذ والطلب، كثيرُ التوقير والتعظيم لمشايخه بل ولأولادهم وذويهم، ذو أدبٍ جَمٍّ معهم ومع غيرهم من زملائه، متمثلاً بقول الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم حينما قال: «أَدَّبني رَبّي فأَحْسَنَ تأديبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: ﴿خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عن الجاهِلين﴾»، وكان يستشهدُ بقول عبداللّه بن المبارك: مَن تَهاوَنَ بالآدابِ عُوقِبَ بحِرمان السُّنَن، ومَن تهاوَنَ بالسُّنَن عُوقِبَ بحرمانِ الفرائض، ومَن تَهاوَنَ بالفرائضِ عُوقِبَ بحرمان المعرفة . وطالما أَوْصَى طُلاّبَه بذلك وكَرَّرَ عليهم مَقُولَةَ الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي اللّه عنه: «اِجْعَلْ عِلمكَ مِلْحاً وأَدَبَكَ دَقِيقاً» .

اِجتِهادُهُ وعَزائِمُهُ في الطلب

أما اجتهادُه فحَدِّثْ عن ذلك ولا حرج، فهو الذي طالما راجعَ درسَه قبل القراءة لدى شيوخه مراتٍ عديدةً وأَتْبَعَ ذلك بمراجعة كثيرٍ من الشروح . قال لي رحمه اللّه:

أَقَلُّ مراجعاتي للدرس قبل الجلوس لدى الشيخ ثماني عَشْرَةَ مرة، وحينما أَشْعُرُ بالتواني أَنْذُرُ ذلك لكي يكونَ من جملة الواجبات . ودائماً يحثُّ على تحقيق المتون، ويقول: إن التحقيقَ يَفْضُلُ على الحفظ، وأنَّ مَن حَقَّق المتون حاز الفنون، بدلاً من قول بعض العلماء: مَن حَفِظَ المتون . ويَعْزُو هذا المعنى إلى شيخه الإمام عبدالله بن عمر الشاطري، ويُفيد رحمه الله أنه كان أثناء الدراسة لا ينام إلا نحواً من ساعتين في اليوم والليلة، وأنه كان كثيراً ما يغسل وجهه مراراً حينما يغلبه النوم مع قلة ذات اليد ونقصٍ شديدٍ في الغذاء والدواء، إلا أن ذلك كلَّه لم يُثْنِهِ عن طلبه للعلم.

وحينما كنتُ في رباط تريم سنة ١٣٨٥ هـ تقريباً وصل إلى الرباط للإطمِئنانِ عليّ ودخل الغرفة التي أَسْكُنُ فيها، وأراني الغرفة التي أقام بها وإذا بها بجوار غرفتي، قال لي رحمه الله: لقد مكثتُ أربعَ سنواتٍ في هذه الغرفة لم أدخل هذه الغرفة التي تسكن فيها ولم أعرفها لاشتغالي بالدراسة، وكان كثيراً ما يردد مقولةَ بديع الزمان الهَمْدانِيّ:

«اِعْلم أَنَّ العلم بَطِيءُ اللزام.. بَعِيدُ المرام.. لا يُدْرَكُ بالسهام.. ولا يُرى في المنام.. ولا يُورَثُ عن الآباءِ والأَعمام.. وإنما هو شجرةٌ لا تَصْلُحُ إلا بالغرس.. ولا تُغْرَسُ إلا في النَّفْس.. ولا تُسقَى إلا بالدرس.. ولا تحصُلُ إلا باستنادِ الحجر.. وافتراشِ المَدَر.. وإدمان السَّهَر.. وقِلَّة النَّوم.. وصِلَةِ الليلةِ باليوم.. ولا يُدْرِكُه إلا مَن أَنْفقَ العين.. وجَثَى على العين.. أَيَظُنُّ مَن أَشْغَلَ نَهارَهُ بالجَمْعِ ولَيلَهُ بالجِماعِ يَخرُجُ من الفقهاء ؟! كلاّ والله حتى يَقْصِدَ الدفاتر.. ويستصحِبَ المحابر.. ويقطعَ القِفار.. ويَصِلَ في طلب العلم بين الليل والنهار.. ويُوافقَ مِن الصَّبْرِ مُرّاً طَيِّبا.. ومِنَ التَّوفِيقِ مَطَراً صَيِّبا» .

حَثُّهُ على طَلَبِ العِلمِ وجَوانِبُ من شَخْصِيَّتِه

كان رحمه اللّه يحثُّ على تَعَلم العلم والازدياد والتضلع منه عملاً بقوله تعالى: ﴿وقُل رَّبِّ زِدْني عِلماً﴾، وكان يُكَرِّر في مجالسه حديثَ معاذ ويطلبُ منا أن نجعله من جملة المحفوظات لطلاب العلم في الرباط، وهو:

عن معاذ بن جبل رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «تَعَلموا العلم، فإن تَعَلمهُ للّه خَشْيَة [١]، وطَلَبَهُ عبادَة، ومُذاكَرَتَه تَسْبيح، والبحثَ [٢] عنه جهادٌ، وتعليمَه لمن لا يَعْلمه صدقة، وبَذْلَه لأهلِه قُربة [٣]؛ لأنه مَعالم [٤] الحلال والحرام، ومَنارُ [٥] سبيل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحبُ في الغربة [٦]، والمحَدِّثُ في الخَلْوَة، والدليلُ على السَّرَّاء والضَّرَّاء، والسلاح على الأعداء [٧]، والزَّينُ عند الأَخِلاَّء، يَرْفَعُ اللّه به أقواماً فيجعلهم في الخير قادَةً تُقْتَصُّ آثارُهم، ويُقتدى بفعالهم [٨]، ويُنتهى إلى رأيِهم، ترغب الملائكةُ في خُلَّتِهم، وبأجنحتِها تمسحُهم، ويَستغفر لهم كلُّ رَطْبٍ ويابس، وحيتانُ البحر

---

(١) قوله: «خشية» أي: يدعو إلى الخوف منه جل وعلا ويحث على العمل الصالح.

(٢) تفهم مسائله وتحصيله.

(٣) طاعة.

(٤) جمع مَعْلم، وهو الأثر يُستدلُّ به على الطريق، أي: إن العلم يُوضح لك طُرُقَ الحلال ويزيل الشبهات.

(٥) المنار عَلَم الطريق، أي: يرفع إشارة الهداية في طريق الجنة ليصل إليها مَن تَعَلم وعَمِل.

(٦) البعد عن الأوطان.

(٧) مَن تَفَقَّهَ واهتدى بهدي العلم لا يجد العدوُّ له منفذاً ليؤذيَه، فالعلم حِصْنٌ حَصِينٌ يَردُّ كيدَ المعتدين.

(٨) لأنه يُرشد إلى التوكل على اللّه والاستقامة والاستعداد.

وهَوامُّه، وسِباع البَرِّ وأنعامُه، لأن العلم حياةُ القلوب من الجهل، ومصابيحُ الأبصار من الظُّلم، يبلغ العبدُ بالعلم منازل الأخيار، والدرجاتِ العُلى في الدنيا والآخرة، والتَّفكُّرُ فيه يَعْدِلُ الصيام، ومدارستُه [١] تَعْدِلُ القيام، به تُوصَلُ الأرحام[٢]، وبه يُعرف الحلال من الحرام، وهو إمامُ العمل، والعملُ تابعُه، يُلْهَمُهُ السعداءُ، ويُحْرَمُهُ الأشقياء». رواه ابنُ عبد البَرِّ النَّمِرِيّ في «جامع بيان العلم وفضله».

وطالما استشهد بقول الإمام علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه:

النّاسُ مِن جِهَةِ التَّفْضِيلِ أَكفاءُ ... أَبُوهُمُ آدمٌ والأُمُّ حَوّاءُ

وإنّما أُمَّهاتُ الناسِ أَوْعِيَةٌ ... مُسْتَودَعاتٌ وللأحسابِ آباءُ

فإنْ يَكُنْ لهمُ في أَصْلِهِمْ شَرَفٌ ... يُفاخِرُونَ به فالطينُ والماءُ

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلم إنَّهُمُ ... على الهدى لمنِ استَهْدَى أَدِلاّءُ

وقيمةُ المرْءِ ما قد كان يُحْسِنُهُ ... والجاهلونَ لأهلِ العلم أعداءُ

ففُزْ بعلمٍ ولا تَطْلُبْ به بَدَلاً ... فالناسُ موتى وأهلُ العلم أحياءُ

وقول الإمام ابن السبكي:

سَهَري لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَذُّ لي ... مِن وَصْلِ غانِيَةٍ وطِيبِ عِناقِ

وصَرِيرُ أقلامي على أوراقِها ... أَحْلَى مِنَ الدَّوكاءِ[٣] للعُشّاقِ

وأَلَذُّ مِن نَقْرِ الفَتاةِ لِدُفِّها ... نَقْرِي لأُلْقِي الرَّمْلَ عن أوراقي

وتمايُلِي طَرَباً لِحَلِّ عَويصَةٍ ... في الدَّرْسِ أَشْهَى مِن مُدامَةِ ساقي

وأَبِيتُ سَهرانَ الدُّجَى وتَبيتُهُ ... نَوماً وتَبْغِي بعدَ ذاك لَحاقي ؟!

وهو الداعية الناصح والشفيق الذي طالما جابَ البراري و القفارَ واستقصى المدن

---

(١) أي: إن تدريس العلم يساوي في الثواب الصيام والقيام .

(٢) بالزيارة والعيادة والهدايا .

(٣) الدَّوْكَاء: مِنَ الدَّوكِ وهو الاختلاطُ، أو أنها من آلات الموسيقى .

والبوادي، بل ووصل إلى الأصقاع البعيدة التي لا تَصِلُها وسائل النقل مشياً على الأقدام بهِمَّةٍ عاليةٍ وعظيمةٍ جَعَلَتِ المتاعبَ والمشاقَّ تتضاءلُ أمام تلك الهِمَّةِ القَعْسَاءِ، وبجُرْأةٍ نادرةٍ على الدين تتأجَّجُ في صدره فتُكْسِبُهُ جُهوداً إلى جهوده في هذا العمل العظيم، وكم يَوَدُّ أَنْ يَصِلَ إلى كلِّ قرية، ويتمنى لو أنَّ لديه خيولاً لطلبة العلم يتنقلون بها إلى كثيرٍ من الأماكن الوعرة، ويتمثل بالآية الكريمة: ﴿والعادِياتِ ضَبْحاً﴾، ولطالما أجهدَ نفسَه في التنقل للدعوة إلى اللّه غيرَ عابئٍ بما يحملُه بين جَنْبَيْهِ من أمراضٍ كلُّها مستعصيةٌ، وأَقَلُّها داءٌ عُضالٌ تَحَيَّرَ منه الأطباء، وكما قال في هَمْزِيَّتِه:

داؤُهُ حَيَّرَ الطَّبيبَ عُضالٌ   لَيسَ داءً لكنَّها أدواءُ

وحينما أقعده المرض خرج طلاب الرباط إلى مناطقَ نائيةٍ مشياً على الأقدام، وأَتَوا يَقُصُّونَ عليه أن هناك بدواً ليس لديهم مساجد ولايعرفون الجمعة والجماعة، وأنهم استقبلوا الطلابَ بغايةٍ من الترحيب والإكرام؛ حينما كان ذلك قال والحسرةُ تملأُ عينيه لأنه لم يشاركهم: يا ليتني كنتُ فيها جَذَعاً، وقد قام رحمه اللّه بالسعي ببناء مساجدَ وحفرِ آبارٍ في تلك البوادي، وقد تم ذلك بحمد اللّه .

وهو الشجاعُ الثَّبْتُ الذي قارع النوائب والخطوب بثَباتٍ ورَباطَةِ جَأْشٍ غريبٍ، فكم قابَلَ الموتَ مِراراً وهو يبتسمُ راضياً مطمئناً، وكم تمنى ودعا وابتهل أن يكون من خواص الشهداء، وبالذات في أحلك الظروف حينما سُحِلَ العلماء وقُتِّلُوا وشرِّدوا من ديارهم دون نصير أو غفير أو خفير .

وفي السبعينات والشيوعيةُ في أوج ازدهارها أحدق الخطر بنا من كل جانب وتجرعنا الموت ألواناً ومراراً، وزاد الطينَ بَلَّةً وصولُ من يحذرنا بأنه رُصِدَ مبلغٌ كبيرٌ من قِبَلِ الحزب الاشتراكي لمن يقتلُ الوالدَ، بالإضافة إلى أنه سافر في ذلك الظرف

نفسه للعمرة والزيارة، وإذا به يعود على إثـره ! وتعجبنـا لذلـك، وإذا بمجهـول حَـرَّرَ برقيةً باسمي يطلبُ منه أَنْ يُسرِعَ في العودة، فارتبكنا لذلك الأمر وتوقعنا مؤامرةً لقتله، وأتيتُ إليه لأحذِّرَهُ من ذلك فقال: «يا بـنـي أين نحن وأين الشهادة ؟ إنها مرتبةٌ عليـاءُ لا ينالها إلا كُمَّلُ الرجـال» أو مـا معنـاه، وهـي الـتي كـان يدعـو اللّـه أن يرزقـه إياهـا وبالذات بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر، وقد مـات غريبـاً، والـموت في الغربـة شهادةٌ إن شاء اللّه؛ إلا أن كل تلك الفتن والأخطار لـم تُثْنِه عن الخـروج للدعـوة إلى اللّه والتردد على بيوت اللّه، ومحاربة أعداء الدين في محاضراته على الـدوام. أسـأل اللّـه سبحانه وأتوسل إليه بكل أسمائه وصفاته أن يُبَلِّغَه مراتـب الشـهداء وإيانـا،وأن يرزقنـا اتّبَاعَه آمين آمين آمين .

وهو العالـم والفقيه الذي طالـما غاص في عويصـات المسـائل الشـرعية وتحـرى في النقل تحري الرجل الخائف والوجل علـى نفسـه مـن عـذاب اللّـه، متـمثلاً بـين عينيـه الحديثَ الشريفَ والذي يقول فيه الرسول صلى اللّه عليه وآلـه وسلـم: «مَـن كَـذَبَ عَلَيَّ متعمداً فليَتَبَوَّأْ مقعدَه من النار» رواه البخاري .

فقد كان رحمه اللّه على مستوىً عالٍ من الفقه في الدين، بل إنه يناقش طلبة العلـم في أعمق المسائل التي ذكرها كثير مـن العلـماء في المطـولات «كالتحفـة» لابـن حجـر و«الـمجموع» للنووي، وفي شروح البخـاري «كفتـح البـاري» و«شـرح القسـطلاني» و«شرح العيني» وغيرها تـمريناً للطلاب على الخوض في تلـك المسـائل، وحرصـاً علـى إفادتهم، وهذا أسلوب علـميٌّ يُنَمِّي ثِقةَ الطالب بنفسـه، ويُذْكِـي رغبتـه في اكتشـاف المزيد من تلك المسائل.

وقد كان كثيرٌ منهم يتبارى في مناقشة مـا يمليـه عليهـم مـن المسـائل بفهـمٍ ورغبـةٍ مُلِحَّةٍ في الازدياد منها وكأنما يغتنمون وجوده، وكأنهم أمام بحرٍ زاخر، مملوءٍ بأصناف

الجواهر . فآهٍ على تلك الدروس، وآهٍ وآهٍ على مجالسِه العلمية التي لم نعرفْ قَدْرَها إلا بعد أن تَرَحَّل عنا.

وكما قال في مرثيته لشيخه الإمام علوي بن عبدالله بن شهاب الدين:

لَهَفِي على تلكَ الدُّروسِ وصَدْرِها	مُشْفِي النفوسِ من العُضالِ بطِبِّهِ
فيها يُفيضُ من المعارفِ أَبْحُراً	ويُدِيرُ كاساتِ الوِصالِ لِشُرْبِهِ
آهاً على تلكَ الحِياضِ ومائِها	يُحْيِي القلوبَ بقَطْرَةٍ من عَذْبِهِ
آهاً على تلك الرِّحابِ وشَهْمِها	ذاك الشِّهابِ تَسُحُّ وابِلُ سُحْبِهِ

وكان لا يتوقف عن إقامة الدروس في الحديث والفقه يومياً وبالذات بعد الصبح والعصر والمغرب . أما في السفر فيستمر على إقامة الدروس غالباً بعد الصبح وبعد المغرب، ويستصحب الكتب معه في حضره وسفره، ويهتم في صحبتها في السفر أيما اهتمام، بل إنه لا ينظر إلى متاع سفره كنظره إلى حمل تلك الكتب، وهي ميزة اتصف بها كثيرٌ من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

وهو المحنَّك الذي لا يُشَقُّ له غبارٌ ولا تنطوي عليه الحِيَلُ الماكرةُ تجاهَ دِين اللّه، ولا يقبل فيها بأنصاف الحلول، وحينما تَهَجَّمَ عليه البعض بعبائرَ نابيةٍ وجارحةٍ من جرّاء خلافٍ على المسائل الخلافية ابتسم وسامح ونهى طلابه عن الرَّدِّ والمجاراةِ حرصاً على وَحْدَةِ الصف والرأي والكلمة . وأَذْكُرُ أنَّ أحد الماكرين استغلَّ ذلك الظرف لِيُذْكِي نارَ الفِتْنَةِ فوصل إليه وشكى بِحُرْقَةٍ مصطنعةٍ وأَلَم زائفٍ من أَنَّ أُناساً أَفْتَوْهُ بحرمةِ التوسل، ففهم مغزاه وقال له: هل تحافظُ على أذكار الصلاة ؟ فأجاب بالنفي، فقال: كيف تسألُ عن التوسل وأنت لم تحافظ على أذكار الصلاة ؟!

وهو الذي يرى بل ويحث على أن النفس والأهل والمال رخيصةٌ لا تساوي شيئاً أمام رضا اللّه، أما الأمور الدنيوية فهي بالعكس من ذلك تماماً، وهو الذي يكررُ

الحديث ويأمر بالعمل به: «أنا زَعِيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ لمن تَرَكَ المراءَ وهو مُحِقٌّ» رواه الطَّبَراني، وحينما يأتيه مَن يستشيره في منازعة على أمرٍ دنيويٍّ يجيبه بما يُروى عن السلف الصالح: «مَن نازعك في دينِك فنازِعه، ومن نازعك في دنياك فأَلْقِها في نَحْرِه» .

وهو الذي قال بالشعر الحميني:

قلب باأوصيك لا انته تستمع للوصية
لا تنازع على الدنيا تقع في بلية
ردها كلها في نحر من قال ليه
فالمنازع عليها كلب هذه الدنيه
قاله الشافعي ذا حكم هذه القضيه

إشارة إلى قول الإمام الشافعي:

ومَن يَجْهَلِ الدُّنيا فإنّي عَرَفْتُها ... وسِيقَ إليَّ عَذْبُها وعذابُها
وما هِيَ إلا جيفَةٌ مُستحيلَةٌ ... عليها كِلابٌ هَمُّهُنَّ اجتذابُها
فإنْ تَجْتَنِبْها عِشْتَ سِلماً لأهلِها ... وإنْ تَجْتَذِبْها جاذَبَتْكَ كِلابُها

وهو الأديبُ الأريبُ اللوذعيُّ والشاعر الفحل الذي يتخيرُ ألفاظَه ويُحَمِّلُها من المعاني الراقية ما يصل إلى القلوب فيُكْسِبُها خشوعا، وإلى العقول فتنفتح من خلالها نحو آفاقِ المعرفة الموصِلَة إلى معرفة اللّه والخوف منه، إذ إن ذلك هو الهدف الذي يستهدفه رحمه اللّه في شعره ونثره، فمن شعره في هذا الإطار قوله:

آهِ مِن غَفْلَتي ومِن فَلَتاتي ... وضَياعِ الأنفاسِ والساعاتِ
وأنا مُوقِنٌ بأَنَّ إلى اللّـ ... ـه مَصِيري وأَنَّ موتِيَ آتي
وبأنِّي ولو بَكَيْتُ فلا يُجْـ ... ـدي بكائي شيئاً ولا حَسَراتي

كيف يُجْدِي مَن ضَيَّعَ العُمْرَ لا يَكْـ ـسِبُ غَيرَ الذُّنُوبِ والتُّرَّهَاتِ
مُبتَلًى بالهُمُوم إذ قَطَعَ الوَقْـ ـتَ ضَياعاً وأَهْمَلَ الطاعاتِ
آهِ ليتَ الهُمُومَ مِن أَجْلِ أُخرا ه وليتَ البُكا على السَّيِّئاتِ
آهِ يا لَيتَهُ تَضَرَّعَ لِلموْ لى وأَحيا الظَّلامَ بالآياتِ
وشَكَى ما بِهِ إليهِ تعالى وبَكَى في السُّجُودِ في الخَلَواتِ
لو أَتَى لانْثَنَى بكلِّ مرادٍ ظافراً بالرضا وبالنَّفَحاتِ
غَرَّهُ الجَهْلُ والغُرُورُ فجَدَّ السَّـ ـيْرَ نحوَ السَّرابِ في الفَلَواتِ
فبَقِي حائِرَ المسِيرِ فلا يَدْ رِي الطريقَ إلى ذِهِ الظُّلماتِ
آهِ يا قَلْبُ خُذْ طريقاً إلى التَّقـ ـوى سريعاً تُفِقْ مِنَ السَّكراتِ
طَبِّقِ العلمَ في أُمورِكَ تَظْفَرْ ها هُنا بالمنى وبعدَ المماتِ
وصلاةُ الإلهِ تَغْشَى حَبيبَ اللـ ـه طَهَ مُفَرِّجِ الكُرُباتِ
زُجَّ ذا العُمرَ في الصلاةِ عليهِ تَلْقَ منهُ الصِّلاتِ والصَّلَواتِ

وقد بدأ منظومةً في النصح والإرشاد في ريعان شبابه استهلها بقوله:

جلَّ مَن بَيَّنَ الهُدى وتعالى وبرَجْواهُ قد فَتَحْنا المقالا

وتوقف عن إكمالها لأسبابٍ لا نعلمها؛ غير أنه نظم منظومته «كَشَّافَة المجهول ومُبْرِئَةُ المعلول» بالشعر الحميني [1] واللّهجة الدارجة ليكون نفعُها أَعَمَّ وأَتم، وهي

(١) الشعر الحميني هو شعرٌ ملحونٌ زاخرٌ بألوانٍ من الشعر التمثيلي والقصصي والغنائي، يشبه إلى حدٍّ كبيرٍ الموشحات الأندلسية، حيث نرى ابن خلدون حينما تكلم عن تلك الموشحات واستشهد بكثير منها وكأنه يتكلم اليوم عن الشعر الحميني . أما أَنَّه ملحونٌ لم يُراعَ فيه النظام النحوي والعَرُوضي فقد رُوعِيَ فيه الضبط الفنيّ وصدق الإحساس وحرارة الوجدان، وبالذات في الرِّثاء والنصيحة والحكمة، انظر إلى قول الشاعر السيد قاسم بن محمد يصف الدنيا وتقلب أحوالها:

يـا خـابت الليلـة الدنيــا زهــر مســبول | تـورق وتهـبر ويرجــع وقــت لــه ظلــه
تضحك على ذي يقاطعها وهو معجـول | نكـد تعب قهـر فـوق الكـاهل ايشـله
يــده ورجلــه وقلبــه والنَّظـر مشــغول | وشـــلته وان لا يـــده ولا رجلـــه

إنها فلسفة المعَرِّيّ حينما قال في قصيدته المشهورة «غَيرُ مُجْدٍ في مِلَّتي واعتقادي» إلى قوله:

تَعَـــبٌ كُلُّهـــا الحيـــاةُ فمـــا أَعْـــ | ـجـــبُ إلاّ مِـــن راغـــبٍ في ازديـــادِ

غير أنها هنا نبعت من الفطرة التي فطر اللّه الناس عليها، والسيد قاسم شاعرٌ معـاصرٌ لـه كثيرٌ من الأشعار الحمينية التي غزت معظم المواضيع، وهو في العقد السابع من عمره من أبناء مديرية مكيراس محافظة البيضاء .

ومن ذلك قول الشيخ عبدربه الوهبي:

وناحمول السرف والـميل لإبـن العـم | وابر على البيِّنة وادحـق علـى الهـامي
أَمّا متـى أصبحـت انـا ويّـاه نـتراجم | بايفرح الخصم ذي قد هو لنا ضـامي

يقابله قول المقنع الكندي:

وإن الـذي بيـني وبـين بنـــي أبـــي | وبين بنـــي عمـي لــمختلف جـدا
فـإن أكلـوا لحمي وَفَـرْتُ لحومهـم | وإن هدموا مجدي بنيت لهـم مجدا

ومن المكثرين منه الفقيه أحمد بن فُلَيْتَة، والشاعر عبداللّه بـن أبـي بكـر المزاح، والإمـام محمد بن عبداللّه شرف الدين، والشيخ عمـر بـن عبداللّـه بامخرمـة، والإمـام الشـاعر الحبيـب عبداللّه بن حسين بن طـاهر العلـوي، والشـيخ أبـو ريّـا، وأبـو عـامر، والحميـد بـن منصـور أسطورة المزارِع اليمني، وغيرهم، وإذ لـم يُراع فيه ميزان الخليل بن أحمـد الفراهيـدي إلا أنـه مُقَيَّدٌ بميزانٍ عَرُوضِيٍّ غَريبٍ، هو كونه مُقَفّىً مع ابتنائه على لفظةِ «الدَّان» أو البال .

والـمتتبع لهذا الفن يرى أنه عنـد تجمـع الأفـراد في مناسـبات الأفـراح يقـف الحـاضرون وكلُّهم آذانٌ صاغيةٌ للشاعر، وإذا به يقف بينهم، وفي الغالب أنه يضـع سـبابتيه في صمـاخي أذنيه لكي لا يسمع ما يشوش عليـه فكرتـه، ويـردد كلـمات شـعره قبـل أن يعرضهـا علـى الحاضرين؛ لكنه قبل أن يأتي بها يعرضها على لفظة الدان أو البال، فإن رأى شعره مسـتقيماً

أتى به، وإلا عَدَلَ عنه أو أصلحه، وأعتقد أن هذا الميزان العروضي لـم يكن من وضع أحـد المتعمقين في هذا الفن، وأن السليقة صهرته وجعلته ميزاناً ومرجعاً للشعر الحميني، وهذا الفن بحاجة إلى دراسة لتـمييز كل بحرٍ منه، إذ إنه يشتـمل على بحورٍ كثيرة، منها القصيدُ والزامـل والرجز وغيرها .

النسبة والـموطن: اختلفت الروايات عن سبب تسمية الشعر الحميني بهذا الاسم، فمـن قائل: إنها صُحِّفت عن كلـمة «حميري» واستدل بقول الشاعر:

أخصبَ الأرضَ مِسْوَرْ وأختُها تَوْعَـرْ وأحـور فـأحورْ وسعوانْ لـو تـمطَرْ

قيل: إن هذا الشعر نقل عن بعض قدماء حمير، وبقول امرئ القيس الكندي حينما قال:

تَطـاوَلَ الليـلُ علينـا دَمّـونْ دمـون إنـا مَعْشَـرٌ يمـانونْ

وإننـا لأهلنـا محبـون

ودَمُّون هنا منطقة بالقرب من الهجرين في دوعن بحضرموت؛ إلا أن معظم الأخبار تفيد أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى حَمَن أو حَمَّان، وجاء في «تاج العروس» في مادة [حَمَنَ] قال:

« و[الحَمْنـان] صَقْعـانِ يمانيـان، والحميـنيُّ ضربٌ مـن بحور الشعر، وهـو المعـروف بالـموَشَّح». قال الأستاذ البحّاثة أحمد بن محمد الشامي في تعليقه علـى هـذا النص في كتابه «من الأدب اليمني»: فهذا نَصٌّ نستطيعُ استناداً عليه أن نجـزم بـأن لفظـةَ «حميـني» لغويـاً قـد اشتُقَّت من «حَمَن» الصَّقْع اليمني المعروف .

منطقة حمن: تقع منطقة «حَمَن» أو «حَمَّان» في أعلى وادي مرخة في محافظة البيضاء ممـا يلي مديرية مرخة شرق مسورة، وهو ما كان يسمى سابقا «سَرْوَ مَذْحِجٍ»، وقـد جـاء ذكـر هذا المحل في سياق نَصٍّ صِرواح التاريخي المشهور .

بداية ظهوره: ظهر الشعر الحميني في اليمن في القرن التاسع الهجري كما أفاد ابـن علـي في «تاريخه»، ومن المؤرخين من يفيد أنه بدأ في القرن الثالث الهجـري، أمـا يـاقوت الحمـوي فقد ذكره عند ذكر صنعاء، وذكر النهر الذي يمر بها، واستشهد بقول الشاعر:

واعَويـلا إذا غـاب الحبيـبْ عـن حبيبـه إلى مـن يشـتكيْ

ثلاثة عشر ألف بيت تقريباً غَزَتْ معظمَ المواضيع، وتشتمل على عدة أبواب، والباب يشتمل على عِدة أقسام، وقد تطرَّق فيها إلى معالجة كثيرٍ من الأمراض الاجتماعية كالتبرج والاختلاط ومحاربة المبادئ المستوردة المتنافية مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وفي كثيرٍ من أبوابها يوجه الخطاب إلى المرأة التي إن صَلُحَتْ صَلُحَ بصلاحها كثيرٌ من الأمور وبالعكس، فهي عماد الأسرة .

وأما أنَّ تلك المنظومة كانت باللّهجة الدارجة والشعر الحميني، فقد قال مجيباً على هذا الاستفسار بعد أَنِ استَهَلَّ بالحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه وآله وصحبه ومن والاه فقال:

إلى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إلى كل مسلم ومسلمة، إليكم جميعاً «كشافة المجهول ومبرئة المعلول» منظومةً بلُغَةٍ دارجةٍ، لصعوبةِ الفصحى على الأكثر، تركنا التعمق في نظمها اختياراً نظراً للفائدة، قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «أنا وصُلَحاءُ أُمَّتي بُرَآءُ من التكلف» فلعل ذلك إن شاء اللّه من المتابعة لصلحاء الأمة، وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إنَّ اللّه يُبْغِضُ البليغَ من الرجال الذي يتخلَّلُ بلسانه تخلُّلَ الباقورة بلسانها»، والغرض من ذلك هو إيصال النصيحة التي هي الدين كله إلى أسماع المؤمنين والمؤمنات من أي الطبقات، ولكون اللغة الدارجة يستوي في فهمها الخاص والعام؛ اخترناها مصلحةً ومراعاةً للسواد الأعظم، فهم من المؤمنين وإن لم يكونوا متعلمين، بل ربما إنَّ البدويَّ أفضل، فقد قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «أفضل الناس مؤمنٌ مجاهدٌ في سبيل اللّه بنفسه ومالِه، ثم مؤمنٌ في شعبٍ من الشعاب يتقي

يشتكي منّه إلى والي البلدْ   ودموعه مثل غيل البرمكي

وإن مد اللّه في العمر فسوف نأتي على ذكره مفصلاً في كتابنا «البيضاء ودورها في التاريخ» إن شاء اللّه .

اللّه ويَدَعُ الناسَ من شره» رواه البخاري .

منها قوله يعدد نعم اللّه وآلائِه قال:

سبحان من لا تنحصرْ	عجائبهْ والمبدعاتْ
في كل نعمة كم نعم	لاتنحصي عند الحُصات
يُحصِي الحَصى ولا انحصارْ	لعُشْرِ أصغرْ نِعماتْ
وإن تعدوا نعمته	لاتنحصر للحاصراتْ

وفيها يعرِّجُ على ضرورة تربية الأولاد ومضارِّ إهمالها بعد أن عَدَّدَ كثيراً من أمراض العصر كالتبرج والاختلاط فيقول:

يا تارك اولادك هَمَلْ	للتربياتِ الفاسدات
تريدهم مثل النصارى	ونساء نصرانيات
أردتَ أن تنفعهم	بمثل هذه المهلكات
اللّه أَمَرْ تنقذهم	من النيار الحاميات
تركتهم يتْواردون	فيها فأخطأت النجاة
سعيتَ في هلاكهم	أَوْبَقْتَهُمْ في الموبقات
غفلتَ عن صلاتهم	أهملتهم للسينمات
تعلموا فيها اللعب	والأمور الثانيات
تنفق عليهم كم ألوف	في ذي الأمور المخزيات
فما استفدت حَسَنَة	بل زيدوك سيئات
فلك نصيب في ذنبهم	مدة حياتك والممات
فتب فقد قال النبي:	«الراجفة يا قوم جات»

إلى أن قال مبتهلاً إلى من بيده أمر عباده:

ياربنا تهب لنا	حسن المصير والعافيات

والعفـــو ثـــــم العافيـــــة	والخاتـــــمات الحســـــنات
وأعطنـــــا الســـــعادتين	وهـــب لنـــا كـــل الهبـــات
نحـــــن ومـــــن أحبنـــــا	والـــــمؤمنين والـــــمؤمنات
نلحـــق خـــواص الســـابقين	في الـــدار ذه والآخـــــراتِ
بلاحســـاب بـــلا عقـــاب	بـــلا عتـــاب بـــلا أذات
يـــــا رب وفقناكمـــــا	وفقـــت أهـــل الســـابقات
واغفـــر لنـــا كـــل الذنـــوب	الماضيـــات والـــــمقبلات
نـــــوِّر لنـــــا قبورنـــــا	وأَدِّ عَنّـــــا التَّبعـــــات
بَـــــدِّلْ لنـــــا عاداتنـــــا	بالحســـنات الموصــــلات
يـــا ربنـــا اجعلنـــا مـــن الــــ	أحبـــاب أهــــل الســـابقات
والحمـــــد للّـــــه ختـــــمها	وعلـــى النـبي أزكـــى الصـلاة
والِـــــهْ وكـــــل الصـــالحين	عـد كـل شـيء في الكائنـات
مـــع الســلام في كـــل حـــين	والرحمـــــات والبركـــــات

وهو الخطيب المصْقَع [1] الذي طالـما نشر المعارف والدرر على مستـمعيه دون تَلَكُّؤٍ أو تَكَلُّف، ولطالـما وقف خطيباً نحواً من ثـلاثِ ساعاتٍ زمنيةٍ دون توقـفٍ في محاضرةِ الرجال، ثـم يُعَقِّبُ بما لا يَقِلُّ عن ساعتينِ لـمحاضرة النساء من خلف حاجز، وبالذات في فترة نشاطه، يَعْرِفُ ذلك ويَطَّلِعُ عليه كُلُّ من خرج معه للدعوة، وبالذات في مناطق أبين وشبوة ويافع حيث يستـمر الـدرس مـن بعـد المغرب إلى نصـف الليـل تقريبا، يأتي فيها بكل العبائر المؤثرة والتي تأبى إلا أن تصل إلى مكامن قلب المستـمع، يصحبها إخلاصٌ منقطعُ النظير ونية صادقة ترجو من اللّه سبحانه أن يهدي أمـة محمـد

---

(١) مِصْقَعٌ على وزن «مِنْبَر»، وهو البليغ أو العالي الصوت، أو مَـن لا يُرْتَـجُ عليـه عنـد كلامـه، والجمع مَصاقِع .

صلى اللّٰه عليه وآله وسلم، وأن يرشدهم لأن يتحملوا أعباء هذا الدين ويذودوا عن حياضه، ولكم يحث على النية الصادقة والإخلاص، بل ويبدأ أول كل عمل بالنية وإن كان مباحا حتى يصير في عداد الطاعات، ولكم يحذر من العجب والرياء ويكرر على مسامع طلابه حديث معاذ [١] .

---

(١) فقد روى ابن المبارك في «الزهد» بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل رضي اللّٰه عنه: يا معاذ حَدِّثني حديثاً سمعتَه من رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم، قال: فبكى معاذ حتى ظننتُه لا يسكت، ثم سكت، ثم قال: واشوقاه إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم وإلى لقائه، ثم قال: سمعتُ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم يقول: «يا معاذ إني مُحَدِّثك بحديثٍ إن أنت حفظتَه نفعك عند اللّٰه، وإن أنت ضَيَّعْتَه ولم تحفظه انقطعتْ حُجَّتُك عند اللّٰه يوم القيامة، يا معاذ إن اللّٰه تبارك وتعالى خلق سبعةَ أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض، ثم خلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبع مَلَكاً بَوّاباً عليها، فتصعد الحَفَظَة بعمل العبد من حين يصبح إلى حين يمسي، له نور كنور الشمس، حتى إذا صعدت به إلى سماء الدنيا زَكَّته وكَثَّرته، فيقول الملك الموكل بها للحفظة: اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغِيبة، أمرني ربي أن لا أَدَعَ عملَ من يغتاب الناس يجاوِزُني إلى غيري.

ثم قال: تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد له نورٌ فتزكيه وتكثره، حتى تبلغ به السماء الثانية، فيقول لهم الملك الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنه أراد بعمله عَرَض الدنيا، أنا مَلَك الفخر، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، إنه كان يفتخر على الناس في مجالسهم.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نوراً من صدقة وصلاة وصيام قد أَعْجَبَ الحفظة، فيجاوزون به إلى السماء الثالثة، فيقول لهم الملك الموكل بها: قِفُوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الكبر، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم .

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو كما يزهو الكوكب الدريُّ وله دويٌّ من تسبيح وصلاة وصيام وحج وعمرة، حتى يجاوز به إلى السماء الرابعة، فيقول لهم الملك الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه، أنا صاحب العجب، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب فيه، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوز به إلى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى بعلها، فيقول لهم الملك الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه واجعلوه على عاتقه، أنا ملك الحسد، إنه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله، وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة، كان يحسدهم ويقع فيهم، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري .

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد له ضوء كضوء الشمس من صلاة وزكاة وحج وعمرة وجهاد وصيام فيجاوزون به إلى السماء السادسة، فيقول لهم الملك الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنه كان لا يرحم إنساناً قط من عباد اللّه أصابه بلاء أو مرض، بل كان يشمت به، أنا ملك الرحمة، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وصيام ونفقة وجهاد وورع له دوي كدوي النحل وضوء كضوء الشمس، معه ثلاثة آلاف ملك، فيجاوزون به إلى السماء السابعة، فيقول لهم الملك الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا به جوارحه واقفلوا على قلبه، أنا صاحب الذِّكْرِ، إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي، إنما أراد بعمله غير اللّه، إنه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكراً عند العلماء وصيتاً في المدائن، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، وكل عمل لم يكن للّه تعالى خالصاً فهو رياء، واللّه لا يقبل عمل المرائي .

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وجهاد وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر للّه تعالى، فتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطع به الحجب كلُّها إلى اللّه تعالى، فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص للّه تعالى، فيقول اللّه تعالى: أنتم الحفظة على عمل عبدي، وأنا الرقيب لما في قلبه، إنه لم يردني بهذا العمل وإنما أراد

وقد نظم في حديث معاذ شعراً قال فيه:

هـذا حديثٌ عـن معـاذِ بـنِ جَبَـلْ ... اِمتَـلأَتْ منـهُ القُلُـوبُ بـالوَجَلْ

ذَكَــرَهُ إمامُنــا الغَــزَّالي ... فـاقرَا «البدايــةَ» بـلا مطـال

ثـابِرْ عليهـا كُـلَّ يَـومٍ ورَقَـةْ ... تَصـير راسـخاً بـأعلى طَبَقَـةْ

يقـولُ: سـبعةٌ مـن الأمـلاكِ ... يسـتعرضون عَمَـلَ الأصكـاكِ

به غيري، فعليه لعنتي، فتقول الملائكة كلها: عليه لعنتك ولعنتنا، فتلعنه السموات السبع ومن فيهن .

ثـم بكى معاذ وانتحب انتحاباً شديداً وقال معاذ: قلتُ: يا رسول اللّه، أنت رسول اللّه وأنا معاذ، فكيف لي بالخلاص والنجاة من ذلك ؟ قال: «اِقْتَدِ بيَ وإن كان في عملك نقصٌ. يا معاذ، حافظ على لسانك من الوقيعة في إخوانك من حملة القرآن خاصةً، واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم، ولا تُزَكِّ نفسك بذمهم، ولا ترفع نفسك عليهم بوضعهم، ولا تدخل عمل الدنيا على الآخرة، ولا تراءِ بعملك، ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك، ولا تُناج رجلاً وعندك آخر، ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة، ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار، قال اللّه تعالى: -﴿والناشطاتِ نَشْطاً﴾ هل تدري ما هُنَّ يامعاذ ؟ قلت: ما هي بأبي وأمي أنت يا رسول اللّه؟ قال: كلاب في النار تنشط اللحم من العظم، قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه من يطيق هذه الخصال ؟ ومن ينجو منها ؟ قال: يا معاذ إنه لَيسيرٌ على من يَسَّره اللّه عليه، إنما يكفيك من ذلك أَنْ تحب للناس ما تحبه لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك فإذا أنت يا معاذ قد سَلمتَ» .

قال خالد بن معدان: فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ؛ لهذا الحديث العظيم، قال الإمام الزَّبيدي في شرح الإحياء «إتحاف السادة المتقين»: الرجل هو خالد بن معدان، وهو أبو عبداللّه الكلاعي الشامي وقال عنه: إنه ثقةٌ عابدٌ يرسل كثيراً عن معاذ، وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «التهذيب» والحافظ المنذري في «ترغيبه» .

علـى السـموات لأجـلِ سَـبْعِ — مـن الذنـوبِ مُحْبِطـاتِ النَّفْـعِ
مـن كـان موصوفـاً ولـو بواحـدِ — عملُـه الصـالح غـيرُ صـاعدِ
فمَلَـكُ الغِيبَـةِ ثـم الفَخْـرِ — كِـبْرٍ وعُجْـبٍ حَسَـدٍ في الصَّـدْرِ
وعَـدَمِ الرحمـةِ والريـاءِ — فتُـبْ إلى مـولاك يـا مُرائـي
يـا رَبِّ سـتراً ليسَ فيـه هَتْـكُ — مـعَ يقـينٍ ليـس فيـه شَـكُّ
والحفـظَ مـن كـلِّ الذنـوب والزَّلَـلْ — والعمـلَ الصـالحَ مـن غـيرِ خَلَـلْ
مـعَ كمـالِ العِلـم والفُتُـوحِ — والتوبـةِ الخالصـةِ النَّصُـوحِ
وأَكْمَـلِ التَّوفِيـقِ واللحـوق — بمقعـدِ الصـدقِ مـع الصِّدِّيـق
وصِحـةٍ ومتعـةٍ وعافيـةْ — وطاعـةٍ مـع الهِبـاتِ الوافيـةْ
وأَعْطِنـا ومَـن نُحِـبُّ مـا تُحِـبّ — وهَـبْ لنـا مِـنَ المنـى مـا نحتَسِـبْ
بحَـقِّ طـه تـارِكِ الملاهـي — عليـهِ والآلِ صـلاةُ اللّـهِ
مـعَ السـلامِ كُـلَّ حـينٍ أبـدا — وصحبـه والتـابعينَ السُّـعدا
مِـلْءَ السـمواتِ ومِـلْءَ الأرضِ — ومِـلْءَ طُـولِ جَنَّـةٍ وعَـرضِ

ولكم يردد الأثر: «الناس كلُّهم هَلْكَى إلا العالمين، والعالـمون كلُّهـم هلكـى إلا العاملين، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصين، والـمخلصون على خَطَرٍ عَظِيم» .

وهو ذو القلـم السيال الذي طالـما هز الأفئـدة واقشَعَرَّتِ الأجسـامُ مـن مقالاتـه؛ لكنها كلَّها في الدعوة إلى اللّه سبحانه وتعالى، وقَلَّ أَنْ تخرج عن هذا الاتجاه، و«خُطَبُهُ المِنْبرِيَّة» [1] أصدق دليل على ذلك، فمنها قوله في مقدمة خطبه المذكورة:

الحمد للّه يَسَّرَ القرآن.. وأزال به الران.. وفتـح بـه آذانـاً صُمّـا.. وقلوبـاً غُلْفـا..

---

(١) جُمع جزءٌ منها وطبع في خمس مجموعاتٍ باسم «فتح الفتاح العليم في خطب آيات الذكر الحكيم».

وعيوناً عَمْيا.. وأنطق حبيبه المختار سيد الإنس والجان صلى اللّه عليه وآله وسلم بالحكمة والموعظة الحسنة، فما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يُوحى، وخيرات الدارين وعافيتهما وسعادتهما في كتابه الكريم.. وفي سنة نبيه العظيم.. صلى اللّه عليه وآله وسلم.. رزقنا اللّه والمسلمين ذلك كاملاً تاماً أبداً سرمداً .

وبين يديك أيها المسلم الخطيب.. والسامع الأديب المستجيب.. خُطَبٌ عديدةٌ اشتملتْ على الكثير الطيب من الآيات البينات.. والنصائح النبويات.. فاقبلها سائلاً ربَّك سبحانه كما يَسَّرها أنْ يرزُقَنا ويرزقَك وكلَّ مستمعٍ ومسلم كمالَ النفع والانتفاع بها، مع كمال الإخلاص، ثم اسْعَ في تبليغها إنْ عليك إلا البلاغ؛ لتكونَ إن شاء اللّه ممن قال اللّه فيه: ﴿ومَن أَحْسَنُ قولاً ممَّن دعا إلى اللّه وعَمِلَ صالحاً وقال إنَّني مِنَ المسْلمينَ﴾ . وسينفع اللّه بها كل مستمعٍ من الموحِّدين.. فإن الذكرى تنفع المؤمنين.. وربما يكون المبلغون أفضلَ من السامعين، قال صلى اللّه عليه وآله وسلم في خطبة يوم النَّحْر: «فلْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِن سامِعٍ» .

أيها الخطيب طالع الخطب ومواضيعها، واختَرْ ما يناسب الزمانَ والمكان، فلا ترتيبَ عليك، وقبلَ الخُطبة قُل:

﴿رَبِّ اشْرَحْ لي صَدْرِي . ويَسِّرْ لي أَمْرِي . واحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِساني يَفْقَهُوا قَولي﴾، اللّهم اجعلنا وسائر المسلمين من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللّهم إنا نعوذ بك أن نُشْرِكَ بك شيئاً نَعْلمه، ونستغفرُك لما لا نعلمه، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . انتهى قوله رحمه اللّه .

ومنها قوله: أيُّها المسلم ليس الإسلام مجردَ صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وزكاةٍ فقط، بل الإسلام مجموعةٌ كبرى من المُثل العليا، كالصدق والحياء والرحمة، وإغاثة الملهوف، والوفاء بالعهد، والصبر عند الصدمة الأولى، والصبر في البأساء، وهي الفقر، وفي

الضراء، وهي المرض، والصبر حين البأس، وهو شدة القتال في مجاهدة الكفار.. ومطاردة الاستعمار.. وتطهير البلدان من قذر التقاليد الأجنبية.. والعادات الغربية والشرقية.. ومحاربة السفور والفجور.. والمشي بالمجتمع على ضوء التعاليم القرآنية.. والمخططات السماوية والبرامج المحمدية.. التي لا يتطرقها الخلل.. ولا يأتيها الباطل ولا الزلل.. حتى تكون كلمةُ اللّه هي العليا . وتُقام الصلاةُ وتُؤتى الزكاةُ، ﴿فإِنْ تابُوا وأَقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزكاةَ فخَلُّوا سبيلَهم إِنَّ اللّه غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ﴿فإِنْ تابُوا وأَقامُوا الصلاةَ وآتَوُا الزكاةَ فإخوانكم في الدِّين ونُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلمون﴾ .

وهو صاحب القلبِ الرحيمِ والذي طالما روى لنا حديثَ الرحمةِ بسَنَدَيهِ كما هو مُوَضَّحٌ في بابه: «الراحمون يَرْحَمُهُمُ الرَّحمن، إِرْحَمُوا مَن في الأرضِ يَرْحَمْكُمْ مَن في السماء» ، فهو ذو عطفٍ غريبٍ.. تُبْكِيهِ كَلمةٌ إِنْ سَمِعَها مِن مظلومٍ، ويُواسي بما يستطيع، ويَتَأَوَّهُ ويَتَأَلم حينما يَقِفُ مشدودَ اليدين غيرَ قادرٍ على مَدِّ يَدِ العَونِ فيما لا يستطيعه، وكم يتيمٍ قَرَّبَهُ إليه ومَسَحَ على رأسه، وكم مَرّاتٍ وكَرّاتٍ يذهب إلى المدارس ليبحث عن الأيتام، وحينما كَبُرَ وصَعُبَتْ عليه الحركةُ إذا به يستدعيهم إليه ليمسحَ على رؤوسهم ويخففَ من آلامهم ويعطيهم ما يستطيع من المال .

أما عطفه على الفقراء والمعْوِزين فذلك أمرٌ لا نستطيع أن نُدْخِلَه تحت حَصْرٍ، بل إن له قوائمَ أسماءٍ للمحتاجين يتفقَّدُهم في كثيرٍ من أحواله ويسعى لهم عند أرباب المال ويَمُدُّه إليهم بغايةٍ من التواضع وكأنَّه مسيءٌ معتذرٌ، ويُردد دائماً ما نُقِلَ عن سيدنا العباس بن عبدالمطلب رضي اللّه عنه: «لا يَتم المعروفُ إلا بثلاثٍ: سَتْرِه، وتحقيرِه، وتعجيلِه» . وطالما بحثَ عن الفقراء والصابرين وأكرمَهم وأدخل السرور عليهم حتى استشهد لي في ذات يوم في واقعةٍ بحديثٍ: «اتَّخِذُوا عند الفقراء أَيادِيَ فإنَّ لهم دولةً يومَ

القيامة» رواه أبو نعيم، بل كان كثيراً ما يحثُّ على ذلك في محاضراته ومذاكراته .

وقد أسَّس مطبخاً في الرِّباط ووقفَ عليه أموالاً، وطالما طلب التبرع له من أهل الخير من المحسنين، ويقول: آمُلُ من اللّه سبحانه أنْ لا يَبْقَى محتاجٌ وغايبٌ إلا شَبِعَ من هذا المطبخ، وحينما يأمرُ بعملِ وليمةٍ يدعو إليها الجمعَ الغفير يأمر أولاده ومعاونِيه أنْ لا يذوقوا شيئاً حتى يَشْبَعَ ضيفُه، وحينها يردّد: الحمد للّه .

وربما وجد طعاماً شهياً أُهْدِيَ إليه فيأخذه أو أكثرَه ويتّجهُ مسرعاً إلى عاجزٍ أو يتيمٍ أو أرملةٍ، ويردد في ذلك حكايةً عن أحد الصالحين حينما قَدَّمَتْ أختُه إليه طعاماً بعد جُهْدٍ جَهيدٍ فقال: أين أيتامُ فلانٍ ؟ وطلبتْ منه أَنْ يَذُوقَهُ فلم يَرْضَ، حتى ارتفعتِ الأصواتُ وطَلَبَ مِمَّن أتى على إِثْرِ ذلك الحكم بما هو الأَوْلَى: هل يُرفَع هذا الطعام إلى العرش أو يُنْزَلُ إلى الحَشّ ؟

كما أنه حينما استقر بمكة المكرمة والمدينة المنورة كان مَقْصداً للحجاج والزائرين والمعتمرين، وإذا أردنا أَنْ نستقصيَ جُودَه وكرمه وقفنا أمام بحرٍ لا ساحل له، يَعْلم هذا كلَّه من جالسه وخالطه رحمه اللّه .

وهو الصبورُ المتحمِّلُ للأذى والذي لم تَسْتَفِزَّهُ العباراتُ الجارحة والنابية، وكم رأينا من يحملُ عليه فيقابلُ جهلَه بالعفو والصفح، متمثلاً بقول اللّه تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنةُ ولا السيئةُ ادْفَعْ بالتي هِيَ أَحْسَنُ فإذا الذي بينَك وبينَه عداوةٌ كأنَّه وَلِيٌّ حميمٌ . وما يُلَقّاها إلا الَّذِينَ صبروا وما يُلَقّاها إلا ذُو حَظٍّ عظيمٍ﴾ .

وكان يحث على العمل بها ويقول: إنها أرشدت إلى العلاج القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكم حَثَّ ويَحُثُّ على استعمال هذا العلاج الرباني، ويقول: إن ذلك مُوجبٌ للسُؤْدُدِ والعلوِّ في الدنيا والآخرة، بدليل قول الرسول الكريم صلى اللّه عليه وآله وسلم: «ثلاثٌ أُقْسِمُ عليهنَّ: ما نَقَصَ مالُ عبدٍ

من صدقة، ولا ظُلِم عَبدٌ مَظْلمةً صَبَر عليها إلا زاده اللّه عزَّ وجلَّ عِزّاً، ولا فَتَحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتحَ اللّه عليه بابَ فقرٍ» رواه الترمذي وابن ماجه .

نَبْذَةٌ عن تَصَوُّفه رَضِيَ اللّٰه عنه

إذا كان التصوفُ هو «علم يُعْلم به كيف تصفيةُ الباطن من عيوب النفس وصفاتِها المذمومة كالحقد والحسد والغش والغل وطلب الجاه والعُلو» ؛ فهنالك سبلٌ يتعرفُ بها الإنسان على عيوب نفسه قد ذكرها المرَبُّون في كتبهم ومنهم الإمام الغزالي رحمهم اللّه، كما وضعوا لها العلاجاتِ اللازمةَ، ولمعرفة عيوب النفس طرقٌ منها إذا ما رزق المرءُ مربياً صالحاً آتاه اللّه الحكمةَ، وكان قد هذَّبَ نفسَه وجمَّلها بمحاسن الصفات، وجعل من رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم الأسوةَ الحسنةَ له فإن هذا المربيَ يكون مرآةً صافيةً لأخيه يُعينه إذا جَهِل، ويَدُلُّه على طريق الخير إن اعوَجَّتْ به السُّبُل، فإذا ما عَزَّ وُجودُ مثل هذا المربي فليتوكلِ المرءُ على اللّه ويبحثُ عن صديقٍ صدوقٍ يتخذُه صاحباً، يُبَصِّرُهُ بعيوب نفسِه، ولْنَقِفْ عندَ سؤالِ عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه للصحابي الجليل حذيفة بن اليمان صاحبِ سرّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في المنافقين: هل ترى عليَّ شيئاً من آثار النفاق ؟ وهو على علوِّ منزلته يتَّهِمُ نفسَه، وقد كان السلف الصالح رضي اللّه عنهم يسأل الواحد أخاه: هل ترى فيَّ عيباً ؟

فالعاقلُ مَن دان نفسَه وعَمِلَ لما بعد الموت، والجاهل من أَتْبَعَ نفسَه هواها وتمنى على اللّه الأماني . وما أحسن ما قيل: أصلُ كُلِّ غفلةٍ وشهوةٍ ومعصيةٍ الرضا عن النفس، وأصلُ كلِّ يقظةٍ وطاعةٍ عدمُ الرضا عنها، ولأَنْ تَصْحَبَ جاهلاً لا يرضى عن

نفسه خيرٌ من أنْ تصحبَ عالماً يرضى عن نفسه . ولله در القائل:

واخْتَرْ مِنَ الأصحابِ كُلَّ مُرْشِدِ إنَّ القَرينَ بالقَرينِ يَقْتَدِي
فصُحْبَةُ الأخيارِ للقَلْبِ دَوا تَزِيدُ للقلبِ نشاطاً وقُوَى
وصُحْبَةُ الأشرارِ للقَلْبِ عَمَى تَزِيدُ للقَلْبِ السَّقِيمِ سَقَما

ذلك هو التصوفُ المبني على التمسكِ بآدابِ الشريعةِ الإسلامية الغَرّاء، والابتعاد عن الشبهات والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والعكوف على العبادة من صلاةٍ وصيامٍ وتهجُّدٍ وذكرٍ لله تعالى إلى غيره من أنواع الطاعة بعيداً عن أيِّ أمرٍ دخيلٍ عليه كالعقائد الخارجة عن الدين، كالاتحاد والحلول، وفي نَظَري أنها عقائدُ دُسَّتْ من أعداءِ الدِّين؛ لِيُشَوِّهُوا وجهَه المشرق نظراً لما أحْدِثَ من تغييرٍ جذريٍّ في حياة الأمم الذين دخلوا الإسلام بواسطة العلماء المنتمين إلى مدرسة التصوف في أرجاء العالم الإسلامي كإندونيسيا وإفريقيا وأستراليا والفلبين وغيرها من بقاع الأرض .

وقد أخذ فقيدنا رحمه الله بنصيبٍ وافرٍ من ذلك، بل كان يُعتبر من رموزه البارزين إن لم يكن أهمَّ أعلامه في هذا الحُقْب من الزمن؛ إلا أنَّ تَصَوُّفَه مرتبطٌ بالشريعة المطهرة، والميزانُ الحقيقيُّ لديه في التصوف هو الكتاب والسنة، متمثلاً بالحديث النبوي الشريف: «مَن أَحْدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» متفق عليه.

وكم كان يردد هذا الحديث ويَوَدُّ لو أَنَّ كثيراً من المغالين تَأَمَّلُوهُ وعرفوا معناه، أما أَنْ يُمْنَعَ به كُلُّ عملٍ خيريٍّ لم يكن في العصور الأولى كجمع القرآن والأحاديث والمدارس ودُور الأيتام والأساليب الحديثة في مجاهدة الكفار إلى غير ذلك؛ أما أَنْ يُمنع ذلك فهذا ما لم تُجمع عليه الأمة، ولو كان هذا معنى الحديث لجعلوا الإسلام في حرج وضيق وهو الصالح لكل زمان ومكان .

كما كان رحمه اللّه يدعو طلبة العلم إلى التفقه في الدين والاهتمام به، والاقتصار على الفرائض والنوافل المؤكدة، وما تَيَسَّرَ من القرآن والأذكار للتلاوة والتحصن، ثم إنَّ عليهم أَنْ يُفنُوا بقيةَ أوقاتهم في طلب العلم، وطالما كرَّرَ المقولةَ المرويةَ عن الإمام مالك بن أنس رضي اللّه عنه: «اُطْلُبُوا العلم طلباً لا يَضُرُّ بالعبادة، واطلُبُوا العبادةَ طلباً لا يَضُرُّ بالعلم».

ومن المعلوم أن التصوف هو تطهير النفس من المثالب والمعاطب امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ونَفْسٍ وما سَوَّاها . فأَلهَمَها فُجُورَها وتَقْواها . قد أَفْلَحَ مَن زَكّاها . وقد خابَ مَنْ دَسّاها﴾ . ومعلومٌ أن التزكية لن تكون على هدى إلا إذا كانت مُوافقةً لما أمر اللّه به، وذلك من خلال فهم معاني الآيات الكريمة، ولذلك طالما سمعناه رحمه اللّه يُحَذِّرُ ويُنَفِّرُ من مطالعة تلك الكتب التي دُسَّتْ فيها كثيرٌ من العقائد الخارجة عن الدين كعقيدة الاتحاد والحلول، ويردد العبارة المشهورة: مَن تصوف قبل أَنْ يتفقه فقد تزندق .

كما أنه يرى ضرورة التصوف لكل فقيهٍ لكي لا يتخذَ فِقْهَهُ مَطِيَّةً للتنافس على حُطام الدنيا والجاه والمنصب، ولطالما حث على قراءة كتب حجة الإسلام الإمام الغزالي «كإحياء علوم الدين»، و«منهاج العابدين» و«الأربعين الأصل» وغيرها .

وكان يوصي أولاده وطلابه بأن يجعلوا لهم كلَّ يوم حظاً من القرآن والحديث وشيئاً من «إحياء علوم الدين» وسائر كتب الإمام الغزالي، ويردد العبارة: مَن لم يُطالِع «الإحياء» ما فيه حياء، وسوف نأتي على ذلك مفصَّلاً في بابه .

نَبْذَةٌ عن عَقِيدَتِه رَضِيَ اللهُ عنه

العقيدة في الشرع: هي الحكم الجازم الذي يعقد الإنسان قلبه عليه بغير ترددٍ أو شَكّ، وفقيدنا رحمه اللّه سلفيُّ العقيدة ذو مَشْرَبٍ صُوفيٍّ نقيٍّ وَقَفَ موقف السلف الصالح من الإنكِفافِ عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى اللّه تعالى من غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ، وهذه هي الطريقة التي انتهى إليها أساطين العلم من الأشاعرة وغيرهم مثل أبي الحسن الأشعري [1] في «الإبانة» والإمام الغزالي في

(١) هو الإمام أبوالحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، ولد في سنة ٢٦٠ هـ من نسل أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤ هـ .

وقد ظهر أبوالحسن الأشعري في ظرف من أحلك الظروف، وفي فترة رمى الفلاسفة أهل السنة والجماعة بالجمود والتعصب واستحسان التقليد في العقائد، وانفتح لذلك باب الحيرة وأُوصدت في وجوه الكثير أبواب المعرفة واليقين، فقيض اللّه سبحانه لهذا الدين هذا الرجل العظيم، فأعلن اعتصامه بكتاب اللّه سبحانه وتعالى وبسنة رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم وأصحابه، وبما كان عليه السلف الصالح من أئمة الحديث، وقد منحه اللّه من الحجة والعلم بأصول المناظرة ماجعله يَدْرَأُ به زيغَ أهل الباطل ويرده في نحورهم ويرد كيدهم عليهم، وقد أعلن عقيدته بقوله:

قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب اللّه وسنة نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم، وما رُوِيَ عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون .

وقد حاول في مذهبه هذا أن يوفق بين أهل السنة والجماعة والعقل، فانتشر في كثير من الأصقاع واستقبله المسلمون بغاية من الاستحسان، وبالذات أهل الحديث، فقد قَدَّرُوا له جميلَ مقصده وعظيمَ سعيه .

«إلْجَام العَوَامّ» والإمام الحداد في «عقيدة الإسلام»، وطالما ردد قول الإمام الحداد:

وكُنْ أَشْعَرِيّاً في اعتقادِك إنَّهُ — هُو المَنْهَلُ الصافي عن الزَّيغِ والكُفْرِ

وقد حَرَّرَ القُطْبُ الإمامُ مَلاذُنا — عَقِيدَتَه فهْي الشِّفاءُ مِنَ الضُّرِّ

وأعني به مَن ليسَ يُنعتُ غيرُهُ — بحُجَّةِ إسلامٍ، فيا لَكَ مِن فَخْرِ !

وخُذْ من عُلوم الدينِ حَظّاً مُوَفَّراً — فبالعلم تَسْمُو في الحياةِ وفي الحشرِ

وكان رحمه اللّه يُرَدِّدُ هذه «العقيدةَ المجملةَ» للإمام الحداد، بل وجعلها من أوراده قبل صلاة العشاء، وطلب من طلابه ترديدها، ويقول: إنها تفيد في الإجابة على سؤال الملَكَينِ في القبر، وهي:

«وبعدُ فإنّا والحمدُ للّه قد رَضِينا باللّه رَبّاً وبالإسلامِ ديناً، وبمُحَمَّدٍ صَلَّى اللّه عليهِ وآلِهِ وسَلم نَبيّاً ورسولاً، وبالقرآنِ إماماً، وبالكعبةِ قِبْلَةً، وبالمؤمنينَ إخواناً، وتَبَرَّأْنا مِن كلِّ دينٍ يُخالِفُ دينَ الإسلامِ، وآمنّا بكلِّ كتابٍ أَنْزَلَهُ اللّه، وبكُلِّ رسولٍ أَرْسَلَهُ اللّه، وبِمَلائِكَةِ اللّه، وبالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ، وباليومِ الآخِرِ وبكلِّ ما جاء به مُحَمَّدٌ رسولُ اللّه صَلّى اللّه عليهِ وآلِهِ وسَلم عن اللّه، على ذلِكَ نَحْيا وعليهِ نَمُوتُ وعليهِ نُبْعَثُ إنْ شاءَ اللّه مِن الآمِنينَ، الّذينَ لا خَوْفٌ عليهِمْ ولا هم يَحْزَنُونَ، بِفَضْلِكَ اللّهمَّ يا رَبَّ العالمينَ» .

واتَّسَمَ مذهبُه بالتوسط وعدم الغلو، ولذلك فلا نراه يكفر أحداً من المسلمين إلا مَن قامت عليه الحجة، على عكس كثير من الفرق التي تتهم بعضها بالكفر والزندقة، والتي ذكر كثيراً منها في كتابه «مقالات الإسلاميين»، ولذلك كان الإمام أحمد بن زاهر السَّرَخْسِي أخص أصحاب الإمام الأشعري يقول: لما حضرتْ أبا الحسن الوفاةُ في داري ببغداد أمر بجميع أصحابه، ثم قال: اشهدوا علي أنني لا أكفر أحداً من أهل القبلة بذنب لأنني رأيتهم جميعا يشيرون إلى معبود واحد، والإسلام يشملهم ويعمهم . رحمه اللّه ورضي عنه.

ويَنْهَى ويحذّر من التوغُّلِ في مناقشة الصفات؛ لأنَّ الزَّلَّةَ فيها كفرٌ والعياذ باللّه، ويفيد أَنَّ على طالب العلم الاقتصارَ على الأمور الواجبة في التوحيد، كالصفات الواجبة والجائزة والمستحيلة، أما أن يكلف نفسه مناقشةَ أمرٍ ما كلّفَهُ اللّه به فهو خطرٌ في الدين عظيمٌ .

عَلاقَتُهُ بالذِّكْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قال اللّه تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمنوا اذْكُرُوا اللّه ذِكْراً كَثِيرا . وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلا﴾، وقال تعالى: ﴿واذْكُرْ رَبَّكَ في نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وخِيفَةً ودُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بالغُدُوِّ والآصالِ ولا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِين﴾ . ورَوَى الترمذيُّ عن عبداللّه بن بُسْرٍ أَنَّ رجلاً قال: يا رسول اللّه، إنَّ شرائعَ الإسلام قد كَثُرَتْ عليَّ فأَخْبِرْني بشيءٍ أَتَشَبَّثُ به . قال: لا يَزالُ لِسانُكَ رَطْباً مِن ذكرِ اللّه تعالى» . وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «يقول اللّه عز وجل: أنا مَعَ عَبْدِي إذا هُوَ ذَكَرَني وتَحَرَّكَتْ بي شَفَتاهُ» .

وفي فضل مجالس الذكر ورد في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إنَّ للّه ملائكةً يطوفونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإِنْ وَجَدُوا قوماً يَذْكُرُونَ اللّه تعالى تَنَادَوْا: هَلُموا إلى حاجَتِكُمْ، فيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلى سماءِ الدنيا، فيسأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -وهو أَعْلَم بهم-: ما يَقُولُ عبادي ؟ فيقولون: يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ ويَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدُونَك، قال: يقول: هل رَأَوْنِي ؟ يقولون: لا، يقول: كيف لو رأوني ؟ فيقولون: لو رَأَوْكَ كانوا أَشَدَّ لَكَ عبادةً وأَشَدَّ لك تمجيداً وأَكْثَرَ لكَ تسبيحاً، قال: فيقول: فما يَسْأَلُونَ ؟ فيقولون: يسألونك الجنةَ . فيقول: هل رَأَوْها ؟ فيقولون: لا يا رَبِّ . فيقول: كيف لو رَأَوْها ؟

فيقولون: لو رَأَوْها كانوا أَشَدَّ عليها حِرْصاً وأَشَدَّ لها طَلَباً وأَعْظَمَ فيها رَغْبَةً، قال: فمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ فيقولون: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّار . فيقول: هل رَأَوْها؟ فيقولون: لا يا رَبِّ. فيقول: كيف لو رَأَوْها ؟ فيقولون: لو رَأَوْها كانوا أَشَدَّ منها فِراراً وأَشَدَّ لها مخافةً، قال: فيقول: أُشْهِدُكُمْ يا مَلائِكَتِي أَنِّي قد غَفَرْتُ لهم . قال: فيقولُ مَلَكٌ منهم: فلانٌ عَبْدٌ خَطّاءٌ ليس مِنْهُمْ، إنما مَرَّ لحاجةٍ فجَلَسَ، فيقول: وله قد غَفَرْتُ، هُمُ القومُ لا يَشْقَى بهم جَلِيسُهُمْ» .

وروى مسلم عن أبي هريرةَ وأبي سعيدٍ رضي اللّه عنهما أنهما يشهدان على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه قال: «لا يَقْعُدُ قَومٌ يَذْكُرُونَ اللّه عزَّ وجَلَّ إلاّ حَفَّتْهُمُ الملائكةُ وغَشِيَتْهُمُ الرحمةُ ونَزَلَتْ عليهمُ السَّكِينَةُ وذَكَرَهُمُ اللّه فِيمَن عندَه» .

وروى مسلم عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم خَرَجَ على حلَقةٍ من أصحابه فقال: ما أَجْلَسَكُمْ ؟ قالوا: جَلَسْنا نَذْكُرُ اللّه ونَحمَدُه على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا . قال: اللّه ما أَجْلَسَكُمْ إلاّ ذاك ؟ قالوا: واللّه ما أَجْلَسَنا إلا ذاك . قال: أَمَا إنِّي لم أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لكم ولكنَّه أتاني جبريلُ فأخبرني أَنَّ اللّه عزَّ وجلَّ يُباهي بِكُمُ الملائكةَ» ، وروى الترمذي عن أنس رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «إذا مَرَرْتم بِرياضِ الجَنَّةِ فارتَعُوا»، قالوا: وما رِياضُ الجَنَّة؟ قال: «حِلَقُ الذِّكْرِ» .

ولذلك فإنَّ فَقِيدَنا رحمه اللّه كان كثيرَ الذكرِ بحيثُ لا يَفْتُرُ لِسانُه عن ذكر اللّه صباحاً ومساءً بترتيبٍ مُتْقَنٍ، فأَذكارٌ مختَصَّةٌ بالصباح ومنها بالظهيرةِ وبالمساء وفي آخِرِ الليل، وكلُّها واردةٌ عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، وقد جمعَ كثيراً منها في كتبه مثل «نيل السعادة من مُخِّ العبادة» و«صاروخ الإصابة بالدعوات المستجابة» و«النفحات الرمضانية»، و«الباقيات الصالحات» وغيرها، وكلُّها كتبٌ

جمعت كثيراً من الأذكار النبوية والتي تحتوي على برنامجٍ يوميٍّ لعمل اليوم والليلة، وطالما حَثَّ على شراء «الأذكار» للإمام النووي و«المسْلَكِ القريب» للحبيب طاهر بن حسين بن طاهر، ولا نستطيع في هذه العُجالة أن نأتي على كل الأذكار التي يداوم عليها إلا أنّا نقول: إن اللّه سبحانه وتعالى مَنَحَهُ بركةً في الوقت وأن هذه الأذكارَ غيرُ ما يَسَّرَهُ اللّه له من وِرْدٍ يوميٍّ لتلاوة القرآن الكريم، فسبحان من بيده الهداية للتوفيق، آمِلِينَ منه سبحانه أن يمنحنا ما منحه من القوة والاجتهاد في طاعة اللّه آمين.

حياتُهُ الاجتماعِيَّةُ رَضِيَ اللهُ عنه

عاش رحمه اللّه حياةً لا تختلف عن حياة الفقراء الصابرين الزاهدين، وقد كان زوجاً كريماً، وأباً رحيماً، وجاراً صالحاً، ومربياً قديراً، وناصحاً أميناً، كان بالرغم من سَعَةِ جاهِهِ وعلوِّ منزلته لدى أفراد مجتمعه إلا أنه قد لا يجد العشاء و الغداء لضيفه، وفي تلك حكاياتٌ يتناقلها أصدقاؤه ومُحِبُّوه، ولو أراد الدنيا لَحَظِيَ بها ولوجدها، وكان إذا وَجَدَ وَاسَى، وإِنْ لم يَجِدْ صبر، وفي كثيرٍ من جلساته يكـرِّرُ قصةَ البَلْخِيِّ المرويةَ عن أبي يزيدٍ البسطامي قال: ما غلبني أحدٌ كما غلبني شابٌّ من أهل بَلْخٍ قَدِمَ علينا حاجّاً فقال لي: يا أبايزيدٍ ما حَدُّ الزُّهْدِ عندكم ؟ قلتُ: إذا وَجَدْنا أَكَلْنا وإذا فَقَدْنا صبرنا . فقال: هكذا عندنا كلابُ بَلْخٍ، فقلتُ له: وما حَدُّ الزُّهْدِ عندكم ؟ قال: إذا فَقَدْنا شَكَرْنا وإذا وَجَدْنا آثَرْنا .

وكان كثيراً ما يتمثَّلُ بقول الإمام الحداد:

وازْهَدْ بقَلْبِكَ في الدارِ التي فَتَنَتْ ... طَوائِفاً فرأوها غايةَ الطَّلَبِ

تَنافَسُـوها وأَعْطَوْهــا قَوالِبَهُــمْ مَعَ القُلُوبِ فيا للّـه مِـن عَجَـبِ

وهي التي صَغُرَتْ قَدْراً ومـا وَزَنَـتْ عنـدَ الإلـهِ جناحاً فـالحريصُ غـبيّ

وخُذْ بَلاغَـكَ مـن دُنياك واسْعَ بِهِ سَعْيَ المجِدِّ إلى مـولاكَ واحتَسِبِ

وأَذْكُرُ أَنّي أتيتُ إليه أشكو حالتي المعيشيةَ وأريدُ السفر وقدمتُ قصيدةً أستعطفه فيها بأَنْ يَأْذَنَ لي للكَدْحِ في سبيل الرزق قلت فيها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه والصلاة والسلام على سيدنا رسول اللّه محمد بن عبداللاه وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

هذه محاولة شعرية ركيكة المبنى، صحيحة المعنى، قلتها في سيدي الوالد الحبيب محمد بن عبداللّه الهدار، وهي على منوال أبيات قيمة ذات نصائح غالية، أرسلها سيدي حينما كان بالمدينة المنورة في صفر ١٤٠٢ هـ، والحال أني إذ أقدمها إلى شخصه الكريم ليس لي من غرض سوى عرض الحال على اللّه ثم عليه، مستمداً من الوالد التوجه، وقرع باب صاحب المواهب السنية، الحي القيوم، فدعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمته كما في الحديث ، وطالباً منه التكرم بالإذن لي بالسفر للكدح في سبيل العيش، وسأظل إن شاء اللّه على الدرب لن أتخلى عن طلب العلم، ولن أوثر المتاع الفاني على أوجه الخير، وماهي إلا محاولة متواضعة جادت بها قريحتي، ليست على مستوى مقامه المنيف، وما الغرض سوى عرض الحال كما ذكرت، آملاً من سيدي الوالد قبولها وغض الطرف عما بها من عيوب .

أيـنَ مـا يَمَّمْـتَ فاللّـه مَعَـكْ حافظاً في حِفْظِـهِ مـا اسـتَوْدَعَكْ

يـا أبـي يـا خـيرَ مَـن أرشـدني عَلَّ شـيئاً في سُـلوكي أَفْزَعَـكْ ؟

مـا أنـا إلا ابنُـكَ المملـوكُ لا رَأْيَ لي قـد صـار رَأْيـي تَبَعَـكْ

أنتَ مَن أَلْهَمَني حُبَّ العُلى ... وعلى الإحسانِ رَبّي طَبَعَكْ
لا تَلم نفسي إذا ما طَمِعَتْ ... في العُلى فالقلبُ يَهْوَى مَطْمَعَكْ
أستمدُّ الرُّشدَ والتوجيهَ من ... رأيكَ الصائبِ كيما أتبعَكْ
وبنفسي حاجةٌ لو ظَهَرَتْ ... لأثارتْ دُونَ شَكٍّ جَزَعَكْ
فلقد حاولتُ كسبَ العيشِ من ... طُرُقٍ تُرضي وتُعلي موضعَكْ
أنا إنْ سافرتُ أقصى الصينِ يا ... والدي فِكْري وإحساسي مَعَكْ
وقديماً قال قَبْلي شاعرٌ: ... «وَدَّعَ الصَّبْرَ مُحِبٌّ وَدَّعَكْ»
فاعْفُ عَنيّ يا أبي واصْفَحْ ففي ... ذاك نفعي وعسى أن ينفعَكْ
واقبلِ العذرَ وقَدِّرْ موقفي ... وإذا ضايقتَني لن أمنعَكْ
وإذا شاهدتَ مني خطأً ... فلْيَسَعْني فضلُ حِلمٍ وَسِعَكْ
يا أبانا استغفرِ اللّه لنا ... يغفرِ اللّه لنا الذنبَ معكْ

وهي طويلةٌ اقتصرنا منها على هذه الأبيات، فأجاب على طلبي بهذه الأبيات بالشعر الحميني فقال رضي اللّه عنه:

الحمد للّه رب الشمس والمشرقين
رب الخلائق مقسمهم إلى قسمتين
قبضه إلى جنته وباقي القبضتين
للّهاوية يا اللّه احفظنا من الحسرتين
نفوز يوم اللقاء يااللّه بالجنتين
نخاف منَّك وندعو في النفس دعوتين
نتبع طريق النبي لانفترق خطوتين
يا ما اعجب الخط ذي جا زين من عند زين
من عند خيرة شباب ابن الحسن والحسين

حسين له عندنا فوق السوى رحمتين
جانا كتابه بغى رخصة إلى أرض العوين
من حيث يتقاسمون المال يملوا الخزين
وضيعوا عمرهم وعادهن ما امتلين
وماجتمع فات مايدرون ولى فيين
دوين ياطالب الدنيا دوينك دوين
لاتفتنك زهرة الدنيا وعِيِّن بعين
رد البصر يافتى في ذا الغرض كرتين
وين الذي يكنزوا في اليوم من مرتين
ماتوا وخذها سواهم قبض بالراحتين
مامعهم إلا التعب وحصلوا خرقتين
نعم عليهم حسابه جاك ياذا من اين
وهل خرج في رضا أو في هوى الشهوتين
اين الشباب انقضى أين السنين انقضين
ليته مضى في خصال الخير ذي ينفعين
في الباقيات الحسان في الكبار الرزين
في العلم هووالعمل إذا الليالي اظلمين
عمرك جواهر رضيت جواهرك يذهبين
في كسب جيفه قذر كلابها ينبحين
حسابها من حلال سنين يتطاولين
ومن كنزينقلب له ماكنز جمرتين
يكوى بها دائماً كيات لاكيتين
في يوم فيه العرق بحور يتلاطمين

وكـم بُكـى فيـه دم وكـم تقـع بـه غبـين

عيـون مـن كـان فيـه عَمَـين ممـابكين

أهـوال منهـا تشـيب ذوائـب الأصغريـن

علـى دقيقـة تضيـع حسـرات مـايكملين

يـارب يـارب جرنـا وارحـم المقلتـين

فمالنـا رب لاطاقـه ولاطـاقتين

ومالنـا إلا أنـت فاسـبل فوقنـا سـترتين

فياحسـين استـمع لوالـدك ياحسـين

وطاعـة اللّـه قـالوا طاعـة الوالديـن

اسمـع كلامـي فهـو كـلام مافيـه مـين

فقـد رضـي لـك علـي باحسـن الحصتـين

بـاب المدينـة وذو القرنـين بـالضربتين

جدك علـي أعلـم أصحـاب النبي ذو البطـين

قسـمه رضيهـا علـي فيـن توجـد فيـن

اصـبر وصـابر ورابـط فـالزمن لحظتـين

جـاهد ولـك أجـر مـن جـاهد يقـع مرتـين

وزلّتـك أنـت أومثلـك تقـع زلتـين

واعمـر ربـاطك إذا غـيرك عيونـه غفـين

فـانذر بـه الإعتكـاف إذا الليـالي أقبلـين

فكـل جلسـه بحجـه فيـه أو حجتـين

غنيمتـك ماكماهـا قـط في الخـافقين

تلحـق بهـا مـن سـبق أهـل الهمـم ذي علـين

ذي طلقوهـا ثـلاث فـلا كفـت طلقتـين

ولاتضيـــع دقيقـــه قبـــل مـــايكملين
فـــالعمر ســـاعة وإن زادوك قـــل ســـاعتين
وابشـــر مـــن اللّـــه قلبـــك يغتـــني واليديـــن
يتيســـر الـــرزق مـــاتدري يجـــي لـــك مـــن ايـــن
مـــن حيـــث لا تحتســـب للـــمتقي شـــوف عـــين
إذا قبلـــت النصيحـــة فـــاقرأ الآيتـــين
ياربنـــا انظـــر الينـــا كـــل ســـع نظرتـــين
تزيـــل عنـــا العنـــا وينجلـــي كـــل ريـــن
ولانـــرى رب في دنيـــاك واخـــراك شـــين
ننـــال كـــل المنـــى في النَفَـــسْ مرتـــين
وصـــل ربـــي وسلـــم ماالســـواعي ســـعين
علـــى النـــبي المصطفـــى وآلـــه حبـــال الســـفين
هـــم أنجـــم الملـــة الغـــراء خفـــين أو بديـــن
والأنبيـــاء كلهـــم ســـنينهم قـــد مضـــين
وأهـــل بـــدر وأحدوالشـــجرة وحنـــين
والصحـــب واتبـــاعهم مـــن اعطـــوا الحســـنيين
رجـــالهم والنســـاء مـــن أيـــن مـــاجوا وجـــين
في كـــل لحظـــة عـــدد مـــا ضمـــت القبضتـــين

وكان كثيراً ما ينهانا عن الدَّينِ وأنه هَمٌّ بالليل وذُلٌّ بالنهار، ويستشهد بحديث أبي قتادة عن جابر رضي اللّه عنه قال: تُوُفِّيَ رَجُلٌ فغَسَّلناهُ وكَفَّنّاهُ وحَنَّطناهُ، ثـم أتينـا بـه رسولَ اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم لِيصليَ عليه، فقلنا: تُصَلِّي عليه ؟ فخطا خُطْوَةً، ثـم قال: «أَوَعَلَيهِ دَينٌ ؟» قلنا: دِيناراِن، فانصرفَ فتَحَمَّلَها أبو قَتادَةَ، فأتيناه فقـال أبـو

قتادة: الديناران عَلَيَّ، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «قد أوفى اللّه حَقَّ الغريمِ وبَرِئَ منهما الميِّتُ»»، قال: نعم، فصَلَّى عليه، ثم قال بعدَ ذلك بيومٍ: ما فعلَ الديناران ؟ قلتُ: إنما مات أمسِ ! قال: فعاد إليه من الغد، فقال: قد قَضَيتُهُما، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: الآن بَرَدَتْ جِلْدَتُه» رواه أحمد بإسنادٍ حسنٍ والدارَقُطني، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه أبوداود وابن حِبّان في «صحيحه» باختصار .

وأن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم كان في أول الإسلام لا يصلي على المديون الذي لا يترك قضاءً لِدَينِه، وقد أعطاني ورقةً فيها الأبيات التالية وأمرني بحفظها:

إذا شئتَ أَنْ تَستَقْرِضَ المالَ مُنفقاً ... على شهواتِ النَّفْسِ في زَمَنِ العُسْرِ
فسَلْ نَفْسَكَ الإنفاقَ من كَنْزِ صَبْرِها ... عليكَ وإرفاقاً إلى زَمَنِ اليُسْرِ
فإنْ فَعَلَتْ كُنتَ الغَنِيَّ وإنْ أَبَتْ ... فكُلُّ مَنُوعٍ بعدها واسِعُ العُذْرِ

صِلَتُهُ للأرحام رَضِيَ اللهُ عنه

كان رضي اللّه عنه كثيراً ما يَتعَهَّدُ أقاربَه، كثيرَ الإحسان إليهم، واصلاً لأرحامه صِلَةً تتضائل كلُّ الصِّلاتِ عندها، وهو يرى أن الصلةَ لا تكون بالمال فحسبُ بل بالتعهد والتزاور، وبالذات للفقير، وكثيراً ما يردِّد في مذاكراته الحديثَ الشريف المرويَّ عن الطَّبراني والبيهقيِّ: «إنَّ الرَّحِمَ معلَّقةٌ بالعرش وليس الواصلُ بالمكافي ولكنَّ الواصلَ الذي إذا انقطعتْ رحِمُه وصلها»»، ويحذّر من قطيعة الرحم وكرَّر الآية الكريمة: ﴿فهل عَسَيْتم إنْ تَوَلَّيْتم أَنْ تُفْسِدُوا في الأرضِ وتُقَطِّعُوا أَرحامَكُمْ . أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّه فأَصَمَّهُمْ وأَعْمَى أبصارَهم﴾ . وأنّ أعجل الطاعة ثواباً صلةُ الرحم

حتى إنَّ أهلَ البيتِ يكونون فُجّاراً فتَنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم، وأنّ «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح»، وهو حديثٌ أخرجه الطبراني، ولولا أنه رحمه اللّه يكره أن تُنسب إليه أعمال الصلاح والعبادة لتكلمنا عن الكثير من مزاياه في هذا الإطار، وله في ذلك مآربُ ومقاصدُ، فهو لا يحبُّ أن يطَّلع على عمله أحدٌ إلا اللّه، وكم كان يتحاشى ويجتنب الثناء والمدح، ومع ذلك فهو القائل على سبيل الاعتراف أمام رب الأرباب:

ونُراءِي بالخيرِ مِن غيرِ أنّا   نَعْمَلُ الخيرَ كيف هذا الرِّياءُ ؟

أقول: لقد كان رحمه اللّه يتباعد عن كل ذلك خوفاً من الرياء والعُجب، ونرى من تمام الوفاء له أَنْ نَسْكُتَ عن كثيرٍ من أعمال البر التي كان يقوم بها، وبالذات في تفقُّده وتعهُّده لأرحامه، وفي أواخر أيامه كنّا نَتَّصِلُ به عبر الهاتف فكان يحدِّد لنا كثيراً من أسماء أقاربه وزملائه في صِغَرِه لنتعاهدهم ولنتفقد أحوالهم، فرحمه اللّه وأعلى مراتبه، ما كان أَوْصَلَهُ لِرَحِمِه ! وما أكثرَ تَعَهُّدَهُ أقاربَه !

طريقته في الاعتراف

كما كان يتميزُ فقيدنا رحمه اللّه بسلوكٍ قَلَّ أن يوجد في غيره من العلماء فضلاً عن غيرهم . من ذلك إلقاؤه باللوم على نفسه في كلِّ ما حدث ويحدث له واضعاً الآيةَ الكريمةَ نصبَ عينيه ﴿وما أُبَرِّئُ نفسي إِنَّ النَّفْسَ لأَمّارَةٌ بالسُّوءِ إلا ما رَحِمَ رَبّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ولطالما جَرَّدَ نَفْسَه عن كثيرٍ من حظوظها، وما ترمي إليه من أغراضٍ خفيةٍ لا يُدرك كُنْهَها إلا عمالقةُ التزكيةِ والفكر، ولطالما استشهد وكرر قول الإمام الحداد:

يـا وَيْـحَ نفسـي الغويّـه	عـن السـبيل السـويه
أضحَـت تُـروِّج عليَّـه	وقصدُهـا الجـاه والـمال
يـاربِّ قـد غَلَبتـني	وبالأمـاني سَـبَتني
وفي الحظـوظ كَبَتـني	وقيّدتـني بالاكبـال
قـد اسـتعنتُكَ ربـي	علـى مُـداواةِ قلـبي
وحـلِّ عُقـدة كربـي	فـانظر إلى الغـمّ ينجـال

وقال رضي اللّه عنه معترفاً ومقرّاً بالذنوب أمـامَ رَبِّ الأربـاب ومسبِّب الأسباب وأنه ليس لديه من الأعمال الصالحة سوى الحبِّ في اللّه فقال بالشعر الحميني:

مالي وجاهَـه ولا خلَّـى لي الذنـب جـاه
لكنـي حِـبّ أهـل الجـاه سفـن النجـاه
مَن حبَّهم أو رجـاهم حقـق اللّـه رجـاه

وكان يردد في هذا المعنى الحديث عن أنس رضي اللّه عنه: أن رجلاً سـأل رسـول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم: متى الساعة ؟ قال: ما أَعْدَدْتَ لها ؟ قال: لا شـيء إلا أنّي أحبُّ اللّه ورسوله . قال: «أنتَ معَ مَن أَحْبَبْتَ» رواه البخاري ومسلـم .

وحينما وصل إليه أحد إخوانه يشكو من بعض أرحامه أجاب عليه بهـذه الأبيـات الحمينية:

الحمـد للّـه عـد الخلـق عـد النسـم
لي مامعه عقـل ياللّـه سوّ لـه عقـل جـم
خل الحفد يـاابن هـدار ابـن عـالي الهمـم
واسمع لخوك النصيحه عـاد جنبـك سلـم
وان مـاسمعت النصيحـه بـاتقع في النـدم
مـاطف ولاافـتر موضـوع لـك في القلـم

وَضِيْع مايضيع واسمع لاتقع كالصنم

وخلص ابن الرهينه ألف لك لاعلم

وخل صالح يخذ كبارته لي زعم

حاجه وفيها جدل ماعاد فيها نجم

وخوك لحمك وعظمك وانته مخّه ودم

وقطع لرحام ُسَّمك والجذم والسدم

مايقطع أرحامه إلا من لعُن وارتجم

والقادري صاحبك وساعدك وابن عم

كبيركم ياعيال العم وابن الكرم

يضحك إذا جاه ضيفه والنبي ماوطم

تمسي ضيوفه تخبَّر شي دواء للدسم

احسبه واكسبه عده للحفد والنسم

وادعه وحكّم وقل في ذمتك ياحكم

وادخل معه سالم أو غيره من أهل الذمم

كثر المشاكي مذلّه قال راعي الغنم

والجيد يحكم لنفسه يحتمل من ظَلم

وصَل فرضك جماعة وأقر حزبك ونم

وغبّش الفجر للمسجد مع من قدم

واين ماكنت فاذكر خالقك جم جم

واسأل من اللّه ربك يحسن المختتم

يغفر زللنا ويمحو مالنا قد قدم

وأكثر صلاتك على خير العرب والعجم

خَشْيَتُهُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ

إذا كان العلم هو الخشية كما قال تعالى: ﴿إنّما يخشَى اللّه من عبادِه العلماءُ﴾ فقد وصف اللّه العلماءَ بالخشية لكونِ الخوفِ ثمرةَ العلم، ولذلك كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أخوفَ العباد حيث قال في الحديث الذي رواه البخاري عن أنس: «أنا أَخْوَفُكُمْ للّه».

قال بعض المفسرين على قوله تعالى: ﴿عَفَا اللّه عنكَ لم أَذِنْتَ لهم﴾ لو قَدَّمَ اللّه العتابَ فقال: «لم أَذِنْتَ لهم» لحصل للنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم مكروهٌ في حياتِه لشِدَّةِ خوفه من اللّه تعالى؛ ولكنه سبحانه قَدَّمَ العفوَ، وكذلك ما يحصل لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم من جَزَعٍ عند تراكمِ السحاب، والذي يقول في الحديث: «أنتم تَنتْظُرُونَ المطر وأنا أَنْتَظِرُ سُقُوطَ الحجر» الحديث .

وعن عائشة قالت: قلتُ: يا رسول اللّه، ﴿الَّذين يُؤتون ما آتَوا وقلوبُهم وَجِلَةٌ﴾ هو الرجلُ يَسْرِقُ ويزني ؟ قال: «لا، بل الرجلُ يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أَنْ لا يُقْبَلَ منه» رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد .

ولقد أخذ فقيدنا رحمه اللّه بنصيبٍ وافرٍ من ذلك، فهو كثيرُ التضرع والبكاء خوفاً من اللّه وفَرَقاً من لِقائه، وبالذات في الأسحار وعندما تغفو العيون ويأوي كلُّ كائنٍ حيٍّ إلى مأواه، فهو الذي طالما انْهَلَّتْ مدامعه على لحيته عند سماعِ موعظةٍ أو وعدٍ أو وعيدٍ، بل ولطالما خَنَقَتْهُ العَبَرَةُ في أثناء الصلاة أو المذاكرة حينما يمرُّ بآيةِ رحمةٍ أو عذاب . وايمُ اللّه إنه لَيُسْمَعُ له حنينٌ ونشيجٌ في أثناء تهجده وكأنه أكثرُ مَن على ظَهْرِ المعمورةِ جُرماً .

إنه خوف الصديقين امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وخافُون إنْ كُنتم مؤمنين﴾ وقوله تعالى: ﴿ويَخِرُّونَ للأذقانِ يَبْكُونَ ويَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾، وفي الحديث: «سبعةٌ يُظِلُّهُمُ اللّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه» وذكرَ منهم رجلاً ذكرَ اللّه خالياً ففاضت عيناه، متفقٌ عليه . وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لا يَلِجُ النارَ أحدٌ بكى من خشية اللّه تعالى حتى يعودَ اللَبَنُ في الضَّرْعِ» أخرجه الترمذي وقال: حسنٌ صحيحٌ، والنَّسائيُّ وابنُ ماجه من حديث أبي هريرة .

وكان محمدُ بن المُنْكَدِر رحمه اللّه إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مَسَّتْهُ الدموع، وقال عبداللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما: إبْكُوا فإنْ لم تبكوا فتَباكَوا، فوالذي نفسي بيده لو يعلم أحدُكم لصَرَخَ حتى ينقطعَ صوتُه وصلى حتى يَنكسرَ صُلْبُه . وقال أبو سليمان الداراني: ما تَغَرْغَرَتْ عينٌ بمائها إلا لم يُرْهِقْ وَجْهَ صاحبها قَتَرٌ ولا ذِلَّةٌ يومَ القيامة، فإن سالتْ دموعه أطفأ اللّه بأولِ قطرةٍ منها بحاراً من النيران، ولو أن رجلاً بكى في أُمَّةٍ ما عُذِّبَتْ تلك الأُمَّة .

نعلم من هذا أن العلماء همُ الذين يتدبرون القرآن والذين يعرفون اللّه معرفةً حقيقيةً.. يعرفونه بآثار صنعته.. ويدركونه بآثار قدرته.. ويستشعرون حقيقة عظمته.. فهم أكثر مَن يخشَونه.. ويتقُونه ويعبدونه..

إنها حقائقُ لا يدركها إلا العلماء بالقرآن الكريم والسنة المطهرة علماً يستشعره القلب ويَحْيَى به.. ومِن ثم ينطلقون للتفكر في حقائق هذا الكون ويتدبرون في مخلوقات اللّه فيه.. فيعودون بإيمانٍ عميقٍ وينبري القلب من جراء ذلك الإيمان للعبادة الخالصة الصادقة.. والتي تقترن بالإخلاص لمن فَلَقَ الحَبَّة وبرأ النَّسَمَة.. لمن بيده الأمر خالقُ كلِّ شيء.. حينذاك يصلُ إلى رُتبة الصادقين مع اللّه.. والذي يقول سبحانه فيه: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمنوا اتَّقُوا اللّه وكُونُوا مع الصادقين﴾ .

نَعَمْ إِنَّهُمُ الصادقون مع اللّه قبلَ أن يَصْدُقُوا مع غيره، فعباداتُهم للّه.. ورضاهم للّه.. وغَضَبُهُم للّه.. وكلُّ أعمالِهِمُ الصالحةِ ما هي إلا للّه.. حقّاً إِنَّهُمْ أولو الألباب الذين قال اللّه فيهم: ﴿إِنَّ في خَلْقِ السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأُولي الألبابِ﴾ سورة آل عمران .

أما آخرَ ليلةٍ من رمضان – وحينما يَستقبلُ العيدَ ويتذكرُ تلك الليالي التي أَدْأَبَ فيها نفسَه وشَدَّ مِئْزَرَهُ وأَيْقَظَ أهلَه ولم يَنَمْ فيها إلا غَفَواتٍ – فهو يَذْكُرُ التراويحَ والتهجُّدَ والابتهالَ؛ ويبكي بكاءً مرّاً على فراقه بكاءً لا أستطيع وصفه ولا لوعته ولا حرقته. فهو الذي تتضاعف فيه الأعمال، وهو الذي قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «أيُّها الناس قد أظَلَّكُمْ شهرٌ عظيمٌ مباركٌ، شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، جعل اللّه صيامه فريضةً وقيامَ ليلِه تطوعاً، مَن تَقَرَّبَ فيه بخَصْلَةٍ من خيرٍ كان كمَن أَدّى فريضةً فيما سواه، ومن أَدَّى فريضةً فيه كان كمَن أَدَّى سبعينَ فريضةً فيما سواه، وهو شهرُ الصبرِ، والصبرُ ثوابُه الجنةُ، وشهرُ المواساة، وشهرٌ يُزاد في رِزْقِ المؤمن فيه، مَن فَطَّرَ فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه وعِتْقَ رَقَبَتِه من النار، وكان له مِثْلُ أجرِه من غيرِ أَنْ يَنْقُصَ من أجره شيء، قالوا: يا رسول اللّه، ليس كلُّنا يجد ما يُفطِّرُ الصائم ؟ قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: يعطي اللّه هذا الثوابَ مَن فطَّر صائماً على تمرةٍ أو شَرْبَةِ ماءٍ أو مَذْقَةِ لَبَنٍ، وهو شهرٌ أوَّلُه رحمةٌ وأوسطُه مغفرةٌ وآخرُه عِتْقٌ من النار، مَن خَفَّفَ عن مملوكه فيه غفر اللّه له وأعتقَه من النار، واستكثِرُوا فيه من أربعِ خصال: خصلتينِ تُرْضُونَ بهما ربَّكم وخصلتينِ لا غِنًى بكم عنهما، فأما الخصلتانِ اللتانِ تُرْضُون بهما ربَّكم فشهادةُ أن لا إله إلا اللّه، وتستغفرونه . وأما الخصلتانِ اللتانِ لا غِنًى بكم عنهما فتسألونه الجنةَ وتتعوذون به من النار . ومن سَقَى صائماً سقاه اللّه من حَوْضِي شربةً لا يَظْمَأُ بعدَها أبداً» رواه ابن خزيمة .

وفي أحد الأيام كان جالسا في مجلس علم فأنشد أحد الحاضرين قول الإمام أحمد بن علوان:

اِغْتَنِمْ فرصةَ الليالي البواقيْ	ذَهَبَ العُمْرُ عنكَ والوِزْرُ باقي
تُبْ إلى اللّه بالنصيحةِ وارْجِعْ	قبلَ أنْ تَبْلُغَ النُّفُوسُ التَّراقي
والْبَسِ الذُّلَّ للمهَيمِنِ واخْضَعْ	وتَهَيَّأْ لِعَرْضِ يومِ التلاقِي
لَسْتَ بالسابقِ الغداةَ إذا كُنْـ	ـتَ بطيئاً وأَسْرَعُوا للسِّباقِ
وإذا فاتَكَ السباقُ فإِلْحَقْ	وإذا جاوَزُوا فقُمْ في اللحاقِ
أَلْقِ ما في يَدَيكَ مِن كُلِّ شَيْءٍ	وارْمِهِ للفِراقِ قَبلَ الفراقِ
واصْحَبِ الصالحينَ ما دُمْتَ حَيّاً	إنَّهُمْ للضَّعِيفِ خَيرُ رِفاقِ
وإذا كُنْتَ عاشِقاً عُلُويّاً	فَتَحَلَّى بحِلْيَةِ العُشّاقِ
بالتماسِ الرِّضَى وتَرْكِ المعاصي	وبِبَذْلِ اليَدَينِ بالإنفاقِ

فبكى وزاد بكاؤه حتى خَشِينا عليه . وكان رحمه اللّه كثيراً ما يعلو صوتُه من كثرة بكائه ويزداد نَشِيجُه.. وتتصاعد أنفاسه.. فلا يستطيع أحدٌ أن يكلمه.. حتى تجفَّ دموعُه.. ويسكنَ رُوعُه.. فرحمه اللّه.. ما أَخْوَفَه من اللّه ! وما أخشاه له ! وما أحرصه على عبادة اللّه ! ونسأل اللّه سبحانه أن يَسْلُكَ بنا مَسْلَكَه، وأن لا يحرمنا أجرَه، ولا يفتِنّا بعده، آمين آمين آمين .

وكان كثيراً ما يردد:

عجبتُ لمن أيقن بالموت كيف يضحك!

وعجبتُ لمن أيقن بالنار كيف يفرح !

وعجبتُ لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها !

وعجبتُ لمن أيقن بالقدر كيف يغضب !

وعجبتُ لمن أيقن بالحساب كيف لا يعمل !

مَوْطِنُهُ

البَيْضَاءُ

هي اسمٌ لحصنٍ من حصون القَيْـلِ شَـمَّر تـاران الحـميري، وهـو مـن أقيـال اليمـن المشهورين كما عَدَّ ذلك الهَمْدانِيّ في كتابه «الإكليل»، أما سبب التسـمية فقيـل: إنهـا منسوبةٌ إلى صخرةٍ بيضاءَ تتوسطُ المدينة بـنـي عليها حصنُ ذلك القَيْلِ، وهي المعروفـة اليوم «بالقلعة».

والصخرةُ البيضاء المذكورة عبارةٌ عن جبلٍ مرتفعٍ يختلف عن بقية الجبال الموجودة، إذ أن معظم هذه الجبال سوداء .

قلـتُ: وقلعـة البيضـاء بـين سلسـلةٍ مـن الجبـال، وتتـميزُ ببياضهـا، فـترى الأهـالي يحرصون على بناءِ منازلهم بأحجارها البيضاء، ويتباهَون بها، وهي تختلف اختلافاً تامّـاً عن الأحجار المنحوتة من الجبال الأخرى، والأصح في نظري أن التسـمية كـانت لهـذا السبب.

كما أنها توجد قرى تُسمى «السوداء» و«الحمراء» لا زالت إلى يومنا هـذا، وأرى بأن هذه المواضع سُميت بأسماء الصخور والآكام التي بـنـيت عليها .

كما تُشير الأساطير إلى أن ملكاً له أغنامٌ وكـان يـرى فيهـا آثـار الطحلـب حينمـا تشرب الماء وتَتَبَّـع موضـعَ سـقي الأغنـام فوجدهـا تشـرب مـن مكـانٍ في أعلـى هـذه الصخرة وأخيراً اتَّخَذ من هذا الموضع سكناً له، على أن البعض ينسب ذلـك إلى الـذُّرَةِ البيضاء التي تُعتبر المحصول الأساسي للـمزارعين في هذه المنطقـة والـتي تـمتاز بجودتهـا وشدة بياضها .

مَوْقِعُ البَيضاء

تقع مدينة البيضاء في وادٍ منخفضٍ من الأرض، وهي محاطةٌ بجبالٍ من الجهات الأربع عُلُوُّ كلٍّ منها ثلاثة آلاف قدمٍ تقريباً، فمن الشرق يحدُّها جبل الفريد، ومن الغرب جبل حربي، ومن الشمال جبل القلعة، ومن الجنوب جبل العظيمية، ويشقها نهرٌ من أعلى جبل الضَّيّق، ويسمى نهر الفريد، غير أنه – وفي هذه الآونة ومع قلة الأمطار – قد شَحَّ فلم يَبْقَ له أثرٌ، وهي على درجة ١٣,٧٥ أو درجة ١٥,٧٥، والدرجة ٤٧ شرق جرينتش، وترتفع عن سطح البحر ١٩٥٠ متراً تقريبا.

بَيضاءُ حَصِي

لقد ظل اسمُ البيضاءِ مرتبطاً بمدينة حَصِي التاريخية – والآتي ذكرُها – فترةً من الزمن حيث كانت لا تذكر إلا مضافةً إليها، فيقال «بيضاء حَصِي» تمييزاً لها عن عدة أسماء بهذا الاسم، وتعريفاً بها مع ذكر تلك المدينة التاريخية التي قد شاع ذكرها في السابق كما أورد ذلك الهَمْدانِيّ في كتبه، وبامخرمة في كتابه «النِّسْبَة إلى مواضع البلدان» والبريهي في كتابه «صلحاء اليمن» و«غاية الأماني في أخبار القطر اليماني» لابن علي وغيرها، فمدينة حصي ذات ماضٍ عريقٍ ضاربٍ بجذوره في أعماق التاريخ التليد، وهي من أهم المدن القديمة في اليمن، وفي المناطق النجدية منه .كما ذكر ذلك الهَمْدانِيّ في كتابه «صفة جزيرة العرب» .

وهي موطن القَيل شَمَّر تاران الذي قام ببنائها، وسكَنَها ومِن حوله المحافدُ[1]، واستمر به الحال في مدينته كأيِّ قَيلٍ حتى وافَتْه المنيَّةُ بعد أن خَلَّد معالم ومآثرَ لم تنس، ولا زالت تُنبي عن مدى ما كان يتحلى به من قوةٍ فائقةٍ جعلتِ المتتبعَ لتلك المآثر ينظرُ إليها بغايةٍ من الإعجاب والإكبار.

وسوف نتناول ما وصل إلينا من أخبارها ضمن كتابنا «البيضاء ودَورُها في التاريخ»[1] إن شاء اللّه تعالى . أما موقعها اليوم فهي في عِدادِ مديرية

---

(١) القَيلُ في اللغة هو الرئيس دون المَلِكِ الأعلى، والمرأة قَيلةٌ، وأصله «قَيِّلٌ» بفتح القاف وتشديد وكسر الياء، والجمع أقيالٌ وأقوالٌ وقُيول، وقد كان الأقيال يتمتعون بسلطان واسع، ويقال للواحد منهم «قَيلٌ»، كأن يكون رئيسَ حيٍّ أو عشيرةٍ، وهو دون المَلِكِ في الحكم وفي امتلاك الأرض بكثير، وسُمي قَيلاً لأنه إذا قال قولاً نفذ قوله، وعند ظهور الإسلام كان للأقيال النفوذ الواسع في اليمن، وقد كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم إليهم وإلى ملوك حمير كتاباً سبق ذكره، والعباهلة هم الملوك الذين أُقِرُّوا على ملكهم.

وقد كانت اليمن في فترة من الفترات تنقسم إلى عدة محافد، والمحفد عبارة عن مجموعة من البيوت والقرى المتجاورة يتولى شؤونها قَيلٌ، وقد ذكر نشوان الحميري كثيراً من الأقيال في قصيدته المشهورة، منها قوله:

أين المثامِنَةُ الملُوكُ ومُلْكُهُمْ ؟	ذَلُّوا لِصَرْفِ الدَّهْرِ بعدَ جِماحِ
ذو ثَعلَبانَ وذو خليلٍ ثم ذو	سَحَرٍ وذو جَدَنٍ وذو صِرواحِ
أو ذو مَراثِدَ جَدُّنا القيلُ ابنُ ذي	سَحَرٍ أبو الأذواء رَحْبُ الساحِ
وبنوه ذو قَينٍ وذو سَفَرٍ وذو	عِمران أهلُ مكارمٍ وسَماحِ
والقيلُ ذو دُنيانَ مِن أبنائه	راحَ الحِمامُ إليه في الرُّوَّاحِ

(١) هو بحث عن تاريخ البيضاء قبل الإسلام وبعده وكذا أحداث الفترة الراهنة، وتعرضنا فيه لكثير من أعلام المنطقة، ولا زال مخطوطاً في مجلدين سوف يقدم للطبع إن شاء اللّه .

الصومعة[1] بالقرب من منطقة العقلة شرق مدينة البيضاء .

سُوق شَمَّر

يعتبر سوق شمر من أشهر الأسواق العربيــة، وهــو مركــزٌ تجــاريٌّ هــامٌّ يربــط شمــال الجزيرة العربية بجنوبها، ولا زال السوق في موعده الأسبوعي الخميس حتى يومنا هـذا يقال له «سوق شمر»، وهذا الاسم المتعارف عليه لدى الأهالي لسوق مدينة البيضاء منذ زمن غابر حسبما تناقلته الألسن، وبالذات في الأشعار والزوامل .

والنسبةُ إلى شمر، ذلك القيل الذي تقدم ذكره، أو أنه منسوب إلى شمر جنـاح قـائد جيوش أسعد الكامل والذي استولى على العراق في ذلك الزمن الغابر، حسـبما تحكـي ذلك كتب التاريخ كـ«الإكليل»، وسوف نأتي على ذكره عند التكلـم عن حصن شمر جناح المسمى «القلعة»، وهذا السوق من أسواق العرب المشهورة حسبما حكى ذلـك الإمام المؤرخ علوي بن طاهر الحداد مؤلف «الشامل في تاريخ حضرموت»[2]، والـذي

(١) هي مركز مديرية الصومعة ويسكنها المشايخ آل أحمد امبوبـك وآل أحمـد بـن عمـر، ومـن أعلامها الشيخ حسين أحمد العزاني والذي يعتبر حكيم زمانه،المتوفى سنة ١٣٨١ هـ والشيخ علي ناصر سالـم العزاني المتوفى سنة ١٤١٩ هـ والشـيخ نـاصر محمـد العزانـي المتوفـى سـنة ١٤٠٧ هـ تقريباً والشيخ أحمد حسـين أحمـد العزانـي كـان علـى جـانب عظيـم مـن الوفـاء والشهامة والكرم، له مواقف صلبة في التصدي للتخريب ومحاربة الأفكار الإلحادية توفي عـام ١٤٢٠ هـــ.

(٢) هو الإمام علوي بن طاهر الحداد، ولد في ١٣٠١ هـ بقيدون وادي دوعن، وبها نشـأ، وقـد وهبه اللّه من الذكاء والفهم والحفظ ما لا يوجد لدى غـيره، حتـى قيـل: إنـه حفـظ القـرآن الكريم و«ألفية ابن مالك» في ثلاثة أشهر، وقرأ «إحياء علـوم الديـن» وهولـم يجاوز الثانيـة

يفيد أن سوق البيضاء مركز تجاري هام يربط شمال الجزيرة العربية بجنوبها، وأن كثيراً من الهنود والبينِيَان[1] كانوا يأتون بالبضائع الهندية لبيعها في ذلك السوق، وأن بمدينة البيضاء سوقاً يسمى «سوق البِنيان» .

قلتُ: ولا زال هذا السوق معروفاً حتى يومنا هذا وهو ما يسمى الآن بحي الشُّرِّيَّة، وقد اطلعتُ على بعض الوثائق لمبيعات في ذلك المحل تفيد ذلك .

الموقعُ القديمُ لمدينة البيضاء

لـم نعثر حتى الآن على كتابٍ في التاريخ يُفيدنا عن ماضي البيضاء الغابر غيرَ أنّا استوحينا عدة أخبار من نُتَفٍ متفرقةٍ في بطون الكتب أو قُصاصاتٍ ورقية لبعض العلماء ممن سكنوا هذا البلد تطرقوا فيها إلى بعض وقائع أو رحلات أو عمارة مسجد أو مدرسة أو رباطٍ علميٍّ، وكذا ما استخلصناه من المعمَّرين الذين أدركناهم عمَّن أدركوه ممَّن قبلهم، فمن الحقائق التاريخية التي علمناها أن مدينة البيضاء كانت خلف القلعة إلى جهة الشرق، وأن مسجدا كان هناك إلا أن هذا المسجد لـم يبقَ له أثرٌ .

عشر من عمره، رحل إلى سواحل شرق إفريقيا والحبشة وإندونيسيا وسعى في بناء مسجد أديس بابا ومسجد دردوا، وتردد على الحرمين الشريفين، وأخيراً عُيِّنَ مفتياً لسلطنة «جوهور» بماليزيا، وتوفي سنة ١٣٨٢ هـ، وقد ترك نحواً من ستين مؤلفاً، وأخذنا كثيراً من أخباره عن تلميذه شيخنا الإمام إبراهيم بن عمر بن عقيل مفتي محافظة تعز ، رحمه اللّه ورضي عنه.

(١) كلمةٌ متداولةٌ تعني الهنديَّ البُوذِيّ .

كما وُجد في بعض المستندات لأراضٍ زراعيةٍ أنها تَحُدُّها هِجرةُ المسجد المذكـور، «مكانُ تَجَمُّعِ مياهِ المسجد»، ولـم يبق أيُّ أثرٍ لتلك الهجـرة غـير أن موضعهـا لا يبعـد عن موضع مسجد النور المعروف حاليا .

سُور البيضاء

كان للبيضاء سورٌ يحيط بها لا زالت آثـاره باقيـة إلى عـام ١٣٠٠ هجريـة تقريبـا، وكان لها بابانِ رئيسانِ، وهو بـاب حصـن العَبَسِيّ الرجـلِ القـائم عليـه، وهـو بجـوار المقبرتينِ، والـمقبرتان لا زالتا حتى يومنا هذا في طريق المدينة من جهة الغرب بـالقرب من دار النصر، أما الباب الثاني فهو من جهة الشرق بالقرب من نهر الفريد، ويسـمى باب المُنْقَع، ولا زالت بئرٌ تحمل هذا الاسم إلى يومنا هذا في نفس الموضع المذكور .

البيضاءُ في المصَادِرِ التَّاريخيَّة

ذكر كثيرٌ من المؤرخين مدينة البيضـاء، فمِمَّـن ذكرهـا ابـن علـي في كتابـه «غايـة الأماني» كما ذكرها بامخرمة في كتابه «النسبة»، وذكر كثيراً من علـمائها وصلحائهـا، وكذا البريهي في كتابه «صلحاء اليمن» حيث ترجم لاثنين مـن علـمائها، وفي العصـر الراهن تكلـم عنها القاضي محمد بن علي الأكوع في كتابه «اليمن الخضراء»، وتعليقـه على كتاب «صفة جزيرة العرب»، وأحمـد فضـل العبـدلي في كتابـه «هديـة الزمـن في أخبار ملوك لحج وعدن»، وكتب سِيَر الأئمة، «كسيرة المتوكـل علـى اللّـه إسمـاعيل»،

و«سيرة الإمام أحمد بن الحسن» و«سيرة الإمام يحيى»، وحمزة علي لقمان، ومحمد عبده غانم، وغيرهم.

أما القاضي محمد أحمد الحَجْري[1] في كتابه «بلدان اليمن وقبائلها» فقد قال:

والبيضاءُ بلدةٌ مشهورةٌ من بلاد المشرق، فيها مركز تلك الناحية، وهي في الشرق الجنوبي من صنعاء، على بعد ست مراحل عن طريق ذمار فرداع .

والخارج من رداع إلى جهة البيضاء يمر بالسُّوَّادِيَّة من نواحي رَداع، ثم بعَفار، ثم الطَّفَّة، وآل هَيّاش، ثم بذي ناعم، وكلها من أعمال البيضاء، وفي شمال ذي ناعم من جهة الشرق قبائل آل عمر من أعمال البيضاء، وفي الشرق الشمالي من البيضاء مسورة وما إليها من بلاد البيضاء، وفي الجنوب الغربي من البيضاء قبائل آل حميقان من أعمال البيضاء، وغربي آل حميقان بلاد يافع، وجنوبي آل حميقان بلاد العفيفي، وشرقي البيضاء آل عِزّان، ومن شرقي آل عِزّان الصومعة وما إليها من بلاد البيضاء، ثم دُبَان من البيضاء، ثم عَوَّين من بلاد آل عِزان، وفي الجنوب الشرقي من البيضاء عِرْيَب ومن خلفهم عقبة الكور رأس بلاد العواذل، ويليهم دَثينة، ثم بلاد الفضلي إلى ساحل البحر الهنيدي . وأعمال البيضاء هي مسورة وما إليها من بلاد الرصاص، والزاهر وما إليه من بلاد آل حميقان، والصومعة وما إليها من بلاد آل عزان، وذي ناعم وما إليها من بلاد آل عمر، والقاع وما إليه من بلاد أهل الطَّفَّة، وبلادُ آلِ هُصَيصٍ «جَهْرِيّ»

---

(١) هو القاضي محمد بن أحمد بن علي بن مثنى الحَجْري، كان عالماً مطلعاً واسع المعرفة أديباً شاعراً، ولد في ناحية خُبَان من أعمال يَريم، عهد إليه الإمام يحيى فهرسة مكتبته الخاصة ومكتبة الأوقاف، توفي سنة ١٣٨٠ هـ وهو مسافر إلى الصين ضمن وفد من قبل الإمام أحمد، وكان سببُ وفاته تحطُّمَ الطائرة التي أقلت الوفد المذكور .

وما إليه، ومذوقين وما إليه من بلاد آل دبان وبلاد آل مظفر الأعلى والأسفل . ومن أودية بلاد البيضاء وادي مرخة النافذ شمالاً إلى جهة بيحان . انتهى كلام الحَجْري .

وتنسب البيضاء إلى الشيخ الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي[1] ، ذلك المصلح الكبير الذي وصل إلى البيضاء في عام ١٠٢٧ هـ تقريبا، ومكث بها فترةً من

---

(١) هو الإمام الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم بن عبداللّه بن عبدالرحمن بن عبداللّه بن عبدالرحمن السقاف، خليفة والده في الزعامة الروحية في حضرموت وكثيرٍ من مناطق اليمن، وُلد في عينات بحضرموت وبها نشأ وأخذ عن والده الإمام الشيخ أبي بكر بن سالم وعن كثيرٍ من علماء عصره، وأعطاه اللّه من الذكاء والفطنة ما جعله يحوز قصب السبق بين أقرانه، واستمر في عينات ملازماً لوالده ملازمةَ الظِّلِّ للشّاخِصِ حتى انتقل والده إلى جوار ربه، فقام بمقام أبيه خيرَ قيام متصدراً لمجالس العلم والذكر، ملجأً لِذَوِي الحاجات، ولمع نجمُه فقصدتْهُ القبائل اليمنية من كل الأرجاء للإصلاح ولم الشملِ فيما يحدثُ بينهم من فتنٍ وحروبٍ، وقد أعطاه اللّه من الحكمة والفراسة الصادقة ما جعله يتبوَّأُ تلك المراتب العالية، واستمرَّ في عينات واعظاً ومرشداً وداعياً إلى اللّه على بصيرةٍ منيرةٍ، وكثيراً ما كان يلجأُ إليه سلاطين المنطقة لأخذ الرأي والمشورة في كثير من الأمور .

ومن غريب ما رُوِيَ عنه أنه انتشر التنباك في حضرموت في عصره، ونظراً لما رأى فيه من أضرار دينية وصحية أمرَ بجمعه من كل الأصقاع، واشتراه بمبالغَ باهظةٍ ولم يترك له أثراً في حضرموت، وفي يومٍ واحدٍ قام بحرقِه كلّه حتى عُدِمَ فترةً طويلةً من حضرموت، وكان شديد الإنكار على مَن يتعاطاه، وبعد رجوعه من الحرمين الشريفين مَرَّ بيافع داعياً إلى اللّه وقصد منطقة عنتر وعمر بها مسجداً، ونظراً لما وجد في يافع من فتنٍ قام بشراءِ كثيرٍ من الأراضي المتنازع عليها، وفَضَّ كثيراً من الخصومات، وعند رحيلِه منها طلب من الأهالي أن يجعلوا الشيخ علي أحمد بن هرهرة سلطاناً عليهم، وهو جد السلاطين في يافع العليا .

كما أنه مر ببني أرض المسماة الآن «بنير» على وزن «مَسْوَر»، ودخل مدينة البيضاء وبها أسس مسجده المشهور وحفر بئراً، ثم عاد إلى حضرموت داعياً ومرشداً ومصلحاً

الزمن مرجعاً للفتاوى والاستفسارات الشرعية، ومصلحاً بين قبائل المنطقة، وأباً رُوحيّاً لها، وقد أسس بها مسجده المشهور بمسجد الحسين، وحفر بئراً بجوار المسجد المذكور، وقد ذكر هذا الحبيب الحسن بن إسماعيل في كتابه «النهر المورود» وهو مخطوطٌ يقع في مجلد .

قلت: والشيخ الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم من أعلام وعلماء حضرموت في القرن الحادي عشر الهجري، ترجم له كثيرٌ من المؤرخين كالشِّلّي وأحمد بن زين الحبشي والزِّرِكْلِيّ ، وقد حج وفي فترة عودته مرَّ على منطقة يافع وبها أسس مسجده المشهور في «عنتر»، ومن يافع انتقل إلى البيضاء ثم واصل إلى حضرموت واستمر بها مرشداً وداعياً إلى اللّه توفي بمنطقة عيناتٍ ودُفن بها .

على أن البعض ينسب تسميتها إلى السلطان حسين بن ناصر الرَّصَّاص، وفي ذلك يقول الشاعر القاضي أحمد بن محمد الحضراني[1] حينما وصل إلى البيضاء:

اجتماعياً، واستمر على ذلك في عينات حتى فاجأه الأجل المحتوم عام ١٠٤٤ رحمه اللّه رحمة الأبرار وإيانا آمين .

(١) عالم مشارك في العربية حافظ لأشعار العرب، رحل إلى مكة المكرمة عام ١٣٣٣ هـ واتصل بشريف مكة الحسين وبقي عنده عدة سنوات أعلن الشريف خلالها الحرب على الدولة العثمانية عام ١٣٣٤ هـ، ثم لازم الشريف زيد بن الحسين حتى عاد إلى اليمن سنة ١٣٣٧ هـ، وكان بصحبة السيد محمد بن علي الشامي عندما دخل البيضاء حسبما شرح ذلك في منظومته التي مطلعها:

حمداً لمن قد أوجبَ الجهادا ومَدّنا من فضلِهِ وزادا

وانتقل بعدها إلى العواذل، وحصل أثناء إقامته بها أن أرسلت بريطانيا طائرةً محلقة على ارتفاع قريب لإخافة الأهالي فتقدم المترجم لها مطلقا رصاصة من بندقيته مصيبا بها رأس قائدها حتى سقطت الطائرة وتحطمت، وحمل خوذة الطيار وسلمها إلى الإمام يحيى كشاهد على صدق دعواه . وبقي في صنعاء حتى قيام الثورة، ثم لم يطب له المقام باليمن، فانتقل

ألا هــل أتـى أُمَّ البنـين بـأنّني ببَيْضا حُسينٍ نـازحُ الـدارِ مَتْبُـولُ

ومن جميل ما ينسب إلى الأمير عبداللّه بن أحمد الوزير، عند دخوله إلى البيضاء سنة ١٣٤٢ هـ مخاطبا الإمام يحيى بقوله:

على البيضاءِ قد طال اصطباري وفيها سَلْوَتي ولها اضْطِراري

وفي صَفَحَاتِها مُنّوا بفَسْحِي وسُلُّوها على الخَصْمِ الممارِي

فالأولى: مدينة البيضاء، والثانية:المرأة الحسناء، والثالثة: الفضة، والرابعة: الورق الأبيض، والخامسة: السيوف البيضاء .

قُلْعَةُ البَيضَاء

هي عبارة عن حصن شامخ ومنيع يتوسط مدينة البيضاء، وذلك الحصن في أعلى الجبل مرتفِعٌ على صخرة بيضاء، خلافاً لكثير من الجبال المجاورة له، ويقال: إن البيضاء نسبة إلى ذلك الجبل الأبيض كما أسلفنا، ولذلك يقال عنه «الصخرة البيضاء» كما أوردناه، وقد تغنى الشعراء الشعبيون من قديم الزمان بالقلعة المذكورة، أما عن مؤسس هذا الحصن المنيع أو القلعة الشامخة فهو الملك شمر تاران، كما أفاد الهَمْدانِيّ في كتابه «الإكليل» من أن البيضاء من حصون الملك شمر تاران كما سيأتي، ويقال: إن حصن القلعة المذكورة منسوب إلى الملك شمر جناح، والأقرب أنه شمر ذا الجناح الأكبر ابن العطاف بن المتاب بن عمر بن علاق، وهو قائد الملك أسعد الكامل تُبَّع،

إلى المدينة المنورة ثم الطائف حتى وفاته بها عام ١٤٠٧ هـ . وكان صديقاً حميماً للجد الهدار بن شيخ، وقد كانت بينهما مساجلات شعرية وطرائف أدبية.

والذي قال فيه من أثناء قصيدة يصف دخوله إلى العراق وفارس حينما حصل له النصر العظيم:

فلما هَبَطْنا بلادَ السَّوادْ — تولى قَباذٌ [(١)] سريعَ الهربْ
فتبَّعْتُهُ شَمَّراً ذا الجناحْ — مُغَذّىً إليه حثيثَ الطَّلَبْ

وفي قصيدة أخرى قال:

أنا أبو الجيشِ الَّذي شمَّروا — إلى العراقِ الموكبُ الهائلُ
يَقْتادُهُمْ مِن حِمْيَرٍ شَمَّرٌ — وأَسْعَدٌ مِن بعدِهِمْ ناهلُ

وقال فيه نشوان [(٢)] الحميري:

---

(١) يريد في ذلك قباذ بن فيروز . انظر «الإكليل» وقصيدة نشوان الحميري، و«صفة جزيرة العرب» .

(٢) هو نشوان بن سعيد الحميري، أبو سعيد أو أبو الحسن، من نسل حسان ذي مرثد من ملوك حمير، علاّمةٌ باللغة والأدب، من أهل بلدة «حوث» من بلاد حاشد شمالي صنعاء، استولى على عدة قلاع وحصون في جبل «صبر» المطل على تعز، حتى صار ملكا، من كتبه «الفرائد والقلائد» و «التبيان في تفسير القرآن» و«شمس العلوم» و «القصيدة الحميرية»، والتي مستهلها:

الأمرُ جِدٌّ وهْو غَيرُ مُزاحِ — فاعملْ لنفسك صالحاً يا صاحِ
كيف البقاءُ مع اختلافِ طبائعٍ — وكُرُورِ ليلٍ دائمٍ وصباحِ ؟
الدهرُ أنصحُ ناصحٍ يَعِظُ الفتى — ويزيدُ فوقَ نصيحةِ النُّصّاحِ
أُنْظُرْ بعينيكَ اليقينَ ولا تَسَلْ — يا أيها السكرانُ وهو الصاحي
تجري بنا الدنيا على خطرٍ كما — تجري عليه سفينةُ الملاّحِ
تجري بنا في بحرِ لُجٍّ ما لَهُ — من ساحلٍ أبداً ولا ضَحضاحِ
شَغَلَ البريةَ عن عبادة ربهمْ — فِتَنٌ على دنياهم وتَلاَحِي

أم أيـنَ ذو أقيـانٍ او ذُو أَفْـرُعِ	أو ذُو الجناحِ هِزَبْرُ كُلِّ جناحِ

وقال علقمة بن ذي جَدَن:

وأَخْلَقَ ذا الكِلاعِ وذا رُعَينٍ	وشَمَّرَ ذا الجناحِ وذا الكُباسِ

ويورد الهَمْدانِيّ فيه:

نَسْلٌ لِشَمَّرَ ذي الجناحِ	لَـهُ ثُوَيـايَ مَـعَ السِّلاحِ[1]

وسبب التسمية بهذا الاسم قيل: إنه كان في جانبه بَضْعَة لحم، وقيل: كان له شعر في لمتِه مرتفعٌ كأنه جناحان على فَودَيهِ، أي: على مِفْرَقَيْهِ .

وممَّن ذَكَرَها بهذا الإسم عيسى بن لطف اللّه بن مطهر في «رُوح الرُّوح» قال: وفي يوم الأحد من ربيع الآخر أخذ الملك الظافر حصن مدينة بيضاء حصي المسمى «جناح» قهراً بالسيف، وهو حصن عظيم مشهور بالمنَعة وانقطعت مادة الخلاف في البلاد الشرقية، وذلك بعد أن لازم المحطة عليهم بنفسه، وفي صحبة ابن عمه الشيخ جمال الدين بن محمد بن عبدالملك في عساكر عظيمة من اليوم العشرين من ذي الحجة في السنة التي قبلها إلى التاريخ المذكور، وقبض على ابن مزاحم، وقتل

ومحبةُ الدنيا وزينتِها التي	سَلَكَتْ مع الأرواح والأشباحِ

كلُّ البريةِ شاربٌ كأسَ الرَّدَى	مِن حَتْفِ أنفٍ أو دَمٍ سَفَّاحِ

لا تَبْتَئِسْ للحادثاتِ ولا تَكُنْ	لمسَرَّةٍ في الدهرِ بالمفراحِ

أين ابنُ هودٍ ذو التُّقى ووَصِيُّهُ	قحطانُ زَرعُ نُبُوءَةٍ وصلاحِ ؟

أم أين يَعْرُبُ وهْو أَوَّلُ مُعْرِبٍ	في الناسِ أبدى النُّطْقَ بالإفصاحِ

توفي سنة ٥٧٣ هـ .

(١) كذا في الأصل.

أبابكر بن مزاحم في خلائق، وأخرب المدينة وحصنها وحصن رداع الحرامل . انتهى بتصرف .

على أن الهَمْدانِيّ يفيد في كتابه «الإكليل» بأن البيضاء والهُجَيرة وذي خير وحصي من حصون الملك شمر تاران، وبذلك يُعلم بأن البيضاء ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ التليد.

أما ظهورها على مسرح الحياة وتكلم المؤرخين عنها فلم نعثر إلا على نزرٍ يسيرٍ من أخبارها بدايةً من القرن الثامن الهجري تقريباً، ويفيد المؤرخ محمد بن علي الأكوع أنها لم تظهر على مسرح الحياة إلا بعد انتهاء مدينة حصي التاريخية، وأنها حَلَّتْ مدينةُ البيضاء محلَّها، أما عن بناء السور والحصون وترميمها فلم نطلع على ذكر لذلك ولا أثر، غير أن آخر من رمَّم تلك البيوت والسور هو الأمير عبدالله بن أحمد الوزير عند دخوله إلى مدينة البيضاء سنة ١٣٤٢ هـ في عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين .

الزّراعَة

تعتبر البيضاء من المناطق الزراعية ذات الأودية الخصبة في اليمن، وقد تغنى بجودة أراضيها كثيرٌ من الشعراء منذ فترة قديمة، وأهم حاصلاتها الذرة البيضاء المعروفة بجودتها، وكذا البر والشعير والعدس، كما أن ثمارها من أجود أنواع الثمار، ومن أهم حاصلاتها التين والفرسك والرمان والعنب والليمون والتفاح، ولا زالت الزراعة في البيضاء بحاجة إلى اهتمام وجهود كبرى حيث لم يُزرع فيها إلا ماسبق زرعه من قِبل المواطنين، وأملنا أن تقوم وزارة الزراعة ببذل كثير من الجهد في سبيل ذلك .

البيضاءُ مُلتقى الطُّرُقِ التِّجارِيّة

كانت البيضاء في فترة ازدهار الدول القديمة مركزاً تتوافد إليها القوافل؛ لكونها همزةَ وصلٍ بين كثير من المناطق اليمنية، وفي فترة ازدهار دولة سبأ نرى أن البيضاء مركزٌ لمرور القوافل من عدنٍ الميناءِ الرئيسِي للدولة السَّبَئِيّة .

ويفيد المؤرخ اليمني الأستاذ محمد بن عبدالقادر بافقيه في كتابه «تاريخ اليمن القديم» بأن الطريق من ميناء عدن إلى مأرب هي الطريق المعروفة اليوم، وقد أفاد بأن القوافل في الماضي تنتقل من عدن وتتجه نحو أبين ولودر، ثم تنتقل إلى البيضاء التي تقع على بعد أميال منها خرائب العادية، والتي مازالت آثارُها باقيةً إلى اليوم، وبعد اجتياز البيضاء يميل الطريق إلى وادي بَيحان، وأقرب الطرق التي تقصد مأرب تمرُّ بعَقَبة مَبْلَقَة[1] غرب هَجَر بن حميد، نزولاً بوادي حَرِيب، ثم أطراف رَمْلَة السَّبْعَتَينِ إلى مأرب .

ويفيد المؤرخ محمد بن علي الأكوع في كتابه «اليمن الخضراء» أن الطريق من عُمان إلى صنعاء يمر عبر طريق الساحل، أما الطريق الثانية فتمر عبر ظفار الحبوظي، فالمهرة إلى شبام، فإلى هَيْنَن ثم العوالق وعَبَدان، ثم مدينة حصي «بالقرب من مدينة البيضاء» وبني أرض «بنير» ثم رَدمان ثم رَداع فذَمار ثم صنعاء .

---

(١) مَبْلَقَة معناها فتحة وثغرة، يقال: انبلق الباب إذا انفتح، وهو عمل ثغرة في الجبل ليمر منها الطريق المار، وهي الآن في مديرية بيحان، وقد عثر على عدد من الكتابات القتبانية ورد فيها اسم المكْرَب وهو «يدع أب ذبين بن شهر»، وكلُّ أولادِ عمٍّ «أهل قتبان» وأوسان «مرخة» وكحد «الحد» ودهس «يافع» وتُبْنَى «لحج» فتحوا طريقاً وأنشؤوا مبلقة بين موضعي بُرُم وحَرِيب .

أقول: وفي ذلك دلالة على وجود فنٍّ هندسيٍّ راقٍ في العهد الذي حدد أنه قبل الميلاد . ولمزيد من التوضيح انظر «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» لجواد علي .

وفي فترة قيام الدولة الرسولية والطاهرية نرى أن طريق البيضاء من الطرق الرئيسة التي تربط جنوب اليمن بشماله وبالعكس، فقد أفاد ابن علي في كتابه «غاية الأماني» بأن الطريق من صنعاء إلى حضرموت يمر عبر عدة جهات منها طريق شبوة، وأن المارة تقطعه في ثمانية أيام تمر عبر مأرب، غير أنهم يحتاجون إلى حمل ماء على المطايا لانقطاعه في أكثر الطرق، وأنها رمال لا يسلكها إلا المخِفُّون، أما أصحاب الأثقال فيسلكون طريق الساحل، ومنهم من يسلك طريقا آخر فيخرج إلى رداع ومنه إلى بلاد بني أرض التي هي البيضاء، ثم إلى شبوة، ومنها إلى حضرموت .

وتفيد الأخبار عن بعض المسِنِّين عن مَن قبلَهم أن القوافل التجارية تصل من شبام حضرموت[1] إلى البيضاء، ومنها تعود محمَّلةً بالبضائع، وأنها تسلك طريق السَّرُو وأطراف الربع الخالي، ومن القبائل التي كانت تزاول التجارة آل باصْهَي، وهم قبيلة كبرى تنحدر من قبيلة كِندَة المشهورة، ولها شغلٌ بالعلم والتجارة والسياسة، ويُقال: إنهم مِن أولِ من سكن مدينة البيضاء، وقد اطَّلعتُ على معروضٍ مقدَّم منهم إلى الإمام المهدي أحمد بن الحسن في أوائل القرن الحادي عشر الهجري يطلبون منه

---

(١) شِبام حضرموت بلدةٌ مشهورةٌ سميت باسم شِبامِ بنِ السَّكُونِ بن الأشرس بن كِنْدَة، قال بامخرمة: وشبام مدينةٌ قديمةٌ عظيمةٌ بحضرموت، وبينها وبين تريم سبعة فراسخ، إليها ينسب جمع كثير، وخرج منها جماعة من الفضلاء، منهم بنو شراحيل وبامهرة وآل باصهي، واسم شبام مشتركٌ بين أربعة بلدان في اليمن، وهي شبام كوكبان، وشبام حَراز، وشبام الغِراس، وشِبام حضرموت، وقد ذكرها أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في كلمته التي مدح بها قبائل همدان ومنها:

دَعَوتُ فلَبّاني من الناس عُصْبَةٌ ... فَوارِسُ مِن هَمْدانَ غيرُ لِئامِ
فَوارِسُ ليسوا في الحروبِ بعُزَّلٍ ... غَداةَ الوغى مِن شاكِرٍ وشِبامِ
ومِن أَرْحَبَ الشُّمِّ المطاعِينَ بالقَنا ... ونَهْمٍ وأحياءِ السَّبيعِ ويامِ

السماح بتنقل قوافلهم من شبام حضرموت إلى البيضاء، ومن أعلامهم في العصر الراهن الشيخ محمد عبد الله باصهي[1]، قال الشاعر الشعبي عنهم:

يا ما اقرب الليلة البيضا وما أبعد شبامْ

على الجمال المنيبة والرجال الهمامْ

قلت: ولا زالت الطرق المذكورة هي المعمول بها، وقد بذلت الدولة جُهوداً مضنيةً في شقِّ طريقِ عَقَبَة ثِرَة، لتخفف عن المسافرين العنتَ والمشقةَ ولترتبط كثيراً من المناطق ببعضها، وتختصر الطريق من صنعاء إلى عدن وشبوة وحضرموت .

العادِيَة

هي منطقة تبعد عن مدينة عريب خمسة كيلومترات تقريباً في أعلى وادي كريش، وبها آثارٌ ومسانِدُ تنبئُ عن ماضيها الغابر، وكما أفاد بعض المؤرخين أنها ربما كانتِ العاصمةَ المجهولةَ لمملكة أَوْسَان؛ غير أن هذا لا يستند إلى دليلٍ تاريخيٍّ، حيث تفيد الدلائل أن عاصمةَ مملكةِ أَوْسَان ربما كانت «هجر النّاب» بمَرْخَة، والتي يظهر لمن تمعَّن في النقوش والدلائل أنها عبارة عن معبد كان يؤمُّه الأَوْسَانيون كما تشير النصوص الموجودة به، وقد قام بنقل هذا النبأ مستشرقٌ أثناء فترة الاستعمار البريطاني

(١) هو الشيخ محمد بن عبدالله عوض باصهي من رجال الأعمال المشهورين، ولد في مدينة البيضاء وبها نشأ وترعرع ثم انتقل إلى الصومال، وبدأ يشتغل بالتجارة، وكان ذا كلمة مسموعة ومواقف مشهورة في الإصلاح بين الناس، محباً للعلم والعلماء، واستمر على ذلك الحال حتى وافته المنية في مدينة مقديشو سنة ١٣٩٤ هـ ودفن بها .

وصل إلى مكيراس سنة ١٣٧١هـ (١٩٥٢م)، وقد قام بزيارة العادية بصحبة السلطان حسين جعبل فقام بتصوير المساند الموجودة بها .

قلتُ: والذي يظهر لمن تمعَّن وبحث في بطون الكتب التاريخية من أن الموضع المذكور هو معبدُ مملكة أَوْسَان، والذي أُطلق عليه «وَدّ»، وكان في تاريخ هذه الدولة المعبودَ الرسميَّ لها، وكان لهذا المعبود في أَوْسَان موضعٌ رسميٌّ للعبادة، ويسمى «نعمان» تقدَّم فيه القَرابينُ وتقام فيه الطقوس، وفي القرآن الكريم ذُكِرَ «وَدٌّ» على أنه واحد من معبودات خمسة «وَدّ، وسُواع، ويَغوث،ويَعُوق، ونَسْر» [1] . وكان العرب في الجاهلية يعبدونها، وقد جاء ذكرها في النقوش اليمنية على أنها أسماء لمعبوداتٍ عُرفتْ عند اليمنيين القدماء، وقد قال عنها الأستاذ الأديب أحمد بن محسن العَوّامي في كتابه «سعادة العواذل»، والعاديةُ جبل متشعب يحتوي على آثار قديمة حميرية وأبنية ضخمة بيوتها أكثر من ألفي بيت تقديراً، والقلعة مساحتها تزيد على عشرة آلاف ذراع طولاً وعرضاً، أحجارُها محكمةُ النحت والالتصاق، وتساوي كل حجر عشرة أذرع طولا في عرض أربعة، على أكثرها كتاباتٌ مختلفة ورسوماتٌ هائلة، وعلى هذه المدينة سورٌ محيطٌ به قِلاعٌ منيعةٌ، وفي أَزِقَّتِها مزالقُ بعيدةُ القَعْرِ، وفيها من البنيان ما يستهوي الناظر أمره، ويعجز لسان المعبر عن وصفه، داخلٌ في المستحيل وقوعُ مثلها من أبناء الحضارة الحاضرة، عبرةٌ لأولي الألباب، ولا يبعد أنَّ عُمّارَها كانوا ملوكاً تجبى إليهم ثمرات كل شيء .

ويفيد الأستاذ محمد بن عبدالقادر بافقيه أن منطقة العادية على أميال من ممر القوافل التي كانت تمر من عدن إلى مأرب نقلا عن الكاتب «بوين» .

---

(١) انظر «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، و«مجلة الإكليل» العدد ٢ سنة ١٤٠٩ هـ، وكتاب «الأصنام» للكَلْبي، وكتاب «صفة جزيرة العرب» .

قلتُ: وأهالي المنطقة يُبْدِلُون «أل» التي للتعريف بأَلِفٍ وميـمٍ، فيسـمونها «امعاديـة» وهي لهجةٌ حِمْيَرِيّة، أما محمـد عبـده غـانم فقـد قـال عنهـا عندمـا تكلـم عـن الظـاهر ومكيراس: وعلى بعد ثلاث ساعات تقع مدينة العادية أو «امعادية» كما يسميها أهـل الظاهر، وقد رأينا فيها بعض آثار الحميريين ومن جملتها أحجـار عليهـا نقـوش بـالخط الحميري .

مَذْحِج

«مَذحِج» بالذال علـى وزن «مَسْـجِد» بطـنٌ مـن كَهـلانَ بـنِ سبأ، واسـمُ مَذْحِـجٍ مالكُ بنُ أُدَد بنُ زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر، وقبـائل مذحج كثيرة منها جَلَد، وسعد العَشيرة، وبنو عبدالـمدَان، ورُهاء، وصُداء، وشَمْران، وبنو عَبِيـدة، وحَكَـم، وصعـب، وحـرب، وجُعْفِـيّ، وأَنِيـس، وسـعد، وزُبَيـد، وأود، ومازن، ومراد، وبنو مُسْلِيَة، والنَّخَـع، وجَنْـب، وبنـو الرَّيَّـان، وبنـو عايِذِاللّـه، ويقـال ذَحَجَه وسَحَجَه بمعنى ذَحَجَتْهُ الريح، أي: جَرَّتْهُ .

قـال ابـن الأعرابـي: تـزوج أدد بـن زيـد يشـجب ذلـة، فولـدتْ لـه مالكـاً وطيئـاً ومَذْحِجاً.

وقال الكلبي: ولـد أدد بـن زيـد بـن يشـجب مـرةً ونبتـاً، وهـو الأشـعر، ومـالك، وجلهم، وطيء، وأمهما ذلة بنت ذي ميشجان، وهي مَذْحِـج، وكـانت قـد ولدتهمـا عند أَكَمَةٍ يُقال لها «مَذْحِج» فلُقِّبت بها .

قال ابن عبدالبر: إن مَذْحِجاً ليسـت بـأمٍّ ولا أب، وإنمـا هـي أَكَمَـةٌ حمـراء بـاليمن اجتـمع أهلها فقالوا: تعالوا نجعل مَذْحِجا أُمّاً، فتـمذحجوا، فـالذي تجتـمع عليـه هـو

«مالك بن أدد»، فكل من انتسب إليه فهو مَذْحِجِيّ، وقد ذكر قبيلةَ مذحجٍ أسعدُ الكامل تبّع عندما وصف حروبه وفَتْحَهُ لبعض البلدان بعد رجوعه إلى اليمن من أثناء قصيدة طويلة منها:

فدَخَلْتُ في الظُّلماتِ أَعْظَمَ مَدْخَلِ — من حيثُ لا زَرْعٌ ولا أوطانُ

ومعي مَقاوِلُ حِمْيَرٍ ومُلوكُها — والأَزْدُ أَزْدُ شَنُوءَةٍ وعُمانُ

ومعي قُضاعَتُها وكِنْدَتُها معاً — والقلبُ مَذْحِجُ والذُّرَى هَمْدانُ

قلتُ «اقْبِضُوا» فإذا الحَصَى بأَكُفِّهِمْ — الدُّرُّ والياقوتُ والمرجانُ

قيل: إن الملك أسعد سُمي الكامل لكماله في أمر الدنيا والآخرة، ومن المؤرخين من يذكر أنه نبيٌّ لأن اللّه ذكره مع الأنبياء عند ذكرهم فقال تعالى: ﴿وقومُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ قيل: إنه نحر بمكة سبعين ألف بدنة، وقد نهى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم عن سبِّه[1]، وقيل: إنه أُخبرَ بالنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بقوله:

شَهِدْتُ على أحمدٍ أنَّهُ — رَسُولٌ منَ اللّه باري النَّسَمْ

فلو مُدَّ عُمْري إلى عُمْرِهِ — لكنتُ وزيراً له وابنَ عَم

وأَلْزَمْتُ طاعتَه كُلَّ مَن — على الأرضِ مِن عَرَبٍ أو عَجَمْ

وأَجْعَلُ نفسي لَهُ جُنَّةً — وأُفْرِجُ عن صَدْرِهِ كُلَّ غَم

نَبِيٌّ وَجَدْنَاهُ في كُتْبِنا — بِهِ يُهتَدَى وبه يُعْتَصَمْ

---

(١) التُّبَّع واحدٌ من ملوك حمير، سمي تُبَّعاً لكثرة أتباعه، وقيل: سموا تَبابِعَةً لأن الآخِرَ يتبع الأوَّلَ منهم في المُلْكِ، وهم سبعون تُبَّعاً، قال لَبِيدُ بن رَبِيعة:

فإن تسألينا فِيمَ نحن فإننا — عصافيرُ من هذا الأنام المسَحَّرِ

عَبِيدٌ لِحَيٍّ حِمْيَرٍ إن تملَّكوا — وتَظْلِمنا عُمّالُ كسرى وقيصرِ

ونحن وهُمْ مُلْكٌ لحِميرَ عَنْوَةً — وما إنْ لنا مِن سادةٍ غيرُ حميرِ

تَبابِعَةٌ سبعونَ مِن قَبْلِ تُبَّعٍ — تَوَلَّوا جميعاً أزهراً بعد أَزْهَرِ

يَسُـــودُ الأنــــامَ ببُرهانِـــهِ ... وبـالرغمِ يَسْـبِي ذَراري العَجَـمْ
ومنّـــا قَبـــائِلُ يَأْوُونَـــهُ ... إذا حَـلَّ في الحِـلِّ بعـدَ الحَـرَم
فأَحْمَدُنـــا سَـيِّدُ المرسـلينْ ... وأُمَّـةُ أحمـدَ خـيرُ الأُمَـمْ
هُـوَ المصطفـى وأَخُـو المرتضـى ... وأَكْـرَمُ مَـن حَمَلَتْـهُ قَـدَمْ

وهو القائل:

وكَسَـوْنا البيـتَ الحـرامَ مـن العُصْـ ... ـبِ مِـلاءًا مُعَضَّـداً وبُـرُودا
وأَقَمْنـا بـه مـن الشَّـهْرِ تِسـعاً ... وجعلنـا لِبابِـهِ إقليـدا
ونَحَرْنـا سـبعينَ ألفـاً مـن البُـدْ ... نِ تَـرَى النـاسَ حَولَهُـنَّ رُكُـودا

وقال فيه نشوان الحميري[١]:

والكـاملُ المِلِـكُ المتَـوَّجُ أَسْـعَدٌ ... فيـه تُقَصِّـرُ مَدْحَـةُ المـدّاحِ
كـم قـاد مـن جيـشٍ أَجَـشَّ ببـابلٍ ... وكَتِيبَـةٍ تغشـى البـلاد رَداحِ

---

(١) وفي تُبَّعٍ قال نشوان الحميري في كتابه «شمس العلوم» ما نصـه: هـو أسعد تبع الكـامل ابـن ملكي كرب ابن تبع الأكبر ابن تبع الأقرن، وكان من أعظم التبابعة وأفصح شـعراء العـرب، ويقال: إنه كان نبياً مرسلاً إلى نفسه لـما تـمكن من ملك الأرض، ولـم يعلـم أنه أُرسل إلى قومِ تُبَّعٍ رسولٌ غيرُ تبع. انتهى .

وذكر الطبري نقلاً عن أهل اليمن أنه قَدِمَ مكةَ وكسى الكعبـة، وأن أجيـاداً إنمـا سُميت أجياداً لأن خيلَه كانت هنالك، وأنه قَدِمَ يثرب ونزل منزلاً يقال لـه: «مـنزل المِلِـك»، وقتـل من اليهود مقتلةً عظيمةً بسبب شكايةٍ شكاها إليه الأوس والخزرج بسوء الجوار، وأنـه وَجَّـهَ ابنَه حسان إلى السِّنْدِ، وشَمَّرَ ذا الجنـاح إلى خُراسـان، وأمرهمـا أن يسـتبقا إلى الصـين، فمَـرّا بسمرقند، فأقاما عليها حتى افتتحاها، وقَتَلَ مقاتِلَتَها، وسبي وحوى ما فيها، ونفذ إلى الصين فوافى حسان بها، فمن أهل اليمن مَن يَزْعُمُ أنهما ماتا هنالك، ومنهم من يزعم أنهما انصرفا إلى تبع بالأموال .

حتى استباحَ بلادَ فارسَ بالقنا ... وبكلِّ أَجْرَدَ في الجيادِ وَقاحِ
والتُّرْكُ والخَزَرُ استباحَ بلادَهُمْ ... والرُّومُ منه تَتَّقِي بالراحِ
والصينُ تَجْبِي خَرْجَها عُمّالُهُ ... في بُكْرَةٍ من دَهْرِهِمْ ورَواحِ
نَطَحَ الأعاجمَ في جميعِ بلادهمْ ... بأَحَدِّ قَرْنٍ في الوَغى نَطّاحِ
وأَذاقَ مُوليسَ الحِمامَ وجُؤْذَراً ... ونَجَى قُباذُ كثَعْلَبٍ صَيّاحِ
حتى أتاهُ ذو الجناحِ برأسِهِ ... من أرضِ بَلْخَ ونَهْرِها المنساحِ
وأتى بقُسْطَنْطِينَ في أغلالِهِ ... وبهُرْمُزٍ في قَيدِهِ الملحاحِ
وغزا إلى أرض الشمال فخاض في ... ظُلُماتِها بمَنارةِ المصباحِ
وكسا البنيةَ ثم قَرَّبَ هَدْيَهُ ... سبعينَ ألفاً من بَناتِ لِقاحِ

فَضْلُ مَذْحِج

ورد في فضلِ قبيلةِ مذحج أحاديثُ وآثارُ نقتصر منها على ما سنورده، فمن ذلك ما رواه الطبراني في «الكبير» والديلمي عن عائشة رضي اللّه عنها عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: «دخلتُ الجنةَ فرأيتُ أكثر أهلها اليمن، ورأيت أكثر أهل اليمن مذحج»، وجاء في الحديث الطويل المرفوع: «أكثر القبائل في الجنة مذحج» وهو حديثٌ صحيحٌ حكاه ابن عبدالبر في «نهاية الأرب» .

وقد قامت قبيلةُ مَذْحِجٍ بدور كبير في الجهاد في سبيل اللّه والذود عن دينه، فقد كتب سيدنا أبوبكر الصديق رضي اللّه عنه إلى قبائل اليمن يستنفرها إلى الجهاد، وما كاد رسول الخليفة يتلو كتابه حتى قام ذو الكلاع الحميري إلى فرسه وسلاحه ونهض في قومه ومن عسكر معه من جموع اليمن، وقام قيس بن هبيرة في مذحج،

وجُنْدُب بن عمرو الدوسي في الأزد، وحابس بن سعد الطائي في طيء، ويقال بأنه وصل إلى الخليفةَ في يوم واحد ألف، أَنْفَذَ نِصفَهُم إلى العراق، وهم قبائل هَمْدان ومذحج ومن إليهم، ولم يعد كثير منهم إلى اليمن، بل استوطنوا العراق والشام .

وقد نبغ من أعقابهم رجالٌ بارزون في العلم والقضاء والسياسة والقيادة وغيرها يعجز القلم عن حصرهم، وذكر الواقِديُّ عن أنس بن مالك أنه قَدِمَ مُبَشِّر بقدوم أهل اليمن إلى أبي بكر رضي اللّه عنه، وقال له: أتاك أبطالُ اليمن شُعْثاً غُبْراً معهم الحُزُم والزَّواوِيُّ والأموال، فسُرَّ أبوبكر لذلك، ولما كان غداة اليوم الثاني لاحت لأهل المدينة عَتيرةُ القوم، فأُخبر أبوبكر، فأمر الناس بالركوب لاستقبالهم، فرفعوا الألوية وأشرقت الكتائبُ وأقبلت المواكب يتلو بعضُها بعضا، فكانت أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حِمْيَرٌ عليهم الزَّرَدُ الصافي والقَسِيُّ العربية، يَقْدُمُهم ذوالكلاع الحميري، ثم مذحج وقائدها قيس بن هَبيرة المرادي، ثم سائر القبائل .

فنزلوا وعلفوا الدواب، فدخل رؤساؤهم على أبي بكر فقالوا له: لقد تكامل جيشنا وضاق بنا المقام، فإن يك قد تبين لك رأيٌ فيما دعوتنا له وإلا فمُرنا بالعودة إلى بلادنا . فقال: واللّه ما أردتُ بكم إلا خيراً وما أردتُ إلا تَكامُلَكُمْ . قالوا: لم يبق من ورائنا أحدٌ فاعزِمْ على بركة اللّه، فضم إليهم المهاجرين والأنصار وغيرهم ممن وصل إليهم، وجعل قائد الجميع خالد بن الوليد، وساروا للجهاد بأرض الشام، فوقع لأهل اليمن الحظُّ الأوفر من الجهاد الأكبر، واستشهد منهم من بقي وغنموا الغنائم الواسعة، وما برحت الفتوحات في أيام أبي بكر ثم أيام عمر بن الخطاب حتى اتسعت دولة الإسلام .

بَعْثَة عَلِيٍ كَرَّمَ اللهُ وجهَه إلى مَذْحِج

بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم عليا كرم اللّه وجهه إلى بلاد مَذْحِجٍ من اليمن في رمضان سنة عَشْرٍ من الهجرة وعَقَدَ له لواءً، قال الواقديّ: أخذ عمامته صلى اللّه عليه وآله وسلم فلَفَّها مَثْنِيَّةً مربعةً فجعلها في رأس الرمح ثم دفعها إليه وعَمَّمَه صلى اللّه عليه وآله وسلم بيده المباركة ثلاثة أكوار، وجعل له درعاً بين يديه وشبراً من ورائه، وقال له: «اِمْضِ ولا تلتفتْ» فقال علي كرم اللّه وجهه: يا رسول اللّه ما أصنع ؟ فقال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إذا نزلتَ بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، وادعُهُمْ إلى قولِ «لا إله إلا اللّه»، فإن قالوا: نعم، فأْمُرْهُمْ بالصلاة، فإن أجابوا فلا تَبْغِ منهم غير ذلك، واللّه لأَنْ يهديَ اللّه بك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعتْ عليه الشمس أو غربتْ»»، فخرج إلى مَذْحِجٍ في ثلاثمائةِ فارسٍ . والحديث ذكره صاحب كتاب «نشر الدُّرّ المكنون» .

مِن أَعْيَانِ مَذْحِج

ومن مشاهير وفضلاء مَذْحِجٍ القاضي شُرَيحُ [١] بنُ هانيء المذْحِجي أبوالمقدام، توفي سنة ٧٨ هـ رحمه اللّه، وعمرُ بنُ محمد بن داود الزادي المذحجي، ترجمه ابنُ مخرمة في «تاريخ ثغر عدن» وقال: وُجِدَ نسبُه كما ذُكر .

---

(١) شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي المذحجي راجزٌ شجاعٌ من مُقدَّمي أصحاب الإمام علي كرم اللّه وجهه، كان من أمراء جيشه يوم الجمل، ولما كان يوم التحكيم بعث الإمام علي كرم اللّه وجهه أبا موسى ومعه أربعمئة رجل أَمَّر عليهم شُريحاً، وقد قتل بسَجِستان .

النَّخَع

هي قبيلةٌ قديمة عُرفت بهذا الاسم، وأَقْدَمُ من تكلم عنها نَصٌّ يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد تحدَّث عن رجلين من النخع هما الحارث بن كعب وسداد بن عمرو، سمي الجدُّ الأوَّلُ النَّخَعِيَّ لأنه انتَخَعَ عن قومه، بمعنى ابتعد عنهم .

أما في العصر الإسلامي فقد ورد اسم النَّخَع في كثير من كتب الحديث والسيرة، ويرجع نسبهم إلى النخع، واسمه جسر بن عمرو بن عِلَة بن جَلَد بن مالك بن أُدَد، جدٌّ جاهليٌّ قديمٌ بنوه قبيلةٌ كبرى من مذحج، ونزل بعضُ نسله في العهد الإسلامي منطقةَ الكوفة في العراق، قال عبداللّه بن مسعود رضي اللّه عنه: شهدتُ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يدعو لهذا الحيِّ من النَّخَع حتى تمنيتُ أني رجلٌ منهم . أخرجه أحمدُ والبزَّار بإسناد حسن .

وممن اشتهر منهم أَرْطَأَةُ بنُ كعبٍ النَّخَعِيّ، عقد له النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم لواءً، وقد شهد به القادسيةَ فقُتل وأخذه أخٌ له اسمه دريد .

النَّخَع في المصادر التَّاريخيَّة

أنجبت قبيلة النخع كثيراً من الجهابذة الذي تكلم عنهم المؤرخون بغاية من الإعجاب والإجلال، منهم على سبيل المثال الأشتر النخعي[1]، وكُمَيلُ بن زياد

---

(١) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النَّخَعِي المعروف بالأشتر، أميرٌ من كبار الشجعان، وكان رئيسَ قومه، أدرك الجاهلية، وأول ما عُرِف عنه أنه حضر خطبة عمر في الجابية، وسكن الكوفة، وكان له نسلٌ فيها، وشهد اليرموك، وذهبت عينُه فيها، وشهد يوم الجمل

النخعي [١]، وعلقمة بن قيس بن عبدالله بن علقمة بن سلامان بن كهيل بن بكر بن عوف النخعي [٢]. وإبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي التابعي توفي سنة ٩٥ هـ .

وقال الشَّعْبيُّ لما بلغه خبر موته: ما خُلِّفَ بعدَه مثلُه، وقال في «صفوة الصفوة» عن شعيب قال: كنتُ ممن صلى على إبراهيم النخعي ليلاً ودُفن في زمن الحجاج، ثم غدوتُ على الشعبي فقال: دفنتم ذلك الرجل الليلة ؟ قلت: نعم، قال: دفنتم أَفْقَهَ الناس، قلت: أَفْقَهُ من الحَسَن ؟ قال: أفقه من الحسن ومن أصحاب البصرة وأهل الكوفة وأهل الشام وأهل الحجاز. وقيل: نسبه هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع .

وأبو عمرو الأسود بن يزيد بن قيس النخعي توفي سنة ٧٥ هـ، ترجمه الشَّرَجِيُّ في «طبقات الخَوَاصّ» وابن الجوزي في «صفوة الصفوة» أنه حج ثمانين حجة، وكان زاهداً يصوم الدهر، أَسْنَدَ عن أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود ومعاذ وأبي موسى وسلمان وعائشة، وممن ترجم له الذهبي في «تذكرة الحفاظ» .

وأيام صِفِّين مع الإمام علي كرم اللّه وجهه، وولاه الإمام علي «مصر» فقصدها فمات في الطريق، فقال الإمام علي: رحم اللّه مالكاً، فلقد كان لي كما كنت لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، توفي سنة ٣٧ هـ .

(١) هو كُمَيلُ بنُ زياد بن نهيك النخعي، تابعيٌّ ثقةٌ من أصحاب الإمام علي كرم اللّه وجهه، ومن خواص المتلقِّين عنه، وكان شريفاً مطاعاً في قومه، شهد صفين مع الإمام علي وسكن الكوفة وروى الحديث، قتله الحجاج صبراً سنة ٨٢ هـ .

(٢) أدرك جمعاً من الصحابة وروى عنهم، توفي سنة ٦٢ هـ، وثَّقه ابنُ مَعِينٍ وأحمدُ بن حنبل رحمهم اللّه جميعاً، وترجمه ابن الجوزي في «صفوة الصفوة»، وقال: أَسْنَدَ علقمةُ عن عمرَ وعثمانَ وعليٍّ وابنِ مسعود وحذيفة وأبي الدرداء وأبي موسى وخَبّاب بن الأَرَتّ وسلمان وعائشة، وتوفي في الكوفة وله تسعون سنة .

ومن النخع حفصُ بن غِياث أبو عُمَر النخعي الكوفي قاضي بغداد، توفي سنة ١٩٤هـ، وحَجّاجُ بن أرطأة النخعي توفي سنة ١٤٩ هـ ، وشَريك بن سعد بن مالك بن النخع أبوعبدالله، توفي سنة ١٧٣ هـ ، وابنُ رميح أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح بن عصمة النخعي النَّسَوِيّ ثم المرْوَزِيّ، توفي سنة ٣٥٧ هـ ، والأرقم بن عبدالله بن الحارث بن بشر بن ياسر النخعي، صحابيٌّ ترجم له الحافظ ابن حجر في «الإصابة»، والشاعر الفضل بن جعفر، وإسحاق بن محمد، وقد ورد ذكرهم في «مجمع الزوائد» للهيثمي وفي «جمهرة الأنساب» لابن حزم وغيرها .

لمعٌ من سِيَرِ بعضِ أعلامها

ورد في كتاب «فجر الإسلام» للدكتور حسين مؤنس قال: أراد موسى بن نصير فتح الأندلس، ولكن الوليد بن عبدالملك أشفق على المسلمين من مغامرة مجهولة كهذه فأمره أن يرسل سَرِيَّةً للاستطلاع، وكان قائد هذه السرية طريف بن ملوك النخعي، فقد ذهبت هذه السرية وخاضت البحر تسبر غور تلك البلاد ورجعت لتحمل إلى المسلمين البشرى، ولتخبرهم أن غزوها ممكنٌ وأن النصر سيكون حليفهم إذا دَخلوها .

ومما يذكر هنا كلمة «التعرفة الجمركية» التي يأتي اسمها في اللغة الإسبانية «تريف» فقد جاء اسمها من اسم الرجل «طريف» ولعل مكاناً يسمى باسمه، وفيه كان المسلمون يأخذون رسوماً من التجار غير المسلمين وتم بعد ذلك فتح الأندلس، وكتب اللّه النصر المبين لعباده المؤمنين .

مَساكِنُ النَّخَع وأعلامُها المعاصرون

نجد أن قبيلة النخع قد تفرقتْ تَفَرُّقَ أيدي سبأ، فلم تكن في العهد الراهن بالكثافة التي كانت عليها في العهود السالفة، أما مساكنهم اليوم فهي لا تعدو منطقة ضُلاعة بين يافع والبيضاء، وكذا منطقة السُّرَّة والعرقوب في محافظة أبين، كما سكنت فئةٌ منهم في رحاب ضمن الجبال والأودية بين محافظة أبين وشبوة والبيضاء، بالقرب من منطقة حَطِيب وسَرُوم، ومن أعلامهم في الوقت الراهن الشيخ عبدالقادر النخعي من منطقة هَرْهَر أعلى السيلة البيضاء بالقرب من منطقة ضلاعة، والشيخ علي بن عبدالله بن طالب من منطقة رِحاب بالقرب من جَيْشَان، والشيخ محمد ناصر أحمد النخعي في السره .

مَدِينَة حَصِي

تقع مدينة حَصِي في الجهة الشرقية لمدينة البيضاء وتبعد عنها بحوالي ٢٠كم، وهي ضمن مناطق ناحية الصومعة في محافظة البيضاء، وهي اليوم خرائب وأطلال ترتفع على صخور علياء من الأرض، وأسفلها سائلة -مجرى السيل- كبيرة حتى تستطيع أن تصارع السيول الجارفة والمترادفة عليها حينا بعد حين، ويحيط بها وادي خَصِيب، والذي يفوق بجودته وخصوبته كثيراً من الأودية، وتعتبر مدينة حصي التاريخة ذات الماضي العريق والضارب بجذوره في أعماق التاريخ التليد من أهم المدن القديمة في اليمن، فقد عَدَّها الهَمْدانِيُّ من أهمِّ المدن النجدية بعد أن ذكر صنعاء وذمار ورداع، وهي موطن القيل شمر بن ينعم بن شراحيل، ويقال له: شمر تاران، وهو الذي ابتناها

وسكنها ومن حوله الخدم والأتباع، واستمر به الحال في مدينته المذكورة كأي قيل حتى وافته المنية ودفن بها، أما تاران فيفيد الهَمْدانِيّ إنه بالتاء وليس بالنون، وقد أخطأ من زعم أنه بالنون، وعزا هذ التصحيح إلى أبي نصر الأَوْسَاني وأهلِ الخبرة من حمير، وفيه يقول الملك تبع أسعد الكامل من قصيدة مطلعها:

أَتَهْجُرُ مَن لم يَكُنْ يَهْجُرُ ... وتُقْصِرُ فالمرءُ قد يَقْصُرُ ؟

يقول:

وتارانُ يُهْبَرُ قد كان لي ... بما سَنَّ عَمْدٌ ومُسْتَظْهَرُ
وقد كان أَوْتَرَ لما نَشَأْت ... يَحُزُّ رُبَى اللحمِ لا يَفْتُرُ
فحِمْيَرُ قوميَ أهلُ الحِجَى ... بِهِمْ عُرِفَ الفضلُ لا يُنْكَرُ
هُمُ شَيَّدُوا المُلْكَ حَتّى علا ... فما نالَ بنيانَهُمْ مَعْشَرُ
أبي مَلِكي كَربُ الحِمْيَرِيّ ... وحِمْيَرُ قومي فما حِمْيَرُ ؟
يمينَ ذو مآثِرٍ مُلْهِبٍ ... ويَأْسِرُ ماسَقِيَ الأَيْسَرُ
ويَعْتِبُ يَعْتِبُ خالي الذي ... له الشرفُ الضخمُ والعنصرُ
ويُنْعِمُ تاران رأسُ الملوكْ ... إليهِ انتهى المجدُ والمفخرُ

كما أورد الهَمْدانِيّ شعراً عن بعض أقيال حمير قال فيه:

رأيتُ ملوكَ الناسِ في كُلِّ بلدةٍ ... فلم أَرَ في الأملاكِ أمثالَ حِمْيَرِ
ملوكٌ وأبناءُ الملوكِ ولم يزلْ ... لهمْ في قديمِ الدَّهْرِ أُسٌّ بمُؤْثِرِ[1]
توالدني منهمْ مُلوكٌ أعِزَّةٌ ... كملهو وتارا أو كشعران أوترِ
وشَمَّرِ تارانَ بنِ حارثِ أكلبي ... ومِن قبلِهم رأسُ المقاولِ شَمَّرِ

---

(١) المَوْثِر بفتح الميم وسكون الواو وكسر الثاء المثلثة أساس البيت، وأصله لغة يمانية فصحى مستعملة .

حَصِي والمؤرِّخون

ذَكَرَ مدينة حصي لسانُ اليمن الهَمْدانِيّ بأنها مدينة أثريةٌ وأنها موطنُ القيل شمر تاران فقال ما نصه: وهي مدينةٌ كانت لشمر تاران، وبها قبره، وهي اليوم للأَوْدِيِّين، وهم أبناء أَوْدِ بنِ الصَّعب.. إلخ .

كما أفاد في موضع آخر من كتابه «صفة جزيرة العرب» أن الذي ابتنى هذه المدينة هو شمر بن شراحيل، والذي يتبادر إلى الذهن أن كلا الاسمين لشخص واحد، وأن تاران لقبٌ لذلك القيل، كما يوجد جبلٌ شاهقٌ في أعلى جبل ثِرَة يسمى تاران لا زال يحمل هذا الاسم إلى يومنا هذا، وحصي هي بفتح الحاء وكسر الصاد ثم ياء أخيرةٍ، والنسبة إليها حَصَوِيّ، وقد تعرض لها الدكتور جواد علي في كتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» وأشار إلى عدة تماثيل ومساند عثر عليها فيها، ويفيد المؤرخ محمد بن علي الأكوع أنها مدينة أثرية قديمة لم يبق من معالمها غيرُ هياكلها، كما تشير الدلائل على أن تحت أنقاضها معبد، وقد كانت عاصمة السَّرْوِ.

ولم تَخْتَفِ عن مسرح الحياة إلا في القرن العاشر الهجري حيث حلت محلها مدينة البيضاء، وكان يسكنها سلاطين آل جلال، وهم من بني مسيلة، فخذ من قبيلة مذحج الشهيرة، كما أن الشيخ بامخرمة وهو المؤرخ اليمني الشهير ذكرها في كتابه «النسبة» وضبطها بقوله: وحصي بحاءٍ وصادٍ مهملتين ثم ياء تحتانية .

ويفيد في كتابه المذكور أنها بلاد زراعية وأن بها ثروة حيوانية، كما وصف أهلها بالشجاعة والبأس والكرم، واستطرد بامخرمة بأنها متصلةٌ بِرَداعِ الحرامل، غيرِ رَداعِ العرش، وأن بالقرب منها عَقَبةُ دَثينة، وبها - أي: عَقَبة دَثِينة - أُناسٌ يُسَمَّوْنَ البَركانيين، وأن فيهم علماء أجلاء تلقوا العلم على يد الشيخ موسى بن عمر بن

المبارك الجعفي في رباط أثعب .

قلت: أما رداع الحرامل فهو جبلٌ مطلٌّ على مدينة مِكِيراس، ولا زال البركانيون يسمون بهذا الاسم .

حَصِي في اللغة

حَصِي بفتح الحاء وكسر الصاد وآخرها ياء، والنسبة إليها حَصَوِيٌّ جمع حَصاة، والحَصِيُّ العاقلُ، فيقال: فلانٌ حَصِيٌّ وحَصِيفٌ إذا كان شديد العقل، والحِصِيّ صغار الحجارة، واحدتُها حَصاةٌ، وجمعها حِصِيّ، فكأن المنطقة المذكورة كثيرةُ الحَصَى، أو أنها محرَّفةٌ عن حِسِي بالسين والجمعُ أحساء، والحَسِيُ هو الأسفل من الأرض يستنقع فيها الماء والرمل المتراكم تحته صلابة، فإذا نزل المطر منع حرُّ الشمس أن يبخره، ومنعته الصلابة، فإذا حسر وجه الرمل عن ذلك الماء نبع بارداً عذباً .

القبائلُ التي تَسْكُنُ مَدِينَةَ حَصِي

تقع مدينة حصي التاريخية اليوم في منطقة العقلة وقرية الشعرة ووادي كبد والفرعة والمجمعة، ويسكن هذه المناطق بنو عامر[1]، وهم فخذ من قبيلة بني هلال، سكنوا

(١) من أعلامهم في هذه الآونة الشيخ ناصر بن أحمد العامري، وقد انتقل إلى جوار ربه في أثناء أدائه لصلاة الجمعة في ٢٢ ربيع الثاني ١٤١٦ هـ، وقد كان رحمه اللّه شهما كريماً محباً للخير مجلاً للعلماء، وله مواقفُ مشهورةٌ في الإصلاح بين الناس، وترك ذريةً صالحةً سائرين على طريقته وهم أحمد ومحمد وعلي وعبدربه وعبداللّه وسالم .

كثيراً من البلدان في أرجاء المعمـورة وبقـي كثـيرٌ منهـم في اليمـن، وأشـهر مسـاكنهم مرخة والخاضنة بعتق محافظة شبوة، ومنطقة العقلة المذكورة آنفا، كما يسكن كثير من تلك القرى المحيطة بمدينة حصي قبيلة آل عِزّان، تُنطقُ بـالفتح والأصحُّ الكسـر، وهـو تثنيةُ عِـزٍّ، وهـي قبيلـة لهـا قِـدَمٌ في التـاريخ، تنحـدر مـن بنـي أرض [(١)] مـن مذحـج مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ الأكبر.

كما سكنها «الفقراء» جمع فقير، وهم قبيلة تفرقتْ في كثير من المناطق ينتسبون إلى الشيخ عمر بن المبارك الجعفي، وهو اسمٌ مصطلحٌ على كل متـمسكٍ بـأوامرِ الشـريعة اتخذَ من الطريقة الصوفية منهجاً يسير عليـه، كـالزهد والـورع والتواضـع، فيقـال لـه: الفقير إلى الله.

حَصِي في التَّاريخ

أكثر من تعرَّض لذكر مدينة حصي الهَمْدانِيُّ مما قاله في كتابه «صفة جزيرة العرب» عند ذكره المنطقة: «طريق السَّرْوِ والرُّبَّاحَة، وهو جبلٌ يفترقُ منه أوديةٌ يسـكنها رُهـاء وبنو أرضٍ»، إلى أن قال: «الشَّهْدُ لبنـي زائدٍ، ذو جُثاءٍ لأُلُوذِ بنِ أَوْدٍ، ولهـم بَـرَم وذو وَدَم وشوكان، فالرَّحَبَة إلى حَصِي، وهي مدينةٌ كانت لشمَّرَ تاران، وبها قبرُه» .

(١) بنو أرض المارُّ ذكرُهم قبيلةٌ كبيرةٌ لها مآثرُ عديدةٌ، تنحدر مـن قبيلـة مذحـج الشـهيرة، وقـد حُرِّفَتِ الكلـمةُ فقيل «بنـير» على وزن «مَسْوَر» . وقد ذكرها كثير من المؤرخين كالهَمْدانِيّ وأبي طالب في «تاريخ اليمن»، والحسن بن إسماعيل في «النهر المورود» وغيرهم .

واستمر يعدد كثيراً من الأماكن إلى أن قال: «حِجلانُ لبني سعدٍ من أُلُوذ، وذو العَيبَةِ لبني أَنَسِ اللّه، الهَجَرُ -وهو آخر السُّور- لصُداء»، كما ذكر كثيراً من المناطق كمَرْخَة وعَبْرَة ولَجْيَة وغيرها .

قلت: ولا زالت كثيرٌ من المناطق تحمل نفس الاسم حتى يومنا هذا، فمنها شوكان، وهي منطقة ضمن ناحية الصومعة يسكنها آل الرقيبي وآل كشميم، أما الرَّحَبَة فهي ضمن ناحية البيضاء، ويسكنها قبائل من ذُبَان، وحِجلانُ منطقةٌ واسعةٌ ضمن ناحية الصومعة يسكنها قبيلة آل عُبَيد وذو العَيبَة، ويسكنها المشايخ «الفقراء»، والمضمار وادٍ كبيرٌ ضمن ناحية الصومعة، ويسكنه آل صارط وآل موسى أبوبكر، ولم تُعرف بقية المناطق المذكورة.

ولم يتطرق الهَمْدانِيّ إلى ذكر المصْنَعَة وهي خربة كبيرة، يسكن بالقرب منها آل قاسم بالقرب من منطقة الميفاع، وتفيد المساند التي عثر عليها في حصي أنه كان يسكنها الأصابح رهط الإمام مالك بن أنس [1] الأصبحي إمام المذهب المالكي وإمام دار الهجرة رضي اللّه عنه، وفي فترة من الزمن انتقلت هذه القبيلة من منطقة حصي إلى منطقة الصَّبَّيْحَة من نواحي لحج، وباسم هذه القبيلة سميت المنطقة .

أما كيفية انتقالها والأسباب الموجبة لذلك فلا نجد جواباً شافياً حتى يومنا هذا، ويشاركني في هذا الرأي المؤرخ الأستاذ محمد بن عبدالقادر بافقيه رئيس مصلحة الآثار، والذي عد ذلك من الأسباب الغامضة، قال الحَجْرِي: والأصابح من قبائل حمير في اليمن وهم عشيرة الإمام مالك .

---

(١) ولد الإمام مالك بن أنس سنة ٩٣ هـ، ولما شب عن الطوق جعل يشتغل بالعلم ويهتم بالسُّنَن ويؤلف ويعلل الأحكام الشرعية، وأقام مفتياً بالمدينة المنورة أكثر من ستين عاماً، وتوفي سنة ١٧٩ هـ .

الحَارِثُ وعَرِيب

هما الحارث وعَرِيب ابنـي كِلال، ينتهي نسبهما إلى شمـر بـن ينعم بـن شـراحيل مؤسس مدينة حصي، وقد كتب النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم إليهمـا كتابـاً وأمـر رسوله أن يقرأ عليهما سـورة «لـم يَكُـنِ الَّذِيـنَ كفـروا»، وقـد وفـد الحـارث [١] بـن عبدكِلال على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم فاعتنقه وأفرشه رداءه، وقبل أن يدخـل عليه قال لـمن عنده من الصحابة رضوان اللّه عليهم: «يدخـل عليكـم مـن هـذا الفجِّ رجلٌ كريمُ الجَدَّينِ صَبِيحُ الخَدَّينِ»، وفي ذلك أورد الهَمْدانِيّ:

إنَّ النـبيَّ محمَّـداً خـيرَ الـورى	بَسَطَ الـرداءَ لجَدِّكُـمْ في المسـجدِ
ثـم التقـاهُ معانقـاً ومُسلـماً	ومرحِّباً في الرَّحْـبِ أبيـضَ فـاقعدِ
حتـى إذا قَعَـدَ ابـنُ حَمَّـال إلى	خـيرِ البريـة نبعـةً مـن مُحْتَـدِ
قـال النبيُّ لصَحْبِـهِ: إصْغَـوْا كمـا	أَصْغَيـتُ أبيـضَ كُـلِّ رأسٍ سـيدِ
وأقالـه في المُلْـحِ بعـد حِبائِـهِ	لـما استقالَ بطيبِ نفسٍ في النـدي
فأعاضـه منـه بـأفضلِ دعـوةٍ	صعـدتْ إلى ربـي ولـم تـترددِ
وحَبـاهُ عنـد رحيلـه بـإداوَةٍ	وبخـيرِ زادٍ مـن أبـرِّ مـزَوِّدِ

---

(١) الحارث بن عبد كِلال صحابيٌّ شهيرٌ، كان من عظماء وملوك اليمن، ومـن مشاهير أقيالها، قيل عنه: إنه رَبُّ سيفٍ وبيان.. ومكارمٍ وجِنان.. وكان مكتوباً على سيفه: «أنا الحارث ذو غُثَين، صافٍ كاللُجَين»، وكتب إلى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم كتاباً يقول فيه:

ودينُـك دِيـنُ الحَـقِّ فيـه طَهـارَةٌ وأنـت بمـا فيـهِ مِـنَ الحَـقِّ آمِـرُ

وترجمتُـه مبسوطةٌ في «الإصابـة» وفي «أُسْد الغابـة» وفي تعليقـات الأستاذ محمـد علـي الأكوع على كتاب «الإكليل»، أما نسبته إلى القيل شمـر بـن ينعم بـن شـراحيل فقـد أورده لسان اليمن الهَمْدانِيّ في كتابه «الإكليل» .

وكساه ثوباً ليس يَبْلَى فَخْرُهُ عن عَقْبِهِ والعَقْبُ أَحْرَى المسنَدِ
ما نالها إلا جريرُ بَجيلَةٍ بعدَ ابنِ حمَّالِ الرئيسِ السيدِ
والقيلُ أبرهةُ الشريفُ ووائلٌ رأسُ الحضارم ذو الفعال الأوحدِ
أيضاً وعبدُ الجَدِّ نال مَنالَهُ فاكْرِمْ بعبدِ الجَدِّ مِن مُتَعَجْنِدِ
والحارثُ بنُ كِلالَ سيدُ حِمْيَرٍ وإذا يُطافُ لسابعٍ لم يوجدِ

قلت: وقد ثبت في السيرة أن الذين وفدوا على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وأفرشهم رداءه هم الأبيض بن حَمَّال، والحارث بن كِلال، وجرير بن عبداللّه البَجَلِيّ، وأبرهة بن شراحيل، وعبدالجد بن ربيعة، ووائل بن حُجر . أما الأبيض بن حَمَّال فقد أقطعه النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم جبلَ الملح من سهل مأرب، ثم قيل له: يا رسول اللّه، أَقْطَعْتَهُ الماءَ العِدّ[1] ولا ملح لأهل اليمن غيرُه ؟! فاستقاله فأقاله، وأعاضه عنه .

رَداع

يُعتبر قضاءُ رَداع ضمن التقسيم الإداري لمحافظة البيضاء، ورداع اسمٌ لمدينةٍ ورد لها ذكر في التاريخ؛ إذ عَدَّها الهَمْدانِيّ من المدن النجدية في اليمن، وهي من أكبر مدن المحافظة، سميت بهذا الاسم نسبةً إلى رداع بن كعب بن ربيعة بن الحارث بن عمرو ذي صِرواح الحميري، وبها معظم الخدمات الحيوية كالكهرباء والمياه والطرق

(١) العِدّ الماء الجاري الذي له مادةٌ لا تنقطع كماء العَين واليَنبوع، والكثرة في الشيء .

والـمستشفيات والهاتف، ويسكن قضـاء رداع نحوٌ مـن ثلاثـمئة ألـف نَسَـمة، ومـن آثارها قلعتُها الشامخة والـمنسوبة إلى الملك شمر يرعش[١] .

وبها مساجد عديدة أهمها مسجد العامرية نسبة إلى السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري مؤسس الدولة الطاهرية، والتي كانت بدايتها ٨٥٣ هـ حتى ٩٤٥ هـ .

وتـمتاز رداع بطيـب هوائهـا وخصـب أراضيهـا الـتي كـانت تسقى مـن نهريـن أحدهما يعرف بنهر الدولة والآخر بنهر المحجري، وتُسقى حاليـا أغلـبُ أراضيهـا مـن الآبار الجوفية.

قال الحَجْري: رداع بلدة مشهورة في الجنوب الشرقي من صنعاء على مسافة أربـع مراحل، وهي «رداع العرش»، وثـمةَ بلدةٌ أخرى «رداعُ الحرامل»، والكـلام هنـا على «رداع العرش»، وهي بلدةٌ طيبةُ الهواء ترتفـع عـن سـطح البحـر ٧٠٠٠ قـدم تحقيقـاً، والقدم ٣٠ سم تقريباً .

وأرض رداع خصبةٌ جداً تسقى من نهرين[٢] غَيلِ الدولة وغيـلِ المحجـري، وبعـض الأراضي تسقى من الآبار بالـمساني، وفي رداع مساجد كثيرة منهـا مسـجد العامريـة

---

(١) هو شمر يرعش ابن ناشر النعم مالك بن عمرو بن يعقوب الحمـيري، تـوفي سنة ٢٨١ ق.م، ويعرف بتُبَّعِ الأكبر، آخرُ تبابعة اليمن، ولقبه «ملك سـبأ ورَيدان وحضرمـوت ويَمَنَـات» . ويقول المؤرخون: إنه كان مع أبيه في الدِّينَوَر، مات أبوه فيها فولي الملك بعده، ووالى الفتوح ودخل الصين، ثـم عاد إلى اليمن فمات، وهو أول من أمر بصنع الدروع السوابغ .

(٢) قد غارا منذ سنوات .

من محاسن السلطان عامر[1] بن عبدالوهاب من آل الطاهر بن معوضة [2].

وأعمال رداع واسعةٌ، منها «العرش» مخلافٌ واسع، وبلاد قَيفَة، وبلاد صَبَاح، ومخلاف الرِّياشِيَّة، وناحية جُبَن، وناحية السُّوَّادِيَّة، ودَمْت، ورَدمان، حسبما يأتي بيانها، وتتصل بلاد رداع من شمالها ببلاد عَنْس وبلاد الحَداء وبلاد مُراد، ومن شرقها بلاد البيضاء ومراد، ومن جنوبها بلاد البيضاء أيضا، وبلاد يافع، ومن غربها بلاد خُبَان وبلاد عَمّار ووادي بَنا ومُرَيس .

قال في «معجم البلدان»: رداع مخلافٌ من مخاليف اليمن، وهو مخلاف خولان، وهو بين نجد حمير الذي عليه مصانع رُعَين، وبين نجدِ مَذْحِج الذي عليه رَدْمَان وقَرَن، وقال الصُّلَيحيّ اليمنيُّ يَصِفُ خيلاً:

حتّى إذا جُزْنا رَداعَ ألانَها ... بُلُّ الجِلالِ بماءِ رَكْضٍ مُرْهِجِ

---

(١) عامر بن عبدالوهاب بن طاهر بن مَعُوضَة بن تاج الدين الأموي القرشي مؤسس دولة بني طاهر في اليمن، وكانت إقامته مع إخوانه وأبيهم في رداع ثم في لحج، فولي بعضهم أعمالاً للمظفر يوسف بن عبدالله وقاتلوا خصمه الملك المسعود حتى خلع نفسه، ودخل عامر ثغر عدن واستعجل أمرها سنة ٨٥٨ هـ . فتولى عامر بعض البلدان مستقلاً، وافتتح ما جاورها، فكان ملكه من حَيْسٍ إلى عدن وتعز وإبّ ورداع وبلاد البيضاء، ثم ضم إليها ذمار، وحاول الاستيلاء على صنعاء فهاجمها خمس مرات فامتنعت عليه، وقُتل في أسفل جبل نُقُم سنة ٨٦٩هـ .

(٢) قلتُ: وقد أفاد المؤرخ العلامة القاضي محمد بن أحمد الحَجْري في كتابه «مجموع قبائل اليمن» بأن الطاهرية البلد المعروفة اليوم بمديرية السوادية هي بلاد السلاطين بني طاهر بن معوضة بن تاج الدين، وهم ملوك اليمن والذي استولوا عليها بعد أُفُول دولة بني رسول، ولم يزل بها عقبهم حتى يومنا هذا .

وبه وادي النمل المذكور في القرآن المجيد، وأخبرني بعض أهله أنه بكسر الراء، ومنه أحمد بن عيسى الرداعي [١] الخَولاني، له أرجوزةٌ في الحج تسمى «الرَّداعِيَّة».

مَوْقِعُ مُحَافَظَةِ البَيضاء

تقع محافظة البيضاء جنوب شرق الجمهورية اليمنية، وتحيط بها المحافظات التالية محافظة ذمار و محافظة أبين، ومحافظة شبوة، ومحافظة لحج ومحافظة الضالع، ومساحتها ١٣,٠٠٠ كيلومتر مربع تقريباً، ومناخها معتدلٌ في معظم أيام السنة يميل إلى البرودة شتاء، وأمطارها موسمية في فصل الصيف والخريف، وتعتمد الزراعة فيها على الرِّيّ، ومياهها سطحية .

وأهم محاصيلها الزراعية الحبوب بأنواعها والخضروات، وأهمها البصل الذي يغطي أنحاء الجمهورية، ومن الفواكه التين بأنواعه والفرسك بأنواعه والرمان، وحاليا بدأت بإنتاج التفاح .

---

(١) هو من خولان العالية كما أفاد الهمدانيّ في «صفة جزيرة العرب» ، وفي «مسند أحمد»: حدّثنا أبو المغيرة حدّثنا ابن عيّاشٍ حدّثني شرحبيل بن مسلم عن عبد الرّحمن بن يزيد بن موهبٍ الأملوكيّ عن عمرو بن عبسة السّلميّ قال: «صلّى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم على السّكون والسّكاسك وعلى خولان العالية وعلى الأملوك أملوك ردمان» .

الطُّرُقات

يربط البيضاء بمحافظة أبين وذمار طريقٌ إسفلتية طولها ١٤٠ كيلومتر تقريباً، كما تربط المدينة بالنواحي طرقٌ فرعيةٌ ترابيةٌ ممهدةٌ، والمنطقة في عمومها منطقة جبلية تتخلّلها وديان زراعية خصبة وواسعة .

السُّكّان

يبلغ عدد السكان في المحافظة تقريباً نحواً من ٥١٠,٠٠٠ نسمة تقريباً، وقد كان لأبناء المحافظة دورٌ كبيرٌ في الدفاع عن الثورة والجمهورية وفي حرب التحرير من الاستعمار البريطاني، وكذلك في ترسيخ دعائم الوحدة اليمنية ضد من أراد تمزيق الوطن اليمني الواحد من عصابة التشطير والانفصال .

تاريخ المنطقة القديم

تمثلُ العصورُ اليمنيةُ القديمةُ أعظمَ وَحْدَةٍ اندماجيةٍ لليمن والجزيرة العربية بأكملها، فقد اتحدت هذه الكتلة العربية بقيادة دول خَلَّدَ التاريخُ ذِكْرَها، فقد كانت ممالك مَعِين وقتبان وأَوْسَان وسبأ وحمير تمثل كلٌّ منها وَحْدَةً عربيةً كبيرةً ومتماسكةً دانت لها ممالكُ ودولٌ كثيرةٌ، وأصبحت حدود اليمن يشمل البقاع الواسعة المترامية الأطراف .

وقد مثَّلتِ الوحدةُ اليمنية في ذلك الوقت أعظمَ تجمُّعٍ وَحْدَوِيٍّ عرفه التاريخ العربي القديم، واستمرت هذه الوحدة متماسكةً حتى غزو الأحباش لليمن وسقوط دولة حمير، فعندها تفككتْ هذه الوحدة؛ ولكن لم تلبث أن عادت أقوى مما هي عليه سابقاً، وذلك في ظل الدولة الإسلامية الكبرى .

ولقد استطاعت الحياة الاقتصادية والتجارية والزراعية المزدهرة والمستقرة في اليمن أن تضرب بجذورها فوق تلك الأرض، لتقوم على إثرها حياة الفرد مقسمةً بانتزاع حياة الناس من حياة البدو والترحل إلى حياة الأمن والاستقرار، وبذلك تحولت الأرض اليمنية من منطقةٍ تعتمد على الزراعة الأولية البدائية إلى منطقة تجارية وعلى تطوير وسائل الزراعة تلبيةً لحاجات التجارة، ولتتمكن من تلبية متطلبات التجارة المتزايدة، وكما أن ذلك الانتعاش الاقتصادي والتجاري والزراعي أوجد حركةَ عمرانٍ متزايدة لتبرز كأهمِّ المدن الحضارية على الأرض اليمنية، وفوق مدنها الحضارية التي قام بتعميرها وتشييدها، مما أدى إلى تكوين حضارة تجارية مزدهرة في اليمن قبل غيرها من البقاع صارت مَضْرِبَ الأمثال، فقد تميزت تلك الأرض بخصائصها المعينة وخاصةً بما جاءت على إثر ازدهارٍ وانتعاشٍ اقتصاديٍّ أَمْلَتْهُ طبيعةُ الأرض الجغرافية، حيث تتمتع اليمن بمناخ وتربة صالحة للزراعة مكنت الدول اليمنية إلى جانب موقعها الاستراتيجي التجاري من بناء حضارتها تلك وتمدنها على أُسُسٍ من علاقات حسن الجوار وتبادل المصالح الاقتصادية، وأبعدت عنها ذلك الأسلوب التقليدي للبناء والتمدن القائم على البطش والغزو والتدمير للجيران، ورفضت انتقال الحضارة عبر أَسِنَّة الرماح وعلى شِفار السيوف .

وذلك أسلوب الحضارة اليمنية القديمة، والذي تفردت به عن سائر الممالك الأخرى، حيث لـم تَنْقُلْ لنا مصادر التاريخ من أخبار الهدم والبطش سوى نزرٍ منها كموقعة أَوْسَان الشنيعة والآتي ذكرها .

أَوَّلُ الدُّوَلِ اليَمَنِيَّة

تكونت قناعاتٌ لدى كثير من المؤرخين والمنقبين في التاريخ اليمني بأَنَّ حضارة معين وقتبان وسبأ وأَوْسَان هي أول حضارات اليمن وأقدمها نشوءاً إلى جانب دول صغيرة أخرى، فقد خلد التاريخ القديم ذكرَ تلك الدول على مر العصور، والواقع أن هذه الدول لـم يَدُمِ استقلالُها، حيث انضمتْ إلى دولة سبأ حينما تجزأتْ إلى مدنٍ عديدةٍ استقلَّ كلٌّ منها بشؤونه عن الدولة المركزية، حيث ضعفت قدرتها على الصمود في وجه الملك السبئي «كَرِب آل وَتَر» الذي أفلح في ابتلاع تلك الدول ودمجها في دولة سبأ، كما سيأتي مفصلاً في هجومه على دولة أَوْسَان وغيرها .

مملكة أَوْسَان

تعتبر مملكة أَوْسَان من أقدم الدول التي قامت في اليمن، وأقدم ما بلغنا من أخبارها أنها كانت في القرن العاشر أو الحادي عشر قبل الميلاد، كما دلت عليه الرموز والنقوش القليلة التي عثر عليها، وتلك الرموز تدلنا على أنها مملكةٌ ذاتُ قَدْرٍ عظيمٍ وحضارةٍ كبرى ونفوذٍ واسعٍ وصَيْتٍ ذائعٍ جعلت كلَّ الدول المجاورة تخضع لها.

كما أن كبار المؤرخين الغربيين كتبوا عنها الشيء الكثير بغاية من الإعجاب والإكبار، وكيف بسطت نفوذها على المناطق الساحلية الإفريقية حتى قيل: إنها اتخذت من الساحل الإفريقي بشمال زنجبار ميناءً أسمته الساحل الأَوْسَاني «ميناء أَوْسَان» .

وتفيد كتب التاريخ أن الأَوْسَانيين حكموا زنجبار ونزح إليها كثيرٌ منهم وسكنوها، وتفيد المصادر التاريخية أنه لا يمكن حدوث ذلك لولم يكن الأَوْسَانيون أقوياء ولهم أرض واسعة في الجزيرة العربية، كما أن ميناء عدن كان من جملة الأماكن التابعة لمملكة أَوْسَان، وكانت أَوْسَان[1] ذات نفوذ نافس سبأ من حيث إنها استطاعت احتكار التجارة البحرية وخاصة السلع الإفريقية حيث تمت سيطرتها عى السواحل الإفريقية، ولذلك وجهت سبأ اهتمامها بالطرق البرية، والتي هي من أهم الأسباب للحروب الشديدة والمعارك القاسية، والتي قام بها الملك السبئي الذي أمَّن لسبأ كافة الطرق التجارية، والتي سبق وأن احتكرتها مملكة أَوْسَان لنفسها دون سواها ومنعت دولة سبأ من مشاركتها في الاستيراد والتصدير، وهذا يدل دلالة واضحة على أن مملكة أَوْسَان قد بلغت من الحضارة والازدهار ما لم تبلغه أي مملكة أخرى .

عاصمة مملكة أَوْسَان

يُعتقد أن عاصمة مملكة أَوْسَان هي «وَسْرَم» التي تكرر ذكرها في النقوش، وأنها بمنطقة مرخة بمحافظة البيضاء، والحقيقة أن هذه العاصمة لا زالت مَخْفِيَّةً، غير أن الدلائل تشير إلى أنها لا تخرج عن سَرْوِ مَذْحِجٍ التي هي بلاد البيضاء، وتفيد الأخبار

(١) انظر «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» للدكتور جواد علي .

أنه ربما كان موضع عاصمة المملكة المذكورة «هجر الناب» بمرخة أسفل قرية نُقاق، وقد وُجد في ذلك المحل آثارٌ وتماثيلُ يعجز عن حصرها، وهذه الآثار لم تُعْنَ بمن يجمعها ليطلع عليها علماء الآثار عَلَّها تزيد الأمر وضوحاً عن هذه الدولة التي لم يُعثر إلا على النزر اليسير من أخبارها، كما أنها توجد منطقة بالقرب من مرخة تسمى «سِروم» لعلها محرفة من «وسرم» العاصمة المذكورة، وهي - أي «سروم» - ما تسمى اليوم ببلاد «المحمديين» في عداد مديرية الصومعة، وهي بلاد واسعة تتصل بمحافظة شبوة، ومنها تمر السيول إلى منطقة خورة، وفي أسفلها موطن الحميد بن منصور كما يفيد أهالي المنطقة .

نهاية مملكة أَوْسَان

تفيد النقوش أنه في النصف الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد شَنَّ الملك السبئي حملاتٍ واسعةً ممتدةً غرباً من أرض المعافر إلى الأودية الشرقية مثل «مَيْفَعَة» و«جِردان» و«عِرْمَة» بالقرب من حضرموت، ومن السهول الجنوبية في «لحج» و«أبين» إلى المرتفعات الوسطى في «يافع» إلى المناطق الشمالية «كالجوف» و«نجران»، وقد وُصفت تلك الأخبار في نقشٍ كبيرٍ عُثر عليه في وادي «صرواح»، وقد كان «كَرَب آل وَتَر» عند كتابة هذا النص قد فَرَغَ من الحرب مع مملكة أَوْسَان التي خربها وهدم حصونها وقتَّل رجالها وضمَّها إلى مملكته لتصبح مملكة واحدة، أخبر بذلك عندما وصف الحملة على أَوْسَان .

اللّهجة

تعتبر لهجة المنطقة من اللّهجات الفصيحة، والتي تقرب إلى اللغة الفصحى، وذلك لعدم اختلاطهم وقربهم من اللغات الأخرى وإن كنا نرى أنَّ فيها كثيراً من الكلمات العامية التي لا تمت إلى اللغة العربية بصلة .

أما اللّهجة الحِمْيَرية فهي ممتزجةٌ بها امتزاج الماء بالراح، ولعل الطُّمْطُمَانِيَّة -موضوعُ بحثنا هذا- من أهمِّ معالمها، ونرى أن الهَمْدانِيّ نفسه يفيد بأن بعض الكلمات الحميرية لا زالت مستعملةً حتى وقته، وذلك ككلمة «كَرَدَ» بمعنى «عَجَنَ» و«هَجَر» بمعنى «قرية»[1] و«وَثَن»، وهو عبارةٌ عن حَجَرٍ يُوضع في الأراضي الزراعية يُعرف به الحقوق المتقاربة بين الملاّك .

وجاء في «الجمهرة» لابن دُرَيدٍ أنَّ اليمنيين يُبدِلُون الأَلِفَ واواً، وقال: سمعتُ رجلاً يقول: «امشيخ امكبار ضرب امراس بالعصو (بامعصو)» .

قلتُ: ولا زالت كثيرٌ من الكلمات المذكورة متداولةً حتى يومنا هذا، أما عبارة ابنِ دُرَيدٍ فلعلها صُرِّفَتْ في لفظ «امكبار»، وأن أصلها «امكبير» .

أما لُحُوق الواو بدلاً من الألف فغيرُ معروفٍ في لهجة المنطقة في الوقت الراهن وإن كانت تستعمل في أواخر الكلمات في اللّهجة الحميرية، ومن المعلوم أن التعريف بالألف والميم ليس مطرداً في كل الكلمات .

---

(١) وفي «شمس العلوم»: هَجَرُ القومِ موضعُ عِزِّهِم واجتماعهم، والهَجَر بمعنى البلد .

طُمْطُمَانِيَّةُ حِمْيَر

وهي ما في لهجتها من كلماتٍ غيرِ مستعملةٍ من اللّهجات الأخرى، كإبدال أداة التعريف بالألف والميم، كقولهم في طاب الهواء «طابِ امْهَوَا»، ومنه قول الشاعر:

- خِرَقٌ يمانِيَةٌ لأَعْجَمَ طُمْطُمِ -

ومنه: رجلٌ طُمْطُمِيٌّ وطُمطُمانيٌّ: يتكلم غيرَ فصيحٍ، وطُمطُمانيةُ حمير بالضمِّ: ما في لغتها من الكلمات الشاذة، وهي إبدال أداة التعريف بالألف والميم، كما قال ابن هشام في كتابه «شرح قطر الندى»، قال: لغةُ حميرٍ إبدال لام «أل» ميماً . وأفاد أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم تكلم بلغتهم .

قلتُ: وقد أَيَّدَ النَّحْوِيّون هذه المسألة بشاهدٍ من شواهدهم، وهو قول الشاعر:

ذاك خليلي وذو يُواصلني ... يَرْمِي وَرائِيَ بامْسَهْمِ وامْسَلِمَةْ

والبيتُ مما لم يُنسب إلى قائلٍ في الكتب النحوية، وذهب بعضهم إلى نسبته إلى بُجَيرِ بنِ عَنَمَة الطائي، وأنه قد لُفِّقَ من بيتين هما:

وإنَّ مولايَ ذو يُعاتبني ... لا إحْنَةٌ عنده ولا جُرَمَةْ

يَنْصُرُني منك غيرُ مُعْتَذِرٍ ... يَرمي ورائِيَ بامْسَهْمِ وامسلِمةْ

الأسهم جمع سهمٍ، والسلمة: الحجر .

وقد جاء في البيت الأول «ذو يعاتبني»، و«ذو» هذه هي لغة طيءٍ، والتي استدل عليها النحاة بقول الشاعر:

فإنَّ الماءَ ماءُ أبي وجَدِّي ... وبئري ذو حَفَرْتُ وذو طَوَيتُ

ويفيد الدكتور جواد علي في كتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» أن هذا ليس إبدالاً في لهجة حمير القديمة، بدليل أن الكلمة في اللغة الحميرية تُعْرَفُ

بـ«ـان»، حيث تُوضَع في آخر الكلمة التي يُراد تعريفها، ولا يكون التعريف في أولها، ويضيف أنه لم يصل إلى علمه أن أحد الباحثين عثر على نصٍّ جاهليٍّ في العربية الجنوبية عُرِّفَ بالألف واللام .

قلتُ: وبذلك عُرِّفَتْ كثيرٌ من الكلمات الحميرية بإضافة «ـان» في أواخر الكلمات نحو: بيحان، وريدان، ووعلان، وضوران، وغيلان، وكثيرٌ من هذه الأسماء لأمكنةٍ كثيرةٍ على امتداد الأراضي اليمنية .

الهَمْدانيّ واللّهجة

تعرض لسان اليمن الهَمْدانِيّ إلى ذكر كثير من المناطق اليمنية، وقد أنكر لهجات كثير من المناطق، غير أنا نجده يثني ثناءً على لهجة منطقة البيضاء فيقول: وسَرْوُ حمير وجَعْدَةٍ ليسوا بفصحاء، ونمضي معه لنستوفي ما أفاض فيقول: لحجٌ وأبينُ ودَثِينةٌ والعامريون من كِندة والأَوْدِيُّون أفصحُهم، ويضيف إلى ذلك قوله: وسُراةُ مَذْحِجٍ مثلُ رَدمان وقَرَن، ونجدها مثل رَداع وإِسْبِيل وكَومان والحَداء وقائفة فصحاءُ، وخَولانُ قريبٌ من ذلك، وسَرْوُ مَذْحِجٍ ومأربٍ وبَيحانَ وحَريب فصحاء، ورَدِيءُ اللغةِ منهم قليلٌ . انتهى باختصارٍ من «صفة جزيرة العرب» .

النّبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ وسَلم يَتَكَلم باللّهجَةِ الحِمْيَريّة

رُويَ عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه قال: «ليس من امبرِّ امصِيامُ في امسَفَر»، عن كعب بن عاصم الأشعري رضي اللّه عنه - وكان من أصحاب

السقيفة - قال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: «ليس من امبر امصيام في امسفر».

وعن كعب بن مالك الأشعري - وكان من أهل السقيفة - قال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: «ليس من امبر امصيام في امسفر» رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح .

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «التلخيص الحبير» (٣: ٣٠٥) بعد أن ذكر حديث الصحيحين «ليس من البر .. إلخ» برقم (٩١٦):

وإنَّ سَبَبَه عن جابر قال: كنا مع النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم زمانَ غزوةِ تبوكٍ، فمَرَّ برجلٍ في ظلِّ شجرةٍ يُرَشُّ الماءُ عليه، فقال: ما بالُ هذا ؟ فقالوا: صائم، فقال: «ليس من البر..إلخ» .

أما نشوان الحميري فقال في كتابه «شمس العلوم»: والميمُ تكون مبدلةً من لام المعْرِفَة بلغة حمير، يقولون «امرجل» و«امغلام»، وفي حديث أبي هريرة أنه دخل على عثمان رضي اللّه عنه وهو محصورٌ فقال: «طاب امضرب»، أي الضرب . فأمره عثمان رضي اللّه عنه أن يلقي سلاحه .



ثناء العلماء عليه

أثنى عليه كثيرٌ من شيوخه كالإمام شيخ الإسلام عبداللّه بن عمر الشاطري، والذي أكبر هِمَّتَهُ العَلِيَّة وطلب منه أن يُؤَسِّسَ رباطاً للعلوم الشرعية في بلده، وممن أثنى عليه شيخه الحبيب جعفر بن أحمد العيدروس، وكان يلقبه «بالذهب الإِبْرِيز».

أما شيخه محفوظ بن عثمان فقد أكثر الثناء عليه، وقد مدحه بقصيدة بالشعر الحميني عدَّد فيها كثيراً من مناقبه، وسنأتي على ذكرها عند ذكر الشيوخ، كما أثنى عليه زميل دراسته وتربيته العالم العلامة المربي الإمام الحسن بن عبداللّه بن عمر الشاطري[1] في أكثر من موقف، كما أثنى عليه كثيراً في مناسبات شتى الشيخ العلامة

(١) هو مربي السالكين وأستاذ العلماء العلامة الكبير والعالم النِّحرير الحسن ابن الإمام شيخ الإسلام عبداللّه بن عمر الشاطري خليفة والده في القيام بشؤون رباط تريم منذ صغره، مع علم غزير وعقل راجح، وهو مع ذلك كثير التواضع لا يحب الشهرة ولا يسعى إليها، ولد سنة ١٣٤٧ هـ بمدينة تريم وأخذ عن والده وعن عالم تريم ومرجع العلماء فيها الإمام علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين، وعن الحبيب جعفر بن أحمد العيدروس، وعن الشيخ محفوظ بن عثمان وغيرهم، وكان موضع تقديرهم ومحبتهم، وقد منحه اللّه سبحانه وتعالى كثيراً من المزايا العظيمة التي قل أن توجد في غيره من العلماء، منها الفراسة الصادقة والنصيحة والجهر بالحق، لا يخاف في اللّه لومة لائم .

وقد تخرج على يده كثير من العلماء الذين تفرقوا في أنحاء المعمورة بعد أن تولى التدريس في رباط تريم، وكان لي شرف الأخذ عنه فترة طلبي للعلم في تريم، وكان بحقٍّ لنا معاشرَ الطلاب الأبَ الشفيقَ والناصحَ الأمينَ والمربي القدير، ولا زال آخذاً بزمام الدعوة إلى اللّه في تريم مرجعاً لعلمائها أمدَّ اللّه في عمره وجعل الخير باقياً في عقبه وعقب إخوانه الأعلام إلى يوم الدين وإيانا والمسلمين .

ناصر بن محمد الشيباني [١]، ويفيد أنه استفاد من دروسه ومحاضراته كثيراً وبالذات أثناء قراءة « صحيح البخاري » في عدن حينما كان سيدي الوالد يتردد عليها حيث كان الشيخ ناصر يطلب العلم بها . كما أثنى عليه العلامة المؤرخ إسماعيل بن علي الأكوع [٢] الحوالي أثناء زيارته للبيضاء والتي زار فيها الرباط واطلع على طلابه ودروسه وقد ذكره في كتابه «هِجَر العلم ومعاقله». كما امتدحه كثيرٌ من الشعراء، منهم الشاعر أحمد بن عبدالله الوَهَّاشي [٣] بعِدَّةِ قصائدَ منها:

---

(١) هو الشيخ العلامة ناصر بن محمد الشيباني من مواليد محافظة تعز بني شيبان بالحجرية عام ١٣٤٥ هـ، وبها نشأ وترعرع وأخذ مبادئ القراءة والكتابة ، ثم ارتحل لطلب العلم إلى مدينة عدن وكرع من معين الشيخ العلامة محمد بن سالم البيحاني والشيخ علي بن محمد باحميش والسيد مطهر الغرباني والسيد أحمد بن علوي الحداد ، ثم عُين إماماً وخطيباً لمسجد حامد ، ثم بجامع الرضاء ومديراً لمعهد النور بالشيخ عثمان في عدن ، فاعتقل قِبل الحزب وألقي في غياهب السجون لولا أنه أدركته عناية اللّه ، فقد قلّ من يخرج من السجن في تلك الآونة إلا إلى المقابر، فخرج منها وانتقل إلى تعز ، وبها استمر موجّهاً ومرشداً، وتولى إدارة مكتب الأوقاف والإرشاد، ثم انتخب نائباً لرئيس جمعية العلماء وعضوا في مجلس الشعب، ويشغل الآن منصب وزير الأوقاف والإرشاد، وقد تلقى كثيراً من الإجازات العلمية من علماء الشام والمغرب ومصر والسنغال ولازال بخير تحفه عناية اللّه .

(٢) هو العلامة الكبير والمؤرخ الشهير إسماعيل بن علي بن حسين الأكوع من مواليد مدينة ذمار، عام ١٣٣٨ هـ ، وبها نشأ وترعرع وأخذ عن جُل علمائها، وكانت دراسته في المدرسة الشمسية وفي مسجد عمرو وفي رباط الغيثي ، وقد اشتغل بالعمل السياسي وتولى عدة مناصب كان آخرها رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب، له مؤلفات كثيرة منها «الأمثال اليمانية» «المدارس الإسلامية في اليمن » ، «هجر العلم ومعاقله » .

(٣) هو أحمد بن عبدالله بحاث الوهاشي، من مواليد الصومال، رحل والده من مدينة مَذْوَقَين بمحافظة البيضاء واستقر بالصومال، والشاعر المذكور درس العربية ومنحه اللّه ملكةً في

شكراً جَمَعْتَ بما قد خَطَّهُ القَلَمُ ... بينَ الثُّرَيّا وبينَ البَدْرِ يا عَلَمُ

للّهِ دَرُّكَ مِن حَبْرٍ لهُ مِنَنٌ ... على الصغيرِ ومَن أَوْدَى به الهَرَمُ

مِن آلِ هَدّارِ مِن أُنثى ومن ذَكَرٍ ... في كلِّ مَكْرُمَةٍ تَسْمُو بها الأُمَمُ

عِلمٌ وعِزٌّ ومالٌ لا يُدَنِّسُهُ ... شُحٌّ مُطاعٌ ولا تُزْرِي به الشِّيَمُ

وذاك فضلٌ به الرحمنُ خَصَّصَهُمْ ... جَرَى به القَدَرُ المقدورُ والقَلَمُ

ولا يُنازِعُهُمْ فيه سِوى نَكِدٌ ... أَضَلَّهُ اللّهُ أو مَن مَسَّهُ اللَّمَمُ

وأَسْأَلُ اللّه أَنْ يَشْفِي لَهُمْ ولنا ... حبيبَنا حيثُ قد أَبْطَا بهِ السَّقَمُ

ولا يُرينا به سوءاً فإنَّ بهِ ... أُمورَنا في كِلا الدَّارينِ تَنْتَظِمُ

بجاهِ جَدِّهِ خَيرِ الخَلْقِ سيِّدِنا ... مَن بالصلاةِ عليه يُدْفَعُ الأَلَمُ

صلَّى الإلهُ عليهِ ما هَمَى مَطَرٌ ... على الرَّوابي وأَفْضَى سَيْلُهُ العَرِمُ

وآلِهِ الغُرِّ والأصحابِ قاطبةً ... والتابعينَ ومَن فيهم لَهُ رَحِمُ

وقد قال فيه أيضا:

عَجَباً تُضامُ وجارُك الهَدّارُ ! ... وتَعِيثُ في جَنَباتِكَ الأكدارُ

ومن ذلك قوله:

إلى الهَدّارِ شيخي ذي المعالي ... ومَن أضحى كبَدْرٍ في الكمالِ

أَصُوغُ الشِّعْرَ من بحرٍ لَطِيفٍ ... يُسَمَّى وافراً عند الرجالِ

كعِقْدِ جواهرٍ في سِمْطِ دُرٍّ ... بجيدِ لَعُوبَةٍ مثلِ الهِلالِ

بِبَسْمَتِها تُرِيكَ وَمِيضَ بَرْقٍ ... خَفُوقٍ من ثنايا كاللَّآلِ

الشعر، رافق الوالد فترةً من الزمن، ولازال في صحةٍ وسلامةٍ في العقد السادس من عمره تقريباً .

إذا ظَهَـرَتْ لأَشْـمَطَ مِـن خِباهـا صَبا كـالطِّفْلِ مِن سِـحْرِ الجمـالِ
وإنْ طَرَقَتْــهُ بـــالعَيْنَينِ شَــزْراً لـدى الإصبـاحِ أَضْحَـى ذا خَبـالِ
فـيَرْبِضُ عنـد مَخْدَعِهـا طَرِيحـاً فـلا يَلْـوِي علـى أهـلٍ ومـالِ
ومَـن أَسْـقَتْهُ يومـاً مِـن لـماها وتُنْهِلْـهُ يُفِـقْ يـومَ المـآلِ
ومِن خُلُقِ الحِسـانِ كمـا عَهِدْنـا لـدى التـاريخِ تَعْبَـثُ بالرجـالِ
فكـم أَوْدَتْ بأقيـالٍ عِظـامٍ وأبطـالٍ عوابـسَ في القتـالِ
فَلُـذْ مِـن مَكْرِهـا باللّـه واحْـذَرْ أخـي منهـا ومِـن أهـلِ الضَّـلالِ
ويَمِّـمْ نحـوَ أربـابِ المعـالي وأصحـابِ المنـاقبِ والكمـالِ
كهَـدّارِ العلـومِ ومَـن دعانـا وأَرْشَـدَنا وأَجْـزَلَ في النَّـوالِ
دَعـا للّـه في شَـرْقٍ وغـربٍ وأَوْغَـلَ في الجنـوبِ مـع الشمالِ
وباشَـرَهُ بـإجْلالٍ ووُدٍّ وآدابٍ مـع الخُلُـقِ المثـالي
فـإنْ وُفِّقْـتَ أنـت إذن سَـعِيدٌ لـدى المـولى المهيمـنِ ذي الجـلالِ
وصَلَّـى اللّـه ربـي كُـلَّ حـينٍ علـى طـه المسَـرْبَلِ بالجمـالِ
وخُـصَّ الآلَ والأصحـابَ طُـرّاً كـذا الهَـدّارَ شـيخيَ ذا المعـالي

وحينما وصل البيضاء من الحرمين الشريفين قال فيه:

تَصْبُـو إليـكَ وأهلُهـا البيضـاءُ وتَعَطَّـرَتْ بقُدُومِـك الأجـواءُ
وبحسنِ طَلْعَتِكُـمْ تَشَعْشَـعُ بهجـةً وتَفِيـضُ مـن جَنَباتِهـا الأضـواءُ
ورِباطُهـا الميمـونُ رَوْضٌ باسِـمٌ ولأنـتَ فيـه نَسْـمُهُ والـماءُ
فيـه يُـدَرَّسُ كُـلُّ علـمٍ نـافعٍ وتَظَـلُّ في أكنافِـه الفقهـاءُ
ممَّـن تَضَلَّـعَ بـالعلومِ وحازهـا وسمَـا سُـمُوّاً دونـه الجـوزاءُ
للّـه مـن عِلْـمٍ هنـالك رابِـضٍ كـالليثِ حـين تُسَـعَّرُ الرمضـاءُ
يروي الحديثَ عن الصِّحاحِ معنعناً وإليـه ثَـمَّتَ تنتهـي الفتـواءُ

له في المنابر هزَّةٌ نَبويَّةٌ ... تُصْغِي لسحرِ بيانِه الأدباءُ

ذاك الحبيبُ أخوالمكارم نَجْلُ من ... لَهُ في الفضائلِ روضةٌ غناءُ

والمعهدُ المعمورُ إذ أَسَّسْتَهُ ... لك في إقامته اليدُ البيضاءُ

بحرٌ جواهرُه العلومُ ودُرُّهُ ... فِكْرٌ وذِكْرٌ دائمٌ ودُعاءُ

ولآلُهُ المنضودُ ثم مدائحٌ ... فيها لأدواء القلوب شفاءُ

وإذا الربيعُ أَطَلَّ من عليائه ... وَفَدَتْ عليه أئمةٌ فضلاءُ

مِن حضرموتَ ومن عُمانَ ويَثْربٍ ... مِن كلِّ ذي شَمْطٍ عليه بهاءُ

يَحْدُو بِهِمْ وُدٌّ وشوقٌ مُقْلِقٌ ... بمحافلٍ زانتْ بها البيضاءُ

مِن مولدٍ غَمَرَ الوجودَ بنُورِهِ ... وتَبَلَّجَتْ بضيائِه الأرجاءُ

شَرُفَتْ به أرضُ الحجاز وأشرقتْ ... أرجاءُ مكةَ واشرأَبَّ حِراءُ

ومِنىً وثورٌ والمقامُ وزمزمٌ ... والمرْوَتانِ ولاحت الأضواءُ

وكأنَّهُ الفردوسُ في حَفَلاتِهِ ... بالمدحِ حيث تُوَزَّعُ الحلواءُ

وتُدارُ إثْرَهُ قهوةٌ عربيةٌ ... بالزنجبيلِ وتُذْكَرُ الصلحاءُ

ويطوفُ فينا بالبخورِ وتارةً ... بالعطرِ عند قيامِنا شَعواءُ

فهناك نَهْتِفُ بالصلاة على الذي ... لولاه ما بُسِطَتْ لنا الغبراءُ

كلا ولا كان الوجودُ بأسره ... أبداً ولا طَلعتْ عليه ذُكاءُ

طه إمامُ المرسلين شفيعُنا ... في موقفٍ تُخشى به الشفعاءُ

والكلُّ تحت لوائه في مأمنٍ ... والناس من هول المقام ظِماءُ

بدرٌ تَجَلَّى في سماءِ كمالِه ... فسَرَتْ بنورِ ضيائه العلماءُ

هامتْ قلوبُ العارفين بحُبِّهِ ... وتَهافَتَتْ بمديحه الشعراءُ

صلى عليه اللّه ما قالَ امرُؤٌ: ... «تَصبُو إليك وأهلُها البيضاءُ»

والآلِ والصحبِ الكرامِ جميعِهمْ ... «وتَعَطَّرتْ بقُدُومِكَ الأَجواءُ»

أما شيخه الإمام إبراهيم بن عمر بن عقيل مفتي محافظة تعز رحمه اللّه فقد قال:

صَحَّ حَدِيثُ أحمدا ... أنّا جميعاً شُهَدا

صَلَّى عليه رَبُّنا ... مُسَلماً طُولَ المدَى

وآلِهِ وصَحْبِهِ ... ومَن بهَدْيِهِ اهتَدَى

أَشْهَدُ للّه بأَنَّ ... سَيِّدي مُحَمَّدا

أَعْني بهِ الهَدّارُ قد ... صارَ الإمامَ المقْتَدَى

يَهْدِي إلى الحَقِّ بأمـ ... ـر رَبِّهِ مُؤَيَّدا

لو عُمِّمَتْ خِصالُهُ ... أَلْفاً لَصارُوا سُعَدا

ولا أُزَكِّي بَعْدَهُ ... على الإلهِ أحدا

وعند دخوله مكتبة الرباط التي قام بجمعها الوالد رحمه اللّه قال رضي اللّه عنه:

وعند حبيبِنا الهَدَّارِ كُتْبٌ ... مُؤَلَّفَةٌ دَرَاها مُذْ قَراها

وعندَ محمدٍ عِلم غزيرٌ ... لَهُ مَدَدٌ مِنَ المختارِ طَهَ

وقال في منظومة سنده «مَشْرَع المدَد القَويّ» عند ترجمته لشيخ الإسلام الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري شيخ الوالد:

وصَحِبْتُ وارثَ سِرِّهِ مَن قد غَدا ... مَثَلاً لَهُ في السَّيْرِ بالمرصادِ

أعني محمَّداً ابنَ عبداللّه هدّ ... اراً بصدق الوَعْدِ والإيعادِ

مَن لم يَخَفْ في اللّه لَوْمَةَ لائِمٍ ... راجتْ تجارَتُهُ بدون كَسادِ

وكان رحمه اللّه مواظباً على الحج كل عام، وفي سنةٍ من السنين أَقْعَدَهُ المرضُ فلم يحجَّ فتحسَّر على فواته إياه، وعندما شعر تلميذه الشاعر الأديب محمد بن حسن الحداد[١] بذلك قدم إليه هذه الأبيات:

بُشْراكَ أَبْشِرْ بأجرٍ غيرِ ممنونِ ... بُشْراهُ تَسْطَعُ في التِّينِ وفي نُونِ
وفي حديثٍ عن المختارِ يُفْصِحُ عن ... أجرٍ لمحْتَبِسٍ بالعذرِ مَضْمُونِ
واللّه يَكْتُبُ للمعذورِ صالِحَ ما ... قد كان يعتادُ مِن فرضٍ ومسنونِ
بنيةٍ منك رافقتَ الحجيجَ بذا ... جاء الحديث صحيحاً غيرَ مَطْعُونِ
رسالةُ الحَجِّ ما أغلى جواهرَها ... تحوي المحاسنَ في نَصٍّ ومَضْمُونِ
كانتْ دليلاً لنا في الحجِّ مالِكُها ... بوزنِها مِن نَضارٍ غيرُ مَغْبُونِ
فيها اجتَلَينا مُحَيّاكَ الكريمَ لقد ... أَطْلَلْتَ منها بوَجْهٍ منكَ مَيْمُونِ
أَنْعِمْ بسَيِّدِنا الهَدّارِ سار على ... دَرْبِ التُّقَى وارتقَى لم يَرْضَ بالدُّونِ
داعٍ إلى اللّه بالقول السديدِ وكم ... هَدَى به اللّه من غاوٍ ومفتونِ
يُسْدِي الجميلَ بلا مَنٍّ وكم زَرَعَتْ ... يداهُ من فرحةٍ في قلبِ محزونِ
من آلِ بيتِ النبيِّ المصطفى فلَهُمْ ... مَجْدٌ عَظِيمٌ يقيناً غيرُ مَظْنُونِ

---

(١) شاعرٌ مجيدٌ من أبناء مدينة نصاب، أخذ مبادئ القراءة والكتابة في مدرسة آل الحداد بنصاب، ونهل كثيراً من المعارف من الإمام الشهيد أحمد بن صالح الحداد، ومن عمه رئيس مجلس القضاء في حكومة الاتحاد العلامة أحمد بن علوي الحداد، عمل في التدريس فترة، وقد منحه اللّه ملكة في الشعر فما قال شعراً إلا أبدع .

ومن جراء مضايقة الحزب الاشتراكي ترك موطنه بعد أن شاهد محنة الإمام الشهيد أحمد بن صالح الحداد، ثم انتقل إلى مكة المكرمة ولازال مستقراً بها حتى يومنا هذا، متردداً على بيت اللّه الحرام، مع أدب جمٍّ وسلوكٍ فريد ، ويشغل الآن الإمامة بمسجد التيسير بمكة المكرمة أطال اللّه في عمره آمين.

فـأَنْتَ منهـم كهـارونَ المحَبَّـبِ مِـن موسى فبُورِكَ مِـن مُوسى وهـارونِ
إليـكَ يـا ابـنَ الكـرامِ الغُرِّ خـاطرةً مِـن وحـيِ قلـبٍ بحُـبٍّ فيـه مكنـونِ
تَقَبَّلُوهـا وغُضُّـوا عـن نواقصِهـا لا تُغْلِقُـوا بـابَكم يـا سيدي دُونـي
واللّـه يَحْفَظُكُـمْ نـوراً يُنِـيرُ لنـا دَرْبَ الحيـاةِ ويُنْجِينـا مِـنَ الهُـونِ
بـهِ بـهِ ربَّنـا فامْنَحْـهُ عافيـةً ما شئتَهُ كـان بـينَ الكـافِ والنـونِ
نَدْعُـوكَ يـا رَبَّنـا أَنْجِـزْ لنـا كرمـاً مـا قـد وَعَـدْتَ بـه في قولِـكَ:
يـا رَبِّ صَلِّ على المختـارِ سَـيِّدِنا في كـلِّ طَرْفَـةِ عـينِ ألـف مَلْيُـونِ
والآلِ والصَّحْبِ والأتباعِ ما قُرِئَتْ: «بُشـراكَ أَبْشِـرْ بـأَجْرٍ غـيرِ ممنُـونِ»

وحينما وصل إلى حضرموت للزيارة ١٤١٤ هـ امتدحه الشاعر طه بن حسن السقاف(١) بهذه القصيدة:

أهـلاً وسـهلاً جاءنـا الهَـدّارُ والغَيـثُ والخَـيراتُ والأنـوارُ
أهـلاً وسـهلاً قـد أتانـا مُرشـداً داعـي وهـادي والجهـادُ شـعارُ
يَدْعُـو ويُرْشِـدُ أُمَّـةً وخَلائقـاً فمعـاهد لـه قـد حـوت أقطـارُ
في معهـدِ البيضـا مصـانعُ أُمَّـةٍ ورجـالُ إرشـادٍ بـه أخيـارُ
وبطيبـةٍ كـم مِـن مريـدٍ قـانتٍ بالعلـم والتقـوى لـه أنـوارُ
وكـذا بشِـحْرٍ معهـدٌ ومـدارسٌ وبغيرِهـا الطـلابُ والأسـرارُ
كـلٌّ يقـول: إمامُنـا هَدّارُنـا شـيخي ومنـه العلـم والأذكـارُ
علـم وأعمـالٌ وحُسْـنُ سَـجِيَّةٍ ومكـارمٌ ومحـامدٌ وفَخـارُ

---

(١) السيد طه بن حسن السقاف من مواليد سيئون وبها نشأ وترعرع وأخذ عن كثير من علمائها ، وقد أثر في سلوكه وقدح مواهبه خاله الإمام عبدالقادر بن أحمد السقاف، له أشعار كثيرة في كثير من المناسبات الدينية وغيرها، عمل في المدينة المنورة فترة من الزمن ثم انتقل إلى جدة وبها لازم الإمام عبدالقادر بن أحمد السقاف ولازال بها تحفه عناية اللّه .

أهــلاً بــه عنــدَ الحبيــبِ ومرحبــاً ... في موطــنِ الســاداتِ نِعْــمَ الــدارُ
فلِقــاؤُهُ حُلــمٌ قَديــمٌ إنــه ... تحقيــقُ آمــالٍ بــه أســرارُ
في موطنِ الأسلاف خيرُ مسامرٍ ... مَـرَّتْ وعــاد الصَّفْـوُ والسُّمّارُ
وهُبُـوبُ نَصْـرٍ فَتْحُـهُ مُتحقِّـقٌ ... مِـن ربِّنـا سـبحانَه القَهَّـارُ
فهُنـا الطويلـةُ أَشْـرَقَتْ أنوارُهـا ... وتريـمُ بـل عينـاتُ والـمحضارُ
كـلٌّ يُرَحِّـبُ سـيدي بوصولكـمْ ... فـالعيدُ لـما جاءَنـا الهَـدّارُ
وبـدا بشـيخِ القـوم خـيرِ خليفـةٍ ... سَـقّافِنا ظَهَـرَتْ بـه الأنـوارُ
فوصولُـهُ حَـدَثٌ كبـيرٌ مالَـهُ ... مَثَـلٌ بـه قـد جـاءَتِ الأخبـارُ
عَرَفَتْـهُ أَقطـارُ البَسِـيطَةِ كُلُّهـا ... بالعلـم يُعْـرَفُ بـل إليـهِ يُشـارُ
ولَـهُ المحَبَّـةُ في القلـوبِ ووَعْظُـهُ ... بحـلاوةٍ سَـكِرَتْ بـه الحُضّـارُ
في الجودِ بحرٌ والسـماحةِ والنـدى ... وحميـدُ أخـلاقٍ تُقًـى ووَقـارُ
اللّـه يحفظكـم منـاراً للّهـدى ... في صحـةٍ طـالتْ لكـم أعمـارُ
يـا رَبُّ يـا رحمـنُ أنـت المرتجـى ... جينـا ببـابك كلُّنـا أوطـارُ
وبحسـنِ خاتـمةٍ فكـن متكرمـاً ... إِخْتـم بهـا إذ تنتهـي الأعمـارُ
واحفـظْ إمامَ القـومِ طَـوِّلْ عُمْـرَهُ ... يبقـى منـاراً وجهُـه أنـوارُ
وصلاةُ مولانا على خـير الـورى ... طـه المشـفَّعِ إنَّـه المختـارُ
والآلِ والأصحـابِ ثـم سـلامُه ... يُـروى دوامـاً مـا أتانـا نهـارُ

وهذه القصيدة للشاعر الأديب محمد عبداللّه دغلس(١) :

---

(١) محمد بن عبداللّه بن دغلس النقيب، شاعر مجيد إذا قال أبـدع ، منحـه اللّـه ملكـة في الشعر الحكمي والحميني، من مواليد البيضاء. والده العلامة الواعظ المرشد الشيخ عبداللّه بن محمد دغلس ، تلقى العلم عن مفتي محافظة البيضاء السلف القـاضي محمـد بـن حسـين الهيثـمي، وتوفي رحمه اللّه في عـام ١٤١٧ هـ . ونعود إلى المترجم لـه فنقـول: وقـد تلقـى تعليمـه في

رسولي إلى قطب الزمان الذي ظهـرْ ظهوراً لأهل اللّه كالشـمس والقمـرْ
دليلي إذا ما الحال ضـاقت ومنقـذي وغوثي إذا ما الدهرُ كَشَّـرَ واكْفَهَـرّ
محمـــدٍ الهـــدارِ قلـــبي وقـــالبي ومفتاحِ باب المصطفـى سيِّدِ البشـرْ
بنفســـيَ مَـــن أَلْفَيتُـــهُ ذاتَ ليلـــةٍ وقد ضقتُ ذرعاً والظلامُ قد اعتكـرْ
سـراجاً وكهفـاً غـوث كـرب ملبيـاً نـداء الـذي نـاداه مـن لجـج الكـدرْ
فـأنقذني مـن حالـة الأســر قـائلاً: أراك هنا مـاذا جـرى لـك مـا الخبرْ
تعـال معـي هـاك الحقيبــة لا تخـف ولاتخشى من هذين بؤسـاً ولاضـررْ
وأقسـم باللّـه العظيــم لقــد حضـر وقـد صـار حـالي عـبرةً لـمن اعتـبرْ
فــأنقذني ممــا أنـــا فيـــه والخطـــر أحـاط بجسـمي بينمـا الآخـر اعتـذرْ
بنفسـي قطبـاً لـم يـزل راقيـاً علـى معارجَ لاتخفـى علـى مـن لهـم نظـرْ
بنفســي نبراســاً مضيئــاً بـــه أرى به رق لي قلبٌ وقـد قُـدَّ مـن حجـرْ
أحبـــة قلـــبي إن قلـــبي معلـــقٌ بكم لاتلوموني إذا مـا الهـوى ظهـرْ
أهيـم بكـم حبـاً وقلـبي لديكـــم أسير هواكـم سـادتي والهـوى قـدرْ
وإن غـابت الأشـباح ياغوثنـا فقـد تعـانقت الأرواح في الحـل والســفرْ
أنــا حــاضر ياســيدي في مقــامكم وإن لـم أكن ياسيدي مع من حضرْ
أراكـم بقلـبي مـن بـــلاد بعيـــدة أقبِّلكـــم حبـــاً كتقبيلـــي الحجـــرْ
أحبـة قلـبي قـد نظمـت قصيــدة لتقديمها في حضرة الشـمس والقمـرْ
ولكن عذري قد أعاق الخطى عن الـ ـحضور أو الإسـهام في ثانيـة عشـرْ

مدارس البيضاء وطلب العلـم في الرباط، وأخذ كثيراً من المعلومات عن سـيدي الوالـد رحمـه اللّه، وشاعرنا المذكور في مقتبل العمر وسن الشباب، يتـمتع بـروح إسـلامية ومحبـة صادقـة للرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم والصالحين من أتباعه، يعلـم ذلـك مـن خـلال التطلـع في قصائده ومدائحه الشعرية، ويعمل في سلك القضاء ولازال بخير تحفه عناية اللّه ورعايته .

لشهر ربيع مولد النور والهدى وذكرى النبي المصطفى سيد البشرْ

نبي الهدى بحر الندى قامع العدا هو ذلك البحر الخضم الذي زخرْ

وهل يلج البحر الخضم سوى الذي تعلق فيكم راكباً مركب الخطرْ

بحق الهوى جودوا عليَّ بقطرة من البحر أو جودوا برشفة من مطرْ

أقمتم رباط العلم والناس في هوى وجهل عظيم ساد في الأرض وانتشرْ

فقد كانت البيضاء من قبله على شفا جرف هارٍ تعيش على خطرْ

فأنقذها مما هي فيه إذ نشر علوماً فأروى العاطشين من البشرْ

فياويح نفس حاربته وحاربت موالد طه من جحيم ومن سقرْ

أرى الشمس فيه أشرقت ذاك ما وإن لم يرَ غيري فَدَعْهُ مع البقرْ

يعش حيث لم يعلم بأن رباطنا هو العلم والتفسير والنحو والسيرْ

هو النور لا لا نورَ يوجد غيره هو شهبٌ منقضة ضد من كفرْ

أرى المصطفى قد حل فيه مُخيما ولكن أعمى القلب ليس له بصرْ

ألا لن يرَ الأعمى وقد صار لا يرى بعينيه لاشمساً أضاءت ولاقمرْ

أحبة قلبي هاكمُ ما نسخته وإن لم أكن أهلاً لإظهار ماستترْ

فشهرتكم تغني عن المدح والثنا وأنتم رجال اللّه والسادة الغررْ

ولكن حبي والهوى ياأحبتي دعاني إلى ماقلته والهوى قدرْ

وما أنا إلا قطرة من بحاركم فماقطرة في البحر إن ماج أوزخرْ

تعلقت فيكم طامعاً في سيوبكم سيوباً حوت شتى الجواهر والدررْ

فلا تحرموني إن فقري وسيلتي أنا لم أزل بالباب والخير ينتظرْ

فجودوا عليَّ من عطاياكم التي إذا وزعت لم يبق في الأرض مفتقرْ

فقير إلى ربي وأنت وسيلتي إلى اللّه ثم المصطفى سيد البشرْ

عليه صلاة اللّه مابارق سرى وماسح ودق ماسعى الحاج واعتمرْ

صلاة تقينا الهم والغم والكدر وتذهب داءً في المفاصل قد نخرْ

وأرّقَ من أهواه نفسي له الفدا — شفيعاً به لا بالعلاجات والإبرْ

كما قلت فيه قصيدة وهي:

تجرعت من دهري وصحبي وجيرتي — أمورا بها قد قلَّ صبري وحيلتي
رأيت ظلام الليل أرخى سدوله — نهاراً بها خلتُ الذُّكاء تولتِ
وما أشفقوا مما رموا وكأنهم — يروا الوجد أن يسعوا لتُسكَبَ عبرتي
ومالي من ذنبٍ سوى أنني امرؤٌ — يرى دوحة العلياء خير محلةِ
ومادام هذا دأبهم وصنيعهم — إليَّ ولكنَّ الخطوب اضمحلَّتِ
«فلي والدٌ كالسيف أبيض مصلتاً — وهيهات منه كل أبيضَ مصلتِ»
«رأى حيرتي من حيث يخفى مكانها — فكانت قذى عينيه حتى تجلتِ»
ألا يا ابن عبداللّه نجدةَ ماجد — بها ينجلي همِّي وتوقظ غفلتي
فقد حِدْتُ عن أمرٍ حديتم بركبه — وخلَّفني ضعفي ولهوي وزلتي
ذنوبي ساقتني إلى لجج الردى — وأصبحت منها بين همٍ وحيرةِ
تماديت في كسب الذنوب وهاهي الـ — ـمعاصي قد أودت بإيهان قوّتي
وكيف اعتذاري عن خطاياي في غدٍ — ومن منقذي من مؤنسي حين وحدتي
وحتى متى الرجعى إلى اللّه بعدما — تبلج صبح الشيب من ليل لمتي
هرعت إليكم بانكساري وفاقتي — فعندكمُ نسكي وحجي وعمرتي
وعندكم ترياق أمراضي التي — بها حُجبت عني استجابة دعوتي
وبالباب أحمال ثقال أتى بها — رجائي ونحو اللّه وجهت وجهتي
بكم يرفع اللّه البلايا وتنجلي الـ — ـرزايا وتنجاب الكروب المهمةِ
عسى نظرة يُشفى الفؤاد بها وينـ — ـمحي الذنب يضحي الصفو غير مشتتِ
لنُكفى أذى المؤذِين من كل حاقد — سعى ورمانا بالخطوب الملمةِ
بنظرته يرعى الأمور بحرقة — وكم يتلظى إن خُصصتُ برحمةِ

وكم قد رُمي بالزور دون مخافةٍ　　من اللّه لا عن تهمة وحقيقةِ
وصلى إلهي كل حين وساعة　　على خير مبعوث إلى خير أمةِ

والدُه

هو السيد العالم الأديب عبداللّه بن شيخ الملقب «الهَدّار»، كان على جانبٍ عظيمٍ من الصلاح والنُّسُك والعبادة، وسوف نأتي على ترجمته عند ذكر مشايخ الوالد رحمهم اللّه جميعاً . وله من الأولاد سيدي الوالد محمد بن عبداللّه الهدار، وهو الأخ الأكبر لإخوانه صالح وأحمد وعبد القادر وحسين وأبي بكر وعبداللاه، أما أخواه أحمد وأبوبكر فقد اختارهما اللّه لجواره قبل وفاته، وأما البقية فهم بخير تحفهم عناية اللّه .

والدَتُه

أما والدته فهي رَبَّةُ الصَّوْنِ والعفاف نور بنت عبداللّه عوض باصهي، من أسرةٍ عريقةٍ في العلم أصلهم من شبام ثم انتقلوا إلى البيضاء، وملكوا عقاراتٍ واسعةً فيها، ينحدر نسبهم من كِندة، ولا زال كثيرٌ منهم في شبام حضرموت حتى يومنا هذا .

وقد كانت رحمها اللّه على جانبٍ عظيمٍ من الصلاح والعبادة، كثيرةَ الصيام والقيام، وكانت مُطْعِمَةً للأيتام والأرامل والمساكين، مما جعل الأهالي ينادونها جميعاً بـ«يا أمّاه»، ويقال: إنها تدخل إلى المطبخ فتستمر فيه من الصباح إلى أن يمضي قسطٌ من الليل لا يُخرجها إلا الحاجةُ الضرورية كالصلاة، وبالذات أيام المجاعات في فترة الحرب العالمية الثانية، واستمرت كذلك بعد وفاة الحبيب الهدار بن شيخ رحمه اللّه،

ثـم انتقلت إلى بيت الوالد إلى البيضاء بعـد عمـارة الربـاط والبيـت، وكـانت مَقْصِداً لذوي الحاجات .

قال عنها رحمه الله في «مذكراته»[1] : الحمد للّه على قضائه، وصلى وسلـم على سيدنا محمد وآله، وفي القعدة الحرام سـنة ١٤٠٢ هـ اختـار اللّـه إلى جـواره سـيدتي الوالدة نور بنت عبداللّه عوض باصهي بعد مرضٍ شديدٍ، وشَلَلِ النِّصـف منهـا منعهـا من الكلام إلا ذكرَ اللّه، والسبحةُ لـم تفكها من يدها إلا نادراً، وكان موتهـا قاصمةَ الظهر . فالحمدللّه، وإنا للّه وإنا إليه راجعون في كل حينٍ أبداً عدد نِعَمِ اللّه وأفضالـه، وكان موتها بعد المغرب، فحُفر لها قبرٌ في عَزَّةَ جِوارَ سيدي الوالـد عبداللّـه الهدار بـن شيخ بن أحمد المتوفى بعَزَّة رحمه اللّـه في سـنة ١٣٦٥ هـ صفـر، وصلينـا عليهـا بعد الصبح في مسجد الفتح، وانتقلنا بالسياراتِ وجمع كبير إلى عَزَّة وعنـد مفـترق الطـرق حملوها على العيدانِ الجِنازةِ، وكان يوماً مشهوداً، وتوالت المرائـي الصالحـة، وكـان لا يفوتها قيام آخر الليل وصيام البيض والاثنين والخميس والأيام الفاضلة، كثيرةَ الصدقـة والصلة من الطراز الأول، تغمدها اللّه بواسع رحمته وتحمَّل عنا وعنهـا جميـع التَّبِعـات، وأبدلها وسائر السيئات بأضعاف أضعافها من الحسـنات التامـات الموصـلات، آمين آمين آمين بحق سيد السادات صلى اللّه وسلـم عليه وآله وصحبه أجمعين .

توفيت صديقتها الحبابة جميلة بنت عبداللّه من آل الشيخ أبي بكر في نحو الثـمانين أو أكثر في عزة في ربيع الثاني أو آخـر ربيـع الأول سـنة ١٤٠٤ هـ ، كـانت سـابقاً تصوم أكثر السنة، ثـم منذ سبع سنين صامت إلا العيدين وأصيبت مثل الوالدة بمرضها

---

(١) هي عبارة عن مجموعة من الدفاتر ذكر فيها كثيراً من رحلاته، وترجم فيها لكثيرٍ من شيوخه وأقرانـه وتلامذتـه، وضمنهـا كثـيراً مـن الفوائـد العلـمية النـادرة والـتي كـان يلتقطهـا أثنـاء مطالعاته، وعند تأسيسه لكثيرٍ من مشاريع الخير وبالذات رباط الهدار للعلوم الشرعية .

فلم تفك السبحة من يدها إلا نادراً، ولا تفتح فمها لشراب إلا بعد غروب الشمس فحضرنا دفنها والدرس والختم في عزة، وكانت جلساتٌ مباركةٌ .

ولادتُه

ولد رحمه اللّه في قرية عَزَّة من ضواحي مدينة البيضاء باليمن عام ١٣٤٠ هـ، وقد أخذه والده بعد ولادته إلى عند الحبيب محسن(١) بن علي بن سالم ليدعو له بالبركة فحقق اللّه تلك النية الصالحة، وما أن بلغ الثانية من عمره حتى كان دخول الجيش الإمامي إلى مدينة البيضاء ونواحيها بقيادة عبداللّه بن أحمد الوزير (٢) مما اضطر والده

(١) هو الكريم الحُلاحِل محسن بن علي بن سالم، ينتهي نسبه إلى الشيخ أبي بكر بن سالم، كان على جانب عظيم من الصلاح، شجاعاً صارماً ذا وجاهة وعقل راجح ومكانةٍ كبرى في المجتمع، وكان مصلحاً اجتماعياً وطالما أصلح بين القبائل آنذاك، وبالذات مع عدم وجود دولة تنظم أمور المنطقة وتقوِّم مُعْوَجَّها، مع ثروة كبرى سخَّرها لإكرام الضيف ولتفقد المعوزين، له رحلاتٌ كثيرة غيرَ أني لم أعثر على تفاصيلها، وله شعرٌ رصينٌ وزواملُ باللّهجة العامية، وقد عُمِّرَ حتى بلغ المئة عامٍ تقريباً، وتوفي في عَزَّة بسفح جبل حصن نعمان سنة ١٣٤٥ هـ، وصلى عليه حاكم البيضاء السيد العلامة محمد بن عبداللّه الشهيد الشهاري أول حاكم بعد دخول الجيش الإمامي البيضاء، وقد سار بالقضاء سيرةً محمودةً يثني عليه كل من عاشره، توفي بالبيضاء ودفن بها في غرة رجب سنة ١٣٥٠ هـ، قال عنه مؤلف «أئمة اليمن»: لقد مات و هو في سن الكهولة وكان عالماً فاضلاً أديباً لبيبا» .

(٢) هو الأمير عبداللّه بن أحمد الوزير ثائرٌ من دهاة اليمن وشجعانها، كان من أقرب المقربين إلى الإمام يحي بن محمد حميد الدين، وقد كان قائداً محنكاً أخضع الزرانيق ومناطق البيضاء والجوف وموانئ الحُدَيدة والمخا وباجِل وغيرها عام ١٣٤٢ هـ للمملكة المتوكلية اليمنية، وعينه الإمام سفيراً لمعاهدة الطائف ١٣٥٣ هـ، وفي ١٣٦٧ هـ ثار على الإمام يحيى

إلى النزوح بأسرته إلى يافع العرقه، وقد مكث عند الشيخ حسين صالح القحيم صديقه الحميم فترة من الزمن حتى هدأت الأوضاع واستتب الأمن، فعادت الأسرة إلى موطنها عزة، وبها نشأ سيدي الوالد رحمه اللّه على أكرم الخِلال وأفضلها، وتردد على مدينة البيضاء ليقرأ القرآن على القاضي حمود الكُسْتَبان، وبعد أن أجاد مبادئ القراءة والكتابة أخذ عن والده مبادئ العلوم وتردد على فضيلة مفتي محافظة البيضاء آنذاك

ونصَّبَ نفسه إماماً واستمر حكمه ٢٤ يوماً فقط، ثم اعتقل ومن معه من الثوار وأُعدم في حَجَّة في عام ١٣٦٧ هـ بأمر من الإمام أحمد حميد الدين الذي أفشل ثورة ابن الوزير وتولى الإمامة بعده، وحين دخوله البيضاء على رأس جيش عرمرم قال القاضي محمد بن يحيى الإرياني يمتدحه:

سِرْ حيث شئتَ فإن جُندك ظافرُ	وانزل بحيث ترى فأنت القاهرُ
ولك السلامة والفخامة والعُلى	والمجد والنصر العظيم الباهرُ
ولك السعادة والأمان من الردى	ولك السيادة والمقام الفاخرُ
ولك المهابة في القلوب تمكنتْ	بصميمها ولك الفخار الوافرُ
تاهت بك البيضا ومالت نعوةٌ	طرباً وغنى في الغصون الطائرُ
شوقاً إلى رؤياك يا فرد العُلى	وأجلّ من يرنو إليه الناظرُ
فكأنه في الحرب بدرٌ طالعٌ	في فلكه والجيش ليل عاكرُ

وحين نشوب الحرب بينه وبين قبيلة آل حميقان تم الصلح على يد السيد الهدار بن شيخ، وقد طلب منه أن يجمع له العلماء ووجه رسالة إلى مفتي البيضاء حينها القاضي محمد بن حسين الهيثمي يطلب منه الحضور للتعارف والتفاهم .

الشيخ محمد بن حسين الهيثمي رحمه اللّه ليقرأ كثيراً من المتون «كسفينة النجاة» و«متن أبي شجاع» و«صفوة الزبد»[1] لابن رَسلان و«الآجُرُّومِيَّة» وغيرها .

ومما ذكره رضي اللّه عنه عن مرحلة صباه قال بما معناه: كنتُ في ليلةٍ من ليالي رمضان في العشر الأواخر منه في المسجد، فرأيتُ نوراً ساطعاً في الأفق يشبه ضوء الشمس، فقلت: ربما أنها ليلة القَدْر، فصعدتُ إلى المنزل وأخبرتُ والدي بذلك فنظر إلى ذلك النور وقال: يا بني لعلها أن تكون ليلة القدر، فادع اللّه أن يجعلك من العلماء العاملين، قال: فدعوتُ اللّه سبحانه وتعالى .

ومما أخبرني به أن والده أخبره أنه حَرَّرهُ للّه سبحانه وتعالى وهو حملٌ في بطن أمه رجاء أن يجعله اللّه من العلماء، وإلى ذلك أشار بقوله مخاطباً شيخ الإسلام الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري في قصيدة أرسلها إليه، منها قوله:

يا شاطري إنَّ الشَّطا ... رةَ خيرُ مشراةِ المتاجرْ
إني وقفتُ ببابكم ... ورَجَوْتُ رَجْوَى كلِّ زائرْ
وغرستُ في تربةِ نَدا ... كُم غُصنَ نِعمتيَ المهاجرْ
ولدي ومَن حَرَّرْتُهُ ... مِن قبلِ تُدْرِكُهُ العناصرْ
حَرَّرْتُهُ قبلَ الوجودْ ... ببطنِ جوهرةِ الحرائرْ

---

(١) انتشر بين الناس أن هذه المنظومة المباركة تسمى «الزبد»؛ ولكن كتب التراجم نصت على أن «الزُّبَد» متنٌ منثورٌ للإمام ابن البارزي، وأن الإمام ابن رسلان قام بنظمه وسمى منظومته «صفوة الزبد»، انظر ترجمة ابن رسلان صاحب المنظومة في «الضوء اللامع» للسخاوي، وكذلك ترجمة ابن البارزي صاحب «الزبد» في «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني، وشرح الفشني «مواهب الصمد» عند شرح قوله:

وبعدُ هذي «زُبَدٌ» نَظَمْتُها ... أبياتُها ألف بما قد زِدْتُها

وما أن بلغ السابعة عشر من عمره حتى أزمع الرحيلَ مع زميله الأستاذ محسن بن محمد الهدار واتجها إلى عدن مشيا على الأقدام ليواصلا سفرهما إلى تريم مقصد العلم والعلماء، ومن عدن أبحرا في سفينة شراعية إلى المكلا، فوصلا إليها بعد وفاة شيخ العلماء في المكلا الحبيب أحمد بن محسن الهدار [1]، فكانت حسرة كبرى عليهما حيث لم يتمكنا من زيارته والأخذ عنه، وحالت السُّلُطات القُعَيطِيَّة [2] دون مواصلة سفرهما إلى حضرموت الداخل، مما اضطرهما إلى العودة إلى عدن بحراً، ثم عادا إلى البيضاء بعد رحلة طويلة نالا فيها من العناء والمشقة الشيء الكثير .

---

(١) هو الإمام العلامة السالك الناسك الأواه أحمد بن محسن بن عبدالله بن هادي بن سالم الهدار، ولد رحمه الله في مدينة سورابايا بجاوة سنة ١٢٧٩ هـ، ثم نُقل في صباه إلى حضرموت وأخذ عن جل علمائها، وكان من أكابر المجتهدين في العلم والعمل، ترجم له الأستاذ أحمد بن عبدالله الهدار في كتابه «العقد الفريد» وبين فيه كثيراً من خلاله وما منحه الله من مزايا قَلَّ أن توجد في غيره من العلماء، وأخيرا استوطن المكلا وعمر بها مسجده المشهور، وتوفي بها سنة ١٣٥٧ هـ ودفن بها.

(٢) السلطنة القُعَيطِية دولةٌ قامت في أكثر مناطق حضرموت، واتخذت من المكلا والشحر عاصمةً لها، وأول من أسسها عمر بن عوض القعيطي، واستمرت تحكم البلاد فترةً من الزمن، وكان الوزير الزعيم حسين بن حامد المحضار المتصرف في شؤونها من قبل السلطان عوض بن عمر القعيطي، وقد أخضع البلاد لحكمها وساسها سياسةَ داهيةٍ مجرِّبٍ، ولم يُمَكِّنِ الاستعمارَ البريطانيَّ من التدخل في شؤونها، وبعد وفاته تغير الوضع ودخلت ضمن المحمِيّات، واستمرت حتى قيام جمهورية اليمن الديمقراطية عام ١٩٦٧م، وقد ظهر في السلاطين القعيطيين كثير من العلماء و المصلحين .

وما هي إلا أيامٌ قلائلُ حتى وصل رجلٌ من أهالي حضرموت عابراً في طريقه من يافع اسمه صالح بن أحمد الهدار [١]، فتعرف عليه والده وطلب منه أن يرافقهما إلى تريم، فأجاب إلى ذلك واتجهوا على بركة اللّه، وخرج والده رحمه اللّه مودعاً ومعه جمعٌ كثيرٌ، وفي منطقة شوكان قال له ولده المترجَم له بما معناه: يا والدي كل مودِّعٍ راجع فاستودِعنا اللّه، فاستقبل القبلة وهو يبكي وقال بما معناه: اللّهم إن الناس يرسلون أولادهم إلى أمريكا وغيرها ليأتوا لهم بالمال، وأنا أرسلته ليتعلم فافتح عليه واجعله من العلماء العاملين . ثم توادعوا وعاد الوالد من شوكان ليواصل الولد سفره مع زميله مشياً على الأقدام، كلما وصلوا إلى قرية قذفتهم إلى أخرى، حتى وصلوا نصاب وقصدوا المسجد .

قال رضي اللّه عنه: فدخلتُ ووجدتُ العلامة الأجل حسن بن علوي الحداد[٢] يلقي درساً في الفقه بعد رجوعه من تريم حضرموت . قال: فاستفدتُ منه مسائل،

---

(١) صالح بن أحمد الهدار عابدٌ زاهدٌ كثيرُ الأسفار والكدح في سبيل الرزق، ولد بجاوة حيث كان والده مهاجراً هنالك، وانتقل في صباه إلى حضرموت ونشأ بها، وما أنْ قَوِيَ على العمل حتى قام بالتردد على منطقة يافع لمتابعة أملاك وأوقاف مقام الإمام الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، واستمر على ذلك حتى آخر أيامه، وفي رحلته المذكورة مر في طريقه ونزل ضيفاً على الوالد الهدار بن شيخ، ثم انتقل إلى يافع منطقة عنتر، وبها توفي عام١٣٩٣هـ .

(٢) هو حسن بن علوي الحداد، عالم جليلٌ وشاعرٌ مُفْلِق، وُلد في نصاب ونشأ بها ورحل إلى تريم ودرس في الرباط على يد شيخ الإسلام عبداللّه بن عمر الشاطري، وازدادت معارفه العلمية، ثم عاد إلى نصاب وتولى التدريس في المدرسة الأهلية التابعة لآل الحداد، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ، ثم انتقل إلى جوار ربه عام ١٣٧٣ هـ وهو في ريعان شبابه بعد أن أمضى حياته في خدمة العلم الشريف مع أدبٍ وافرٍ وسلوكٍ حسنٍ فريدٍ، وترك ذريةً مباركةً منهم ولده

وقلت في نفسي: هذا من أول تحصيل الفوائد، ثم واصلوا سفرهم عبر الطريق المعروفة آنذاك، حتى وصلوا سيؤون، وعلموا أن درساً كبيراً في تريم يقوم به الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري يحضره كثيرٌ من الناس من أشتات البلاد، وعلموا أنهم لن يدركوا ذلك الدرس إلا إن مَرُّوا عبر طريق المعجاز، وهو ممرٌّ جبليٌّ بين تريم وسيؤون، فاتجهوا صوبه وفي وقت الظهيرة مع حرارة الجو، أخذ منهم العطش كلَّ مأخذٍ حتى أيقنوا بالهلاك، فإذا بهم يدركون عريشاً مسقوفاً فاتجهوا يستظلون به فوجدُوا ماءً عذباً بارداً في زِيرينِ كبيرينِ فشربوا وعادت إليهم الحيوية والنشاط، وواصلوا السير حتى وصلوا تريم الغناء، وقصدوا رباطها الميمون واستقبلهم شيخه الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري بحفاوةٍ بالغةٍ .

قال رضي اللّه عنه: ولم أزل أتعجب من وجود الماء في ذلك المكان، حتى علمتُ أن رجلاً من الصالحين أوقف أرضاً في مكان بعيدٍ وجعل ريعها لصالح هذا المشروع الخيري، وأن رجلاً يقوم بجلب الماء على جملٍ من مكانٍ بعيدٍ، فسبحان من سَخَّرَ أناساً للخير وللسعي في كثيرٍ من أموره ! ونسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا من مفاتيح الخير، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .



الشاعر الأديب الأريب محمدٌ المارُّ ذِكرُه، والذي قال في سيدي الوالد قصائدَ عديدةً، ومنهم عبدالقادر زميلنا في الدراسة، وكذا علوي، وكلُّهم مباركون وسائرون على طريقة والدهم رحمه اللّه .

تَحصِيلُهُ العِلميّ

وما أن استقر في مدينة تريم وفي رباطها الميمون لدى شيخ الإسلام الإمام عبدالله بن عمر الشاطري حتى بدأ يكرع من ذلك المعين الصافي، وبتوجيهٍ من شيخه المذكور التحق بالحلقات الأولى، وما هي إلا أيامٌ وليالٍ حتى بدأت أَمارات النجابة والتَّفتُّح تظهر عليه، فحفظ كثيراً من المتون وحَقَّق كثيراً منها دراسةً وتقريراً، وكان مع ذلك مُبْتَلىً بالأمراض من صغره، غيرَ أنه ذو هِمَّةٍ عَالِيَة، وكان يقضي أكثر الليل في مراجعة ودراسة المسائل العلمية، ويَقُصُّ علينا كثيراً من الأمور التي يعجز الكثير من الطلاب عن الإتيان بها، مع أدبٍ جمٍّ وتواضعٍ، جعلت مشايخه يكبرون هِمَّتَه العَلِيَّة، وينظرون إليه بغايةٍ من الإعجاب والإكبار، حتى جعله شيخه مراقباً على الطلاب، وبالذات حينما غاب في رحلته إلى دوعن. وفي أثناء مكثه في رباط تريم وصل إلى الرباط صديقه الحميم أحمد بن صالح الربيدي[1]، والذي تم استدعاؤه

---

(١) هو الحاج أحمد بن صالح الربيدي، من مواليد الرباط بالقرب من منطقة مكيراس، وبها نشأ وترعرع في أسرة صالحة محبة للخير، أصلهم أهل حُكْم من منطقة رُهاء، وهي قبيلة كبرى كان أول رسول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مبشراً بإسلام أ هل اليمن منهم، وقد سكنت تلك القبيلة منطقة الحيكل تابع مديرية ذي ناعم، وقد بسطنا ذلك في كتابنا «البيضاء ودورها في التاريخ» .

أما الحاج أحمد صالح الربيدي فقد عاد ومكث في مكيراس يتعاطى أسباب التجارة، ثم انتقل إلى الحديدة ثم عاد إلى مكيراس متردداً على بيوت الله، ولازال بخير تحفه عناية الله في العقد الثامن من عمره . وهو وإخوانه الكرام وأسرته من أكثر من عرفناهم فضلاً وصلاحاً ولا نزكي على الله أحدا، نسأل الله أن يجعل الخير باقياً فيهم وفي عقبهم إلى يوم الدين وإيانا آمين.

كمرشد زراعي يصل إلى تريم وسيئون، فأخذه حينها إلى شيخ الإسلام الإمام عبدالله بن عمر الشاطري ليلتمس منه الدعاء والتوجيه .

وممن تتلمذ معه وزامله في دراسته في رباط تريم، الشيخ العلامة محمد بن أحمد المشعبي قاضي الصومعة، والذي طالما وقص علينا سيدي الوالد من أخبارهما أثناء الطلب، وهو من أسرة لها شغلٌ بالعلم سكنت مناطق خورة ومرخة والصومعة، ورحل البعض منهم إلى السودان وأصلهم من الصيَّعر من حضرموت، وقد ذكر ابن جندان في تاريخه أن آل المشعبي كانوا أهل حكم وعلم قبل ظهور الدولة الكثيرية، وأن أشهر مساكنهم وادي العَجَل ووادي بِنْ علي، وأول من قدم منهم إلى محافظة البيضاء في سنة ١٣١٣ هـ الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن عبدالله المشعبي، وتوفي سنة ١٣٣٤ هـ، وتوفي الشيخ محمد بن أحمد المشعبي في سنة ١٤٠٢ هـ ودفن في الصومعة من ضواحي مدينة البيضاء،وتوفي آخر أولاد الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالله المشعبي الشيخ ضيف الله سنة ١٤١٤ هـ ودفن في الحمراء من ضواحي البيضاء، وقد ترك الجميع ذرية صالحة نفع الله بهم آمين، وممن زامله في دراسته كذلك الشيخ العلامة عبدالقادر بن عاتق جبر ، مفتي بيحان، وقد مكث معه في غرفته وقرأ وإياه كثيراً من الكتب، وكان كثير التردد على البيضاء داعياً إلى الله، وصادعاً بالوعظ والتوجيه والإرشاد، ثم ضايقه الحزب الاشتراكي اليمني فاضطر إلى مغادرة اليمن، وانتقل إلى المملكة العربية السعودية، حتى فاجأه الأجل المحتوم سنة ١٤٠٢ هـ ودفن بمكة المكرمة رحمهم الله جميعاً، وخلفه في بيحان الولد النجيب عبدالقادر أحمد عاتق جبر ابن أخيه، وله دور كبير في التربية والوعظ والإرشاد جعل الله الخير باقياً في عقبهم وإيانا إلى يوم الدين، وقد كان سيدي الوالد رحمه الله كثير السفر إلى حضرموت، وبالذات تريم الغنَّا، والرحلة التي تلي هذه كانت عام١٣٧٠هـ وقد كان برفقته العم أبوبكر بن

عبدالله الهدار[١] والشيخ عبدالله بن محمد المطري[٢] والأخ صالح بن شيخ بن صالح[٣]، والغرض منها زيارة العلماء ومرافقة المذكورين للدراسة في رباط تريم، وقد مكث

---

(١) هو السيد أبوبكر بن عبدالله الهدار، ولد في عزة في عام ١٣٦٠ هـ تقريباً وبها نشأ وترعرع وأخذ مبادئ القراءة والكتابة، ثم رحل بصحبة أخيه الوالد محمد بن عبدالله الهدار للدراسة في رباط تريم، وأخذا قسطاً من التعليم، ثم عاد إلى موطنه، وتناول أسباب التجارة، وعاش فترة من الزمن في منطقة الملاجم، وفي سنة ١٤٠٢ هـ أصيب بوعكة صحية نقل على إثرها إلى القاهرة للعلاج، ثم عاد وعاوده المرض فجأة، ونقل على إثر ذلك إلى صنعاء فتوفي بها ونقل جثمانه إلى عزة، ودفن بجوار والده .

(٢) هو عبدالله بن محمد المطري من مواليد الزاهر، وبها نشأ وترعرع وقرأ القرآن، وأخذ مبادئ القراءة والكتابة عن عمه الشيخ عبدالله بن عبدالحق المطري، ثم رحل إلى تريم كما أسلفنا وبها مكث ينهل من معين العلم والمعارف، وعاد بعد فترة وقد قام بالعمل في شركة العاقل التجارية في عدن، ثم انتقل إلى الحديدة ثم إلى تعز ، ولازال فيها يتعاطى أسباب التجارة مع صلاح ونسك وعبادة، مد الله في عمره في خير وإيانا آمين .

(٣) هو الشاب الناشئ في عبادة الله صالح بن شيخ بن صالح، ولد في عزة ، وأمه هي كريمة الوالد، وقد قرأ القرآن الكريم وأخذ مبادئ القراءة والكتابة بها في مدرسة عزة للعلوم الشرعية، والذي أسسها خاله المترجم له ، ثم رحل إلى تريم كما أسلفنا، وبها مكث فترة من الزمن، وفيها تتلمذ على كثير من العلماء منهم الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب، والحبيب حسن بن عبدالله الشاطري، والحبيب مصطفى بن أحمد المحضار، والشيخ محفوظ بن عثمان وغيرهم، وبعد عودته إلى موطنه سافر إلى مكة المكرمة، وبها استقر وقد مكث بها فترة من الزمن، قال سيدي الوالد: إنه كان على جانب عظيم من العلم والعبادة ، وكان يؤدي ثلاث عمرات كل يوم مشياً على الأقدام، وقد أعطاه الشيخ محمد بن لادن غرفة بالقرب من الحرم المكي، فكل من قصده من معارفه للجلوس لديه يأمره أن يقوم بأعداد من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد عاد وتزوج ابنة سيدي الوالد الكبرى،، وفي عام ١٣٧٧ هـ رحل لأداء مناسك الحج

معهم فترة من الوقت ثـم عاد إلى البيضاء بينما بقي المذكورون نحواً من سنتين يطلبون العلـم في رباط تريم .

أما رحلته إلى حضرموت في عام ١٣٨٠ هـ فقد كنت مـع أخـي الحسـن بصحبته وقد عزمنا بالطائرة مـن مكـيراس إلى عـدن واسـتقبلنا فيهـا السـيد صـالح بـن عبدربـه الجنيدي والعم عبدالقادر بن عبدالله الهدار[1] والحاج أحمد بن محمد السوداني .

ومرّ بتعز وفيها أصيب بوعكة صحية ، وكان سيدي الوالد بها لدى سيدي الحبيـب إبراهيـم بـن عمر بن عقيل، فقام به خير قيام، ثـم إنـه أسلـم الـروح إلى باريهـا وقـام بتجهيزه سـيدي الوالـد بمعاونة الحبيب إبراهيم ودفن بمقبرة اللجينات، قال سيدي الوالد في مذكراته عنه:

صالح بن شيخ بن صالح توفاه الله بغتة في تعز ضحى ١٣القعدة الحرام ١٣٧٧ هـ و هـو في نحو ٢١سنة، نشأ في طاعة، ظهرت عليه علامات الصلاح والفلاح، تغمده الله في فسـيح جنته، وجمع بيننا وبينه بعد طول العمر في طاعة وعافية وخـير، في مقعـد صـدق عنـد مليـك مقتدر، مع النبيين والصديقين والصالحين والشهداء، وجزاه عنا أفضل الجزاء، فقد أحسن إلينا بجمع كتب قيمة رزقنا الله النفع بها ومن شاء من عباده، وكتب لـه الثـواب مضاعفـاً، وقـد طلب العلـم في تريم وأخذ عن سيدنا الإمام المهاب علـوي بـن عبداللـه بـن شـهاب الديـن، ومكث في الحرمين سنين، وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـم وصلى الله على سيد الأولين والآخريـن ، وآلـه وصحبـه أجمعين ، إلى يـوم الديـن ، وآخـر دعوانا أن الحمد لله رب العالـمين .

وكتبه خاله المصاب بفقده

محمد الهدار

(١) عبدالقادر بن عبدالله الهدار، شقيق الوالـد، رافقـه في كثـير مـن أسـفاره، ولـد في عـزة عـام ١٣٤٨هـ تقريباً وبها نشأ، ومكث لدى والده فترة من الوقت، واستفاد من مجالسـته كثـيراً، ثـم اغترب في الصومال، ثـم استقر في عدن، وبعد تغير الأوضـاع انتقـل إلى المدينـة المنـورة،

وقد كان رحمه اللّه أثناء إقامته في عدن يتردد على كثير من المساجد للوعظ والإرشاد، وقابلنا الشيخ العلامة علي بن محمد باحميش[١] ، والسيد سالم بن عبداللّه الشاطري، والسيد عبداللّه بن حسين المحضار[٢]، والسيد مطهر بن مهدي

ولازال بها يتردد على المسجد النبوي الشريف، أطال اللّه في عمره في خير وعافية وإيانا آمين.

(١) هو الشيخ العلامة علي بن محمد باحميش، قاضي عدن وخطيبها المصقع، والذي طالما دوى بصوته الجهوري في الجموع والمحافل، ولد في عدن من أسرة نزحت من الشحر، وفي عدن نشأ وترعرع، وأخذ عن جُل علمائها ثم قصد مصر والتحق بالأزهر وتخرج منه، وعاد إلى عدن وتولى بها القضاء، يعتبر من أبلغ الخطباء مع تأثير عجيب لكل من استمع إليه، وقد تولى الخطابة في مسجد العيدروس، كانت تربطه بسيدي الوالد محبة عظيمة، فقد أرسل ولده مصطفى للدراسة في الرباط، وفي عام ١٣٥١ هـ (١٩٧٣م) دُبر له حادث مروري من قِبل حُكام الحزب، مات على إثره و هو جالس أمام منزله بأسلوب مكشوف بعد تهديد وإنذار لمرات عديدة لكنه لم يكترث بها رحمه اللّه .

(٢) هو العلامة عبداللّه بن حسين بن أبي بكر المحضار،الملقب «لَرْوَسْ» عالم عابد، ولد في حبان، وبها نشأ وترعرع وأخذ مبادئ القراءة والكتابة، ثم سافر إلى تريم وانتظم ضمن طلاب معهدها القويم، وأخذ عن شيخ الإسلام الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري، ثم عاد إلى موطنه وانتقل إلى عدن وقام بمزاولة التجارة مع صلاح ونسك وعبادة، كثير التردد على مسجد الإمام العيدروس، وحينما يصل سيدي الوالد إلى عدن يتفرغ من أعماله ويستمر معه للتردد على المساجد للدعوة إلى اللّه، وتربطه بسيدي الوالد مودة كبرى منذ أن كانا زميلين في رباط تريم، وبعد استيلاء الحكم الشمولي على ما كان يسمى بالجنوب انقطعت بينهما تلك الجلسات القيمة، فخرج في أواخر عمره من عدن ووصل إلى البيضاء لزيارة سيدي الوالد ففرح به أيما فرح، واستمر لدينا فترة، ثم أمرني سيدي الوالد أن أرافقه إلى صنعاء ، وفي لحظات الوداع فاضت المحاجر، وكان آخر كلامه: «الناجي منا يأخذ بيد

الغرباني[1] ، والشيخ محمد بن سالم البيحاني[2]، وزرنا ضريح الإمام أبي بكر بن عبدالله العيدروس، وترددنا على مسجده كثيرا ، وكذلك الزاوية الأحمدية في الشيخ عثمان، وطالما استقبلنا فيها الشيخ أحمد بن علي صالح[3] ، وكذلك مسجد الشيخ عبدالله العمودي بالزعفران، وصادف وصول العلامة المسند المؤرخ سالم بن جندان ابن الشيخ أبي بكر بن سالم من الحجاز إلى عدن ، فتمت زيارته وكانت الجلسة معه مباركة تمت فيها الإجازة بحديث الأولية، وقد احتفل به العلماء والأدباء في عدن، واتجهنا على بركة الله بالطائرة إلى المكلا، ومنها إلى تريم، ونزلنا في مطار

أخيه» ، ثم عاد إلى عدن، وانتقل إلى رحمة الله في عام ١٤٠٣ هـ وهو في تمام العقد السابع من عمره تقريباً رحمه الله .

(١) هو العلامة الكبير مطهر بن مهدي بن حميد الغرباني، فقيه بارع، وخطيب مِصقع، ولغوي متمكن، عاش في تعز، كانت تربطه علاقة قوية بالإمام أحمد، غير أنه سُجن بتهمة أنه من أعضاء حركة ١٩٤٨م، وأُفرج عنه فارتحل إلى عدن وعمل مدرساً في مدرسة بازرعة، وإماماً وخطيباً لمسجد أبان، وكان مرجعاً للفتاوى الشرعية، وكان لي شرف الأخذ عنه، واستمر على ذلك الحال حتى توفي في عدن ١٣٨٨ هـ .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) هو الشيخ أحمد بن علي صالح شيخ الطريقة الأحمدية بعدن ، كان على جانب عظيم من الصلاح والعبادة، وكان سيدي الوالد كثير الزيارة له ، وطالما قام بالمذاكرة في الزاوية الأحمدية ، وقد استمر الشيخ أحمد فيها مقصداً للعلماء ومربيا لطلاب العلم، وتخرج على يديه الكثير الطيب من العلماء، وكان جل اهتمامه يعتمد على سلوك طلاب العلم حتى يخرج الطالب قوي الإيمان يعتمد على مكارم الأخلاق في دعوته ، واستمر على ذلك الحال حتى أدركته الوفاة في عدن في شعبان ١٤٢٠ هـ عن عمر ناهز الثمانين عاما، ودفن بمقبرة العيدروس، وخلفه في مقامه ولده مدثر.

الغرف، ووصلنا تريم ونزلنا عند الشيخ محفوظ بن عثمان، وزرنا الإمام المهاب علوي بن عبدالله بن شهاب، وحضرنا زيارة نبي الله هود .

وقد ترك الوالد تفاصيل رحلته وذكر كثيراً من العلماء الأعلام الذين زارهم، منهم الحبيب محمد بن هادي السقاف، والذي قرأنا عليه فاتحة الكتاب ، والحبيب جعفر بن أحمد العيدروس، والحبيب محمد بن عبدالله العيدروس [1] صاحب الريضة، وزرنا ضريح الحبيب حسين بن عبدالله عيديد[2] وترددنا على الحبيب عبدالله بن شيخ

---

(١) هو العالم العابد الناسك، محمد بن عبدالله العيدروس كان على جانب عظيم من الصلاح والنسك والعبادة، وكان الوالد كثير التبجيل والإجلال له، ويفيد سيدي الوالد أن المترجم له ابتهج لتأسيس الرباط ، وأنه سأل من الله أن يجعله قطعة من تريم موطن العلم والعلماء، وكان سيدي الوالد رحمه الله يستبشر بكلامه ويردده في مجالسه، وبعد عودتنا من تريم وصلنا نبأ وفاته رحمه الله فاغتم الوالد لذلك وتأثر عليه ، وذلك في ١٣٨٠ هـ ودفن بتريم بالقرب من قبة الإمام العيدروس.

(٢) هو الحبيب حسين بن عبدالله بن حسن بن أحمد بن أبي بكر عيديد، من مواليد ١٣١٦هـ، نشأ في سيئون وأخذ عن جل علمائها ، وبالذات عن الحبيب علي بن محمد الحبشي، الذي استفاد منه كثيرا، وكانت له به عناية خاصة ، حيث التحق برباط سيئون وانتظم ضمن طلابه، له رحلات كثيرة إلى مناطق شتى، وكان كثير التردد على البيضاء ، وقد أدخلني عليه الوالد في حال صباي حسب إفادة والدي رحمه الله بذلك ، ودعا لي بدعوات أسال الله أن يحققها، وله مع سيدي الوالد حكايات كثيرة وظريفة، وفي سنة ١٣٨٠ هـ ذهبت وأخي الحسن بصحبة سيدي الوالد لزيارة حضرموت ، فذهبنا وزرنا قبره ومكثنا فترة عنده نقرأ وندعو ووالدي رحمه الله يبكي وتنحدر دموعه على وجنتيه بغزارة وهو يقص علينا كثيراً من أخباره ومن كراماته ، توفي رحمه الله في ١٦ جماد الآخر سنة ١٣٧٩ هـ ودفن بسيئون حضرموت .

العيدروس [1] وقد رافقنا في معظم زيارتنا الأخ كرامة بن سالم مقبل رحمه اللّه، وقد كان وكيل سيدي الوالد في غيابه لمراعاتنا والإنفاق علينا أثناء طلب العلم في تريم، توفي في تريم عام ١٣٩٦ هـ .

وفي أثناء إقامته في تريم كان كثير التردد على شيوخه الأكارم وبالذات شيخه الحبيب عطاس حبشي [2] .

---

(١) هو الإمام العابد الزاهد الحبيب عبداللّه بن شيخ العيدروس، كان كثير العبادة وعلى الرغم من شيخوخته إلا أنه كان كثير التردد على مجالس العلم في تريم ، وبالذات مدرس الرباط الذي لا نعرف أنه تأخر عنه ، وكان سيدي الوالد كثير التردد عليه ، وقد ألقى فيه مديحة بالشعر الحميني، غير أني لم أجدها لأُثبتها، وفي غياب سيدي الوالد للدعوة إلى اللّه في نصاب رأيت رؤيا صالحة فقصصتها على الحبيب عبداللّه فأمرني أن أكتبها وأرسلها لسيدي الوالد ، فاستبشر بها كثيراً، وقد استمر رحمه اللّه في تريم حتى توفاه اللّه ودفن في قبة آل عبداللّه بن شيخ عام ١٤٠٠ هـ.

(٢) هو الحبيب العلامة أبوبكر بن عبداللّه الحبشي الملقب « عطاس » عالم متفنن في كثير من العلوم ، ذو مشرب صوفي ، كان على جانب عظيم من الصلاح والنسك والعبادة ، ذا اهتمام بوقته كثيراً، فلا يكاد يُرى إلا مشتغلاً بعلم نافع أو ذكر للّه تعالى ، ولد في منطقته «ثِبي» من ضواحي تريم ١٣٢٨ هـ، وبها نشأ وترعرع وأخذ كثيراً من العلوم عن والده وعن شقيقه حسين وعلوي، وهما من أعلام العلماء بحضرموت ، وكذا أخذ عن شيخ الإسلام عبداللّه بن عمر الشاطري ، وعن الحبيب عبدالباري بن شيخ العيدروس وغيرهم، وقد نشأ رحمه اللّه على أكرم الخلال وأفضلها من باكورة عمره لا تعرف له صبوة، كثير التبتل والعبادة، إلى جانب تلقيه للعلوم والمعارف، وقد انتقل إلى تريم وبها ضرب خيامه فاتحاً منزله لطلاب العلم ورواد الهداية ، حتى ١٣٩١ هـ حيث ضايقته عصابة الشر فاضطر إلى السفر إلى عدن ومنها إلى مكة المكرمة في رحلة تعتبر الأولى من نوعها، حيث علم

وأيضا الحبيب أحمد بن موسى الحبشي [1] الذي كان يأنس بمجالسته كثيراً والسيد الفاضل البركة محمد بن عبدالله بن علي بن شهاب، والحبيب محمد بن حسن بن سميط في شبام، والسيد علوي بن عمر العيدروس، والحبيب زين بن حسن بلفقيه، والمنصب صالح بن عبدالقادر الحامد، والحبيب شيخ بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم.

المسؤولون به بعد سفره ، فجُن جنونهم وحفظه الله من مكرهم فهو الذي يدافع عن الذين آمنوا.

وفي مكة المكرمة ألقى عصا الترحال واتخذها موطناً فاتحاً مسكنه للدروس ولطلاب العلم، وكان سيدي الوالد يتردد عليه كثيراً ، وقد كنت بصحبته في كثير من زياراته ، وأجازنا بحمد الله واستمر على ذلك الحال حتى اختاره الله لجواره في ١٤١٦ هـ ، ودفن بمقبرة المعلاه ، وشاءت إرادة الله أن يكون مثوى سيدي الوالد بجواره رحمهما الله آمين . وخلف في مقامه ولده البار عبدالله جعل الله الخير باقياً فيه وفي عقبه وإيانا إلى يوم الدين .

(١) هو العلامة الجهبذ الحبيب أحمد بن موسى الحبشي عالم سيئون وقرة عين علمائها، بها ولد ونشأ وترعرع وأخذ عن جُل علمائها منهم الحبيب أحمد بن عبدالرحمن السقاف والإمام محمد بن عيدروس الحبشي والمسند محمد بن هادي السقاف ، وبالذات شيخه الإمام علي بن محمد الحبشي الذي كان مربياً لشخصه وروحه، وقد تضلع في كافة العلوم حتى أصبح طوداً شامخاً يشار إليه بالبنان، وتخرج على يده الجم الغفير من العلماء مع صلاح ونسك وعبادة، وقد تردد عليه سيدي الوالد وكنت بصحبته في كثير من الزيارات، وكثيراً ما يجلس معه الجلسات الطوال والتي تدار فيها كثير من المعارف والعلوم، وهو إلى جانب علمه الغزير جم التواضع ذو بشاشة وابتسامة قل أن تفارق محياه ، وقد استمر في سيئون إلى أن توفاه الله بها عام ١٣٩٨ هـ ، وخلف أولاده الكرام السائرين على منهجه القويم محمد وجعفر وحبشي وعلي .

وأيضا المعمر البركة أحمد بن عبداللّه الهدار، والحبيب عبدالقادر بن عمر البار، والمعلم عبداللّه بن سعيد باغريب، والحبيب محمد بن سالم بن عوض ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، والشيخ سالم سعيد بكيِّر باغيثان، والحبيب أحمد بن عبداللّه باهارون، والحبيب عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس، والسيد البركة المعمر محمد بن علوي السقاف، والحبيب عبدالقادر بن محمد بن علي الحبشي، والمنصب الحبيب عبداللّه بن عبدالقادر الحداد منصب الإمام الحداد، والسيد العالم الفلكي عبداللّه بن صالح الحبشي، وغيرهم ، وقد تكررت رحلات سيدي الوالد إلى حضرموت في وقت زيارة نبي اللّه هود عليه السلام وذلك في شهر شعبان من كل عام حتى قال شيخه محفوظ بن عثمان رحمه اللّه: لقد شاهدت الحبيب محمد بن عبداللّه الهدار لم يترك زيارة نبي هود لمدة عشرين عاماً متوالية [1] .

---

(١) **زيارة هود عليه السلام:** تناقلت الكتب التاريخية أن اليمنيين وبالذات أهل حضرموت والمهرة يجتمعون عند قبر نبي اللّه هود للزيارة، وأن بذلك المحل سفحاً يعتبر سوقاً من أسواق العرب المشهورة، وقد تعرض لذلك الهمداني والأهدل في كتابه « تحفة الزمن » والعلامة محمد بن أحمد الشاطري، وصالح بن علي الحامد وصلاح البكري وغيرهم .

نبي اللّه هود عليه السلام: هو نبي اللّه هود بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وأورد الهمداني وابن خلدون في نسبه عدة أقوال، وذكر المؤرخون أن هوداً ولد قحطاناً أبا العرب العاربة، ووصيته إليه مشهورة ومذكورة في كثير من كتب التاريخ .

قوم عاد : ذكر اللّه قوم عاد فقال تعالى: ﴿وإلى عادٍ أخاهم هودا﴾ وقال تعالى: ﴿واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ ، ويفيد المؤرخ العلامة محمد بن أحمد الشاطري بما نصه: لم يذكر المؤرخون شَعباً سكن حضرموت قبل عاد، فشعب عادهم أول من سكنه بعد الطوفان، وهو شعب سامي يعده المؤرخون من العرب البائدة التي يتكون منها الطبقة الأولى من العرب، ومما لا شك في أن له مدنه وحصونه وقلاعه ومبانيه العظيمة ومزارعه

. . . .

الواسعة وعيون مئه وأنعامه .

الأحقاف : الأحقاف هو جمع حقف، وهو جبل من الرمل، وقيل: هي رمال مشرفة مستطيلة كهيئة الجبال، وقيل: هي رمال يقال لها عالج بين عمان وحضرموت، ويقول الإمام القزويني: هي تلال من الرمل بين عدن وحضرموت ، وكانت مساكن عاد أعمر بلاد اللّه وأكثرها عمارة وزرعا وشجرا، فلما سلط اللّه تعالى عليهم الريح طمتها بالرمل، و هي الآن تحت تلك الأحقاف .

موقع قبره عليه السلام: تحدث كثير من العلماء عن موقع قبر نبي اللّه هود عليه السلام وبالذات الإمام ابن كثير والكسائي وياقوت الحموي والهمداني والشوكاني، وأنه بأسفل حضرموت عند الكثيب الأحمر بروايات متعددة، وملخص ذلك ما نقله الإمام ابن كثير حيث قال في تفسيره عند قوله تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾: « عن محمد بن إسحاق عن أبي الطفيل عامر بن وائلة قال: سمعت علياً رضي اللّه عنه يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيباً أحمر يخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت؟ هل رأيته ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين ، واللّه إنك لتنعته نعت رجل قد رآه ، قال: ولكن حُدثت عنه ، قال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين ، قال: فيه قبر هود » رواه ابن جرير . كما أشار الهمداني إلى ذلك فقال: ثم توفي هود بالأحقاف ، وقبره هناك معروف بالقرب من نهر الحفيف .

ويفيد المؤرخ العلامة محمد بن أحمد الشاطري في كتابه « أدوار التاريخ الحضرمي » بما نصه: وقد مات عليه السلام بحضرموت فيما يروي كثير من المؤرخين ، وخاصة في الكتب التي تكلمت عن حضرموت ، وأصبح وجود القبر متواتراً بمحله المعروف، وكانت تقام سوق سنوية في الجاهلية في شعبان في المنطقة التي بها قبره بشرق حضرموت قرب بئر برهوت الشهيرة ، كما أفاد بمثل ذلك المؤرخ صالح بن علي الحامد في كتابه « تاريخ حضرموت » وصلاح البكري وغيرهم .

شيوخه

شيخ الإسلام الإمام عبدالله بن عمر الشاطري

بالنقل عن ولده العالم سالم بن عبدالله بن عمر الشاطري (١)

هو الداعي إلى الله الحبيب عبدالله بن عمر بن أحمد بن عمر بن أحمد بن علي بن حسين بن محمد بن أحمد بن عمر بن علوي الشاطري .

---

(١) هو العالم العلامة الحجة سالم بن عبدالله بن عمر بن أحمد الشاطري، أُطلق عليه لقب «سلطان العلماء»، ولد في تريم عام ١٣٥٨ هـ وبها نشأ وطلب العلم، ثم رحل إلى مكة المكرمة وتتلمذ على عالم مكة الإمام علوي بن عباس المالكي، ثم عاد وعمل في حقل التدريس في عدن، ثم مأذوناً شرعياً وخطيباً ومدرساً في مسجد الإمام العيدروس، ثم تابعه الحزب الاشتراكي شأنُه كشأن بقية العلماء، وتم صدمه بسيارة لأحد المغضوب عليهم من أذناب الحزب، ونجا من الموت بأعجوبة إلا أنها كُسرت يده ورجله، وبعد تماثله للشفاء عاد إلى الخطابة فأدخل إلى غياهب السجون، ومكث نحواً من سنة لا يرى النور ولاقى في السجن ما تَلِينُ له جَلاميدُ الصخور . وحينما يَقُصُّ ما جرى له من قبل مسؤول السجن وزبانيته يُصاب المستمع بذهولٍ كبيرٍ يجعله يُحِسُّ أن أولئك تَجَرَّدُوا عن الدين والإنسانية، والعَجَبُ أن ذلك كلَّه دونَ ذنبٍ يُذكر سوى أن المترجَم له ومن على شاكلته قالوا: «ربنا الله» .

ثم قام بالتدريس في رباط المدينة إلى جانب الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط عشر سنوات تقريبا، ثم انتقل إلى تريم، وهو الآن قائم على رباط تريم المبارك إلى جانب أخيه الأكبر الإمام الحبيب الحسن متصدراً مَدْرَسَه الصباحي والكثير من الدروس ومشرفاً على شؤونه أطال الله في عمره آمين .

مولده: ولد رحمه اللّه في مدينة تريم حضرموت عام ١٢٩٠ هجرية في شهر رمضان المعظم .

طلبه للعلم: درس القراءة والكتابة بكُتّاب بارشيد على المَعلمينِ الفاضلينِ محمَّد بن سليمان باحَرمي وابنه عبدالرحمن، ثم لازمَ سيدنا الإمام مفتي الديار الحضرمية الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور والحبيب عبداللّه بن عيدروس بن علوي العيدروس، وغيرهم من علماء تريم، فقرأ في التفسير والحديث والفقه والتصوف وعلوم اللغة العربية وغيرها، واستظهر متوناً عديدةً، من أكابرها متن «الإرشاد» إلى باب الشُّفْعَة .

رحلاته في طلب العلم: رحل إلى مدينة سيؤون وأخذ فيها عن الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي كما أخذ عن غيره من علماء سيؤون، وفي عام ١٣١٠ هـ سافر إلى مكة المكرمة لطلب العلم، وأخذ هنالك عن كثير من علمائها، منهم الحبيب حسين بن محمد الحبشي والشيخ سعيد اليماني وغيرهم، وكان رحمه اللّه يحدث عن نفسه أيام طلبه للعلم بمكة المكرمة بأن نومه كان لا يزيد على ساعتين بين الليل والنهار، وأنه كان يتلقى بين الليل والنهار ثلاثةَ عَشَرَ درساً في التفسير والحديث والفقه والبلاغة والمنطق والقراءات والفلك وعلوم اللغة العربية وغيرها من العلوم ويطالع لها كلَّها .

عودته إلى تريم وتوليه التدريس برباط تريم: عاد المترجَم له إلى تريم عام ١٣١٤هـ ، ولازم التدريس مجاناً في رباط تريم منذ عودته خمسين عاماً تقريباً، وتولى إدارة رباط تريم وتنظيم حلقاته العلمية وتصدَّر دروسه اليومية وغيرها صباحاً ومساءً، وبذل جهده طوال تلك المدة في ترقية الطلبة وكلِّ ما يعود بالنفع عليهم، بل وعلى العباد والبلاد .

وكان طلبة العلم يقصدونه للأخذ عنه من تريم ومن خارجها من أنحاء اليمن، ومن الجزيرة العربية ومن خارجها، ومن إفريقيا وإندونسيا ومَلِيبار وغيرها من الأقطار الإسلامية.

انتشار علمه وعموم النفع به: لقد عمَّ النفعُ بعلم صاحب هذه الترجمة، وانتشر علمه انتشاراً عظيماً قَلَّ أَنْ يضاهيَه أحدٌ في عصره، حتى إنه ما من صُقْعٍ من الأصقاع ولا قُطْرٍ من الأقطار إلا ويوجد فيه الكثير من تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه .

قال سيدنا الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار من أثناء مكاتبة منه لأحد طلبة العلم برباط تريم: وعِلم الشاطري مجرَّبٌ بالانتشار، فقد عَمَّ الأقطار، وجاوة بعيدة المضمار، ومليبار وزنجبار، ودوعن وسواحله من الرأس إلى سَيحُوت وظفار، وإلى حَبّان ومأرب وبَيحان وذَمار . عِلم انتشر، وعمَّ البشر، وانتفع به خلقٌ كثير، وجَمٌّ غفير، وجرى كجري الأنهار، وكُلٌّ اغترف منه بغرفه بكاسه وكفه، فشربوا منه إلا قليلاً، وعاد النفع على القليل والكثير.

وفي الحديث الذي رواه أبو يَعْلَى والبيهقيُّ في «الشُّعَب» بإسنادهم عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ألا أُخبرك عن الأجود الأجود ؟ اللّه الأجود الأجود وأنا أجودُ ولدِ آدمَ، وأجوَدُهم من بعدي رجلٌ عَلم علماً فنَشَر عِلمه، يُبعث يوم القيامة أُمَّةً وحدَه، ورجلٌ جاد بنفسه للّه عزَّ وجلَّ حتى يُقتل» .

تلامِذَته: لقد تخرَّج على يد هذا الإمام العظيم الألوفُ المؤلَّفةُ من العلماء الذين حَصَلَ بِهِمُ النفعُ المتعدي لهذه الأمة، وقد حَدَّثَ أكبرُ أولاد المترجم له الحبيب الفاضل الجليل محمدالمهدي بن عبداللّه الشاطري رحمه اللّه قائلاً: إنا استعرضنا سِجلاّتِ أسماءِ

الطلبةِ الَّذين درسوا برباط تريم منذ بداية التسجيل بالرباط إلى وفاة المترجم له، فبلغ عددهم زُهاءَ ثلاثةَ عَشَرَ ألف طالبِ علم مسجلةً أسماؤهم في تلك السجلاّت .

ومن تلامذته سيدنا الحبيب جعفر بن أحمد العيدروس، ومنهم أولاده محمد مهدي وأبوبكر والحسن، ومن تلامذته أيضاً الحبيب حسن بن إسماعيل الحامد مؤسس رباط عينات، ومنهم الحبيب عبدالله بن عبدالرحمن ابن الشيخ أبي بكر بن سالم مؤسس رباط الشحر، ومنهم الإمام الفقيه الأصولي المحدث علي بن محمد ابن يحيى[1] مؤسس المعهد الديني بغيل باوزير ، ومنهم سيدي الوالد محمد بن عبدالله الهدار مؤسس رباط البيضاء الذي ما زال نشاطه مستمراً، ومنهم الحبيب العالم العلامة محمد بن

---

(١) هو الشيخ المحدث المسنِد علي بن محمد ابن يحيى ، كانت ولادته سنة ١٣٢٥ هـ وتلقى العلم في معاهد حضرموت ، وانتقل للدراسة إلى مصر وأخذ عن جُل علماء الأزهر، ونال الشهادة المسماة «البراءة الملكية » وهي أعلى شهادة حينذاك، وعاصر المحدث عبد اللّه بن الصديق الغماري والشيخ حسن البنا وآخرين ، وكتب في بعض المجلات الإسلامية مثل مجلة «الإسلام» بعض المقالات الحديثية المفيدة، ثم عاد إلى بلده وأسس معهداً في غيل باوزير بحضرموت. وألف كتباً كثيرة مفيدة منها: « الأدلة القاطعة على عموم رسالة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم » ، « الفجر الصادق في أنَّ حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» صحيح صادق » ، قرر فيه بتوسع صحة الحديث المذكور بالأدلة الواضحة ، « وجوب التحول إلى حسن الظن بالمتوسل » ، وهو كتاب كبير حقق فيه الموضوع بتوسع مع مسائل أخرى تتعلق به ، «هداية المتخبطين » ، وهو نقد وتعليق على رسالة الألباني في التوسل، وهو مفيد في بابه، طبع في سنغافورة الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ هـ ، « تحقيق البدعة » ، وهو كتاب نفيس في بابه، بين فيه حقيقة البدعة وما يتعلق بموضوع البدعة، وهو من آخر مؤلفاته ، واستمر ينشر التعاليم الإسلامية في اليمن إلى أن وافته المنية سنة ١٤١٠ هـ بالمكلا، ودفن بمقبرة الشيخ يعقوب رحمه اللّه تعالى.

سالـم بن حفيظ، وقد ترجم لشيخه المذكور ترجمةً مطوَّلةً سمّاها «نَفْحَ الطِّيب العاطِرّي من مناقب الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري»، وتقع في مجلد ضخم مخطوط.

ومن تلامذته كذلك الشيخ محفوظ بن عثمان الذي لازم التدريس في رباط تريم نحواً من سِتِّينَ عاماً تقريباً، ومنهم العلامة الفقيه الكبير أحمد بن عمر الشاطري مؤلِّف كتاب «الياقوت النفيس» بطلبٍ من صاحب الترجمة، ومنهم ابنه العالم العلامة الكبير محمد بن أحمد الشاطري، ومنهم الشيخ العلامة محمد بن سالم البيحاني الكدادي[1] العدني «مؤسس المعهد الديني بعدن» ، وله قصيدة يمدح فيها شيخه المترجم له منها قوله:

وشيخي وأستاذي الذي في ظلالِه	نَشَأْتُ وأعطاني الكثيرَ ومـا منّا
هو الشاطريُّ العالـم العاملُ الذي	تَعَلمتُ من تقريره الشرحَ والمتنا
إذا مـا بَكَـتْ عيـني عليـه لآلئـاً	فذلك مما كان يَحْشُو به الأُذنا
قضى زمناً في خدمةِ العلـم رافقـاً	بنـا في ربـاطٍ لا يُشـابهه مبنـى
ودرسانِ في الأسبوع تَحْضُرُ فيهما	تريمٌ من الأطراف والبلدِ الأسنى
ويجلسُ للتدريسِ سَيِّدُ قَومِـه	عليه سَناءُ البدر إنْ لم يَكُنْ أَسْنَى

(١) هو الشيخ محمد بن سالم الكدادي البيحاني، ولد في بيحان سنة ١٣٢٦ هـ، ودرس دراسته الأولى في بلدته، وكان زميلاً للجد عبدالله الهدار بن شيخ حيث ذهب إلى بيحان للدراسة لدى الشيخ سالم الكدادي، وقد رحل المترجم له إلى حضرموت، وأخذ عن جل علمائها ومنهم شيخه المذكور، ثم عاد إلى بيحان وانتقل إلى عدن، ثم أرسل في بعثة إلى مصر للدراسة بجامع الأزهر، فتخرج منه سنة ١٣٦٢ هـ، ثم عاد إلى عدن، واشتغل بالتدريس والوعظ، ويعد من كبار علمائها ومصلحيها، وبعد مضايقة السلطة الشيوعية له انتقل إلى تعز وفيها توفي ١٣٩١ هـ ، من مؤلفاته «الفقه البسيط» ، «إصلاح المجتمع» ، «أستاذ المرأة».

ولستُ بِراءٍ حولَه غيرَ أَنْجُمٍ　　تُضِيءُ على الدنيا وتملؤُها حُسْنا

سيرته وبعض مناقبه: كانت سيرته وطريقته هي طريقة أسلافه، مقتدياً بهم في أقواله وأفعاله، وكان شديد النكير على كل من يخالف السلف الصالح في سلوكه أو لباسه، وعلى كل من يخوض فيما جرى بين أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، أو سَبَّ أحداً منهم، وكان شديد الاتباع لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، مجتهداً في عبادة ربه عز وجل، غزيرَ الدمعة من خشية اللّه، صبوراً على تلامذته وعلى تعليمهم، مشجعاً للدعوة إلى اللّه ونشر العلم، جَمَّ التواضع مَيِّتَ النَّفْس، مُرَبِّياً مُسَلِّكاً لكل المرتبطين به رحمه اللّه .

بعض كلامه ومؤلفاته: جَمَعَ كلامَه المنثور في مجلدٍ تلميذُه وابنُ أُخْتِه السيد عبدالرحمن بن حامد السري، وكتب أيضاً من كلامه الحبيب محمد بن عبداللّه الهدار وجمع السيد عبدالرحمن المذكور رحلاته إلى دوعن والمكلا وغيل باوزير، كما أَلَّف المترجَم له رسالةً في النحو سماها «العقود اللؤلؤية» لمتممة الآجُرُّومِيّة أكملها تلميذه الحبيب العلامة محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وله ديوان منظوم طبع بمصر، ولقد عزم على الاشتغال بتأليف بعض الكتب والفتاوى، فنهاه شيخه الإمام الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وقال له: «أَلِّفْ علماءَ يؤلفون الكتب» أو ما معناه كما اشتهر ذلك عنه رحمه اللّه.

بعض كلامه المنظوم: من كلامه في الحَثِّ على اتِّباع السلف الصالح في أثناء قصيدةٍ مطلعها «قال الفتى برق العوافي برق» إلى أن قال:

من لارغب في سيرة أهله حمق　　لابد ماياندم ويشتق

من خالف الأسلاف سيره زلق　　حذرك تخالفهم فتزلق

ومن كلامه في الحث على ترك شرب التنباك في أثناء قصيدته الكافِيّة التي مطلعها:

يـا تائِهـاً في الغَـيِّ مـن أعماكـا ... وبحُـبِّ هـذي الـدارِ مَـن أغراكـا

تَسْتَحْسِنُ التنبـاكَ في فِيـكَ وتَسـْ ... ـتَحْيِـي بـأَنْ تسـتعملَ المسـواكا

والشرعُ ثـم الطِّـبُّ قـد نَهَيـاك عـن ... فعـلِ الأذى وبفعـلِ ذا أَمَراكـا

لـو كنـتَ تَعْكِـسُ في القضيـةِ كـان أَوْ ... لى منـكَ لكـنَّ اللعـينَ غَواكـا

فلَكَـمْ أَضَعْـتَ بـهِ نفيسَ المال لـو ... أَنْفَقْتَـهُ يـا صـاحِ في أُخراكـا

مـا ينبغـي لـكَ يـا ابنَ طه تَرْتَضِي ... خُلُـقَ اللئـامِ وشُـؤْمَها يغشـاكا

أتُـراكَ تَفْعَلُـهُ وجَـدُّكَ حـاضِرٌ ؟ ... لا والـذي مِـن نُطْفَـةٍ سَـوّاكا

إلى آخر القصيدة، ومن كلامه في ذم التشبه بالأجانب:

وخَلَعْتَ جلبابَ الحياءِ وقلتَ: ذا ... حُرِّيَّـةٌ، أخطـأتَ في مَرماكـا

ورَفَضْتَ ما دَرَجَ الكرامُ عليه مِن ... سِـيَرٍ وأخـلاقٍ وقَـلَّ حَياكـا

ورَغِبْتَ في زِيِّ الأجـانبِ مُعْجَبـاً ... بحُـلاهُ واسـتقبحتَ زيَّ أباكـا

إني لأعجبُ منـك تُؤْثِـرُ هيكـلَ الـ ... أعـدا وتَنْبُـذُ ضِـدَّهُ لِسِـواكا

وتَظُـنُّ أنَّـك فيـكَ إنسـانِيَّةٌ ... كـلاّ فمـا حـامَتْ أخـي بحِماكـا

إلى آخر القصيدة، ومن كلامه في ذم الجهل والحث على طلب العلم:

كمْ من ولد شاب يتمايل بثوب المفـاخر ... يعجبك لا قد خطـر

وهو مـن العلـم مفلس مـاعرف للأوامـر ... ولاقـرا «المختصـر»

ظن الشرف في الملابس والكسـا والتكـاثر ... واللقلقـة والهـذر

لا والنبي إن في ذا الحـال كـل الخسـائر ... وفيـه كـل الضـرر

ومن كلامه في عتابِ تلميذٍ هَجَرَ شيخَه في أثناء قصيدة مطلعها:

أيهـا الطـالب الراغـب عـلام تجـافيك

بعـد مـاكنت بـالوصفين ظـاهر تحليـك

إلى أن قال:

مـــاالذي أوجـــب الفرقـــة وأوجـــب تقـــاصيك
هو كســـل أو ملـل أو هـو هـوى النفس تطغيـك
أو جليـــس البطالـــة ذاك أعـــدا أعـــاديك
لي ينفـــرك عـــن طـــرق المعـــالي ويقصيـــك
لايغشـــك جليـــس الســـوء في البعـــد يرميـــك
فانـــه الســـم فـــاحذر أنـــه أعيـــا مداويـــك
ذا زمـــن عيـــف مـــن تصلـــح مســـاعيه يؤذيـــك
ذا زمـــن عيـــف مـــن تكرمـــه بالعلـــم يقليـــك
مـــن تشـــيد لـــه المبنـــى يهـــدم مبـــانيك
مـــن ســـقيته عســـل صـــافي مـــن المـــر يســـقيك
أيهـــا الطـــالب اســـتيقظ وجـــانب تقـــاصيك
فانهـــا أخـــلاق عيفـــه ليـــس نرضـــى بهـــا فيـــك

إلى آخر القصيدة .

وفاته: ابتدأ مرض الحمى به رحمه اللّه من يوم الخميس من شهر ربيع ثـاني عـام ١٣٦١هـ، وما زال يزداد به المرض مع محافظته حـال المرض على أداء الصـلاة في جماعة، وقد يأمر بالقراءة عليه والسماع بين يديه، حتى انتقل إلى رحمة اللّه تعالى ليلـة السبت ٢٩ جمادى الأولى ١٣٦١ هـ ، وصلى عليـه إمامـاً الحبيـب علـوي بـن عبداللّه بن شهاب الدين، مع حضور الجمِّ الغفير عصر يـوم السبت، وتكلـم قبيـل الصلاة عليه، وأثنى عليـه ثنـاءً عظيمـاً، ودفـن في مقـبرة زنبـل، وقـد أَبَّنَـه الكثـيرُ مـن تلامذته، منهم الحبيب العالـم العلامة محمد بن أحمد الشاطري وغيره نظماً ونثراً، وممَّن

أبَّنه من علـماء حضرموت الإمام عبدالرحمن بن عبيدالله السـقاف[1]، قـال رحمـه اللّـه فيما كتبه عن المترجَم له: لقد ذَهَبَتِ الفُحُول، ومات العُدُول، ولـم يَعْظُـمِ الـرِّزْءُ بهـم عِظَمَهُ بثلاثةٍ فيما شاهدتُ، أَوَّلُهم سيدي الأبـرَّ الحبيـب عيـدروس بـن عُمَـر، وثـانيهم مؤلِّف «البُغْيَة» الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور، وثالثهم الفقيد .

وهنا نذكر نزراً من تاريخ مدينة تريم المباركة:

تَرِيمُ مَدِينَةُ العِلمِ والعُلَماء

هي إحدى مدن حضرموت، سميت باسم تَرِيم بن السَّكُون بن الأشرس بن كِنْـدَة، وفي كتاب «النسبة إلى مواقع البلدان» لابن مخرمة: تَرِيمُ -بالفتحِ وكسرِ الراء وسـكون التحتية ثـم ميمٍ- مدينةٌ قديمةٌ بأرض حضرموت، يقال: إن أول مـن عمرهـا تَرِيـمُ بـنُ حَضْرَمَوتَ بنِ سبأ الأصغر، وقد خرج منها علـماء وفقهـاء فضـلاء ومشـايخ أجـلاء، منهم الفقيه يحيى بن سالـم بن أَكْدَر، والفقيه علي بن أحمد بُكَير، وتُوُفِّيا معـا في سـنة ٥٧٧ هـ ، كذا قال القاضي مسعود، وأظنهمـا قُتـلا في تلـك السـنة في فتنـة الزنجيلـي الأمير الذي كان بعدن، فلـما علـم بوصـول السـلطان طغتكـين بـن أيـوب مـن مصـر

---

(١) هو العلامة الكبير عبدالرحمـن بـن عبيداللّـه بـن محسـن بـن علـوي السقاف، ولـد بسيؤون حضرموت سنة ١٣٠٠ هـ ، وهو المجدِّدُ لهذا القـرن والـمتقدِّم علـى علـمائه، وكـان مفـتي حضرموت، وقد تربى على والده الذي أحسن تربيته، حفظ القـرآن عـن ظهـر قلـب، ومـن مشايخه الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والعلامة الفقيه علوي بن عبدالرحمن بـن علـوي، له مؤلفات كثيرة منها «صَوْبُ الركام» في الفقه و «بضـائع التـابوت في تـاريخ حضرمـوت» و«بلابل التغريد في حل مشكلات التجريد»، وله ديوان شعر كبير يزيد علـى جزءيـن، تـوفي سنة ١٣٧٥ هـ بسيؤون .

واستيلائه على زَبِيد وأعمالها خـرج خوفاً منـه إلى حضرمـوت، فَقَتَل بهـا جمعاً مـن العلـماء والفضلاء .

قال القاضي مسعود: ومنهـم الفقيـه سالـم بـافضل صـاحب الذيـل علـى «تفسـير القشيري»، والفقيه شرف الدين أحمد بن محمد بن صفح والد السَّبْتي صـاحب «شـرح التنبيه»، والفقيه أحمد بافضل، والفقيه الزاهد علي بن محمد بن يحيى بن حاتـم، والفقيه علي بن أحمد بامروان، والفقيه جمال الدين محمد بن علي باعلوي، والفقيه عبداللّه بـن عبدالرحمـن بـاعبيد صـاحب «الإكمـال لـما وقـع في التنبيـه مـن الإشـكال»، والفقيـه محمد بن أحمد بن أبي الحِبِّ المتوفى سنة ٦١٢ هـ .

وفي تريم علـماءُ وعبادٌ وزهادٌ لا يُحْصَون، ومقبرتها مشهورةُ البركـة، ومدفـونٌ في جَبّانة تريم أربعون من أهل بدر . انتهى كلام القاضي مسعود .

وفيها جمعٌ من السادة الأشراف آل باعلوي كالشيخ عبدالرحمـن السقاف وأولاده وحفدته وغيرهم خلقٌ لا يُحْصَون .

ولـما وصل الشيخ علي بن عبدالرحمن بن عبداللّه بن أسعد اليافعي إلى حضرمـوت ورأى ما فيها من الصالحين الأحياء والأموات أنشد:

مَرَرْتُ بـوادي حَضْرَمَـوْتَ مُسَلِّـماً … فأَلْفَيْتُـهُ بالبِشْـرِ مُبْتَسِـماً رَحْبـا
وأَلْفَيـتُ فيـهِ مِـن جهـابذةِ العُلـى … أكـابرَ لا يُلْقَـوْنَ شـرقاً ولا غربـا[1]

ومِمن يُنسب إليها من فضلاء المتأخرين شيخنا محمد بن أحمد فضل التريمي وتلـميذه عفيف الدين عبداللّه بن عبدالرحمن بافضل التريمي . انتهى كلام ابن مخرمة .

---

(١) وللـمؤرخ المحقق عبداللاه بن حسن بلفقيه رسالة شرح فيهـا هذيـن البيتـين بتوسـع، رقمـت على الآلة الكاتبة بعنوان « بحث في التاريخ المعاصر » .

أما نشوان بن سعيد الحميري فقد تكلم عنها في شعره، وكان قد نزل بها فترةً من الزمن حينما التجأ إلى السلطان عبدالله بن راشد بن قحطان الحميري، وبعد أن ارتحل عنها أرسل إلى إخوانه الذين نزل عليهم في مدينة تريم متشوقاً إليهم قوله:

رعى اللّه إخواني الذينَ عَهِدْتُهُمْ ... ببطنِ تريمٍ كالنجومِ العوائمِ
علياً حليفَ النجدةِ ابنَ محمدٍ ... وإبنا أخيهِ الغُرِّ أبناءُ حاتمِ
ومَن في تريمٍ من فقيهٍ مُهَذَّبٍ ... وسيدِ أهلِ العلمِ يحيى ابنِ سالمِ

إلى أن قال:

أولئكَ أهلُ الفضلِ في ظِلِّ فاضلٍ ... عظيمٍ من الأملاكِ عالي الدَّعائمِ
أَنِسْتُ بهم من سالفِ الدهرِ بُرْهَةً ... فكانتْ لياليها كأحلامِ نائمِ
وفارقتُهم كَرهاً ونارُ فراقِهم ... تَأَجَّجُ ما بينَ الحَشا والحَزائِمِ
وهل لزمانِ الوصلِ بالوصلِ عودةٌ ... وهيهاتَ ليس الصَّدْعُ كالمتلائمِ
ألا هل لأيامٍ تَقَضَّيْنَ رَجْعَةٌ ... أَوَ ابكي عليها بالدموعِ السَّواجِمِ ؟
لإَنْ بَعُدَتْ أجسامُنا فقلوبُنا ... بها الوُدُّ باقٍ غيرُ واهي العزائمِ
سلامٌ عليكُمْ مِن صديقٍ بقلبِه ... جِراحُ فِراقٍ ما لها من مَراهِمِ

أما ياقوت الحَمَويّ فقد قال في كتابه «معجم البلدان»:

[تريم] اسمُ إحدى مدينتي حضرموت؛ لأن حضرموت اسمٌ لناحيةٍ بجملتها، ومدينتُها شِبامٌ وتَريمٌ، وهما قبيلتانِ سُميتِ المدينتانِ باسميهما، قال الأعشى:

طالَ الثَّواءُ على تَريـ ... ـم وقد نَأَتْ بَكْرُ بنُ وائِلْ

وقد تكلم كثيرٌ من المؤرخين عن تريم وعن علمائها الأجلاء إلا أنَّا لا نستطيع حصرهم لكثرتهم، منهم ياقوت الحموي كما أسلفنا، والإمام محمد بن علي خرد في «الغرر»، والمغربيُّ في «رحلته»المشهورة، والشَّجّار الأَحسائِيُّ في «تثبيت الفؤاد»،

وابن سميط في «غاية القصد والمراد»، والحبشي في «شرح العينية»، والشِّلِّيُّ في «المشرع»، وزَبارة في «نيل الوطر»، وابن عبيد الله في كتبه، والأستاذ محمد بن أحمد الشاطري في «أدوار التاريخ الحضرمي»، والبَيحاني في «ديوانه»، والأمير شكيب ابن أرسلان في تعليقاته على «حاضر العالم الإسلامي»، والزِّرِكْلِيّ في «الأعلام» وغيرهم.

وممن ذكرها في هذا العصر الشاعر الكبير أبوبكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين بعد أن ذكر مدن حضرموت فقال:

سيما تريمُ الخيرِ سِدْرَةُ منتهىً ... مَسْرَى العِطاشِ إلى الغزيرِ الوابلِ
بَلَدٌ مُقَدَّسَةُ العِراصِ كثيرةُ الـ ... بركاتِ والخيراتِ للمتناوِلِ
فَلَكٌ تَدُورُ به بُدورُ بني الرِّضى ... ونجومُ أَكْدَرَ والفريطِ الحافلِ
حَرَمُ الديارِ الحضرميةِ مَطْلَعُ الـ ... أقمارِ للثَّاوي بها والنازلِ
تَزْهُو مساجدُها بأنواعِ العبا ... دةِ مِن مُؤَدٍّ فَرْضَهُ والنافلِ

إلى أن قال:

لاهُمَّ زِدْها رِفْعَةً وكرامةً ... واغْمُرْ بنيها بالندى المتواصلِ

وهنا نتعرض لذكر مرحلة الطلب لسيدي الوالد رحمه الله في هذه المدينة المباركة وفي رباطها الميمون:

مَرْحَلَةُ الطَّلَبِ لسَيِّدي الوالدِ رَحِمَهُ اللهُ في رِباطِ تَرِيم

قال رضي الله عنه: وحينما كنتُ في رباط تريم وبعد مضيٍّ سنتين لم أشعر بالوالد رحمه الله إلا وهو يرسل قصيدةً لشيخ الإسلام عبدالله بن عمر الشاطري يطلب منه السماح بسفري وهي:

ما بالُ زينبَ والربا ... بِ وربَّتِ المِقْلِ السَّواحِرْ

سَـبَتْ الفـؤادَ ومـا السِّبا ... بُ يزَيـنُ أربـابِ المفـاخرْ

هَجَـرَتْ ومـا الهجـرانُ إلا ... لـمنْ يَكُـنْ بـالعهدِ فـاجرْ

يـا سَـعْدُ قُـل لي: هـل تعـو ... دُ لنـا مَسَـرّاتُ الخواطـرْ ؟

وتَسْـتَقِرُّ بنـا الدِّيـارْ ... ويَظَـلُّ فيهـا الأُنْـسُ عـامِرْ

يـا سـعدُ هِيهـاً غَـنِّ لي ... مِن مُعْرَبِ الخَنسا تـماضِرْ(١)

وتَرَقَّـبِ الرَّكْـبَ الحثيـ ... ـثَ إلى بَلَـدْ نُـورِ البصـائرْ

يـا راحلـينَ إلى الحبيـ ... ـبِ بكـلِّ شَـيْبُوبٍ وضـامرْ

رُدُّوا علـيَّ مُهْجَـتي ... والقلـبُ صُحْبَتَكُـمْ مسـافرْ

حتـى إذا دَنَـتِ الديـارْ ... ولاحـتَ انـوارُ البشـائرْ

زُفُّـوا فـؤادي بينكـمْ ... حتـى يُشـاهِدَ ظَـبيَ عـامِرْ

وتَرَفَّقُـوا بـهْ وارْفِقُـوا ... وحَـذارِ مـن كَسْـرِ الخواطـرْ

فـإذا وَجَدْتـم للفـؤا ... دِ فُـلاذَةً بـينَ الجواهـرْ

ضُمُّـوا الفـؤادَ إلى الفـؤا ... دِ وحَسْـبُكُمْ نَظَـرٌ ونـاظرْ

وهنـالك اجتـمع السـرو ... رُ وفـاحتِ النَّفَـحُ العواطـرْ

وهنـاك مجتـمع الشَّـتا ... تِ ومنتهـى غَـرَضِ الخواطـرْ

حيـثُ الإمـارةُ والـوزا ... رةُ تحـتَ رَأْيِ مَليـكِ شـاطرْ

الأكـرمُ ابـنُ الأكرمـيـ ... ـنَ ومَن حوى كـلَّ المفـاخرْ

---

(١) هي تـماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحيـة السلـمية، أشـهر شـواعر العـرب ، أدركت الإسلام فأسلـمت ووفدت على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآلـه وسلـم مـع قومهـا يستنشدها ويعجبه شعرها ، وكان يقول لها الرسول صلى اللّه عليه وآلـه وسلـم: « هيـه يـا خنساء» ، لها ديوان شعر، وكان لها أربعة بنـين شهدوا معركة القادسـية ، فجعلـت تحـرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعاً ، فقالت: «الحمد للّه الذي شـرفني بقتلهـم» ، توفيـت سـنة ٢٤ هـ .

يـا شـاطري إنَّ الشَّـطا رةَ خـيرُ مـشراةِ المتـاجرْ

إنـي وقفـتُ ببـابكم ورَجَـوْتُ رَجْـوَى كـلِّ زائـرْ

وغرسـتُ في تربـةِ نَـدا كُـم غُصـنَ نِعمـتيَ المهـاجرْ

ولـدي ومَـن حَرَّرْتُـهُ [(١)] مِـن قبـلِ تُدْرِكُـهُ العنـاصرْ

حَرَّرْتُـهُ قبـلَ الوجـودْ ببطـنِ جوهـرةِ الحرائـرْ

ورجـوتُ مـن مَلِـكِ الملـو كِ لوالـدِهْ محـوَ الجرائـرْ

ولأُمِّـهِ وجُـدودِهِ ولـمن لـه أضحـى معـاصرْ

والآنَ لا يَخْفـاكُمُ أَلَـم الفـراقِ ومـا يُخـامِرْ

فـإذا ارتـوى مـن شُـربكمْ وسَمَحْتـموا لـه أن يسـافرْ

فـإليكمُ أمـرُ الجميـع بكـم غـدا المكسـورُ جـابرْ

إنَّ المشـيبَ ترادفـتْ حَلَقاتُـهُ والطَّـرْفُ سـاهِرْ

فعسـى السـلامةُ والكرامـةُ والبعـادُ عـن المنـاكرْ

مِـن وقـتٍ فيـه غـدا الكريـمُ يصيـحُ مـن وقـعِ الحوافـرْ

يشـكو مـن الهَمَـجِ الرِّعـاعُ لغـيرِ منصـورٍ ونـاصرْ

صَـدَقَ الرسـولُ بوعـدِهِ وبقـى اليسـيرُ مـن الأشـائرْ

صَلـى إلـهُ العالميـنَ عليـهِ والآلِ الأطـاهرْ

قال: ولـم يأذن لي بالسفر، وإنما ناقشني حينها عـن سبب مجيئي مـن تلـك البـلاد البعيدة لطلب العلـم . قال: فقلتُ: كان الوالـد يشـوقني لطلـب العلـم لديكـم، قـال:

---

(١) يقصد بذلك أنه حرره لله وهو حمل في بطن أمه .

وهل هناك سببٌ آخر ؟ قال: فتذكرتُ رؤيـاً رأيتُهـا كـانت مـن أهـم أسباب مجيئي لطلب العلـم، فقصصتُها عليه رضي اللّه عنه .

وقد أفادنا رحمه اللّه بأنه من أكثر الطلاب نفعاً في الرباط، لا يَرُدُّ لشـيخه المذكـور طلباً، وأنه كان يقول: مَن نَفَعَ في الرباط نفع اللّه به، وكـان يُوكِـل إليـه المراقبـةَ علـى الطلاب وتفقُّدَ أحوالهم وشؤونهم، وبالذات في غيابه أثناء رحلاته للدعوة إلى اللّه .

وفي أثناء طلبه للعلـم في تريم رحل إلى دوعن للأخذ عن شيوخها، وفي ذلـك قـال رضي اللّه عنه: حدا بنا العزم لزيارة منطقة دوعـن، فاتجهنـا إليهـا وزرنـا مـن بهـا مـن الصلحاء، وقصدنا القويرة وزرنا سيدنا الحبيب مصطفى بن أحمد المحضـار[1]، والجديـر بالذكر أن الصِّلات والـمودةَ جاريةٌ بين الأسرتين وإن بَعُدَتا ونَأَتا، فقـد طلـب العلـم لدى الحبيب أحمد بن محمد المحضار السيد أحمد بن صالح [2] بن محسـن بـن علي من

---

(١) هو الحبيب مصطفى بن أحمد بن محمد المحضار، كان على جانب عظيم من الصلاح والزهـد والعبادة، وكان مقصداً لطلاب العلـم، مُكرِماً للضيف، له مكاتباتٌ قيمـةٌ وبليغـةٌ تنبـئ عـن مدى ما يتحلى به من علـم وافر، واستـمر على ذلك في بلدته القويرة بدوعن حتى توفاه اللّه ١٣٧٢ هـ، ورَثاه كثيرٌ من العلـماء والأدباء، منهم مفـتي حضرمـوت الإمـام عبدالرحمـن بـن عبيداللّه السقاف، والشاعر حسين بن محمد البار وغيرهم .

(٢) هو العلامة الجهبذ، والعلـم الأشهر صالح بن محسن بن علي بـن صـالح، سـكن منطقـة عـزة، واستـمر فيها مرشداً وداعيـاً إلى اللّـه، وقـام بمسـجد الحبيـب أحمـد بـن الحسين ابـن الشـيخ أبي بكر بن سالـم في الصافية بعزة، نقلتُ عنـه كثيرا مـن المعـارف والعلـوم، ومـن إجازاتـه لطلابه صباحاً ومساءً نقلاً عن الحبيب أحمد بـن علي جنيـد الـتريمي حينمـا أخـذ عنـه بمكـة المكرمة: بسم اللّه الرحمن الرحيم ولا حول ولا قـوة إلا باللّـه العلي العظيـم (عشـراً) . رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري (عشراً) . رب إني لـما أنزلت إليَّ من خير فقير (عشـراً) .

عَزَّة أحد أفراد الأسرة، ومكث لديه فترةً من الزمن، ثـم عاد إلى موطنه ينشـر التعـاليم الإسلامية، ثـم اتجَّه لأداء فريضة الحج ومات في جُدة رحمه اللّه، إلا أني لـم أعثر علـى تاريخ وفاته، ولعلها في حدود ١٣٣٠ هـ .

كما نزل ضيفاً على الوالد الهدار بن شيخ شـقيقُ الحبيـب مصطفـى، وهـو الحبيـب حامد بن أحمدَ بن محمد المحضار حين مروره لزيارة الإمام، وقـد تـرك مشـهداً أثريـاً في عزة لا زال معروفاً إلى يومنا هذا يسمى مشهد المحضار .

وأفاد الوالد رحمه اللّه أن الحبيب مصطفى المحضار استقبلهم بحفاوةٍ بالغـةٍ، وتكلـم عن كرمه الواسع في تلك الأيام التي حصلت فيها مجاعةٌ كبيرةٌ، ومات فيها خلقٌ كثيرٌ، وهي فترة الحرب العالـمية الثانية، ويفيد أنه باع كثيراً من ممتلكاته لكي يُكرم ضيوفـه، ومن دوعن عاد الوالد ومرافقوه إلى رباط تريم، وفي أثنـاء الطريـق حصـل لـه مـرض، وإذا به يزداد حتى وصل هو ومرافقوه إلى رباط تريم، ويتضح لأهل تريم أنـه مُصـابٌ بالجدري فيَدُبُّ الذعر في كثير من الأهالي، ووصل بعـض الأعيـان إلى الربـاط وطلبـوا خروجه إلى منطقة نائية، غير أن الطلاب وقفوا وقفةَ رجلٍ واحدٍ، واستـمر في الربـاط حتى شفاه اللّه سبحانه وتعالى، ولـم يُصَبْ أحدٌ بأذى .

رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين (عشراً) . اللّهم صل علـى سيدنا محمـد بـن عبداللّـه القائم بحقوق اللّه ماضاقت إلى فرجها اللّه (عشراً) .

واستـمر على ذلك الحال حتى وافته المنية بعزة ودفن بجوار مسجد الصافيـة ، ولـه ذريـة بها، ولـم أعثر على تاريخ وفاته، غير أنهـا لا تعـدو أن تكـون في أوائـل القـرن الرابـع عشر الهجري.

الحبيب عَلَويّ بن عبدالله بن شِهابِ الدّين

هو الإمام الواعظ الزاهد علوي بن عبداللّه بن عيدروس بن شهاب الدين، عالم العلماء وزاهدهم، وحيد عصره وفريد دهره، ولد في تريم سنة ١٣٠٣ هـ وبها نشأ وتربى، ولازم شيخه مفتي الديار الحضرمية الإمام عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور مرجع العلماء في حضرموت آنذاك، وكان شيخه يُجِلُّه كثيراً ويتفرَّس فيه أنه سيكون له شأنٌ كبيرٌ، وقد حقق اللّه له ذلك فأصبح شيخ علماء حضرموت قاطبةً، وبعد وفاة الإمام عبداللّه بن عمرالشاطري تصدر للتدريس وللمجالس العامة في تريم، وقد كان إلى جانب علمه الواسع كثيرَ العبادة كثيرَ التوجيه والإرشاد بمواعظَ نادرةٍ تَقْرَعُ القلوب، وربما ارتفعت الأصوات بالبكاء والحنين من الحاضرين في مجالسه في أثناء وعظه .

وقد أخذ عنه سيدي الوالد كثيراً من المعارف والعلوم، وكان يتردد لزيارته كل سنة بعد سفره من حضرموت، كما أنه كان يجِلُّه ويُقدِّره كثيراً، ويعتقد أنه مستجابُ الدعوة حتى أخذني بصحبة أخي الحسن لزيارته ونحن في العقد الأول من أعمارنا، وكان يقول لنا: اِحْفَظا من كلامه الذي كان يَتَكَلم به أثناء المذاكرة .

قال رضي اللّه عنه: كنتُ أذهبُ عنده قبل الفجر إلى مسجد الماس الذي يتهجد به، فإذا بالنور يُشرق من وجهه وكأنه قطعة قمر . انتهى بمعناه .

وقد مدحه الوالد بقصيدة كتب قبلها ما لفظه: الحمد للّه على نِعَمِه المتوالية، وأياديه الظاهرة والخافية، وألطافه الخفية السارية، وصلى اللّه وسلم في كل لحظة أبداً أفضل صلاة وأزكى سلام على المشفَّع في كل مهمة، والمرجوِّ لكل مُدْلَهِمَّة، وآله الأئمة، بُدورِ الدُّجُنَّة، حِدادِ الأَسِنَّة، وأصحابه الأبطال، وتابيعهم الأبدال، وعلى

وارث علومهم، وحامل أعلامهم، وحاوي أسرارهم، وعاصب أقسامهم، بدر الكمال المشرق، في ظلام الجهل الحالك المحرق، وغصن الأسرار المثمر المورِق، في زمنٍ مضى فيه الصدق وأهل الصدق، من أحيا به اللّه مَوات العلوم ودوارِسَ رسومِ سيرِ أكابرِ القوم:

فلْتَفْخَرِ الغَنّا بقُطْبِ زَمانِها — بحرِ العلومِ الواسعِ المتَدَفِّقِ

بإمامِها الماحي ظلامَ قَتامِها — وشهابِها بدرِ الكمالِ المشرقِ

حاوي فضائلِ مَن مضى من أهلها — وربيعِها الغيثِ الغزيرِ المغْدِقِ

يا وارثَ القومِ الكرامِ وكاشفَ الـ — كُرَبِ العظامِ ونورَ كلِّ مُوَفَّقِ

يا غوثَ كلِّ مُفَزَّعٍ وغِياثَ كُـ — ـلِّ مُؤَمِّلٍ في مغربٍ أو مشرقِ

أنت الملاذُ بأمرِ ربك والعيا — ذُ لأهلِ وقتِك كاذبٍ ومصدقِ

عبدٌ على أعتاب فضلك مُذْنِفٌ — حيرانُ في ظُلماتِ بحرٍ مغرقِ

ففؤادُه في قَسْوَةٍ وذنوبُه — في كثرةٍ والفعلُ غيرُ موفقِ

وَصْفُ المنافقِ وصفُهُ ولقد تَضا — عَفَ ضِعفَه والشَّيبُ لاح بمَفْرِقِ

أيامُه ذهبتْ سُدًى لم يأتِهِ — منكم هُدًى يجلو صداهُ لِيَرْتَقِي

يا لَيتَهُ قد ماتَ طفلاً لَيتَهُ — قد كان نَسْياً لَيتَهُ لم يُخلَقِ

يا ذُخرَ كُلِّ عظيمةٍ ومُزِيحَ كُـ — ـلِّ بَلِيَّةٍ عطفاً على العبد الشقيْ

أَوْدَتْ به غَفَلاتُهُ لَعِبَتْ به — شَهَواتُهُ أَخَذَتْ عليه بمخنقِ

فحياتُه ونجاتُه في نظرةٍ — من عينِ مولاهُ الرحيمِ المشفِقِ

قُمْ نائبَ الأسلافِ واحلُلْ قَيدَهُ — وافتحْ فَدَيْتُكَ كلَّ بابٍ مغلقِ

وانظرْ إليهِ نظرةً نبويةً — عَلَوِيَّةً يَرْقَى بها مَعْ مَن رَقِيْ

يَشْرَبْ شرابَ العارفينَ ويصطبحْ — مِن راحِه وإذا انثنى فليغبقِ

مَن غيرُكم للنائباتِ ومَن سِوا — كم للكروبِ وكُلِّ خَطْبٍ مُقْلِقِ ؟

هيا كرامَ الحي هل من غارةٍ   للمستغيثِ المستجيرِ الموبقِ

هيا ارحموا هيا ادركوا هيا انقذوا   مَن صار في حِلَقِ المضيقِ الضيِّقِ

مالي سواكم منقذٌ مالي سوا   كم مُدْرِكٌ فبكم ألوذُ وأَتَّقِي

باللّه باللّه العظيمِ عليكمُ   أَنْ تُلْحِقُوني خيرَ حزبٍ أَلْحَقِ

مَن للفقيرِ سواكم ؟ مَن للضعيـ   ـفِ سِواكُمُ مَن للأسيرِ الموثَقِ ؟

ولنا وأهلينا وأهلِ وِدادِنا   ظَنٌّ بكم مِن كلِّ مكروهٍ بقي

ولنا مطالبُ جَمَّةٌ ولنا مآ   رِبُ كَثْرَةٌ لابد مِن أَنْ تلتقي

قلْ: تم ما رُمْتم، وزِدْنا فوقَه   أضعافَ ذلك ثم فتحٍ مطلقِ

يا حاملَ الأثقالِ لفتةَ ماجدٍ   نحوَ العدوِّ الناكثِ المتزندقِ

عاثَ الفسادُ بجيشه سَفَكَ الدِّما   ءَ ببطشه لا يرعوي عن متقي

أعوانُه أهلُ النفاق وحزبُه   أهلُ الشِّقاق وكلِّ مأبونٍ شقي

عَمِلُوا الفواحشَ جَهْرَةً قَتَلُوا النفو   سَ بريئةً وعَدُوُّهُمْ مَن يتقي

مَرَقُوا من الدينِ الحنيفِ وحاربوا الـ   ـشرعَ الشريفَ بسيفِهم والمنطقِ

واللّه ما تُغني الفيالقُ ساعةً   عنهم إذا المحضارُ جاء بفَيْلَقِ

وجموعُهم وجميعُ آلةِ حربهم   لا شيءَ إن جاء الفقيهُ بِبُنْدُقِ

قُمْ أنت أنت لها وهذا حِلُّها   واسْلُلْ حُسامَكَ وارْوِ رُمْحَكَ واصدُقِ

نادِ الوصيَّ وآلَهُ وادْعُ الفقيـ   ـه وقومَه وعلى السوابقِ فاسبقِ

عارٌ عظيمٌ في جَبينِكَ فامْحُهُ   فالحِمْلُ حِمْلُكَ قُمْ به واستوثقِ

واسأَلْ تُجَبْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ واغسِلِ الـ   ـقطرَ المباركَ نَقِّهِ مما لقي

ضاقَ الخَناقُ أبا محمدٍ فاستجبْ   واسمعْ وأسرعْ واسعْ واعجلْ والْحَقِ

حزبُ الضلالِ قد استطالَ ولم يزل   في بَغْيِهِ الوحشِيْ الرهيبِ المرْهِقِ

قد صَبَّ أنواعَ العذابِ فصُبَّ فو   قَ طغاتِه سوطَ العذاب المحرقِ

دَمِّرْهُ كُلَّ مُدَمَّرٍ شَتِّتْهُ كُلَّ   مُشَتَّتٍ مَزِّقْهُ كُلَّ مُمَزَّقِ

عَرَّفْـــهُ أَنَّ وراءَه قومـــاً هُــــمُ حَتْفُ العِدا مَن حـــاربوه يُمَحَّـقِ
ثـــم الصـلاةُ علـــى النــبيِّ وآلِــه سُفُنِ النَّجا مَن حادَ عنـه يغَـرَقِ

وفي سنة ١٣٨٦ هـ وصل سيدي الوالد محمد الهدار إلى تريم وزار الحبيب علـوي رحمه اللّه . ثـم اتجه إلى شعب نبي اللّه هـود ومعه جهاز مكبر الصوت «ميكرفون» فكان ينقل المحاضرات الدينية وبالذات في الجامع الكبير، وهو أول مكبر للصوت وصل تريم وشعب نبي اللّه هود، وبعـد تـمام الزيـارة عـاد لتوديـع شـيخه وأخذنـي وأخـي الحسن بصحبته عـائداً إلى موطنه البيضـاء، ومـن تريـم إلى سيؤون لزيـارة الحبيـب جعفر بن أحمد العيدروس، والحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، والحبيـب أحمـد بـن موسى الحبشي وغيرهم من العلماء.

فخرج معنا مودعاً الحبيب عبدالقـادر بـن أحمـد السـقاف حتـى وصلنـا إلى شـبام، ومنها اتجهنا على بركة اللّه عبر القطْن وأطراف الربع الخالي، فوصلنا مدينة شَبْوَة وهي خرائب وأطلال لها ذكر في التاريخ العريـق، فصلينـا الصبـح بهـا ثـم اتجهنـا إلى عَتَـق ونزلنا ضيوفا علـى آل باجمـال، ومـن أعلامهـم الشيـخ محمـد بـن عبدالرحمـن باجمـال والشيخ عبدالرحمن بن أحمد باجمال والشـيخ محمـد بـن سالـم باجمـال والشـيخ أحمـد ذيبان.

وقد رافقنا في الرحلة الأخ علي بن عبدالنبي عرْمان، والحـاج سالـم دوعـن، وهـو رجلٌ صالحٌ محبٌّ للعلـم وأهله من أهالي الصومعة، عاش في مدينـة لُـودَر، وتـوفي سـنة ١٤٠٢ هـ ودفن بمكة، وله عقب مبارك في الصومعة من نواحي البيضاء .

ثـم ذهبنا لزيارة الإمام أحمد بن صالح الحداد بعد أن وصل ولـده الحبيـب محمـد [١] إلى عتق يطلب منا أن نَحُلَّ ضيوفـاً عليهـم، وذهبنـا إلى نِصـاب وزرنـا الحبيب أحمـد واستقبلنا بما يستقبل به الكريم ضيوفه، ومكثنا لديه عدة أيام، ثـم استأجرنا سيارة ابن عبيد، وهو من أهالي مرخة فاتجهنا عبر مَرخة وزرنا ضريح الحبيب محسـن بـن عبداللّـه المحضار، ثـم اتجهنا إلى نُقاق، ثـم إلى العَقَبة، وكانت في حالةٍ سيئةٍ حيث لـم تستطع السيارة الصعود، فصعدنا مع سيدي الوالد مشياً على الأقـدام، وفي أعلى الجبـل قرأنـا راتب الحداد، وكان الوقت بعد العشاء، فصعدت السيارة بحمد للّه .

فواصلنا المشي حتى وصلنا إلى مَشْرَع الجِرْوِيّ في وقـت متـأخر مـن الليـل، وكـان البرد قارساً إلى الغاية، ثـم واصلنا المشي حتى وصلنا مدينة البيضاء مع طلوع الفجر.

ونعود إلى ذكر المترجم له فنقول: وقد جُمع كلامُه في نحو ستة مجلدات، ويشتـمل على كثير مـن الرقـائق والـمواعظ الـتي تصـل إلى كوامـن القلـوب، وفيهـا كثيرٌ مـن التنبؤات المبـنـية على الفراسة الصادقة لـما أصاب البلاد من الويلات بعد وفاته، رحمـه اللّه ونفعنا بعلومه آمين .

وما أنْ حَلَّ شهر رمضان وبالذات في يوم السبت في الثاني عشر منه عام ١٣٨٦هـ إلا ويصلنا عبر المذياع نبأ وفاة المترجم له ، فارتجت البـلاد لذلـك الخطـب، وقـد تـأثر

---

(١) هو الشاب الناشىء في طاعة اللّه محمد بن أحمد بن صالح الحـداد، كـان قائمـاً بخدمـة والـده وخدمة ضيوفه بما لا تتسع له بطون الأوراق، حفظ القرآن ودعا إلى اللّه ليلاً ونهاراً، وشاهد محنة والده الإمام الشهيد، وكان يثني عليه سيدي الوالد كثيراً، وبينهما أُخُوَّةٌ في اللّـه ورابطـةٌ قويةٌ، توفي رحمه اللّـه في١٤القعـدة ١٣٩٤ هــ في خـورة وهـو في صـلاة العشـاء إمامـاً بعـد ركعة، ولعله في العِقْدِ الرابع من عمره أو جاوزه قليلاً، وله ولدٌ اسمه الحسـين بـارك اللّـه فيـه وفينا جميعا، وجمع بيننا في مستقر رحمته بعد طول العمر في طاعته ورضاه آمين .

سيدي الوالد لذلك النبأ تأثراً كثيراً ظهر على محياه حتى هِبْنا مخاطبتَه لكثرة تأثره، فبكاه بدمعةٍ حرّا.. وسكبَ دموعه شعراً..

نستمع إلى مَرثاتِه التي قالها في الحبيب علوي رحمه اللّه:

اهتزَّ عَرْشُ اللّه مِن فَرَحٍ به ... وتزخرفتْ كُلُّ الجنانِ لقُرْبهِ

وتباشرتْ مَلأُ العُلى بلقائِه ... لكنَّها بكتِ السماءُ لخَطْبهِ

والأرضُ تبكي سهلُها وجبالُها ... وتريمُ ثكلى ما لها من مُشْبهِ

لَهَفي على حامي الحمى غوثِ الأنا ... مِ بلا مِرا عينِ الزمانِ وقطبهِ

لَهَفي على ذاك الإمامِ وحسرتي ... واحَرَّ قلبي مِن جواهُ وكربه

لَهَفِي على تلكَ الدُّروسِ وصَدْرِها ... مُشْفِي النفوسِ من العُضالِ بطِبِّهِ

فيها يُفيضُ من المعارفِ أبْحُراً ... ويُدِيرُ كاساتِ الوِصالِ لِشُرْبِهِ

آهاً على تلكَ الحِياضِ ومائِها ... يُحْيِي القلوبَ بقَطْرَةٍ من عَذْبهِ

آهاً على تلك الرِّحابِ وشَهْمِها ... ذاك الشِّهابِ تَسُحُّ وابِلُ سُحْبِهِ

يا عينُ جودي بالدموعِ وجانبي ... منكِ الهجوعَ وآذِنيهِ بحَرْبهِ

أبكي إمامَ العصر جامعَ رايةِ الـ ... إرشادِ والتقوى وقائدَ حزبهِ

داعي الفلاحِ مدى الصباحِ مع الروا ... حِ بفعلهِ وبقولهِ وبقلبهِ

ناداه مولاهُ لِيُكْرِمَ نُزْلَهُ ... ويَخُصَّهُ فأجابَ دعوةَ ربِّهِ

أبكي شهابَ الدين عَلْويَّ الفتى ... عينَ الزمانِ ونورَ مُهْجَةِ لُبِّهِ

هاتِ المناديلَ التي قد كان يَذْ ... كرُها الفقيدُ فغَسِّليها بسَكْبِهِ

بَشَّارُ يا بُشراه قد نالَ المنى ... فالنورُ يَسْطَعُ من ثَراهُ وجَرْبِهِ

يا زنبلٌ قد جاءك الضيفُ الكر ... يمُ فأكرمي مثواهُ واحتفلي به

يا زَنْبلٌ قد حَلَّ فيك ماجدٌ ... أكْرِمْ به من ماجدٍ أكرم بهِ

طُوبى له من نازلٍ طوبى له ... من مَنْزِلٍ ولجسمِهِ ولتُرْبهِ

بـينَ الفقيـهِ وقومِـه في صفّـهِ … قَسَماً بـه مـا في الرُّبـوعِ كعُرْبـهِ
بـينَ الكـرامِ المطْعِمِـينَ وعَيْشُـهُمْ … رَغَـدٌ لكـلِّ النـازلين بخصبـهِ
بـين الصناديدِ الأسـودِ ومنهـمُ … في مَقْعَدِ الصدقِ الفسيحِ ورَحْبـهِ
هـذا المقَـدَّمُ شمـسُ كُـلِّ الأوليـا … ءِ يَزُفُّـهُ بجيوشـه وبصحبـهِ
هـذا المقـدَّمُ قـائدُ الصَّـفِّ الثَّخيـ … ـنِ يقـولُ: يـا أهـلاً ويـا سـهلاً بـهِ
أهـلاً بقُـرَّةِ عـينِ طـه المجتبـى … أهـلاً بناشـرِ شـرعه ومُحِبِّـهِ
هـذا الـذي أحيـا المرابـع علـمه … وأزاح ظلـمةَ جهلهـا عـن شَعْبِهِ
هـذا خليفـةُ جَـدِّهِ هـذا مُقَـدَّ … مُ قَرْنِـهِ وشـفيعُه مـن ذنبـهِ
هـذا خليفتُنـا وحـاملُ سِـرِّنا … هـذا الـذي مُلِـئَ الفـؤادُ بحُبِّـهِ
هـذا ابننُـا هـذا الـذي نشـتاقُه … شـوقَ العِطـاشِ إلى الـزُّلالِ وشـربهِ
هذا الـذي احتَشَـدَ الكـرامُ لِيَنْظُـروا … أعـلامَ موكبـه ورايـةَ رَكْبِـهِ
فَرِحِينَ بـالضيفِ الكريـمِ أشـدَّ مِـن … فـرحِ القَنُـوطِ بغيثِـه مـن جَدْبِـهِ
بشـراك طِـبْ نفسـاً فـإن اللّـه قـد … أعطـاكَ مـا أمَّلْتَـهُ فابْشِـرْ بـه
العلـم بـاقٍ والخلافـةُ في ذويــ … ـكَ مَدَى الزمانِ ومَن أحبَّـك نُحْبِهِ
واغفـرْ لـه وبـه لنـا فـاغفرْ وأَلْـ … ـحِقْنـا بـهِ واسـلُكْ بنـا في دربـهِ
يـا رَبِّ حَنِّنْـهُ وشَـفِّعْهُ بنـا … وبـه اهدِنـا وامْنُـنْ علينـا بقُرْبـهِ
وأَعِـنْ على الحِمْلِ الثقيـلِ محمـداً … من حيث ما سار الفقيدُ فسِرْ بِهِ[1]

---

(١) هو العلامة الجهبذ العابد الزاهد محمد بن علوي بن شهاب الدين ولد بتريم سنة ١٣٣١ هـ، خليفة والده في القيام بالوعظ والتوجيه وتصدُّرِ المجالس العلمية، وهو مع ذلك جم التواضع لطيف المعاشرة يخجل من حواليه بتواضعه النابع مـن نفسه المطمئنة دون تكلف أو تصنع، وكان لي شرف الأخذ عنه رحمه اللّه. ويذكر أنه لـم يفته قيام الليل مـن سن التمييز حتى ليلة وفاته، واستمر على ذلك الحال في تريم مرشداً وموجهاً . وقد حفظه اللّـه مـن الغوغاء وصنّاع المآسي في فترة استيلاء الحزب الاشتراكي على مقاليد الأمور .

واصْلِحْ جميعَ شؤونه وتَولَّ كُـ ـلَّ أموره وانْظُرْ إليهِ وربِّهِ
واجعلْهُ في أعماله وعلومه وسلوكه لأبيهِ أحسنَ مُشْبِهِ
واجعلْ تمامَ قِرَى الفقيدِ رعايةً لبلاده ولقطره ولشعبهِ
ووقايةً من شَرِّ طارقِ فتنةٍ مِن نَجْدِهِ أو شَرْقِهِ أو غَرْبِهِ
وعنايةً ترعى بني علوي فيَلْـ ـتَفِتُونَ للعلم الشريف وكسبهِ
لِتَقَرَّ عينُ نبيِّهم يمشوا على مِنهاجِهِ في صَفِّهِ وبجنبِهِ
وانظُرْ إلى هذا الذميمِ بنظرةٍ فيها الشفاءُ لدينه ولقلبهِ
وأَنِلْهُ في الدارينِ غاياتِ المنى واعْطِفْ عليه وعافِه من رعبهِ
مع سائرِ الإخوانِ والأولاد واسـ ـتُرنا وسامِحنا بما تَدْرِي بهِ
ثم الصلاةُ على النبيِّ وآله الطيبينَ الطاهرين وصحبهِ
والتابعينَ لهم إلى يوم اللِقا ما أَمَّلَ الخَطّاءُ رحمةَ رَبِّهِ

وقد توفي رحمه اللّه عن عمر ناهز الثالثة والثمانين عاماً بتريم الغناء ودفن بها، وقد جمع مناقبه وسيرته المؤرخ النحوي العالم الحبيب عمر بن علوي الكاف في كتابه «تحفة الأحباب في ترجمة الحبيب علوي بن شهاب»، مخطوط.

وفي سنة ١٤٠٠ هـ علم بنبأ وفاة العم أحمد الهدار رحمه اللّه فأرسل لنا رسالة يعظم لنا فيه الأجر ، ولم يلبث كثيراً فقد قام واعظاً في زيارة المسيلة وفي أثناء المحاضرة صعدت الروح إلى بارئها وذلك في عام ١٤٠٠ هـ، وخلفه أولاده عبداللّه القائم بمقام والده، وعلي وأبوبكر حفظهم اللّه وجعل الخير باقياً فيهم وفي عقبهم وإيانا إلى يوم الدين .

الحبيب جَعْفَرُ بنُ أحمدِ بنِ عبدِالقادرِ العَيدَرُوس

هو الإمام العارف باللّه صاحب الهمة والشجاعة والكرم الحبيب جعفر بن أحمد بن عبدالقادر العيدروس . ولد في بور التي تقع بين تريم وسيؤون عام ١٣٠٨هـ، وتربى في حجر جده الحبيب عبدالقادر بن سالم العيدروس، وبعد وفاته سافر الحبيب جعفر مع جده الحبيب أبي بكر بن سالم إلى جاوة، فأخذ العلم عن العارف باللّه الحبيب محمد بن أحمد المحضار والعارف باللّه أحمد بن عبداللّه بن طالب العطاس والإمام العارف باللّه عبداللّه بن محسن العطاس، ثم عاد إلى حضرموت وقوي اتصاله بشيخ الإسلام الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري، وكان من مناقبه أنه لا ينام بالليل إلا غفوةً بعد الإشراق، ولم يكن للدنيا عنده قيمةٌ ولا قَدْرٌ، بل كان آية في السخاء والكرم، وقل أن يوجد له في الكرم والسخاء نظير، يَؤُمُّه ذَوُو الحاجات فلا يخيب قاصداً على الرغم من قلة موارده وصغر منزله المتواضع والذي طالما شبع فيه الجائعون، وقد شاهدتُ كثيراً من تلك الوقائع إبّانَ مُكثي في تريم لطلبِ العلم الشريف .

وكان الوالد رحمه اللّه كثير الزيارة له والأخذ عنه، وكان الحبيب جعفر يفرح به كثيراً ويكرمه ويقدمه . وعندما يتحدث عن الحبيب جعفر كثيراً ما تفيض عيناه محبةً فيه، وتأثّراً من سلوكه الكريم، وكم لسيدي الوالد معه من جلساتٍ علمية وروحية التي ظهرت بركاتها عليه رحمه اللّه فجعلته مقتفياً لآثارِ شيوخه الكرام، وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم .

وانتقل الحبيب جعفر إلى سيؤون فأقام بها فترةً، ثم إلى تريم فقضى فيها ما بقي من حياته، يتردد إليه الأخيار والصالحون والعلماء والمحبون، فتكون مجالسه مجالس

صفاءٍ وأُنسٍ ووفاء.. وذكرٍ وهناء.. حتى تُوفي رحمه اللّه ليلة الثلاثاء في الثالث من جمادى الأولى عام ١٣٩٦ هـ ، وقد قال فيه سيدي الوالد كثيراً من القصائد، منها قوله:

قِفْ بالمطِيِّ فذا الجنابُ الأكبرُ ... وذِهِ الرُّبا فيها المؤَمِّلُ يَظْفَرُ
ذا مَرْبَعُ الأحبابِ هذا موطنُ الـ ... أسلافِ هذا المنزلُ المتَخَيَّرُ
هذا مُناخُ المطعِمين إذا أتا ... ه الزائرونَ فبالقِرى فلْيَبشُرُوا
هذي خِيامُ الأكرمينَ إذا رآ ... ها اللائذون إلى حماهُم كَبَّروا
هذي رياضُ الراتعين وكلُّها ... زَهْرٌ وأنهارٌ وغصنٌ مُثمرُ
هذي مَوارِدُ فضلِهِمْ مَهما يَرِدْ ... ها الوافدون فبالمطالبِ يَصْدُرُوا
هذي منازلُ سادةٍ هُمْ للورى ... شمسٌ إذا ما أَظْلموا وتَحَيَّرُوا
وهُمُ الغيوثُ سماحةً وهُمُ الليو ... ثُ شجاعةً مَن حاربوه يُقْهَرُ
وَرِثُوا المكارمَ كابراً عن كابرٍ ... فأبوهُمُ بابُ المدينة حَيْدَرُ
جمعوا المفاخرَ نِسْبَةً وشجاعةً ... وديانةً فالفخرُ منهم يفخرُ
ما فيهمُ إلا جوادٌ عالمٌ ... أو قانتٌ ولدى اللقاء غَضَنْفَرُ
وهمُ أمانُ الأرض هُمْ سُفْنُ النجا ... وهمُ كما في البَيِّناتِ الكوثرُ
مَن حَبَّهُمْ يَسْعَدْ بهم وعَدُوُّهُمْ ... عند الإلهِ هُوَ البغيضُ الأَبْتَرُ
وهمُ الكثيرُ الطيبونَ الطاهرو ... نَ تَطَيَّبُوا بالمصطفى وتَطَهَّرُوا
وبِهِمْ مدى الأيامِ يَنْجابُ البَلا ... عن ذي الورى وبهم يُغاثُ ويُنْصَرُ
وهُمُ مع القرآنِ في قَرَنٍ إلى ... يومِ الورودِ إذ استقرَّ المحشرُ
مَن أَمَّهُمْ يُعطى مُناه بلا عَنا ... في ذي الحياةِ وفي القيامة أجدَرُ
هذا خليفتُهم وحاملُ سِرِّهِمْ ... ولدى الظلامِ هو الشهاب النيِّرُ
فهو الإمامُ ابن الإمامُ وجدُّهم ... غوثُ الأنام العيدروسُ الأكبرُ

عبدٌ على أعتابكم مستضعَفٌ ... مستصرِخٌ مستنجدٌ مستنصِرُ

هذا ولما أنْ دعا داعي الإلـ ... ـه حبيبَنا فأجابَه يتَبَخْتَرُ[1]

فَرِحاً مُحِبّاً لِلِّقاءِ بمقعد الصِّـ ... ـدْقِ إلى الصَّفِّ الذي هو أَكْبَرُ

أبقى لنا الغوثَ المغِيثَ الوارثَ الـ ... الأسلافَ مَن في الخَيِّرينَ الخَيِّرُ

ذو العلم والعرفانِ عبدُالقادر السّـ ... ـقّافِ مُحْيِ الدينِ بحرٌ يزخرُ

كلُّ العصورِ تقولُ: أنت مقدَّمٌ ... لكنَّ عصرَك في القضاءِ مُؤَخَّرُ

فدَعا إلى المولى الكريم فكم هدى ... عُمْياً أراهم في الدُّجَى ما لم يَرَوْا

وجلا الظلامَ تَحَمَّلَ الأثقالَ والـ ... أيتامَ صار لهم ثمالاً يُزْهِرُ

فهو الخليفةُ والوسيلةُ والذي ... يُرْجَى لها قد خَبَّرُوهُ وبَشَّرُوا

يا سيدي عبدٌ يتيمٌ حائرٌ ... أعمى وفي ظلماتِه يتعثَّرُ

مستنجداً لمعاشِه ومعادِه ... ولمن يَلُوذُ به فكُلٌّ يَجْأَرُ

حَطَّ الرِّحالَ ببابِكُمْ منذ الصِّبا ... والآنَ وافى ذا المشيبُ الأغبرُ

طالتْ لياليه وطُلْنَ وعودُه ... فدموعُه من خوفه تتقطرُ

أهلَ الكمال فكَمِّلُونا أَنْجِزُوا ... أَوعادَكُمْ أنتم وذاك الجعفرُ

لم يَبْقَ إلا ما يُرَجَّى منكمُ ... فخُذُوا به طُرُقَ النجا لا يَعْثُرُ

بفنائِكُمْ ذو عِلَّةٍ ذو عَيْلَةٍ ... ذو غفلةٍ في جهلِه مُتَحَيِّرُ

ضاقتْ به حالاتُه فترادفتْ ... حَسَراتُهُ وفؤادُه متفطِّرُ

ودَهَتْهُ من شؤمِ الذنوب حوادثٌ ... من ضعفه لأقلِّها لا يَصْبِرُ

أمراضُه وذنوبُه وعيوبُه ... وكروبُه في كلِّ يوم تَكْثُرُ

وطريقُه شَطَّتْ عليه وأظلمتْ ... فإذا مشى فإلى الورى يتقهقرُ

قد جاءكم صِفْرَ اليدينِ مسلماً ... لغياثِكم ونوالِكم يستمطرُ

---

(١) هذه زيادة لسيدي الوالد بعد وفاة الحبيب جعفر رحمهما الله .

ألقـى عصـا تَرحالِـــهِ ليـس لـــه ... عــذرٌ ولكــنْ أنتــم لــن تُعْـــذَرُوا
فبكـــم وســـيلتُه وأنتـــم ذُخْـــرُهُ ... وبكـــم جميـــعُ عســـيرِهِ يَتَيَسَّـــرُ
ولـــه مطـــالبُ جَمَّـــةٌ لـــمعاده ... ومعاشـــه ومـــآربٌ لا تُحْصَـــرُ
ولـــه إليكـــمْ نســـبةٌ يرجـــو بهـــا ... نيلَ الأمـاني فاشـفعوا كـي تُؤْجَـرُوا
فـلَرُبَّ ذي نَحْـسٍ أتـاكم بالنُّحـا ... سِ فعـاد منكـم وهـو تِـبْرٌ أحمـرُ
فتَفَضَّلُـــوا وتَفَقَّـــدُوهُ وسَـــدِّدُو ... ه وأصلحـوا والكسـرَ منـه فاجـبروا
واســتنقذوه وأَدْخِلُـوهُ إلى الحمـــى ... في صَفِّكُـــمْ ولِذَنْبِـــهِ فاســـتغفروا
وأقـــاربُ المحتـــاجِ محتـــاجونَ والـــ ... أصحـابُ فاحبونـا جميعـاً واغمــروا
فبجَدِّكُـــمْ وبكـــم يُنـــال المرتجـــى ... والشَّـــرُّ يُدْبِـــرُ ذاهبـــاً والـــمنكرُ
يـــا ربَّنـــا يـــا ربَّنـــا يـــا ربَّنـــا ... يـــا خـــالِقٌ يـــا بـــارئٌ ومُصَـــوِّرُ
يـــا ربنـــا يـــا ربنـــا يـــا حـــيُّ يـــا ... قيُّـــومُ أنـــت مقـــدِّمٌ ومؤخِّـــرُ
أَصْلِـحْ لســادَتِنا جميـــعَ أمورهـــم ... ولنـــا بهـــم كـــلَّ الصعـــاب تُيَسِّـــرُ
وأَنِلْهُـــمُ يـــا ربِّ غايـــاتِ المنـــى ... وأَقِـــرَّ أَعْيُنَهُـــمْ فـــلا يَتَكَـــدَّرُوا
واجْمَـعْ لهـم أسـرارَ أهليهـم ومـا ... أعطيتَهـــم مـــعَ صحـــةٍ تتوفَّـــرُ
حَقِّـقْ إلهـي وَعْدَهُـمْ وارفـع إلـــ ... ـهـي ذِكْرَهُـمْ يـا بَـرُّ يـا متكـبرُ
وبهـم لنـا فـاغفرْ وبَلِّغْنـا المنـى ... أبـداً ومـا شـيءنا سـريعاً يَحْضُـرُ
والْطُفْ وعافِ وهَبْ وزِدْ قل: تـم مـا ... رُمْتـم جميعـاً مُظْهَـرٌ أو مُضْمَـرُ
وأَجِـبْ إلهـي كـلَّ مـا ندعـو وحـــ ... ـقِّقْ كُـلَّ مـا نرجـو ففضلُـكَ أكـثرُ
وامْنُـــنْ علينـــا بـــالرضى وتَوَلَّنـــا ... ولنـا فسَـخِّرْ كُـلَّ مـا يَتَسَـخَّرُ
وصـلاةُ مولانـا على المختـار مَـن ... مِـن فضلـه كُـلُّ الفضـائلِ تُنْشَـرُ
وبه ارتقى فوقَ العُلا حِـزْبُ الهـدى ... فتَصَرَّفُـوا وتَحَكَّمُـوا وتَبَخْـتَرُوا
والآلِ والصحبِ الكـرامِ مع السـلا ... مِ معَ المدى ما قيـل: «أللّـه أكـبرُ»

الحبيب أحمدُ مَشْهُور ابنُ طَه الحَدّاد

هو الإمام العلامة الداعي إلى الله الحبيب أحمد مشهور ابن طه الحداد، ولد بقِيدُون عام ١٣٢٥ هـ، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ عن الإمامين عبدالله وعلوي ابني طاهر بن عبدالله الهدار الحداد، فدرس التفسير والحديث والفقه والتصوف وعلوم العربية، وسافر إلى إندونيسيا وهو دون العشرين، وأخذ عن جل علمائها، كما اتجه إلى المكلا وتتلمذ على يد الحبيب العلامة أحمد بن محسن الهدار .

ثم اتجه إلى شرق إفريقيا عام ١٣٤٧ هـ ، وأخذ عن الإمامين الجليلين الحبيب أحمد بن عمر بن سميط والحبيب صالح بن علوي جمل الليل، وأقام بـ«مُمْبَاسا» وقام برحلاتٍ عديدةٍ في البراري والأدغال، وأمضى أكثر من ثلاثة عشر عاماً بأُوغَنْدا، وقد أَسْلم على يديه من الإفريقيين مئةُ ألف تقريباً[1] ، وحارب كثيراً من الأفكار المدسوسة والدخيلة على الدين مثل القاديانية والبهائية وغيرها حتى اندحرت في تلك الجهات، وامتدت دعوته عبر تلامذته حتى بلغت إلى أوروبا وشمال أمريكا، وقد سعى في بناء كثير من المساجد والمدارس والمعاهد، وله مؤلَّفاتٌ كثيرة منها «مفتاح الجنة» و«الدرة اليتيمة» في النحو وديوانُ شعرٍ وخُطَبٌ ومُكاتباتٌ .

ولم يتوقفْ عن إقامة الدروس في منزله بجدة على الرغم من شيخوخته وبلوغه التسعين عاماً حتى دخل المستشفى وتوفي رحمه الله في جدة في الرابع عشر من رجب عام ١٤١٦هـ ودُفن في مكة المكرمة رحمه الله .

---

(١) كما أسلم على يد تلميذه الشيخ شعيب اليوغاندي من كمبالا أربعمئة ألف ، وأسلم على يد الشيخ سعيد بن عبدالله البيض ثلاثمئة ألف، وأسلم على يد الشيخ عبدالعليم الصديقي من الهند نحواً من مليون.

وقد وصل في عام ١٣٦٦ هـ إلى مقديشو وكان سيدي الوالد إماماً وخطيباً في مسجد مِرْوَاس، واستقبله أيَّما استقبالٍ، وقد أنشأ فيه سيدي الوالدُ القصيدةَ التالية:

شَرَحَتْ باللقاءِ قَلْبَ الكَئِيبِ ... وشَفَتْني بريقِ ثَغْرِ شَنِيبِ
غَادَةٌ تَنْهَبُ العقولَ إذا ما ... خَطَرتْ خَطْرَةَ الغزالِ الرَّهِيبِ
مَن رآها صبا ولو كان ذا نُسْـ ... ـكٍ وزُهْدٍ وعِفَّةٍ ومَشِيبِ
لا يُبالي بلَومِ لاحٍ ولا وا ... شٍ ولا حاسدٍ ولا برقيبِ
عندها يَرْجِعُ الجريءُ ذليلاً ... ويصيرُ اللبيبُ غيرَ لبيبِ
جمعتْ حُسْنَ كُلِّ حُسْنٍ ففاقتْ ... كُلَّ حسناءَ عَيْطَبُولٍ عَرُوبِ
بَشَرٌ ناعِمٌ وطَرْفٌ كَحِيلٌ ... وقَوامٌ كالخَيزُرانِ الرَّطِيبِ
وجمالٌ ما نِسْبَةُ البَدْرِ منه ؟ ... وكلامٌ ما نَغْمَةُ العَنْدَلِيبِ ؟
كَمُنَ السِّحْرُ في محاجِرِ عَيْنَيـ ... ـها فأَضْحَتْ تَقْضِي بكلِّ عَجِيبِ
ما المها؟ ما الهلالُ؟ ما وردُ الأُقْحُـ ... ـوانُ؟ ما الرِّيمُ؟ ما قَضِيبُ الكثيبِ؟
حينَ طاب الوِصالُ نادى منادي الـ ... ـحالِ: بُشراكَ بالمنى المرغوبِ
بُشرَيان: بشرى بميلادِ طه ... وتَلِيها بُشرى قُدُومِ الحبيبِ
طاهرُ الجَيْبِ أَحْمَدِيُّ السجايا ... عَلَوِيٌّ في السَّيْرِ والتَّهْذِيبِ
ينتمي نسبةً إلى دَوْحَةِ الحـدّ ... ادِ غيثِ العبادِ مُحْيِي القلوبِ
آخذٌ من صِفاتِ أسلافِه الغُرِّ ... هُداةِ الورى بخيرِ نصيبِ
عِفَّةٌ في سماحةٍ في سخاءٍ ... في دَهاءٍ تجمعتْ في أَدِيبِ
حَسَنُ القولِ والفِعالِ حَلِيمٌ ... أصمعيٌّ القلب الوسيعِ الرحيبِ
أيُّها الزائرُ العزيزُ علينا ... إنَّ لُقياكَ غايةُ المطلوبِ
فُزْتَ حقّاً بكُلِّ قُرْبٍ فأَصْبَحْـ ... ـتَ قريباً من الإلهِ القريبِ
وتسنَّمْتَ ذُرْوَةَ المجدِ حتى ... صِرْتَ فرداً من دون شكٍّ ورَيبِ
قد مَلَكْتَ من المعالي ضُرُوبا ... فلْتَعِشْ لَسْتَ واجداً من ضَرِيبِ

خيرُ ضيفٍ في خيرِ شهرٍ كريمٍ ... تنمحي فيه مُجْمَلاتُ الذنوبِ
شهرُ ميلادِ أفضلِ الخلقِ طراً ... الحبيبِ المعظمِ المحبوبِ
سَمَحَ الوقتُ بالذي نَتمنّى ... وتَجَلّى عنّا قَتامُ الكروبِ
وغَمامُ الفلاحِ سَحّ بجودِ الـ ... ـجودِ والفضلِ في ربيعِ القلوبِ
وعظيمُ السرورِ يَحْسُنُ مَرْآ ... ه إذا ما انتهتْ جميعُ الخطوبِ
هذه بنتُ فكري تَتَرَدَّى[1] ... بِرداءٍ من الحياءِ قشيبِ
بنتُ يومٍ تريدُ أَنْ تُنْزِلُوها ... بمَحَلٍّ من القَبولِ قَريبِ

وقد أجاب شيخُه -أي المترجَمُ له- على سيدي الوالد بهذه الأبيات:

ما لِبَثّ الهَوى وصَوْغِ النَّسيبِ ... مِن أَسيرِ الهوى رَهِينِ الكروبِ
هادَنَ الشَّوْقَ واقتَضَى أَسْهُمَ العـ ... ـين وسُكْرَ اللمى وهَزَّ القضيبِ
أم سبيلُ الهَوَى وشِنْشِنَةٌ تُعْـ ... ـرَفُ مِن طبعِ كلِّ مَرْءٍ أَديبِ
ويكَ لولا شُبُوبُ نارِ الهوى في الـ ... ـقلبِ لم يَهْنَ متعةَ المطلوبِ
فاتَّخِذْ منه طَرْفَ عزمٍ ورَوِّضْـ ... ـه على الجِدِّ في العُلى والدروبِ
إنَّ في نَشْرِ صُبْحِ عَزْمِكَ نهيٌ ... عن تَواريكَ في بطونِ السروبِ
طَرَقَتْ سَمْعَكْ حَيْعَلاتُ الدا ... عِي وكم أمَّ سَطْرَها من مُجيبِ
فادْنُ من جَناها فرَشْفٌ يَسيرٌ ... مِن طِلاها يُحْيي مَواتَ القلوبِ
قد نحب من كساها جَدُّ من سا ... جَلَني في القريضِ مولى الكئيبِ[2]
جَدُّ مَن هَزَّني وقَلَّدَني مِن ... قولِهِ العَذْبِ سِمْطَ دُرٍّ رَطيبِ
قد حَمَدْتُ السَّرى وأثمرَ جِدِّي ... حينَ لاقيتُ منه خيرَ نسيبِ
أَلْمعِيٌّ ذو فطنةٍ يَكْشِفُ الغَمْـ ... ـضَ على ضوئِها بفَهْمٍ مُصيبِ

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل .

مُستَجادُ الخلالِ فَخْرُ شبابِ الـ ... آلِ والصفوةِ الأريبِ النجيبِ

بهجةُ الأخذِ فيه لائحةٌ عن ... شيخِنا الشاطريْ العفيفِ المنيبِ

فرعُ بيتِ الولايةِ المنتقى من ... آلِ فخرِ الوجود أهلِ الوُهوبِ

منه شيخي ابنُ محسنٍ أحمدُ الهدّ ... ارُ رُكْني ومُرشدي وطبيبي

كم تَلَقَّيتُ منه مكنونَ عِلم ... وإلى الآن سِرُّهُ مصحوبي

هذه يا أخي عُلالَةُ فِكْر ... عادَ يَنْبُوعُ مَدِّهِ في نُضُوبِ

وَدَّ لو أنه أجابَ بِداراً ... أو يُوافيه مِنْحَةً بذَنُوبِ

لكنِ الحائلاتُ أَقْصَتْهُ منبو ... ذاً بوادي قساوةٍ وذُنوبِ

بعدَ تِسْعٍ من السنينَ بمُمبا ... سَةَ وَكْرِ البلا ودار الخطوبِ

فارعَوَى آيباً عسى أن يُنادى ... في ذَوي الفوزِ من محلٍّ قريبِ

مُزْمِعاً نحوَ خيرِ رَبْعٍ سِوى ما ... فيه نَصٌّ من شامِها وجنوبِ

حيثُ دُرُّ الهدى تَخَلَّصَ زَبْداً ... في مَغانيه لم يُكَدَّرْ بشُوبِ

فتَقَبَّلْ وضِيعَةً في حواشي ... حُرِّ منظومِك البديعِ العجيبِ

رُدَّ عَهْدَ الوصالِ بالذِّكْرِ واسْلم ... يا هُماماً في خيرِ عيشٍ خصيبِ

وصلاةٌ على الحبيبِ وآلٍ ... ومُحِبٍّ يُحِبُّ آلَ الحبيبِ

وأكثرُ مَن توسع في ترجمة الحبيب أحمد مشهور الحداد العلامة السيد عبدالقادر الجنيد صاحب دار السلام ومؤلف كتاب «العقود العسجدية» في كتابه «الوعود الناجزة بتراجم بعض الشخصيات البارزة»، فقد ترجم له في نحو خمسين صفحة ضَمَّنَها أَنْفَسَ المكاتبات التي كان المترجم يكاتب بها العلماء والصلحاء احتوت على أصناف الفوائد والحكم والعلوم، ولا زال بين يدي مؤلِّفه يضيف إليه ما بدا له يسر الله تبييضه.

والدهُ الهَدّار بن شيخ

هو السيد الفاضل الهَدّار بنُ شيخ، اسمه عبداللّـه إلا أن اللقب طغى على الاسم، ولهذا قال النُّحاة: «يجب تقديمُ الاسم على اللقب عُرفاً» ، وولد رحمه اللّه في ضواحي مدينة البيضاء سنة ١٣١٨ هـ من أسرةٍ لها شُغْلٌ بالعلم[١]، وما أن شب وترعرع بها حتى ارتحل إلى بَيْحَان، وأخذ العلم على يد الشيخ سالم الكَدادي[٢] والد الشيخ محمد بن سالم البيحاني رحمه اللّه، ومكث يطلب العلم فترةً من الزمن، ولم تتهيأ له الأسباب للذهاب إلى تريم بحضرموت لطلب العلم فبقيت أمنيةً في نفسه لم تتحقق وعاد إلى وطنه البيضاء .

---

(١) وأمه ربة الصون والعفاف، نور بنت العلامة المهاب عبداللّه بن صالح بن حفيظ الهدار، وهي التي كانت تدعوه بهذا اللقب تيمناً بأن يمنحه اللّه ما منح والدها من معارف وعلوم، والذي عاش في مدينة البيضاء وتردد على كثير من المناطق للدعوة إلى اللّه وللتوجيه والإرشاد مع علم غزير نستوحي ذلك من خلال إجازاته العلمية لطلابه، كما نقل بعضها العلامة عبداللّه بن هادي الهدار حينما اتفق به في يافع، ويفيد أنه قرأ عليه كثيراً، وقد استمر هذا العالم في توجيه وإرشاده بمدينة البيضاء إلى أن توفي بها، ودفن في مقبرة الشعب بجوار والده ولم أعثر على تاريخ وفاته إلا أنه لا يبعد أن يكون في أوائل القرن الرابع عشر الهجري .

(٢) هو الشيخ سالم بن حسين بن سالم بن خميس الكدادي، ولد في بيحان القصاب سنة ١٢٨٠ هـ أخذ عن والده كثيراً من العلوم والمعاني السامية والرفيعة، ويقال أن والده أهدى إليه مصحفاً حينما أعطى إخوانه بعض المتاع، ولازال هذا المصحف موجوداً إلى يومنا هذا، قال الشيخ عبداللّه بن سالم الكدادي: إن المصحف الذي تعلم فيه سيدي الهدار بن شيخ لازال موجوداً لديه . قلت: «لعله هذا المصحف» ، ولقد كان الشيخ سالم زاهداً ورعاً متصوفاً فلكياً، وكان كثير التردد إلى البيضاء للوعظ والإرشاد، يقال: إنه كان يأتي كل يوم بختمة في رمضان، وتوفي عام ١٣٥٩ هـ .

وكان رحمه اللّه على جانبٍ عظيمٍ من الصلاح والعبادة عالماً فصيحاً كريماً ذا كلمةٍ مسموعةٍ، وله مواقفُ محمودةٌ في الإصلاح وخدمة الوطن، وقد ذكر مؤلف كتاب «عمدَةِ القاري» بأنه الرجلُ الذي تم الصُّلح على يديه بين الجيش الإماميِّ بقيادة عبداللّه بن أحمد الوزير وبين قبيلة آل حُمَيقان حين نُشُوبِ الحرب آنذاك، وكان في كثير من مواقفه الإصلاحية يرافق العابد المهاب الحبيب أحمد بن علي[1]، وكان رحمه اللّه يَأْبَى الضَّيْمَ ولا يصبر على ظُلم، ولَطالما هَجَرَ موطنه وعاش وحيداً بعيداً من جَرّاء صراحته ونقده للحكام عندما يخالفون تعاليم الشريعة الإسلامية .

ففي سنة ١٣٣٢ هـ عندما هاجم الجيش الإمامي ضواحي البيضاء تم اعتقاله مع أخيه صالح بن شيخ من قرية ذي خير، وتم نقلهما إلى رَداع، وبعد التحقق من عدم وجود أدلةٍ تُثْبِتُ إدانتهما أمر السيد أحمد بن القاسم[2] بإطلاق سراحهما وله مع سيدي الجد الهدار بن شيخ طرائف أدبية أثناء فترة السجن ، وفي عام ١٣٤٢ هـ عندما هاجم الجيش الإمامي مدينة البيضاء وضواحيها وقع من بعض أمراء الجند

---

(١) هو السيد العابد الناسك أحمد بن علي بن علوي بن سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، نشأ نشأة صلاح وعبادة في عَزّة من صغره، واشتهر بكرامات خارقة للعادة، له كثير من المواقف الصالحة، وبالذات في الإصلاح، وأخيرا استقر في المَخَطَّرة من ضواحي مدينة البيضاء إلى أن توفي بها عام ١٣٦٤ هـ ، وله عقب صالح بها.

(٢) هو العلامة أحمد بن قاسم بن عبداللّه حميد الدين ولد في قرية القابل سنة ١٢٧٧ هـ، وبها نشأ وأخذ عن كثير من علماء عصره ثم شارك في حرب الأتراك وتقدم في عدة معارك، ولنجاحه فيها طار صيته وعلا قدره واستمر على ذلك الحال حتى خروج الأتراك من اليمن، وكان عضداً مساعداً للإمام يحيى، وقام بعدة حملات إلى مناطق كثيرة في اليمن، وتوفي سنة ١٣٥٣ هـ .

الاستيلاءُ على بعض أموال الرعايا وهدمُ بيوتهم، فقام بإنكار ذلك وتصدى له فأُوذي أذىً كثيراً وهُدِمَ مسكنُه فاضطُرَّ إلى مغادرةِ موطنه، وانتقل إلى يافع حيث مكث حِقبةً من الزمن حتى أَرْسَلَ له الإمامُ يحيى رسالةً يطلب منه العودة ووعده بالأمان، وعاد إلى موطنه البيضاء إلا أنه كعادته يتألم ولا يصبرُ كلما رأى ضعيفاً يُظلم.. أو حُقوقاً تُهْضَم..

وقد حاول أن يَبُثَّ ما يعانيه الشعبُ من حُكّامه لوليِّ العهدِ أحمد الذي رأى أنه ربما يكون خيرَ مُؤَمَّلٍ لرفع قضايا الظلم والاستبداد عن كاهل الرعايا، لذلك نجده يمدح وليَّ العهد أحمد بقصيدةٍ عصماءَ ويبدأ بذكرِ ما يَجيشُ به صَدْرُه فيقول:

أَرِقْتُ ولكنْ عن شُجُونٍ وعن شَجْوَى   وعن فَرْقِ أحبابٍ ونَفْسٍ وما تَهْوَى

ثم يعرج بعد هذا فيمدح ولي العهد أحمد ليثير فيه نشوة العدل، وليوضح له بأن مراده من عرض هذه القصيدة الشكوى ورفع الظلم عن كواهل المظلومين فيقول:

إليكَ صَفِيَّ الدينِ وَجَّهْتُ طافحاً   مِنَ الشعرِ لا يستوجبُ المنَّ والجدوى
إذا سَرَّنا بالعدلِ يَحْيَى فإنه   وحَقِّكَ مسرورٌ بما عنكم يُرْوَى
فأنت المشارُ اليومَ في كلِّ وِجْهةٍ   من الشرق والغرب استقرَّ بك النجوى
وأنت الذي جَدَّدْتَ ما كان دارساً   من الخيرِ والمعروفِ والبرِّ والتقوى

ولم تقتصر حياة شاعرنا الهدار بن شيخ على الكفاح والدفاع عن حقوق المظلومين بل كان إلى جانب ذلك عالماً محباً للعلم متلهِّفاً على سماعه من أفواه المشايخ، ولطالما بحث عنهم وسعى إليهم، وقد كانت بينه وبين العلامة الإمام عبدالله بن عمر الشاطري رحمه الله المتوفى عام ١٣٦١ هـ شيخ تريم بحضرموت وعين علمائها مساجلاتٌ ومراسلاتٌ .

نستمعُ إلى شاعرنا الهدار حين يخاطب السيد عبداللّه المذكور في قصيدة يقول فيها:

سمعتُ حُوَيدِيَ الأضعانِ غَنّا ... فذَكّرَني مَسَرّاتِ الفُؤادِ
رُكُوبَ الرُّسْمِ تحت دُجى الليالي ... إلى وادي ابنِ راشِدَ خيرِ وادي
رويداً يا حُوَيدِيها رويداً ... بأرواحٍ أَضَرَّ بها بِعادي
عسى تَحْيا وإنْ كانتْ رميماً ... إذا وَقَفتْ على نيلِ المرادِ
على مُحْيِي النفوسِ ومن غَذاها ... وأهداها إلى سُبْلِ الرشادِ
سليلُ الأكرمين وخيرُ كهفٍ ... لِملْتَجِئٍ مِنَ المَحَنِ الشِّدادِ
إذا الشُّطّارُ إكْتَسَبُوا اللآلي ... فلُولو الشاطريْ أقصى مرادي
أبا الحسنِ انَّني أشكو إليكم ... أَلِيمَ عذابِ أربابِ العنادِ
مَنِ انتَحَلُوا عداوتَنا وأَبْدَوا ... لنا البغضا بِالْسِنَةٍ حِدادِ
كأنَّ خِصامَنا أشهى إليهم ... مِنَ السَّلْسالِ يا غايَة مُرادي
وليس لهم علينا أيُّ ذنبٍ ... وعندهمُ لنا بِيضُ الأيادي
فهذا بعضُ ما نشكو إليكم ... وليس بغيركمْ فَكُّ القيادِ
فنحن الأقربون وإنْ بَعُدْنا ... فما بَعُدَتْ على ارْباب الجيادِ
فقُمْ بذَويكَ يا أَمَلِي وسُؤْلِي ... ونادِ القومَ يا خِيرةْ مُنادي
وقلْ: أبناؤُكم وبنو أبيكم ... حَيارى بينَ مُعْتَرَكِ الأعادي
وذِمَّتُكُمْ سَمِعْتُ مُحافِظِيها ... يقولوا: دونَها خَرْطُ القَتادِ

ومن ذاك قوله يشكو مما يحدثُ لكثيرٍ من المصلحين:

يـا اللّـه يـادايم وغـيرك مـايدوم
يابـاني الدنيـا وجـاعل فوقهـا الشـمَّخ رسـوم
والسبع لخرى ألقيت فيها أملاك للخدمة تقوم

سبحان رافعها ومن زين سماها بالنجوم
بالكاف والنون استوى الكرسي وماتحت التخوم
ياسامعين القول صلوا تنجلي عنا الهموم
بالمصطفى وأهل الوفاء من نسل حيدر والفطوم
لاقال بوصالح علوم اليوم ياالهاجس علوم
قد لك بطامني ولا التأليف والفرقة تدوم
هو ماترى كم شل للباطل ونا صابر كتوم
ماحد مثيلي غير أبو عامر ولا حد لي يلوم
قد قال بو عامر برت لحمي تفاسير الهموم
صقور تحاداني ونا حادي عصافيراً وبوم
والعون بك ياالله على كثر الشواغل والهموم
والحمل لاهو جار حطيناه والحمال لاماقدر يقوم
فانت الرجا ياحيدنا المانع لنا من كل متكبر غشوم

وله شعرٌ غَزَلِيٌّ رقيقٌ منه قوله:

مـا بـال زينـبَ والربا ... بِ ورَبَّـتِ المقَـلِ السَّـواجِرْ
سَبَتْ الفـؤادَ ومـا السِّبا ... بُ بزَيـنِ أربـابِ المفـاخرْ[1]

وأما شعره الحُمينيُّ فهو أكثرُ من أَنْ يُذكر، وهو ذو عُذُوبَـةٍ فائقَـةٍ، ومعنـىً صادق وإحساسٍ بديعٍ، وقد غزا كلَّ المواضيع التي غزاها الشعرُ الحَكَمِيّ، فمِن ذلك الابتهالُ، نستـمع إليه في الفقرات التالية وهو يناجي ربه:

ياالله ياعالم جميع لسرار

(١) تقدم ذكرها كاملة في ترجمة شيخ الإسلام عبدالله بن عمر الشاطري.

يــــامحتصي عـــــدة خصيــــب لــــــمطار
ياســـــامع الـــــذر الخفـــــي لاســـــار
علـــى الصفـــاة الصخـــرة الشـــديدة
يــامن علـــى العـــرش اســتوى بــلا كيـــف
آمنـــت بـــك يـــامن بـــك آمـــن الخيـــف

وقوله:

أنــا ابــدا بــالذي للســر عالــم وعنــده مــاخفي ظــاهر ومفهــوم
وقســام العِيَــشْ بــين العوالــم وكــلاًّ حصتــه والــرزق مقســوم

وقوله يحذِّر مِن مجالسَة مَن لا خير فيهم:

كمـا مـن جـالس المسبوب يستب ولاحــد قــال بــامكن لســاني
وذي يجلـس مـع الجربـان يجـرب ومـن بعـد الجـرب مـوت الهـوانِ
ولخـوة كسـبهم ياخـير مكسـب هـو أحسـن مـن تكسـاب السـمانِ
نعـم يـامن كسـبهم مـاتخيب ونــا مابــاك يــاذي ماتبــاني

ومن ذلك قصيدته الحمينية التي بعث بها إلى الشيخ صالح بن أحمد باكر[1]:

---

(١) هو الشيخ صالح بن أحمد الباكري، من أسرة آل الباكري، و هم أسرة علمية قدمت كثيراً من الخدمات الخيرية في المجتمع، بالذات في مجال الوعظ والتوجيه والإرشاد والإصلاح بين قبائل المنطقة، وكثيراً مايقدمون نصائحهم بالشعر العامي ليصل إلى كافة طبقات المجتمع، ويمتزج بواقعهم، وأول من ظهر من هذه الأسرة الشيخ أحمد باكر بن أحمد باكر بن أحمد باكر بن عقيل بن عبدالله بن محمد الأنصاري نسباً، طلب العلم لمدة تزيد على اثني عشر عاماً ما بين حضرموت والحرمين الشريفين وزبيد، وله مشايخ كثيرون من حضرموت وغيرها، توفي رحمه الله ليلة الجمعة تاريخ ٢رمضان من عام ١٣٠٦ هـ.

وخلف ولدين الشيخ العلامة عاتق بن أحمد باكر والشيخ صالح بن أحمد باكر، وقد

باطلبك يامحل الدعاء والطلاب	عافنا واكفنا كل وسواسٍ
واصلح الخاتمة عند طي الكتاب	يوم تكمل علي عدة أنفاسي
يوم يرشح جبيني وذهني يغاب	من فزع موت للروح خلاسي
يوم تأتي ملائك بأمرٍ مهاب	جلسوني في القبر جلاسي
يا اللّه أنت الموفق لرد الجواب	لايقع في لساني تحلباسي
واجعل المصطفى ذي تصفى وطاب	شافعاً لي من الضر والباسِ
قال بوصالح الصوب تحت الحجاب	ماأدركوه التخاتر بهنداسي
والمصلى أمتلى من ونيم الذباب	واين صلي بثوب التنجاسي
والعبادة على غير نص الكتاب	واعترانا في الفكر خنطاسي
والخطيب يجيب الخطأ والصواب	مادرى ويش قال ابن عباسِ
مرحبا مرحب القوم لي ماتهاب	وازن أخشام كمن جبل راسي

أرسلهما والدهما لطلب العلم إلى حضرموت، واغترفا من بحور العلماء هناك، متنقلين بين تريم وسيئون، ونالا الشيء الكثير من المعارف والعلوم، وقد ولي القضاء الشيخ عاتق بعد وفاة والده إلى أن توفاه اللّه يوم الجمعة ١٨رمضان ١٣٤٩ هـ . أما الشيخ صالح بن أحمد باكر فقد توفي في أجواء عام ١٣٥٥ هـ.

ومنهم الشيخ العلامة أحمد بن صالح الباكري، رحل لطلب العلم إلى حضرموت، وتردد إليها أكثر من مرة وكان من العلماء الذين توفرت لهم المعارف والعلوم ، واستمر داعياً ومرشداً متنقلاً بين المناطق اليمنية حتى توفي مساء يوم الجمعة الموافق ٩ صفر ١٣٩٢هـ رحمه اللّه، ومن هم الشيخ العلامة عبداللّه بن صالح بن أحمد باكر، طلب العلم مع أخيه الشيخ أحمد بن صالح بن أحمد باكر ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الموافق ٤ القعدة ١٤١٤ هـ، ومنهم الشيخ صالح بن أحمد الباكري نزيل المدينة المنورة ، والشيخ محمد بن أحمد الباكري ، والشيخ الدكتور حسين بن أحمد الباكري عميد كلية الآداب بجامعة صنعاء ، ولهم ذرية صالحة جعل اللّه الخير باقياً فيهم وفي عقبهم إلى يوم الدين وإيانا آمين .

بـالقصيدة وذي جـا لــرد الجـواب ‏ وان جـا الشيخ قلنـا علــى الـراسِ
يا الرسول اطرح الرجل فوق الركـاب ‏ والقلـــم بـــانجره وقرطـــاسِ
طينمـا اتفقـد المرشـحه واللبـــاب ‏ بـــانبنكس جوابــك ببنكـــاسِ
خذ من الخيل ماقد حصـل لاتهـاب ‏ ســـارت المخيلـــة والتحيمـــاسِ
باتصل عند قـاضي بفصـل الخطـاب ‏ معـــدن العلـــم حـــل التفـــلاسِ
قـل لــبن بــاكر المعتــني بالقصـاب ‏ يعتـــمد قــول مــن علــم النـــاسِ
وادع ربـك لنـا والدعـا مسـتجاب ‏ لانــرى مكــر كـــافر ومكـــاسِ
واين كمن غضنفـر طويـل الشـناب ‏ كـــل عرنـــوط للـــموت دواسِ
ذي خذوها من انصـاب لـما وصـاب ‏ لا بلــد مصــر عوســاً وعواســـي
بعدمـا حـافظوا مـن نبيـح الكـلاب ‏ واعلنـــوا الديـــن في كـــل شماســـي
حد قتلهم وحد خـان فيهـم وعـاب ‏ واصبحـوا بــين حربـي ودساســـي
واصبح الديـن مثـل الغنـم والذيـاب ‏ كــل ضيعــة مــع ذيــب فراســـي
والف صلوا على الطيـب ابـن الطيـاب ‏ ذخرنـــا يـــوم بـــانقطع اليـــأسِ

وقد أشار إلى ذلـك الخَطْبِ الكبيرِ، وهـو تَفَكُّكُ الخلافـة العثـمانية،ومـا حصـل للـمسلمين من شتات بعدها، وفي قصيدةٍ أخرى قال:

ياراســي الليلــة لبــا منـــك خـــبر ‏ هو عادشي من سلطنة عبـد الحميـد
ذي كان في استنبول دافع كـل شـر ‏ والترك ذي سـاهم لديـن اللّه عبيـد
جـاهد على ديـن النبي طــه الأبــر ‏ ولاما ملك صنعاء وخذ محكم زبيـد

وفي اللّهجة العامية في المنطقة تُبْدل نون المضارعة لاماً، و« لبا » أصلها « نبا » بمعنى «نريد» .

وكان رحمه اللّه كثير التردد على المناطق للإصلاح والتجارة وبـالذات منطقـة ذي خـير والـملاجم والـمسمق، ولـه ارتبـاط وثيـق بأهلهـا وبـالذات المشـايخ آل صـالح

عبدالشيخ الصبري والـمشايخ آل سالـم سـعد العبـدلي ، ولـه معهـم حكايـات نـادرة وطريفة، ولازال يرددها الخلف بكل مودة وإخاء، وكان أكـثر مكثـه في قريـة الجنبـه، ثـم خلفه أولاده صالح وعبدالقادر وأحمد في التجارة والتردد على تلك المناطق، أما هو فقد استـمرَّ مصلحاً وموجِّهاً إلى أن فاجأه الأجلُ المحتومُ سنة ١٣٦٥ هـ بعـزة ودفـن بها .

السيد عَلَويّ بنُ عَبّاسٍ المالِكِيّ الحسني

هو العلامـة الحُجَّـة النحرير البحـر الخضـم عالـم الجزيـرة ومفـتي الحرمين السيد علوي بن عباس بن عبدالعزيز المالكي الحسني، ولد بمكة المكرمة عام ١٣٢٧ هـ من أسرةٍ في مكة عُرِفَتْ بالعلـم والفضل والسُّؤْدُد، وحفـظ القـرآن وهـو في العاشـرة مـن عمره، وتلقى تعليمه على والده السيد العلامة عباس بن عبدالعزيز المالكي عالـم مكـة الكبير، وعلى مشايخٍ كثيرٍ ذكَرَهُـم نجلُـه العلامـة محمـد بـن علـوي المـالكي في كتابـه «إتحاف ذوي الهِمَمِ العَلِيَّة برفع أسانيد والدي السنية» مع ذكر أسـانيدِه وإجازاتِـه [1]، وقد نشأَ المترجَم له نشأةً صالحةً وصلى بالناس التراويح في الحـرم المكـي وهـو في سِـنٍّ مبكرٍ، وكان يقوم بالتدريس في المسجد الحرام وحلقتُه الدراسـية مـن أعظـمِ الحلقـات ومن أكثرها عدداً، نظراً لغزارة علـمه، ولـما ينثره من معارف الـدرر أثنـاء التدريـس، حتى قال سيدي الوالد رحمه اللّه: لقد حضرتُ درساً له فسمعتُ كثـيراً مـن الفوائـد، وكلـما رَكَّزْتُ على مسألةٍ لأُقَيِّدَها وإذا بالأخرى تأتي أعظـمَ، قـال: فتـمثلتُ بقـول الشاعر:

---

(١) والذي طبعه قديماً ثـم اختصره فيما بعد ونقحه وطبعه باسم «العقود اللؤلؤية» .

تَكـاثَرَتِ الظِّبــاءُ علــى خِـراشٍ فمـا يَـدْرِي خِـراشٌ مـا يَصِيـد !

وكانت أولَ زيارةٍ له في ١٣٦٥ هـ أولَ حَجَّةٍ لسيدي الوالد رحمه اللّه تعالى، وقد أخذ عنه كثيراً وأجازه إجازةً عظيمةً وعاليةً نُورِدُهـا في فقـرة الإجـازات إن شـاء اللّـه تعالى .

وقد كان رحمه اللّه مشـتغلاً بـالتعليم والتدريـس ليلَـه ونهـارَه، وقـد أحصـى أحـدُ تلامذته دروسَه اليوميةَ، فإذا بها أكثرُ من ثلاثين درساً بين درسٍ خاصٍّ وعامٍّ .

وكان يُحَذِّرُ من طلب العلـم لغرض الدنيا وللتنافس عليها، ويقول: إن بعض حملـة الشهائد الذين لا يطلبون العلـم لذاته وإنما لشهائدهـم هـم أجهلُ من حمارِ الحكيم، ولـه مناقبُ ومآثرُ يردِّدُها طُلاّبُهُ وطلابهم من بعدهم كلُّها تُنْبِي عن مجموعة كبرى من المُثُلِ العليا يتحلى بها فضيلته، واستـمر على ذلك الحال حتى فاجأه الأجل المحتوم بعد حياةٍ حافلةٍ بالعلـم والأعمال الصالحة والدعوة إلى اللّه عام ١٣٩١ هـ بمكة المكرمة، وشيَّعَهُ الألوف من أهل مكة، وخَلَّفَ خليفتَه العلامة محمد بن علوي المـالكي والـمعروف في الأوساط العلـمية قاطبةً، رحم اللّه الفقيد وبارك في الخلف وجعل الخير فيـه وفي عقبـه إلى يوم الدين، وإيانا وأحبابنا آمين .

وقد قال سيدي الوالد رحمه اللّه مرثيةً فيه أُعْجِبَ بها نجلُه السيد محمـد بـن علـوي المالكي إعجاباً كبيراً، وقد كتب في «مذكَّراته» حول ذلك ما يلي:

دَمْعَةٌ على فَقِيدِ الإسلامِ وحَبِيبِ القُلُوبِ

الإمام الداعي إلى اللّه مفتي الحرمين سيدي المرحوم الحبيب علوي بن عباس الحسني المالكي المكي رحمه اللّه ورحمنا به آمين المتوفى سنة ١٣٩١ هـ

مـا لأُمِّ القُـرَى ضَناهـا البكـاءُ ! مـا نَهاهـا عنـهُ النُّهـى والذَّكـاءُ

وَيْحَهـا مالَهـا ومـاذا دهاهـا ؟ أَيُّ خَطْـبٍ هـذا ومـاذا البـلاءُ ؟

هل أتـى وعـدُ انشقاقِ الصَّفا عـن ... حَيَـوانٍ يَضِيـقُ منـه الفضـاءُ ؟
أم غَزاهـا في عُقْرِهـا حَبَشِـيٌّ ... أم جيـوشٌ فتُخْسَـفُ البيـداءُ ؟
لا تَلـمها عـن نَوْحِها فهْي ثَكْلَى ... غـاب عنهـا شِـهابُها الوَضّـاءُ
غـاب عنهـا ضِياؤُها حـينَ غـابتْ ... في ثَـرَى الأرضِ عينُهـا النَّجْـلاءُ
فـابكِ معْهـا فخَطْبُهـا أيُّ خَطْـبٍ ... وعلـى مِثْلِـهِ يَحِـلُّ البُكـاءُ
إبْكِ معْها فالأرضُ تبكي فقيدَ الدّ ... يـنِ معْهـا كمـا بَكَتْـهُ السـماءُ
حَـدَثٌ فـادِحٌ وخَطْـبٌ عظيـمٌ ... عنه حَدِّثْ وعنـه قُـلْ مـا تَشاءُ
إبْكِ معها بحراً من العِلمِ مِن بَعْـ ... ـضِ نَـداهُ الـرُّواة طُـرّاً رِواءُ
ابـنَ عَبّـاسٍ الفتـى عَلَوِيّـاً ... لعلـومِ المـاضينَ فهْـو الوِعـاءُ
هيكـلٌ كلُّـه جمـالٌ وعلـم ... وتُقًـى ومَهابـةٌ وحَيـاءُ
كم حـوى حكمـةً وفصلَ خطابٍ ... وبيـانٍ تَعْنُـو لـه البلغـاءُ
إنْ يَقُلْ يُظْهِرِ الصوابَ فـلا يَبْـ ... ـقَى على المشْكِلاتِ يوماً خفـاءُ
دعـوةٌ مـن أبيـه نـالَ بهـا مـا ... يَشْـتَهِيهِ فقـد أُجيـبَ الدعـاءُ
قـد حَبـاهُ بهـا إمـامُ هـداةٍ ... هُـمْ تُقـاةُ الزمـانِ والأقويـاءُ
حـاملُ السـرِّ سـرِّ آلِ علـيٍّ ... ولـه الفضـلُ فيهـمُ واللـواءُ
شيخُ أهلِ العلومِ مفخرُ أهلِ الـ ... ـلّـهِ طُـرّاً كـذا حكـى العلـماءُ
يـا فقيـدَ العلـومِ مهـلاً فللديـ ... ـنِ نحيـبٌ يَعِـزُّ معْـه العَـزاءُ
ثُلـمت منـه ثُلـمةٌ مـا لهـا قَـ ... ـطُّ انسـدادٌ وليـس منهـا غطـاءُ
هكـذا تُقْبَـضُ العلـومُ بقَبْـضِ الـ ... ـعلـماءِ فتَنْقُـصُ الغـبراءُ
أيهـا الراحـلُ العظيـمُ رويـداً ... بنفـوسٍ أنفاسُـها رَمْضـاءُ
قـد تركـتَ القلـوبَ تَدْمَـى وفيهـا ... حَسْـرةٌ مـا لهـا عليـك انقضـاءُ
ربِّ رُحمـاكَ للفقيـدِ فقابِلْـ ... ـه بفضـلٍ يَفِيـضُ منـه العطـاءُ
فيَعُـمُّ العبـادَ طُـرّاً فتَنْجـا ... بُ عـن الديـنِ هـذه الظَّلْـماءُ

يحملـــون العلـــومَ ثـــم يُـــؤَدُّو نَ الأمانـــاتِ عُلـــما أُمَنـــاءُ
واجْبُرِ الصَّوْبَ يَبْقَ للعلـم في بيـ ـــتِ الفقيـــدِ بَقِيَّـــةٌ خُلَفـــاءُ
خُـــصَّ منهـــم محمـــداً فأَنِلْـــهُ رُتْبَـــةً دونَ نيلهـــا الجـــوزاءُ
ثـــم زِدْ ربَّنـــا فآيـــةُ ﴿مـــا نَنْـ ـسَـخْ﴾ وبشـرى لـمثله ورجـاءُ
أَرْضِ وارضَـى عـن الفقيـدِ أَنِلْـهُ كـلَّ حـينٍ يـا ربَّنـا مـا تَشـاءُ
وبـأهلِ العَبـاءِ أَلْحِقْـهُ يُمْسِـي بينَهـمْ قـد كَسـاهُ ذاك الكِسـاءُ
وأَطِـبْ نُزْلَـهُ وأَكْرِمْـهُ مـعْ خَيـ ـرِ رفيـقٍ في مقعدِ الصـدق بـاؤُوا
زُمْـرَةٌ كلُّهـم نبيـونَ صِدِّيـ ـقُـونَ أو صـالحون أو شـهداءُ

الحبيب إبراهيم بن عُمَر ابن عَقِيل مُفتي محافظةِ تَعِزّ

وُلد الشيخ العلامة الحُجَّة إبراهيم بن عُمر بن عقيل في مَسِيلة آل الشيخ بحضرموت في يوم الأحد السابع والعشرين من صفر عام ١٣٢٧ هـ، وبهـا أخذ مبادئ القراءة والكتابة، ولقد ظهرت عنايةُ اللّه به منذ الصغر، فبدت عليه آيات النباهـة والتطلع إلى المعرفة والتعلق بمحبة مولاه والتوكل عليه، فمنذ أن كـان عمره ثـمان سنوات كـان يردد قول الإمام علي كرم اللّه وجهه:

رَضِيـتُ بمـا قَسَـمَ اللّـه لي وفَوَّضْـتُ أمـري إلى خـالقي
كمـا أَحْسَنَ اللّـه فيمـا مضـى كذلـك يُحْسِـنُ فيمـا بقـي

وقد خمسها رحمه اللّه وهو في هذا السن فقال:

إذا أَزْمَـةٌ أَنْشَـبَتْ قِبَلِـي وضِقْـتُ وضـاقتْ بهـا حِيَلِـي
تَذَكَّـرْتُ قَـولَ الإمـامِ علـيّ: «رَضِيـتُ بمـا قَسَـمَ اللّـه لي
وفَوَّضْـتُ أَمْـري إلى خـالقي»

فما عَتَم الضيقُ حتى انقضى   وجاءتْ تباشيرُ فَيضِ الرِّضى
وقد أَطْفَأَ اللّه جَمْرَ الغَضَى   « كما أحسنَ اللّه فيما مضى
كذلك يُحْسِنُ فيما بقي »

وتلقى تعليمه أولا عن عمه العلامة الكبير والعلم الشهير محمد بن عقيل بن عبداللّه ابن يحيى[1] رحمهم اللّه أجمعين، وهو صاحب «ثمراتِ المطالَعة»، والذي لا يزال مخطوطاً في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

وقد قال فيه الحبيب إبراهيم في منظومة له أسماها «مَشْرَعَ المددِ القَويّ في نَظْمِ السَّنَدِ العَلَوِيّ» - وهي القصيدة التي نظم فيها سلسلة سنده إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم - قال رحمه اللّه:

فمشايخي صِيدٌ كِرامٌ ما لَهُمْ   مِن مُشْبِهٍ في حاضرٍ أو بادي
أَخْذِي ولُبْسِي أوّلاً عن سيدي   عمي شقيقِ أبي رحيبِ النادي
المصلحِ السَّمْحِ الوَصُولِ السائحِ الـ   ـبطلِ الجَسورِ ومُرْغِمِ الحُسّادِ
الصدرِ محمودِ السجايا حافظٌ   ومحقِّقٌ يَسْمُو على النُّقّادِ

---

(١) هو العلامة الكبير والعلم الشهير محمد بن عقيل بن عبداللّه بن عمر ابن يحيى، ولد في شعبان سنة ١٢٧٩هـ بمسيلة آل الشيخ بالقرب من مدينة تريم وتربى في حجر والده، وأَحْضَرَ له من يقوم بتعليمه العلوم الشرعية والعربية، وكان كثير الاطلاع لا تفوت عليه شاردةٌ ولا واردة، قال شيخنا إبراهيم بن عقيل: إنه كان لا ينام حتى يقرأ نحوا من خمسين ورقة من القطع الكبير.

له رحلات إلى جنوب شرق آسيا للدعوة إلى اللّه وللتجارة، ولم يكن المال لديه سوى أداة لقضاء الحاجة، رحل إلى الصين واليابان وباريس والهند ومصر وسوريا والعراق، وقد قابله علماء تلك البلدان بغاية من الإجلال والإكرام، ثم انتقل إلى الحديدة وبها استقر، وكان الإمام يحيى يجله كثيرا ويعجب من كثرة علمه، واستمر في الحديدة إلى أن توفاه اللّه بها عام ١٣٥٠ هـ ودفن بها، رحمه اللّه رحمة الأبرار .

علامـــــةٌ فَهّامــــــةٌ بَحّاثَـــــــةٌ   دَرّاكَـــةٌ حَتْـــفٌ علـــى الأضـــدادِ

ثـم عن الشيخ عبدالله بن عمر الشاطري، وبالجملة فمشايخه أكثر من مئتـين منهـم شيوخ من اليمن والحرمين الشريفين ومن العراق .

أورد رحمه الله بعضهـم في منظومتـه سـالفة الذكـر[1]، ومنهـم أيضـا الشـيخ إسماعيل بن مهدي الغُرباني صاحب «نَفَس الرحمن» وكذلك الشيخ إسماعيل المذكـور الذي أخذ هو أيضا عن الشيخ إبراهيم رحمهم الله أجمعين .

وقد كان سيدي الشيخ إبراهيم رحمه الله يقوم بتدريس الكثير من الفنـون والعلـوم كعلوم القرآن والحديث والفقـه وأصولـه والـمواريث وعلـوم اللغـة بأقسـامها وعلـم المنطق، كما كان له باعٌ طويلٌ في علـم الفلك والعلوم المتصلة بهذا العلـم؛ لكنـه لـم يشتغل فيه لـما لابَسَ هذا العلـم.

وقد كان أحد مشايخه وهو الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن حسن الأهدل رحمه الله يجِلُّه كثـيراً ويقدِّمـه علـى أقرانـه . ولـه رحلـةٌ إلى العـراق عـام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٦م) والتحق خلال تواجده فيها بالكلية الحربية، وهـي أول بعثـة يمنيـة إلى الخـارج وتخـرج منها لكنه عندما عاد آثر الابتعاد عنها، وقد عينه الإمام أحمد عضوا في الديوان الملكي، كما أنه تولى إدارة المعارف ومناصب كثيرة أخرى، إلا أنه كان لا يلتفت إلى المناصب بل لـم يكن له التفاتٌ إلى الدنيا، بدليل أنه اشـتغل بالتجـارة حينمـا كـان في الحديـدة ونجح فيها نجاحاً باهراً؛ ولكنه لـم يستـمرَّ وتَرَكَها .

---

(١) وقد قام بشرح هذه المنظومة وترجمة الأعلام المذكورين فيها الأخ العلامة عمر بن محمـد بـن سالـم بن حفيظ جزاه الله خيرا ، يسر الله طبعها.

أما زهده فإن الأحرف والكلمات تعجز عن وصفه، فقد خرج من حضرموت وهو صاحب تلك الأملاك الواسعة، والتي تضاهي أملاك الملوك والأمراء لسَعَتِها وكثرة نخيلها، والتي من ضمنها المسِيلة مسقط رأسه، ولكنه خرج إيثاراً وزهداً فيها، وحينما زاحمه بعض أقاربه واتجه إلى القاضي وبيده وثائق الأراضي المتنازع عليها قال له شيخه الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري: يا إبراهيم، مَن نازعك في دينك فنازعه ومن نازعك في دُنياك فألْقِها في نَحْرِه، قال: فترك المنازعة عليها واتجه نحو الحديدة في رحلةٍ طويلةٍ ومضنيةٍ إلا أنه لا زال وهو في شيخوخته يذكرُ أَدَقَّ أخبارها.

أما حياته اليومية والتي كانت غالباً ما تدور في محيط منزله المتواضع، وفي أحد جوانب هذا المنزل زاويةٌ صغيرةٌ متواضعةٌ، وفي هذه الزاويةِ ترى بحرَ جودٍ زاخرٍ، وكان يتربع فيها شيخنا الإمام إبراهيم حيث يتردد عليه كثير من الأهالي للفتوى وللاستفسار عن عويصات المسائل الفقهية وبالذات في مسائل النكاح والفرائض، كما كانت تلك الزاوية مَقْصَداً لكثير من الضيوف والمحتاجين بمائدتها المتواضعة، والتي طالما شبع فيها الضيوف والجائعون والعاجزون.

وكان في حياته اليومية ملازماً للذكر تالياً للقرآن معيناً للضعفاء، مطعماً مكرماً للضيف مربياً ناشراً للعلم، مفتياً ناصحاً للأمة حريصاً على مصالحها، بشوشاً مقبلاً على مَن أراده، بيتُه مفتوحٌ أمام كل صاحب حاجة .

حَجَّ أكثر من عشرين حجة، وتخرج على يده كثير من طلاب العلم الأفاضل، وقد شاءت قدرة اللّه أن يتزوج سيدي الوالد ابنته أثناء إقامته لديه بتعز، وهي أم ولده طاهر، كما أنه رحمه اللّه قد زار الرباط بالبيضاء عدة مرات، وقد كلفني سيدي الوالد ذات مرة بأن أذهب إلى تعز وأطلب منه الوصول إلى البيضاء، فاستجاب رحمه اللّه، وحينما وصلتُ دخلتُ على سيدي الوالد وبشَّرتُه بوصوله فاستقبله والدموع تجري

من عينيه، وكانت أيامُ تواجده حينها أيامَ سرورٍ وأعيادٍ وأيِّ أعيادٍ، عُقِدَتْ فيها كثيرٌ من الدروس والمحاضرات العلمية، وقد أكرمني الله بالأخذ عنه في تعز والبيضاء .

وقد توفي رحمه الله في مدينة تعز في يوم الاثنين في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ١٤١٥ هـ ، وقد بلغ النبأ عبر وسائل الإعلام إلى كثير من الأصقاع فهز الدنيا، ووصل الخبر إلى سيدي الوالد فكان له كبير الأثر في نفسه، قال في «مذكراته» عنه: وفي مكة المكرمة أتانا الخبر المدهش بوفاة سيدنا وشيخنا الحبيب إبراهيم بن عمر بن يحيى بعد ابتلاءاتٍ لا تقوم لها الجبال، توفي ليلة الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى ١٤١٥ هـ وقد مَضَتْ له سِنُونَ صامتاً مُقْعَداً كُفَّ بصره في حياةٍ أشبه بالبرزخ، فارتعدت الفرائصُ لنبأ وفاته وبكتِ السماءُ والأرضُ لموته، رحمه الله ورحمنا به والمسلمين، وجمعنا بهم مع صفوةِ العبيد في مَقْعَدِ صدقٍ محلِّ المتقين:

والمتَّقُونَ رجالُهُ وحُضُورُهُ ... يا رَبِّ فالحِقْنا بِهِمْ يا رَبَّنا

وقد انتقلنا إلى تعز وأمرني سيدي الوالد أن أقوم بتأبينه في جامع المظفر قبل الصلاة عليه، وكان يومُ وفاته يوماً مشهوداً خرجتْ تَعِزٌّ فيه عن بَكَرَةِ أبيها، ونقل جثمانه إلى مقبرة حَبِيل سلمان، حيث أوصى أن يدفن بها رحمه الله رحمة الأبرار، ونفعنا به في الدنيا والآخرة آمين.

الإمامُ الشهيدُ أحمدُ بنُ صالحٍ الحَدّاد

الإمام الشهيد العلامة المجاهد بلسانه وقلمه وقدمه أحمد بن صالح الحداد، ولد في نِصاب عام ١٣٢٩ هـ بعد أن وصل إليها والده الحبيب صالح بن عبدالله الحداد العلامة الكبير من قيدون وتأَهَّلَ بها، ثم رحل إلى جاوة ومكث بها نحواً من ثمانِ

سنواتٍ، ثـم عاد إلى نِصاب . وكان على جانبٍ عظيمٍ من الصلاح والزهـد والعبـادة مع علـم غزيرٍ في كثير من الفنون التي قام بِبَثِّها في نِصاب بعد سُكناه بها، حتى قيل:

نِصَـــابُ هُـــزِّي طَرَبـــا وأنْعَمِـــي مُكْتَسَـــبا
العِلْـــم فيـــكِ طُلِبـــا يـــا كَعْبَـــةً للقـــاصدينْ

وكان الحبيب صالح مُهـابَ الطَّلعة قـويَّ الحُجَّـةِ صادعـاً بـالحق ذا فَراسـةٍ صادقـةٍ منحها اللّه إياه، أما العبادة فقد نقل عنه ولده أشياءَ لا يَقْدِرُ عليهـا إلا كُمَّـلُ الرجـال، منها ما قاله رضي اللّه عنه: لقد رأيتُ والدي الحبيب صالح يركعُ فسَجَدَ مع بدايتي في دراسة القرآن الكريم -وكان حافظاً لكتاب اللّه- فإذا به مستغرقٌ في سـجوده، فمـا رفع رأسه من السجود إلا بعد أَنْ أَكْمَلْتُ رُبْعَ القُرآن، وبالجملة فمناقبه مشهورةٌ، وقد مَنَحَهُ اللّه من الكرامات الخارقة للعادة ما لا يدخل تحت نطاقٍ . وقد تُـوفي في نصـاب عام ١٣٥٢ هـ ودفن بها رحمه اللّه رحمة الأبرار وأسكنه برحمته دار القرار .

ونعـود إلى صـاحب الترجمـة فنقـول: قـد نشـأ في حجـر والـده متـمثلاً بـالحديث القدسي: «أيها الشابُّ التاركُ شَهْوَتَه مِن أجلي أنتَ عندي كبعضِ ملائكتي» مـع هيبـةٍ ووقارٍ، فكان في باكورة عمره لا صبوةَ له وكأنه في العقد السابع من عمره، وقد تلقى كثيراً من العلوم على والده الحبيب صالح وبالذات في التفسير والحديث والفقـه واللغـة العربية، حتى قيل: إنه قرأ على والده «الـمنهاج» و«الـمهذب» وهما من أمهات كتب الفقه في مذهب الإمام الشافعي، وبعد وفاة والده في ١٣٥٥ هـ رحل إلى حضرمـوت وأخذ عن جل علـمائها، وفي مقدمتهم شيخ الإسلام عبداللّه بن عمر الشاطري .

اهتـمامه بالدعوة: قام رحمه اللّه بفتح مدرسةٍ أهليةٍ في مدينة نصابٍ لتعليم مبـادئ القراءة والقرآن ومبادئ التفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية، واستـمرت هـذه المدرسة العلـمية في عطائها إلى أن أقفلتها السلطة أيام تـولي الحـزب الاشـتراكي، وقـد

كان رحمه اللّه يتنقل للدعوة إلى اللّه من منطقةٍ إلى أخرى يُذَكِّرُ بأيـامِ اللّـه ويدعـو إلى جمع الكلـمة ووحدة الصف، ويطفئ كثيراً من الفتن بين القبـائل المتنـاحرة، مـع زهـدٍ وورعٍ نادرٍ حتى كان يقصد كثيراً من المساجد دون أن يكلف أحـداً مَؤُونَـةَ ضِيافتـه، ويحذر أتباعــه ومريديـه مـن أن يقـوم أحـدٌ بضيـافتهم أثنـاء خروجهـم، ولـه في ذلـك حكاياتٌ نادرةٌ وظريفةٌ وله وجاهةٌ كبيرةٌ لدى القبائل وخاصة في احترام مواثيق عهده في الصلح بينهم .

استشهاده رضي اللّه عنه: عرف المجتـمع اليمـني الإمـام الشـهيد أحمـد بـن صـالح الحداد داعياً إلى اللّه مصلحاً اجتـماعياً، له كثيرٌ من المواقف الطيبة والشريفة في إصلاح المجتـمع دون طلبِ جزاءٍ ولا شكور من أحد من الناس، غير أن حثالة الجنس البشــري من رِعاع الناس وسَقَطِهِم انقَضُّوا على هذا العَلـم الشّامِخِ بعد أن عاد مـن المسـجد في صبيحة يوم ٢٧ رجب ١٣٩٢ هـ بعد أن صلى بالنـاس ووقـف علـى آيـة ﴿ولـمن خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنّتان﴾ من سورة الرحمن، وكان يقرأ القرآن في صلاة الصبح في كـلِّ يومٍ شيئاً منه حيث كان مِن حَفَظَتِه عـن ظهـر قلـب ، فلـم يشـعر بـالأنذال إلا وهـم يقتحمون منزله ويهجمون على جسده الطاهر ويضعون حبلاً في عنقه وهـم يلهجـون ويصفقون: تحرير المرأة واجب، لا كهنوت بعد اليوم، إلى غير ذلك من العبائر الخبيثـة. وقد عملوا خطةً ماكرةً حيث قَضَوا في اليوم الأول على كل ذي حَمِيَّةٍ وشهامةٍ، حتى قتلوا في ذلك اليوم كثيراً مــن طُلاّبِـه ومـن أعيـانٍ ووجهـاءِ مدينـة نصـاب دون ذنـبٍ اقترفوه ودون محاكمةٍ، وإنما لِيُمَهِّدُوا لقتل هذا العالـم الكبير.

وتُساءلُ التاريخ: هل هَتَكَ عِرْضَ أحدٍ منكم ؟ فيجيب: كلا فهو مـن أنـزه النـاس عِرضاً.. وتسائلهم: هل ظَلـم أحداً ؟ هل أخذ مالَ أحـدٍ ؟ فيبجيبـون بلسـان حـالهم:

كلا بل لقد كـان ملجـأً لكثيرٍ مـن النـاس ومنـاراً وعلـماً يُستضاءُ بفكـره.. مُكْرِمـاً للضيف معيناً للكَلِّ باذلاً سخياً معيناً لكلِّ ذي نائبةٍ..

فحَمَّلَهُمُ التاريخُ كلَّ معاني الخزي والعار والبوار، وهاهي ذكرى استشهاده تطارد أولئك السَّقَط وتُحَمِّلُهُم أبشع عبائر الإجرام والتخلي عن الدين والشرف والإنسانية.. إنها ذكرى مؤلـمةٌ من صُنّاع الهزائم والـمظالـم في فترة من الزمـن لـم يعـرف اليمـن أبشعَ منها ولن يعرفها إن شاء اللّه .

ومما قاله سيدي الوالد حينما تَعَرَّضَ لترجمته في «مذكراته»:

وفي شعبان ١٣٩٢ هـ بلغنا نبأ الحادث العظيـم والنبـأ الجسيم، وهـو قتـل سيدنا الإمام علـم الأعلام أحمد بن صالح الحداد رحمه اللّه على أيدي الفجـرة الكفـرة، حتى أراد اللّه سبحانه إكرامه بالشهادة على أيديهم زيـادةً في درجاتـه، وليعـرف أصحـاب الأخدود ومن سبقهم من أهل الابتلاء من الصالحين أن بعدهم مَن أُوذِيَ في اللّه مثلَهم وأُخرجَ من داره لأجل اللّه مثلهم، وقد قاتل بدعوته إلى اللّه وذكر مـا يوجبـه الشـرع على المرتدين وبدعواته في كل مناسبة، ثـم قتل في اللّه، فحُـقَّ لـه مـا وعـد اللّـه بقولـه سبحانه: ﴿فاستجابَ لهم ربُّهُمْ أَنّـي لا أُضِيـعُ عَمَـلَ عـامِلٍ مِنْكُـمْ مِـن ذَكَـرٍ أو أُنْثَـى بَعضُكُمْ مِن بَعْضٍ فـالّذين هـاجَرُوا وأُخرِجُـوا مِـن دِيـارِهِمْ وأُوذُوا في سَبِيلِي وقـاتَلُوا وقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عنهم سَيِّئاتِهِمْ ولأُدْخِلَنَّهُمْ جَنّاتٍ تجري مِن تحتِها الأنهارُ ثواباً من عنـد اللّه واللّه عندَه حُسْنُ الثّوابِ﴾، وقد صدم العالـم الإسلامي صدمة قاسية لا نظـير لهـا منذ عهد السبط الحسين، ويحِقُّ لها أَنْ تُسَمَّى كربلاء الثانيـة، فـارتجت الارض وبكـت السماء وذُهِلَتِ العُقول وتحيرت الألباب، فسبحان المتصرف بما شاء، لـه الحكـم وإليـه ترجعون، فسبحان اللّـه كـم أَسْعَدَ قومـاً بشـقاوةِ آخريـن، وكـل شـيء عنـده بـأجل مسمى، وأسعدُ السعداء مَن نال مثلَ هـذا في سـبيل اللّـه، ومـن أجـل اللّـه، فقـد شُـقَّ

الأنبياءُ والصِّدِّيقُونَ بالمناشير، ومُشِّطُوا بأمشاطِ الحديد ما دون عظامهم من لحم وعَصَب وعروق، فلم يَصُدَّهُمْ عن دين اللّه، وهذا الحبيب الفقيد الشهيد غُرَّةٌ في جبين العصر، وواحدُ الأعيان ولا فخر، كم جمع اللّه له من الكمالات، علماً وعملاً وأدباً مع اللّه، ومع خلق اللّه، فَلَهُوَ أَشَدُّ حياءً من كُلِّ ذي حياءٍ ومُروءةٍ وكرماً وعطفاً ولطفاً، فلا مطمعَ لشرحِ مواهب اللّه ومِنَنِه على هذا الحبيب، فهنيئاً له ما أعطاه مولاه، وهنيئاً هذه المرتبةُ التي رفعتْهُ مقاماً عَلِيّاً، وفي آخر كلامه قال: اللّهم لا تحرمنا أجرهم ولا تَفْتِنّا بعدَهم ووَفِّقْنا لما يُرضيك عنا، وهَبْ لنا في عافيةٍ ما وَهَبْتَ لهم، واجمعنا بهم بعد طول العمر في أكمل الطاعات في خيرٍ ولطفٍ وعافيةٍ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عند مليك مقتدر، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وممن ترجم له السيد أبوبكر العدني ابن علي المشهور في كتابه «قبسات النور» في ترجمة والده الداعية إلى اللّه الحبيب علي المشهور[1] ، مطبوع.

الشيخ مُحَمَّدُ بنُ حُسَينٍ الهَيثميّ

ومن جملة شيوخ الحبيب محمد الهدار رحمه اللّه فضيلة الشيخ العلامة المجتهد في طاعة اللّه ورسوله محمد بن حسين بن أحمد بن واصل بن الشيخ حيدر بن سعيد السَّنْحَانِيّ . ولد بمدينة البيضاء ١٢٩٢ هـ ونشأ بناحية آل حميقان حتى إذا بلغ ثلاثة وعشرين عاماً رحل لطلب العلم ووصل حضرموت واستقر بمدينة العلم تريم عام ١٣١٥ هـ ، هكذا وجدناه في «مذكراته» .

---

(١) وستأتي ترجمتهما عند الحديث عن الأربطة في اليمن.

عُرف بالجدِّ والمثابرة والصدق في طلب العلم حتى قال: إنه طلع عليه الفجر ذات ليلة وهو لا يشعر من استغراقه في مطالعة الدروس، وكان من شيوخه الكرام الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور والحبيب علوي بن عبدالرحمن المشهور والحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري، ونبغ في وقتٍ قريبٍ، فاختاره شيوخه للتصدر والتدريس، ويفيد أن أكثر استفادته من شيخه الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري، وكان رحمه اللّه مشعلاً من مشاعل الهدى وداعياً من دعاة الإصلاح، وقد تصدَّر للتدريس بمدينة البيضاء بعد أن وصل إليها عام ١٣٢١ هـ وتولى إمامة مسجد القاضي بعد عودته من تريم . بمساعدة أخيه الشيخ صادق حسين الهيثمي[1] .

وكانت الروابط الروحية بينه وبين مشايخه قوية للغاية بدليل المراسلات والقصائد المتداولة بينهم . من ذلك رسالةٌ موجهةٌ إليه من شيخه السيد علوي بن عبدالرحمن المشهور يجيزه فيها بكلِّ ما تَجُوزُ له روايتُه من فقهٍ وحديثٍ وذِكْرٍ، كما أرسل السيد علوي المشهور قصيدةً وجَّهَها إلى الشيخ المذكور قال فيها:

أيا ابنَ الحسينِ الألمعيِّ الفتى الذي ... تَبَوَّأَ محراباً وكان به فرداً
عليكَ مَدارُ الشانِ فاسْمَعْ أخا العلا ... لِنُصْحٍ حَوَى المقصودَ والأصلَ والحَدّا

---

(١) هو الشيخ صادق بن حسين الهيثمي، ولد في مدينة البيضاء وبها نشأ وترعرع ، ولازم أخاه الشيخ محمد حسين الهيثمي، ثم رحل إلى حضرموت لطلب العلم وأخذ عن جُل علمائها، وله حكايات طريفة مع شيخ الإسلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس، ثم عاد إلى البيضاء وبها استمر مرشداً إلى جانب أخيه المذكور ، ثم انتقل إلى الصومال مقديشو وبها طنب خيامه داعياً ومرشداً، وله ذرية صالحة في البيضاء والصومال ، وقد خلَفه ولده الشيخ حسن بن صادق الهيثمي إمام وخطيب الجامع الكبير في البيضاء ، واستمر الشيخ صادق في الصومال إلى أن أدركته الوفاة في شهر صفر ١٣٧٢ هـ ودفن بمقديشو رحمه اللّه رحمة الأبرار.

عليكَ بنشرِ العلمِ في كلِ حالةٍ ... ووقتٍ بلطفٍ كُنْ لطُلاّبِهِ عبدا
وأُبْذُلْهُ للإخوانِ خيرِ عشيرةٍ ... وبَلِّغْهُ مَن قابلتَ خُصَّ به الجُنْدا
من المسلمين الجاهلين فقُمْ بِهِمْ ... لِوَجْهِ إلهٍ لا جزاءً ولا حمدا
تُلَقِّنُهُمْ معنى الشهادةِ والصـ ... ـلاةِ وفي أركانها بَيِّنِ المدّا
لتكبيرةِ الإحرام بيِّن مخارجَ الـ ... ـحروفِ ورَتِّلْ للمثاني دَعِ السَّردا

إلى أن قال:

لقد عَزَّ في هذا الزمانِ مُوافِقٌ ... سِوَى إنْ بَذَلْتَ الفضلَ والخُلْقَ والحمدا
عليكَ به فاطْلُبْهُ تَحْظَ بنفْعِهِ ... فوائدُه لا أستطيعُ لها عَدّا
وأوصيكَ دَعْ هذا الخيالَ وما هو الـ ... ـخيالُ؟ هو الرسمُ الذي قَطَعَ العبدا
عن الرَّبِّ فاربأْ لا تَرُومُ سوى إذا ابْـ ... ـتُليتَ فإنْوِ الخيرَ إنْ لم تجدْ بُدّا
وفيه حجابُ القلبِ قطعاً وإنما ... لكلِّ امرئٍ ما قد نوى فاسلُكِ القَصْدا
وحسبي ففي ما قد ذَكَرْتُ وسائلٌ ... لُنجْحِكَ فالْزَمْ ما مُلِي ولْيَكُنْ وِردا
عليكَ به دأْباً فإنك وارثُ الـ ... ـمقامِ فدُمْ واستكثرِ الشُّكْرَ والحمدا

وقد ترك الشيخ محمد بقلمه تفاصيل رحلته إلى حضرموت وما واجهه من متاعب في سبيل تحصيل العلم، واستمر في التعليم والإرشاد والدعوة إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى انتقل إلى جوار ربه في عام ١٣٨٠ هـ ودفن بمقبرة فدعق بمدينة البيضاء .

الشيخ مَحفُوظ بن سالم بن عُثمان الزُّبَيدي

هو فضيلة الشيخ محفوظ بن سالم بن عثمان الزُّبَيدي، ولد في بور من أعمال حضرموت الداخل سنة ١٣٢١ هـ تقريبا، وكان أجداده من شِبام، ثم انتقلوا إلى

مريمة ثـم انتقل جَدُّهُ الشيخ أحمد بن عبدالله بن حسين بن عثمان إلى حوطة سـلطانة، والتي نشأ فيها الشيخ محفوظ وتَلَقَّى بواكير المعرفة، ودخـل رباط سيؤون دون علـم والده، وتلقى العلـم على يد الحبيب عبدالله بن علي الحبشي، وقرأ عليه مبادئ الفقـه والقرآن، وقرأ مبادئ النحو على الحبيب محمد بن حامد باعلوي، ومكـث في سيؤون مدة سنتين، ثـم سافر إلى تريم والتحق برباطها وأخذ عن الحبيب العلامـة عبداللّه بـن عمر الشاطري، وأشار عليه بقراءة «الآجُرُّومِيّة» في النحو، فأُرْتِجَ عليه، ثـم سافر خُفْيَةً إلى سيؤون ضائقاً من النحو، وفي أحد الأيام زار الحبيب عبداللّـه بـن عمـر الشـاطري رباطَ سيؤون وقال له: لا بأس عليك من النحو ولا من غيره، وكان له بعد ذلك فتـحٌ كبير.. وعطاءٌ ومددٌ كثير.. ولـم تـمر عليه سنتان حتى كان الحبيب عبداللّه يُصَـدِّرُه في دروس الطلبة بالرباط، وكان يأخذ طعامه المقرر له في الرباط فيقسمه نصفين نصف يتصـدق بـه والآخـر يأكلـه، وكـان لـه ارتبـاطٌ قـويٌّ بـالحبيب عبدالبـاري بـن شـيخ العيدروس، ويحضر دروسه ويصلي أول الليل عنده في مسجد الأبرار، وينشد بين يديه بعد صلاة التراويح، ولـم يزل كذلك حتى وفاة الحبيب عبدالبـاري، وقـرأ أيضـا علـى الحبيب عبدللّه بـن عيـدروس العيـدروس في الروحـة وتعلـق كثـيراً بـدروس الحبيـب علوي بن عبدالرحمن المشهور .

وقد ظَلَّ المترجَمُ منشداً في مسجد المحضار في رمضان مدة أربعين عاماً، كمـا رافـق الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري ولازم مجالسه ودروسه ومذاكراته حتـى وفاتـه، ثـم بعده لازم الحبيب علوي بن شهاب وكان الحبيب علوي يُقدِّرُهُ كثيراً ويطلـب منـه أن يعلـم ولده محمد بن علوي فيستجيب، وكان سيدي الوالـد يقـول: إنـه وِعـاءٌ حُشِـيَ علـماً، وقد أكرمني اللّه بزيارته، والأخذ عنه، وقد أخبرني أن الحبيب عبداللّه بن عمـر الشاطري أمره بالتنقل في المدن والقرى لنشر الدعوة، وأنه زار البيضاء في وقت قديـم،

وأنه نزل ضيفاً على الشيخ عبدربه بن عمر الفقيه إمام مسجد حسين[1]، وهو أخو الشيخ عبدالواحد الفقيه، وكلاهما طلبا العلم بتريم .

قال سيدي الوالد: وقد كان الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب في مذاكراته يشيد بالشيخ عبدالواحد الفقيه، ويقول: إنه كان زاهداً، وقد امتدح الشيخ محفوظ سيدي الوالد بقصيدة حمينية طويلة مثبتة في «ديوانه» مطلعها:

ياابن هدار هل دعوة تزيل التضرار
يا ابن هدار هل دعوة تزيل التكدار
خصك الله باشياء ليس تحصى لحصار
ماقدر أحصي عشر وصفك ولاعشر معشار
اصلح الله أمورك في الظواهر ولسرار
دوب تفخر بك البيضاء بها تجري أنهار
دوب تفخر بكم تزهو على كل لقطار
ياهناها بكم عنها انتفت كل لعسار
بختها بختها بخت اهلها بالعطا السار

---

(١) هو الشيخ العلامة عبدربه بن عمر بن شيخ الفقيه، من العلماء الأبرار الصالحين ذو زهد وورع وعبادة، وقد كان معلما للقرآن في مدينة البيضاء وقائما بمسجد الإمام الحسين، وهو شقيق الشيخ عبدالواحد عمر الفقيه المعروف بالعلم والصلاح، وهو من أسرة علمية نزحت من يافع واستقرت بالبيضاء.

وللشيخ عبدربه عقب صالح في البيضاء إن شاء الله، أما الشيخ عبدالواحد فلم يكن له أولاد ذكور، ومن أعلامهم الحاج سالم بن عبدالله الفقيه رجل صالح رحل لطلب العلم إلى تريم ثم عاد إلى البيضاء واستمر بها إلى أن توفي ١٤٠٢ هـ، أما الشيخ عبدربه فقد استمر على حاله في مسجد الإمام الحسين حتى وفاته ١٣٩٥ هـ .

يـوم صـارت مقـر العلـم والقـوم لطهـار
شـاد فيهـا ربـاط العلـم معـدن للنـوار
حـل فيهـا الهـدى والفتـح مـن اهـل بشـار
في ربـاط التقـى فيهـا مسـرات وأنـوار
نعـم هـذي المبـاني لي لهـا أشـجار وازهـار
نفعهـا لـم يـزل دائـم علـى كـل لعصـار
قـد بنـت بـالتقى واللّـه مـاقط تنهـار

وهي طويلة اقتصرنا منها على الأبيات المذكورة .

وفي أُخريات حياة الشيخ محفوظ ابتُلِيَ بمرضِ حُرْقَةِ البول فسافر إلى عدن للعلاج،وعندما علم سيدي الوالد بأنه في عدن أرسل إليه الأخ ناصر ناجي [1] للاطمئنان عليه، على الرغم من المغامرة الخطرة لكل من يقترب من الحدود لما كان مسمى بالجنوب في تلك الآونة ، ثم عاد إلى تريم وعاد إليه المرض، فانتقل إلى جوار ربه سنة ١٣٩٦ هـ، رحمه اللّه رحمة الأبرار، وجمعنا به في مستقر رحمته من غير سابقة عذاب ولا عتاب ولا تبعة ولا حساب بعد طول العمر في طاعته ورضاه آمين.

---

(١) ناصر بن ناجي بن عبداللّه الطيار، عابد من أبناء البيضاء، نزحت أسرته من نواحي الحجرية إلى البيضاء، ينتسبون إلى سيدنا جعفر الطيار، كان كثير التردد على المساجد كثير الخدمة فيها كثير التعهد لذوي الحاجات، وبالذات العجزة، توفي في عدن ثم نقل جثمانه إلى البيضاء ودفن بها، في ٢٤ شوال ١٤٠١ هـ وهو في سن الخمسين تقريباً، رحمه اللّه رحمة الأبرار.

العلامة الكبير محمَّد بنُ أحمدَ الشاطري

هو الأستاذ القدير والكاتب الكبير العلامة الحُلاحِل ذو القلم السيّال محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، ولد بتريم عام ١٣٣١ هـ ، وبها نشأ وترعرع وتلقى العلوم على يد والده مفتي تريم الغنا العلامة الكبير أحمد بن عمر الشاطري، وعلى يد شيخ الإسلام الإمام عبدالله بن عمر الشاطري وغيرهما، فلمع نَجْمُهُ في سماء العلوم وهو في سِنٍّ مُبَكِّرٍ، وقد أودعَ الله في فطرتِه من الذكاء ما جعله يتقدَّم على أقرانه وجعل كثيراً منهم يتتلمذُ على يديه، كما ترجم له مشايخه وتكلموا عنه بكل إعجابٍ وإجلالٍ حتى إنه ألَّف منظومته «اليواقيت» وهو لم يتجاوز العقد الثاني من عمره، وهو مع علمه الغزير جَمُّ التواضعِ دَمِثُ الأخلاق رَحْبُ الصَّدْرِ لَيِّنُ العَرِيكَة جميلُ المعاشرة، وقد كان سيدي الوالد رحمه الله كثيرَ التبجيل له، وطالما أشاد به وبعلومه الكثيرة .

أعماله: من أهم أعماله تأسيس جمعية الأُخُوَّةِ والمعاونةِ بتريم حضرموت سنة ١٣٥١هـ، وهي من الجمعيات التي قامت بأدوارٍ لا يُستهان بها، ومنها:

- القيام بتأليف ووضع منهج لوزارة التربية بحضرموت .

- القيام بالتدريس في سنغافورة في مدرسة الجنيد، وقد تخرج على يديه الجَمُّ الغفير من العلماء المصلحين .

- تأسيس المدرسة الثانوية بالسلطنة الكثيرية بحضرموت .

- القيام بترتيب وتنظيم وزارة المعارف في السلطنة العَوْذَلِيّة قبل قيام الثورة اليمنية، والتي أخرجت الكثير الطيب، وخرَّجت الطلاب تلو الطلاب على هدى وبصيرة وصلاح .

كما كان عضواً في مجلس القضاء الأعلى بحضرموت ١٣٦٣ هـ ومفتياً للسلطنة الكثيرية ورئيساً لبلدية تريم .

مؤلفاته: بحسب تاريخ صدورها غالباً:

(١) دواء المعلول

(٢) اليواقيت من فن المواقيت

(٣) موقف اليمن من الرجعية الجاهلية

(٤) سيرة السلف

(٥) كيف نحن !

(٦) أدوار التاريخ الحضرمي

(٧) ديوان الشاطري

(٨) القطوف الجنية من الأشعار الشاطرية

(٩) الإجابات الشرعية على أسئلة الجهات الرسمية

(١٠) الدروس التوحيدية

(١١) مجموع المحاضرات

(١٢) محمد علي زينل رائد نهضة وزعيم إصلاح ومؤسس مدارس الفلاح

(١٣) المعجم اللطيف لأسباب الألقاب والكنى في النسب الشريف

(١٤) الفتاوى الشرعية

(١٥) شرح الياقوت النفيس

(١٦) الوحدة الإسلامية

(١٧) الممانعة من الوقوع في أخطاء شائعة

كما كانت له رحلات إلى مصر والجزيرة والشرق الأقصى، ولقي من علماء تلك البلاد كلَّ حفاوةٍ وترحيبٍ، وكان موضعَ التقدير والإجلال من كل من عرفه وعاشره، وشيخنا الأجل في العقد التاسع من عمره المديد، إلا أنه لا زال يخرج الكثير

والكثير من المعارف والعلوم بالإضافة إلى كثيرٍ من الدروس التي يقوم بها صباحاً ومساءً حفظه اللّه وأدام النفع به، وقد قلت فيه حينما زرتُه في جدَّة وحضرتُ بعض دروسه العلمية التي تُنبي عن مدى ما يتحلى به من علم واسعٍ واطلاعٍ كبيرٍ في رسالة بعثتها إليه:

في ربا روضةِ الجمالِ الفريدِ ... تتغنى الطيور بالتغريدِ
تتغنى على الخمائل نشوى ... بورودٍ تميسُ فيها ورودي
حين كانتْ أشجارُها مثمراتٍ ... تتدلى بظلِّها الممدودِ
وخريرُ المياهِ يلقي عليها ... كلَّ لحنٍ من الجمال جديدِ
منظرٌ رائعٌ وجوٌّ لطيفٌ ... ونسيمٌ يشفي فؤادَ العميدِ
للأزاهير في رباها ابتسامٌ ... يتباهى مع ابتسام الغيدِ
وقلوبٌ على الصفاء تربَّتْ ... فهي أصفى من مائها الموروِدِ
هي أقصى ما نرتجيه ولكن ... أذهلتني عنها رياض الجدودِ
أذهلتني عنها موائد كبرى ... مالها من مشابه أو نديدِ
عند عز الإسلام أو قل جمالَ الـ ... ـدِّينِ أو صِفْهُ بالفتى الصنديدِ
نجل مفتي الديار أحمد وابن الـ ... أكرمينَ الجيادِ نجل الصيدِ
هو حاوي علومِ قومٍ كرامٍ ... ليس يحصي أقلَّها تحديدي
حَسَبٌ باذخٌ ومجدٌ رفيعٌ ... لا يفيه مهما وصفتُ نشيدي
دوحةٌ ضمتِ الغطاريفَ والبا ... ني عراها بكل قَرْمٍ شديدِ
كالفتى الشاطريِّ وابن شهابٍ ... ورجالٍ أقلُّهم كالجنيدِ
بالمثاني سَرَوا على ظلمة الليـ ... ـلِ وفازوا فيها بطول السجودِ
بل وبالجد والجهاد ونشر الـ ... ـدينِ منهم كذا وبذل الجودِ
سل لجاوه وسَلْ لِجُلَّقَ عنهم ... وسل الكاتبين كالمسعودي

وسل البر والبحار وأوغل ... في الفلبين في بلاد الهنودِ
ياعويلا لفقدهم بل ويا شو ... قاهُ شوقاً أذكى نياط وريدي
لحياة دعوا إليها وللسيـ ... ـرِ على وفق نهجها المحمودِ
رفع اللّه شأوهم واجتباهم ... وحباهم رغماً لكل حسودِ
فهم الطيب الكثير ومنهم ... كم همامٍ حوى عرين الأسودِ
كم بوادي الأحقاف شادوا صروحاً ... وبنوها بكل فعل حميدِ
كم إليها رنا الزمان وكم غـ ... ـنّى بـ«يا حضرموت» هاتِ وزيدي
أيها المنبع المعين أنا الصا ... دي وإن كنتُ في مكان بعيدِ
كم كرعنا منكم رحيقاً وكم نا ... دى الفؤادُ الظمآنُ:«هل من مزيدِ؟»
كم علومٍ أوصلتموها إلينا ... وتراثٍ محدَّثٍ وتليدِ
لا برحتم على الزمانِ دواماً ... هادياً للورى بقول سديدِ
وصلاةٌ على شفيع البرايا ... تتغشاه من حميدٍ مجيدِ
وعلى الآل والصحابة طراً ... وعليكم تزداد بالترديدِ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه حق حمده، وصلى اللّه وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه، ومن سار على نهجه واتبع هداه، وبعدُ..

حضرةُ عالي المقامِ نبراسِ أهلِ الفضل وأستاذ العلماء، الحبيب الداعي إلى اللّه سيدي العم محمد بن أحمد بن عمر الشاطري حفظه اللّه وحماه، وبعين عنايته رعاه، آمين، السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته ..

هذه أبياتٌ ركيكةُ المبنى قلتُها في شخصِكُمُ الكريم، وما تدعون إليه بعد أن استلمتُ كتابكم الكريم «الفتاوى المعاصرة» آمِلاً أنْ تقبلوها وأن تغضوا الطرف عما بها من أخطاء، وإن لم تكن أهلاً للمثول أمام جنابكم الكريم فهي تنبي عن مدى ما

يُكِنُّهُ قائلُها من موَدَّةٍ ومحبةٍ لفضيلتكم، حفظكم اللّه ورعاكم.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته..

ابنكم حسين محمد الهدار

البيضاء ٥ ربيع الأول ١٤١٨ هـ

وقد ترجم له تلميذه العالم النَّحْوِيّ الحبيب حسين بن محمد بن هادي السقاف ترجمةً موسعةً طُبعتْ في مقدمة شرح المترجَم له لكتاب «الياقوت النفيس» .

العلامة الشهيد محمد بن سالم بن حفيظ

هو العلامة الشهيد محمد بن سالم بن حفيظ، ولد بقرية مشطة، من ضواحي تريم بحضرموت عام ١٣٣٢ هـ، وتربى على يد أبيه، وأخذ العلم عن الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري وجل علماء حضرموت والحرمين، ثم اشتغل بالعلم والتعليم، وكان له باع طويل في نشر العلوم الشرعية، والدعوة إلى اللّه في مدن وقرى وحضرموت، ورحل لأجل ذلك إلى الحرمين وإفريقيا والهند وباكستان وغيرها.

وله مؤلفات عديدة في الفقه والنكاح والفرائض، وأخيراً أسند إليه الإفتاء في الديار الحضرمية واستمر مرشداً وداعياً إلى اللّه، حتى اختطفته السلطة الشيوعية بحضرموت عام ١٣٩٢ هـ، وقد كانت بينه وبين سيدي الوالد رحمه اللّه صحبة وأخوة في اللّه، وقد أخذ عنه جملة من العلوم أثناء دراسته في رباط تريم، وكان شديد الإعجاب بهمته، ويقول: «إن اللّه سبحانه أعطاه بركة في وقته» .

وكان آخر وداعي له بتريم حضرموت سنة ١٣٨٦ هـ وكان آخر كلمة قالها لي: «استودع اللّه دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك»، وبعد سفر الوالد رحمه اللّه من تريم

واستقراره في البيضاء، لم نشعر إلا بالنبأ المؤلم والمفزع، من أن السلطة في حضرموت قد ألزمته بالإقامة الجبرية فترة من الزمن، وفي أثناء خروجه لأداء صلاة الجمعة اختطفته عصابة الإجرام، ولم يعرف له مصير منذ ذلك التاريخ فالحمدللّه وإنا للّه وإنا إليه راجعون، وله ذريةٌ مباركةٌ منهم العلامة الحبيب مشهور والعلامة الحبيب عمر الذي مكث لدينا في الرباط عشر سنوات يطلب العلم ثم عاد إلى تريم داعياً إلى اللّه، جعل اللّه الخير باقياً فيهم وفي عقبهم وإيانا إلى يوم الدين آمين.

له كثير من المؤلفات منها «تكملة زبدة الحديث في فقه المواريث» و«المفتاح في باب النكاح» و «الفوائد الثمينة لقارئ المختصر والسفينة» و«دروس التوحيد» و«قرة العين بجواب أسئلة وادي العين»و «نفحة الطيب العاطري في مناقب الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري»و«النقول الصحاح على متن العدة والسلاح» وغيرها .

الشّيخ عُمَر بن عَوَض بن حَدّاد

وحيدُ عصرِه وفريدُ دهرِه عِلماً وعملاً، عالم متمكنٌ واسعُ الاطلاع، مع سلوكٍ صالحٍ وأدبٍ وافرٍ وزهدٍ، وورعٍ قلَّ أَنْ يُوجَدَ في غيره، فهو تذكرةٌ لرجال «الرسالة القشيرية»، وُلد ونشأ في الرَيدَة من قرى حضرموت، وما أن شب عن الطوق حتى وصل إلى تريم، وقصد معهدها القويم، وتلقاه شيخ الإسلام عبداللّه بن عمر الشاطري فاحتضنه ورعاه أيَّما رعاية، فكان قرةَ عينِ شيخِه المذكور، حتى إنه طلب أحد الأثرياء من الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري استقدام مدرسين من الأزهر للعمل في رباط تريم فقال: لا نحتاج إلى مدرسين ومعنا الشيخ عمر حداد .

قال سيدي الوالد رحمه اللّه: لقد مكثت أربع سنوات في رباط تريم مواظباً على الدروس فيه، فلم أر الشيخ عمر تأخرَ يوماً واحداً عن حلقته الدراسية إلا يوماً واحداً ونحن على أُهْبَةِ السفر للعودة إلى بلدنا، تأخَّر بسبب مرضٍ ألم به، والعجبُ كلُّ العجب أن هذه الأعمال والدروس دون مقابلِ أجرٍ عدا رضا المولى سبحانه وتعالى وبحسب توجيهات شيخه المذكور، مع قلة ذات اليد والحاجة الماسة إلى أبسط المحتاجات الضرورية.. إنها صورةٌ حيةٌ للّهمَمِ القَعْسَاءِ التي يَتَحَلَّى بها كثيرٌ من طُلاّبِ شيخ الإسلام الإمام الشاطري .

وبعد وفاة شيخه غادرَ مدينة تريم ووصل إلى البيضاء ونزل ضيفاً كريماً على سيدي الوالد عبداللّه الهدار ابن شيخ، ومكث في البيضاء فترة من الزمن وكان موضعَ إعجابِ الوالد عبداللّه الهدار ابن شيخ، ثم رحل إلى عدن عام ١٣٦٥ هـ بصحبة الوالد محمد الهدار، ومنها اتجه إلى أسمرا «الحبشة» حيث كانت تقيم جاليةٌ يمنيةٌ فوصلهما خبر وفاة الوالد عبد اللّه الهدار ابن شيخ فعاد الوالد، وبقي هو في أسمرا مرشداً وداعياً إلى اللّه سبحانه تعالى، وتخرج على يده الجمُّ الغفيرُ من العلماء الأعلام.

وفي ١٣٨١ هـ تقريباً وصل إلى البيضاء لزيارة الرباط، فخرجتِ البيضاء عن بكرة أبيها لاستقباله، ثم عاد إلى أسمرا، وكان يزور تريم من وقت إلى آخر حيث كانت أسرتُه بها واستمرَّ في أسمرا إلى أن تم استيلاء الحزب الشيوعي عليها، فانتقل إلى مكة المكرمة واستمر بها فاتحاً بيتَه لطلاب العلم، وقد كانت بينه وبين الوالد محمد الهدار مودةٌ عظيمةٌ تمثل أحدَ الأصناف السبعة الذين يُظِلُّهُمُ اللّه في ظِلّه يوم القيامة إن شاء اللّه .

وقد كان سيدي الوالد رحمه اللّه كثير الثناء عليه وكثير التوقير والإجلال له، ولا زال في مكة المكرمة مقصداً لطلاب العلم وهو في العقد التاسع من عمره، أمد اللّه في حياته في خير ولطف وعافية .

الحبيب محسن بن عبدالله بن عبدالقادر المحضار

هو الإمام العابد الزاهد التقي، محسن بن عبداللّه بن عبدالقادر بن حسين بن منصر بن محسن بن حسين بن محمد بن علي بن عمر المحضار، انتقل جده الحبيب حسين بن محمد من حضرموت فسكن بيحان، وخلف محسناً وشيخاً والعطاش ودباشاً، وانتقل محسن إلى مسورة، فزوجه السلطان حسين بن محمد أبو علامة الرصاص ابنته.

ولد الحبيب محسن في هجر مرخه، غير أنَّا لم نعثر على تاريخ ولادته ونظراً لتردد الدعاة على مرخه ، تعلق قلبه بطلب العلم، فسافر في سنة ١٣٣١ هـ مع إحدى القوافل إلى حضرموت، ومرَّ بمدينة حريضة، وقابل الإمام أحمد بن حسن العطاس، وانتفع به كثيراً، وطلب منه تغيير زيه والترسم بلباس طلبة العلم، وواصل سفره إلى تريم، ومكث فترة في الرباط لدى شيخ الإسلام عبداللّه بن عمر الشاطري، ثم استقر بزاوية الإمام السقاف، وانتفع كثيراً بعلماء تريم، وعاد إلى مرخه داعياً ومرشداً.

وكان يتردد على البيضاء للدعوة إلى اللّه، وله دعوات مباركات، وكرامات ظاهرات، وبالذات حينما يبرم صلحاً بين القبائل المتناحرة فيصاب من نكثَ صلحه، وقد وهبه اللّه من العلوم ما لا يدخل تحت حصر ولا نطاق، ومنذ أن شبَّ حتى سنة

١٣٥٣ هـ وهو يتردد على تريم ويزور علماءها، وتوفي في هجر مرخه ودفن بها سنة ١٣٧٤ هـ.

وله أخ عالم فقيه هو السيد أبوبكر بن عبدالله المحضار أصغر منه سناً، تلقى العلم في تريم، وفي معهدها القويم، وعاد إلى بلاده ثم عُين مدرساً للتربية الإسلامية في عدن، واستمر بها إلى أن تغيرت الأوضاع سنة ١٣٩٢ هـ، وانتقل إلى البيضاء ومنها إلى مكة المكرمة، وكان مقصداً للوافدين والحجاج كريماً سخياً إلى جانب ما يتحلى به من علوم شتى ، واستمر على ذلك الحال في مكة المكرمة مع وجاهة كبرى، نفع الله به الخاص والعام، حتى وافته المنية سنة ١٤١٦ هـ، ودفن بمقبرة المعلاه رحمه الله .

الحبيب عبدُالقادر بنُ أحمدَ السَّقّاف

السَّيِّدُ السَّنَدُ خليفةُ السلف وبقية الخلف الإمام الحجة الداعي إلى الله والدال عليه عبدالقادر بن أحمد بن عبدالرحمن السقاف، ولد في مدينة سيؤون بحضرموت عام ١٣٣١ هـ وبها نشأ وترعرع، وأخذ عن جل علمائها، منهم والده الداعي إلى الله أحمد بن عبدالرحمن السقاف، والذي كان له الأثر الكبير والبالغ في تربيته وتنشئته نشأةً صالحةً وقَويمَةً، وقرأ عليه كتباً كثيرةً تَجُلُّ عن الحصر حسب إفادة المترجم له، كما أخذ عن شيخه الإمام محمد بن هادي السقاف[1] ذي اليد الطولى في العلوم

---

(١) هو الحبيب محمد بن هادي بن حسن بن عبدالرحمن بن حسن بن سقاف، من مواليد سيؤون حضرموت سنة ١٢٩١ هـ، تربى في حجر والده، وطلب العلم على يد جده الصوفي العابد حسن والحبيب شيخان بن محمد الحبشي والحبيب علي بن محمد الحبشي والحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور مفتي تريم، له رحلات إلى مصر والحرمين والقدس وشعب نبي

الشرعية والعربية، وقد لازم مفتي الديار الحضرمية العالم النحرير عبدالرحمن بن عبيدالله بن محسن السقاف، واستفاد منه كثيراً، وأَثَّرَ في قَدْحِ مواهبه العلمية تأثيراً بالغاً .

وقد نشأ المترجم له على أكرم الخلال وأعظم الخصال في مدينة سيؤون، وكان مقصداً للعلماء وطلاب المعرفة مع أخلاقٍ كريمةٍ يعجز القَلم عن شرح نزرٍ منها، وقد عرفه الوالدُ رحمه الله منذ زمنٍ مبكِّرٍ، وكان كُلما قصد حضرموت زارَهُ وتَرَدَّدَ عليه، كما كان كثيرَ التبجيلِ والتقديرِ لسيدي الوالد، حتى إنه كان يُودِّعُنا إلى منطقة شبام حينما نُريد العودةَ بعد إتمام الزيارة لحضرموت، كما كانا يُكثرانِ التردُّدَ على شيخِهما الإمام الكبير جعفر بن أحمد بن عبدالقادر العيدروس، وبالذات حينما كان مستقراً في منطقة بُور بالقرب من مدينة سيؤون، وكانا يَقْضِيانِ لديه أكثر الليل، وفي الثلث الأخير منه يعود المترجَم له إلى سيؤون، ويقصد الوالد رحمه الله الحُسَيسَة لزيارة الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى، ويدخل تريم وقتَ الفجر لِيُدْرِكَ الصلاةَ بها .

وفي عام ١٣٩٠ هـ تم سَجْنُ الوالد في تريم ومنها نقل إلى المكلا من قبل الحزب الاشتراكي اليمني، وكان للمترجَم له جهدٌ كبيرٌ في المتابعةِ بَعدَهُ وإطلاقِ سراحِه وما هي إلا أيامٌ قلائلُ وإذا بالقتل والسَّحْلِ والاختطافِ تطرَّقَ إلى كثيرٍ من الدعاة في حضرموت، فاتَّجَهَ إلى عدن وبمعاونة كثيرٍ من أهل الخير تم السماح له بالسفر إلى إندونيسيا، ومكث فيها فترةً من الزمن، ومنها اتَّجه إلى مكة المكرمة، وقد تم لقاء الوالد به في موسم الحج، واتَّفقا هنالك، وامتزجتْ دموعُ الفرح بعد رحلةٍ مضنيةٍ من

الله هود وتريم، تخرج على يده ألوف من التلامذة تفرقوا في البلاد الإسلامية وقاموا بنشر الدعوة إلى الله وإقامة الدروس والمجالس، مد الله له العمر حتى ناهز التسعين عاما، توفاه الله عصر الأربعاء ١٥ رجب سنة ١٣٨٢ هـ .

الشَّتات والمشقَّة والعناء، وفي جُدَّة استقرَّ المترجَم له وفَتَحَ في مسكنِه دروساً هَرَعَ إليها طُلاّبُ العلم ورُوّادُ الهدايةِ والصلاح، وكان سيدي الوالدُ كثيرَ التبجيل والتقدير لشيخِه المذكور، وحينما يأتي ليستأذنَه في السفر يُرَدِّدُ قولَ الشاعر:

لا مَرْحَباً بِغَدٍ ولا أَهْلاً بِهِ ... إنْ كانَ تَوْدِيعُ الأَحِبَّةِ في غَدِ

كما أنشأ فيه كثيراً من المدائح، منها قوله:

تمامُ الحَجِّ أَنْ تَقِفَ المطايا ... على بابِ الكرامِ أُولي المزايا

فتأتيهمْ خِفافاً مُسْرِعاتٍ ... وتَرْجِعُ مُثْقَلاتٍ بالعطايا

أيا مَن ضاق مِن غُصَصِ الليالي ... ولم يَظْفَرْ بزادٍ للمنايا

تعالَ معي لنذهبَ حيث تلقى ... مُناك كذا أنا أَلْقَى مُنايا

نَحُطُّ رِحالَنا في سَفْحِ قَومٍ ... كِرامٍ هُمْ مَلاذٌ للبرايا

ثِمالٌ لليتامى والأيامى ... ومُدَّخَرٌ يَحُلُّونَ القضايا

أُباةُ الضَّيْمِ يَحْمُونَ الموالي ... وإنْ وَلَّوْا ويَنْسَوْنَ الخطايا

يُغِيثُون اللّهيفَ ويَنْصُرُونَ الضَّـ ... ـعِيفَ ودَأْبُهُمْ كَشْفُ البلايا

ومَن يُعْطَى دُعاءً مستجاباً ... تُطِعْهُ الظاهراتُ مع الخفايا

ومَن يَكُنِ الإلهُ له نصيرا ... تَذِلُّ له السُّراتُ بلا سرايا

فهاك أَمِينَهُمْ حامي حِماهم ... ومَن نَصَبُوه كهفاً في الرزايا

بَقِيَّةُ ماجِدِينَ وخيرُ خَبْءٍ ... خَبَوْهُ والخبايا في الزوايا

هَدَوْهُ ثم أَهْدَوْهُ هُداةٌ ... فيا نِعْمَ الهداةُ مع الهدايا

إمامٌ في العلوم أبو علي ... وحِرِّيتٌ بما تُخفي الطوايا

أعبدَالقادر السَّقّافِ يا ابنَ الـ ... ـكِرامِ المطعِمين أَجِبْ ندايا

فلي وُدٌّ قَدِيمٌ فاذكُرُوهُ ... وعَهْدٌ مِن بَقِيّاتِ البقايا

وأَوْصاكُم بنا مَن خَلَّفُوكُمْ ... وأنتم خيرُ مَن حَفِظَ الوصايا

وَلي في الرَّكْبِ أطفالٌ صِغارٌ — وأحبابٌ بلا راعٍ رعايا
أتيناكم بهم صِفْرَ الأيادي — نَخَبَّطُ مثلَ عَشْواءِ العشايا
وفيهم مبتلىً[1] قد كان يَحْدُو — إلى العلياءِ ضِداً للدَّنايا
فأَصْبَحَ في عِقالٍ ليس يدري — بما يَجْري طريحاً في الزوايا
وقد شَمَتَ الأعادِ بنا فملُّوا — فَرَقُّوا شاركونا في الشَّكايا
أَتيناكمْ بهم وكفى بأنّا — أَتيناكم عِلاجاً للبلايا
فقُومُوا واكشفوا ما ليس إلا — له أنتم وزيدوا في العطايا
وقولوا: أنتم مِنّا ومعنا — هنا وهناك في يومِ العرايا
وهيا عَجِّلُوا بِقِرى مسيري — ومُنُّوا بالمنى قبلَ المنايا
فقد أَنْحَلْنَ جسمي سَيِّئاتي — وهَدَّ ضِياعُ أوقاتي قُوايا
أغيثوا وارحموا عبداً ضعيفاً — قضى الأيامَ يكتسبُ الخطايا
فظاهرُه عيوبٌ فوقَ سُقْمٍ — وأَسْقَمَ منه ما تُخفي النوايا
إلينا نظرةٌ من عينِ عطفٍ — بها تُحيُونَ ما تحتَ الحنايا
وكم في النَّفْسِ حاجاتٌ فقولوا: — قضيناها فتُقضى في القضايا

---

(١) يقصد بذلك ولده الأكبر، حسن بن محمد الهدار، والذي كان خطيباً مصقعاً، وفقيهاً مرشداً، ولغوياً بارعاً، ولد في عزة سنة ١٣٦٩ هـ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في مدرسة الوالد، ثم التحق بالرباط وكرع من معينه، وفي ١٣٨٢ هـ اتجه إلى تريم بصحبة سيدي الوالد وانتظم ضمن طلاب الرباط، وكان من أذكى الطلاب، استوعب كثيراً من الدروس وبالذات في الفقه والنحو، يُضرب به المثل في سرعة وقوة حفظه، حتى إنه حفظ المتون المعهودة كالزبد والألفية وغيرها في وقت يسير، وحفظ قسطاً من كتاب «الإرشاد»، ثم عاد إلى البيضاء واستمر في الرباط مدرساً ثم أصيب بحالة نفسية، ولازالت تعاوده نسأل اللّه له الشفاء، وقد خلفه بالقيام في خدمة سيدي الوالد وفي الرباط ولده النجيب الأديب عيدروس بارك اللّه فيه.

وصَلَّـى ربُّنـــا في كــلِّ حــينٍ　　وسَلـــم في المســاءِ وفي الغدايـــا
علــى طــه وآلٍ ثـــم صحـــبٍ　　وأتبـــاعِ هـــداةٍ للبرايـــــا

وفي جمادى الثاني ١٤٠٧ هـ ذهبت لزيارة الحرمين الشريفين، وفي مجلس الحبيب عبدالقادر وسيدي الوالد قدمت إلى الحبيب عبدالقادر هذه الأبيات:

للقلـبِ في هـــذي الحيــاة تعلــقُ　　وأرى أمــور الخـــير منهـــا أوثــقُ
تبقـى أمـور الخير مـا بقـي الــورى　　وأرى سـوى هـــذا سـريعاً يغســقُ
ولقــد طويــتُ البيــد أبغـي مكــةً　　بلـــداً وأنـــت سُـــهَيلُها المتـــألقُ
شــهم كريـــمٌ عالـــم متواضـــعٌ　　وإذا دعـــي للخـــير فهـــو الأســبقُ
نسل الكرام بنــي الكرام وخـير أهــ　　ــلِ الأرض طـراً غرَّبــوا أو شــرَّقوا
أَكْرِمْ بهـم بذلـوا النفـوسَ رخيصـةً　　مــن كــل قــرم للشــهادة يعشـــقُ
فهـم الهـــداة لكـل طـالب رشــده　　في الأرض كــالأعلام فيهـا تخفــقُ
ولنـا بهـم نسـب لـذاك فمطلبي　　في يــوم نفـخ الصــور لا نتفــرقُ
يـا أيهـا الشــهمُ الكريـم إليكـــمُ　　شعري وعَـرْفُ شذاه مِسْكٌ يَعْبُـقُ
ضمنتُـه دُرَرَ القريـض فهـاهو الســ　　ــحـر الحــلال يكــاد منــه ينطــقُ
بقصيــدة أمَّــت لوجهتكــم بكـــم　　تزهـو افتخـاراً قــد حواهـا رونــقُ
فـــاجعل قِراهـــا دعـــوةً مقبولـــة　　يُقضى بهـا أربي ووعـدي يصـدقُ
فعلـيّ مــن ليــل الهمـوم دُجُنَّـةٌ　　مـن أجلهـا كــاد الحشـى يتـمزقُ
ياأيهـا الشــهم الكريــم دعـــاكمُ　　عبـدٌ يكــاد بمــاء جفنــه يشـــرقُ
يتجـــرع الصَّـــبر النقـــاع لبعـــده　　ولأنـــه عـــن كـــل خـــيرٍ مُوثَـــقُ
عطفـاً ففـي الأحشـاء لوعـة ثـــاكل　　حُبِسَـتْ مدامعهـا فكــادت تخنــقُ
فلهـول مـا عانـاه أشـفق خصمـه　　حتـــى غـــدت عبراتـــه تتدفـــقُ
وبمربـع الأحبـاب عـــاثت حفنـــةٌ　　مــــا منهـــمُ إلا رذيـــلٌ أحمـــقُ

من فحشهم خجل الجماد وعافه الـ ـوحش النفور وكـل عـير ينهـقُ
زادوا على الإجرام إجرامـاً فكـم من حرمة هتكت وأخرى تسحقُ
لا يرحمـون لعَـبْرَةٍ مـن عـاجز كـلا ولا قلـب لديهـم يشـفقُ
والشعب يرسف في القيود مكبـل في حالـة ترثـى وصـبر يرهـقُ
يتعذبـون فـذاك يلقـى حتفـه جزعـاً وهـذا دمعـه يـترقرقُ
لـم يبـق غـير شـفاعة مقبولـة فالنـار أضحـت في المرابـع تحـرقُ
ثـم الصـلاة علـى النـبي وآلـه مـن بالـمعارف والعلـوم تحققـوا

وقد زار البيضاء ورباطها المعمور أكثرَ مـن مرَّة، وحضـر موكـبَ وصولِـه الجمـعُ الغفيرُ من الأهالي، وفيهم قام خطيباً وتكلـم بكلامٍ نُورانِيٍّ أحلى من الشَّهْدِ، واستـمرَّ في محاضرتِه زُهاءَ ساعةٍ يُفِيضُ من نفـائسِ الـدُّررِ مِمّـا لا يَخْطُـرُ على بـالٍ، فسُبحانَ المعطي والـمانِحِ،ورافقه في هذه الزيارة الحبيب إبراهيـم بـن عمـر بـن عقيـل والحبيـب أبوبكر بن عبدالله المحضار والسيد محسن بن محمد المحضار منصب آل المحضار وغيرهم، وقد أنشأ سيدي الوالد رحمه الله قصيدةً تَرْحِيبِيَّةً قال فيها:

أهـلاً قُـدُومُ الغَيـثِ تـمريهِ الصَّبـا للـمسْتِيَينَ المجْدِبِـينَ ومرحبـا
أهـلاً بحـاملِ رايـةِ الإرشـاد والـ إمـدادِ وارثِ سِـرِّ طـه المجتبـى
أهـلاً بمُحْيِـي سـيرةِ القـومِ الكـرا مِ ومَـن أنـارَ لـدى الأنـام الغَيهَبـا
أهـلاً بقُـرَّةِ عـينِ خـيرِ المرسليـ ـنَ ومَـن تُحَلُّ لـه إذا جـاء الحِبـا
العـارفُ ابـنُ العـارفِ ابـنِ العارفيـ ـنَ وهكـذا إلى النـبيِّ أبـاً أبـا
أهـلاً بعبـدِ القـادرِ السَّـقَّافِ إبـ ـنِ القطبِ أحمدَ خـيرِ مَـن قـرأَ النبا
أهـلاً بواحـدِ عصـره أهـلاً بصـا حبِ وقتِه سَلْ من أطـاعَ ومـن أبى
أهـلاً بثـاني اثنـينِ إبراهيـم مَـن قـد صـارَ في أهـلِ العلـوم الكوكبـا
فخـرُ العصابـة آلُ طـاهرِ الهُـدا ةُ وآلُ يحيـى مـا صَبَـوْا زمـنَ الصِّبـا

أهــلاً بحمَّــالِ الأمــائِنَ حــاملٍ سِـرَّ الأوائـلِ وارثـي أهـلِ العبــا
أهـلاً بسقافِ العُلـى أهـلاً بسلـ ـطانِ الملا وبسـاكني تلـك الرُّبـا
بقدومكـم زالَ العَنـا جـاء الهنـا وسَـرَى السـرورُ مُشَـرِّقاً ومغرِّبـا
ورباطُ بيضـاءِ الحسين قد اكتسى حُلَـلَ الخُيـورِ فحَقُّـهُ أَنْ يَطْرَبـا
يـا أيهـا الضيـفُ الكريـمُ بَنُوكُـمُ في حَـيرَةٍ ومكـانُهم قـد أَجْدَبـا
يستـمطرونَ نَـوالَ فَضْلِكُـمُ الـذي مِن حيث حَـلَّ يصيرُ غيثاً مُخصِبا
فـتَرَحَّمُوا وتَكَرَّمُـوا وتَعَطَّفُـوا وتداركـوا فوليدُهـم قـد شَـيَّبا
ثـم اعجلُـوا في دعـوةٍ مسـموعةٍ تُدْنِي المَنـى تَـذَرُ العِـدى أيـدي سبا
هيـا انظروهـا نظـرةً عَلَوِيَّـةً نبويـةً فالسـيلُ قـد بَلَـغَ الزُّبـا
ثـم الصلاةُ مع السلامِ على النبـ ـيِّ وآلِـهِ الأطهـارِ ما هَبَّ الصَّبـا

كما قلتُ مديحةً بمناسبة قُدُومِه في ١١ شعبان ١٤٠٦ هـ منها :

لا تَسَلْني عـن لَوْعَـتي وغرامـي وعَـنِ المُعْضِـلاتِ في أيـامي
لا تَسَلْني عـن العيـوبِ الـتي أَدَّ تْ إلى حَـيرتي كـذا وهُيـامي
لا تسلني عنها فقد صِرْتُ منهـا في حمـى شيخِ عـترتي وإمـامي
مَـن إذا عُـدَّ في التُّقـاةِ إمـامٌ وإذا عـدَّ في الكُمـاةِ عِصـامي
هـو نـورُ الهـداة سـيدُنا السقّـ ـافُ بحـرُ النَّـدى سليلُ الكـرامِ
هـو نـورٌ للمسلـمين وسِلـم وعلـى المُلْحِدِيـنَ كالضرغـام
حَسَـبٌ باذِخٌ حَـوى كُـلَّ شَـهْمٍ مِـن كريـمِ الأخـوالِ والأعمـامِ
إنَّ بَيضَـا الحسـينِ تزهـو وترنـو للقـدومِ السـعيدِ مِـن أعـوامِ
ولهـا شـاهدٌ علـى قِـدَمِ الـوُ دِّ وصدقِ الإحساسِ قولَ الشِّبامي
وربـاطُ العلـوم قـد تـاهَ فخـراً يتبـاهى بفرحـةٍ وابتسـامِ
كـي يُرِيكُـمْ ثـماره ناضجـاتٍ عـاطراتٍ كـالزَّهْرِ في الأكمـامِ

كي تـرى الفقـه والحديث ومـا يـد ... عـو إليـه النحـاةُ مـن أحكـامِ
كي ترى جُهْدَكَ الكبيرَ الـذي أضـ ... ـحـى منـاراً يُضـيءُ للأعـلامِ
مرحبـاً بـالجميع أهـلاً وسـهلاً ... في رُبـا أهلكـم وخـيرِ مُقـامِ
ولنـا مُرْشِـدٌ تفـانى وأفنـى ... نفسَـه للدعـاة للإسـلامِ
هـو خِرِّيـتُ في العلـومِ وخِـدْنٌ ... للـمعالي وفـارسٌ في الظـلامِ
إنـه طَلْسَـمٌ فَريـدٌ ونَـزْرٌ ... مـن مزايـاه لا يَفِيهـا كلامـي
يـا ابـنَ عبدِالإلـهِ إنـي كئيـبٌ ... مـن تـوالي الأمـراضِ والأسـقامِ
آهِ مـا حيلـتي إذا ضِقْـتُ ذرعـاً ... حينَ كَـرْبِ السِّياق حين حِمامي
مـا اعتـذاري مِـن زلـتي وعَثـاري ... مَن شـفيعي كـي لا تُـرى آثـامي ؟
فـاعرضِ الحـالَ للأُسـاةِ الـذي جـا ... ؤوكَ يـا سـيدي فهـم كالغَمـامِ
لسـتُ إلا بكـمْ ومنكـمْ وفيكـمْ ... يـا كرامـاً فضـلاً خُـذُوا بزمـامي
وصـلاةٌ مـن الإلـه تعـالى ... تَتَغَشَّـى إمـامَ كـلِّ إمـامِ
سـيدَ المرسـلين خـيرَ البرايـا ... وعلـى آلِـه الأسـودِ الكـرامِ
ذُخرِنـا مَـن بهـمْ تُنـال الأمـاني ... وعلـى صَحْبِـهِ نجـومِ الظـلامِ

كما قال في شيخه المذكور القصيدة التالية:

سـق حثيثـاً مُطِيَّـكَ اليَعْمُـلاتِ ... عـلَّ تلقـى الغنـائم البـارداتِ
سق حثيثـاً إن شئت نيـل الأمـاني ... لـك في ذي الدنيـا وبعـد الممـاتِ
سق إلى حضـرة حـوت كـل حسـنا ... ءٍ مـن الباقيـات والصالحـاتِ
حضـرة تهبـط المعـارف والأسـ ... ـرار فيهـا على مـدى اللحظـاتِ
سـوف تجـني إذا سمعـت وسارعـ ... ـتَ إليهـا ثـمارها الدانيـاتِ
وتـرى عندهـا المكـارم شـتى ... غاديـاتٍ في سـوقها رائحـاتِ
وتـرى كيـف كـان آل علـي ... مـن بنـي علـويٍ القـاداتِ

وتذكَّر معـي رجـالاً مـن الأسـ ـلاف في العلـم أبحـراً زاخـراتِ

قـدوة المقتديـن سـم المعاديـ ـن ضيـاء السـراة في الظلـماتِ

وكـرام القِرى المضيفـون سـل كيـ ـف قِراهـم في الخصب والإسـناتِ

يشـبعون القلـوب تقـوى فتحيـا ويضيفـون بعـدُ بالطيبـاتِ

فيعـود الـنزيل قـد كسـب الـدا ريـنِ عنـد الـنزول بالسـاداتِ

هكـذا العيـدروس كـان وكـان الـ ـعدنـيُّ والفخـر في عينـاتِ

ثـم أهدي السلام صاحب تلـك الـ ـحضـرة المرتقـي ذُرى الـذرواتِ

شـيخنا وحبيبنـا وأبانـا وارث السـر مـن سـراة السـراةِ

الإمـام ابـن أحمـدٍ غوثِنـا السـ ـقاف بحـر العلـوم والـمكرماتِ

عالـم عـاملٌ كـذاك أبـوه مثـل أجـداده الهـداة التقـاةِ

ورث المجـد كـابراً مـن كبـارٍ عـن كبـار إلى كبـير الصفـاتِ

يـا طبيـب القلـوب قلـبي عليـلٌ وبنـي وإخوتـي وبنـاتي

ولنـا فيكـم ظنـونٌ حسـانٌ أنْ تـردوا حالاتنـا حسـناتِ

ولنـا حاجـةٌ وفي النفـس حاجـا تٌ عسـى تشـفعون في الحاجـاتِ

ثـم ذا حِلُّهـا فقـد خِبْـنَ إذ شِبْـ ـنَ اللِّحـا في ذنوبهـا غارقـاتِ

غرهـا في الصبـا التصـابي وزادتْ في المشـيبِ المعيـبَ والـموبقاتِ

كـلُّ أيامهـا أضـاعتْ فـأضحتْ مـن تقاهـا بـين الـورى مفلسـاتِ

ليس تـدري الطريـق تَخْبِـطُ عشـوا مثل بَهْـمٍ وسـط الفـلا حـائراتِ

غاب عنها الرعاة مـا حالهـا في اللـ ـيل والخـوف عنـد فقـد الرعـاةِ

مـا لهـا كاشـف سـواكم فأنتـم ذخرنـا للنوائـب المعضـلاتِ

ادّخرنـاكمُ قديمـاً فـلا تنـ ـسوا بـ« بُـورٍ » عهودنـا الماضيـاتِ

وتريـمٍ مـع الطويلـةِ كنتـم تغمرونـا بـبركم والصِـلاتِ

نتعـاطى القبيـح لكـن أبيتـم غـير عفـو عـن الجفـاة القسـاةِ

وأبيتـــم إلا اتّباعـــاً وإحيـــا ءً لأخـــلاق ســـيد الكائنـــاتِ

ودخلنـــا حمـــاكمُ فنجونـــا إذ دخلنـــا مـــن البغـــاة العـــداةِ

كـم حضرنـا معكـم محـاضرَ لكـ ـنـا ذهـول في تلكـم الحضـراتِ

وجلســنا مجالســاً لا تضــاهي عندكـم عنـد مفخـر السـاداتِ

جعفــر العيــدروس يــالك طــوداً مثلــه لا تــراه في الراســياتِ

آه ياليتهـــا تعـــود فتُحيـــي أنفســاً مــن فراقهــا ميتــاتِ

فــارحموا فــالكريم قــالوا:رحيــم أصلحــوا مـامضى ومـا هــو آتِ

وأغيثــوا ذليـــلَ قـــوم فقـــيراً أهمـل العمـر في شتات الشـتاتِ

نظـــرة منكـــم بعـــين ودادٍ تحتـــوي مـــا يكـــون بـــالنظراتِ

وعليكـــم بعـــد النـــبي مـــع الآ ل زواكـــي الســلام والصلـــواتِ

وعلـــى التـــابعين في كـــل حـــين مـــا أجـاب الإلـه مـــن دعـــواتِ

ولا زال في مكة والـمدينة وجُدَّةَ فاتحاً بابَه لطلاّبِ العلم وذوي الحاجـات، وعلى الرغم من شيخوخته إلا أنه قائمٌ بالدروس العلمية حتى يومنا هذا، مَدَّ اللّه في عُمُرِه، وله ذُرِّيَّةٌ صالِحَةٌ، منهم محمد وعلي، وهمـا قائمـانِ بمقامه الكريـم على خيرِ وجهٍ وأحسنِ حالٍ، جعل اللّه الخير باقياً في عقبهم وإيانا إلى يوم الدين آمين .

وقد صنف تلميذه السيد أبوبكر العدني ابن علي المشهور ترجمـةً حافلةً لـه سماها «جَنْيَ القِطاف في ترجمة الحبيب عبدالقـادر بـن أحمـد السقاف» وقـد طُبعت، وجمع كلامه في مجموع سمـاه « رَشْفَ السُّـلاف مـن فوائـد وكـلام ودروس الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف» لا زال مخطوطاً .

إجازاته وأسانيده رَضِيَ اللهُ عنه

هي في اللغة مأخوذةٌ مِن جَوازِ الماءِ، يقال: استَجَزْتُهُ فأَجازني إذا سَقاني الماءَ وأعطاني إِيّاهُ. وفي الاصطلاح: إِذْنُ الشَّيخِ للطالِبِ في الروايةِ عنه . وتحصلُ الإجازةُ إما بالتَّلَفُّظِ أو بالكتابةِ، وتكون لـمعَّينٍ من الطلاب في مُعَّينٍ من الكتب .

وقد تكون عامَّةً، كقول الشيخ: أَجزْتُكَ في كُلِّ مَرْوِيّاتي . واختُلِفَ في صِحَّتِها، وقد احتَجَّ من قال بصِحَّتِها بحديثِ: «أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم كَتَبَ سُورَةَ بَراءَةٍ في صحيفةٍ ودَفَعَها لأبي بَكْرٍ الصِّدِيق رضيَ اللّه عنهُ ثم بَعَثَ عليَّ بنَ أبي طالِبٍ كَرَّمَ اللّه وجهَه، فأَخذَها منه ولم يَقْرَأْها عليه ولا هو أيضاً، حتى وصل إلى مكة ففتحها وقرأها على الناس» . رواه الإمام أحمد والترمذي. ورَجَّحَ كَثِيرٌ من علماء الحديث الإجازةَ للطفل من طُرُقِ الروايةِ والمناولةِ مَقْرُونَةً بالإجازةِ، وهِيَ أعلى أنواعِ الإجازةِ، واحتَجَّ مَن قال بصِحَّتِها بحديثِ: «أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم كَتَبَ لعبداللّه بن جحش كتاباً وقال له: «لا تَقْرَأْهُ حتى تَبْلُغَ مكانَ كذا وكذا»، فلما بَلَغَ ذلك المكان قَرَأَهُ على أصحابه في السَّرِيَّة» رواه الطبراني.

وقد أَفْرَدَها الإمامُ السُّيُوطِيّ في كتابه «تدريب الراوي»، وأنها إحدى طرق التلقي والرواية، كما ذكرها ابنُ الصَّلاح، وقد درج السلف الصالح على هذا الأسلوب، واعتبروا التلقي من العلماء هو العلم بعينه، واتخذوا أسلوب العنعنة في التفسير والحديث والفقه وغيرها. كما أن العالم لا يستطيع القيامَ بالتدريس والإفتاء إلا إن أجازه وأذن له مشايخه، ومنهم على سبيل المثال الإمام محمد بن إدريس الشافعي الذي

أجازه وأَذِنَ له شيخُه مسلـم بن خالد الزنجي مفتي مكة المكرمة في الإفتاء[١]، كما لَـزِمَ الإمامَ مالكَ بنَ أَنَـسٍ إمـامَ دار الهجـرة، وأَذِنَ لـه في الإفتـاء أيضـاً، وهـذا مبسـوطٌ في ترجمته رحمه اللّه .

وبالعكس؛ فإنَّ مَن لـم يَتَلَقَّ العلـم مِن أفواه المشايخ ما هو إلا صَحَفِيٌّ كمـا يُقـال، وأنه إلى الخطأ أقربُ، وكان السلف لا يأخذونَ منـه العلـم، وكمـا قيـل: «مَـن كـان شيخُه كتابُه؛ كان خَطَأُهُ أكثرَ من صوابه»، وفي ذلك قيل شعراً:

مَن يأخذِ العلـم عـن شيـخٍ مشـافهةً يَكُنْ عن الزيغِ والتحريـفِ في حَـرَمِ
ومَن يَكُنْ أَخْـذُهُ للعلـم عـن كُتُـبٍ فعِلْـمهُ عنـدَ أهـلِ العلـم كـالعدمِ

وقال آخر:

لَيْـسَ في الكُتْـبِ والدَّفـاتِرِ عِلْـم إنَّمـا العِلْـم في صُـدُورِ الرِّجـالِ

لذلك كلِّه تسابقَ جهابذةُ الرجال إلى تلقـي العلـم مـن أفـواه المشـايخ، كمـا رأى المشـايخُ أن إعطـاءَ الإجـازةِ العِلْـميَّةِ بمعنى إِذْنٍ في الإفتـاء والتدريـس والروايـة، فهـم يتحَفَّظُونَ في ذلك أَشَدَّ التَّحَفُّظِ، ولا يُعْطُونَ ذلـك إلا لـمستَحِقِّه، واعتـبروا الإجـازةَ شهادةً، ولا تُعطى إلا بعد تَحَرٍّ وبحثٍ دقيقٍ، وإلا اختَلَطَ الحابلُ بالنابلُ، وادَّعى العلـم مَن لا يعرفـه، وهنـا نُثْبِـتُ بعـضَ إجـازاتِ الوالـدِ رحمـه اللّـه، والـتي عَثَرنـا عليهـا في «مُذكَّراته»:

---

(١) هو مسلـم بن خالد بن مسلم بن سعيد القرشي المخزومي المعروف بالزَّنجي تابعيٌّ من كبـار الفقهاء،كان إمام أهل مكة،أصله من الشام، لُقِّب بالزنجي لِحُمْرَتِه، وبه تَفَقَّهَ الإمـام الشـافعي قبل أن يلقى مالكاً .

إجازة الحبيب جعفر بن أحمد العيدروس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدئ المعيد، غـافرِ الذنـبِ وقـابلِ التَّـوْب، وكاشِـفِ الكَـرْبِ ومُذْهِـبِ الحَوْب، وصلى اللّه وسلـم، وشرَّفَ وكرَّم، على خيرِ مبعـوثٍ إلى خـيرِ أُمَّـة، كاشِـفِ كُلِّ مُهِمَّة، ودافِعِ كلِّ مُدْلَهِمَّة، وجَلاءِ كُلِّ ظُلـمة، والسببِ في كلِّ نِعْمَة، مَـن أَرْسَلَهُ اللّه للعالـمينَ رَحْمَة، وفَضَّلَ به أُمَّتَهُ على كُلِّ أُمَّة، محمدِ بـنِ عبداللّـه الشَّفِيعِ الأعظـم، والحبيبِ المكرَّم، قاسمِ العطايا الإلهية في كـل حـين، وقـائدِ الغُـرِّ المحجَّلـين، إلى جَنَّـاتِ النَّعِيم، صلى اللّه عليه في كلِّ حين، عَدَدَ ما وَسِعَهُ عِلـم اللّه وعلى آلِهِ والصـالحين، إلى يوم الدين .

جنابَ المكرَّمين المحترمين،المحبين في اللّه ورسوله وأهل بيته الذين محبتهم هي العـروةُ الوثقى التي لا انفصام لها، والتي مَن ظَفَرَ بها ظَفَرَ بالخير كلّه، وسَلـم مـن الشَّـرِّ كلّـه، والـمعْنِيُّونَ بالخطابِ الحبيبُ محمدُ بن سالـم العيـدروس[1] ابـن الشـيخ أبـي بكـر بـن

---

(١) هو العابد الناسك محمد بن سالـم عيـدروس مـن آل الشـيخ أبي بكـر بـن سالـم، ولـد في البيضاء وبها نشأ وترعرع وقرأ القرآن واستفاد من مجالسة الشيخ محمد بن حسـين القـاضي، ثـم رحل إلى مصوَّع للكد في سبيل الرزق، ثـم عاد وتولى إمامـة مسـجد عمـر، وكـان مـن أول المساعدين في الرباط قائماً بمدرسه العام اليومي وبالذات في غيـاب سـيدي الوالـد، وقـد تزوج الوالد ابنته وهي أم ولديه عبداللّه وإبراهيم، ومن عاداته رحمه اللّه في يوم الخميس وهو موعد السوق والناس في هرج ومرج يصعد على مكـان مرتفـع وسـط الزحمـة فيأتي بدعـاء السوق بأعلى صوته وهو «لا إله إلااللّه وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير» ، فقد ورد أن من أتـى بـه كُتـب لـه ألف ألف حسنة ومُحي عنه ألف ألف سيئة ورُفع له ألف ألف درجة.

سالـم، والحبيب العلاّمة زين بن إبراهيـم بـن سميـط، والأولاد حسـن وحسـين وأحمـد وعبداللّه وطاهر وزين وجعفر أبناء محمد الهدار، والحبيب أحمد بن شيخ[١] ، والأولاد صالح وعبدالقادر وأحمد وحسين[٢] وعبداللاه وأبوبكر أبناء عبداللّـه الهـدار وأولادهـم وإخوانهم، والـمحبُّون ناصر علـوي القربـي[٣] وصـالح عبدالنـبي اليَحَـوِيّ[٤]، وعلـي عبدالنبي اليحوي وعلي شميله، وعبداللّه ومحمد ابنـي علـي السَّـوادي، ومحمـد وأحمـد

واستمر على ذلك حتى وافته المنية في ١٠صفر ١٤٠٩ هــ، وقـد تـوفي وهـو في العقـد التاسع من عمره تقريباً رحمه اللّه رحمة الأبرار .

(١) السيد أحمد بن شيخ بن أحمد، عم الوالد ، ولد في عزة وبها نشأ على صـلاح منـذ الصغـر ، واستـمر بها مع تردد على بيوت اللّه حتى أدركته الوفـاة بعـزة في العقـد العاشـر مـن عمـره تقريباً، وذلك عام ١٤٣١ هـ ودفن بها رحمه اللّه رحمة الأبرار .

(٢) السيد حسين بن عبداللّه الهدار أخو الوالد، من مواليد البيضاء وبها نشأ وترعرع، ثـم ارتحـل إلى عدن للكدح في سبيل الرزق، رافق سيدي الوالد في كثير من رحلاته لأداء مناسك الحـج والزيارة، ثـم عاد إلى عزة ، ولازال بها تحفه عناية اللّه في العقد السابع من عمره تقريباً .

(٣) هو المحسن الكبير، الحاج ناصر بن علوي القربي، من أول المساعدين في الرباط والـمساهمين فيه،بل وفي كثير من أعمال الخير، من مواليد البيضاء ١٣٥٢ هـ ، وبها نشأ وترعـرع ودرس في مدرسة العلـم الشريف، وزاول مهنـة التجـارة والـتي لـم تكـن إلا سـبباً يتوصـل بهـا إلى أعمال البر والـمعروف، ساهم مساهمة فعّالة في الإشراف على أمـور الربـاط الماليـة، وكـان سنداً وعضداً لسيدي الوالد في عمارة الرباط منذ تأسيسـه، ولازال في البيضـاء ناصبـاً نفسـه لإصلاح ذات البين ولأعمال الخير،ومعه أولاده الكرام أطال اللّه في عمرهم آمين .

(٤) صالح بن عبدالنبي اليحوي، من أهل الصلاح ، له مواقف طيبة في أعمال الخير، وقد كان من أول المساعدين لسيدي الوالد منذ تأسيس الرباط ومن المشرفين على كثير من أمـوره، تربطـه بالوالد مودة ومحبة كبرى ، ولازال بخير تحفه عناية اللّه يتعاطى أسباب التجارة ، متردداً علـى بيوت اللّه وهو في أوائل العقد الثامن من عمره تقريباً أطال اللّه في عمره آمين .

ابـنـي المرحوم سالـم شعواء ومحمد وعبيد ابـنـي أحمد الشمري، وحسين أحمد عَرمان، وصالح الصامتي وناجي صالح وولده سالـم ناجي صالح، ومحمد المزيـد ومحمـد أبوبكـر وأحمد علي سلـمى، وسائر المساعدين في الرباط والـمحبين له، وكلِّ مُحِبٍّ صادِقٍ في المَحَبّةِ والـموَدَّةِ أينما كانوا حَرَسَـهُمُ اللّـه بعينِـه التي لا تنـام، وتَوَلاّهُـمْ بعَونِـه وتوفيقِـه ولُطْفِه وهدايته وحَفِظَهُمُ اللّه مِن كلِّ سوءٍ في الدارَين، وجمعَ لهـم ولنـا خـيراتِ الدنيـا والدين، آمين آمين آمين، بحقِّ سيد الكونين، صلى اللّه عليه وآله وسلـم .

نرجوكم والجميع بعافية كما أنا بحمد اللّه في ألطاف خفية، وسـائر مـن لدينـا مـن الحبائب والـمحبين، فالحمد للّه الذي بنعمته تتـم الصالحات، ووصل كتاب مـن الولـد ناصر علوي القربي قَبول ومقبول، أوصلكم اللّه بكل خير في الدارين، وأثبتنا وإيـاكم في أمِّ الكتاب مع المقربين والأحباب، ورزقنا وإيـاكم وسـائر المحبـين أرزاقـاً واسـعةً لا فيها حساب ولا عذاب، ولا تعبٌ ولا عِتاب، مصروفةً في أكمل الطاعات والقربات، وذَكَرَ لنا الولد ناصر بغى إجازة له ولـمن ذكرنا تُلحِقهم بمركب الصالحين ، وتربطهم إن شاء اللّه ربطاً لا يَنْحَـلّ، يَثْبُـتُ بهـا الإيمـانُ واليقـين، ويحصـل بهـا كمـال التوفيـق وكمال حُسْنِ الختام لنا ولكم، وندخل بها في زمرة السابقين .

رَبِّ احْيِنــــا مسلـــــمينْ　　　وتَوَفَّنـــــا مؤمنــــــينْ
نُبْعَـــــثْ مَـــعَ الآمِنِـــينْ　　　في زُمْـــرَةِ الســـــابقينْ

وقد أَلَحَّ علينا الولدُ محمد الهدار في طلب الإجازة له ولكم، ولـم يقبـل لنـا عـذر، فنقول امتثالاً لأمر مشايخنا: أجزنا الولد محمد وأجزناكم وكلَّ محبٍّ صادقٍ في المحبة في كُلِّ ما يقرِّبكم إلى اللّه من قراءةٍ أو أورادٍ وكَرَمٍ وصدقةٍ وكلِّ مـا يُقربكـم إلى اللّـه في كل عادةٍ وعبادةٍ ونشرِ دعوةٍ وكثرةِ صلاةٍ على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم، وفي أوراد سادتِنا الحبيب عبداللّه العيدروس وأولاده وسـيدنا الشيخ أبـي بكـر بـن سالـم

وسيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد وسائر الأوراد، ونسأل الله سبحانه لنا ولكم كمال التوفيق، ونوصيكم بالمحافظة على الجماعة خصوصاً العشاءُ والفجرُ براءةٌ من النفاق، ونحثُّكم على المواظبة على مجالس العلم ليلاً ونهاراً، فهي الغنيمة الباردة حسبما تسمعون من فضائل المجالس .

اللّه اللّه فيها، اصبروا وصابروا واقهروا نُفوسَكم، وادعوا إخوانكم إلى مغفرة اللّه ورحمةٍ وفضلٍ ونعمةٍ، واشكروا اللّه على هذه النعمة التي تَيَسَّرَتْ لكم، وخَصَّكُمُ اللّه بمحبة الرباطِ ومحبة العلم والمساعدة على نشر الدعوة، فاللّه يتم علينا وعليكم النعمة، ولا يحرمنا خيرَ ما عنده لِشَرِّ ما عندنا، ولا نَزالُ ندعو لكم ليلاً ونهاراً، فادعوا لنا أنتم على الدوام، واقبلوا الإجازة .

والولد محمد واصل إليكم بكل خير إن شاء اللّه، واعتمدوا ما تسمعونه مما يُتلى عليكم ليلاً ونهاراً من كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، ومن كلام السلف الصالح، ففي ذلك اعتصامٌ بحبل اللّه وسلامةٌ ونجاةٌ من أهوال هذا الزمان، ومن كلِّ شرٍّ، واللّه يحفظنا وإياكم من الزيغ والتحريف، ومن الزلل والخطل والكسل، ويجعلنا من المحبوبين في خيرٍ ولُطْفٍ وعافيةٍ، ويجعلنا من أهل الوجوه الناضرة، التي إلى ربِّها ناظرة، في خير ولطف وعافية، في الدين والدنيا والبرزخ والآخرة، والدعاء لكم مبذولٌ ومنكم مسؤول، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته ومغفرته ورضوانه، والسلام ختام.

الدَّاعي لكم بجمالة الحالين وسعادة الدارين

حقير المِلِكِ القُدُّوس

جعفر العَيدَرُوس

بتاريخ ١٨ شعبان ١٣٩١ هـ بمدينة تَريم حَرَمِ الإقليم

إجازة الشيخ محمد صالح بن أحمد الخطيب الدمشقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، وبعدُ فقد أكرمني الله بزيارة الحبيب الأكرم والشفيع الأعظم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واجتمعتُ في أعتابه بواسطة الأخ المحب في الله الشيخ أحمد بن عمر بازرعة الدوعني المدني بكِرام العترة الطاهرة والسادة السيد علي بن محمد الحامد والسيد محمد بن الهدار والشيخ أحمد بن أبي بكر بافضل والشيخ محمد بن أحمد باعبده حفظهم اللّه، فأحسنوا الظَّنَّ بي وأَمَرُوني بأن أقرأَ الحديث المسلسل بالأولية كما تَلَقَّيْتُهُ عن مشايخي ومشايخهم رحمهم الله فامتثلتُ وقلتُ:

إنني أروي حديثَ الرحمة بأوليةٍ حقيقةٍ، وهو أولُ حديثٍ سمعتُه من شيخي السيد محمد صالح الآمدي الشهير بالمفتي، وهو يرويه عن الشيخ عبداللّه السكري الشهير بالدكالي الرفاعي، وهو يرويه عن الوجيه السيد عبدالرحمن بن محمد الكزبري، وهو يرويه عن والده السيد محمد، وعن الشيخ محمد بن أحمد المقدسي الشهير بابن بدير، وعن السيد أحمد بن علوي باحسن الشهير بجمل الليل، وعن الشيخ صالح الفُلاّني العمري، وعن مفتي مكة المكرمة الشيخ عبدالملك بن عبدالمنعم بن تاج الدين المكي، وعن مفتي الشافعية الشيخ زين الدين عبدالغني بن محمد هلال، وأرويه عن الشيخ جميل الشَّطِّيّ، والسيد محمد هاشم الخطيب الدمشقي القادري الحسيني، وعن شقيقي السيد عبدالرحمن بن أحمد الخطيب، عن شيخهم الشيخ بكري بن السيد حامد بن الشهاب أحمد العطار، عن الشيخ إسماعيل العجلوني، وثبتهُ موجودٌ في مكتبة شيخِ الإسلامِ عارِف حِكْمَتْ، بسندهم إلى سفيان بن عيينة، وعنده ينتهي التسلسل عن أبي قابوسٍ عن عبداللّه بنِ عمرِو بن العاص رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه

صلى اللّه عليه وآله وسلم: «الراحمونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحمَن، اِرْحَمُوا مَن في الأرض يَرْحَمْكُمْ مَن في السماء»، وبإثباتِ التنزيه: «الراحمونَ يَرْحَمُهُمُ الرحمنُ تبارَك وتعالى»، وبدونه .

والروايةُ بضَمِّ مِيمِ «يرحَمُهم»، وفي روايةٍ: «اِرْحَمُوا أهل الأرض»، وفي بعض الروايات: «عبادَ الرحمن، اِرْحَمُوا مَن في الأرض» الحديث، رواه الإمام أحمد في «مسنده»، وله تَتِمةٌ: «والرَّحِمُ شُجْنَةٌ» الحديث .

وإنني أَرْوِي «صحيحَ البخاري» بأعلى سندٍ في الدنيا عن القاضي المعمَّر والسيد محمد أبي النصر الخطيب، عن الشيخ السيد إسماعيل البرزنجي مفتي المدينة المنورة، عن المعمر الصالح الفُلاّني العمري، عن المعمَّر محمد بن سِنَة، عن المعمر أحمد بن محمد العجل اليمني، عن المعمر مفتي مكة قطب الدين بن أحمد النهروالي بدون واسطة، عن أبيه، عن أبي الفتوح أحمد بن عبداللّه الطاووسي، عن المعمَّر ثلاثمئة سنة بابا يوسف الهروي، عن محمد بن شاذبخت الفرغاني، عن أحد الأبدال السمرقندي أبي لقمان بن يحيى بن عمار الختلاني، عن محمد بن يوسف الفربري، عن أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري رحمه اللّه.

كتبه

محمد صالح بن أحمد الخطيب الدمشقي

٦

إجازة المحدث السيد عبدالعزيز ابن الصِّدِّيق الغُماريّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله ومن والاه، وبعدُ فقد طلب مني محمد بن عبدالله الهدار أن أُجِيزَهُ بما لي مِن مَرْوِيّاتٍ ومُصَنَّفاتٍ فقلتُ:

قد أَجَزْتُكَ بما لي من مَرْوِيّاتٍ ومصنَّفاتٍ وأورادٍ عن مشايخي الأعلام بشتى الأمصار، منهم والدي سيدي محمد بن الصديق (ت ١٣٥٤ هـ) وأسانيده في التصوف والتصديق المطبوع، والمعجم الذي جمعه شقيقنا السيد أحمد بن محمد الصديق، ومنهم شقيقنا الحافظ السيد أحمد الصديق (ت ١٣٨٠ هـ) بما في فهارسه الثلاثة، ومنهم مسند العصر السيد أحمد رافع الطهطاوي الحسيني (ت ١٣٥٥ هـ) وأسانيده في ثبته «إرشاد المستفيد في بيان تحرير الأسانيد»، ومنهم محدث الحرمين الشريفين الشيخ عمر حمدان المَحْرَسِي (ت١٣٨٦هـ)، وأسانيده في «إتحاف الخِلاّن» المطبوع الذي جمعه تلميذه العلامة الشيخ محمد ياسين الفاداني، ومنهم العلامة المؤرخ محمد راغب الطباخ الحلبي (ت ١٣٧٠ هـ) وأسانيده في «ذيل مختصر الأثبات الحلبية» المطبوع، ومنهم شيخ الإسلام العلامة محمد زاهد بن الحسن الكوثري (ت ١٣٧١ هـ)، وأسانيده في «التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز» المطبوع .

ومنهم العلامة المعقولي المنقولي الشيخ محمد عبدالباقي بن ملا علي الأنصاري الكوفي ثم المدني (ت ١٣٦٤ هـ)، وأسانيده في «نشر الغوالي من الأسانيد العوالي «والإسناد» و«المناهل المسلسلة في الأحاديث المسلسلة» والثلاثة طُبعتْ.

ومنهم شيخ الإسلام المسند الكبير النسابة السيد عبدالحي بن الكبير الكتاني (ت ١٣٨٢ هـ) فأسانيده في «فهرس الفهارس» المطبوع .

ومنهم شيخ علماء الشام الشيخ بدر الدين بن يوسف البيباني (ت ١٣٥٤ هـ) بأسانيده المشهورة، ومنهم العلامةالمؤرخ المحدث الشيخ عبداللّه غازي المكي (ت١٣٦٤هـ) وأسانيده في «تنشيط الفؤاد من تَذكار علوم الإسناد»، ومنهم شقيقنا العلامة المطلع المحدث السيد عبداللّه الصديق حفظه اللّه تعالى، وبعض أسانيده في «ارتشاف الرحيق من أسانيد عبداللّه الصديق»المطبوع، ومنهم مسند العصر العلامة محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني حفظه اللّه تعالى، وأسانيده في أثباته المتعددة منها «العقد الفريد» و«إعلام القاصي والداني»المطبوعان .

وأروي فَهْرَسَةَ جَدِّنا ابنِ عَجيبَةَ الحَسَني عن والدي، عن خال والدي صاحبِ التفسير وشَرْحِ الحِكَم (ت ١٢٢٤ هـ)، وأروي «الإمداد بعلو الإسناد»المطبوع عن بدر الدين البيباني، عن البرهانِ السقا، عن ولي اللّه ثعيلب الفشني، عن الشهابين المُلَّوِيّ والجوهري، عن الحافظ عبداللّه بن سالم البصري صاحب الثبت (ت١١٣٤هـ)، وأروي «المنح البادية في الأسانيد العالية» لسيدي محمد بن عبدالرحمن الفاسي بسندنا إلى الأمير، عن أبي الحسن علي بن العربي السَّقَّاط، عن عمر بن عبدالسلام، عن المصنِّف .

وأروي «إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر»المطبوع عن شقيقنا السيد أحمد والعلامة الفاداني، كلاهما عن القاضي الحسين العمدي الصنعاني (ت ١٣٦١ هـ)، عن العلامة إسماعيل بن محسن الصنعاني (ت ١٣٠١ هـ)، عن الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) .

وأروي «صلة الخلف بموصول السلف» للرُّوداني المغربي (ت ١٠٩٤ هـ)، وأروي «الشموس الشارقة في أسانيد المغاربة والمشارقة» عن العلامة عمر حمدان، عن المعمر

العلامة محمد الطيب النيفر التونسي، عن مؤلفه الحافظ محمد بن علي التونسي (ت١٢٧٦هـ) .

وأروي «الإرشاد إلى مهمات الإسناد» لولي اللّه الدهلوي العمري، عن كمال الدين القاوقجي، وهو أولُ، عن والده أبي المحاسن القاوقجي، وهو أولُ، عن الحافظ محمد العابد السندي، وهو أولُ، ثم بما في «حصر الشارد»، وأحلتُ الأخ الفاضلَ المجازَ إلى «التحفة العزيزية في المسلسل بالأولية»، و«فتح العزيز في أسانيد عبدالعزيز» ففيهما أسانيدي .

وأوصي نفسي والأخ المذكور بالتقوى في السر والعلانية، وأن لا ينساني من دعواته في خلواته وجلواته .

حرر في ١٦ / ١٢ / ١٤٠١ هـ

وكتبه

عبدالعزيز محمد ابن الصديق الحسني

إجازة المحدث السيد عبدالله بن محمد الصِّدِّيق الغماريّ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه، حدثنا مولانا السيد عبداللّه بن محمد الصديق الغماري في مكة المكرمة في مدرسة دار العلوم الدينية في ليلة الخميس الموافق ١٧ الحِجَّة الحرام ١٤٠١ هـ بسندهم الصحيح إلى سفيان بن عيينة عن عمر بن دينار عن أبي قابوس عن عبداللّه بن عمر بن العاص قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «الراحمون

يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، اِرْحَمُوا من في الأرض يَرْحَمْكُم مـن في السـماء»» وفي رواية:«يرحمُكم مَن في السماء» بالضم .

وقد أجازنا بجميع مروياته ومؤلفاتِه وما أجازه مشايخه .

إجازة الإمام علوي بن عباس المالكي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي رفع لـمن وقف ببابـه قـدْرا، وأعلـى لـمن انتسـبَ لجنابـه ذِكـرا، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمـد الـذي جـرى المـاء النَّمِـير مـن بـين بنانـه، وتفجرتْ ينابيعُ الحكمة من قلبه ولسانه، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، الذيـن هم أُولو الهداية والإرشاد، وبُدُور العلـم والإسناد، ما روى راوٍ حديثاً وعَنْعَنَه، وأسنده فصَحَّحَه أو حَسَّنَه.

وبعدُ فيقول خـادم الطلبـة الكـرام بمدرسـة الفـلاح والـمسجد الحـرام علـوي ابـن المرحوم السيد عباس المالكي: لـما كـان اتصـالُ السـند مـن أجـلِّ النعمـة، وكـان ممـا خُصَّت به هذه الأُمَّـة، رغـب في تحصيلـه أخـي حَقّـا، ومحبي في اللّـه صدقـا، الكـامل الأديب، الطالب الأريب، السيد محمد الهدار ابن الشيخ أبـي بكـر بـن سالـم العلـوي أصلح اللّه له أحواله، وبَلَّغَه آماله، فلـما أحسـنَ ظنَّـه فيَّ فضـلاً، وإن لـم أَكُـنْ لذلـك أهلا، رأيتُ إجابتَه لـمطلوبه، وإسعافه بمرغوبه، رغبةً في اتصال إسناد العلـم، وحـذراً من أَثَرِ الكَتـم، فأقول:

قد أجزتُ الفاضلَ المذكور، ذا السعي المشكور، بجميع مَرْوِيّاتي ومجازاتي ومُؤَلَّفاتِي من معقول ومنقول، كمـا أجـازني بذلـك أشـياخي الفحـول، أَخُـصُّ بـالفضل منهـم

والدي المرحوم السيد عباس المالكي، والشريف عبدالحي الكتّاني، والبدر المعمر السيد علي الحبشي المدني، والشيخ عمر حمدان، والشيخ حبيب اللّه الشنقيطي وغيرهم، وأُحيله في أسانيد الكتب على «الثبت الكبير» المنسوب للعلامة الأمير، فإني أرويهِ من عدة طُرُقٍ، منها أنني أرويه عن الشيخ حبيب اللّه الشنقيطي، عن السيد محمد كامل الهبراوي الحلبي، عن الشيخ إبراهيم الأزهري، عن الشيخ حسن بن إبراهيم الأزهري، عن الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي، عن الأمير .

وأوصيه ونفسي بالتقوى، فإنه أجلُّ حِلْيَةٍ وأقوى، وبالتَّثَبُّتِ في النقل والرواية، والاستفادة والإفادة، وأن يكون في طلب العلم في زيادة.

وأوصيه بمجالسة الصالحين، ومجانبة الملحدين، والأدب مع الأئمة المجتهدين، والعمل بالعلم في الأقوال والأفعال، وتَذَكُّري بالدعاء في كلِّ حال، خصوصاً إذا صرتُ تحت أطباق التراب، وافتقرتُ لدعاء الأحباب.

وأوصيه أيضا بمراجعة ما سئل عنه من النقول، ولا يُعَوِّلُ على ما تقتضيه العقول، وأن يعتمد في ذلك على عدد من النقول، ليفوز إن شاء اللّه بالقَبول، وبلوغ السول والمأمول. وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٥ / ١ / ١٣٧٨ هـ

أمر برقمه خادم العلم الشريف

علوي ابن المرحوم السيد عباس المالكي

لطف اللّه به

إجازة العلامة إبراهيم بن عمر بن عقيل ابن يحيى

«مفتي محافظة تعز»

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ولكــنَّ البـــلادَ إذا اقْشَــعَرَّتْ   وصَــوَّحَ نَبْتُهــا رُعِــيَ الهَشِــيمُ

الحمدللّه، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعدُ فقد طلب مني سيدي وسندي وأستاذي المرشد حبيبي العلامة الشيخ محمد بن عبداللّه الهدار بن شيخ بن أحمد ابن سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم باعلوي نفعنا اللّه تعالى بهم في الدارين، طلب مني هذا السيد الجليل الذي له الحق العظيم علي أن أجيزه مع علمي بأني لست أهلاً أن أُجاز . ولِوُجوبِ إجابةِ سيدي ولجواز أخذ الإجازة حتى من الدُّون، وأنا معترف بأني من الدُّون؛ أقول:

أَجَزْتُ سيدي الحبيب محمد المذكور إجازةَ مَعَيَّنٍ لمعَيَّنٍ بجميع ما تَصِحُّ لي الإجازة به وفيه، بحق اتصالي بأسانيد ساداتي الذين أجازوني، وأسانيدهم معروفةٌ معلومةٌ لدى سيدي المجاز الحبيب محمد المذكور، أجزتُه وأجزتُ أولادَه الحسن والحسين وأحمد وطاهر وإخوتهم الذكور والإناث، وقد استخرتُ اللّه تعالى في الإقدام على التشبه بالرجال مع الجلوس في مذاقاتهم ومعارفهم وأهلياتهم، ودفعني طمعي في اغتنام فضيلة الانتظام في سلك سلسلة الإسناد، وقد أخرج الديلمي بسنده إلى الإمام علي كرم اللّه وجهه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عيه وآله وسلم: «إذا كَتَبْتم الحديثَ فاكتُبُوه بإسنادِه»، واغتناماً لتكثير سواد أهل هذا الشأن رجاءَ أَنْ أَكُونَ منهم، ورجاءَ دعواتِ سيدي محمد الصالحة ليضمني اللّه تعالى في عباده الصالحين . وللّه دَرُّ القائل:

باللّـه يـا طالبـاً مـني إجـازةَ مـا   تَرْويـهِ عَنِّـيَ مِـن أَسمـى إجـازاتي

سَلْ لي بفَضْلِكَ يا سُؤْلي ويـا أَمَلِي   إِجـازَةَ الجِسْـرِ في يـوم المجـازاتِ

وأوصيكم سيدي بالدعاء لمحبكم بالتوبة والرجوع إلى اللّه لي ولأولادي، وبحسن الختام، فقد أَزِفَ الرحيل، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه العبد الذليل
إبراهيم بن عمر بن عقيل ابن يحيى باعلوي
غفر اللّه له وللمسلمين آمين

إجازة الحبيب عمر بن أحمد بن سميط

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي قَرَنَ القَبولَ بالإقبال، وأجاز المقبلين إليه بعظيم الفضل والنوال، ومنحهم ما لم تبلغه نياتهم وأمنياتهم قبل السؤال، والصلاة والسلام الأَتمانِ على نقطةِ آيات الكمال، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما دامت الأيام والليال .

أما بعدُ فقد طلب مني الوصية والإجازة مَن يَعِزُّ عليَّ مطلبهم، لما بيني وبينهم من صادق الوداد، واتحاد المشرب في كل ميراد، وهم الذين فاقوا على أقرانهم بحسن سيرهم، وازدادوا في حسن الأخلاق على غيرهم، وهم السادة الأماجد أحمد بن علوي بن أبي بكر الحداد[1]، ومحمد الهدار بن شيخ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم وإخوانه،

---

(١) هو العلامة الكبير أحمد بن علوي الحداد رئيس مجلس القضاء الأعلى في حكومة الاتحاد، من أهالي نصاب، أخذ العلم في مدينة تريم لدى الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري، وعن معظم علماء تريم، ثم عاد علماً مرشداً داعياً إلى اللّه، عَمِل سكرتيراً للسلطان عوض بن صالح وقابل الإمام أحمد حميد الدين وأكبر علمه، وتولى رئاسة القضاء إلى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية،

وأبوبكر بن عبدالله بن عبدالقادر المحضار، وأحمد بن حسين محمد الجنيدي، وصالح بن عبدربه بن أحمد الجنيدي، والشيخ فضل محمد بن عوض بافضل[1] التريمي، و الأولاد علي وأحمد ومحمد أبناء جبران بن عوض جبران، وطالما اعتذرتُ إليهم بعدم الأهلية، وقِلَّةِ البضاعةِ العلمية، لأن مِن شرط الوصية بين الإخوان، أن يلتزمَ الموصِي العملَ بما أوصى به، وسيدنا الحداد يقول:

عَجِبْتُ لمن يُوصِي سِواهُ وإِنَّهُ   لأَجْدَرُ مِنْهُ باتِّباعِ الوَصِيَّةِ !

ولكنْ رجاءً لصالح دعواتهم، واعتماداً على حسن ظنونهم ونياتهم، أقولُ – وإن كنتُ لا أُحْسِنُ أن أقول –:

فانتقل إلى مكة المكرمة ونظم قصيدةً عصماءَ مدح فيها الملك فيصل وشرح فيها ما يعانيه العلماء في الجنوب اليمني من قبل الحزب الشيوعي، وفي أثناء النظم للقصيدة المذكورة بلغه موت الملك فيصل فطرح القلم جانباً وقال: – قِفْ يا يَراعُ فقد تَحَطَّمَ شامِخُكْ –

واستمر في مكة المكرمة منقطعاً للعبادة، وفي أثناء خروجه من الحرم المكي في شهر صفر ١٣٩٦ هـ حصل له حادث مروري، نقل على إثره إلى المستشفى، وتوفي ودفن بمقبرة المعلاة وخلف ذرية صالحة، وقد ترددت عليه واستفدت منه كثيراً إبان مكثه في عدن، له شعرٌ رصينٌ ورقيقٌ ينبي عن مدى ما يتحلى به من اتساعٍ كبيرٍ في المعارف والعلوم .

(١) هو الشيخ العلامة الكبير فضل بن محمد بافضل، أحد أعيان ووجهاء مدينة تريم الغناء، كان على جانب عظيم من الصلاح والنسك والعبادة، مع علم غزير واسع، يرجع إليه الكثير من العلماء في كثير من المسائل الفقهية، وقد وصل إلى البيضاء حين تأسيس الرباط ورتب حلقاته الدراسية، وكان كثير التنقل للدعوة إلى الله من منطقة إلى أخرى، ثم اتجه إلى الحرمين الشريفين، ومكث بهما فترة، وقد زاره سيدي الوالد رحمه الله في جدة، وكنت بصحبته وجرت بينهما مناقشات علمية وطرائف أدبية، ثم عاد إلى منطقة تريم واستمر بها حتى فاجأه الأجل المحتوم سنة ١٣٩٦ هـ، من مؤلفاته «خلاصة الكلام في علم الفرائض» .

أوصي أولادي وإخواني المذكورين ونفسي بتقوى اللّه واتباع الكتاب والسنة، وامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه عبادَه، وصدق الالتجاء إليه، والتوكل في المهمات عليه، والاهتداء بهدي العلويين وغيرهم ممن صفت أحوالهم ومشاربهم .

وأما الإجَازة فقد أجازني غيرُ واحدٍ من ساداتنا العلويين ممن اجتمعت بهم في الجهة الحضرمية، وغيرُهم ممن استجزتُهم مراسلةً، فأجازوني كما أجازهم مشايخهم، وأجازني الحبيب علي بن محمد الحبشي في هذا الدعاء: «اللّهم إني في قبضتك حيث ما كنتُ فلاحظني بعينِ عنايتك حيثما كنتُ»، وحثني على ملازمته خصوصاً في السفر، وأجازني الحبيب أحمد بن حسن العطاس في «المسلك القريب» وفي قراءة «المضرية»، وقال: إن عند قراءتها تحضر روح المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم، وأجازني سيدي الوالد في الإتيان بهذا الاستغفار في آخر الليل وهو: «أستغفر اللّه العظيم لي ولوالدي ولمن ظلمته من المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات»، وأجازني علوي بن طاهر بن عبداللّه الحداد في هذا الاستغفار كما أجازني الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وهو: «أستغفر اللّه لذنبي، سبحان اللّه بحمد ربي»، وأَجَزتُهم في جميع ما أجازني فيه جدي الحبيب طاهر بن عبداللّه بن سميط، وذلك مذكور في رحلتي «النفحة الشذية» في وصيته لي، وأجزتُهم في الإكثار من «لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه»، وأقل ذلك ثلاثمئة مرة كل يوم، أجازني في ذلك الحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور، كما أجازه والده الحبيب عبدالرحمن، وأوصي جميع المذكورين بالدعاء لي خصوصاً بعد ما أكون تحت التراب، إذا نسيني الأقارب والأصحاب .

كَتبتُ هذه الوصيةَ والإجازةَ وأنا على قَدَمِ السفر من «أنقريجة»
إلى حضرموت لحضور زيارة نبي اللّه هود عليه السلام
في حادي شعبان عام ١٣٨٨ هـ
وأنا الفقير إلى اللّه عمر أحمد بن سميط

إجازة السيد محمد بن أحمد بن شعيب الأهدل

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أقول – وأنا العبد الذليل خادم طلبة العلم الشريف والعلماء في كل محل، تهامة والجبل، محمد أحمد شعيب بن إسماعيل بن عبدالباري الأهدل -:

إني أَلْبَسْتُ ولَقَّمْتُ ولَقَّنْتُ سيدي ومولاي السيد محمد عبداللّه الهدار مؤسس المعهد الديني الأهلي باليمن بمدينة البيضاء، وولده عبداللّه وبقية أولاده وإخوانه وأحفاده وأسباطه، وأجزتُهم إجازة عامة كما أجازني شيخي الأجل السيد عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن بن حسن عبدالباري الأهدل اليمني المروعي، والسيد أبو بكر بن عبدالرحمن بن إسماعيل الأهدل الزبيدي، ولي سندٌ في الثلاثة يتصل بصاحب «النفس اليماني»، ومسلسل إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه في الجنة، وسيدنا محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، وأجزتهم إجازة عامة في التفسير والحديث والفقه، وفي الأذكار والأوراد والأحزاب والصلوات بجميع صيغها إجازة عامة بشرطها المعتبر، عند أهل العلم والأثر .

وأوصيهم بما أوصى اللّه به عباده بقوله: ﴿ولقد وَصَّينا الَّذِينَ أُوتُوا الكتابَ من قبلكم وإياكم أَنِ اتَّقُوا اللّه﴾، وأوصي سيدي محمد عبداللّه الهدار وجميع من أجزتهم بالدعاء لي ولوالدي ومشايخي في الدين، وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، وصلى اللّه وسلم على سيد السادات، وآله الهداة وأصحابه أرباب الكرامات، آمين .

حُرِّرَ في رباط السادة بدهليز الحرمين الشريفين

إجازة السيد محمد بن سليمان الأهدل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعدُ..

فقد طلب مني العلامة الشيخ محمد بن عبدالله الهدار وأخيه أحمد عبدالله الهدار إجازةً وإن كنتُ لستُ أهلاً، ولكن تطيبياً لخاطره فقد أجزتُهُ إجازةً عامةً شاملةً هو وأخاه وأولادهما بما تجوز روايته ودرايته، كما أجازني والدي العلامة السيد سليمان بن محمد بن سليمان، والوالد العلامة السيد أحمد بن محمد سليمان الأهدل، وبقية مشايخي، والشيخ العلامة محمد أحمد سالمي، والعلامة السيد عبدالقادر الأهدل، وأوصيه بالدعاء خلف الصلوات والقراءة، كما لا ننساه من الدعاء .

ولأجل ذلك حَرَّرَ ذلك
بتاريخ جمادى الثانية ١٣٩٤ هـ
الفقير إلى الله محمد سليمان الأهدل

سنده للإمام البخاري

أخبرنا شيخ الإسلام عبدالله بن عمر الشاطري عن الإمام المحدث عيدروس بن عمر بن عيدروس بن عبدالرحمن بن عيسى بن محمد الحبشي عن الحبيب العلامة الفقيه عبدالله بن عمر بن يحيى عن الإمام المحدث عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن

محمد الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري قال: حدثني والدي عن والده قال: أخبرنا المشايخ أبو عبدالله محمد عبدالرحيم بن عبدالكريم بن عبدالوهاب وأبوعلي محمد بن محمد الجزري وأبوإسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبدالواحد البعلي وأبوالحسن علي بن محمد بن محمد الجوزي، قال الأولان: أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم نعمة بن الحسن بن علي بن بيان الصالحي وست الوزراء وزيرة بنت محمد بن عمر بن أسعد بن المَنَجّا التَّنوخية، وقال أبو إسحاق: أخبرنا أحمد بن أبي طالب بن نعمة وقال: علي قرئ على ست الوزراء وأنا أسمع، وكتب إلى سليمان بن حمزة بن أبي عمر وعيسى بن عبدالرحمن بن معالي وأبوبكر أحمد بن الرويم ، قال الخمسة: أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي سماعا وقالوا: كتب إلينا أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر القعيطي وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن رزويه الملاشي ومحمد بن زهير وشفوانة وثابت بن محمد أبي جندي ومحمد بن عبدالواحد قال: لقد أخبرنا أبو الوقت عبدالأول بن عيسى بن شعيب الهروي عنه يعني أبا الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي عن أبي محمد بن عبدالله بن محمد السَّرَخْسِي عن أبي عبدالله بن محمد بن يوسف الفِرَبْرِيّ عن جامع « الصحيح » أمير المؤمنين في الحديث أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي روَّح الله روحه بالروح والريحان .

سنده للإمام مسلم

حدثني أستاذي الشيخ العارف بالله عبدالله بن عمر بن أحمد الشاطري عن الحبيب المحدث عيدروس بن عمر بن عيدروس بن عبدالرحمن بن عيسى بن محمد الحبشي قال:

حدثني أستاذي الحبيب الشيخ الحسن بن صالح البحر الجفري والحبيب الأستاذ عبدالله بن الحسين بن طاهر والحبيب الملاذ محمد بن أحمد بن جعفر الحبشي والحبيب الشيخ المحقق علي بن عمر بن سقاف قالوا: حدثني الحبيب عمر بن سقاف قال: حدثني والدي الحبيب سقاف بن محمد بن عمر السقاف قال: حدثني الحبيب محمد بن أبي بكر الشلي قال: حدثني السيدان العلمان عبدالرحمن بن علوي بن أحمد عيديد وأحمد بن حسين بن عبدالرحمن بلفقيه قالا: حدثني العلامة الحبيب عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن بن الشيخ علي قال: حدثني شيخي محمد بن علي خرد صاحب كتاب « الغرر » قال: حدثني شيخي محمد بن عبدالرحمن الأسكع ابن عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم قال: حدثني شيخي الشيخ علي بن أبي بكر قال: حدثني شيخي محمد جمل الليل بن حسن بن محمد أسد الله قال: حدثني شيخي محمد بن علوي بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم قال: حدثني شيخي الشيخ عبدالله بن علوي ابن الأستاذ الأعظم قال: حدثني شيخي السيد الفقيه أحمد بن عبدالرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط قال: حدثني والدي عبدالرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط قال: حدثني سيدي الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي قال: حدثني السيد الإمام علي بن محمد بن أحمد بن جديد قال: حدثني الشيخ الإمام أبوعبدالله محمد بن إسماعيل المشهور بابن أبي الصَّيف وسنده لصحيح مسلم أنه -أي: ابن أبي الصَّيف- يرويه عن الشيخ أبي علي الحسين بن علي بن الحسين الأنصاري البطليوسي قال: حدثني الشيخ أبوعبدالله محمد بن الفضل الصاعدي قال: حدثني الشيخ أبو الحسن عبدالغافر بن محمد الفارسي قال: حدثني أحمد بن محمد بن عيسى الجلودي عن إبراهيم بن محمد النيسابوري عن الإمام المحدث أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رضي الله عنه .

سنده لأبي داوُد

يرويه بإسناده إلى ابن أبي الصَّيف يرويه عن الإمام أبي الحسن بن علي بن خلف بن معروف التّلمساني المغربي قال: حدثني القاضي الأجل الشيخ الفقيه العالم أبو جعفر عمر بن عبدالمجيد الميانسي قال: حدثني القاضي الأجل الإمام ركن الدين تاج الخطباء أبوالمظفر محمد بن علي بن الحسين الشيباني الطبري قال: حدثني الشيخ الإمام العدل أبو عبدالله محمد بن إبراهيم البغدادي قال: حدثني علي بن أحمد بن عمر اللؤلؤي عن أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله .

سنده للموطأ

حدثنا شيخ الإسلام عبدالله بن عمر الشاطري حدثنا الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي عن الحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى عن الإمام المحدث عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الكزبري قال حدثني والدي عن والده عن الشيخ عبدالغني النابلسي عن النجم محمد الغزي عن والده البدر محمد الغَزِّي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الحافظ ابن حجر عن المراغي عن عز الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر الفاروقي عن أبي اسحاق إبراهيم بن يحيى المكناسي عن أبي الحسين محمد بن محمد بن سعيد بن رزمون عن أبي عبدالله أحمد بن غُلبون عن أبي عمرو عثمان بن أحمد الفيجاطي عن أبي عيسى يحيى بن عبدالله بن يحيى عم أبيه أبي مروان عبدالله بن يحيى عن أبيه يحيى بن يحيى المصعودي الليثي عن الإمام مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه .

سنده للإمام ابن ماجَهْ

حدثني شيخ الإسلام عبدالله بن عمر بن أحمد الشاطري عن الحبيب العلامة المحدث عيدروس بن عمر بن عيدروس بن عبدالرحمن بن عيسى الحبشي قال حدثنا شيخنا الحبيب العلامة عبدالله بن عمر بن يحيى قال: أخبرنا المحدث الأستاذ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد الشافعي عن والده الإمام قال: حدثني والدي عن والده قال: حدثنا المشايخ أبو محمد عبدالرحيم بن عبدالكريم بن عبدالوهاب وأبو علي محمد بن الجزري وأبوإسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبدالواحد البعلي وأبو الحسن علي بن محمد الجوزي قال الأولان: أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم نعمة بن حسن بن علي بن بيات الصالحي عن أبي السعادات عن أبي زرعة طاهر بن أبي الفضل المقدسي عن أبي منصور محمد بن الحسين المطوي عن أبي طلحة القاسم بن أبي البدر الخطيب عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحز القطان عن أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه .

سنده لكتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي

أرويه عن شيخ الإسلام عبدالله بن عمر الشاطري عن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي عن الحبيب عبدالله بن عمر ابن يحيى عن الإمام المحدث عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الكزبري .

«ح» وعن الشيخ الكاملي عن الشيخ حسين الثماني عن العارف بالله الشيخ عبدالغني النابلسي عن الشيخ عبدالباقي عن الشمس محمد الميداني عن الشهاب الطيبي

عن الكمال بن حمزة عن القاضي أبي حفص الحنبلي عن سليمان بن المحب عن محمد بن العماد عن أبي سعد السمعاني عن محمد بن ثابت عن أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رضي اللّه عنه .



عَوْدَتُهُ إلى وَطَنِه وتأسيسه مدرسةَ عَزَّة للعلوم الشرعية

وبعد وفاة شيخ الإسلام عبدالله بن عمر الشاطري أزمع على الرحيل بصحبة زميله ورفيق دربه الحبيب محسن بن محمد الهدار وزميليهما رمضان بن عبيد بن صبيح[١] وعمر بن سقاف بن عثمان، واتجهوا إلى شبام ومنها سلكوا طريق أطراف الربع الخالي حتى وصلوا إلى منطقة مرخة، ومنها إلى الهجر مع قافلة لأهل شملان من قبيلة هَمَام[٢] ، وبها مكثوا عدة أيام لانتظار قافلةٍ للذهاب إلى البيضاء .

قال رحمه الله: «وكنتُ لا أعلم شيئاً عن أخبار أهلي وبلدي، فوجدتُ امرأةً عاجزةً ذهبتْ في موسم ثمر الذرة التي تُعتبر من المحاصيل الزراعية الرئيسة في البيضاء، وشاء الله أن تمكثَ في عَزَّة وجلستْ لدى الأسرة طِيلَةَ الموسم . قال: فأخبرتني عن كل فرد من أفراد الأسرة» .

---

(١) رمضان بن عبيد بن سعيد صبيح من طلبة رباط تريم، سافر مع الوالد من تريم ١٣٦٢ هـ ومكث مدة أربع سنوات مدرسا في المدرسة التي قام بفتحها الوالد في عزة، وقام بشؤون الوالد الهدار بن شيخ رحمهم الله المعيشية ثم عاد إلى تريم، وكانت بينه وبين الوالد مودة وصحبة بن كثيرَ الملازمة له حينما يصل إلى تريم، ثم انتقل إلى الحجاز وعمل لدى شركة الكعكي واستمر يتردد بين مكة والمدينة حتى توفي بالمدينة المنورة ١٤٠٤ هـ رحمه الله .

(٢) وهم قبيلة كبرى كانت تشتغل بالتجارة، ولهم قوافل كبيرة قد تصل إلى مئة جمل في كل رحلة، ولذلك فالأهالي لا يطمئنون في إرسال أفرادهم وبضائعهم إلا معهم، وتسكن قبيلة همام في العوشه، بالقرب من مدينة نصاب بمحافظة شبوة، و هي مسكن مشايخهم آل حسين وآل شملان، ويسكن الكثير منهم في الربع الخالي .

ثـم اتجهـوا عـبر الطريـق المسبَّلة العقبـة ثـم مَسْوَرَة والسَّرْو، وفي منطقـة العُقلـة اعترضهم الشيخ ناصر أحمد[1] العامري، وأَصَرَّ على أن ينزلوا ضيوفاً عليه، وتـم إعلام الوالد الهدار بن شيخ فخرج ومعه جمع كثير من الناس لاستقبالهم إلى منطقة شـوكان، وكان يوماً مشهوداً قيلت فيه كثـيرٌ مـن الزوامـل والقصـائد الشـعرية مـن ذلـك قـول الحبيب الهدار بن شيخ:

قـال القريشـي بـاتذكر هاجسـي	مـن حبـه اللّـه مـايضره شـانيه
حيـابكم عنـد اهلكـم واصحـابكم	يـاذي مـن المـورد شـربتوا صافيـه
لا عند ذي صابر على أحمـال الثقـل	في الحـد مـابين النمـار العاديـه
مـاهمني مـازاد ولا مـا نقـص	مـاذي قـد اللّـه ردكـم في عافيـه

ثـم إنه مكث فترةً يتنقل للدعوة إلى اللّه في المدن والقرى، وتزوج بعد رجوعه مـن حضرموت، وكان رحمه اللّه مشعل هداية نور كالجذوة الـتي تضـيء الطريـق لطـلاب الحق والصلاح، يتنقل للتذكير والإرشاد، وبعد فترة طلـب إذنـاً مـن والـده للسـفر إلى عدن بصحبة زميله بل وشيخه الشيخ عمر بن عوض بن حـداد الـتريمي، الـذي وصـل زائراً ومكث لدى والده فترة مـن الزمـن ضيفـا لديـه، ومـن ثـم سيتـم سـفرهما إلى الحبشة، وتـم السفر إلى عدن، ومكثا فيه فـترةً فوصلـه نبـأُ وفـاةِ زوجتـه الـتي فاجأهـا المرض بعد رحيله، فتأثَّر لذلك تأثراً شديداً ولـم يَرَ بُدّاً مـن مواصلـة سـفره إلى «أسمـرا الحبشة»، وبمجرد وصوله ومكثه بها فترةً يسـيرةً وإذا بـه يفاجـأُ بمـوت والـده المرحـوم الهدار بن شيخ رحمه اللّه تعالى في ٥ صفر ١٣٦٥ هـ، فاجتـمعت الجالية اليمنية هنـاك والـمهاجرون من أبناء محافظة البيضاء يُعَزُّونَه ويُواسُـونَه في مُصابـه الجَلَل، فعاد على إثره.

---

(١) تقدمت ترجمته عند ذكر مدينة حصي .

وفي عدن وَجَدَ مفتيَ حضرموت السيد عبدالرحمن بن عبيداللّه السقاف الذي خفَّفَ من رَوعِه . قال رحمه اللّه تعالى: وكان لتخفيفِه ولنصائحِه الأثرُ البالغُ في إزالة الحُزْنِ والأسى عني .

ومن عدن عاد إلى وطنه عَزَّة ليرعى إخوانه ويعلمهم ويتفقد أحوالهم، وقد بدأ بتأسيس مدرسة عَزَّة للعلوم الشرعية، وفيها أناخ ركابه وقصده كثيرٌ من طلبة العلم، وتخرج على يديه الكثير منهم، الشيخ العلامة أحمد بن عبدالقادر الشمسي [1]، والسيد

---

(١) هو الشيخ العلامة أحمد بن عبدالقادر الشمسي، ولد في منطقة عَوَّين آل عِزّان، وهو من أسرة علم نزحت من مرخة وأصلهم من حضرموت، وأول من وصل إلى عَوَّين الشيخ أحمد بن صالح الشمسي العالم الكبير، له مناظراتٌ عظيمةٌ مع كثيرٍ من العلماء، وبالذات لدى أمير مكة الشريف عون، وله منظومةٌ في العقائد لا زالت مخطوطةً، ورحلاتٌ كثيرةٌ إلى كثيرٍ من الأصقاع وبالذات إلى الآستانَة، فقد حظي برعاية الدولة العثمانية .

وقد انقطعت أخباره في بعض أسفاره ولم يُعرف مصيره، أما الشيخ أحمد بن عبدالقادر فقد كان أحد طلاب الوالد ومرافقيه ثم انتقل إلى حضرموت للدراسة واستمر داعياً إلى اللّه حتى فاجأه الأجل المحتوم في مستشفى البيضاء ١٤١٤ هـ ودفن في عَوَّين، وفي أثناء مرضه دخلتُ عليه فطلب مني بعض الكتب المخطوطة وكان آخر العهد به مطالعتُه فيها رحمه اللّه رحمة الأبرار .

ومنهم الشيخ العلامة محمد بن عبدالقادر الشمسي ، طلب العلم في تريم وأخذ عن جل علمائها ثم عاد إلى عَوَّين واستمر بها فترة من الزمن ، ثم انتقل إلى عدن والتحق بالجامعة وتخرج منها ، ثم تدرج في عدة وظائف كان آخرها وكيل وزارة الأوقاف، ولي معه كثير من المساجلات الشعرية ، وكان آخر لقائي به في صنعاء في اجتماع جمعية العلماء، ولم نشعر إلا بالنبأ المحزن بوفاته وذلك في ١٤١٤ هـ ودفن في عدن رحمه اللّه رحمة الأبرار .

ومنهم صديقنا الشاب العلامة عبدالقادر بن عبدالغفار الشمسي، طلب العلم في رباط

عمر بن محمد محسن[1] ، والشيخ عبدالله بن علوي زيزيا[2] والسيد أحمد بن عبدالله الهدار وغيرهم .

مَدْرَسَةُ العِلمِ الشَّرِيف

كما قام زميله العلامة محسن بن محمد الهدار بمساعدة الشيخ الأديب أحمد بن

الهدار للعلوم الشرعية، وأخذ عن سيدي الوالد وعن السيد زين بن إبراهيم بن سميط ثم تولى الإمامة والخطابة والمعاملات الشرعية في عَوَّين مع علم غزير وأدب جم ، توفي عام ١٤١٥ هـ .

ووالده الشيخ عبدالغفار بن محمد بن أحمد الشمسي من مواليد الصومال، وقد نشأ وترعرع بها وتخرج من الجامعة ، وبذلك يعتبر أول جامعي من أبناء المحافظة فيما أظن، ثم وصل إلى عَوَّين وتزوج ثانياً بها وخلف ولده المذكور وأخاه عباس، وانتقل إلى جوار ربه وهو في ريعان شبابه عام ١٣٧٤ هـ ، له كتاب « رحلة مرجان إلى بلده » .

(١) عمر بن محمد بن محسن بن علي زميل الوالد ولد في عَزَّة ١٣٣٥ هـ، وقد رافقه في كثيرٍ من رَحَلاتِهِ للدعوة إلى الله حسبما يحكي ذلك، وقد استفاد من مجالسته كثيراً، وله معه مساجلاتٌ شعريةٌ لا زالت محفوظةً لديه فيها كثير من الصفاء والبراءة، وهو الآن في العقد التاسع من عمره، ولا زال متردداً على بيوت الله أطال الله في عمره آمين .

(٢) هو الشيخ عبدالله بن علوي زيزيا من زملاء الوالد في حضرموت، قال رحمه الله: لقد قرأتُ وإياه «بشرى الكريم» حرفاً حرفاً، ثم عاد إلى منطقته، وبعد رجوع الوالد كان كثير التردد عليه إلى مدرسة عَزَّة، وحج معه مشياً على الأقدام سنة ١٣٦٥ هـ، ولد في الخُفّ من الحَيْكَل مديرية ذي ناعم، وتوفي بها وهو شاب ولم يعقب سنة ١٣٦٦ هـ، وله أخ اسمه علوي كان على جانب عظيم من الصلاح والعبادة، توفي ودفن بالقرب من قبر أخيه المار ذكره رحمهم الله أجمعين .

موسى المرزوقي[1] حينها بفتح مدرسةٍ أهليةٍ للعلوم الشرعية بمدينة البيضاء، وهرع إليها طلاب العلم من كل حَدَبٍ وصَوب، وقد وجدتُ كتاباً بعنوان «كيف ومتى» ضَمَّ أخباراً كثيرةً عن تأسيس المدرسة المذكورة ومُدَرِّسيها وطلابها وافتتاحها، وقد أصدر الكتابَ الشيخُ أحمد بن موسى المرزوقي، وفيه كلماتٌ لكثيرٍ من العلماء، وقد طبع في مطبعة فتاة الجزيرة بعدن، والكتاب في ذاته يحتوي على كلمات كثيرة سوف نأتي على ذكرِ كثيرٍ منها، ومنها كلمةُ الأستاذ أحمد بن موسى المرزوقي الذي قال فيها بعد أَنْ حَمِدَ اللّه وأثنى عليه وأعقبها بالصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، قال: أما بعدُ فإنَّ أحلى ما سَجَعَتْ به الأقلام، وأَجَلَّ ما فَكَّرَ فيه ذوو الأفهام، وأشرفَ ما افتخر به هُمام، خدمةُ الإنسانِ لدينه ووطنه...إلخ كلمتِه، التي تنبي عن مدى ما يتحلى به من علم واسعٍ وبلاغةٍ نادرةٍ وفريدة، وقد تنقل الأستاذ أحمد المرزوقي في كثيرٍ من الدول التي تقيم فيها الجاليات اليمنية كالحبشة والصومال وجيبوتي حتى جمع تبرعاتٍ لا بأس بها ليؤسِّسَ المدرسةَ المذكورةَ مع زميله القائم بالتدريس فيها الأستاذ السيد محسن بن محمد الهدار، والذي كان من كلمته نداؤُه لأصحاب المالِ لِيَهُبُّوا لبناء المدرسة المذكورة: أين الرجالُ المخلصون ؟ أين الأغنياء

---

(١) الأستاذ أحمد بن موسى المرزوقي أحد طلبة الشيخ محمد بن حسين الهيثمي، وقد تخرج على يديه حتى أصبح من العلماء الأدباء، واشتغل في البيضاء مديرا للبلدية، ثم هاجر إلى الصومال وغيرها لطلب العيش، وأخيرا اتجه إلى جُدة وعمل مديرا للكهرباء، وكان مرجعا للمغتربين هناك، كما أنه كان يجيد اللغة الإنجليزية ويتكلمها بطلاقة حيث درس في عدن؛ لكون والده كان ضابطا في الجيش، ومكث فترة من الزمن في جدة حتى أصيب بوعكة صحية، وتوفي بها رحمه اللّه رحمة الأبرار عام ١٣٧٣ هـ تقريبا، وقد نسيه الكثير بينما كان جذوة خير متوقدة ، وقد ترك ولدين أحدهما ضابط توفي في صنعاء والآخر لا زال بخير، نسأل اللّه أن يجعل الخير باقيا فيهم وفي عقبهم إلى يوم الدين وإيانا آمين .

المنفقون؟ أين العلماءُ العاملون ؟ أين هم لكي نقتديَ بهم ويشجعونا على الأعمال الخيرية؟ ويُرشدونا إلى طريق الصلاح ؟ ثم استشهد بقول الشاعر:

ذَهَبَ الرجالُ المقْتَدَى بفِعالِهِمْ والمنْكِرُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنْكَرِ
وبَقِيتُ في خَلَفٍ يُزَكِّي بعضُهُمْ بعضاً لِيَدْفَعَ مِعْوَرٌ عن مِعْوَرِ

واستطرد قائلاً: من العار علينا وفينا الغني والعالم والأديب أن نرى وطننا العزيز وهو في غاية التعاسة والشقاء، يتخبط في دياجير الجهل .

ويفيد أيضا في كلمته أن فكرة تأسيس المدرسة المذكورة كان في عام ١٣٥٥ هـ حينما كان مغترباً في جيبوتي، وأنها ما زالتْ تُراوده حتى برزت إلى حيز الوجود، وقد شكر فضيلة مفتي محافظة البيضاء العلامة القاضي محمد بن حسين الهيثمي الذي شجَّعه على القيام بإبراز فكرته وتأسيس المدرسة المذكورة، وقد ألقى الأستاذ العلامة محسن بن محمد الهدار كلمةً قيمةً قال فيها بعد الديباجة يخاطب العلماء والتجار:

معشرَ العلماء.. «الدين النصيحة» ابْذُلُوا ما عندكم وأَخْلِصُوا لربكم واهتموا بوطنكم، ولا تكتموا ما به تكونُ الاستقامةُ، فمَن كَتم علماً ألجمه اللّه بلجامٍ من نارٍ، ثم قال: معاشرَ الأغنياء.. عليكم أن تَبْذُلُوا ما به صَلاحُ وَطَنِكُمْ وأولادكم وإخوانكم، ثم قال: فهذه مدرسةٌ علميةٌ أُبْرِزَتْ بعونِ اللّه في بلدتنا «البيضاء» لتدريس العلم الشريف، يدخلها القوي والضعيف، فيا معشر الجميع كلٌّ واحد منكم يُساهم ويشارك في هذا المتجر الرابح بما استطاع، فهذه المدرسة تنادي بأعلى صوتها إلى كل وطنيٍّ غنيٍّ نفسٍ وهَمَّةٍ قويةٍ ..إلخ كلمته.

أما سيدي الوالد محمد الهدار فقد قال – وهو إذ ذاك في ريعان شبابه –:

بسم الله الرحمن الرحيم

ومنه نستمد الهداية والتوفيق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع هداه، وبعدُ ففي سنة ١٣٥٦ هـ حاول كثيرون من أعيان البيضاء أن يؤسِّسوا مدرسةً تَتَكَفَّلُ بتمرينِ أبناء الوطن، فبينما هُم كذلك إذ عَنَّ لبعضهم بعضُ أمورٍ تُهِمُّه في المستقبل، فَتَجْمَحُ به إلى شَأْوٍ بعيدِ التناول بمكان، فيكون من المستحيل في أولِ وَهْلَة، وتلك الأمور جَمَّةٌ تَنُوءُ بالفرد بل والجماعة، مثل تعيين الأساتذة ومرتباتهم ووجود مكتبة عامةٍ كدليلٍ نظريٍّ للتدريس، مع وجود قسمٍ داخليٍّ يقوم بالنفقة على الطلاب الغرباء الوافدين من خارج المدينة، مع ما يحتاجون إليه من مستلزماتٍ ضروريةٍ أثناء طلبهم للعلم، وذلك لئلا يكون في نظامها خللٌ فيما بعدُ، وغير ذلك .

وهي آراءُ جَيِّدَةٌ لا بأسَ بها لكنْ عند سماعها تَنْفِرُ عنها هِمَّةُ مَن لا سَعَةَ لديه، إذ هو القسمُ الأغلبُ في البلد، ولم يزل هذا دَأْبُهُمْ أعواماً متواترةً يَتَناوَشُونَ الإقدامَ من مكانٍ بعيدٍ، لا عن كراهيةٍ لما يَعُودُ نَفْعُهُ على وطنهم ولكن لعدم وحدةِ الآراء للأسباب التي شرحنا آنفاً ليس إلا .

وفي أواخر سنة ١٣٦٢ هـ تَصَدَّى حضرةُ المحترم أحمد بن موسى المرزوقي لأن يبرزَ هذا العمل إلى حيزُ الوجود، على أن يَمُدَّهُ كُلٌّ بمستطاعه، فبذل غايةَ وُسْعِه وتحمَّل مشاقاً جمةً في عمارة هذه المدرسة، حتى برزت محمودة النظام بمساعدة أرباب الخير، فأَكْرِمْ بها من مَزِيَّةٍ خالدةٍ إلى يوم التناد، وبعد أن وَطَّدَها بما لا غنى لها عنه كأستاذ وتلامذة وغيرهما رأى أن تمام النظام أن تكون حفلةٌ جامعةٌ لأمير البلدة وأعيانها ليلقي على مسامعهم ما تطلبه المدرسة منهم، وما يجب عليهم من حقوق الوطن .

ففي يوم السبت الموافق ١٤ بقيتْ من ذي القعدة سنة ١٣٦٢ هـ حضر نجل أمير البلدة المفخم، وسائر الأعيان إلى المدرسة، فسمعوا ما ألقاه عليهم المتكلمون في تلك الحفلة الجليلة، فانثَنَوْا شاكرينَ مُلَبِّينَ جميعاً، ولم تَنْفَضَّ الجلسةُ إلا عن هِمَمٍ عَلِيَّةٍ ومقاصدَ حسنةٍ، فحمداً لَكَ اللّهمَّ على تَوفيقِكَ وهُداك .

وقد ساهَمَ العلامةُ الحجَّةُ القاضي محمد بن حسين الهيثمي، رحمه الله بكلمة قال فيها:

بحمدِ أفضلِ محمودٍ أبتدي، وبأنوارِ هداه إلى أقوم السبيل أهتدي، وبربوبيته ووحدانيته واقتداره إقراري ومشهدي، ولسنة نبيه محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم أقتدي .

وبعدُ فإنَّ اللّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿ادْعُ إلى سبيلِ رَبِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحَسَنَة﴾. ﴿فلولا نَفَرَ مِن كُلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّين﴾، ﴿ومَن أَحْسَنُ قولاً مِّمَّن دعا إلى اللّه﴾ ومِن كلامِ أَفْضَلِ الرُّسل: «مَن دعا إلى هُدىً كان لَهُ أَجْرُهُ وأَجْرُ مَن عَمِلَ به إلى يوم القيامة من غير أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شيءٌ، ولأَنْ يَهْدِيَ اللّه بك رجلاً خيرٌ لَكَ مِن حُمُرِ النَّعَم» أو ما هذا معناه، و «إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عمله إلا من ثلاثٍ صدقةٍ جاريةٍ أو علم يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يَدْعُو له»، ثم قال:

فعليكم إخواني بِحَثِّ أولادكم وضبطِهم للحضور والتعلم، ليعرفوا حقوق اللّه عليهم وحقوق الوالدين والأقربين والأصحاب، وعليكم بمساعدة طلبة العلم وإعانتهم كلٌّ واحدٍ بمستطاعه من الكتب والملبوسات وغير ذلك، ليزدادوا نشاطاً وليعرفوا فضل العلم العاجل، وأَكْرِمْ ثم أَكْرِمْ بالآجل .

كما شارك الأستاذ محسن بن أحمد صبيح[1] والشيخ عبداللّه بن عمر بن حسين بكلمات بليغةٍ مما يدل على غزارة علميهما رحمهما اللّه جميعا . ويحتوي الكتاب على أناشيدَ شعريةٍ للطلاب من شعر الأستاذ العلامة محسن بن محمد الهدار رحمهم اللّه جميعا .

ولنذكر هنا نزراً من أخبار مدرسي المدرسة المذكورة:

الأستاذ محسن بن محمد بن عبدالرحمن الهدار

وُلِدَ الأستاذ القدير العلامة الأديب محسن بن محمد بن عبدالرحمن الهدار في مدينة البيضاء ١٣٤٠ هـ ونشأ وترعرع فيها، ودرس مبادئ القراءة والكتابة، وكان لوالده الصالحِ الزاهدِ محمد عبدالرحمن الهدار عنايةٌ فائقةٌ به، ذكر ذلك في «مذكراته» حول صباه وكيف نشأ وتلقى تعليمه الابتدائي . وبالجملة فقد رضع كلَّ صفات الخير عن والده الذي كان له الأثر الكبير في تربيته تربيةً قويمةً، والذي حبَّبَ إليه العلم لِيَكْرَعَ من مَعِينِهِ العَذْبِ الرَّقراق .

---

(١) هو محسن بن أحمد صبيح، أديب من أبناء مدينة البيضاء ، طلب العلم في السودان حيث كانت أسرته مقيمة بوادي مدني تزاول مهنة التجارة، ولها سمعتها في تلك المنطقة، وقد اتجه رحمه اللّه من السودان إلى مصر، والتحق بالأزهر الشريف، وتلقى معلوماته به حتى تخرج . له كثير من الحكايات الأدبية، وكتب كثيراً من مذكراته حول تقلبات الدهر، وعن الحكايات الظريفة للأدباء، وعاد في فترة كهولته إلى البيضاء وبها ألقى عصى الترحال ، فكان خطيباً مفوهاً في كثير من المناسبات الدينية، واستمر بها حتى اختاره اللّه لجواره في مدينة البيضاء عام ١٤٠٨ هـ تقريباً، وخلف ثروة من الكتب العلمية والتي طالما كتب ملاحظاته القيمة في غلاف كل كتاب يطلع عليه .

وقد رافق سيدي الوالد في رحلته الأولى إلى المكلا، ومنها عادا إلى عدن فالبيضاء، ثم استأنفا الرحلة إلى حضرموت عبر مرخة وأطراف الربع الخالي كما تكلمنا عن ذلك بإسهاب عند حديثنا عن رحلته لطلب العلم .

وقد مكثا فترةً في رباط تريم يَنْهَلانِ من مَعِينِه، ثم عادا سَوِيّاً إلى مدينة البيضاء وهما على مستوىً عالٍ من العلم والمعرفة عام ١٣٦٢ هـ .

أهم أعماله: قام فضيلة الأستاذ محسن بن محمد الهدار على إثر رجوعه من حضرموت بافتتاح مدرسة العلم الشريف بمدينة البيضاء بمعاونة الأستاذ الأديب أحمد موسى المرزوقي كما أسلفنا، وهي مدرسةٌ أهليةٌ قام بإدارتها فضيلةُ الأستاذِ محسنٍ وقد تخرج منها الطلاب تلو الطلاب ، وعن نشاطها وأهمّ ما قامتْ به من أعمال خيرية في المجتمع عثرنا على ذكرياتٍ كثيرةٍ لكثيرٍ من طلابها الذين نالوا حظّاً كبيراً من التعليم، بالإضافة إلى كتاب «كيف ومتى» المذكور .

اشتهاره بالأستاذية: ونظراً للدور الكبير الذي قام به أستاذنا المرحوم محسن بن محمد الهدار في نشر المعارف العلمية في المنطقة والمتمثل في تخرج كوادر قادرة على العطاء في كثيرٍ من مرافق الحياة؛ نرى أن الأهالي قاطبة أطلقوا عليه لقب «الأستاذ»، فإذا ما قيل «الأستاذ» عُلم أنه لا يُقصَدُ غيرُه، وقل أن يزاحمه في هذا اللقب أحد في تلك الآونة .

شعره: وأستاذنا رحمه الله ذو شاعريةٍ دَفّاقَةٍ، فله شعرٌ رقيقٌ ورصينٌ، من ذلك أبياتٌ قالها يرثي شيخه الإمام علوي بن عبدالله بن شهاب المتوفى ١٣٨٦ هـ منها قوله:

بـأَيِّ دَمْـعٍ تـرى يـا صـاحِ أَبْكِيـهِ ... وأَيِّ قافِيَـةٍ في الشِّـعْرِ أَرْثِيـهِ ؟

دمـع الأسـى ذَوَّبَ العينينِ مـن أَلَـمٍ ... وَيـلاهُ فلْتَبْـكِ في الدُّنيـا بَواكِيـهِ

فُوجِئْتُ بالنبأِ المشؤومِ مِن عَـدَنٍ ... يـا لَيتَـهُ غُـصٌّ في المذيـاعِ مُلْقِيـهِ
يـا لَلـمصابِ ويـا لَلّهـولِ مِن نبـأٍ ... أَدْمَى القلوبَ وقلبي جُرحُـهُ فيـهِ

وقد استمر على ذلك الحال مرشداً وداعياً إلى الله على بصيرةٍ منيرةٍ خطيباً للجامع الكبير بالبيضاء، ثـم تـم اختياره عام ١٣٧٨ هــ مفتشـاً لـلـمعارف ثـم مديـراً عامـاً للتربية والتعليم بالـمحافظة، وقد قام بدورٍ لا يُستهان به في إخراج الكوادر العلـمية في المنطقة حتى قيـام الثـورة، واستـمر علـى ذلـك الحـال فتـم تعيينـه وكيـلاً لـمحافظة البيضاء، وسار سِيرَةً محمودةً في المجتمع، ثـم تـم اختيـارُه عضـواً في مجلس الشـورى، وفي ليالي معدودةٍ من شهر جمـادى الأولى ١٣٩٢ هــ أُصِيبَ بوَعْكَـةٍ صِحِّيـة تلاهـا اشتداد المرض وإذا بالأجل المحتوم يَحُلُّ به، فضَجَّتِ البلاد والعباد لـموت ذلـك الجهبـذ الفذ والـمصلح الكبير، وكان وقع النبأ على الجميـع كبيـراً، ورثـاه كثيرٌ مـن الشـعراء منهم راقِمُ هذه الأحرف بقصيدةٍ قال فيها:

خَطْـبٌ ألم علـى البـلادِ عظيـمُ ... كَـرَبَ الملا فـالكَرْبُ منـه عَمِيـمُ
هَزَّ الورى فتحيرتْ من خَطْبِهِ الـ ... أيـامُ فـاللّذّاتُ منـه جحيـمُ
خَطْـبٌ لـه تبكـي العيونُ وتكتـوي ... منـهُ القلـوبُ وخَطْبُهُـنَّ جَسِـيمُ
خَطْـبٌ يَقِـلُّ لـه البكـاءُ وينطـوي ... عنـه العَـزاءُ ويَظْهَـرُ المكتـومُ

إلى أن قال:

أَرْثِـي المكـارمَ والـمعالـم للـورى ... ومـآثراً شـهدتْ بِهِـنَّ تَرِيـمُ
فبفَقْـدِ أهـلِ العلـم قـد عَظُـمَ البَـلا ... يـا ليـتَ شعري أيـنَ أيـنَ أَهِيـمُ ؟

كما رثاه كثيرٌ من الأدباء بقصائد يطول شرحها .

وفي سنة ١٣٩٢ هـ بعد رجوع سيدي الوالد من الحج تأثر تـأثراً شـديداً وأصيـب بوعكة صحية انتقل على إِثْرِها إلى تعز، وقد استقبله الحبيب إبراهيم بن عمر بن عقيـل

والأخ أحمد بن عبدالله بن صالح العاقل[١] وغيرهم، وقاموا بـه خير قيـام، ونقلـوه إلى المستشفى، وقد عالجه طبيبٌ فرنسيٌّ وأخلص في علاجه وأخرج ماءً كثيراً من صدره، وأفاد بأن ثلثي رئتَه اليسرى قد تَلِفَتْ، وقد رافقه العم صالح بن عبدالله الهدار[٢] والعم أحمد بن عبدالله الهدار، وفي أثناء فترة المـرض وصـل إلى عنـده العـم محسـن بـن محمـد الهدار زائراً من صنعاء حيث كان يعمل عضواً في مجلس الشـورى، وأخـبر الوالـد بأنـه سيترك العمل ويتولى إمامة مسجد عمر بالبيضاء.

قال سيدي الوالد: وقَصَّ عليَّ رؤيـا مناميـةً عرفـتُ منهـا قُـربَ أجلِـه إلا أنـي لـم أُعْلِـمهُ بذلك، وبعد زيارة الوالد سافر مـن تعز إلى البيضـاء ومكـث فيهـا أربعـة أيـام

(١) أحمد بن عبدالله بن صالح العاقل، رجل أعمال مشهور، من مواليد البيضاء، من أسرة فاضلـة لها شغل بالتجارة، معروفـة بإسـداء المعـروف، وتفقـد المعوزيـن، انتقـل في ريعـان شـبابه إلى الحبشة، وبها زاول مهنة التجارة، ثـم عاد إلى عدن وفتح أعمالاً تجاريـة بهـا، ثـم انتقـل إلى تعز والحديدة بعد أن تدهورت عدن من جراء استيلاء الحزب الاشـتراكي ، وبهـا قـام بفتـح أعمال تجارية، وسكن مدينة تعز، فكان منزله مقصداً للوافدين مع كرم وسماحة نفس قـلّ أن توجد في غيره، ولا زال بها تحفه عناية الله، له كثير من أعمال الخير، زاده اللـه منهـا وجعـل الخير باقياً فيه وفي عقبه إلى يوم الدين وإيانا آمين .

(٢) هو السيد صالح بن عبدالله الهدار، ولد بعزة من ضواحي البيضاء سنة ١٣٤٣ هـ تقريباً وبهـا نشأ وترعرع وأخذ قسطاً من التعليم بها، على يد والده، وتردد على البيضاء للدراسـة وهـو شقيق الوالد، والـمتعهد لكثير من أموره المعيشية، وقد كان يكفيه في كثير من أمور الحياة مما جعله يتفرغ لطلب العلـم، ولـلمثابرة عليه وبالذات بعد وفـاة والدهمـا، رافقـه في كثـير مـن رحلاته، وقد كان سيدي الوالد رحمه الله يوصينا معاشر أولاده به خيرا، نسأل الله أن يجعلنا عند حسن ظن الجميع، ومن المتعاونين على طاعته آمين . ولا زال المـترجم بخـير تحفـه عنايـة الله متردداً على بيوت الله مع صلاح ونسك وعبادة، نسأل الله أن يجعل الخير باقيـاً فيـه وفي عقبه وإيانا إلى يوم الدين .

وفاجأه المرض فانتقل إلى جوار ربه، فعَلم سيدي بالنبأ وتأثر كثيراً، وأرسل على إِثْرِ ذلك هذه الرسالة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه على كل حال وإنْ جَلَّ الخَطْبُ وعَظُمَ الكَرْبُ بفَقْدِ حبيبنا وأخينا وزميلنا، وصلى اللّه وسلم على أفضل موجود وأعز مفقود، وآله الركع السجود، وأصحابه والتابعين بإحسان إلى اليوم الموعود، وعلينا معهم وفيهم يا أرحم الراحمين، نحن والحبائب الكرام والإخوان سيدي محمد بن سالم العيدروس وسيدي هادي بن صالح الهدار والحبيب أحمد بن شيخ بن أحمد، والأولاد محمد وأحمد ابني سيدي الفقيد المرحوم محسن بن محمد الهدار وسائر أفراد العائلة والإخوان عبدالـلاه بن محمد وحسين بن محمد الهدار والأخ صالح الهدار وإخوانه وإخوانهم الجميع والإخوان ناصر بن علوي القربي وأحمد بن حسين الرماح[1] وسائر الإخوان، والأولاد حسن وحسين ابني محمد الهدار وإخوانهم، والمحبين أجمعين أبداً، حرسهم اللّه بعينه التي لا تنام وتولاهم بما تولى به الصالحين الكرام، ورزقهم كمال التوفيق والإنابة والخشية

(١) هو الشيخ أحمد بن حسين الرماح، تاجر مشهور، له كثير من الأيادي البيضاء في تفقد حاجة المعوزين، اغترب في شبابه ثم عاد إلى البيضاء يزاول مهنة التجارة، وكان يضرب به المثل في الاكتفاء بالقليل من الربح، وله رحمه اللّه مواقف مشكورة في الإصلاح وجمع الكلمة وعمارة المساجد، وكان من أول من أسهم في الرباط مع نسك وعبادة وأداءٍ للنوافل التي قلما داوم عليها غير العلماء العاملين، واستمر على ذلك حتى توفي ١٤٠٦ هـ بمدينة البيضاء، وصُلّي عليه يوم الجمعة في الجامع الكبير، وأبّنه الأخ صالح بن علي بن عبداللّه في أثناء خطبة الجمعة وكنّاه «بأبي المساكين»، وقد بلغ سيدي الوالد نبأ وفاته و هو حينها في مكة فتأثر عليه كثيراً، ولم أشعر إلا والدموع تنهمر من عينيه وهو يقول: من أين يأتي مثل أحمد حسين الرماح.

والزهد والاستعداد للمعاد، وعافاهم من كل سوء في الدارين وإيانا وأحبابنا أبداً آمين آمين آمين .

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، وتحياته ومرضاته، وعلى سائر الصالحين إلى يوم الدين، ﴿سلامٌ قولاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ عَدَدَ ما وَسِعَهُ عِلم اللّه، نرجو الجميع بعافية ضافية، عافية تسمى عند اللّه عافية، وهي العافية من الذنوب، وبعافية من الأمراض والعيوب، رزقنا اللّه وإياكم وأحبابنا والمسلمين كمال العافيتين .

وهذا من تعز، وقد فاجأنا بالخبر العظيم والنبأ الجليل، قالوا: سمعوا في الإذاعة نبأ وفاة الحبيب ابن الحبيب ابن الحبيب سيدي محسن بن محمد بن عبدالرحمن الهدار، فنزل بنا ما اللّه أعلم به لولا لطف اللّه والرجوع إلى التفويض لقضائه وقدره، ولا أظن أحداً نزل عليه من جميع معارف هذا الحبيب من الغم مثل ما نزل علي، فهو تِرْبِي في الولادة وفي النشأة منذ نعومة أظفارنا، ثم رفيقي في طلب العلم، جلس بين يدي المشايخ، وعند شيخه شيخ الإسلام الحبيب عبداللّه بن عمر بن أحمد الشاطري، نحواً من ثلاث سنين ونصف في أيام هي زهرة الأيام وصفوة الشباب، ولا نزال نذكرها، ونرجو من اللّه عَوْدَ بركاتها علينا وعلى الراحل العظيم .

ثم إن اللّه سبحانه يَسَّرَ وصوله إلينا إلى تعز للوداع، ففرحنا وحمدنا اللّه سبحانه على ذلك، وزاد فرحنا لما قال لنا: إنه قانعٌ من الوظيفة ولن يعود إليها، وإن والده غيرُ راضٍ، وزدناه تأكيداً، وقلنا: عسى إن شاء اللّه يتخلص منها ويعود إلى الوظيفة الأولى نشر العلم، وأخبرني برؤيا رأى فيها رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم عرفتُ منها قربَ انتقاله، ونرجو اللّه سبحانه وتعالى يكرم نزله ويوسع مضجعه ويلحقه بالرفيق الأعلى محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم وحزبه .

وهذا إن شاء اللّه محققٌ سيما ورابطتُه مَكِينَـة، وشيوخه الشاطري وحزبه، كما نرجو من اللّه سبحانه أن يُشَفِّعَه في ذنوبنا وعيوبنا وأمراضنا وحوائجنا، وأن يُقَدِّمَه خيراً، ويخلفه في ذويه والمسلمين بالخير، وينظر اللّه بنظرة إلينا وأولاده وعشيرته:

نَظْـرَةٌ تُزِيـلُ العنـا عَنّـا وتُدْنِـي المنـى
مِنّـا وكُـلَّ الهَنـا نُعطـاهُ في كُـلِّ حِـيْنْ

واللّه سبحانه هو أعلم بمصالح عباده، ولا يختار لعبده المؤمن إلا ما هو خير، ولا يقبض نفْساً إلا إذا لم يبق لها مصلحة ولا منها مصلحة في الدنيا، وعنده كتابٌ معلومٌ وأجلٌ محتومٌ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وعلينا أن نأخذ عبرةً وموعظةً، فكفى بالموت واعظاً، فكما هجم عليه سيهجم علينا، فعلينا أن نستعد للقاء اللّـه بالتوبة من المظالم، والكف عن المآثم، وكثرة الصدقات، والاستعداد بالوصية، والاستغفار من كل خطية، وحفظ الأوقات، فإن الشريط يسجل اللحظات، والحركات والسكنات إلى الممات، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، والسعيد من وُعِظَ بغيره، ومن اعتبر بغيره، وعرف أنه في دار الفنا وفي طريقه إلى الآخرة دار البقا، يقطع إليها كل يوم مرحلةً، وكل ليلةٍ مرحلةً، ولا يَصِلُها إلا مفاجأةً، مثل راكب السفينة تجري وهو غافل، حتى تصل إلى الساحل .

فاللّه اللّه في الأعمال الصالحة ، والتجارة الرابحة، فإن الدنيا قليل، والأعمار فيها قليل من قليل، ولم يبق من القليل إلا القليل:

تَبَلَّغْ بالقَلِيلِ مِنَ القَلِيلِ وهَيِّ الزادَ للسَّفَرِ الطَّوِيلِ

إلى آخر ما قال سيدنا الإمام الحداد، تأملوا وانقلوا قصيدته هذه، وعَظَّمَ اللّه أجرَكم وأجرَنا، وأحسنَ اللّه عزاءكم وعزاءَنا، وغفر لميتنا، وأنزله الفردوس الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر:

والـمتقونَ رِجالُـهُ وحُضُـورُهُ | يـا رَبِّ فالْحِقْنـا بِهِـمْ يـا رَبَّنـا

واجمع بيننا وبين الفقيد مع الأنبياء والصديقين بعد طول الأعمار في صحة وتقوى وبلوغ الآمال:

يـا رَبِّ واجْمَعْنـا وأحبابـاً لنـا | في دارِكَ الفِرْدَوسِ أَطْيَـبِ مَوْضِعِ

وعَجِبْنا منكم ! لـم ترفعوا لنا برقية والعاقل في الحديدة، فعجلوا بشرح الحالة من أولها، واصبروا وصابروا وأكثروا من قول: «إنا للّه وإنا إليه راجعون» تظفروا بقوله تعالى: ﴿أولئك عليهمْ صَلَواتٌ مِن رَبِّهِمْ ورحمةٌ وأولئكَ هُمُ المهْتَدُونَ﴾، وسنرفع إلى حضرموت لإقامة الصلاة والدروس، وادعوا لنا كذلك نحن بالصبر على فراق الأحباب، فإنه أشد النوائب :

شيئان لـو بَكَـتِ الدِّمـاءُ عليهمـا | عَينـايَ حَتّـى يُؤْذِنـا بذَهـابِ
لـم يَبْلُغـا المعشـارَ مـن حَقّيهمـا | فَقْـدُ الشَّـبابِ وفُرْقَـةُ الأحبـابِ

ولكن في إلهك عِوَضٌ عن كل شيء، وعسى طلبتم وصول الولد محمد من مصر، كذلك الدرس عسى قمتم في الرباط والجامع، وسلموا على الجميع سيما أسرة الحبيب وكلنا من أسرته، واطلبوا منهم الاستغفار للراحل والدعاء لنا، والحذر من نعيق الشيطان وغضب الرحمن، ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصابِرُوا ورابِطُوا واتَّقُوا اللّه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وبركة الراحل وسلفه الصالح ستعود علينا إن شاء اللّه وعلى أولاده، فيتعلموا العلم النافع ويحافظوا على آداب الشريعة، ﴿ومَن يَتَّقِ اللّه يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ويَرْزُقْهُ مِن حيثُ لا يَحْتَسِبْ﴾، وفقنا اللّه وإياكم لما يرضيه، وعصمنا من كيد الشيطان والنفوس، وحفظنا من شرور الدارين آمين آمين آمين .

والسلام على روح الفقيد وأرواح سلفه الصالحين وأهل «لا إله إلا اللّه» أجمعين ورحمة اللّه وبركاته عدد ما وسعه علم اللّه، فضلاً يا حبيب محمد بن سالم زورره

عنا وسلفه ووالده وسلموا عليهم، وادعوا لنا عندهم بالشفاء التام وصلاح القلوب والسلامة من الذنوب، وأن يُبَغِّضَ اللّه إلينا المعاصي والدنيا التي لا تعين على الدين، وأن يحول بيننا وبين الحرام والآثام والشبهات، ويتولانا بما تولى به عباده الصالحين، ويرزقنا كمال الاعتبار والاتعاظ، لا نقع كما الصبي كلما حركوه زاد ينام، هذه مزعجاتٌ، تقول لك: «اليوم عند فلان وبكره عندك»، استعدَّ هذه رسل من اللّه.﴿يا حَسْرَةً على العبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِن رَسُولٍ إلا كانوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ .الم يَرَوْا كم أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيهِمْ لا يَرْجِعُونَ . وإِنْ كُلٌّ لما جَمِيعٌ لَدَينا مُحْضَرُونَ﴾، والعفو فقد شَطَحَ القلم، بما نزل بالقلب من ألم، ومما حدث وأَلم، فالحمد للّه له ما أخذ وله ما أعطى، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، وإنا للّه وإنا إليه راجعون، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، سيما الفاطميين العلويين، وعلى مآثر أمته إلى يوم الدين، وعلى مآثر النبيين والصالحين في كل حين، عدد إنعام اللّه وإفضاله، وسَلم وشَرَّفَ ومَجَّدَ وعَظَّمَ مثل ذلك كلّه، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

مستمد الدعاء

محمد الهدار

أحمد الهدار

وقد أَبْلَغْنا سيدَنا الإمام الحبيب إبراهيم بن عمر بن عقيل لِيَتَرَحَّمَ على الفقيد ويصلي على روحه الطاهرة ويدعو له ففعل .

نُبْذَةٌ عن مَدْرَسَةِ عَزَّةَ للعُلُومِ الشَّرْعِيَّة

تأسستْ مدرسةُ عَزَّة للعلوم الشرعية في عام ١٣٦٢ هـ بعد عودة الوالد الحبيب محمد بن عبدالله الهدار من تريم وذلك لِبَثِّ الدروس العلمية، في بلدٍ خَيَّمَ الجهلُ عليها نظراً لكثرة الاضطرابات والفتن، ونظراً لكون المنطقة عاشتْ فترةً طويلةً دونَ وجودِ حكومةٍ تنظِّم الأمور وتَحُدُّ من الفوضى وتفتح أبواب التعليم، وقد أسس المدرسة المذكورة الوالد رحمه الله في حياة والده الهدار بن شيخ وعمره لا يتجاوز الثانية والعشرين، كما أنه أَوْصَلَ معه للمساعدة في التدريس في تلك المدرسة الشابَّ عمر بن سقاف بن عثمان من أبناء مدينة تريم حضرموت، وكان شاباً نشيطاً ذكياً متفتحاً لا يتجاوز العشرين عاماً من عمره، واستمر في التدريس نحواً من ستة أشهر غير أنه فارق الحياة بعدها على إثرِ وعكةٍ صحيةٍ استمرت عدة أيام، وتولى غسله وتجهيزه الوالد الهدار بن شيخ، أما الوالد محمد الهدار فقد وَجَدَ عليه وَجْداً شديداً، وتأثر على صديقه ورفيقه في رحلته الطويلة، وبعدها سافر إلى عدن بصحبة شيخه عمر بن عوض حداد الذي وصل لزيارة والده كما أسلفنا، وقد وصفه تلاميذه -أي: عمر بن سقاف- بأنه كان عالماً عاملاً حسن الصوت، طالما أطرب الحاضرين بسماع الأناشيد الدينية، حَسَنَ الخط، استفاد منه كثيرٌ من الناس، رحمه اللّه رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جنانه .

وقد شارك في التدريس الشيخ رمضان بن عبيد بن صَبَيح[1] ، وهو رفيق الرحلة من حضرموت ومن أهالي تريم، وقد استمر في التدريس فترة طويلة، كما أوكل إليه

---

(١) تقدمت ترجمته .

الجد الهدار بن شيخ الإشراف على أموره المعيشية، وكان أميناً صالحاً تقياً، وبعد وفاة الجد الهدار بن شيخ عاد إلى تريم .

من مدرسي المدرسة

الأستاذ عمر بن عبدالرحمن باعبود

وبعد عودة الوالد من الصومال قام بطلب الأستاذ القدير عمر بن عبدالرحمن باعبود للوصول للمساعدة في التدريس في المدرسة المذكورة، وقد قام خير قيام مع ضبط وربط على الرغم من صغر سنه، غير أنه قوي الإرادة شديد الشكيمة لين العريكة، جعل الطلاب يحبونه كأب وكأخ أكبر لهم أكثرمن هيبتهم منه، وكان قائماً بمعظم الحصص اليومية وبالذات في القراءة والكتابة، حيث يتميز بخط حسنٍ وجميلٍ، وقد قلده كثير من الطلاب في خطه الجميل .

واستمر على ذلك الحال حتى انتقل إلى عدن وعمل بها مدرساً لمدة سنة، ثم انتقل إلى أبين للعمل في إحدى المدارس الابتدائية، وفي سنة ١٣٧٤ هـ ، هاجر إلى المملكة العربية السعودية، فعمل مدرساً بوزارة المعارف لمدة سنتين، ثم موظفاً بشركة الجميح، وتدرج في عدة وظائف فيها حتى أصبح مديراً للشؤون المالية بها، واستمر على ذلك الحال حتى رَقْمِ هذه الأحرف، ويحظى السيد عمر باعبود بتقدير وإجلال من قبل مالكي الشركة المذكورة، وكذا بتقدير وإجلال كل الموظفين فيها . وقد خلفه في القيام بالمدرسة المذكورة الأستاذ سالم بن أحمد شيخ، وهو من أنجب تلامذة المذكور، حيث رشحه للقيام بها بعد أن سافر ولا زال بعزة تحفه عناية اللّه في العقد السابع من عمره تقريباً .

أحمد بن صالح روضان

ومن مدرسي مدرسة عَزَّة أحمد بن صالح روضان رحمه اللّه، ولد ١٣٣٨ هـ في قرية حصن الظَّبْيَتَينِ في خولان الطِّيال اليمانية العليا، وبها نشأ وقرأ القرآن، ثم التحق بالجيش، ثم سافر إلى البيضاء وانضم إلى الجيش الذي تحت إمارة النقيب صالح بن ناجي الرويشان، وكان مُجيداً للتلاوة ولأحكام التجويد، وتم طلبه من قبل الوالد محمد الهدار ليدرس في مدرسة عَزَّة، وبها قام بالتدريس فترة من الزمن ثم أزمع على الرحيل عام ١٣٥٨ هـ ليعود إلى مسقط رأسه، وخلفه أخوه حسن بن صالح رَوضان، أما الشيخ أحمد بن صالح روضان فقد استمر في حصن الظبيتين وأصابه مرض في ساقه الأيمن أجبره على ملازمة المسكن، وقد يتردد بين صنعاء وبين خولان إلى أن توفاه اللّه سنة ١٤١٠ هـ .

وقد أبَّنه الوالد محمد الهدار في رسالة بعث بها إلى أولاده، ومما قال فيها: اللّهم أجرنا في مصابنا واخلف لنا الخير وأفرغ علينا الصبر، والطف بنا فيما جرت به المقادير، واكتب لنا ما كتبته للصابرين، اللّهم اجعلنا وأحبابنا من خواص خواصهم نحن وإخواننا حسن صالح والولد حسن أحمد وإخوانه وكافة آل روضان حرسهم اللّه بعينه وإيانا، وتولانا وإياهم بعونه، وعظم اللّه أجر الجميع في فقيد الجميع أحمد بن صالح روضان، تغمده اللّه بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته، وعظم اللّه أجركم وأحسن عزاءكم وغفر لميتكم، والحمدللّه وإنا للّه وإنا إليه راجعون.

شق علينا وفاة أحمد صالح روضان ولكن لا مفر من قضاء اللّه وقدره، والمؤمن لا يستريح إلا بالموت على الإسلام، والفوز بحسن الختام، جعله اللّه ممن فاز بذلك،

وألحقنا بالصالحين صالحين، وجمعنا بأحبابنا في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع المتقين الصالحين وهو راضٍ عنا رِضًى لا سخط بعده أبداً .

اللّه اللّه فيما يَسُرُّ الفقيدَ من العمل بالطاعة والمواصلة والمراحمة، وكونوا له بعد مماته أحسن مما كنتم له في حياته، فإنه يتلقى منكم الدعاء والصدقات ويفرح بذلك، وإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به وولد صالح يدعو له وصدقة جارية، غفر اللّه لنا وله ولكم وللمسلمين، وستر لنا كل عيب والعفو والدعاء، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

محمد الهدار

سامح اللّه الجميع بفضله

حسن بن صالح روضان

ومنهم حسن بن صالح روضان ولد ١٣٤٦ هـ في قرية حصن الظبيتين في خولان الطيال اليمانية العليا، وبها نشأ وقرأ القرآن وارتحل إلى البيضاء في صباه لدى أخيه السابق ذكره، ثم تردد على الشيخ محمد بن حسين الهيثمي وقرأ عليه كثيراً من المتون، ثم انتقل عند أخيه في مدرسة عَزَّة واستمر بها، وبعد سفر أخيه قام بالتدريس في مدرسة عزة وتخرج على يده طلابٌ كثيرٌ، واستمر على ذلك الحال حتى انتقل كاتباً مع النقيب صالح بن ناجي الرويشان محافظ محافظة البيضاء ، وقد ترددتُ عليه وقرأتُ عليه في أحكام التلاوة رحمه اللّه رحمة الأبرار.

وكان ملازماً لدروس الوالد محمد الهدار مجلاً له ، وانتقل إلى مسقط رأسه عام ١٣٨٠هـ وبها فتح مع أخيه أحمد مدرسة أهلية سماها مدرسة «الفوز» وقام بتدريس القرآن الكريم والفقه والنحو والرياضيات، والتحق بالتربية والتعليم مدرسا إلى عام ١٣٧٩ هـ، ثم عين موجها للمنطقة الشمالية بخولان، وكُرِّمَ في عيد المعلم وتقاعد عام ١٣٨٨ هـ، واستمر في منطقته موجهاً ومرشداً دينياً وخطيباً للجامع ومرجعاً لكثيرٍ من استفسارات الأهالي، حتى فاجأه الأجل المحتوم وهو يركع بَعْدِيّةَ صلاة الظهر، وفي أثناء الصلاة صعدت روحه إلى بارئها وهو صائم في ١١ربيع أول ١٤١٢هـ ، رحمه اللّه رحمة الأبرار وأسكنه برحمته دار القرار، وجمعنا به في مستقر رحمته من غير سابقة عذاب ولا حساب ولا فتنة ولا عتاب، بعد طول العمر في طاعته ورضاه آمين .

وكُتب على ضريحه:

لقد عاشَ في الدُّنيا خطيباً ومرشداً ... وراجٍ من الرحمنِ عفواً وغفرانا

أحمد بن عبدالله الهدار

ومنهم العالم الأجل السيد أحمد بن عبداللّه الهدار، ولد في مدينة البيضاء سنة ١٣٤٧هـ ونشأ نشأة صالحة محباً للخير وداعياً إليه، وقد كان للدروس التي يحضرها لدى أخيه الأكبر المترجم له أثرٌ كبيرٌ في نفسه عكست عليه صلاحاً وخشيةً قل أن توجد في أترابه، وقد تأدب بأخيه المذكور، وبعد وفاة والده اتجه إلى السودان لطلب العيش لدى أخوال والدته من القضاة آل المشعبي، وبها مكث فترة من الزمن فضويق

من قبل الجوازات ومن أجلها سُجن، فكان يُتَعَجَّبُ من محافظته على الواجبات والمندوبات وهو في غرفة ضيقة .

ومن السودان عاد إلى البيضاء واشتغل بالتجارة مع حضوره مجالس العلم التي تعقد، ولم يَصُدَّه عنها أيُّ عملٍ آخر، وأخيراً عُين إماماً وخطيباً في مسجدٍ زاره لدى السلطنة العوذلية، ومكث نحواً من سبع سنوات حتى قيام جمهورية اليمن الديمقراطية فضايقته الجبهة القومية حينها، فخرج هارباً بدينه عبر الجبال حتى وصل إلى البيضاء، وفي الرباط ألقى عصاه ولزم أخاه الأكبر ملازمة الظل للشاخص، وقرأ عليه كثيراً من كتب الحديث، وبالذات «كنز العمال» و «الترغيب والترهيب» و«الشفاء» للقاضي عِياض وكتب الإمام الحداد، واستمر رحمه اللّه قائماً بخدمة الوالد مع تواضعٍ وانكسارٍ منقطعِ النظير ملازماً له رحمه اللّه في حله وترحاله، وبالذات في رحلاته للحج والزيارة، حيث لا نذكر أنهما تَخَلَّفا سنةً من السنين، وقد رأيته مع الوالد في سنة ١٣٩٢ هـ في يوم عَرَفَة وهما قائمان من بعد صلاة الظهر يبكيان ويبتهلان إلى اللّه سبحانه دون أن يجلسا على الأرض حتى غابت الشمس .

وعند استفساري عن هذه الحالة فإذا هذا الأمر دَأْبُهما كل عام، مع ترددٍ على المشاعرِ والمآثرِ مشياً على الأقدام [١]، مع تواضعٍ وجلوسٍ مع عامة الناس خوفاً من العُجب والرياء، اللّهم لا تحرمنا أجرهما ولا تفتنا بعدهما يا أرحم الراحمين .

---

(١) من السنن التي كان يداوم عليها الوالد في الحج عند رمي الجمرات في كل يوم من أيام التشريق وبصحبة العم أحمد الهدار رحمهما اللّه تعالى هو أنه يرمي في كل يوم من أيام التشريق الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات، فيأخذ إحدى وعشرين حصاة فيأتي الجمرة الأولى، وهي تلي مسجد الخيف وأولهن من جهة عرفات، وهي نفس الطريق، فيأتيها من أسفل منى ويصعد إليها ويعلوها حتى يكون ما عن يساره أقل مما عن يمينه، ويستقبل

وفي عام ١٣٩٨ هـ بعد أداء مناسك الحج والزيارة حصلت له فجأةً جلطةٌ في القلب نُقل على إثرها إلى المستشفى، وتمت معالجته وسافر إلى لندن للعلاج، ثم عاد

القبلة ثم يرميها بسبع حصيات واحدة واحدة، ويكبر عقب كل حصاة كما سبق في رمي جمرة العقبة يوم النحر، ثم يتقدم عنها وينحرف قليلا ويجعلها في قفاه ويقف في موقف لا يصيبه المتطايرُ من الحصى الذي يُرمى، ويستقبل القبلة ويحمد اللّه تعالى ويكبر ويهلل ويسبح ويدعو مع حضور القلب وخشوع الجوارح، ويمكث كذلك قَدْرَ سورة البقرة .

ثم يأتي الجمرة الثانية، وهي الوسطى، ويصنع فيها كما صنع في الأولى، ويقف للدعاء كما وقف في الأولى، إلا أنه لا يتقدم عن يساره كما فعل في الأولى؛ لأنه لا يمكنه ذلك فيها، بل يتركها بيمين ويقف في بطن السيل منقطعاً عن أن يصيبه الحصى .

ثم يأتي الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة التي رماها يوم النحر فيرميها من بطن الوادي ولايقف عندها للدعاء، ولمزيد من التوضيح يراجع «الإيضاح» للنووي .

كما كان يبيتُ في المحصَّب بعد إكماله الثلاث الأيام في منى، ويقول: إن ذلك سنة غفل عنها الكثير، والسنة أن ينزل بالمحصَّب ويصلي العصر والمغرب والعشاء، ويرقد رقدةً ثم يرحل، وفي حديث البخاري عن أنس «أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء، ثم هجع هجعةً»، والمحصَّب الذي يستحب للحاج النزول فيه بعد انصرافه من منى هو مَسِيلٌ بين مكة ومنى، وهو أقرب إلى مكة بكثير، وقد حَدَّدَهُ الأزرقي فقال: وحَدُّ المحصَّب من الحجون مصعِداً في الشق الأيسر وأنت ذاهبٌ إلى منىً إلى حائط مرتفعٍ على بطن الوادي .

ونص كلام ابن الصلاح: والمحصَّب بالأبطح، وهو ما بين الجبل الذي عنده مقبرة أهل مكة إلى الجبل الذي يقابله مصعِداً في الشق الأيسر وأنت ذاهبٌ إلى منى مرتفعاً على بطن الوادي، وليست المقبرة منه، وإنما سمي المحصَّب لأن السيلَ يجمع فيه الحصباء .

والمحصَّب هو خَيفُ بني كِنانة التي تقاسمتْ فيه قريش على الكفر . انتهى كلام صاحب «شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام» ملخصاً .

إلى صنعاء ومنها إلى البيضاء، واستمر في منزله يعاني من ذلك الداء العضال حتى فاجأه الأجل المحتوم في ٣ ربيع الثاني عام ١٤٠٠ هـ بعد صلاة المغرب، واتجه سيدي الوالد إلى منزله وأَسْكَتَ كُلَّ مَن يَنُوحُ على الرغم من وقوع النبأ كالصاعقة على رؤوس محبيه .

وحينما دخلتُ على سيدي الوالد أخذني إليه وأجهش بالبكاء، وكان قد كتب له رسالة قبل المغرب قال في بدايتها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

«الأخ أحمد عجل اللّه شفاه وشفانا، السلام عليكم ورحمة اللّه ..» فتوقف القلم وعاد في اليوم التالي تقريبا فإذا بالرسالة كما تركها، فأكملها وقال: رحمة اللّه عليه، وإنا للّه وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، في كل لحظة أبداً عدد ما علمه اللّه سبحانه على كل ذرةٍ من كل مصيبةٍ أُصِبْنا بها أو أُصِيبَ بها مسلم من المصائب الظاهرة والباطنة والحسية والمعنوية والسماوية والأرضية والدينية والدنيوية والقلبية والقالبية، والحمدللّه وإنا للّه وإنا إليه راجعون في كل لحظة أبداً مثل ذلك على مصيبتنا بحبيبنا أحمد الهدار أنيسنا وجليسنا والمساعد والمساند ، بَوَّأَه اللّه أعلى منازل الجنان، مع سلفه الكرام سعف خير الأنام صلى اللّه عليه وآله وسلم، وألحقنا بهم في عافية آمين . وقال رحمه اللّه في حاشية المذكرة: «يا حسين، احتفظ بهذه».

وكان غزير الدمعة يبكي بمجرد سماع موعظة من آية أو حديث أو حكمة، وذلك واللّه هو العلم لقوله تعالى: ﴿إنما يخشى اللّه من عباده العلماءُ﴾ كما سمعت سيدي الوالد يثني عليه كثيراً، وكذلك يثني عليه سيدي إبراهيم بن عمر بن عقيل مفتي محافظة تعز، وكذلك سيدي الإمام الشهيد أحمد بن صالح الحداد رحمهم اللّه جميعا رحمة

الأبرار وأسكنهم برحمته دار القرار، وإنا للّه وإنا إليه راجعون، وقد دفن في مقبرة الشعب بمدينة البيضاء، اللّهم أجرنا في مصيبتنا واخلف علينا خيرا منها .

وهنا نثبت طرفاً من جهود سيدي الوالد في الدعوة إلى اللّه سبحانه وتعالى:

حُرْقتُهُ على الدّينِ رَضِيَ اللهُ عنه

حينما كان الاستعمار البريطاني جاثماً على الشطر الجنوبي من اليمن لم يَرَ بُدّاً من محاربة أفكاره ومخططاته الاستعمارية، التي منها وضع مناهج مدرسية لا تمت إلى الدين بصلة، بل تزرع الشكوك في كل ما وعد به اللّه ورسوله في نفوس النَّشْءِ، ليعيش الفردُ ضعيفَ الإيمان بربه وبدينه إن لم يَتخلَّ عنه، وسَرعانَ ما تتزعزع عقيدته الدينية أمام أيِّ عاصفة من عواصف الإلحاد، إنها خُطَّةٌ ماكرةٌ من أخطر الخطط المعادية للدين، لم يتفرَّسْ فيها إلا القليل حيث اتَّخَذَها الكثيرُ من أفراد المجتمع طريقةً تَبْعَثُ على التقدُّم والرُّقِيِّ، وهي أبعدُ ما تكون عن ذلك، وكانت نتيجتها الحتميةُ أن تُخَرِّجَ من تلك المدارس طلاباً ومدرسين عادوا بأفكارٍ متضاربةٍ وغريبةٍ لا تمت إلى العقلانية -فضلاً عن الدين- بأيِّ صلةٍ .

وقام مُنَفِّذُوها بعد رحيلِ ذلك المستعمر البغيض في المجتمع، وما علموا أنها قد بدأت تنقشع وتنتهي في مهدها؛ لكن التعصب الأعمى -وبادِئَ ذي بَدْءٍ- النشأةُ السيئةُ التي تركتْ رؤوسَهم فارغةً من كل ما أمر اللّه به، ومن كل ما دعت إليه شريعته، جعلتهم يَتَشَبَّثُون بها تَشَبُّثَ الأعمى في الظلام الدامس، وساموا قومَهم سوءَ العذاب، ولو استعرضنا جرائمهم في هذا الإطار التي مَلأَتِ الأُفُقَ لضاقت عنها بطون

الأوراق، فكم هُتِكَتْ أعراضٌ، وكم سُفِكَتْ دِماءٌ، وكم أُمِّمَتْ أموالٌ، كلُّ ذلك لكي يأخذَ المجتمع اليمني بتلك الأفكار المُنْتِنَة، وليُجْبِرُوه على أن تَنْسابَ في وُجدانِه وكَيانه كما انساب في وجدانه وكيانه الدين الإسلامي الحنيف .

وهيهاتَ هيهاتَ أن يحصل ذلك، فالدين الإسلامي دين الفطرة التي فطر اللّه الناس عليها، وهو الأمر الذي امتزجَ بكُلِّ مَن آمَنَ به امتزاجاً يصعب إبعاده عمَّن ذاق حلاوتَه، وهو الأمر الذي امتزجَ نورُه به، ووَصَلَتْ بَشاشَتُهُ إلى قَلْبِهِ، وهاهي قد تهاوتْ تلك النظرياتُ الحقيرةُ وسَقَطَتْ قِلاعُها الواحدة تلو الأخرى في عَقْرِ دارها فضلاً عن البلاد التي نَمَتْ ونَشَأَتْ في ظل الدين الإسلامي الحنيف، ولم يَفُتْ فقيدَنا الراحل معرفةُ ذلك المخطط الرَّهيب حينما زار كثيراً من تلك المدارس فيما كان يسمى بالجنوب، واطَّلَعَ على برامجها ورأى من مدرسيها وطلابها قلةَ الاهتمام بالدين، فأدركَ ذلك الخطر الداهم، فقال منذراً ومحذراً من قلبٍ وجلٍ وكبدٍ مقروحةٍ:

نَذارَةُ صِدْقٍ والنَّذِيرُ بها أَدْرَى ... وتَحْذِيرُ شَرٍّ قد طَمَى البحرَ والبرّا

غَزَا الغربُ لكنْ جيشُه مِن مدارسٍ ... وما هي إلا ضربةٌ تَقْصِمُ الظَّهرا

مدارسُ في حُكْمِ الكنائسِ أَسَّسَتْ ... أَبالِيسُهُمْ فيها الدَّسائِسَ والمكرا

بها انقَلَبَتْ أبناؤُنا من عُداتِنا ... وخيِّلَتِ البلوى لنا نِعْمَةً كُبرى

أتانا بها المستعمرونَ وشِبْهُهُمْ ... أَلاَ لَعَناتُ اللّه مِن فَوقِهِمْ تَتْرى

فكم هَدَمَتْ مجداً وكم أَبْطَلَتْ هُدًى ... وكم شَيَّدَتْ نُكراً وكم أَوْغَرَتْ صدرا

بها بَدَّلُونا بالصلاة وبالتقى ... تعاليمَ ألعابٍ مع اللغةِ النكرى

براكينُ سَمَّوها برامجَ لم تَزَلْ ... إلى كلِّ بيتٍ مسلم تَقْذِفُ الجمرا

بها غَرَّنا الغربيُّ واجتاحَ مِنّا الشّـ ... ـبابَ وأغراهمْ بتوظيفِه إغرا

وخَصَّصَ مَن يختارُه من دُعاتِه ... أساتذةً أجسادُهم مُلِئَتْ شَرّا

أساتذةٌ لا شيءَ أكبرَ عندَهُمْ ... من الكافرِ الغربيْ وأوراقِه الحَمْرا

فيــا طــالبي تلــك المــدارسِ إنهــا شِباكٌ من الغربيِّ قـد نُصِبَتْ غـدرا
وغايــةُ مَغــزاهُ نَكُـــونُ عَبيـــدَهُ ونَفْصِمُ مِن إسلامنا العُـرْوَةَ الكبرى
أتــاكُمْ بهـــا أَذنابُــهُ لاقتِنــاصِكُمْ كما اقتَنصُوا فيما مضى عدداً كُثْرا
فصــارُوا أَشَــدَّ النــاسِ شَــرّاً وفتنــةً على دينِهـمْ تَشْكُوهُمُ المِلَّــةُ الغَـرّا
بــلا خَجَـــلٍ يَغْشَـــوْنَ كُـــلَّ قَبيحَـــةٍ ويَرْتَكِبُونَ الفُحْشَ بينَ المـلاَ جَهْـرا
تَقَدُّمُهُــمْ خَمْـــرٌ ولَهْـــوٌ وخِلْطَـــةٌ بها هَتَكُوا سَتْرَ الحجابِ فـلا سِترا
فهـم كالإباحيِّين لا شيءَ عندَهــمْ حرامٌ بتاتـاً أنكـروا البعثَ والحشـرا
فكُلْ لحمَ مَيْتٍ أو مُذَكّىً ولا تَقُـلْ: حلالاً حراماً، واشربِ الما أو الخمرا
حــذارِ حــذارِ أيهــا النَّــشْءُ هــذهِ شِباكٌ فـلا تَهْوُوا بهـا مـرةً أُخـرى
فمهمـــا أَضَعْنـــا دِينَنـــا باتِّبـــاعِهمْ فلا نَصْرَ في الدنيا ولا فوزَ في الأخـرى
ومهمـــا تـــمسَّكنا بديـــنِ محمـــدٍ فـلا شـكَّ أنـا الغـالبونَ لهـم قهـرا
لأنّـا علـى وعـدٍ مـن اللّـه صـادقٍ بـأنّ لنـا منـه العنايــةَ والنصــرا
وصلى إلهـــي كـــلَّ حــينٍ وســاعةٍ على خيرِ داعٍ صاحبِ القبةِ الخضرا

وحينما رأى رحمه اللّه الاهتمامَ البالغ بالشهادة، وأن طلب العلم عند البعض لـم يكن لذاته وإنما لكي يحصل على تلك الشهادة، ليكسب بها مالا، وليتربع بها على مقاعد الوظائف ليس إلا، وأن كثيراً ممن يحملونها هم من أجهلِ الناس بها، بل ورأى سُلُوكِيّاتِ كثيرٍ منهم وضعفَ اهتمامهم بأمور الدين، مع عدم وجود خشيةٍ من اللّه التي هي العلم بعينه، لقوله تعالى: ﴿إنما يخشى اللّه من عباده العلماءُ﴾، وكلُّ ذلك على العكس مما دعا إليه العلماء العاملون من السلف والخلف، والذين لا يُصدرون إجازاتهم لطلابهم إلا بعد تَحَرٍّ دقيقٍ عن العلم والعمل والسلوك، لذا فقد رأى رضي اللّه عنه أن إصدارَ كثيرٍ من الشهائد بذلك الأسلوب ما هو إلا كيدٌ للإسلام والمسلمين، وكيف أصبحَ كثيرٌ من العلماء الذين لا يحملون تلك الشهائد في زوايا

النسيان، على أن كثيراً منهم قمةٌ شامخةٌ في العلوم، فقال رضي اللّه عنه مخاطباً ذلك الصنف من حملة الشهائد:

طالبٌ قال لي: مرادي الشهادةْ ... فعَجِبْتُ ! وما فَهِمْتُ مُرادَهْ
قلتُ:خيرُ الكلام هِي؟ قال:لالا ... قلتُ: فالقتلُ في الجهاد سعادَةْ
إنْ يكنْ مخلِصاً لنصرةِ دِينِ الـ ... ـلّهِ ليسَ له سِواها استفادَةْ
قال:لا..لا..فقلتُ:ما هيَ يا هـ ... ـذا؟ فقال: البطاقةُ المعتادَةْ
فلها تُبْذَلُ المئاتُ فمَن يَـ ... ـذلْ يَنَلْها ولو قَرِينَ الوسادَةْ
وبها يَشْهَدُ الأساتذةُ بالـ ... ـفوزِ يَنْفُونَ عن ذَوِيها البَلادةْ
قلتُ:كيفَ الدروسُ كيف سُلُوكُ الـ ... ـراغِبِينَ لها وكيفَ العِبادَةْ
قال: ضِدُّ الذي عليه مضى الما ... ضُونَ أَهْلُ التُّقى وأهل الزَّهادَةْ
يَهْجَعُونَ مِنَ الليالي قليلاً ... تَتَجافَى جُنوبُهُمْ للعبادةْ
طَلَبُوا العلم مخلصينَ وتقوى الـ ... ـلّهِ صارتْ لهم شِعاراً وعادَةْ
عَرَفُوا أنَّما الحَياةُ غُرورٌ ... فاستهانوا بها لِدارِ السَّعادةْ
نحنُ لَسْنا كهؤلاءِ ولكنّـ ... ـا على منهجٍ حديثِ الولادةْ
فلنا عطلةٌ مع كلِّ فصلٍ ... ولنا كم قَعادةٍ ووِسادةْ
وإذا الليلُ جنَّ قُمْنا إلى الأفـ ... ـلامِ نقضي النشاطَ لا للعبادةْ
ما علينا مُراقِبٌ أَنْ نُصَلِّي ... أو نُخَلِّي ولا علينا إعادةْ
نلتقي إِنْ نَشَأْ بجنسٍ لطيفٍ ... يَسْلُبُ المرءَ دِينَهُ وفؤادَهْ
وإذا ما انتهتْ مراحلُ ذا التعـ ... ـليمِ عُدْنا أوطانَنا بالشهادةْ
بعلومٍ تُفِيدُ صاحبها العيـ ... ـشَ وتُنْسِيهِ قَبرَهُ ومَعادَهْ
فنَشَرْنا هذي العلومَ وصارتْ ... تحتَنا كم وظائفٍ مُنقادةْ
قلتُ:هذي السمومُ ليستْ علوماً ... وهْيَ داءٌ يا ما أَضَرَّ فسادهْ
وهي تدعو إلى الدمارِ فبَشِّرْ ... مُتْرَفِيها البغاةَ حِزْبَ البَلادةْ

جاء هـذا في النَصِّ آيـةِ «سـبحا ... نَ» فسـبحانَ مَـن يَكُـنْ مـا أرادهْ
فـالعلومُ الـتي أَتَـتْ مـن طريـق الــ ... ـمصطفى ثـم صَحْـبِ طه القـادةْ
ومِـن الآلِ ثـم مِـن تـابعيهمْ ... فهْـيَ للـمتقينَ طُـرْقُ السَّـعادةْ
وهْـي مَحْشُـوَّةٌ بخشـيةِ مـولا ... نـا تعـالى دعـا إليهـا عِبـادَهْ
وهي كـنزٌ هنـا وزادٌ لتلـك الـدّ ... ارِ طُوبـى لـمن تكـونُ زوادَهْ
أيهـا الطـالبُ الـذي يبتغـي التَّـو ... ظيـفَ طِبْقـاً لـما حَوَتْـهُ الشـهادةْ
هِجْـرَةٌ مثـلُ أُمِّ قَيـسٍ فخُـذْ أَجْـ ... ـرَكَ منهـا فلـن تَنـال زِيـادَةْ
هـل حَـوَتْ هـذه الشـهادةُ عُمْـراً ... غـيرَ ذا ؟ فالـممات أدنـى نَفـادَةْ
فَلْتَـةٌ ضَيعَـةٌ وكـم حَسَـراتٍ ... بعدَهـا ويـلَ مُهْمِـلٍ أَولادَهْ
سـاقَهُمْ للنَّكـالِ وَيْـلٌ لَـهُ وَيْـ ... ـلٌ لهـم مِـن جَهَنَّـمِ الوَقّـادَةْ
ربَّنـا عافِنـا مـنَ السُّـوءِ في الـدَّا ... رَيـنِ أَصْلِـحْ لـذا العُبَيـدِ فَسـادَهْ
وصـلاةٌ مِـنَ الإلـهِ تعـالى ... وسـلامٌ علـى يَتِيـمِ القِـلادَةْ
سَـيِّدِ الشـافعينَ والآلِ والأصـ ... ـحابِ سادُوا فيا لَهُمْ مِن سـادَةْ
كـلَّ حـينٍ عِـدادَ مـا خَلَـقَ اللّـه ... وتَغْشَـى أملاكَـهُ السَّـجّادَةْ

وفي هذا الإطار قدم رحمه اللّه نشيداً لطلاب رباط الهدار للعلوم الشرعية وأهداه إلى كل طلاب العلم في المعاهد والمدارس:

الحمدللّـه الكريـمْ ... أرشـدنا الدِّيـن القويـمْ
أهـدى لنـا طـه الرحيـمْ ... يحفظنـا مـن الغـرورْ
أخرجنـا مـن الظـلامْ ... حذرنـا مـن الحـرامْ
وبـالصلاة والصيـامْ ... أمرنـا بـدر البـدورْ
أرشـدنا إلى الصـوابْ ... علـمنا آي الكتـابْ
صلى عليه منشي السحابْ ... في المسـاء والبكـورْ

هيـا اسمعـوا ابنـاء اليمـنْ وطنكـم خـير وطـنْ
إيمانـه مـدى الزمـنْ بـاقٍ علـى مـر العصـورْ
دعـا لكـم خـير الأنـامْ بالبركـات والسـلامْ
أول شـراب يـوم القيـامْ لكـم مـن الحـوض الطهـورْ
يحبكـم رب البشـرْ في المـائدة هـذا الخـبرْ
تقـاتلون مـن كفـرْ وتظفـرون بـالأجورْ
هيـا اعبـدوا رب السـما فطرهـا واحكمـا
خلقكـم مـن آدمـا أبيكـم الـبر الصبـورْ
كـم بـث منهـم مـن أمـمْ كـم عـرب وكـم عجـمْ
مختلفـين لونـاً ودمْ كـم في البحـور والـبرورْ
فـأصلكم قبضـة طـينْ ثـم مـن المـاء المهـينْ
وترجعـون بعـد حـينْ بالـموت طينـاً في القبـورْ
وبعـد هـذه الفانيـةْ سـتخرجون ثانيـةْ
إلى الحيـاة الباقيـةْ بـالنفخ في يـوم النشـورْ
وتنبتـون كالنبـاتْ تحيـون مـن بعـد الممـاتْ
هيـا اعملـوا بالصالحـاتْ واجتنبـوا فجـر الفجـورْ
لتسلـموا مـن الغضـبْ نـار الجحيـم واللّهـبْ
هـي للعصـاة المنقلـبْ يعذبـون طـول الدهـورْ
لاهل الزنـا لاهـل السحاقْ لاهل اللـواط لاهـل النفـاقْ
لاهل الربـا لاهـل الشقـاقْ ومـن طغـى أو قـال زورْ
والـمؤمنون الصـالحونْ مـن العـذاب سالـمونْ
وفي الجنـان خـالدونْ بـين الظـلال والقصـورْ
علـى الأرائـك ينظـرونْ ويـأكلون مـا يشـتهونْ

في شـغلٍ هـم فـاكهونْ ... أزواجهـم أبكـار حـورْ
فيهـا نعيـم فـوق الصفـاتْ ... لاهـل الصـلاة والزكـاةْ
واهـل القلـوب السالـماتْ ... واهل الخشوع وقت السحورْ
ياطـالبين للنجـاةْ ... والخـير في هـذي الحيـاةْ
والفـوز مـن بعدالممـاتْ ... لا تؤثـروا دار الغـرورْ
قومـوا انصـروا شـرع النبيْ ... العربـي اليـثربيْ
الهـاشمي المطلـبيْ ... محمـد فخـر الدهـورْ
فدينـه ديـن الصـلاحْ ... ديـن السـعادة والسـماحْ
ديـن الصـلاة والفـلاحْ ... ديـن السـلامة والسـرورْ
تعلـموا علـم الرسـولْ ... واجتنبـوا علـم الفضـولْ
لتظفـروا بكـل سـولْ ... وتشـكروا الـرب الشـكورْ
تعلـموا الذكـر الحكيـمْ ... وهـو الصـراط المسـتقيمْ
أعظـم كتـاب مـن العظيـمْ ... فيـه النجـاة مـن الشـرورْ
قـوت قلـوب الأتقيـا ... وهـو عمـى للأشـقيا
وهـو شـفيع الأقويـا ... يتلونـه مـع الحضـورْ
كـانوا قليـل مـا يهجعـونْ ... وبالسـحر يسـتغفرونْ
إذا تلـوا يتطهـرونْ ... فيمتلـون مـن الأجـورْ
ياربنـا ياربنـا ... ياربنـا إغفـر لنـا
انظـر إلينـا أغننـا ... أنـت الغـني أنـت الغفـورْ
وأعطنـا كـل الأمـلْ ... وعافنـا وامـح الزلـلْ
واسـتر وسـدد للخلـلْ ... أصلـح لنـا كـل الأمـورْ
افتـح لنـا الفتـح الكبـيرْ ... كبيرنـا مـع الصغـيرْ
نحيـط بالعلـم الغزيـزْ ... وننشـره إلى النشـورْ

الطـف بنـا أنـت اللطيــفْ انصـر بنـا الشـرع الشـريفْ
أظهـر بنـا الديـن الحنيــفْ ديــن النـبي طـه الطهـورْ
صلـوا علـى خـير البشـرْ صفـــوة نـــزار ومضـــرْ
لـــه قـــد انشـــق القمـــرْ كلـــمه الظـــبي النفـــورْ
عليـــه صلـــى دائمـــا إلهـــــه وسلـــــما
والآل أنجـــم الســـما وصحبـــه نعـــم البـــدورْ
والأنبيـــا والـــــمرسلينْ والصـالحين في كـل حـينْ
خـــص الكـــرام الكـــاتبينْ عـد الحصى ضعف الأجـورْ

وفي يوم ٢ ربيع أول ١٣٩٨ هـ حضر سيدي الوالد رحمه الله مجلساً أقامَـهُ العلامـةُ المطوف السيد محمد بن صالح المحضار [١] ودعاإليه كثيراً من العلماء من أهالي الحجـاز والشام واليمن، وعلى رأسهم الحبيب عبدالقادر بـن أحمـد السقاف والدكتـور السيد

---

(١) هو السيد العلامة محمد بن صالح المحضار، من مواليد مدينة حبّان محافظة شبوة، أخـذ مبـادئ القراءة والكتابة فيها، وما أن شب عن الطوق حتى قصد تريـم وانتظـم في معهدهـا القويـم، وتتلـمذ لدى شيخ الإسلام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري رحمه الله، وكان زميلاً لسيدي الوالد أيام طلبه للعلـم في تريم، وبعد عودته إلى بلده سافر إلى مكة المكرمة وبها حـط عصـا الترحال، ونظراً لعلـمه وثقافته لـم تـمض مدة حتى لـمع اسمـه في مكـة وتـم تعيينـه مطوفـاً مستقبلاً للحجاج اليمنيين، وبالذات الحضـارم منهـم، وكـان ولا زال مقصـداً للعلـماء مـن أصقاع المعمورة، وجعل من مسـكنه محطـة تعـارف بـين العلـماء، ولـه بـاعٌ طويـلٌ في هـذا الشأن، له مشاريع خيرية كثيرة، وقد ساهم مساهمة فعالـة في ربـاط الهـدار للعلـوم الشـرعية بنظر الوالد العلامة محمد بن عبدالله الهدار، وقد تـرك العمـل جانبـا حيـث نـاب عنـه أولاده الكرام بارك الله فيهم، وانقطع للعبادة والذكر ضارباً عـن الدنيـا مـترددا على مكـة المكرمـة والـمدينة المنورة، ولا زال بخير تحفُّه عنايةُ الله في العقد الثامن من عمره، حفظـه اللّـه وجعـل الخير باقياً فيه وفي عقبه إلى يوم الدين وإيانا آمين .

محمد بن علوي المالكي[1]، حصل فيه كثير من الحُداء والإنشاد، فقام السيد العلامة

(١) هو العلامة المحدث صاحب الفضيلة الدكتور السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي، ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٦٧ هـ ونشأ بها نشأةً دينيةً تكفل له بها والده السيد علوي، فكان مربياً لجسمه وروحه، وشيخاً لعلمه وفتوحه، تعلم في مكة المكرمة في حلقات المسجد الحرام لدى كبار العلماء بالحرمين الشريفين، رحل في طلب العلم إلى المغرب ومصر والهند والباكستان، وحصل على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز من الأزهر الشريف في الحديث النبوي وعلومه، وعُين مدرساً بكلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٣٩٠ هـ إلى سنة١٣٩٩هـ.

برز في المسجد الحرام في مقام والده بعد انتقاله إلى جوار ربه، زار كثيراً من البلاد الإسلامية وألقى فيها جملة من الدروس والمحاضرات، شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية العالمية، قام برحلات متعددة، وفي عام ١٣٩٢ هـ شارك في الملتقى الفكري الإسلامي بالجزائر وقدم بحثاً بعنوان «المستشرقون بين الإنصاف والعصبية» كما مثلَ فضيلته رابطة العالم الإسلامي في افتتاح المركز الإسلامي بالنيجر عام ١٣٩٣ هـ كما انتخب لرئاسة لجنة التحكيم الدولية لمسابقة القرآن الكريم في مواسم ١٣٩٩ هـ و١٤٠٠هـ و١٤٠١ هـ، ترأس جلسات عديدة في مؤتمر الإمام مالك الذي يُعقد سنوياً في المملكة المغربية وله اتصالات وثيقة بكثير من علماء العالم الإسلامي، وحصل من أكثرهم على إجازات علمية.

وقد تخرج على يديه الكثير من طلاب العلم الذين رجعوا إلى بلادهم فكان منهم القضاة والعلماء والمدرسون، عرف عنه أن مثال للأمانة لما يصدره من الفتاوى لحل مشاكل المجتمع بين جميع الطبقات، له كثير من المؤلفات منها «دراسات حول موطأ الإمام مالك» و«في رحاب البيت الحرام» و«محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم الإنسان الكامل» و«مفاهيم يجب أن تصحح»و«شرف الأمة المحمدية» و«وهو بالأفق الأعلى»«إمام دار الهجرة مالك بن أنس»و«فضل الموطأ» و«المنهل اللطيف» و«المختار من كلام الأخيار» و«في

سالـم بن علوي خرد [1] ليطلب من الحاضرين أن يختصروا الإنشاد، وأن يُتيحوا فرصةً للوُعّاظ والـمذكّرين، وتباينتِ الآراءُ وارتفعتِ الأصواتُ بين مؤيِّدٍ للفكـرة ومعـارِضٍ

رحاب البيت الحرام» و«أدب الإسلام في نظام الأسـرة» و«مفهـوم التطـور والتجديـد» و«مـا لا عين رأت» و«لبيك اللّهم لبيك» .

وقد أربت مؤلفاته على ستين مؤلفاً انتشرت في معظم الدول الإسلامية لسلامة تعبيرهـا، وحسن ترتيبها، وغزارة مادتها، ولايزال بمكة المكرمة مرموقاً بالإجلال مـن المجتـمع، حيـث يقصده الوافدون من كل حـدبٍ وصـوب، يـدرِّس ويرشِـد فاتحـاً داره للطـلاب مـن مختلـف الأجناس يربيهم ويعلـمهم أطال اللّه في عمره وإيانا آمين .

(١) هو العلامة الكبير سالـم بن علوي خرد العالـم الفقيه والـمرشد الـذي طالـما دَوَّى بصوتـه الشجيِّ وأسلوبه العذب ليصل بمواعظه إلى كوامن القلوب، ولد بتريم ١٣٣٣ هـ وبهـا نشـأ وتربى وأخذ عن جل علـمائها كالإمام شيخ الإسلام عبداللّـه بـن عمـر الشـاطري والحبيـب علوي بن عبداللّه بن شهاب الدين وغيرهم، وكان يـتردد علينـا في ربـاط تريـم ويناقشـنا في كثير من المسائل العلـمية .

وقد عرفه المجتـمع ناصحاً أميناً شجاعاً صادعاً بقول الحق في كثـيرٍ مـن المواقـف العامـة، أُوذِيَ من رعاع الناس إبان الحكم الشمولي في الشطر الجنوبي من اليمن فـاضطُر إلى مغـادرة تريم إلى المملكة العربية السعوية واستـمر بها خطيباً مفوَّهـاً في المجـامع، إذا قـال شعراً أجـاد وإذا نثر أبدع، وقد وهبه اللّه من البلاغة والفصاحة وحسن الإلقاء ما يتـميز به عن غيره مـن الدعاة، وجعـل منه طـلابُ العلـم نبراساً يسيـرون على طريقتـه ويتبعـون أثـره في الإلقـاء والإرشاد، وله من الأولاد عبدالقادر وعلوي ومحمد كلهم من العلـماء الأدباء النجباء، وعلى رأسهم ولده الأديب العلامة عبدالقادر الذي عرفناه آيةً في الحفظ والنقل، لـه شـاعريةٌ دفاقـةٌ تُنبي عن مدى ما يتحلى به من سعة اطلاع وتفتح في أفق رحب من المعـارف والعلوم، وقـد بعثتُ إليه بأبياتٍ شعريةٍ قلت فيها:

أُهْـدِي إليـكَ تَحِيّـاتي وأشـواقي ... يـا مَـن حَـوَى طِيـبَ أخـلاقٍ وأعـراقِ

لها، وكان سيدي الوالد من الحاضرين وتفرَّق الناس ولـم يَحْسُمُوا الأمـر، وفي موعـد الدرس من الأسبوع التالي قدم الوالد رحمه اللّه القصيدة التالية:

حَفْلَـةٌ فُضِّلَـتْ علـى الحَفَـلاتِ ... زائِـدٌ خيرُهـا علـى الخـيراتِ
كيـف لا وهْـي قـد أُقِيمَـتْ لـميلا ... دِ شفيعِ الـورى أبـي السـاداتِ ؟
وهْـيَ في البلـدِ الأمـينِ ومِـن حَيْـ ... ـثُ أتـى الدِّيـنُ مَعْـدَنُ البركـاتِ
هِـيَ وادي الخليـلِ كَـمْ زارهـا جبـ ... ـريـلُ يـأتي الحبيـبَ بالآيـاتِ
وُلِـدَ المصطفـى بهـا وكَفاهـا ... وبـه تَزْدَهِـي مـدى الأوقـاتِ
هـي خـيرُ البلـدانِ حاشا كمـا قـا ... لَ المصِيبُـونَ طَيْبَـةُ الطَّيِّبـاتِ
كـم لهـا مـن فضـائلٍ ليس تُحصـى ... وبهـا اللّـه ضـاعفَ الحسـناتِ

وأشـتكي نحـوكَ البَيْـنَ المـبَرِّحَ بـي ... كمـا اشـتكى قلـبُ مشـتاقٍ لـمشتاقِ
فـالبينُ كَلْـم بحبّـاتِ القلـوبِ وسَـلْ ... صَرعـاهُ مـن فتـكِ أسـيافٍ بـأحداقِ
مصـارعُ القـومِ فيـه طالـما حُسِبَتْ ... مـن الشـهادةِ في عشـقٍ لِخَـلاّقِ
وإنَّـني واحـدٌ منهـم ولي أَمَـلٌ ... بـأنْ أفـوزَ بتقريـبٍ وإطـلاقِ
وأرتجـي عـودَ أيـامٍ مَضَـتْ وبهـا ... كُنـتَ المدِيرَ كؤوسَ اللطـف والسـاقي
يـا مَـن غـدا عَلَـم الآدابِ عـن كَمَـلٍ ... وفي مجـالِ المعـالي أيَّ عمـلاقِ
أرجـو قَبـولَ نظـامٍ فيـك فَتَّحَـهُ ... فِكْـري تَفَتُّـحَ أزهـارٍ بـأوراقِ
ودُمْـتَ مـا شـئتَ في عِـزٍّ وفي دَعَـةٍ ... واغفـرْ لِعَجْـزِي بفضـلٍ منـك دَفّـاقِ
ثـم الصـلاةُ علـى خـيرِ الـورى أبـداً ... والآلِ والصحـبِ في صُبْـحٍ وأغسـاقِ

ولهم أولاد مباركون سائرون على نهج سلفهم جعل اللّه الخير باقياً فيهم وفي عقبهم وإيانا إلى يوم الدين .

وقد استمر الحبيب سالم بن علوي خرد يتنقل بين مكة وجدة والمدينة حتى توفاه اللّه في ١٣٩٨ هـ ودفن بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة .

فهنيئــــاً لســــاكِنِيها مــــعَ الآ ... دابِ والزائريــــنَ لــــو لحظــــاتِ

رَبِّ هَبْنــا خيراتِهــا في عــوافي ... وأَجِرْنــا بهــا مــن المعْضِــلاتِ

ياهــا حَفْلَــةٌ ورائدُهــا المحــ ... ـضارُ بُوخــالدٍ أخــو المكْرُمــاتِ

هَمْــزَةُ الوَصْــلِ بــين ذاك وهــذا ... جــامعٌ للطريــف والتّــالِداتِ

يجمــعُ النــاسَ يســتفيدونَ علــماً ... ودعــاءَ الملائــكِ الحــافِلاتِ

حيثــما تــنزلُ الســكينةُ والرَّحْــ ... ـمــةُ تَغْشــاهُمُ مَــعَ البركــاتِ

بعــدَ ذاك قِيلَــتْ أَقــاويلُ فــاسْمَعْ ... صفــوةَ القــولِ في ذِهِ الأبيــاتِ

ظُــنَّ خــيراً لا تُنْكِــرِ الحَــقَّ واسْــتُرْ ... للــمبادِي واشْكُرْ على الحسـناتِ

فذَوُوا الفضلِ يعرفــون لِــذي الفَضْــ ... ــلِ ويَعْــتَرِفُونَ بالســابقاتِ

وهــمُ فــوقَ ذاك يَلْتــمسُونَ الــ ... ــعــذرَ فيمــا يَــرَوْنَ مِــنْ هَفَــواتِ

وأخونــا المحضــارُ مِفتــاحُ خَــيرٍ ... يَطْلُــبُ الفــائداتِ مِــن كُــلِّ آتِ

ولــه الفضــلُ في التعــارفِ والجَمْــ ... ــعِ وفي الإنتفــاعِ والنفقــاتِ

وكفــاهُ التعريــفُ فخــراً منــاراً ... لبنــي عَلَــويٍّ القــاداتِ

والــذي قيــل: إنمــا القصــدُ منــه ... أَدَبُ الراتعــين في الجَنّــاتِ

قــال حقّــاً والقــولُ قــولُ حَــذامِ ... حِلَــقُ الذِّكْــرِ مَوْطِــنُ الرَّحَمــاتِ

تســتحقُّ الوقــارَ جمعــاً كمــا قــا ... لــوا لأجــلِ الحبيبِ زَيــنِ الصفــاتِ

فهــو حَــيٌّ وحــاضرٌ في رِيــاضِ الــ ... ـعلــم والذِّكْــرِ يَقْسِــمُ النَّفَحــاتِ

قــد نهــى اللّــه جــلَّ أَنْ ترفــع الأصــ ... ــواتُ عنــد النبي لِغَــيرِ الحُــداةِ

فعلــى السامعينَ أن يســمعوا القَــو ... لَ وهُــمْ خُشَّــعٌ مــع الإنصــاتِ

كــان أصحابُــه يَغُضُّــونَ حتــى ... يُســتعادَ الكــلامُ كَــمْ مــرّاتِ

وهــمُ أَعْــرَفُ الــورى بحقــوقِ الــ ... ـمصطفــى المجتبــى فقــل للجُفــاةِ

ولنــا بعدَهــمْ رجــالُ التُّقــى مــن ... حَلَقــاتِ العلــومِ والحفــلاتِ

وعليهــمْ مــن الســكينةِ أنــوا ... رٌ فــلا نُطْــقَ غَــيرُ لِلْعَــبَراتِ

تَحسِبُ الطيرَ إنْ رأيتَهُمُ مُصْـ   ـغِينَ للعلمِ فوقَهم واقفاتِ

فسَلِ الباحثينَ كيف جلوسُ النـ   ـاسِ للعلمِ كيف حالُ الرُّواةِ ؟

تَقْضِ أنّا قد فاتَنا كلُّ شيءٍ   وادَّعَينا الدَّعاوِيَ الواسعاتِ

وكذا ينبغي أن يكونَ اهتمامُ النـ   ـاسِ بالعلمِ مثلَ فرضِ الصلاةِ

فإذا ما تَلَوْا موالِدَ طه   أو شَدَوا بالنشائدِ المادحاتِ

فليكنْ قَصْدُهُمْ هُوَ العِلم أما   غَيرُهُ فوسائلٌ للدُّعاةِ

ولْتكُنْ تِلْكُمُ المدائحُ مثلَ الـ   ملحِ منهُ أو مثلَ عُشْرِ الزَّكاةِ

وإذا ما استخارَ مَن يُحْسِنُ الإنْـ   ـشَادَ قُلْ: خُذْ قصائداً مُفْلَقاتِ

مثلَ قولِ الإمامِ حَدّادِنا القُطْـ   ـبِ ففي فَهْمِ قَوْلِهِ جَوْهَراتِ

كلماتٌ فيها العلومُ وفيها الـ   أمرُ والزَّجْرُ للوَرَى نافعاتِ

ومديحُ النبيِّ فيها معَ الآ   لِ بسَهْلٍ مُسْتَصْعَبِ القافياتِ

قافياتٍ مِلْءَ المسامعِ تَعْنُو   أَلْسُنُ الشِّعْرِ عندَها ساجداتِ

يا لـه ناظمٌ ويا حَبَّذا النَّظْـ   ـمُ يكادُ اللحوقَ بالمعجزاتِ

صادقُ القولِ جاءَ من خالصِ القلْـ   ـبِ فأحيا القلوبَ بعدَ المماتِ

هكذا قالَه الجهابذةُ النُّقّـ   ـادُ أهلُ المراتبِ العالياتِ

سَلْ شِهاباً وخُرَّداً وسُميطاً   وسَلِ العَيدَروسَ زَينَ الثّقاتِ

وسَلِ الحَبَشِيَّ ثم سَلِ السّـ   ـقّافِ هُمْ للعلومِ خَيرُ رُواةِ

وسَلِ الشّاطِرِيَّ شيخَ تريمٍ   ناشرَ العلمِ في جميعِ الجهاتِ

كانَ للناسِ كالشموسِ ومثلَ الـ   ـغيثِ يأتي الأراضيَ المجدِباتِ

وكفى أنّه قضى في رباطِ الـ   ـعلمِ خمسينَ من سِنينِ الحياةِ

كم هدى غاوياً وأَسْمَعَ صُمّاً   كم به أَبْصَرَتْ عُيونٌ عُماةِ

يَخْلِطُ الليلَ بالنهارِ يُرَبّي   زُمَراً للعلومِ في زُمَراتِ

فسَلِ الخافقينِ عن ذي المساعي   لا تَقِفْ عندَ مصرَ أو جاواتِ

تعـترفْ أَنَّ دعـوةَ الحَـبْرِ عبدَالـــ ـلّـه بَثَّـتْ علومَـه النافعـاتِ
إنْ يَكُـنْ في زمانِنـا فَلَتـاتٌ فهْـو لا شَـكَّ واحِـدُ الفَلَتـاتِ
وسَـلِ النُّجَبـاءَ في البلـدةِ الغنّـ ـاءِ أهـلِ الخشـوعِ والإخبـاتِ
بلـدةٌ تُنْبِـتُ العلـومَ وأَهْلِيـ ـهِ فهـل مِثْلُ نَبْتِهـا مِـن نبـاتِ ؟
سَلْ شِباماً والخُلْـعَ والغُرْفَـةَ الغَـ ـرّا وسَيؤُونَ سَلْ وسَـلْ عِينـاتِ
ياهـا بُقَـعٌ حـوتْ صَفْـوَةَ القـو مِ جميعـاً وصفـوةَ الصَّفْـواتِ
كـم أتانـا مـن حضرمـوتَ رجـالٌ آهِ يـا حضرمـوتُ زِيـدي وهـاتي
هـل بَقِـي فيـكِ مَفْـزَعٌ للرَّزايـا ؟ هـل بقـي فيـكِ كوكـبٌ للسُّرا ةِ ؟
هل بقي فيكِ مَن يُرَجَّى لكَشف الضُّـ ـرِّ أو للحـوادثِ القَاصِمـاتِ ؟
هل بقـي في العريـنِ حـامٍ مـن الـذُّو دِ ومِـن ذي الخنـافِسِ المُنْتِنـاتِ ؟
ليـت شـعري وفي الزوايـا خبايـا ما لأُسْـدِ الوَغَـى الحُمـاةِ الكُمـاةِ ؟!
مـا لهـم سَـكَتُوا وأشـبالُهُمْ نَهْـ ـبُ ضِبَـا عِ الفَـلا مَـعَ اللَّبُـواتِ
وهُـمُ مَلْجَـأُ الـوَرَى وأمـانُ الأَ رْضِ مثـلُ النُّجُـومِ للسَّـمَواتِ
وبهـمْ تُرفَـعُ البلايـا وفيهـمْ مَـن يُبِيـدُ الجيـوشَ بالصَّيحـاتِ
لهـمُ العاديـاتُ تنتظـرُ الغـا راتِ صُبحـاً ولـم تـزل مُسْـرَجاتِ
ليتَ شعري متى نـرى غـارةَ اللّـه تَحُـثُّ المسِـيرَ والنَّصْـرَ يـاتِي
ومتـى تِلْكُـمُ اللُّيُـوثُ نراهـا تَتَعـادى علـى العِـدا ضاريـاتِ
يـا سـريعاً يـا قـاهراً يـا عزيـزاً يـا مُبِيـداً أَبِـدْ جُيُـوشَ البُغـاةِ
اِمْحَقِ البَغْيَ أَذْهِبِ الغيـظَ واشْفِ الصَّـ ـدْرَ واكْـفِ وكُـفَّ بـأسَ العُـداةِ
اُنْصرِ الدِّيـنَ كـي يكـونَ هُـوَ الأعـ ـلـى وأحكـامُ شَـرْعِهِ نـافذاتِ
أَهْلِـكِ المُلْحِدِيـنَ صُـبَّ عليهـمْ سَـوْطَ مَقْـتٍ بأَسْـهُمٍ صائِبـاتِ
عـاجلاً عـاجلاً فقـد شَـمَتَتْ أعـ ـداءُ ديـنِ الإلـهِ كـلَّ الشَّـماتِ
ربَّنا اسْبِلْ سَتْراً جميلاً وتحتَ السَّـ ـتْرِ مـا تَرْتَضِيـهِ مـن صالحـاتِ

وعلى المصطفى مع الآلِ والأتـ ـباعِ أزكى السلامِ والصلواتِ
وعلى الأنبياءِ في كُلِّ حينٍ عددَ السَّيِّئاتِ والحَسَناتِ

محاربته للإلحاد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

بدأ استيلاء الجبهة القومية على مقاليد الحكم فيما كان يسمى بالشطر الجنوبي من اليمن في ٢٨ شعبان عام ١٣٨٧ هـ (٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م)، بعد رحيل المستعمر البريطاني الذي ظل جاثماً على البلاد زُهاءَ مئةٍ وثلاثين عاماً تقريباً، وهو يَضَعُ الخُطَطَ المستقبلية والمشؤومة حينما لم يفلحْ في بَثِّ الدِّيانةِ المسيحية، وذلك لوجودِ دُعاةٍ قاوَمُوهُ بتوجيهاتِهم وإرشاداتهم عبرَ المساجدِ ودُورِ العبادة .

وتلك الجهودُ القيمة والعظيمة هي عبارةٌ عن جهودٍ ذاتيةٍ، ومن أهمها وأبرزها الجهودُ المكثفةُ من علماء تريم الغَنّا بحضرموت، حيث لم تَذْكُرْ لنا المصادرُ التاريخيةُ جهوداً لعلماءَ أجلاءَ كالجهودِ التي انبعثتْ من ذلك المكان القويم، وربما ترجع تلك الجهود إلى رجلٍ هو عظيمٌ في نفسه وفي جهادِه وعمله، غير أنه عاش عِيشَةَ الفقراء الزُّهّاد، عاش حياةً متواضعةً هادئةً، لا يحب الظهور ولا الضجيج، يخاف على نفسه العُجْبَ والرياء؛ لكنه كبيرٌ في هِمَّتِه، عظيمٌ عند ربه، جِهْبِذٌ ونبراسٌ في عيون طلابه، الذين انتشروا والحرقةُ تملأُ صدورهم على الدين، كالصقور تجوب المدن والقرى والبوادي، بنشاطٍ فريد، وهِمَّةٍ قَعْساء، ولم تكُنِ الحُرْقَةُ والهِمَّةُ لأيامٍ معدودةٍ ولكنها ظَلَّتْ تَتَأَجَّجُ في صدورهم العمرَ كلَّه، وحياةُ كلِّ فردٍ منهم دليلٌ واضحٌ لمتتبع آثارهم وأخبارهم .

أما مصدرُ طاقاتهم فهو شيخ الإسلام عبدالله بن عمر الشاطري الذي عَقِمَتِ الأُمَّهاتُ أَنْ يَلِدْنَ مِثلَه، والذي أَوْدَعَ الله فيه طاقاتٍ من الإيمان قَلَّ أَنْ توجد في غيره من جهابذة العلم وأساطينه .

أقول: إن الاستعمار البريطاني بلغ من كيده أنه كان يحصر البيوت المتمسكة بالدين ويحذِّر منها عبر أذنابه، وذهبتْ كُلُّ جهوده هباءً منثوراً بحمد الله، غيرَ أنه لجأ إلى أسلوبٍ ماكر، وهو وضع المناهج التعليمية على وَفْقٍ يخالف التعاليم الإسلامية من كل الوجوه، فتَخَرَّجَ كثيرٌ من تلك المدارس لا يفقهون شيئاً عن الدين، بل واعتبروا أن الدينَ الإسلاميَّ هو السببُ الأولُ في تَأَخُّرِ الشعوبِ الإسلامية عن ركب الحضارة العصرية في هذا الزمن، وما علموا أن الدين الإسلامي هو الذي رفع العربَ في بداية ظهوره فحَوَّلَهُمْ من رعاةِ غَنَم إلى قادةِ أُمَم .

ثم: هل أتى عالم من العلماء إلى رَجلٍ فاسدٍ منهمكٍ في مُجُونِه ولَذَّاتِه وشَجَّعَه على ذلك العمل القبيح ؟ أم أنَّ الدينَ هو الذي يحارب كلَّ مظاهر الفساد والفجور والسفور ؟ وما علموا أن الديانة المسيحية عبرَ كنائسها قَتلَت المخترعين وحَرَّمَتْ عليهم كلَّ مظاهرِ الابتكارِ والتجديد حينما تَسَرَّبَتْ إليهمُ المعارف والعلوم الإسلامية عبر الأندلس وصِقِلِّيَة ! إذ إن الإسلام هو الذي يشجع على العلم والعمل، ويفتح العقول نحوَ أُفقٍ رَحْبٍ من المعرفة والاطّلاع، ﴿وقُلِ اعْمَلُوا فسيرى الله عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ والمؤمنون﴾، ولقد نجح في خداعه الماكر حينما خرَّج كثيراً من مدارسه لا يفقهون شيئاً عن الدين، بل ويَصِمُونَهُ بالرَّجْعِيَّةِ والكَهَنُوت والتأخر .

وتَلَقَّفَ تلك العقولَ الاستعمارُ الفكريُّ الإلحاديُّ آنذاك «الشيوعية الحمراء» فيما كان يُسَمَّى بالاتحادِ السوفييتي، فوجد مَطْلَبَه وعَثَرَ على بُغْيَتِه، فجعل أولئك الناس دُمْيَةً

بين يديه يُنَفِّذُ بهم كلَّ ما لديه من أفكارٍ قاتمةٍ ليس لها حظٌّ في الحياة سوى التحطيم والدمار .

المآسي والإجرام

استمرت الجبهةُ القوميةُ بعد رحيل المستعمر البريطاني برهةً من الزمن، فإذا بها تُحَوِّلُ من أسلوبها وتخلع القناعَ عن وجهها المأساوي، فبدأتْ بمضايقة العلماء والمصلحين، وما هي إلا أيامٌ وإذا بالموت الزُّؤامِ يظهرُ جَلِيّاً أمامَ الأعين، فهجموا في الليالي المظلمة ليختطفوا الرجال من منازلهم، وحينما يذهب من يبحث عن قريبه فإذا بالأمر يحصل له نفسه، حتى سَكَتَتِ الأَلْسُنُ وبَلَغَتِ القلوبُ الحناجرَ، وليت الأمر وقف عند ذلك، بل إن أولئك الفجرة عملوا احتفالاتٍ هي المآتم بعينها، فأخذوا علماءَ الأمة ووجهاءَ الناس من المصلحين وقَيَّدُوهم من أقدامهم وربطوهم إلى سيارات لِيَجُوبُوا بِهِمُ الشوارعَ والأَزِقَّةَ، حتى خرجت أمعاؤهم وماتوا مئات المرات، كلُّ ذلك حصل دون ذنبٍ اقترفوه غيرَ أنهم قَدَّمُوا خدماتٍ إصلاحيةً لمجتمعهم يعجزُ عن أن يأتيَ بها فطاحلة الرجال .

وكلُّ ذلك يجري تحت تصفيقٍ حادٍّ من ضعفاء النفوس، وباسم الحرية والديمقراطية والوطنية، وأصبح الشعب أشبهَ بقطيعٍ من الأغنام تحت رحمةِ مسؤولي الحزب، يُعْدِمُون مَن يريدون، ويتركون من يريدون، وقَلَّ مَن يتركوه من أهل الفضل، والعجبُ سكوتُ الدُّوَلِ عن كلِّ هذه الجرائم التي لا تحدثُ في أيِّ دولةٍ مهما كَبُرَ إجرامها؛ لأنها تعتبر ذلك تدخُّلاً في الشؤون الداخلية، وأعجب من ذلك أن البعض من حُثالاتِ الناس يتمنى عودة تلك الأيام المريرة، ويتمنى عودة ذلك النظام بحجة أنهم تابوا

ورجعوا، وما علموا أن التوبة تعني أن كلَّ مجرمٍ قَتَلَ يجب أن يُسْلم عُنُقَه للقِصاص، وأنها لا تُقبل التوبة بدون ذلك .

الولاء والبراء

قال اللّه تعالى: ﴿لا تَجِدُ قوماً يؤمنونَ باللّه واليومِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَن حادَّ اللّه ورَسُولَهُ ولو كانُوا آباءَهُمْ أو أَبناءَهُمْ أو إخوانَهُمْ أو عَشِيرَتَهُمْ أولئكَ كَتَبَ في قلوبِهِمُ الإيمانَ وأَيَّدَهُمْ برُوحٍ منه ويُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها رَضِيَ اللّه عنهمْ ورَضُوا عنهُ أولئك حِزْبُ اللّه أَلاَ إنَّ حِزْبَ اللّه هُمُ المفلحون﴾ [المجادلة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وإخوانَكُمْ أولياءَ إنِ اسْتَحَبُّوا الكفرَ على الإيمانِ ومَن يَتوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فأولئكَ هُمُ الظّالمونَ﴾ [التوبة:٢٣]، وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَولِياءَ تُلْقُونَ إِلَيهِمْ بالمودَّةِ وقد كَفَرُوا بما جاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ يُخرِجُونَ الرَّسُولَ وإيّاكُمْ أَنْ تؤْمِنُوا باللّه رَبِّكُمْ إنْ كُنْتم خَرَجْتم جهاداً في سبيلي وابتغاءَ مَرْضَاتي تُسِرُّونَ إِلَيهِمْ بالمودَّةِ وأنا أَعْلَم بما أَخفَيْتم وما أَعْلَنْتم ومَن يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فقد ضَلَّ سَواءَ السَّبيل﴾ [الممتحنة:١]، وقال تعالى: ﴿ترى كثيراً مِنهُمْ يَتوَلَّوْنَ الّذِينَ كَفَرُوا لَبِئسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّه عَلَيهِمْ وفي العَذابِ هُمْ خالِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠] .

وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «مَثَلُ المؤمِنينَ في تَوادِّهِمْ وتَراحُمِهِمْ وتَعاطُفِهِمْ كمَثَلِ الجَسَدِ الواحِدِ إذا اشتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَى لَهُ سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه، وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» رواه البخاري ومسلم، وقال عبداللّه بن عباس رضي اللّه عنهما: مَن

أَحَبَّ في اللّه وأَبْغَضَ في اللّه ووالى في اللّه وعادى في اللّه فإنّما تُنالُ وَلايَـةُ اللّـه بذلـك، وقد صارتْ عامةُ مُؤاخاةِ الناسِ على أمرِ الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً، رواه ابنُ جَرِير .

يَظْهَرُ لنا جلياً بما لا يَدَعُ مجالاً للشّكِّ أنَّه لا يَجُوزُ مُوالاةُ أعداءِ اللّه والخارجين عـن الشريعة الإسلامية الغَرّاء، وأنَّ الحُبَّ في اللّه والبغضَ في اللّـه مِـن أَوْثَـقِ عُـرَى الإيمـان، وأنَّ المرءَ مع مَن أَحَبَّ يوم القيامة كما في الحديث، ومن أصول العقيدة الإسـلامية أن يُحِبَّ كلَّ مسلـم يَدِينُ بدين الإسلام ويعاديَ كل شخص عادى الدين، وفي الحديـث النبوي من الدعاء المأثور: «اللّهمَّ اجعلنا هادِينَ مُهْتَدِين، غَيرَ ضالّينَ ولا مُضِلّينَ، حَرْبـاً لأعدائِكَ، وسِلـماً لأَوليائِك، نُحِبُّ بحُبِّكَ النَّاسَ ونُعـادي بعداوتِـك مَـن خـالَفَكَ مِـن خَلْقِكَ» .

الضحايا

مهما أُوتِيَ الإنسانُ من بلاغةٍ وقُدْرَةٍ على التعبير فلا يستطيعُ أَنْ يَصِـفَ جـزءاً ولـو يسيراً من مشاهدِ سَحْلِ العلـماء وقتلِهم أمـامَ أهلهـم وطلابهـم، وأمـام الجماهـير الـتي تستـمعُ إلى نصحهم وخطبهم أيام الجمع وغيرها، وما يسبقُ ذلك وما يَتْبَعُهُ من جرائمَ فظيعةٍ، كما أنه لا يستطيع أحدٌ حصرَ الضحايا، أما مَن قُتِلُوا فهُم كثـيرٌ وكثـيرٌ، ومـن أهمهم الإمام الشهيد أحمد بن صالح الحداد، ومفتي حَبّان الحبيب أحمد عبداللّه الكعيـتي المحضار، ومفتي حضرموت الحبيب محمد بـن سالـم بـن حفيـظ، ومفـتي عـدن الشـيخ علي بن محمد باحميش، والشيخ عبداللّه أبوبكر باهرمز، وسـواهم أعـدادٌ مـن الصعـب حصرهم نظراً لكثرتهم، وقد وصل إلى البيضاء كثـير مـن العلـماء، منهـم مبـارك بـن

أحمد علوي دباش[١] والشيخ عبدالرب بن عبدالرب اليافعي وحسين حيدرة المسعودي وعلوي بن أبي بكر الحداد وأبوبكر بن عبدالله المحضار ومحمد بن محسن المحضار وشيخ صالح بانافع وأحمد بن عبدالله الهدار وصالح بن محمد السقاف وأحمد بن عمر السقاف وحسن بن أحمد الحداد وعبدالله بن محمد الحبشي والسيد عمر بن محمد ابن حفيظ وعبدالقادر عاتق جبر والشيخ عبدالله غيامه وغيرهم .

أما مَن نَزَحَ فلا أُبالِغُ إنْ قلت: إنَّ أكثرَ من نصف المواطنين قد نزحوا في ذلك العهد بطريقة الخِلْسَة؛ لأن الخروج ممنوعٌ، ومن حاول ذلك فإنَّ مصيره الموت [٢]،

---

(١) هو العلامة الواعظ مبارك أحمد بن علوي دباش، من مواليد بيحان ١٣٤١ هـ، أخذ كثيراً من المعارف عن جُل علماء بيحان، كان خطيباً مرشدا، مع فصاحة وبلاغة، كثير التردد على بيوت الله، وقد سكن منطقة منخر بالطفة بعد خروجه من بيحان ومعه كثير من أسرته عام ١٩٧٣م وعلى رأسهم السيد أحمد محمد دباش المتوفى ١٤٠٩ هـ وإخوانه عبدالله وعلي وعبدالقادر ومبارك ومحمد وغيرهم من آل دباش، وقد عانت الأسرة المذكورة الكثير من المتاعب وقدمت الكثير من التضحيات في مواجهة الحكم الشمولي، فقتل منهم من قتل وسجن منهم الكثير، فاضطروا لمغادرة مواطنهم ناطع والروضة والبديع، ووصلوا إلى محافظة البيضاء واستمروا بها حتى حقق الله الوحدة المباركة فعادوا إلى مواطنهم بحمدالله وتوفيقه، ونعود إلى ذكر المترجَم له فقد كان يتردد على سيدي الوالد من وقت إلى آخر، وفي آخر عمره كُف بصره، وأسس مسجداً فكان ملازماً له حتى توفاه الله سنة ١٤٠٧ هـ في منطقة منخر الملاجم .

(٢) وقد تناقل الناسُ في ذلك آلافَ القصصِ المبكيةِ والمؤلمةِ، وقَلَّ مَن دَوَّنها واحتفظَ بها لخطورة ذلك آنذاك، ومما دُوِّنَ في ذلك رواية «الخروج من الدائرة الحمراء» للسيد أبي بكر العدني المشهور، وهي قصةُ هروبٍ ذاتيةٍ من عدن إلى الحديدة ومن الحديدة إلى الحرمين، عكس فيها الحالةَ المرعبةَ التي كان يعيشها جنوب الوطن، وأهوالَ الهروب عبر الحدود، مع التصوير الأدبي لكافة لحظاتِ الفرار ولأشد حالات الخطر، يصاحبها تأمُّلاتٌ ومقارناتٌ

كل ذلك لِيَنْعَمَ الشَّعْبُ بالحُرِّيَّـةِ والديمقراطيـة وحقـوق الإنسـان، ولـو أراد كـاتبٌ أَنْ يُسَجِّلَ معاناةَ وحياةَ كلِّ ضحيةٍ من الضحايا لاحتاج إلى مجلدات كثيرة، ومهمـا يكـن فهي مسجلةٌ بأيدي كرامٍ كاتبين حينما نجتمع في ذلـك الموقـف الرهيـب والـمهيب، ﴿يومَ يَفِرُّ المرْءُ مِن أَخِيه . وأُمِّهِ وأَبيه. وصاحِبَتِهِ وبـنيه . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَومَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه﴾ [عبس:٣٤-٣٦]، وحينما يجتمع الخصومُ لفصل القضـاء، كمـا قـال سبحانه وتعالى: ﴿ونَضَعُ الموازينَ القِسْطَ لِيَومِ القِيامَةِ فلا تُظْلَـم نَفْسٌ شَيئاً وإِنْ كـانَ مِثقـالَ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ أَتينا بها وكَفَى بنا حاسِبِين﴾ [الأنبياء:٤٧] .

ومناقشاتٌ وتساؤلاتٌ لكاتبها وقد خرج من زنزانة الرعب إلى واحـة الأمـن، وقـد صدَّرهـا بقصيدة مطلعها:

وتَرَكْـتُ الدائـرةَ الحَمْـرا	أَتخطَّـى الجَرْحَـى والأسـرى
أَتواثَـبُ تحـتَ خُيُـوطِ الفجـ	ـرِ لأَعْـبُرَ رَسْـماً مُقْفَـرّا
أشـباحٌ تَأْسِـرُ ذاكرتـي	وأَمـانٍ تَبْعَثُـني حُـرّا
وزِحـامٌ يُعْتِـمُ أبصـاري	قَدَمِـي تَتَعَـثَّرُ في الأخـرى
أَيَـرُومُ نُزُوحـاً عـن وَطَـنٍ	مَـن عَلـم صِبْيَتَـهُ الصَّـبرا ؟
وكتـابُ اللّـه علـى كَبِـدٍ	مِن هَوْلِ الكَبْتِ غَدَتْ حَرّى
جـاوَزْتُ الحِقْـدَ المتَنـامِي	وتَرَكْـتُ مَواخِـيرَ السَّـكْرى
جـاوَزْتُ سُـجُونَ زَبانِيَـةٍ	مَنَعُـوا الإحسـاسَ عـن الإثـرا
قَتَلُـوا في النَّفْـسِ أَمانِيهـا	مَسَـخُوها مَسْـخاً لا يَـبْرا

ولا زالت تحت الطبع.

الموْقفُ الصَّلْبُ

ظَلَّ الإرهابُ الحِزْبيُّ يُطارِدُ الكَثِيرَ حَتّى خارِجَ الوطن ونظراً لشِدَّةِ الخوف، نظرَ كلُّ فردٍ إلى مَن حواليه وكأنهم جواسيس عليه، وفي عام ١٣٩٢ هـ في مَجْمَعٍ كبيرٍ في منى أيام الحج وقف العلامة الكبير السيد سالم بن علوي خرد خطيباً في ذلك المجمع الكبير يندد بجرائم الحزب الاشتراكي وما عمل بعلماء الإسلام، وتبعه سيدي الوالد رحمه اللّه وألقى كلمة أحرقتِ القلوب وذَرَفَتْ منها العيون، استعرض فيها كثيراً من الجرائم التي أحدثوها في حضرموت وغيرها من البلدان، ودعا إلى الوقوف في وجوههم بقوةٍ وصلابةٍ، واستعرض الشهداء الذين قتلوا في سبيل اللّه فقال رحمه اللّه: والسعيد واللّه من العلماء الصالحين مَن قُتِلَ على أيديهم؛ لأنهم لم يقتلوه إلا لكونه متمسكاً بكتاب اللّه، فعداوتهم له ما هي إلا عداوة للّه سبحانه وتعالى .

ومما ذكره في «مذكراته» مخاطباً المجتمع المسلم في هذا الإطار قوله:

أيها الإخوة.. أما آنَ لكم أن توحدوا جهودكم وتوجهوا حملاتكم ضد أهل الإلحاد، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد ؟ أما ترونهم قد أعلنوا البهتان ؟ واستبدلوا الكفر بالإيمان ؟ وأنكروا الخَلاّق واستحلوا الحرام ؟ وأراقوا دماء أهل الإسلام ؟ وعملوا ما لم تعمله عادٌ ؟ ولا قوم فرعون ذي الأوتاد ؟ وهاهم أمامكم، وبمسمعٍ وبمنظر منكم .

وحيث عَجَزَتم عن جهادهم، وجُبُنْتم عن قتالهم، وفَرَرْتم عن نزالهم، فلا أقل من أن تشنّعوا عليهم النكير بألسنتكم، وتظهروا للعالم الإسلامي مخازيهم وسوء نواياهم وتعلنوا جرائمهم في صحفكم ونشراتكم، فهم أخطر على الإسلام من كل خطر، وهم أشد الأعداء له من اليهود وسائر الجن والبشر، ومجاهدهم أفضل المجاهدين، ومن

قتلهم كان من أفضل السعداء، ومن قتلوه كان من أفضل الشهداء، فدونكم -والمؤمنون معكم- هذه الغنيمةَ، ولا تفوتكم هذه الفرصة الثمينة، فلا بد من ذهابهم، وهلاكهم فليكن على أيدي المؤمنين، قال تعالى ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّه بِأَيدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ .

وقد استمر سيدي الوالد في محاضراته رضي اللّه عنه يندد بالأعمال الشنيعة وبالذات حينما وصل إلى البيضاء كثيرٌ من الهاربين من ظُلمهم الغاشم، وحينما رأى أولئك الظلمةُ إصراره على الوقوف في وجوههم أعلنوا عن صَرْفِ حَوافِزَ ماليةٍ كبرى لمن يقتله؛ ولكن اللّه حال دون ذلك .

وقد اتجّه رضي اللّه عنه إلى الدعاء على أولئك الحكام ليل نهار، بل وأَلّفَ كتابه «الصواريخ الموجهة إلى الوجوه المشوهة» و«صواريخ الإصابة بالدعوات المستجابة» وكلها تلهج بأن ينتقم اللّه من أولئك الظلمة، وأن يحرر البلاد من شرورهم، ومن شعره في الدعاء عليهم قوله رحمه اللّه:

يا رَبَّنا احْفَظْنا مِنَ الأَسواءِ وسُلْطَةِ الأَعداءِ والأدواءِ
ونَجِّنا مِن خَيبَةِ الرَّجاءِ عَجِّلْ لنا إجابةَ الدُّعاءِ
وعافِنا والصَّحْبِ والأَهْلِينا
بالمصطفى المشفَّعِ المقبُولِ وآلِه وصحبِه الفحولِ
ببنتِ طه الصفوةِ البَتُولِ وبعلِها سيفِ الهدى المسلولِ
أَسْرِعْ بأَخْذِ مَن بَغَوْا علينا
يا ربَّنا يا ربَّنا الجبّارُ يا ربَّنا يا ربَّنا القهَّارُ
يا ربَّنا ضاقتْ بنا الأقطارُ تَسَلَّطَ الأعداءُ والفُجَّارُ
فاقْهَرْهُمُ أَسْكِنْهُمُ سِجِّينا
قد حَلَّلُوا الحرامَ والخمورا وأعلنوا الفحشاءَ والفجورا

وانتهكوا العفافَ والسُّتورا وقَتَلُوا الأبرارَ والصُّبُورا
طَغَوا بَغَوا فأَهْلِكِ الطاغينا
وأَظْهَرُوا الجريمةَ الشنعاء سَبُّوا نَبيَّهُمْ والانبياء
بل أنكروا مَن خلقَ السَّماء صَمُّوا عَمُوا في ظُلمةٍ ظلماء
فأَرِناهُمْ رَبِّ خامدينا
أَبِدْ بُغاةَ الشَّرِّ يا مُبِيدُ دَمِّرْهُمُ فكُلُّهُمْ مَرِيدُ
يَبُورُ مَكْرُهُمْ ولا يُفِيدُ يُمْسُونَ هَلْكَى كُلُّهُمْ حَصِيدُ
ويُصْبِحُونَ أَثَراً لا عينا

ومما كان يردده قبل صلاة الفجر تذييلا على أبيات الإمام الشافعي:

وبحق أسماك الحسان والكلمات التامة
اغفر لنا كل الذنوب وامنن بتوبة جازمة
واستر لنا كل العيوب مع الهبات التامة
واكشف لنا كل الكروب وجد برحمة عامة
واشف القوالب والقلوب نرقى المراقي الهامة
واشرح لنا كل الصدور مع بصائر عالمة
واصلح لنا كل الشؤون بجاه والد فاطمه
ونجنا من كل خوف هنا ويوم الطامة
نلحق بخير السابقين وأهل القلوب السالمة
في مقعد الصدق الجميل بين الوجوه الناعمة
نسلك طريق المصطفى مع الفئات الغانمة
ودمر القوم الطغاة أهل النفوس الغاشمة
والملحدين التاركين للصلوات القائمة

أصبب عليهم غضبك ... يمسوا كعصف السائمة
ثم الصلاة على الذي ... خصصته بمكالمة
والآل والأصحاب جد ... ياالله بحسن الخاتمة

ومن ذلك قوله:

صلاةٌ مِنَ اللّه وأزكى سلام ... على المصطفى أحمد شفيع الأنامْ
أياربنا ياعظيم الرجا ... ومن لا سنة تأخذه أو منامْ
بحق النبي وبالأنبيا ... عليهم صلاتك ثم السلامْ
تفضل علينا وأحبابنا ... بماتعلمه خير دائم دوامْ
وأسرع إلهي بكشف البلا ... ودفع الأذايا ورفع السقامْ
وأطف الفتن وأزل للمحن ... سريعاً وسلم فأنت السلامْ
وأهلك لأعدائك الملحدين ... عتاة بغاة طغاة طغامْ
تربوا على منهج الكافرين ... مدارسهم فتنة للأنامْ
فكم أخرجت منهم مسلمين ... من النور حتى هووا في الظلامْ
فهاهم طغوا وبغوا واعتدوا ... وقاموا لحربك كل القيامْ
أباحوا المحارم ثم انكروا ... شريعة طه شفيع الأنامْ
وبثوا أكاذيبهم نابذين ... كتابك خلف ظهور اللئامْ
وغرهم بالأماني الغرور ... وأمهلتهم عام من بعد عامْ
فهاهم يعادون أهل الصلاة ... وهاهم يهينون أهل الصيامْ
وهاهم يبيحون للمنكرات ... وهاهم أحلوا جميع الحرامْ
وهاهم بفحشائهم أعلنوا ... وهاهم أذاعوا خبيث الكلامْ
وهاهم يشنون غاراتهم ... على الدين سلوا عليه الحسامْ
فقد هدموا بعض أركانه ... وهموا لباقيه بالإنهدامْ

فكـم قتلـوا مـن خيـار الـورى ... ببطـش وغـدر ودفـن اللغـامْ

وكـم أظهـروا في البـلاد الفسـاد ... وكـم ارعبـوا غـافيلن أو نيـامْ

فيـامقتدر حـل مقتـك بهـم ... ويـامنتقم عجـل الإنتقـامْ

وخذهـم ببطـش شـديد يكـون ... لـمن بعدهـم عـبرة للأنـامْ

ولاتـمهلنهم فقـد أشـعلوا ... علـى الديـن نـاراً لهـا اضطـرامْ

فمزقهـم واطـف نـيرانهم ... وحطـم معـاقلهم والخيـامْ

فقـد أظهـروا قـدرة في الضعـاف ... فخذهـم بقـدرة مـن لايضـامْ

وصـب عليهـم سـياط العـذاب ... وقاصمـة تصـدق الإنقصـامْ

فقـد مكـروا فـامكر امكـر بهـم ... ودمـدم عليهـم وكدهـم دوامْ

أبدهـم وتدبـيرهم يـامبيد ... ودمـر بغـاة الفسـاد الغشـامْ

فقـد قلـت إنـك للـمفسدين ... بمرصـاد أسـرع بحصـد اللئـامْ

وغـث يـامغيث بغيـث القلـوب ... وغيـث الجـدوب سـريعاً وعـامْ

وعجـل إلهـي بهـذا وذا ... بحرمـة طـه شـفيع الأنـامْ

وفي أثناء إقامة سيدي الوالد رحمه اللّه بمكة المكرمة أرسل رحمه اللّه إليّ بعض القصائد الشعرية لكثير من علماء حضرموت التي أُرسلتْ إليه قالوا فيها عند استطرادهم لـما حدث من القتل والسحل والتشريد في حضرموت:

وَطَني حَضْرَمَوتُ عِشْتِ وعاشَ الشَّـ ... ـعْـبُ في جَوِّهـا حيـاةَ الطَّليـقِ

حَكَمَـتْ أَمْرَهـا عُصابَـةُ سَـوءٍ ... وتـمادَتْ في القتـلِ والتشـنيقِ

أَمْعَنَـتْ في ظِلالِهـا وهواهـا ... في شِـعابِ الـتزوير والتلفيـقِ

مَرْكِسِـيُّونَ جـاهِلِيُّونَ غُمْـرٌ ... وَثَنِيُّـونَ قُطَّـعٌ للطريـقِ

كـم رأينـا جَهَنَّـمَ الظُّلـم منهـمْ ... يَتَلَظَّـى زَفيرُهـا كالشـهيقِ

وشَـهِدْنا مَـن مـات سَحْلاً ورَكْـلاً ... عُومِلُـوا -يـا لَظُلْـمِهِمْ- كـالرَّقيقِ

ورأينـا أظـافرَ الغُـولِ في الصَّفْــ ـــوةِ مِـن عِـترةِ النـبيِّ الشـفيقِ
ورأينـا المـوتَ الصَّهـابيَّ والأَحْــ ـمـرَ في كـلِّ قريـةٍ ومضيـقِ
يـا لَهـولِ المصـابِ يَرْتَـدُّ رَهْـطٌ مـن مثـاني الكتـاب والتصديـقِ
ويُبـادُ الكـرامُ مِـن آلِ طـهَ سَـيِّدِ المرسـلينَ بالـمنجنيقِ
دونَ ذَنْـبٍ ويُسْـحَلُونَ جَهـارا ككـلابِ الصحراءِ وسطَ النهيـقِ
مُثِّلـوا دُحِّقُـوا وطـارتْ قلـوبٌ فَرَقـاً في الصـدورِ شـرَّ دحيـقِ
ويَعاسِـيبُ أُمَّـةِ العُـرْبِ صُـمٌّ والضحايـا دِماؤهـا في الطريـقِ
ذابَ قلبُ الجمـاد وانشَـقَّ ذُعـراً صـدرُه مـن جرائـمِ التحريـقِ
عِيلَ صـبري وانهـارَ جَـرْفُ حيـاتي وحُصُونـي دُكَّـتْ وطـال شـهيقي
ولسـاني ممـا تُعـاني بـلادي جَفَّ هـل مَـن يُرَطِّـبُ اليـومَ ريقـي
فـأَفيقي يـا أُمَّـةَ العُـرْبِ ممّـا يُضْمِـرُ الرَّهْـطُ مِـن نوايـا أَفِيقـي
إنَّ تحـتَ الرمـادِ نـارٌ وأخشـى مِـن لَظاهـا ونارِهـا والحريـقِ

ويعقب بعض العلماء على ذلك بقوله بعد أن ذكر مشايخه والعلوم التي كان يتلقاها لديهم:

مـا لهـم قَـطُّ مُشْـبِهٌ أو مُسـاوٍ في بنـي عُرْبِهـا ولا الإفريقـي
جمعـوا بين واسـعِ العلـم والفضْــ ـلِ وبـينَ الأخـلاق والتطبيـقِ
فـتراهم مثـلَ الرواسـي وإن قـا لـوا فمثـلَ البحرِ العريـض العميـقِ
ذهبـوا نحـوَ ربِّهـمْ وبقينـا في سُـباتٍ نَغُـطُّ جِـدٍّ عميـقِ
فـإذا الـدارُ أقفـرتْ وإذا بـي في عنـاءٍ وفي همـومٍ وضيـقِ
وإذا الحادثـاتُ تَهْجُـمُ والنّـا سُ نِيـامٌ ومـا بهـم مِـن مُفيـقِ
وإذا نحـن تحـتَ قهـرِ وُلاةٍ لا رحيـمٌ فيهـم ولا مِـن شـفيقِ
صـادروا المـالَ عربـدوا قتلـوا سَحْــ ـلاً وزَجُّـوا بنـا بسـجنٍ عميـقِ

واصطَفَوا كـلَّ حـاكمٍ خَشِنِ الطَّبْـ ـــع حقـــودٍ مِـــن لُؤْمِـــهِ زنديـــقِ
كَمَّمُـوا أَلْسُـنَ الدعــاةِ وأهـلِ الـ ـعلــم واســترهبوا دُعــاةَ الطريـــقِ
وأرادوا طَمْـــسَ المعالـــم والدِّيـــ ـــنِ وأَغْــرَوْا بأهلِهــا كُــلَّ سُــوقي
يــا إلـــهَ الســماءِ دينَــك أَنْقِـــذْ ه إلهـــي مِـــن حـــاقدٍ وحَنِيـــقِ
قـد توالـتْ عليـه كـلُّ قُـوَى البَغْـ ـــيِ فخُذْهـــا يـــا رَبِّ بالتـــمزيقِ
يا غِيـاثَ الضعيـفِ يـا راحـمَ المسـ ـكـينِ يـا منتهـى رجـا المخلـوقِ
يـا مُغَيــثَ الصريــخِ يـا دَرَكَ اللّـه فــانِ يــا مُنْقِــذَ الضَّريـــرِ الغريـــقِ
أنـت نَجَّيْـتَ يُونُســاً إذ دعـا مِـن بَطْـنِ حـوتٍ في وَسْـطِ لُـجٍّ عميـقِ
وتداركـــتَ بالرعايــــةِ إبــــرا هيـم لـــما رَمَـــوْهُ بالـــمنجنيقِ
وحَفِظْـتَ الصِّدِّيـقَ يوسُـفَ في الجُـ ـبِّ وفي السـجنِ كنـتَ خـيرَ رَفِيـقِ
ودَعَـــتْ أُمُّ مريـــمٍ فتكَرَّمْــــ ـــتَ بعيسـى مـن غـيرِ زوجٍ لَصِيـقِ
قـد دعونـاك مثـلَ يحيـى وذي النّـو نِ وحَنّـــا ويوســـفَ الصِّدِّيــــقِ
فتَكَــرَّمْ برَفْــعِ مـــا حَـــلَّ وانْـــزِلْ بـــالعِدا كُـــلَّ شِـــدَّةٍ وحريـــقِ

وحينما ذهب لزيارة الحبيب عمر بن أحمد بـن سميـط في جزر القمـر شكى عليه بعض ما يجري في حضرموت من أثناءِ القصيدةِ المقدَّمةِ له، منها قوله:

وما حَلَّ بــالوادي المبـاركِ مَرْبَـعِ الـ أئمَّـةِ مِـن ظُلْـم وكُفْـرٍ ومِــن قَتْـلِ
فأبنـــاؤُكُمْ فيـــهِ يُقاسُـــونَ شِـــدَّةً وحَبسـاً وتشـريداً وقاصمـةَ الشَّـمْلِ
وقد عاثَ أهلُ الإفْكِ ظُلْـماً وحـاربوا شَّـريعَةَ جَهْــرا بالـــمقال وبــالفعلِ
فكَمْ أَضْرَمُوا للكفرِ والفُحْشِ جَذْوَةً شَـرارَتُها طـارتْ إلى الجَـوِّ تسـتعلي
ولـم يَبْقَ مَن يُرْجَى لها غيرُ جـاهِكُمْ فـلا وَزَرٌ يُغـني ولا صـاحبٌ يُسْـلِي
دَرَاكِ فقـد صـالَ اللِئـامُ وأَظْلَــمتْ جميعُ النواحي واستطالَ ذَوُو الجهـلِ
وقد قال للمختارِ مَن جـاءَ لائـذاً: فـأينَ فِـرارُ الخَلْـقِ إلاّ إلى الرُّسْــلِ

ومن ذلك قوله أمام شباك رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم :

يا رسول الهدى عليكم من اللّـ ... ـهِ تعالى مدى الزمان الصلاةُ

كلَّ حينٍ مع السلام بعيدَ الـ ... ـخلقِ والأمرِ ضعفها حسناتُ

يا شفيع الورى على الباب وفـ ... ـدٌ من لباس التقى حفاة عراةُ

مستغيثون من دواه كبارٌ ... دهمتهم بها الطغاة البغاةُ

دهمتهم في دورهم وتوالتْ ... فوقهم من شرارها اللفحاتُ

من فريق قد أعلنوا الكفر جهـ ... ـراً ما عتى مثلهم عليها عتاةُ

فئةٌ مرقتْ عنِ الدينِ بغياً ... ولها تحت كل نجم فئاتُ

استباحوا الحرام حَلُّوا عرى الـ ... إسلام بل جاوزوا الحدود وفاتوا

بدلوا نعمة الإله جحوداً ... وارتداداً وللصلاة أماتوا

أعلنوا حربهم على دين طه ... وأشاعوا بأنه رجعياتُ

كفروا فجروا وكم قتلوا كم ... شردوا وشعارهم منكراتُ

هَتَكُوا السِّتْرَ فالفجورُ نجـ ... ـاحٌ عندهم والحجاب فيهم كباتُ

جدّدوا كربلاء بل جاوزوها ... فبنوكم أسرى لديهم عناةُ

ذبحوا الأتقياء ذبحاً فظيعاً ... فلهم قبل قَتْلِهِمْ قَتَلاتُ

مالهم مشبةٌ من الكفر في ما ... قد مضى فإلى متى ذا السكاتُ

كل ما قد جرى على وفق ما قلـ ... ـتم فأين الشفاعة المسرعاتُ

عظم الخطب ضاقت الأرض ذرعاً ... زلزل المؤمنون والمؤمناتُ

رَفَعَ الجورُ رأسَه خَفِيَ الحـ ... ـقُّ متى نصركم متى الغاراتُ

أسرعوا أسرعوا بغارات جدٍ ... منقذات سهامها صائباتُ

أسرعوا أسرعوا بجيش من الصـ ... ـحبِ وجبريل فوقه الراياتُ

وعليٌّ أمامه والحسيـ ... ـنان جناحاه والفروع الرماةُ

يذرون العدو صرعى فلا يحـ ... ـسون إلا وهم خميد رفاتُ

أينما يثقفــوا يبــادوا فــلا تبـــ ـقـى لهـــم في ذه الدنـــا باقيـــاتُ

أنتـــم أنتـــم الغيـــورون للــــ ــــه حـــدود الإلـــــه منتهكـــاتُ

ارحمـــوا نســـوة ونشـــواً صغـــاراً باكيـــات عيونهـــم ســـاهراتُ

ارحمـــوا نقـــوة شـــيوخاً كبـــاراً في الليـــالي دعـــاءهم صرخـــاتُ

ادركـــوا صفـــوة تضمنهـــا السجـــ ـــن وفيهـــم هداتنـــا والدعـــاةُ

انقـــذوا عـــترة تعـــز عليكـــم جرحتهـــا الجـــوارح النابحـــاتُ

قد جـرى مـا كفـى فصفحـاً جميـلاً وكفـى مـا جـرى ارحمـوا يارعـاةُ

مـا لنـا قـوة وليـس لنـا ركـ ـــن سـواكم ومالنـا طاقـاتُ

وبحمد الإلـه مـن أجـل ديـنِ اللـــ ـــه هـــذي العـــداوة والشـــماتُ

فاســـتغيثوا إلهكـــم وأغيثـــوا وانصروا الديـن مـا سـواكم حمـاةُ

طهـروا الأرض مـن فريـق خبيـثٍ هـم علـى دينكـم حقـودٌ عـداةُ

أحرقوهـــم وأغرقوهـــم عليهـــم غضـب اللّـه صُـبَّ واللعنـاتُ

هـذه حاجـةٌ وأنتـم بهـا أد رى وفي النَّفْسِ سـادتي حاجـاتُ

فاشـفعوا تُؤْجَـرُوا وقولـوا تجـابوا فالـمحالات عندكـم ممكنـاتُ

وصـــلاةٌ مـــن الإلـــه عليكـــم وســـلامٌ ورحمـــةٌ غـــامراتُ

وعلـى الأنبيـاء والآل والأصـــ ـحـاب والتـابعين والبركـاتُ

كـل حـين بعَـدِّ مـا علـم اللـــ ـــه بهـا تـمتلي الربـى والجهـاتُ

ذِكْرَيَاتٌ مِن سُجُونِ حَضْرَمَوْت

لـم يَسْلـم فَقِيدُنا من الابتلاءِ بالسِّجن، ومـا أَعْظَـمَ وأَلَـذَّ سـاعاتِه.. وكـلِّ غُصَصِهِ وآهاتِه.. حينما لا تكون من أجل حَظٍّ من حظوظِ الدنيا.. وإنما من أجل اللّـه.. فهـو

الـذي اشـترى مـن المؤمنـين أنفسـهم وأموالهـم بـأن لهـم الجنـة . وفي عـام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠م) اتجه رحمه الله من البيضاء للدعوة إلى الله، ومكـث بـ«الـماذن» عـدة أيـام يرشد فيها الناس في أمور دينهم، وقد استقبله فيها السيد أحمـد بـن محمـد بـن عمـر[1] الجنيدي والسيد عبدالرحمن بن أحمد الجنيدي والسيد محمد بن عبدربه الجنيدي والسيد عبدالله بن طاهر الجنيدي والسيد صالح بن عبدالله الجنيدي[2]، واتجَّه إلى عدن ثـم إلى تريـم حضرمـوت، ومكـث بهـا عــدة أيـام، وكـان يـتردد علـى شـيخه الحبيـب جعفر بن أحمد العيدروس، فلـم يشعر إلا برجلٍ من أَمْنِ الثورة[3] يطلب منـه الخـروج

---

(١) أحمد بن محمد بن عمر الجنيدي مـن أهـل الفضـل، كـان علـى جـانب عظيـم مـن الصـلاح والنسك والعبادة، حكيم في أقواله، هل كثير من الأعمال الخيرية، وبـالذات في إصـلاح ذات البين، وقد استـمر في الماذن مقصدا يشار إليه بالبنان، حتى أدركته الوفـاة عـام ١٤١١ وهـو في العقد الثامن من عمره تقريبا.

(٢) صالح بن عبدالله بن أحمد الجنيدي من مواليد الماذن، وبها نشأ وترعـرع، ثـم رحـل لطلـب العلـم إلى تريــم صحبـة عبدالقـادر بـن عبدالرحمـن الجنيـدي، وأحمـد بـن عبدربـه الجنيـدي، وكرعوا من معين رباط تريم الغناء، وتأثروا كثيرا بشيخ الرباط العلامة حسن بن عبدالله بـن عمر الشاطري، ثـم عاد المترجَم له إلى بلده ومارس مهنة التجارة، وأخـيراً انتقـل إلى صنعـاء وأسس مع أولاده عملاً تجاريا بها، واستـمر حتى أدركته الوفاة عام ١٤١٩هـ ودفـن بهـا في مقبرة النجيمات، وكنتُ ممن شيّعه رحمه الله.

(٣) الرجل المذكور من المؤسف أنه من أكابر المجرمين، كان جلُّ الاختطافِ للأبرياء من العلـماء وغيرهم في حضرموت على يده إلا أن العفوَ العامَّ أَسْكَتَ كُـلَّ مظلـومٍ محافظـةً علـى وحـدة الصفِّ وامتثالاً لأُولي الأمر، وإلا فالـمؤَمَّلُ تقديمُ مثلِ أولئك المجرمـين للعدالـة حتـى يكونـوا عبرةً لـمن اعتبر، ومهما يكن فعند الله تجتـمع الخصوم في موقفٍ صعـبٍ قـال فيـه سبحانه: ﴿ونَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليومِ القيامةِ فلا تُظْلَـم نفسٌ شيئاً وإنْ كان مثقـالَ حَبَّـةٍ مِـن خَـرْدَلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسِبين﴾ .

معه، وخرج معه فأودعه السجن بعد أن عرى منه ملابسه إلا ما يستر جزءاً من جسده، حينها ضَجَّتِ البلادُ وتكلم العلماء وجهروا بأعلى أصواتهم؛ ولكن هيهات أن يستجيب دعاةُ الشر وصُنّاع الجرائم، وكان المحافظ حينها الأخ فيصل[١] العطاس، فقد وصل لزيارة تريم ولعلمهم بعقلانيته وعدم رضاه عن مثل هذه الأعمال الطائشة فقد أسرع ذلك المجرم بأخذ الوالد إلى سجن المكلا على ظهر شاحنة عبر طريقٍ صعبِ المسالك، وكان الأَخَوانِ أحمد بن محمد الهدار ومحمد بن عبدالقادر الهدار يتابعان تحركاتِه، فوصل المكلا بعد عناءٍ شديدٍ، وكان يعاني من رَبْوٍ شديدٍ دون أن يجدَ ما يسترُ جسده من البرد القارس.

وفي سِجْنِ المكلا مكث فترةً من الزمن جمع فيها المساجين وطلب منهم الصلاةَ جماعةً، وأن يبتهلوا إلى اللّه ويرجعوا إليه لِيُفَرِّجَ عنهم، فحَوَّلَ السجنَ إلى مسجدٍ تُقام فيه المحاضرات، كما قام الحبيب جعفر بن أحمد العيدروس والحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف بالمتابعة وإرسال البرقيات المتوالية جزاهما اللّه خيراً، وكان مسؤول السجن رجلاً من يافع وقف معه موقفاً يُشكر عليه، حيث لم يمنعه من الخطابة وإقامة الدروس في السجن المذكور.

وبلغت قضية سجنه قيادة الجبهة القومية حينها، وقام كثير من الأهالي بالتردد على مكاتب المسؤولين في عدن والمكلا دون جدوى أو فائدة تذكر؛ إلا أن الأخ

---

(١) هو فيصل بن علي العطاس، ولد في عمد منطقة النعير ونشأ وتربى بها والتحق بالمدارس بغيل باوزير، ثم قاوم الاستعمار البريطاني واستقر في عدن والمكلا، قُلد عدة مناصب في حكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، ويشغل الآن منصب مستشار وزارة الإدارة المحلية.

فيصل بن علي العطاس محافظ حضرموت حينها وقف موقفاً يُسجَّل له بكل إكبارٍ وإجلالٍ، وحينها أخذ القضية على كاهله وتابعها حتى أُفرج عنه .

وقد كان لسجنه صدى لدى المواطنين أحدث ضجة كبرى، وقد قام الشيخ سالم بن حسين الرماح رحمه اللّه بالذهاب إلى صنعاء، وقام بمقابلة رئيس الجمهورية القاضي عبدالرحمن الإرياني، وقد قدم له رسالة من جملة ما قال فيها: «سيدي الرئيس حفظكم اللّه، لا يخفاكم أنه بلغنا أن حكومة الضلال والشرك اعتقلت السيد الفاضل العلامة محمد الهدار في حضرموت، ولا أحد يفهم أين هو، أحببنا أن نشرح لكم ذلك، علماً بأن هذا الحادث هو أهم شيئ عندنا .

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

سالم حسين الرماح

وقد قام الرئيس بإحالة الأمر إلى مكتب شؤون الوحدة، وأمر بتحرير برقية سريعة إلى حكام الحزب حينها .

كما نشكر فضيلة العلامة الشيخ عبداللّه الناخبي[1] ذلك العالم الفَذُّ والرجل الشجاع الذي تابع القضية متابعةً مستمرةً وضَمِنَ عليه حَسَبَ الروتين المتبع في

---

(١) هو الشيخ عبداللّه بن أحمد بن محسن الناخِبي اليافعي، ولد في يافع سنة ١٣٢٦ هـ وبها نشأ وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم انتقل مع والده إلى حضرموت واستقر مع والده في قرية تَبَالَة من أعمال الشحر حيث كان يعمل والده، ودرس على الشيخ سالم الكلالي وغيره من العلماء، ثم انتقل إلى المكلا وعمل مدرساً فيها، ثم تدرج إلى أن أصبح ناظر المعارف بالسلطنة القعيطية، ومع تغير الأوضاع في فترة الحزب الاشتراكي هاجر إلى المملكة العربية

مصالح السجون، بالإضافة إلى جهود السيدين الكريمين حسين[1] وهـادي أبناء السـيد أحمد الحسيني حيث وقفا موقفاً يشكران عليه وتابعا قضيته حتى أفرج عنه جزاهما الله خيرا .

ومن المكلا وبعد إطلاقه رحمه الله عاد إلى تريم وشكر علـماءها، وعلى رأسهم الحبيب جعفر بن أحمـد العيـدروس والحبيب عبدالقـادر بـن أحمـد السقاف والحبيب شيخ بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر بـن سالـم، وحذَّرَهُـمْ مـن أن مخططاً عَلـم بـه في السجن يستهدف كافةَ علـماءِ حضرموت، فأخذ بالنصيحـة بعـض العلـماء فاتجَّـه إلى خارج الوطن، ومنهم من بقي فأكرمه الله بالشهادة، ثـم إنـه أَعَـدَّ عُدَّتَـهُ وعـزم على العودة إلى البيضاء بعد أخذِ تصريحٍ من المحافظ، ومن تريم إلى عدن جوّاً، ثـم من عدن إلى البيضاء عبر لودر ومكيراس .

ومن عجيب ما رَوَى لي رحمه الله: أن اللّـه سبحانه سَخَّرَ لـه رجـلاً شـائباً يقـوم بخدمته نظراً لـما يعانيه من أمراض . قال: وفي الليلة التي سـأخرج مـن السـجن بَشَّرَهُ

السعودية واستقر في جُدَّةَ إماماً لأحد مساجدها، ولا زال بصحةٍ وعافيةٍ أطال اللّـه في عمـره آمين .

(١) هو حسين بن أحمد ابن عبدالله الحسيني، رجلُ أعمالٍ مشهورٌ مع عقلٍ راجحٍ وحكمةٍ جعلته مرجعاً لكثير من الناس في إصلاح شؤونهم، أُسس شركة الحسيني للسيارات في ريعان شـبابه في المكلا وفتح لها فروعاً في عدن والحديدة، ساعده في ذلك أخوه هادي ومحمـد وأولادهـم، ولا زال في عمله حتى تحرير هذه الأحرف تَحُفُّه عناية الله كثيرَ العبادة والتبتُّـل والاستغفار، له مواقفُ مشهورةٌ في الإصلاح ولـم الشمل، كثيرُ العمل والاستشهاد بقول اللّه تعـالى: ﴿لا خَيرَ في كثيرٍ مِن نَجواهُمْ إلاّ من أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس﴾ ولازال بحمـد اللّه في صحةٍ وعافيةٍ متردداً على بيوت اللّه، محباً للخير وأهلـه، نسـأل اللّـه لـه وإيانـا كمـال التوفيق والصلاح، آمين .

برؤيا وقال له: ربما ستخرج هذه الليلة، قال: فحقق اللّه كلامه، ثم إنه كان يتمنى أن يجد هذا الرجل ليكافئه على ما قدَّم له من خدمات في السجن . قال رحمه اللّه: وفي يوم من الأيام بعد صلاة الظهر في الرباط وبعد أن خرج الناس من المسجد فإذا به يدخل عليه . قال رحمه اللّه: فاستبشرتُ به وفرحتُ فرحاً لا يُوصَفُ، وطلبتُ منه أن ينتظرني لكي آتيَ له بطعام، قال: فدخلت إلى البيت وأتيتُ له بالغداء فلم أَعْثُرْ له على أَثَر، وحاول وفَتَّشَ عنه ولكن دون جدوى .



رباطه رضي الله عنه

بدأ تنفيذ فكرة تأسيس رباط الهدار للعلوم الشرعية سنة ١٣٧٩ هـ ، بعد أن كان حُلماً وأملاً ظَلَّ يُراود فِكْرَ الوالد رحمه اللّه ويَدُورُ في خَلَدِه، وفي هذه الفترة انتقل رحمه اللّه للسُّكنى في مدينة البيضاء في شارع المحداد، وسكن فترة في بيت آل المشْعَبي، وفترةً في بيت العِلْبي لقرابةٍ بينهم، أما الدروس فقد خَصَّصَها في عدة مساجد بين المغرب والعشاء، وقد وضعَ لها جدولاً تسامع به المواظبون على حضور مجالسه، أما سائر الصلوات فأكثر ما كان يصليها في مسجد القاضي [١]، كما كان يقوم

---

(١) هو ثاني مسجد في مدينة البيضاء فيما أظنّ، إذ إن المسجد الأول كان موقعه في منتصف جبل القلعة بجوار القلعة إلى جهة الشرق مما يلي مسجد النور حسب نقل المسِنِّين من الأهالي نقلاً عمن قبلهم، ومسجد القاضي من المساجد القديمة لوجود نصوصٍ كُتبتْ في سقفه ملصقةٍ بالأخشاب، فمنها «أن السلطان الغضنفر والشيخ الأكبر الولي عمر بن همام شجاع الدين أمر برفع سقف هذا المسجد الشريف يوم في شهر شوال وأربع وسبعين من الهجرة النبوية»، وكُتب الخط عام ١١١٦ هـ هكذا، وفي مرقوم آخر: «رفع سقف هذا المسجد الشيخ المبارك أبوبكر بن عمر همام يوم الأحد من شوال ٧٦٦ هـ»، وفي مرقوم آخر: «رفع سقف هذا المسجد صالح بن أحمد واصل في جمادى الآخر ١١١٩ هـ»، وفي مرقوم آخر: «الحمدللّه رفع بعض سقف هذا المسجد في جماد أول ١٣٢٧ هـ على نفقة القاضي محمد بن حسين أحمد وأخيه صادق بن حسين أحمد الهيثمي وفَّقهما اللّه لطاعته وغفر لهما بالمغفرة»، وفي مرقوم آخر تابع مسجد القاضي: «تجدد هذا المسجد الشريف بعناية أبي بكر قاسم عبداللّه حسين القربي وفقه اللّه في شهر شعبان ١٣٥٥ هـ على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام في دولة أمير المؤمنين المتوكل على اللّه يحيى بن محمد حميد الدين من آل بيته الطاهرين نصره اللّه والمولى لقضاء البيضاء من تحت يد أمير المؤمنين، هو السيد فخرالدين والإسلام سيدي عبداللّه بن عبداللّه بن إسحاق وفقه اللّه لما يحبه ويرضاه،

بالتدريس في متن صحيح الإمام البخاري ومسلم وبقية الأمهات الست بعد العشاء في مسجد القاضي غالباً، وكان يرغب في بناء الرباط في منطقة عَزَّة في موضع حدَّدَهُ والده الحبيب الهدار بن شيخ رحمه اللّه؛ إلا أنه وبعد مشاورة مع الإمام الشهيد أحمد بن صالح الحداد[1] رأى أنْ يُبْنَى في مدينة البيضاء حيث وصل الحبيب المذكور إلى البيضاء قبل فترة التأسيس .

والمقيم في هذا المسجد الشيخ العلامة القاضي محمد بن حسين وأخيه القاضي صادق ابني حسين أحمد الهيثمي نفعنا اللّه بهم أجمعين وجميع الساعين بالخير، ووفقهم اللّه والعمَّار لهذا المسجد عبدالنبي أحمد سعيد عرمان وعبده أحمد عبداللّه عرمان جزاهما اللّه خير الدنيا ونعيم الآخرة والنجار أحمد امشغنون العبوس ومحمد بن أبي بكر العبوس ومن عمل بعمل أهل الخير جزاه اللّه خيراً غفر اللّه لكاتب هذا ولوالديه ولجميع المسلمين الحقير محمد بن يحيى بن هادي من جِبْلَة اليمن ١٥شعبان ١٣٥٥ هـ» .

قلت: والكاتب المذكور هو الشيخ محمد بن يحيى بن هادي من أهالي جبلة سكن البيضاء وفتح مدرسة أهلية لتعليم القرآن الكريم، وله فضلٌ على كثيرٍ من الأهالي، تخرَّج على يده أعدادٌ كبيرةٌ من الطلاب، واستمر على ذلك الحال حتى توفاه اللّه بمدينة البيضاء عام ١٤٠٢ هـ وله عقب مبارك بها .

(١) هو الإمام الشهيد أحمد بن صالح الحداد، اُستشهد في ٢٧ رجب ١٣٩٢ هـ على يد حكام الحزب الاشتراكي أهلكهم اللّه، وقد أفردناه بترجمة منفردة ضمن مشايخ الوالد رحمه اللّه، وقد كانت بينه وبين سيدي الوالد صحبةٌ قويةٌ ومودَّةٌ كبيرةٌ ومحبةٌ في اللّه تـمثِّلُ أحد الأصناف الذين يظلهم اللّه تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ومما قاله سيدي في ذلك في «مذكراته» بعد استشهاده: وكان عندنا أعظمَ أنيس، وأعزَّ جليس، نَعُدُّ الأيام إلى لقائه عَـدًا، ونجعل أيامنا عنده أعياداً وأيَّ أعياد، فلم يُنْكَبْ أحدٌ من المصابينَ به مثلَنا، ولم يفقده أحدٌ مثلَ فقدنا، لهذا لا نزال نُقاسي الأَمَرَّينِ من الحسرات، التي تُفِيضُ العَبَرات، على ممر الأوقات، ثم استشهد بقول الإمام الحداد:

وقد سافر الوالد رحمه اللّه من البيضاء إلى عدن وعرض فكرته على السيد صالح بن عبدربه الجنيدي[١]، ومن عدن سافر إلى الحبشة لمدينة «أسمرا»، حيث

فآهٍ عليهمْ لَيتَ داهيةَ الفنى   بِحِزبِ الرَّدَى حَلَّتْ وحِزْبَ الهدى خُلِّي

وقد عثرنا على رسالة من الوالد للإمام الشهيد المذكور للاستشارة في بناء الرباط، ومما قال فيها: بسم اللّه وما شاء اللّه ولا قوة إلا باللّه، وسلام اللّه وبركاته على حبائبنا وسادتنا وقادتنا وهداتنا وعدتنا سيدنا الخليفة حبيبنا الداعي إلى اللّه والدال عليه حالاً وفعلاً ومقالاً الوالد أحمد بن سيدي الحبيب صالح بن عبداللّه بن طه الهدار الحداد، سلامُ اللّه عليكم ورحمته وبركاته، اللّهم اجعلْ لنا عندك وُدّاً وفي قلوب أوليائك مودةً، ونرجو اللّه أن تكونوا والحبايب والإخوان بأتم العوافي والألطاف الدائمة والنعم العظيمة المتصلة بنعيم الجنان.

ثم قال رحمه اللّه في رسالته بعد أن شكا إليه عدم الاستطاعة في بناء الرباط المذكور قال: فالحاصل أن الذي معنا لا يكفي للأساس فضلاً عن البناء، وبلغنا عن سيدنا الإمام الحداد أنه قال ما معناه: إذا نوى الإنسان فعل الخير فلْيَشْرَعْ فيه، والمأمولُ أن تأتيَه المعونة من اللّه بعد الشروع .

ثم قال: إن بعض الصالحين أشار علينا ببنائه في البيضاء بدلاً من عَزَّة لكونها باديةً، ثم طلب منه الاستخارة حول انتقاله إلى البيضاء لبناء الرباط المذكور وشراء بيت أو عمارة، ثم قال: كل ذلك وغير ذلك لا نستغني عن مشاورتكم واستخارتكم، فأفيدوا سريعاً برأيكم واستخيروا اللّه سبحانه وتعالى وعجلوا بالإفادة . ثم ختم الكتاب بطلب الدعاء وبالسلام، وحررت الرسالة في ٢١ شعبان سنة ١٣٧٧ هـ من الهجرة .

(١) لقد بذل السيد صالح بن عبدربه الجنيدي رجل الأعمال المشهور في عدن جهوداً في دعم الرباط منذ تأسيسه، وجمع كثيراً من التبرعات من كثيرٍ من أهل الخير، ولا زال مجتهداً في ذلك حتى آخر أيامه، وقد منح اللّه ذلك الرجل من الصلاح وحسن الخلق وإسداء المعروف ما يجعل المطَّلِعَ على أعماله يشعر أنه أمامَ رجلٍ عَقِمَتِ الأُمَّهاتُ أنْ يَلِدْنَ مثله، فحينما زاره عالم حضرموت الحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب عام ١٣٨٢ هـ تقريباً قال له بعد أن

كانت تقيم جاليةٌ من أبناء مدينة البيضاء، فعرض فكرته عليهم، فـأَمَدُّوه بمـا أراده اللّـه من مال ثـم عاد إلى البيضاء، فكان منه شراء أرضية الرباط المذكور، وبمساعدة الشـيخ سالـم بن محمد العولقي[1] ، وأتى بمقاول معماري هو الحاج علي بـن محمـد بـن عمـر عرمان، وتـمت العمارة في السنة المذكورة، وقد كانت أيام عمارة الرباط أياما مباركة يسر اللّه فيها أسباب العمارة بتيسير من اللّه سبحانه منقطع النظير، وهَـبَّ رجـال الـبر

اطَّلَعَ على كثيرٍ من جهوده العظيمة وبالذات مع طلاب العلـم: فأما الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاءً وأما ما ينفعُ الناس فَيَمْكُثُ في الأرض .

وهذا العملُ جزءٌ يسيرٌ من جهودٍ عظيمةٍ يقوم بها هو وإخوانه الأكارم، وبالذات السيد محمد بن عبدربه الجنيدي رجل الإصلاح المشهور الذي تـم على يديـه كثـير مـن الاتفاقيـات بين رؤساء الشطرين أيام التشطير، بل كم فتن أطفأها اللّه على يديه، وتوفي عـام ١٤١٠ هـ في مدينة الرياض.

وقد ولد السيد صالح بن عبدربه أحمد الجنيدي في قرية الماذن من ضواحي البيضاء، وبها نشـأ وتربى علـى يـد والـده، ثـم رحـل إلى عـدن وعُيِّـنَ وكيـلاً للخطـوطِ الجويـةِ ومقصـداً يؤمُّـه ذَوُوالحاجـات إلى عـام ١٣٨٧ هـ، فرحـل إلى الحبشـة ومكـث بهـا فـترةً، ثـم انتقـل إلى الدمـام بالـمملكة العربية السعودية وبها زاول مهنة التجارة، وأخيراً انتقل إلى مكـة المكرمـة وجـاور بيـت اللّه ضارباً عن الدنيا للعبادة، حتى فاجأه الأجل المحتـوم وتـوفي بهـا عـام ١٤١١ هـ ودفـن بمقـبرة المعلاة .

(١) هو الشيخ سالـم محمد العولقي، رجل من أهل الفضل والصلاح، سكن منطقة السـوداء مـن ضواحي مدينة البيضاء، واشـتغل فيهـا بـإصلاح ذات البـين وجمـع كلـمة الأهـالي، واشـتغل بالتجارة في عدن، فكان مضيافاً، ونبراساً مضيئاً فيهـا، لـه كثـير مـن المزايـا الخيريـة في تفقـد المحتاجين والـمشاريع الخيرية، ثـم استقر في منطقتـه السـوداء يقصـده المحتـاجون مـن نواحـي عديدة، واستـمر به الحال مع نسك وعبادة وصلاح، حتـى توفـاه اللّـه في تلـك المنطقـة عـام ١٣٧٩ هـ تقريباً .

وأهل الخير من أبناء المنطقة لمناصرة الوالد رحمه الله والأخذ بيده[1] في إكمال عمارة

(١) منهم الشيخ سالم بن محمد العولقي والحبيب محمد بن سالم العيدروس والحبيب علي بن سالم الحامد والشيخ عبدالله صالح العاقل والحاج ناصر بن علوي القربي والشيخ أحمد بن عبدالله بن عبدحسين العاقل والشيخ أحمد بن عبدالله صالح العاقل وصالح بن عبدالنبي اليحوي وإخوانه محمد وعلي وسالم أحمد شعواء وصالح بن عبدربه الفقيه.

وكذا الحاج حسين بن أحمد عرمان والحاج عبدالله بن عوض عرمان والشيخ أحمد بن حسين الرماح والحاج عبدالله بن علي مخنف وسالم بن عبيد الحارثي وعلي بن عوض عبدأحمد والحاج عبدالله بن محمد العاقل وعبدالقادر بن علوي القربي،والحاج أحمد الخضر وصالح بن حسين الرماح ومحمد بن حسين بن علي الرماح وحسين بن أحمد باصهي الملقب « الدماني » والسيد محمد بن قاسم المهدي والأخ العلامة عبدالله بن حمود عُباد ومحمد وعبيد بن أحمد الشمري وسالم بن علي الحامد وأحمد بن سالم شعواء وعبدالله بن سالم الدباني وصالح بن علي الدباني وعلي ومحمد ابنا سالم علي العزاني والحاج محمدي عبدالله باصهي والحاج أحمد بن محمد السوداني نسبة إلى بلده السوداء وأحمد بن علي الحِبشي وحسين بن صالح العلواني ومحمد بن سالم البنه والحاج سالم بن محمد الصارطي وصالح بن سالم الحبيد ومحمد بن سالم الحبيد ومحمد بن محمد فضيلة الرماح وعبدحسين زيزيا وصالح بن أبي بكر جحيش وأحمد بن محمد غرامة والحاج حسن الناشري وسالم بن حسين الحميقاني ومحمد بن عبدالله الفقير وعبدربه وعلي ابنا أحمد العزاني وأحمد بن عبدالله المقص وأحمد الشاوش من كوكبان .

وممن بذل جهداً في خدمة الرباط آنذاك الشيخ عبدربه بن أحمد الخضيري، وهو من طلبة العلم، مكث في تريم حضرموت نحواً من عشر سنوات ثم انتقل إلى البيضاء واستمر في الرباط، وفي أثناء تلك الفترة تأهل ورزق أولاداً مباركين إن شاء الله.

وكذا الشيخ العلامة أحمد بن علي بن ناصر البرعي، والمقيم في جدة، والذي طالما شجع الطلاب على طلب العلم والتضلع منه جزاه الله خيرا، والشيخ الأجل علي بن عبدالقوي الحميقاني، وولده الشاب عبداللاه علي وإخوانه جزاهم الله خيرا، والأخ علي بن

الرباط، حتى تم البناء بحمد اللّه وأكملت عمارة الطابق الأول منه في سنة ١٣٨٠هـ، ثم توافد الطلاب وتم تأسيس مَدْرَسٍ عِلميٍّ كلَّ صباح يحضره كثيرٌ من الأهالي، وقد توافدتْ بشاراتٌ كثيرةٌ بمراءٍ صالحةٍ بمناسبةِ افتتاح الرباط، ومعظمها لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم الذي يقول فيما روي عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «مَن رآني في المنامِ فقد رآني فإنَّ الشيطانَ لا يَتمثَّلُ بي» رواه البخاري ومسلم . حتى رُؤي في المنام أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم غَمَزَ برجله الشريفة في الرباط وقال: «هذا باقٍ ما بَقِيَتْ أمتي»، وقد كان سيدي الوالد رحمه اللّه كثيراً ما يستبشر بهذه الرؤيا ويكررها في مجالسه .

قال سيدي رحمه اللّه: ومما رُؤي أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في أعلى الجبل المطِلِّ على الرباط في موضع سماعة «المايكرفون» وإذا به يشير بيده الشريفة إلى موضع مسجد الفتح بالرباط ويقول: «هنا الروضة، هنا جبل الرحمة» كررها مراراً.

حتى قال سيدي الوالد رحمه اللّه: إن المرائي لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم حين بداية الرباط تَجِلُّ عن الحصر كما أَثْبَتَ ذلك بقلمه رحمه اللّه، وكلُّها مبشرة، وحينما يستعرض ذلك في أثناء حديثه يقول رحمه اللّه بما معناه: إن هذا الرباط بني

صالح المرغمي، وأحمد بن محمد الصارطي اللسواس، ومحمد بن حسين حيدان وعبدالقوي بن صالح العامري ، وكذلك الحاج محمد بن ماجد الحميقاني والحاج صالح بن عبداللّه المقص والأخ علي بن محمد شميله والأخ علي بن عبدالنبي عرمان والأخ محمد بن حسين عرمان وعبداللّه بن محمد العبوس ومحمد بن محمد العبوس ومحمد بن أبي بكر العبوس ومحمد بن علي السوادي وعبداللّه بن علي السوادي والحاج محمد العبيد، وغيرهم ممن لم نذكر أسماءهم في هذا المسطور، ومهما يكن فالأعمال الصالحة مسجلةٌ عند مَن لا تخفى عليه خافيةٌ في كتابٍ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، غَفَرَ اللّه للجميع آمين .

على نِيَّاتٍ صالحةٍ إن شاء اللّه، وحاشا اللّه أن يخيِّب مَن رجاه، ولو طال بي وبك العمر سوف ترى نتائج هذا الرباط، ويكرر قوله: «ذَرَينا حُبَيبات، وعلى اللّه النَّبات».

نسأل اللّه أن يعمر هذا الرباط بالأعمال الصالحة والعلوم النافعة، وأن يجعل الخير باقياً في عَقِبِ المؤسِّس إلى يوم الدين، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

وبعد إكمال عمارة الرباط المذكور تم افتتاحُه في محفلٍ كبيرٍ في السابع من جمادى الثانيه عام ١٣٨٠ هـ دُعِيَ إليه أعيان المنطقة، وعلى رأسهم محافظ المحافظة الشيخ صالح(١) بن ناجي الرويشان الذي كان له كثيرٌ من الأدوار الإيجابية في دعم الرباط،

---

(١) هو الشيخ صالح بن ناجي بن صالح الرويشان، ينحدرُ من قبيلةِ خولان الشهيرة من آل أحمد أحدُ أفرادِ عشيرةِ بني سعد من بني ظبيان، ولد في مرابع خولان ١٣١٩ هـ وحفظ القرآن وأخذ قسطاً وافراً من علوم الدين حتى ١٣٦٧ هـ، حيث تم اختياره على رأس قبائل خولان لدعم الجيش النظامي بقيادة عبداللّه بن أحمد الوزير، الذي قام بالدخول إلى محافظة البيضاء ١٣٤٢ هـ، ثم قام عبداللّه بن أحمد الوزير بإرسال مجموعة كبرى من القبائل والجيش النظامي إلى منطقة العواذل، وكان الرويشان من أبرز قيادتها حيث اتخذ من مدينة عريب مقراً له واستمر هنالك خمس سنوات، فعاد بعد المعاهدة التي أُبرمت بين الإمام يحيى وبريطانيا عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤م)، فتم تعيينه عاملاً بناحية الطَّفَّة، وقد استمر يشغل هذا المنصب حتى ١٣٧٠ هـ فتم تعيينه نائباً لأمير محافظة البيضاء، فانتقل من الطفة إلى البيضاء وقد أظهر حنكةً سياسيةً وخبرةً إداريةً لا مثيلَ لها حيث كان وجوده في البيضاء مصدرُ قلقٍ وإزعاجٍ للاستعمار البريطاني، إذ كان يشجع العناصر الوطنية في المناطق اليمنية المحتلة على مقاومة الاستعمار ويمدهم بالمال والسلاح، ومن جميل شعره:

هـذا بنـي قحطـان سـكان اليمـن ... ذِي مِـن قواهـم كـل شـاجع بـايلين

أبنـاء صعـدة يهتفـوا بابنـا عـدن ... ورايـة الإسـلام فـوق العالـمين

وكان كثيرا ما يردد عبارته المشهورة: أسأل اللّه أن لا أموت إلا وقد تحرر الجنوب، وفي

وقد أُلْقِيَتْ فيه كثيرٌ من الكلمات، وكان يوماً مشهوداً شهدته البلاد واحتفلت به، وأُلقيت في افتتاحه كثيرٌ من القصائد الشعرية، من أهمها ما قاله الشيخ سالم بن أحمد السبع [1]، وهي:

قُدُومُ العِيدِ وافانا فحَيّا ... رِباطَ العلم مَقْدَمُهُ وبيّا

وأَمَّ السعدُ والإقبالُ أرضاً ... جلالُ العلم باركَها وحَيّا

وأسَّسَ للتُّقى فيها رباطاً ... يُنَوِّرُ علمه الفَطِنَ الذكيا

سَمَتْ بالعلم ساحتُه فأَمْسَتْ ... بفضلِ العلم تعتنقُ الثُّريّا

فحيّا اللّه بانِيهِ ومرحى ... لساكِنِه وسُقياً ثم رُعيا

سأَنْظُمُ في رباطِ العلم شعراً ... لِيَمْلأَ مَسمَعَ الدنيا دَوِيّا

إذا عَظَّمْتَ شأنَ العلم فخراً ... فسوف تكونُ أنت به حَفِيّا

ألم يُلْبِسْ مَدِينَتَنا جمالاً ... ومجداً لم يَعُدْ سراً خفياً

فهيا يا بني وطني أَجِيبُوا ... نِداءَ العلم في البيضاءِ هَيّا

عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢م) أقر مجلس الثورة بقاءه في عمله في البيضاء حتى عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣م) حيث عُيِّنَ محافظاً لِلواء تعز، وفي عام ١٣٨٤ (١٩٦٤م) عُيِّنَ محافظاً للواء إبّ، وفي عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦م) عُين مستشاراً لرئاسة الجمهورية لشؤون القبائل، ثم رئيساً لشؤون القبائل، وفي عام ١٣٨٧ هـ انتقل إلى جوار ربه رحمه اللّه رحمة الأبرار وأسكنه برحمته دار القرار .

(١) هو الأستاذ الأديب الشاعر، سالم بن أحمد السبع، شاعر مفلق، إذا نظم أجاد، نشأ وترعرع في مدينة البيضاء وأخذ كثيراً عن مفتي المحافظة السلف القاضي محمد بن حسين الهيثمي، تنقل في عدة وظائف، كانت بينه وبين سيدي الوالد صحبة ومودة ، وقد عاش في مدينة البيضاء ، وكثيراً ما يقدِّم للمجتمع القصائد العصماء في المناسبات العامة، والتي تلقى الإعجاب الكبير من مستمعيها، ثم انتقل إلى صنعاء وبها استقر ولازال بها في صحة وعافية .

أخـي يـا سـاكن البيضـا أَعِرْنـي ... لآيِ الذِّكْـرِ واستـمعوا إليّـا
تعـاليمُ الربـاطِ غَـدَتْ علاجـاً ... لأمـراضِ النفـوسِ فقُـمْ تَهَيّـا
خُذِ الكلـماتِ يـومَ العيـدِ عـني ... وبَلِّغْهـا القريـبَ أو القَصِيّـا
فليس العيـدُ زَهْـوُكَ في ثيـابٍ ... بهـا أَفْرَطْـتَ تنميقـاً ووَشْـيَا
أَتَزْهُـو في ثيـابِ العيـد فخـراً ... وغيرُك يشـتكي جوعـاً وعُرْيـا ؟
فكـم شـاهدتُ أرملـةً وشـيخاً ... كبـيرَ السِّـنِّ قـد بلـغَ العِتِيّـا
وكـم أُمٍّ بيـوم العيـد أَجْـرَتْ ... دمـوعَ الحـزن إذ رأَتِ الصبيـا
ومنظرُهـا الكئيـبُ يُثِـيرُ حزنـاً ... ويَكْـوِي قلبَهـا بـالهَمِّ كَيّـا
بَكَـتْ وارحمتـاهُ لِدَمْـعِ أُمٍّ ... جَـرَى والنـاسُ في دنيـا وأَشْـيا
وهـذي الأرضُ مُجْدِبَـةٌ فهَـلاّ ... خرجتـم خُشَّـعاً طَلَبـاً لِسُـقْيا
فـإنَّ القحـطَ مَصْـدَرُهُ ذُنُـوبٌ ... تَضُـرُّ العبـدَ في أخـرى ودنيـا
تـمرُّ السُّـحْبُ ممطـرةً صباحـاً ... فتَهْجُرُنـا وتتركُنـا عَشِـيّا
أنطمـعُ في زيارتهـا وفينـا ... نـرى النَّمّـامَ والوَقِـحَ الشَّـقِيّا ؟
ألا فاسـتغفروا الرحمـنَ منهـا ... وخُـرُّوا في مسـاجدكم بُكِيّـا
أقـولُ والأسـى يُدْمِـي ضمـيري ... ونـارُ الحـزن تُولِيـني صِلِيّـا
بنـي وطـني دَعَوْتُكُـمُ لخـيرٍ ... وأَقْصِـدُ بـالنَّدا الرجـلَ الغنيـا
إذا واسـى الفقـيرَ بغـيرِ مَـنٍّ ... وأعطـى المـالَ مبتسـماً رَضِيّـا
فقـد أرضـى الفقـيرَ بغـير شـكٍّ ... وأرضـى بالعطـا الـرَّبَّ العليـا
وأفضـلُ مـا أُقَدِّمُـهُ ختامـاً ... صـلاةٌ تبلـغُ الـبَرَّ التقيـا
وتغشـى الآلَ والأصحـابَ طُـرّاً ... صـلاةٌ تَنْشُـرُ العَـرْفَ الشَّـذِيّا

ومن ذلك قوله:

باسـمِ العَلِـيِّ القـادرِ الفـاتحِ ... أَطلـبُ عـونَ البـاعثِ المـانحِ

وأَسْـأَلُ الرُّشْـدَ وأرجــو الهُـدى   لكــلِّ عبــدٍ مؤمــنٍ كــادحِ

وأستزيدُ الفَضْـلَ مِـن جُـودِهِ الــ   ـعَمِيـــمِ للغـــادي ولـــلرائح

هـذا وأمّـا بعـدُ يـا معشــر الــ   آبـاءِ هــذا القــولُ مــن نــاصحِ

لا تــتركوا الأيــامَ تــمضي سُـدًى   علـى الشـباب المسلـم الطـامحِ

خَلُّـوا التُّقـى والعلـم يغـزو قلـو   بَ النَّشْءِ ينجـو مـن هَـوًى جـامحِ

فــالجهلُ شــيطانٌ يقــودُ الفتــى   إلى ارتكــابِ المنكــر الفــاضحِ

والكفــرُ والإلحــاد في عصرنــا الــ   ـحاضرِ ســهمُ المـارق الفـادحِ

الهــاربِ اللاجــي إلى مَــن أَضَــ   ـلَّ اللّـه في وادي الشَّـقا النـازحِ

حربــاً علـى الإسـلامِ في سـرِّهِ   في جهــرِه في نقــدِه الجــارِحِ

أعمـاهُ ليـلُ الشـكِّ مـن أنْ يـرى   ظـلامَ قلـبٍ قاتــم كــالحِ

فنحــذرُ الإلحــاد أن يَدْهَــمَ الــ   نَّـشْءَ بتيـارِ الهـوى الكاســحِ

ولْنَجْعَــلِ التعليــمَ حِصْنــاً يَقِــي   شــبابَنا مِــن خَطْبِــهِ الفــادحِ

يــا طــالبَ الغفـران مــن ربِّـه   وطامعــاً في المتجــر الرابــحِ

أقبـلْ علـى اللّـه ولَـبِّ النِّـدا   وكُــنْ مثـالَ الطـالب النـاجحِ

فالــمعهدُ العلــميُّ أبوابُــه   مفتوحــةٌ في وقتــك الســانحِ

وادفـعْ حقـوقَ اللّـه للبـائسِ الــ   ـفقــيرِ أو لــلرَّحِمِ الكاشــحِ

واخشعْ لـمرأى الـذُّلِّ في منظر الــ   ـيتيــمِ أو في دَمْعَــةِ الســائحِ

واطلــبْ مــن الرحمــن توفيقَــهُ   إلى الطريــقِ البَيِّــنِ الواضــحِ

إن كنـتَ ذا عقـلٍ فهـذي السَّـما   آياتُهــا تغــني عــن الشــارحِ

أبراجُهــا بالشــمس مُزدانَــةٌ   وكــلِّ نجـمٍ في الفضـا ســابحِ

والأرضُ تختــالُ بنَبْــتِ الرُّبــا   وبــالأريجِ الطَّيِّــبِ الفــائحِ

والحقـلُ والــماءُ وطِيــبُ الهـوا   مَســارِحٌ للطــائرِ الصــادِحِ

انظـرْ جمـالَ الكـونِ وافـرحْ بـه   ولا تكــنْ كالنــادبِ النــائحِ

إفـرحْ ولا تَحْـزَنْ وعِـشْ راضيـاً	بعَذْبِـــهِ أو مُـــرِّهِ المـــالحِ
فـالكونُ لـــم يُـدْرِكْ مَـدى سِـرِّهِ	غـيرُ الذَّكِـيِّ العـاقلِ الراجـحِ
طريـقُ خـيرِ النـاسِ مـن هاشِـمٍ	جمـالُ نظـمِ الشـاعر المـادحِ
عليـه صلـى ربُّنـا مـا سَـمَتْ	بالعلـم دُورُ العمـل الصـالحِ
والآلِ والأصحـابِ مَـن شَـيَّدُوا الـ	ـدِّيـنَ بعـونِ القـادر الفـاتحِ

ثـم تـم إعلان الدروس في الرباط على النحو التالي:

حلقاتٌ في الفقه بعد المغرب كل ليلة ما عدا ليلة الجمعة، ودرسٌ عامٌّ بعـد الصبـح، وكذا حلقاتٌ في اللغة العربية، كما قام فضيلة الوالد العلامة محمد بـن علـي الحَمْـزِي الملقب «الفَرّان»[1] بدرس في التجويد يومياً بعـد الإشـراق يحضـره كثـيرٌ مـن الطـلاب والأهـالي، أمـا النسـاء فقـد أُعلـن لهـنَّ درسٌ مسـاءَ ليلـة الثلاثـاء عـبر مكـبر للصـوت «مكرفون» من مسجد المنشور، وهكذا بدأ الرباط نشاطه .

---

(١) هو العلامة محمد بن علي الفران الحمزي، عالم وخطيب مصقع، ولد في صنعاء وبها نشأ وترعرع، ثـم انتقل إلى البيضاء موظفـاً في الماليـة وتـولى إلى جـانب عملـه الإمامـة والخطابـة بالجامع الكبير بها، أخذ كثيراً عن القاضي محمد بن حسين الهيثـمي، وكـان صادعـاً بـالحق، وحينما فتح الرباط كان من أول المساهمين فيه بالدروس فكان يقوم بتدريـس علـوم القـرآن الكريم كل يوم صباحاً، وفي ١٣٨٥ هـ انتقل بأسـرته إلى صنعـاء وخلفـه في القيـام بالجـامع الكبير السيد العلامة قاسم بن حسين غمضان المتوفى ١٤١٧ هـ تقريباً في صنعاء إثر حـادث مروري، وقام المترجم له بالإمامة في جامع الطبري، وساهم في تشييد كثير من المسـاجد مـن خلال دعوة أرباب المال ، ولازال في صنعاء تحفه عناية اللّه في أوائل العقد التاسع مـن عمـره تقريباً، وكانت تربطه علاقة قوية ومحبة صادقة بسيدي الوالد رحمه اللّه، له مؤلفات عدة منها خطب منبرية ومؤلف في مسائل الرضاع ومؤلف في تحريم الغناء .

ومع توافد الأهالي والطلاب طلب الوالد رحمه اللّه مدرسين فوصل العلامة الكبير الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط، والأستاذ أحمد بن عمر الحبشي[١]، وكلاهما من حضرموت، وبدأ الطلاب يتزايدون يوماً بعد يوم، ونظراً لعدم القدرة على القيام بمصاريفهم قام الوالد رحمه اللّه بوضعِ كثيرٍ منهم لدى الموسرين من الأهالي، كلٌّ طالبٍ في بيتٍ بعد التنسيق مع الأهالي المذكورين، على أن يقوموا بتوفير الوجبات الثلاث لهم.

وكان من جملة المترددين على الرباط السيد علي بن سالم الحامد[٢] وأخوه عبداللّه الذي وصل من القاهرة لزيارة المنطقة، فكان منه تشجيع طلاب العلم من أبناء

---

(١) هو الأستاذ القدير أحمد بن عمر بن شيخان الحبشي، ولد في سيئون من أسرة علمية فاضلة وأخذ كثيراً من المعارف والعلوم عن جل علمائها، وفي سنة ١٣٨٢ هـ وصل إلى البيضاء، وعمل مدرساً في الرباط ثم تأهل بها من أسرة آل العلبي ، وهي من الأسر الصالحة في مدينة البيضاء، ورزق أولاداً منهم ولده محمد الذي استشهد في البوسنة، وقد عاد المترجم له إلى حضرموت ثم انتقل إلى المدينة المنورة، وبها ألقى عصى الترحال ولا زال بها في صحة وعافية تحفه عناية اللّه .

(٢) هو السيد علي بن سالم الحامد الحداد، رجل من أهل الفضل مشهور بالكرم الذي قلّ أن يوجد له نظير، أصله من الماذن من آل الحداد، ثم انتقلت أسرته إلى البيضاء، وتزوج والده بنت الحبيب أحمد بن محسن بن علي، فأنجبت علياً المذكور وعبداللّه، أما عبداللّه فقد انتقل إلى السودان في صباه، ثم إلى مصر، وتخرج من الأزهر، وعمل في عدة وظائف كان آخرها ملحقاً ثقافياً في سفارة اليمن بالقاهرة، توفي في جدة ١٤١٠ هـ .

أما المترجم له فقد عاش في البيضاء فكان من المترددين على الرباط، وكانت بينه وبين سيدي الوالد صداقة ومودة، وكان يتعجب كثيراً من الحلم والتحمل الذي منحه اللّه إياه، واستمر على ذلك حتى توفاه اللّه في البيضاء ودفن بمقبرة الشعب ١٤١٨ هـ وهو في منتصف العقد العاشر من عمره تقريباً .

المنطقة، على أن يكرعوا من هـذا النمير الفيّاض،ومـن جملـة المترددين حين تأسيس الرباط الشيخ ناصر بن عوض شملان[١]، من بيحان . وأما السكن فقد تـم في الرباط، وبدأت فكرةُ بناءِ مسجدٍ للرجـال وآخـرَ للنسـاء، ونظـراً لاشـتغال الوالـد رحمـه اللّه بالدعوة إلى اللّه فقد اجتـمع مع كثيرٍ مـن الأعيـان وطلـب منهـم تشـكيل لجنـةٍ ماليـةٍ يقومون بجمع التبرعات والصرفيات على الرباط المذكور، وقد تـم تشـكيل لجنـة مـن خيار الأهالي وتبرعوا بأوقـاتهم، ولا زالـوا مـن ذلـك التـاريخ حتـى يومنـا هـذا وهـم يجمعون التبرعات ويقومون بالصرفيات جزاهم اللّه خيراً.

وقـد سمعـتُ الوالـد رحمـه اللّه يثـني عليهـم كثيراً نظـراً للجهـود الـتي يبذلونهـا ولـلمساعدات العظيمة التي يساعدون بها، وقد تـم بنـاء المسجد الأسـفل، وقـد قـام بذلك العَمّار الحاج عبداللّه بن عوض عرمان وأولاده، وتبعه بعد ذلك المسجد الأعلـى فخصَّص المسجد الأسفل للنساء ببابٍ خاصٍ ومستقلٍ، وقد قام بذلـك العُمَّـار الحـاج حسين بن أحمد عرمان، ومحمد بن حسين عرمان، وعلي بن عبدالنبي عرمان وغـيرهم، أما المسجد الأعلى فخصص للرجال، وقد أَرَّخَ سيدي الوالد تـمام عمارته بقوله:

«أَحْمَدُ اللّه وحدَه، ووَحِّدْهُ وَحْدَه،لـمسجدٌ أُسِّسَ على التقوى مِن أولِ يومٍ أَحَقٌّ»

١١٩ ٢٣ ٢٩ ٢٤ ١٣٧ ١٢١ ٦٣٩ ١٨٣ ١٠٩= ١٣٨٤

كما وجدنا في «مذكَّراته» حول ذلك ما نصه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

---

(١) هو الشيخ ناصر بن عوض شملان، من مواليد بيحان سنة ١٣٢٠ هـ، سافر إلى حضرموت في صباه والتحق برباط تريم، وعاد واعظاً ومرشدا، كثـير البكـاء مـن خشـية اللّـه مـع هيئـة صالحة، يكبرُه كل مـن رآه لعملـه بالسـنة المطهـرة في مظهـره، مـات شـهيداً في عـدن سـنة ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠م) .

الحمد للّه، اللّهم صل وسلم بجميع الصلوات كلها في كل لحظةٍ أبداً على سيدنا محمدٍ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وآلهم وأصحابهم وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

هذه الأبيات قِيلَتْ لما عُمِرَ مسجدُ الفتح الأعلى في رباط البيضاء عام ١٣٨٤ هـ عَمَرَهُ اللّه بالعلوم النافعة، والأعمال الخالصة المقبولة، والعلماء الأتقياء المخلصين، والعُبّاد القانتين الخاشعين، في كل لحظةٍ أبداً إلى يوم الدين، أما المسجد الأسفل فقد أُسِّسَ في عام ١٣٨٢ هـ وجاء تاريخه ﴿إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً﴾:

أيا راغباً في فَضْلِ رَبِّكَ والفَتْحِ ... وفي عَفْوِهِ عن سَيِّئاتِكَ والصَّفْحِ

ومجتهداً في نَيلِ كُلِّ وسيلةٍ ... من العلم تَهْدِيهِ إلى الفوزِ والنُّجْحِ

ومبتغياً نوراً به يَنْجَلِي العَمَى ... وشرحاً أتى في سورةِ النُّورِ والشَّرْحِ

ومقتفياً أَثَرَ الرسول محمدٍ ... ومُسْتمعاً من هَدْيِهِ أبلغَ النُّصْحِ

أَتَتْكَ من اللّه السعادةُ فاغتنمْ ... زمانَك تَرْبَحْ فيه ما شئتَ مِن رِبْحِ

فهذا رباطُ العلم فيه رياضُهُ ... مُفَتَّحَةُ الأبوابِ من مسجدِ الفتحِ

فدُونك فاكرعْ من حِياضٍ مَعِينِها ... ودونكَ فارتعْ في الأصيلِ وفي الصبحِ

وسابقْ وزاحمْ واتركِ العَجْزَ جانباً ... وسارعْ إلى مولاك بالجدِّ والكدحِ

وبادِرْ فإنَّ الموتَ ليس بغافلٍ ... وما أمرُه إلا كأَقْرَبَ مِن لمحِ

وقد جاء تاريخُ البناءِ مبشراً: ... «هنيئاً لكم نَصْرُ الرحيمِ مع الفتحِ»

فيا رَبِّ بالمختار حَقِّقْ رجاءَنا ... بفضلك وامنحنا به أفضلَ المنحِ

وبارِكْ لنا في ذي البقاعِ وما لَهُ ... بها نسبةٌ في كل وقت بلا نزحِ

برَوْحٍ وريحانٍ وما في بيوتِكَ الـ ... ـمقدسةِ اللاتي تَجُلُّ عن المدْحِ

وضاعفْ كما ضاعفتَ في كُلِّ بقعةٍ ... مباركةٍ فيها الثوابُ مع الفتحِ

وأعمالها مقبولةٌ وعلومها ... مدى الدهر تُهدى للأنام بلا شحِّ

ورحمتك العظمى تفِيضُ بسوحِها وعينُك تحميها من القدح والجرحِ
وصلِّ وسلم كُلَّ حينٍ على النبي وآلٍ وصحبٍ والمتابعِ بالنصحِ
وسائرِ رسلِ اللّه مِلْءَ عوالم الـ ـمهيمنِ عَدَّ الذَّرِّ والقَطْرِ والملحِ
ونحمدُك اللّهمَّ حمداً مباركاً كذلك يبقى في الأصيل وفي الصبحِ

ويشاء اللّه سبحانه وتعالى وتتحقق أماني الوالد رحمه اللّه ويحفر بئراً بجوار الرباط أسماها «عطية»، وكان أولَ من اشتغل بها رجل اسمه توفيق، ففرح سيدي الوالد بهذا الفأل الحسن، ثم أكثر من عمل فيها الحاج أحمد بن صالح الشليلي.

ثم بدأ بتأسيس منزله المسمى «فرحان» وقد قام بعمارته الحاج عبداللّه بن عوض عرمان وأولاده، ونقل أسرته إليه بعد أن كان مستأجراً لبعض الأسرة في البيضاء، والبعض الآخر لا يزالون يسكنون في عَزَّة، وفي «فرحان» وسكناه قال رحمه اللّه من جملة أبيات حمينية:

فرحان يا ربنا افرح كل من يسكنه
في الدار هذه وفي الأخرى فلا تحزنه
بالعافية والكرم والذكر لك ديدنه
لا يخزن إلا التقى والشر لا يخزنه
معمور طول الأبد والعلم يستوطنه
رعاية اللّه به ترعاه تستحظنه
واهله نجوم الهدى اجعلهم معدنه
عليهم صل يااللّه والسلام أعلنه

وحين فتح الرباط رفع رحمه اللّه إلى مدينة عدن مذكرةً يطلب من أهالي البيضاء الساكنين بها مَدَّ يد العون في هذا المشروع الخيري الهامِّ، حيث كانت جاليةٌ كبرى

من أبناء البيضاء يسكنون بها، وعلى رأسهم الشيخ صالح بن علوي القربي[1] الذي كانت تربطه صلةٌ قويةٌ بالوالد رحمهما اللّه جميعا، وقد قال فيها:

حضرات كافة الأفاضل الكرام القاطنين بعدن ونواحيها المحترمين..

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته..

وبعدُ لقد أكرمنا اللّه سبحانه وله الحمدُ وكَمُلَتْ بعض عمارة المعهد العلمي الديني بمدينة البيضاء، فله جَلَّ وعلا الشكر والمنة، فقد حصلتْ بعضُ فوائدَ نافعةٍ ملموسةٍ لا تُقَدَّر، لذلك اختار المؤسس السيد محمد الهدار جزاه اللّه عنا خيراً أربعة أشخاص هم الحاج محمد بن أحمد الشمري وناصر بن علوي القربي والحاج صالح بن عبدالنبي اليحوي وحسين بن أحمد عرمان هؤلاء يكونون مشرفين على عمارة المعهد وتوسيعه، وما يحتاج من معلمين وغير ذلك، حتى إذا يسر اللّه له أوقافاً وغيرها فهو بنظر اللجنة، ليس للمؤسس إلا الإشراف على التعليم، وهدف المعهد نشر العلوم النافعة من دين وثقافة، ومتطلباته هي:

(١) مشاهرة «مرتب» معلم أو معلمين .

(٢) توسيع عمارة الرباط .

(٣) عمارة مسجد بجواره مع بئر وهِجْرَة «مكان تجميع المياه» .

(٤) جلب الكتب الصالحة للرباط .

(٥) أوقاف تقوم بمصالِحِه بنظر وتحت رعاية اللجنة .

---

(١) هو الحاج صالح بن علوي القربي، رجلُ أعمالٍ مشهور داخل اليمن وخارجه، قام بكثير من الأعمال الخيرية في البيضاء منها تجديد الجامع الكبير، توفي بمكة المكرمة سنة ١٤٠٩ هـ ودفن بها رحمه اللّه تعالى .

هذه مَطالِبُهُ، وهي يسيرةٌ عنـد اللّه على يد مـن شاء لـه السَّبْقُ إلى هـذه النعمـةِ العظمى، وإحياءِ نفوسٍ كثـيرٍ مـن مـوتِ الجهـل، ﴿ومَـن أحياهـا فكأنّمـا أَحْيـا النـاسَ جميعاً﴾، وستقوم اللجنة بالأهم فالأهم تدريجاً، ومن الجدير ذِكْرُهُ أن المعهد قـد افتُتِـحَ في يوم السبت الموافق ٧ جماد الثاني ١٣٨٠ هـ ، وأقيم حفلٌ كبيرٌ حضره نـائب أمـير اللواء والشيخ وكبار الموظفين والأعيان وجمعٌ كبـيرٌ، وقـد أَيَّـدَ الجميـعُ هـذا المشـروع العظيـم، وأَبْـدَوا استعدادَهم للتعـاون معنـا، واللّـه المعـين لذلـك، فإننـا نطلـب منكـم التشجيع بالـمال والبذلَ بسخاءٍ، وكلٌّ قَدْرَ طاقته، وفقكم اللّه وأعانكم . انتهى .

وبحاشية الرسالة تواقيعُ كثير من الأعيـان، منهـم محـافظ البيضـاء الشيخ صـالح بـن نـاجي الرويشـان، ومحمـد بـن صـالح الرويشـان، وحـاكم المحافظـة العلامـة علي بـن عبدالوهاب الوريث، ورئيس البلدية محمد بن أحمد السقاف، والشيخ سالـم بن حسين الرماح[1]، وأحمد بـن سالـم الرمـاح، وسالـم بـن أحمـد شـعواء، ونـاصر بـن علـوي القربي، وصالح بن محمد الجحدري، وناجي بن صالح بن أبـي بكـر، وعبدالرحمـن بـن صالح الهيثـمي، ومحسن بن أحمد صبيح، وأحمد الخضر بن أبي بكـر، ومحمـد بـن أحمـد عرمان، ومحمد بن أحمد الشمري، وقاسم بن أحمد القربي، وأحمـد بـن عبـده عرمـان، وعلي بن عبداللّه بن صالح الجحدري .

---

(١) من مواليد البيضاء عام ١٣٢٤ هـ ونشأ وتربى بها، شيخُ مدينة البيضاء ونواحيهـا منـذ عـام ١٣٧٢ هـ (١٩٣٥ م)، سياسيٌّ محنَّـكٌ تقلّـد كثيراً مـن المهـامِّ، منهـا: مستشـارٌ لـمحافظة البيضـاء عـام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤م)، ومسـاعدٌ لـمحافظِ محافظـة البيضـاء عـام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥م)، ومديرٌ لقضاء البيضاء، أُبْرِمَتْ على يده كثيرٌ من الاتفاقيـات بـين القبـائل داخـل المحافظة وخارجهـا، ولـه مواقـفُ مشـكورةٌ ومسـاعٍ محمـودةٌ في خدمـة الوطـن والـمواطن، واستـمرَّ على ذلك الحال حتى فاجأه الأجل المحتوم في عام ١٤٠٢ هـ، ودفـن بمقـبرة فدعـق بمدينة البيضاء، وخلف ولده الشيخ أحمد بن سالـم الرماح.

الإمام فدعق

وكان سيدي الوالد رحمه الله يخرج بمعية الطلاب ليقيم الدرس بعد المغرب يوم الجمعة في مسجد الإمام فدعق بن محمد[1] يحضره كثير من الأهالي ويقدم فيه كثيراً من

(١) هو العلامة الجهبذ السيد فدعق بن محمد بن عبدالله بن مبارك بن عبدالله وطبّ بن محمد بن المنفر بن عبدالله بن محمد بن عبدالله باعلوي، رحل من قَسَم بحضرموت إلى مدينة حبان وسكن بها فترة من الزمن ، ثم أزمع السفر لأداء النسك ومر بالبيضاء فتوفي بها عام ٩٧٨هـ ودفن في المقبرة المنسوبة إليه بمدينة البيضاء ، وقبره معروف ومشهور بها، أما القبر المجاور له فهو قبر المصلح والمحسن الكبير علوي بن قاسم القربي من أهالي مدينة البيضاء توفي ١٣٧٥ هـ ،أما المبنى المقابل للمسجد فيقال: إن به قبر نور بنت السلطان العفيفي من يافع والتي قتلت أثناء معركة مع جيش الإمام محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المواهب، وقد ذكرها كثير من المؤرخين.

ويعتبر الإمام فدعق المرجع الجامع للسادة آل فدعق ، وهم أسرة كبرى لها صيت واسع في العلم والأدب والفضل ومكارم الأخلاق ضمت كثيراً من الأفذاذ والفطاحل من أساطين العلم ورواته ينتسبون إلى الحسين السبط عليه السلام، تفرقوا في كثير من البلدان وأهم مساكنهم عَمَاقِين وقَسَم وحبان ومِيفَعَة وأحور والمحفد وهدى، وكذا في مكة المكرمة وفي ظفار بسلطنة عمان .

كما رحل كثير منهم إلى الهند وجاوه والحبشة ، وقد ظهر منهم علماء أجلاَّ أحيوا ماضيهم الغابر بحروف من نور منهم السيد الجليل محمد بن عمر فدعق المتوفى سنة ١٢٠٧هـ والعلامة الكبير والعلم الشهير عبدالله بن عمر بن حسين إمام وخطيب الشافعية بالمسجد الحرام والمتوفى سنة ١٢٦٤ هـ ومنهم السيد محمد بن حسين فدعق منصب آل فدعق بحبان، وشيخنا الحلاحل العلامة حسن بن محمد فدعق المكي والذي أفردناه بترجمة مستقلة، والسيد أبوبكر بن محسن البكري فدعق مات شهيداً في تحطم طائرة عام ١٩٦٦م بين عتق

المسائل العلمية في الفقه والنحو والفرائض فيتبارى الطلاب في الإجابة عليها، وذلك ترويحاً للطلاب واقتداءً بشيخه الإمام عبدالله بن عمر الشاطري، والذي يخرج ومعه طلاب رباط تريم في ذلك الوقت من كل أسبوع إلى مسجد مولى العرض بمشارف مدينة تريم .

الصبر والثبات

بعد تلك الأعمال الناجحة والإقبال الكبير ومع قيام الثورة المجيدة مباشرةً لم يشعر الوالد رحمه الله إلا ببعض الاتهاماتِ الكاذبة تُوَجَّهُ إليه، مِن أنه يريد من وراء ذلك كلِّه الوصولَ إلى قمة الحكم، وأن تلك الجهود العلمية وراءها أهدافٌ سياسيةٌ، ولقد بذل مُرَوِّجُو تلك الاتهامات جهوداً أوصلتْ تلك الأوهام إلى السلطة، ساعدهم في ذلك انتقال محافظ محافظة البيضاء الشيخ صالح بن ناجي الرويشان رحمه اللّه؛ ولكنها سَرعانَ ما تَبَدَّدَتْ تلك الأوهامُ وتجلَّتِ الحقيقةُ واضحةً للعِيان كوضوح الشمس في رابعة النهار كما سيأتي ذلك مفصلاً، بينما كان رحمه الله يتجنب ويبتعد عن المناصب والشهرة، ويخاف كل الخوف على نفسه من العجب والظهور، ويرى أن على طالب العلم الهروب من الولاية والاشتغال بتعليم الناس ما أوجب اللّه عليهم، وكثيراً ما

وعدن، ومنهم السيد أحمد بن أبي بكر فدعق صديق الوالد مكث بالحديدة فترة وانتقل في هذه الآونة إلى عدن ، كثير العبادة والتردد على بيوت الله ولازال بخير تحفه عناية، ومنهم القائم بمقام آل فدعق في مكة وجدة الأخ السالك والأديب الأريب عبدالله بن محمد بن حسن فدعق حفظه اللّه وبارك فيه .

يُردِّد الحديث: «أَفْلَحْتَ يا قَدِيمُ إنْ مِتَّ ولـم تَكُـنْ أميراً ولا كاتباً ولا عَرِيفاً» رواه أبوداود .

أقول: وقد عُرِضَ عليَّ منصبٌ كبيرٌ في الدولة، فعلَّقتُ الأمرَ على رضى سيدي الوالد رحمه اللّه، فقال لي: ما لِهذا رَبَّيْتُك ونَشَّأْتُك[1] !

---

(١) وفي مرة أخرى اجتمعَ بعضُ أعيانِ المحافظةِ واتصلوا بالوالد رحمه اللّه لِغَرَضِ تَرْشِيحِ الحقير سامحه اللّه في مجلس الشعب، فرَدَّ عليهم برسالةٍ قال فيها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الشيخ الفاضل سالم عبدالقوي الحميقاني والسلطان الفاضل علي بن أحمد بن صالح الرصاص وسائر إخواننا والمشايخ والأعيان بارك اللّه فيهم وأصلح اللّه لنا ولهم كل شان، أُشعرنا بأنكم طلبتم من الولد حسين محمد الهدار الوصول للترشيح في مجلس الشعب وأكدتم عليه مراراً، فنشكركم على ذلك وعلى اهتمامكم بأمور المسلمين، فقد قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «مَن لم يَهْتم بأمرِ المسلمين فليس منهم» ؛ ولكن العذرَ واضحٌ كالشمس في رابعة النهار، فهو مشغولٌ في خدمتنا، ونائبٌ في الإفتاء والإرشاد، وفي الدعوة إلى اللّه والخروج إلى القرى والبوادي، ومحاربة الأفكار المستوردة، وتوجيه الجمهور إلى واجبات الدين والوطن، وطاعة اللّه ورسوله وأولي الأمر، وليس معنا من ينوب عنه، فألزمناه القيام بهذه المهمات، ونسأل اللّه أن يعينه، فهي حِمْلٌ باهِظٌ، وسوف يؤدي خدمةً ترضي اللّه وترضي رسوله وترضيكم، وعند الاحتياج إلى مثل هذا في أي جهة أو إلى فتوى أو إصلاح فهو أول من يلبي الدعوة إلى ذلك، وسوف تجدون منه كلَّ تعاونٍ وتناصحٍ وتواصٍ بالحق والصبر إن شاء اللّه، أما الترشيح فقد منعناه منعاً باتاً، والسبب ما شرحناه لكم، وفيكم وفي إخواننا المترشحين الكفاية، نسأل اللّه لنا ولكم ولهم الثبات والتوفيق، والحفظ من الفتن المظلمة، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

محمد عبداللّه الهدار

وكان يُحَذِّرُنا كُلَّ الحذر من الانتماءات السياسية، ويأمرنا بالاشتغال بنشر الدعوة، إذ إنها طريقة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم حينما عُرِضَ عليه المالُ والـمُلْكُ من قريش على أن يترك نشر الشريعة المطهرة، ويرى أن الطريقة المثلى في الدعوة هي دعوة العامة من الناس إلى التمسك بالدين، وتربية جيلٍ صالحٍ متمسكٍ بالتعاليم الإسلامية، ومن ثم سيفرز المجتمع إلى قمته الصلحاء ليأخذوا بمقاليد الحكم ويسيروا بالمجتمع على وفق تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وفي رفض رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم الملك والمال والجاه مقابل تركه الدعوة أكبرُ دليلٍ على ما ذكرناه، فبقاء الدعوة بعيدةً عن الاشتغال والاستشراف إلى الحكم هو الطريق الأمثل، وعلى الرغم من ذلك كلّه فقد حصلتْ كثيرٌ من الملابسات والدعايات المغرضة، مما جعل القيادة السياسية تتابع الأمر باهتمامٍ كبيرٍ وتطلب وصولَ الوالد إلى صنعاء .

بداية الرحلة

صدرتِ الأوامرُ من القيادة السياسية إلى قائدِ محافظة البيضاء العقيد علي بن عبداللّه العرار بضرورة إرسال الوالد عاجلاً، ومنع من يقف تجُاه هذه الأوامر، وتخوُّفاً من الاستعجال واستماع أقوال المغْرِضِين رفع الأهالي برقيةً إلى رئيس الجمهورية المشير عبداللّه السلال يوضِّحون ما يقوم به من توجيهٍ وإرشادٍ بعيداً عن السياسة وعمّا يُشِيعُه الوُشاةُ والمغرضون، إلا أن الرد أتى بما يلي:

البيضاء ٤٥ رئيس الجمهورية

أهالي البيضاء

بشأن ما قد توجه إليكم ليس مرادنا غير صلاح الأمور واستقرار الأحوال،

وستظهر الحقائق، ويظهر المحق من المبطل والـمخطئ والمسيء .

١٧/القعدة/١٣٨٢ هـ
رئيس الجمهورية عبدالله السلال

كما عَلـم النقيبُ صالح بن ناجي الرويشان بما يجري، فاتجّه وقابل رئيس الجمهورية وأعطاهُ صورةً واضحةً عن أدوار الوالد التعليمية، وأن كلَّ ما يقوله المغرضون ليس لـه أساسٌ من الصحة، وذلك حينما كان محافظاً في محافظة إبٍّ .

فاتجّه الوالد رحمه الله إلى صنعاء والقلوب تخفق والشكوك تراود الكثير من الأهـالي خوفاً من أن تُسمع سعاية الوُشاة، فبات تلك الليلـة في عـزة، وفي صبـاح ذلـك اليـوم وَدَّعنا ومعنا كثيرٌ من الأهالي، وحينما ودعتُه أجهشـتُ بالبكـاء وأنـا في سـن العاشـرة تقريباً فتألـم لذلك، وليتني ملكتُ مَدامعي وحبستُها عن نَظَرِه، فقد أحسستُ ببشريته وإذا بالتأثُّر يبدو عليه، بينما لـم أرَ مَن هو أَصْلَبُ منه في مثل هذه المواقف .

اتجّه رحمه الله والألسن تلهجُ بالدعاء، والدموع تَـتَرَقْرَقُ في المـآقي، وعلـى الخـدود رجاء أَنْ يعيده الله سالـماً غانماً، وقد صحبه في رحلتِه هــذه السيد العلامـة أحمـد بـن علي الكبسي[١] والعم صالح بن عبدالله الهـدار والعـم أحمـد بـن عبداللـه الهـدار والأخ

(١) هو العلامة الكبير، أحمد بن علي الكبسي، مولده في خولان وبها نشأ وترعـرع، وأخـذ عـن والده العابد العالـم الزاهد، والذي تخرج على يـده كثـير مـن العلـماء، مـن أبرزهـم الشيخ صالح بن ناجي الرويشان، وقد انتقل إلى البيضاء وبها استـمر إماماً وخطيباً للجـامع الكبـير، متردداً على الرباط، محافظاً على دروس ومحاضرات الوالد، مع صلاح ونسك وعبادة، وحـين توليه عاملاً في الطفه اختاره الله شهيداً عام ١٣٩٢ هـ، على أيدي المخربين في الشعبه، وبعد

علي بن محمد شميلة، بينما أتى من يحذِّرُ الأخيرَ من مرافقة الوالد خوفاً علـى حياتـه إلا أنه وقف ولـم يبالِ جزاه اللّه خيراً، واستـمرت الرحلـةُ أياماً وقـد استأجروا سيارة «لاندروفر» يملكها الخضر القيسي، وكانت الرحلة شاقةً إلى الغاية حتى وصلوا صنعـاء بحمداللّه .

وفي ذلك الوقت قال قصيدة شعرية حمينية طالما رددها في مجالسه وهي:

يـاسميع الدعـــاء ياشــارحاً للصــدور
ياميسِّــر بلطفــه كــل أمــر عســير
ياعليمـاً بمــايبدو ومــافي الضمــير
فــارج الهــم بــدِّل غمنــا بالســرور
مالنـا غـير مولانـا اللطيـف الخبـير
القريـب المجيـب المسـتعان الغفــور
يارحيمــاً بنــا في ذه ويــوم النشــور
نجنـا مـن ذنـوبٍ قاصمـات الظهــور
واغفـر الذنـب للأحيـاء ومـن في القبـور
واصلح القلـب تصلـح بـه جميع الأمـور
واصرف الشَّـر يـارحمن وأهـل الشـرور
وأهلك أهـل الفسـاد أعـداء طـه البشـير
صـب يااللّـه عليهـم سـوط مقـتٍ مريـر
أينمـا يممـوا ليـس لهـم مـن نصـير
رد يااللّـه عليهــم كيدهــم في النحــور

سنة هجم المحافظ ناجي بن صالح الرويشان على الشعبة وأخرجه من المكان الذي دفـن فيـه، فوجده كما هو لـم يتغير فيه شيء، ونقل جثمانه إلى مقبرة الشهداء بصنعاء .

وامكر امكر بهم مكـرك بـاهل الفجـور
في عجـل في عجـل أخـذ العزيـز القديـر
فـانَّهم قـد تعـدَّوا كـل حـدٍ وطـور
حـاربوا للشـريعة والكتـاب والـمنير
واستهانوا ببطشـك والحسـاب العسـير
في بطـر في ريـاء في غفلـةٍ في غـرور
وانصر الدِّين وأهلـه أنـت أحسـن نصير
وامحق البغي وأهله واشف مافي الصـدور
واذهب الغيـظ يمسـي كـل طـرف قرير
بالكتـاب المـنَّزل بـالصحف بـالزبور
بـالنبي المصطفـى بالأنبيـاء البـدور
بالـملآئك بجـبريل المبيـد المبـير
بـاهل بـدرٍ بأصحـاب النـبي الطهـور
باهل بيت النـبي مـن كـل ليـثٍ هصـور
الحمـاة الكمـاة مـن مثـل علـوي الغيـور
بـاهل ودِّك وحبـك في جميـع العصـور
منـذ خلقـك إلى يـوم اللقـاء والنشـور
صـل ياالّلـه وسلـم في جميـع الدهـور
كـل لحظـة عليهـم عـدّ ضعـف الأجـور
واصلح أصلح بهـم ياالّله جميع الأمـور
وأبـدل الحـزن ياالّلـه بـالفرح والحبـور
وأعطنـا مثـل مـا أعطيتهـم مـن خيـور
مـع كـل القرابـة كهلهـم والصغـير

والـمحبين حتى يـوم بعـث القبـور
واسـتجبنا ووفقنـا لحسـن المصـير
والصـلاة على المختـار بـدر البـدور
الشـفيع المشـفع السـراج المنـير
وآلـه والصحابـة في المسـاء والبكـور
ماريـاح الصبـا هبّـت بنصـر النصـير

دَعْمُ الثّورَةَ المشرف

عند قيام ثورة ٢٦ سبتمبر المجيدة كان صاحب الترجمة في مقدمة مؤيديها والداعين إلى نصرتها، لـما عاناه أيامَ الحكم البائد من عرقلةٍ لـمشاريعه الخيرية، ولـما أَعْلَنَتْهُ الثورةُ المجيدةُ من مبادِئَ خالدةٍ، وفي مقدمتها الحكم الشُّورَوِيّ المستـمدةُ تعاليمُه من كتاب اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، يُعرف ذلك من برقيته المطولة التي بعث بها إلى فخامة رئيس الجمهوريـة المشير عبداللّه السلال، إلا أن بعض العناصر الفاسدة في مجتمع البيضاء نظراً لتربيتهم الاستعمارية وكثرة بقائهم خارج الوطن من أذناب الاستعمار البريطاني والـمعسكر الشرقي أرادوا أن ينتقموا من الشخصيات العلمية وفي مقدمتهم المترجم له، فنسجوا أوهاماً غريبةً من أن الرجل يسعى إلى الأخذ بزمام الحكم وأنه يريد أن يُنَصِّبَ نفسَه أميراً للـمؤمنين، حاولوا بذلك إغراء رجال الثورة به إلا أن تيقظ رجال الثورة المجيدة أفشل مخطط هذه العناصر الفاسدة، وقد تم إفشال مخططهم بمساعدة أبي الأحرار الشهيد محمد بن محمود الزبيري والقاضي عبدالرحمن الإرياني والفريق حسن العمري والقاضي العلامة محمد بن إسماعيل

الحجي[1] والنقيب صالح بن ناجي الرويشان، وقد تم الترتيب للمترجم له للمقابلة مع رئيس الجمهورية بعد أن تم استدعاؤه من البيضاء إلى صنعاء .

---

(١) هو العلامة الحجة القاضي محمد بن إسماعيل بن يوسف الحِجي، عالم اليمن ومرجع العلماء بها ولد في مدينة ذمار عام ١٣٤٧ هـ في بيئة علمية صالحة ومن أسرة عرفت بالفضل والعلم والسؤدد، سكنت ذمار منذ القرن الحادي عشر الهجري وبها نشأ وترعرع وأخذ عن علمائها وبالذات عن والده العلامة العابد الناسك الورع القاضي إسماعيل بن يوسف الحجي المعروف بصلاحه وعلمه ، فقد كان كثير العبادة ومرجع ومقْنع في حل القضايا، ترجم له كثير من العلماء منهم العلامة السماوي فقال عنه: «القاضي العلامة الكاتب الشاعر الثِّبتُ في أحكامه وأعماله» كما تكلم عنه كثير من المؤرخين وأنه فيصل في أحكامه وفتاويه وأنها توكل إليه قسمة التركات المستعصية في ذمار وخارجها، توفي رحمه اللّه في ذمار عام ١٣٧٩هـ ورثاه كثير من الشعراء . وعلى رأسهم القاضي عبدالرحمن بن محمد الإرياني رئيس المجلس الجمهوري بقصيدة مطلعها:

نبأ أسال الدمع من أجفاني فجرى غزيراً وهو أحمر قاني

وفيها يقول:

قد كنت لا تلقاه إلا راكعاً أو ساجداً أو تالي القرآن

كما رثاه السيد العلامة حمود الوشلي رئيس الديوان الملكي للإمام أحمد بقصيدة مطلعها:

صبراً جميلاً ياأخا العرفان فالصبر عمدة كل ذي إيمان

ونعود إلى المترجم له فنقول: وقد منحه اللّه من الفطنة والذكاء ما جعله يتقدم على أقرانه، ففي ١٣٧١ هـ انتقل إلى العاصمة تعز وتعين كاتباً في الديوان الملكي وواصل دراسته عند كثير من العلماء من أعضاء الديوان الملكي وغيرهم، وفي سنة١٣٧٥ هـ تعين عضواً في الديوان الملكي، وفي سنة ١٣٧٨ هـ تعين عضواً في الهيئة القضائية العليا والتي تعتبر حينها أعلى سلطة قضائية، وكان خلال تلك الفترة وما بعدها يتولى قسمة التركات المستعصية والتي تشتمل على كثير من مسائل

وتمت المقابلة بمساعي الكثير من أهل الفضل ، وكان بمعيته الشيخ سالم بن حسين الرماح والذي قام بدورٍ كبيرٍ في تبديد تلك الوشايات الكاذبة، ووقف موقفاً يليق بمكانته ليمنع كل معارضٍ ومعاندٍ، وغيره من الشخصيات الوطنية، فأصدر فخامة رئيس الجمهورية أمراً باستمراره لنشر العلم في البيضاء ومنع مشاغلته وأَذِيَّتِه، فبينما كانت العناصر الفاسدة تنتظر إصدار أمر بإعدامه إذا بها تفاجأُ بإصدار أمرٍ بمنعهم من الوقوف أمامه في نشر التوجيه والإرشاد، ورَدَّ اللّه كيدهم في نحورهم، وبمحض الصدفة وَجَدَ صاحبُ الترجمةِ بعد خروجه من مقابلة رئيس الجمهورية مجموعةً من صُنّاع تلك الوشايات، فاجتمع بهم وتسامحَ معهم، نسأل اللّه أن يغفر للجميع .

العول والمناسخات في كثير من المناطق اليمنية،تولى عدة مناصب فكان رئيساً للاستئناف ووزيرا للعدل ووزيراً للتربية والتعليم ومحافظاً لمحافظة إب ومحافظاً لمحافظة ذمار ورئيساً للمحكمة العليا ونائباً لرئيس الجمهورية في مجلس القضاء الأعلى ورئيساً للجنة تقنين أحكام الشريعة الإسلامية ورئيساً لجمعية علماء اليمن، ووزيراً للإدارة المحلية ورئيساً للجنة الدستور الدائم، وقد أوجد قانون المعاملات الشرعية طبقاً للكتاب والسنة المسمى « القانون المدني » ، وقد قام بإخراج كثير من الكتب العلمية فتم طبعها على يده وبإشرافه وهو مع ذلك جم التواضع لين العريكة دمث الأخلاق مع علم وافر وعقل راجح، وقد كان في كل منصب يقوم به مثالاً للأمانة والفضيلة والصدق والنزاهة ، كما أنه معنا معاشر طلاب العلم المرشد والموجِّه والمرجع يتلمس مشاكلنا ويتفقد أحوالنا بغاية من الاهتمام على الرغم من كثرة القضايا المتعلقة به جزاه اللّه عنا خيرا ومد في عمره في خير وعلى خير وجعل الخير باقياً فيه وفي عقبه وإيانا إلى يوم الدين آمين .

العودة بسلام

وتـم الخروج من صنعاء بعد أخذ بعض الأوامر منها، ومنها إلى ذَمـار فـرَداع، وإذا بمدينة البيضاء تزدحم بالـمواطنين الواصلين من كل حـدب وصـوب لاستقبال الوالـد رحمه اللّه، وخَرَجَتِ المدينةُ عن بَكْرَةِ أبيها إلى مشارف عَزَّة، وتقدمتُ ومعـي آخـرون إلى الطريق، وفي أثنائه إذا بالسـيارة قـد أقبلـتْ، ولا أسـتطيع أن أَصِـفَ مـدى فرحـتي حينما رأيتُ محياه، وحينما رآني رحمه اللّه توقفتِ السيارةُ وفتح لي بابها وأخذنـي إلى صدره ونَظَرَ إليَّ بحنانٍ لـم أعهدْه من قبلُ، وطالت النظرةُ إلى وجهي وكأنه يقـول لي: ها أنا عُدْتُ إليكم معافىً بعد أن كفانا اللّه شرَّ المعتدين والـمؤذين، وامتزجتْ دمـوع الفرح، وهطلت على المحاجر بعد اختناق العَـبَرات وتَصَاعُدِ الزَّفَـرات، ولسـانُ الحـال ينادي من أعماق الضمير: لـماذا كلُّ هذا ؟! وما ذلك الذنبُ الذي جَنَيناه ؟! فـالحمد للّه، وإنا للّه وإنا إليه راجعون .

واتجه موكـب الاستقبال بعد أن أُجـبر الوالـد علـى الـنزول مـن السيارة، واستـمر الاستقبال إلى الرباط، وأُطلقتِ العياراتُ النارية، وكـان يومـاً مشـهوداً لـم يسـبق لـه نظير، ووصل بحمدللّه ومن معه آيبين تائبين لربهم حامدون، وكان في مقدمة مستقبليه قبيلة آل النقيب، وعلى رأسهم الشيخ فضل بـن أحمـد النقيـب [1] ، وقـد عـاد الوالـد رحمه اللّه إلى الرباط بنشاطٍ أكثرَ وهمـةٍ أعلـى، واستـمرَّ في وعظـه وإرشـاده ونشـره

---

(١) فضل بن أحمد النقيب، من أعلام وأعيان مدينة البيضاء ولـد بهـا مـن أسـرة معروفـة بـالكرم والشجاعة، تربطه بسيدي الوالد صلة ومودة قديمة، وقد تولى عدة مناصب في الدولـة كـان آخرها وكيلاً لـمحافظة البيضاء، ثـم اختاره اللّه شهيداً عام ١٣٨٨ هـ، بعد أن أمضى عمراً مليئاً بالـمواقف الطيبة والشريفة وبالذات في إصـلاح ذات البـين والصـدع بكلـمة الحق في كثير من المواقف، رحمه اللّه رحمة الأبرار وجعل الخير باقياً فيه وفي عقبه وإيانا إلى يوم الدين.

للتعاليم الإسلامية وتخريجه للطلاب الوافدين عليه من كل مكان، أما الوُشاة فقد ظهروا على الساحة وعَرَفَهُمْ فرداً فرداً؛ إلا أنه سامَحَهم ودعالهم دعواتٍ عظيمةً بالهداية والتوفيق والصلاح والفلاح، ويعتبر أن كل ما حصل له من أتعاب ومشاق ما هو إلا بسبب التقصير نحو الواجبات التي أوجبها اللّه عليه، وبسبب ذنوبٍ ارتكبها، بينما يشهد له كلٌّ من عاشره بأنه من أطهر الناس عِرضاً، ومن أَعَفِّ الناس نَفْساً، ومن أتقاهم للّه سبحانه وتعالى؛ ولكنه الاعتراف والانكسار أمام ربِّ الأرباب ومسبب الأسباب، وفي كل ليلة قبل أن ينام يسامح كل من ظلمه أو آذاه، بل وفي وصيته قال لأولاده: وإياكم والمبيتَ وفي قلب أحدكم أدنى غِشٍّ على مسلم، أو ما هو ما معناه .

وقد استغلَّ الوشاةُ ظرفاً من أَحْلَكِ الظروف مع بداية الثورة، والقيادة السياسية حينها تعاني من أمورٍ شتى لعل أهمها محاربةُ الملَكِيَّة، والتي سيطرتْ على بعضٍ من أجزاء اليمن، ومن المعلوم أن البيضاء وقبائلها هَبَّتْ على هيئةِ رَجُلٍ واحدٍ يدعمون النظام الجمهوري، ويقفونَ في مُقَدِّمَةِ صُفُوفِه، ودعايةٌ مُغْرِضَةٌ كهذه سوف يكون لها صداها، وبالذات في ذلك الوقت الذي لم تُرْسَ فيه قواعد الجمهورية بعد .

ولقد شاءت قدرةُ اللّه أن تُضَيِّعَ ذلك المكر، وأن تَذْهَبَ به أدراجَ الرياح، إذ أن مكرَ أولئك حينَها بَلَغَ ذُرْوَتَه ووصل إلى قمة القيادة السياسية، وقد كان الخطر محدقاً بالوالد رحمه اللّه وبعشرةِ رجالٍ من حوله لم يكن لهم علم بالسياسة ولا بالحكم، بل لم يكن لهم في هذا المجال ناقةٌ ولا جملٌ، وظهر للقيادة السياسية أن كل تلك الأقاويل والادعاءات ما هي إلا هُراءٌ ليس له من الحقيقة أدنى نصيب، وأن الدافع له الحقد والحسد، فأمروا بتشجيع الوالد رحمه اللّه في نشاطه ومنعوا من أذيته، وصدق اللّه القائل: ﴿ولا يَحِيقُ المكْرُ السَّيِّءُ إلا بأَهْلِه﴾، واستمر فضيلته ينشر التعاليم الإسلامية

ويخرِّج الطلابَ تلو الطلاب أفواجاً حتى يومنا هـذا، فللّه الحمـد والشكر على كل حال .

وإذا كان لنا هنا من شكرٍ نسجِّله ودعاء نبتهل بـه إلى اللّه سبحانه وتعالى في أن يجزيَ كُلَّ مَن وقف في وجه تلك المؤامرة - إذ لا نملك إلا الدعاء لهم - فنقول: اللّهم اجْزِهِمْ عن الوالد وعنا نحن معاشر طلاب الفقيد وأولاده وأسرته أفضل الجزاء، وتَولَّ مَثُوبَتَهم وأَحْسِنْ عاقبتهم في الأمور كلها وإيانا آمين . ونَخُصُّ بالشكر والدعاء الفريقَ حسن العمري، وفضيلة القاضي العلامة محمد بـن محمـود الزبيري، والقـاضي العلامـة محمد بن إسماعيل الحجي، والنقيب صالح بن ناجي الرويشـان، والسـلطان حسـين بـن أحمد الرَّصَّاص[1] ، والعقيد علي بن عبداللّه العرار، والشيخ سالـم بن حسين الرمـاح،

---

(١) هو السلطان حسين بن أحمد بن حسين بن أحمد بن حسين بن منصّر بـن حسـين بـن نـاصر الرصاص، ولد في منطقة «مسورة» وبها نشأ وترعـرع، وكـان لـمجالسته لأخيـه السـلطان صالح بن أحمد الرصاص أثرٌ كبيرٌ في صقـل مواهبـه وحنكتـه، وبعـد وفـاة أخيـه تـولى زمـام الأمور، وفي عام ١٣٤٢ هـ قام باستقدام الجيش الإمامي إلى البيضاء بقيادة عبداللّه بن أحمد الوزير بعد اتفاق مبرم مع الإمام يحيى حميد الدين ملـك المملكـة المتوكلية اليمنيـة، وفي سـنة ١٣٧١ هـ اعتقله الإمام أحمـد وهـو في أثنـاء رحلتـه لأداء مناسـك الحـج هـو وأولاده أحمد والرصاص ومحمد بن سعيد الرقابي وأحمد البلالي، واستمر إلى قيـام الثـورة عـام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) حيث أفرج عنه، وعُيِّنَ محافظاً لـمحافظة البيضاء ثـم انتقل إلى «مسورة» ضاربـاً عن الدنيا ملازماً للعبادة حتى توفاه اللّه عام ١٤٠٧ هـ وعمره قد ناهز المئة عام، وقد خلفـه ولده الشيخ الرصاص بن حسين الرصاص . وله ذرية صالحة وهـم أحمد وصـالح والرصـاص ومحمد وناصر وأبوبكر وعلـي وعلـوي وعبدالقـادر وقاسـم وعبداللّـه وعبدالكريـم ومنصـر، ومنهم صالح بن حسين ذلك المجاهد الكبير، والرجل الفذ الذي سجل تاريخاً لن ينسى حينمـا هجم عليه إلى مسورة كثير من البغاة وحاملي المبادئ الإلحادية ولكنه انبرى لهـم وبـرز بـروز الرجال فقتل رؤوسهم وعاد الباقون هـاربين لا يلـوون علـى شـيء، فمـا كـان منهـم إلا أن

وكذلك الموظفين من مدنيين وعسكريين المحررة أسماؤهم في وثيقتهم المرفوعة إلى القاضي محمد بن محمود الزبيري، وغيرهم ممن لم نذكر أسماءهم، وهم كثيرٌ، ونقول لهم إن الله قال : ﴿إنّا لا نضيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عملاً﴾، وهذا نص الوثيقة الآنفة الذكر:

هجموا عليه بالدبابة وحطموا المسكن الذي تدرع فيه واستشهد ومعه في المسكن أخوه محمد وعبدالله وآخرون وذلك في عام ١٣٨٨ هـ.

ومن آل الرصاص، الرصاص بن أحمد بن صالح وعلي بن أحمد بن صالح محافظ محافظة شبوة، وقبيلة آل الرصاص متفرقون في مسورة ومرخة والبيضاء وشبثان وذي خير وزهراء ودقي والخوير .

وذكر الحَجْرِي في كتابه «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» أن آل الرصاص من بيوت العلم في اليمن، وينتسبون إلى الرصاص بن حارث بن عبدالرحمن بن زياد ابن أبي حامد من جهينة بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة كما في «مشجر أبي علامة»، وبنو الرصاص من مشايخ بلاد البيضاء.

ومن أعلامهم السلطانُ أحمد بن علي الرصاص الذي كان على خلاف مع المتوكل على الله إسماعيل، وابنُه السلطان حسين بن أحمد الرصاص الذي قتل في شعب الدقيق أثناء المعركة بينه وبين الإمام المهدي أحمد بن الحسن، ومن العلماء من آل الرصاص الحسن بن محمد بن الحسن بن أبي بكر الرصاص، له «الانتصار لمذهب العترة الأطهار» في علم الكلام ضمن مجموعة لدار الكتب المصرية، وفي مكتبة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي بالغرفة بحضرموت نسخةٌ من كتاب «مصباح الظلمات في شرح معاني المؤثرات» للعلامة علي بن محمد بن أحمد البكري في علم الإلهيات شرح لكتاب «المؤثرات» للشيخ حسن بن محمد الرصاص المتوفّى عام ٥٨١ هـ، انظر «فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت» لعبداللاه الحبشي .

معالي عضو مجلس الرئاسة القاضي محمد محمود الزبيري..

حياكم الله..

كلمةُ حَقٍّ نرفعها إلى شخصكم بشأن السيد محمد الهدار الذي توجه إليكم بعد أن قام بعض المنافقين بالوشاية ضده، والبيضاء وأهلها ومن فيها من الجيش وغيره يعرفون سيرة السيد المذكور وإخلاصه وتخليه عن الدنيا، وإرادة المنافقين تحطيمه لا لشيء، إنما المذكور يواصل تدريس العلم بعِفّة وإخلاص لوجه الله تعالى، وهذه شهادتنا نرفعها إليكم، وأنتم المسؤولون أمام الله في ملاحظة السيد المذكور، وقد سبق من المنافقين مشاغلةُ المذكور عدة مرات، والله يقول الحق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المقدمين

آمر ش ٣	ملازم	آمر ش ١
مرشد طواف	راجح المعمري	صالح غليس
كاتب الجيش	ملازم	آمر المدفعية
محمد عبدالله لقمان	محمد الضوراني	قائد حمود العواري

وكافة الجيش من شوش وعرايف وجنود

نص الرسالة المقدمة من الوالد محمد الهدار للقيادة السياسية:

فخامة رئيس الجمهورية المشير عبدالله السلال حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

في أبرك الأوقات تلقيت خطابا لاسلكيا من فخامتكم عن طريق القيادة بطلب الوصول لحاجة المعارف إليّ، ولولا أن الشيخ وغيره من خواصكم المخلصين يأمرونا

بالتأني لكان وصولنا فور الثورة لاستمداد إعانة نافعة لرفع مستوى المعهد العلمي الذي أنفقنا عليه ما نملكه، ولا يزال في أدوار التأسيس بعد أن فشلنا في محاولة الإعانة من حكام العهد البائد، يعلم ذلك الخاص والعام .

والهدف الوحيد للمعهد نشر التعاليم الإسلامية ومكافحة الجهالة، ومضادة المدارس الاستعمارية التي انتشرت في الجنوب، وهو عملٌ يرضي كلَّ من في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من إيمان. أما المنافقون والكافرون فلن يَرْضَوا أبداً، مع العلم أن القرآن صالحٌ لكل زمان ومكان، وأنَّ ناصرَ الدين منصورٌ وخاذله مخذول .

نعم أما وصولنا إلى صنعاء للاستمداد والاستنجاد بكم فهذا ضروري، وقد آن أوانه، وأما وصولنا لغير ذلك فنحن أول المسارعين للطاعة وامتثال الأمر؛ غير أن خدمتنا في المعهد بعد لَفْتِ نظركم إلينا ستكون أنفع بكثير من خدمتنا في أي جهة أخرى، على أنّا -واللّه شهيد- غيرُ أكفاءٍ لأيِّ وظيفةٍ غيرَ ما نحن بصدده، والجهات كلُّها بالنظر إليكم واحدة، ونهجكم إصلاحها جميعا .

ثم إنه يوجد رهطُ فسادٍ ودعاةُ تَفرْقَةٍ وإلحادٍ يريدون يطفئون نور اللّه بأفواههم ويأبى اللّه إلا أن يُتم نُورَه، ونخشى أن يتسرب تضليلهم وشعوذتهم وإفكهم إلى أسماعكم، والحق ليس عليه غبار، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يقول: لَسْتُ بِخِبٍّ ولا يخدعني الخِبُّ[1]، والمنافق خِبٌّ لئيمٌ، فنحن على ثقةٍ أن نظركم الثاقب سيدلُّكم على الصواب، وعند الإشكال فلديكم في البيضاء رجالٌ مخلصون لكم مَحَطُّ ثقتِكم، والمسؤولون عن كل حركة وسكون، وشهادتهم كافيةٌ.

---

(١) تقول: خَبَّ الرجلُ يَخِبُّ خِبّاً بالكسر وخَبّاً بالفتح: إذا كان غشاشاً خبيثاً.

ثم إن المعهد من أول خطوة أعلن تأييده وأظهر للملأ فوائد الشورى والحكم الجمهوري، وقد رأيتم من إخلاص أهل المشرق ما لم تروه من غيرهم، فإن جاز أن يبقى معكم إشكال فمن الميسور إرسال بعثةٍ تكشف قناع الحقيقة، أو استفتاء عامٍّ حتى يظهر لكم المفسد من المصلح .

وفي الأيام السابقة وصل إلينا مندوبٌ عن بعثة الأزهر، فالتقيناه بالحفاوة اللائقة وشاركناه في مهمته ووعد بأنه سيبلغكم ما يتطلبه المعهد . ثم عاد مرة أخرى بمرافقة آخر واتصل بهما بعض جلساء السوء حتى غَيَّرُوا لهجتَهم فكادوا يُثِيرُون الشر لولا لطف اللّه، والبلاد ساكنةٌ ولا تزال بحمداللّه ساكنة، وفيها من أعوانكم المخلصين كالسلطان والشيخ والعقيد وغيرهم كثير، ولا ينبئك مثل خبير .

ثم إن الكفيل لكم بالنجاح الباهر هو اعتصامكم بكتاب اللّه وقيامكم على المحاربين للّه، ومعاقبة كل من ترك فريضة، وتطبيق الأحكام الشرعية، فإن اللّه جل ذكره يقول: ﴿ومَن لم يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ اللّه فأولئكَ هُمُ الكافرون﴾، وحينئذ فالنصر حليفكم، ﴿إنْ تَنْصُرُوا اللّه يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أقدامَكُمْ﴾ .

محمد الهدار

وبحمد اللّه ظهرت الأمور جليةً وواضحة للعيان، وخيب اللّه مساعي كل الحاقدين. وفي فترة تعيين الشيخ ناجي بن صالح الرويشان[1] محافظاً لمحافظة البيضاء قام بالرفع إلى الجهات

---

(١) هو الشيخ المجاهد الشاب الناشئ في طاعة اللّه ناجي بن صالح الرويشان عَلم من أعلام اليمن منحه اللّه الحكمة والفراسة في سن مبكر يتمتع بروح الشباب وحكمة الشيوخ، ولد في البيضاء وبها نشأ وترعرع وكان لمجالسته لوالده الأثر الطيب في استقامته وصلاحه، ثم ذهب إلى مصر ضمن بعثة فدرس فيها فترة من الزمن ثم عاد إلى اليمن تولى عدة مناصب منها محافظ محافظة ذمار ومحافظ محافظة البيضاء، وقام بدور عظيم في تطهير المحافظة من

المسؤولة يحثهم على الاهتمام بالرباط، وهذا نص الوثيقة المرفوعة منه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الرقم: ١١٠

التاريخ: ١٠/٤/١٩٧٣م

دولة عضو المجلس الجمهوري ورئيس الوزراء المحترم

الأخ/ وزير الخزانة المحترم

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته..

وبعد..

بموجب الطلب من وزارة الخزانة والأوليات الصادرة من رئاسة الوزراء بخصوص تقرير معاشات الطلبة الدارسين بالمعهد العلمي بمدينة البيضاء، مرفقٌ إليكم مع هذا كشفٌ لثلاثين طالباً من الطلاب القادمين من خارج اللواء للدراسة، وكشفٌ لعشرين طالباً من نفس اللواء، نظركم بتقرير معاشاتهم، فهم في أمس الحاجة لذلك، وقد قطع بعضهم مسافات شاسعة إلى لواء البيضاء من الجنوب، ومن لواء تعز سيراً على الأقدام من أجل طلب العلم، ويسرنا ويشرفنا أن يكون في مركز لواء البيضاء هذا المعهد العظيم القويم، الذي نعتبره مركز إشعاع وهداية للعلم والعرفان ومحاربة الأفكار المستوردة والمذاهب الهدامة، وأنا أُؤَكِّدَ لسيادتكم أن هذا المعهد بحاجة إلى عناية

المخربين واستمر على ذلك الحال مع شجاعة نادرة جعلته يتقدم في أول الصفوف للجيش حتى اختاره اللّه في ٤ ربيع أول ١٣٩٤ هـ شهيداً وذلك في طريق خولان صنعاء ، وكان آخر وداعي له اليوم الأول في صنعاء ولم أشعر بوفاته إلا في اليوم التالي في طريقي إلى البيضاء، فبكته الخلائق بدموع سحت لفراقه سحا، وأبّنه سيدي الوالد بكلمة أحرقت القلوب وذرفت منها العيون واستشهد وهو في ريعان شبابه لم يبلغ الأربعين عاما رحمه اللّه رحمة الأبرار وأسكنه برحمته دار القرار .

الدولـة وتشـجيعها، والأخـذ بـأيدي إدارة المعهـد، وعلـى رأس الجميـع فضيلـة السـيد العلامة محمد الهدار بن شيخ، وفقه اللّه تعالى وزاد في الرجال من أمثاله.

وتقبلوا سيادتكم خالص التحية والتقدير ..

محافظ لواء البيضاء

ناجي بن صالح الرويشان

وكان كثيراً ما يكلف وكيله السيد محمـد بـن عبداللّـه الوادعـي[1] بمتابعة شـؤون الرباط، وبالذات أثناء غيابه، فكان يتردد علينا ووجدنا منه كل تعاون ومودة وإخـاء، ولا ننسى التفقد الدائم والتوجيه المستمر من رئيس الوزراء القاضي عبداللّه بـن أحمد الحجري رحمه اللّه، ذلك الرجل الفـذ والـذي طالـما أكـد على المسؤولين بضـرورة مراعاة الرباط والحِفاظ عليه، وبالذات أيام نشاط المخربين، وقد كانت البيضاء حينها

---

(١) هو السيد محمد بن عبداللّه الوادعي، مـن مواليـد البيضـاء وبهـا نشـأ وترعـرع واستفاد مـن مجالسة والده، فهو ذوحس مرهف، وأدب غزير، ووالده هو السـيد عبداللّـه محسـن الوادعـي المتوفى ١٣٧٥ هـ المقدم في الجيش المتوكلي والذي دخل البيضاء عام ١٣٤٢ هـ، وقد كـان قائداً في حصن العلـم والحجرية مـن أرض العـواذل، ثـم عُين عـاملاً لـمسورة فالصومعـة، وكان ولده المترجم له نائباً عنه في عملـه ثـم عُـين وكيـلاً لـمحافظة البيضـاء، فكـان مثـالاً للنزاهة والعفة والصَّلاح، يتـمتع بروح إسلامية عالية، له كثير من المواقف الشـريفة وبـالذات أيام التخريب حينما كان وكيلاً للـمَحافظ ناجي بن صالح الرويشـان، واستـمر علـى ذلـك الحال حتى آخر أيامه حيث أصيب بداءٍ عضال أقعـده عـن مزاولـة عملـه، فاختـاره اللّـه إلى جواره عام ١٤١٩ هـ وهو في العقد السادس من عمره تقريبـاً، ودفـن بمدينـة البيضـاء بجـوار والده .

على الأطراف، بل وكانت في تلك الفترة مسرحاً لكثير من الحوادث الدموية.

كما كان لكثير من المسؤولين في المحافظة الأيادي البيضاء في التفقد على الرباط، وبالأخص العميد عبدالله دارس،واللواء محمد بن عبدالله بن صالح الأحمر والرائد يحيى حميد الخراشي والعقيد عيدروس القاضي والشيخ أحمد بن صالح دويد، والعميد أحمد إسماعيل والأستاذ محمد بن حسن دماج، وغيرهم كثير لا نستطيع استقصاءهم في هذا البحث، ومهما يكن فأعمالهم مسجلة بأقلام الحفظة الكاتبين جزاهم الله عنا خيراً آمين .



مِن مُدَرِّسِي الرِّبَاط

العلامة زَين بن إبراهيم بن سميط

هو العلامة الكبير والفقيه المحقِّق زيـن بـن إبراهيـم بـن سميـط، وُلـد في جـاوة سنة ١٣٦١ هـ حيث كان والده يقيم بها، أخذ مبادئ القراءة والكتابة في المدارس العربيـة بها، وتردَّد على كثيرٍ مـن العلـماء الحضـارم الذيـن استوطنوا تلـك البـلاد، وفي عـام ١٣٧٧ هـ غادَرَ جاوة قاصداً تريمَ الغَنّاء وأقام في مـنزل والـده، والتحـق بربـاط تريـم وأخذ عن العلامة الحسن بن عبداللّـه الشـاطري، وعـن العلامـة محمـد بـن سالـم بـن حفيظ، وعن الشيخ سالـم بكير باغيثان، وعن الشيخ محفوظ الزبيـدي، وعـن العلامـة سالـم بن علوي خرد، وعن الحبيب علوي بن شهاب الدين، وعـن العلامـة عمـر بـن علوي الكاف، وعن جمعٍ من شيوخ حضرموت .

ثـم بعد ثـمان سنوات من طلب العلـم طَلَبَ الوالد من الحبيب محمد بن سالـم بـن حفيظ مدرساً ليساعده في التدريس في الرباط، ووقع الاختيار على المترجم له فاتجه إلى عدن ونزل لدى العلامة سالـم بن عبداللّه الشاطري، ومن عدن اتجه إلى البيضـاء وقـد خرجنا لاستقباله إلى خارج البيضاء، ومنذ وصوله وهو يواصل الليـل بالنهـار ويـدرس الطلاب تلو الطلاب، وقد زوجه سيدي الوالد ابنته . وكان المترجم له خيرَ عون له في الرباط، فقد تفرغ الوالد بعد وصوله وقيامه بتدريـس الطـلاب تفـرَّغ للـدروس العامـة والوعظ والإرشاد ولحل كثيرٍ مـن مشـاكل الأهـالي بطريقـة الإصـلاح، وكـان كثير التنقل بـين القـرى للدعـوة إلى اللّـه، وبـالذات يومـي الخميـس والجمعـة، واستـمر في البيضاء نحواً من عشرين عاماً، وتخرج على يديه كثير مـن الطـلاب، وكـان لي شرف الأخذ عنه، كما عهد إليه الوالد النيابة عنه في الفتاوى الفقهية.

ثم انتقل إلى الحجاز واستقر في المدينة المنورة في رباط السيد عبدالرحمن الجفري، وقد تخرج عليه كثيرٌ من العلماء الأعلام، كما أنه كثير التردد على العلماء للازدياد من المعارف والعلوم، ولا زال قائماً فيه منذ اثنتي عشرة سنة، ومن أهم مؤلفاته «الأصول الخمسة لطريق بني علوي»، وهي العلم والعمل والإخلاص والخوف والورع، ويقع هذا الكتاب في مجلدين مخطوطين، و«الأجوبة الغالية في بيان منهج الفرقة الناجية» طبع، و«المفاهيم القرآنية» مخطوط، وآخر مثيله في الأحاديث النبوية لا زال مخطوطاً، ولازال بخير تحفه عناية اللّه .

وممن ساهم في التدريس والمراقبة في رباط الهدار الأخ محمد بن عبدالقادر العيدروس، الذي وصل من تريم بصحبة الأخ صالح بن عبدالرحمن العيدروس، ومكثا في الرباط فترة والتحقا ضمن طلابه .

الشيخ عبدالرب بن عبدالرب اليافعي

هو الشيخ العلامة الورع الزاهد عبدالرب بن عبدالرب بن علي اليافعي، ولد ونشأ في «مرفد» إحدى قرى منطقة يافع، أخذ مبادئ القراءة والكتابة بها، وتردد على مدينة البيضاء، وأخذ عن مفتي محافظة البيضاء الحبيب محمد بن عبداللّه الهدار سيدي الوالد كثيراً من العلوم، وكذا عن فضيلة الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط، وقام في بَلَدِهِ بفتح مدرسةٍ لتحفيظ القرآن الكريم، وتولى الخَطابَةَ بها، وكان مرجعاً للفتوى الشرعيةِ، ثم اضطُرَّ إلى مغادرة يافعٍ على إِثْرِ مضايقةٍ من أعضاء الحزب حين بداية تسلُّطِهِ على الجنوب، واستقرَّ في البيضاء وعُيِّنَ مدرِّساً للفقه والنحو في رباط الهدار للعلوم الشرعية، وكان وَرِعاً في فتواه مع فهمٍ ثاقبٍ للمسائل الفقهية، واستمر على

ذلك حتى وافاه الأجل المحتوم في أيام عيد الأضحى من عام ١٤١٧ هـ وهو في العِقد السادس من العمر تقريباً .

الشيخ أحمد بن علي عَرمان[1]

عالم كبيرٌ وخطيبٌ مِصْقَعٌ وُلِدَ في مدينة البيضاء وكُفَّ بَصَرُه في صِباه، وكان لذلك كبيرُ الأثَرِ في تَفَتُّحِ معارفه، وقد رحل إلى تريم، وقصدَ رباطها العظيم، واستمرَّ بها ثمانيَ سنواتٍ يَكْرِعُ من معينه، وتتلمذ على يد شيخ الإسلام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، ثم عاد وتولى إمامة مسجد الحسين بمدينة البيضاء، ثم عين خطيباً للجامع الكبير واستمر داعياً ومرشداً إلى أن توفاه الله سنة ١٣٩٥ هـ تقريباً ودفن بمدينة البيضاء.

---

(١) قبيلة آل عرمان، قبيلة كبرى في مدينة البيضاء وغيرها، ظهر فيهم علماء وصلحاء أجلاء وبالذات آل علي العبد، وفي « تاريخ ابن خلدون » ذكر نص الرسالة التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قبائل شبوة يعلمهم فيها شعائر الإسلام، ومن الأقيال المذكورين آل عرمان، وقد عرفتْ هذه القبيلة بالتفنن في العمارة والبناء، وممن ظهر منهم الشيخ عبدالنبي بن أحمد عرمان، وعبده بن أحمد عرمان والزاهد العابد محمد بن عمر عرمان وإخوانه حسين بن عمر عرمان وغيرهم .

الأستاذ صالح بن علي بن عبدالله

هوالأستاذ صالح علي عبدالله بن شيخ، من مواليد عزة من ضواحي البيضاء، شاب نشأ في طاعة الله، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة عزة للعلوم الشرعية، والتي أسسها الوالد رحمه الله، ثم رحل إلى السودان بصحبة أخيه الأكبر سالم بن علي بن عبدالله، وفي السوذان تلقى نصيباً وافراً من التعليم في المعاهد العلمية، ثم انتقل إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف، وتأثر بالداعية الكبير سيد قطب رحمه الله، ولهذا السبب أبعد من مصر وهو في السنة الثالثة من الجامعة، فوصل إلى اليمن واستقبله سيدي الوالد رحمه الله، وقام بتدريس مادة القرآن الكريم في الرباط فترة من الزمن، ثم عمل مديراً لمكتب التربية والتعليم بمحافظة البيضاء، ثم استأنف تعليمه الجامعي في صنعاء ، وعمل مديراً لمكتب الأوقاف والإرشاد بالمحافظة، واستمر مرشداً وخطيباً مصقعاً صادعاً بالحق، مع مَرَحٍ وصفاء سريرة حتى توفاه الله في يوم الاثنين ١٢ ربيع أول ١٤١٤ هـ وقد كانت بيني وبينه مودة وأخوة في الله، وتعاون في طريق الخير وقد تأثرت لوفاته تأثراً شديداً، فالحمدلله وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللّهم أجرنا في مصيبتنا واخلف علينا خير اً منها آمين(١).

---

(١) وقد قلت فيه قصيدة حمينية منها :

يا عالم السر والنجوى	داري بما قد نوى عبده
يا حي يا فرد يا والي	لا رب قبله ولابعده
الحمد له كلما البارق لمى	وما حن من رعده
والفين صلى على طه	شفيعنا ساعة الوقده
واله عدد ما قرا القاري	في سورة الروم والسجده
قال الفتى بو علي نومي	في مقلتي زيد الشرده

من القائمين بعمارة الرباط

حسين بن أحمد بن سعيد عرمان

هو الشيخ العابد الزاهد الناسك حسين بن أحمد بن سعيد عرمان من أهالي مدينة البيضاء، كان يشتغل في نهاره بالبناء، وفي ليله يلازم العلماء، ويقرأ عليهم كثيراً من الكتب في الحديث والفقه، وقد لازم القاضي عبداللاه بن عمر الهيثمي[1] رحمهم اللّه، وبعد وفاة شيخه المذكور أُسْنِدَتْ إليه الإمامة بجامع المنشور، فقام به خير قيام وكان يتحرى العمل القريب من الجامع المذكور حتى لا تتعطل مواقيت الصلاة والدروس

لاذا غثا بي ولا باطل	ولا على دين جاء وعده
إن كان ضاقت علي احوالي	كم جر نهده قفا نهده
على حليف التقى صالح	ذي يعجبك ساعة الحفده
من فرقته زادت احزاني	والدمع مايحتصي عده
ولكن الأمر للخالق	سبحانه الأمر له وحده
والفين صلي على طه	شفيعنا ساعة الوقده

(١) هو الشيخ العلامة الأجل عبداللّه بن عمر بن حسين الهيثمي، ولد في مدينة البيضاء ثم رحل إلى تريم حضرموت، وانتظمَ ضمن طلاب رباط تريم، ومنه عاد إلى البيضاء، ولم ترتوِ نهمةُ العلم لدى شيخنا المذكور فاتجه صوب مصرَ وقصد الأزهر الشريف ومكث يطلب العلم فترةً من الزمن، ثم عاد إلى البيضاء ليقوم بالدعوة إلى اللّه وينشر التعاليم الإسلامية وقد قام بإمامة مسجد المنشور بمدينة البيضاء، وقام بإبرام العقود الشرعية والمعاملات بين المواطنين، واستمر على ذلك الحال من صلاحٍ ونُسُكٍ وعبادةٍ حتى فاجأه الأجل المحتوم، وتوفي بمدينة البيضاء ودفن بها عام ١٤٠١ هـ، وله بها ذريةٌ صالحةٌ إن شاء اللّه، وقد توفي وهو في العقد التاسع من عمره تقريباً .

فيه، ومما يُتعجب له القيامُ بعمله الشاقِّ مع تهجُّده وقيامه آخر الليل واعتكافه إلى بعد طلوع الشمس، والذي لم يُعْـرَفِ التأخُّرُ عنه خلالَ فترة قيامه بالجامع المذكور، واستمرَّ على ذلك حتى وافاه الأجل المحتوم ليلة السادس والعشرين من رجب ١٤٠٥هـ وهو في العقد السادس من عمره تقريباً.

عمارةُ رباطِ الهَدّار للعُلومِ الشَّرْعِيَّة

أُنْشيء رباطُ الهدار للعلوم الشرعية سنة ١٣٨٠ هـ تحت إشراف ومتابعة فضيلة الوالد العلامة محمد بن عبدالله الهدار مفتي محافظة البيضاء، وقد بدأ بصورة مصغرة حيث اقتصر على قاعة للدروس وعدة غرف للطلاب ومكتبة ومسجد للرجال .

ثم بعون الله وتوفيقه توسعت العمارة لكي تشمل عدة مرافق من أهمها بناء مكتبة كبرى حَوَتْ أُمَّهاتِ الكتب الدينية والعربية، والتي تعتبر مرجعاً للمسائل الفقهية، فيَتم استقبالُ الفتاوى اليومية، والتي يقف كثير من المتنازعين على الجواب الشرعي الصادر عن الرباط المذكور .

كما توسعت العمارة لتشتمل على قسم داخلي لسكن الطلاب ومسجد خاص للنساء، ومعهد للبنين يشتمل على المراحل الثلاث ومعهد للفتيات كذلك، وقد ساهم في عمارة ذلك الشيخ أحمد بن عبدالله بن عبدحسين العاقل [1] .

---

(١) أحمد بن عبدالله بن عبدحسين العاقل، من مواليد البيضاء، وبها نشأ وترعرع، وأخذ قسطاً من التعليم ثم انتقل إلى الحبشة واستقر لدى بعض أفراد أسرته النازحين هناك، فلم تناسبه المنطقة فعاد إلى عدن وبدأ بها عمله التجاري من البداية . وقد منحه الله من الذكاء والفطنة مما جعل صيته يذيع ويظهر جلياً في عالم التجارة، وبذلك كان عصامي وقته ، ولم تمض

محتويات الرباط

مكتبة الرباط: تشتمل على أهمِّ المصادر الإسلامية والعربية والكتب الفقهية التي تدرس فيها الحلقات العلمية، وكذا مراجعَ لمعالجة كثيرٍ من المسائل الفقهية والتي يرجع إليها كثير من أهالي المحافظة، وتشتمل هذه المكتبة على كثير من المناهج التي تدرس في الرباط وهي متعددة لتشمل كل الطلاب الدارسين، وتمنح الكتب للطلاب كعارية ترد بعد أن ينتقل الطالب من الدراسة في الكتاب المعار، أو عند سفره من الرباط .

مسجد الرجال: تأسس الأول في عام ١٣٨٤ هـ ، وسمي بمسجد الفتح، وبعد ذلك وفق اللّه ببناء مسجد آخر فوقه، وللمسجدين دور كبير في نشر الدعوة الإسلامية وعلومها، فتعقد فيهما دروس علمية مباركة على شكل حلقات يتولى كل حلقة أستاذ خاص ومعه طلاب، كما وأنه يعلمهم في كتاب مخصوص يختلف كل كتاب من حلقة لأخرى، وفي المسجد الأعلى تعقد جلسة عامة يحضرها الكثير من الشباب من مدينة البيضاء الدارسين في المرحلة الثانوية والإعدادية وتتخلل الدروس أسئلة تقدم إلى أستاذ هذه الجلسة، فيجيب عنها تباعاً بأسلوبٍ واضحٍ مفيد، كما وأنه

فترة حتى أسس شركة العاقل التجارية، والتي تعتبر من الشركات البارزة في عدن ولم ينس موطنه، فتفقد فيه الأرامل والمساكين، وساهم مساهمات فعّالة في كل أمر يعود على منطقته بالخير، وبعد استيلاء الحزب الاشتراكي على عدن هجرها وانتقل إلى صنعاء والحديدة، ومارس كثيراً من الأعمال التجارية مع صلاح ونسك وعبادة، وكانت بينه وبين سيدي الوالد مودة كبرى، وفي عام ١٤١٨ هـ أصيب بوعكة صحية نقل على إثرها إلى لندن، وبلغه نبأ وفاة سيدي الوالد فعزانا إلا أن إرادة اللّه شاءت أن يلحق به بعد عدة أيام، ونقل إلى صنعاء ودفن بها رحمه اللّه رحمة الأبرار .

في المسجد الأعلى تتم قراءة «صحيح البخاري» يومياً بعد العصر كلما تمت قراءته أعيدت على مدار السنة، وكذا تتم قراءة كتاب «رياض الصالحين» للإمام النووي رحمهم الله بعد صلاة الظهر وبعض الكتب الأخرى «كالترغيب والترهيب» للمنذري و«إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي رحمهم الله .

مسجد النساء: وهو أول مسجد أسس في الرباط، وقد كان خاصا بالرجال إلا أنه وبعد عمارة مسجد الرجال خصص للنساء فقط، وتم فتح باب خاص له يبعد عن باب الرجال مع دورة مياه مستقلة، ليحضر النساء فيه الجمعة والجماعة، ويحضرن الدروس العامة والتي تنقل إليهن عبر مكبر الصوت في كل الأوقات .

معهد البنين: تم تأسيسه وبدأت الدراسة فيه ككُتَّاب لتحفيظ القرآن الكريم ودراسة قواعد القراءة والكتابة، وفي هذه الآونة تم ربطه بالهيئة العامة للمعاهد العلمية، حيث قامت الهيئة بتوفير المدرس والمنهج، ويشتمل على المراحل الثلاث، وقد ساعد لقربه من الرباط في أن ينضم إليه الكثير من طلاب القسم الداخلي، ومن أهم مميزاته التزام كافة الطلاب بحضور صلاة الظهر خاصة، ومتابعتهم للحضور في أوقات الصلوات في المساجد القريبة من سكنهم ومحاضرتهم في يومي السبت والأربعاء ومعالجة كل ما استجد، وتدريبهم على الخطابة، وكذا حضور الكبار منهم بعد المغرب والعشاء لدراسة القرآن الكريم والكتب البدائية في الفقه، ككتاب «أهم الواجبات والمندوبات» والذي جمعه مدير المعهد من واقع الحياة، ولدراسة أهم ما يجب على المسلم في حياته .

مَعْهَدُ البَنات: تم تأسيسه وهو ملتصقٌ بمسجد النساء، وقد بدأ ككُتّابٍ لتحفيظ القرآن الكريم وقواعد القراءة والكتابة، وفي هذه الآونة ضُمَّ إلى الهيئة العامة للمعاهد العلمية، وقد وَفَّرَتِ الهيئة المدَرِّساتِ والمنهج، وهو يشتمل على المراحل الثلاث،

كما أن على الطالبات فيه حضور المحاضرات الأسبوعية الخاصة بالطلاب يومي السبت والأربعاء، وتُنقل لهنَّ المحاضرات بمكبر الصوت، ويجتمعن بعد عصر الأربعاء من كل أسبوع في مسجد النساء، وتتم محاضرتهن ويقمن بتقديم أسئلة عبر أوراق ترسل إلى المحاضر للإجابة عليها .

القسم الداخلي: ويوجد بهذا القسم نحوٌ من خمسمئة طالب من خارج مدينة البيضاء، وفدوا لطلب العلم الشريف من معظم المحافظات، وهذا القسم يحتوي على التالي:

(١) قسم خاص بسكن الطلاب، وهو ذو طوابق ثلاثة، وفيه أكثر من خمسة عشر شعبة سكنية، لكل شعبة أمير من الطلاب ينظم حال ساكنيها، ويرفع صعوباتهم إلى مشرف الرباط .

(٢) المطبخ، وهو يعمل في أوقات تناول الأطعمة، وهو مفتوح للطلاب وغيرهم من الناس، يقدم لهم المأكولات في الصباح والظهر والليل ابتغاء وجه الله، وهو محتاجٌ لدعم مادي أكبر نتيجة الغلاء المعيشي، حيث قصرت الإمكانيات الكاملة في القيام الكافي به غير ما يقدمه بعض المحسنين .

(٣) علاج الطلاب: تتم العناية الصحية بالطلاب المرضى، وتقدم لهم العلاجات المجانية، ويشرف على علاجهم مشرف خاص، ونرغب في فتح صيدلية مصغرة للإسعافات الأولية لجميع طلاب وساكني الرباط وصرف العلاج اللازم في حالة مرض أحدهم .

نشاطات الرباط

(١) **الدعوة إلى الله،** قال تعالى: ﴿ومَن أَحْسَنُ قولاً ممَّن دعا إلى اللّه وعَمِلَ صالحاً وقال إنَّني من المسلمين﴾، وقال تعالى: ﴿أُدْعُ إلى سبيلِ رَبِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ﴾، وعليه فقد تم إخراج الطلاب إلى كافة القرى المجاورة، وإلى المحافظات الأخرى المجاورة كمحافظات أبين ولحج وشبوة وحضرموت ومناطقهم، وذلك للدعوة إلى اللّه ودعوة الناس لاتباع سيد المرسلين، و إلى سلوك سبيل المهتدين، بأسلوبٍ سهلٍ واضحٍ جيدٍ مقنعٍ، يعتمد على التفهيم والتوضيح والتحمل والصبر .

(٢) **الفتاوى،** وهي من أهم نشاطات الرباط بمحافظة البيضاء، لما لذلك من أهمية في المجتمع، ولذلك فقد تم وضع سجلٍ خاصٌ بهذه الفتاوى يضمُّ كثيراً من الوقائع والإجابة عليها، وستقدم للطبع للاستفادة منها إن شاء اللّه [1]، ويمتاز كثير من أبناء المحافظة بعدم الدخول مع الآخرين في نزاعٍ لاحد له، ونرى أن كثيرا منهم قلما دخل في نزاع مع غريمه عبر المحاكم واكتفيا بتقديم سؤال موحَّد، وهما يعتبران الوقوفَ عند الجواب أمراً محتماً، وأن الخروج عليه مَثارٌ للشَّكِّ من فاعله، أو أنه بعيدٌ عن الصواب ومثيرٌ للشغب .

(٣) **الرحلات:** تُنَظَّمُ للطلاب رحلتان في العام إلى محافظة أو مدينة بالجمهورية لزيارة مساجدها وعلمائها وصالحيها ومعالمها، ويدعون إلى اللّه فيها ويعودون وهم أكثر حُبّاً للدروس .

(٤) **النظام والمتابعة:** لقد تقرر عمل نظام خاص للوافدين للرباط كتالي:

---

(١) ويقع في مجلد جمع شتى أنواع الفتاوى مبوباً على أبواب الفقه لسيدي الوالد رحمه اللّه ومنها للحبيب زين بن إبراهيم بن سميط .

- أن يكون لكل طالب ملف خاص به فيه صورة من شهادته الدراسية وشهادة ميلاده وصورة بطاقة ولي أمره، ثم يقوم بوضع بياناته في استمارة القبول التالية:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

رباط الهدار للعلوم الشرعية — الرقم:

البيضاء — التاريخ:

الجمهورية اليمنية — الموافق:

استمارة طلب التحاق للدراسة

الأخ مدير رباط الهدار للعلوم الشرعية — حفظكم اللّه

أنا الطالب ....أرغب في الالتحاق بالرباط لطلب العلم الشريف، وسأكون حسن السير والسلوك، مثابراً على طلب العلم مع الامتثال لكل توجيه وإرشاد، واللّه الموفق .

الاسم الثلاثي: ....

اسم ولي الأمر: ....عمله: ....عنوانه:

رقم بطاقته: .... مكان وتاريخ الميلاد:

مقدم الطلب — توقيع مدير الرباط

بعد ذلك يأخذ الطالب نصيبه من حفظ القرآن الكريم وإجادة علومه من تجويد وتفسير وقراءة وحفظ لكتب الفقه ومتونه، ككتب «الرسالة الجامعة» و«أهم الواجبات» و«السفينة» و«المختصر» و«المقدمة» و«مختصر أبي شجاع»، والقراءة في كتب التوحيد «كالجوهرة» وشروحها والقراءة في كتب الحديث، وحفظ «الأربعين الحديث النووية»، والقراءة في كتب النحو «كالآجُرُّومِيّة» وشروحها.

وبعد كل هذه القراءات ومعرفتها يتقدم الطالب للاختبار على يد نخبةٍ من مدرسي الرباط كلٌّ في اختصاصه، وبعد نجاح الطالب تُعطى له شهادةٌ كإجازة علـميةٍ مختومـةٍ بختـم الرباط وتوقيع مشرف الرباط وتوقيع المدرسين جميعهم . ومن ثـم تُؤَكَّدُ له عبر إدارة التربية والتعليم بالـمحافظة ليشارك في الدعوة إلى اللّه، وتكون له عوناً في الحياة، وهذا نموذجٌ لهذه الإجازة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

رباط الهدار للعلوم الشرعية — الرقم:

البيضاء الجمهورية اليمنية — التاريخ:

الموافق:

إجازة

الحمدللّه رب العالـمين حمداً يوافي نعمَه ويُكافئ مزيـده، وصلـى اللّـه علـى سـيدنا محمد وآله وصحبه وسلـم .

تشهد إدارة رباط الهدار للعلوم الشـرعية بـأن الأخ ....المولـود في منطقة ....بمحافظة .... بتـاريخ / / ١٤ هـ الموافـق / / ١٩م قد درس لدينا الكتب التالية ....

وقد تجاوز الطالب المذكور أعلاه الاختبار في الكتب المذكورة بنجـاح، مما يؤهلـه لأن يكون إماماً وخطيباً في المساجد، ومدرساً للـدروس في فـروع الشـريعة الإسـلامية بمدارس الجمهورية، وعليه أن يستشعر رَقابة اللّه في تحمل أمانـة العلـم وفي كـل عمـل يقدم عليه، واللّه نسألُ أن يوفقه لخدمة دينه ووطنه، وأن يرزقه الإخلاص، إنه على مـا يشاء قدير، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلـم .

توقيع المدرسين — توقيع المدير

(٥) مشروع برنامج للوافدين إلى الرباط والمتخرجين من الثانوية العامة للدراسة أثناء العطل الصيفية:

(١) حفظ جزئين من القرآن الكريم، وهما جزءا عمَّ وتبارك، وتفسير ذلك من «صفوة التفاسير» للصابوني، وقراءة كتاب «هداية المستفيد في التجويد» لأبي ريمة .

(٢) دراسة «القواعد الأساسية» في الحديث للمالكي، وحفظ «الأربعين النووية» .

(٣) دراسة «متن أبي شجاع» في الفقه .

(٤) دراسة وحفظ «عقيدة العوام» للمرزوقي في التوحيد .

(٥) دراسة «الآجُرُّومِيّة» مع شرح «التحفة السَّنِيَّة» للشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد في النحو .

(٦) دراسة «المفْتاح لِبَابِ النِّكاح» للحبيب محمد بن سالم بن حفيظ .

(٧) دراسة «خلاصة الكلام» في الفرائض للشيخ فضل بافضل .

(٨) دراسة في «فقه السيرة» للبوطي من الفتح ومقدماته حتى نهاية الكتاب .

وعند الموافقة من هيئة التدريس يوزع كل كتاب على الأشهر الثلاثة من باب كذا إلى باب كذا، ويفرغ لكل كتاب صفحة أو نصفها، ثم يوضع على ضوء ذلك جدول ويعلق في الرباط، وتسمى كل فئة باسم صحابي، ويوزعون عند كثرتهم إلى مجموعات أ،ب..إلخ.

(٦) ذكر مشروع برنامج الوافدين إلى الرباط والمتخرجين من الإعدادية للدراسة في العطلة الصيفية:

(١) حفظ جزئي عمَّ وتبارك وتفسير ذلك من «مختصر ابن كثير» للصابوني مع قواعد الترتيل في التجويد .

(٢) حفظ المشار إليه من «شفاء السقيم من أحاديث المنقذ العظيم» في الحديث.

(٣) دراسة « الدروس التوحيدية » للشاطري و«عقيدة الإسلام» للإمام الحداد، و«هداية الإخوان» لابن سميط في التوحيد .

(٤) دراسة «أهم الواجبات والمندوبات» في الفقه.

(٥) دراسة «الآجُرُّومِيّة» في النحو .

(٦) قراءة « تاريخ الحوادث النبوية » في السيرة للمالكي .

ثم يوزع كل كتاب على الأشهر الثلاثة من باب كذا إلى باب كذا ويفرغ لكل كتاب صفحة أو نصف صفحة، ثم يوضع على ضوء ذلك جدول، ويعلق في الرباط، وتسمى كل فئة باسم صحابي، ويوزعون عند كثرتهم إلى مجموعات أ، ب..إلخ .

(٧) **الصحافة**: للصحافة الإسلامية دور في إرشاد العباد وتنويرهم لما فيه خير دنياهم وآخرتهم، ولذا يتم اختيار مجموعة من الطلاب لإخراج صحيفة حائطية شهرية مفيدة، وتهتم بشؤون الطلاب .

(٨) **الرياضة**: للرياضة دور فعال في صفاء الذهن وتقوية الجسم، ومن الرياضة التي يمارسها الطلاب بعض الألعاب الرياضية ككرة القدم بعد عصر يوم الخميس، وعلى كل طالب يحب ممارسة الرياضة تسجيل اسمه عند المشرف الرياضي للرباط .

ويحتضن رباط الهدار للعلوم الشرعية كل يوم بين أروقته كثيراً من الحلقات العلمية المباركة المفيدة، يتوزع فيها طلابٌ قادمون من جميع محافظات اليمن ينهلون من علومها الشرعية، التي تَهديهم إلى كل خير وترشدهم إلى البر والتقوى، وتؤسس في داخلهم العقيدة السليمة الصافية على منهج اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، وتبني في نفوسهم القيم الإسلامية الكريمة، وتفتح أمامهم آفاق المستقبل الكريم، وتُزيل كثيراً مما علق في نفوسهم من كُدُورات البشرية، كُلُّ ذلك يَتم بتوفيقٍ من اللّه ملحوظٍ مشهودٍ بالعِيان، لا يُنكره ذو بصيرة منيرة وقلب سليم .

وتبدأ هذه الدروس بعد صلاة الفجر وقراءة المأثورات، ثم قراءة ورد الإمام الحداد الذي حوى خلاصة الأذكار النبوية للصباح والمساء، ثم تُقرأ سورة يس المعظمة، وبعدها الدعاء المأثور، وتكون القراءة بصوتٍ واحدٍ يشجي النفس، ويجعل الطالب والحضور جميعهم يستقبلون صباحهم بأمل مشرق وانفتاح طيب، مرتكز على اللجوء إلى اللّه والاعتماد على توفيقه، وبعد ذلك تتوزع الحلقات ويبدأ بالاستماع إلى ما حفظ عن ظهر قلب مما هو مقررٌ للحفظ في الكتب التالية:

(١) جزآن من القرآن الكريم .

(٢) عقيدة العوام .

(٣) الأربعون النووية .

(٤) سفينة النجاة .

(٥) صفوة الزبد .

(٦) متن الآجُرُّومِيّة .

(٧) ملحة الإعراب .

(٨) ألفية ابن مالك .

ثم بالنسبة للطالب المقيد بمعهد البنين الآنف الذكر عليه الحفظ من واقع المنهج المقرر عليه، حتى لا تتكثف عليه الدروس ويعجز عنها، وتؤجل محفوظاته المقررة في الرباط إلى العطل الصيفية، أما الطالب الملتزم بدروس الرباط خاصة فيلتزم بحفظ ما ذكر من الكتب المقررة للحفظ، ثم بعد الاستماع إلى المحفوظات المقررة تبدأ الدراسة لعلم النحو على مستويات مختلفة، وبكتب متعددة، كالتالي:

(١) كتاب «الإيضاح» للطلاب المبتدئين في النحو لراقم هذه الأسطر .

(٢) كتاب «الآجُرُّومِيّة» للطلاب المبتدئين .

(٣) كتاب «التحفة السنية شرح الآجُرُّومِيّة» لمحمد عبدالحميد للمتوسطين .

(٤) كتاب «الكواكب الدرية» للأهدل للمتوسطين .

(٥) كتاب «شرح القطر» لابن هشام للمتوسطين .

(٦) كتاب «الألفية وشرحها أوضح المسالك» لابن هشام للطلاب المتقدمين .

مع الاستعانة بالشروح والحواشي مثل «شرح ابن عقيل» و«حاشية الخضري» عليه، و«مغني اللبيب» لابن هشام ، كل ذلك يتم بتدقيقٍ وفهمٍ وتسجيلٍ وكتابةِ كلِّ ما يُدَرَّس، وإذا طلعت الشمس تُصلى صلاة الإشراق والاستخارة، ثم يتوزع الطلاب في حلقات لتلاوة جزء من كتاب الله يوميا لكل حلقة .

ثم يتفرق الطلاب استعداداً لتناول طعام الافطار والتهيؤ للذهاب للدراسة بالمعهد العلمي بالمراحل الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية، والأمل يحدوهم في إنجاز ما يوكل إليهم من علوم ودروس على الرغم من معاناتهم في فهم دروس المعهد، إلا أنهم -وحرصاً على مستقبل كريم- صبروا ودرسوا وواظبوا والله معينهم ومؤيدهم.

وبعد انتهاء الدراسة بالمعهد يعود الطلاب إلى الرباط ويستعدون لأداء صلاة الظهر، والطلاب الذين لا يدرسون بالمعهد تراهم مشغولين بقراءة محفوظاتهم في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وفي متون الفقه العديدة، ويحضر معهم بعض المعلمين في فترة الضحى لمناقشتهم والاستماع إلى محفوظاتهم، وإذا ما صلوا صلاة الظهر وقرؤوا أذكارها وحضروا درس الحديث، توزعوا في حلقات مباركة لقراءة جزء من القرآن الكريم لكل يوم، وبعض الطلاب يقرأ من حفظه واستظهاره لكتاب الله، وتستمر هذه الحلقات وما فيها من روحانية عظيمة تعقبها قراءة الآيات على نفوس جميع الحاضرين من طلاب ومعلمين . ومن الضروري جداً الحِفاظُ -كما قد

أَشَرْنا- على قراءة جزء في الصباح وجزء بعد الظهر من القرآن الكريم كتلاوة يومية مقررة، ثم تعقبها القيلولة حتى أذان العصر .

وتحين صلاة العصر ويحضرها جميع الطلاب ويؤدونها جماعة، وتقرأ أذكارها وأورادها، ثم درس في «صحيح الإمام البخاري»، وبعدها تبدأ فقرة مراجعة المحفوظات والدروس لما سيحفظه الطلاب في المتون المختلفة، وإذا ما قاربت الشمس على الغروب استعد جميع الطلاب لحضور صلاة المغرب جماعة وقراءة أذكارها المعهودة، ثم تعود المسيرة العلمية تتواصل في هذا الوقت، وهي مخصصة لعلوم الفقه المتنوعة، ومن الكتب التي تقرأ بمستويات مختلفة في علم الفقه الكتب التالية:

(١) « الرسالة الجامعة » للإمام أحمد بن زين الحبشي.

(٢) « سفينة النجا » للشيخ سالم بن سمير الحضرمي.

(٣) « أهم الواجبات » لراقم هذه الأسطر.

(٤) «المختصر الصغير » لبافضل.

(٥) « مختصر أبي شجاع » .

(٦) «المقدمة الحضرمية » .

(٧) « صفوة الزبد » لابن أرسلان.

(٨) « الياقوت النفيس » للشاطري.

(٩) « عمدة السالك » لابن النقيب.

(١٠) « فتح المعين » للمليباري.

(١١) «المنهاج » للنووي.

مع الاستعانة ببعض الشروح والحواشي مثل «نيل الرجاء على سفينة النجا»، و«فتح الإله المالك بشرح عمدة السالك» لابن بركات، «مواهب الصمد في حل ألفاظ

الزبد» للفشني ، وكذا شرحاه «غاية البيان» و«فتح المنان»، و«إعانة الطالبين شرح فتح المعين»، لشطا، و«مغني المحتاج شرح المنهاج» مع «التحفة» وحاشية البجيرمي، وحاشية التِّرْمِسِيّ على « بُشرى الكريم»، وحاشية الباجوري على شرح ابن قاسم ، و«فتح العلام شرح مرشد الأنام» للجرداني، وشرح ابن قاسم على أبي شجاع .

حفظ القرآن الكريم

ويضم الرباط بين حلقاته حلقة كبرى، تتفرع إلى حلقات لتحفيظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وبها نحوٌ من مئة طالب، وقد تخرج منها الكثير الطيب حفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب حفظاً متقناً، ويشرف على تحفيظهم مدرسون صالحون جزاهم الله خيرا .

وإذا أحببنا أن نوضح الكتب العلمية التي تقرأ في رباط الهدار للعلوم الشرعية يمكننا تلخيصها على النحو التالي:

علم التوحيد: «الدروس التوحيدية» للشاطري - « عقيدة العوام » للمرزوقي مع شرحها « نور الظلام » للجاوي - « الجوهرة » مع شرح الباجوري -و«عقيدة الإسلام» للإمام الحداد.

علم التفسير: تقرأ فيه الكتب التالية: - « زبدة الإتقان » للمالكي - تفسير الجلالين- «صفوة التفاسير» للصابوني .

علم الحديث: « شفاء السقيم » للمترجم له رحمه اللّه - « الأربعون النووية » - «عمدة الأحكام » مع شرحه نيل المرام لابن حجر - « بلوغ المرام » مع شرحه « سبل السلام » للصنعاني - « التاج الجامع للأصول » في الحديث - «رياض

الصالحين»، ويقرأ كل يوم بعد صلاة الظهر في محفل عظيم - « صحيـح البخـاري » ، ويقرأ كل يوم بعد صلاة العصر في محفـل عظيـم، ويطـالع عليـه شـرح «فتـح البـاري» وغيره - «صحيح مسلـم» مع «شرح النووي»، ويقرأ كل ليلة بعد صلاة العشاء.

علـم مصطلـح الحديـث: « القواعـد الأساسية » و«المنهـل اللطيـف » كلاهمـا للـمالكي - « الباعث الحثيث » في مصطلح الحديث للطحان.

علـم التصوف: وموعـد جلسـة القـراءة في كتـب هـذا العلـم ليلـة السـبت وليلـة الخميس من كل أسبوع، وتكون الجلسة محضورة مباركة، تلوح عليهـا أنـوار القبـول، ولا يخرج منهـا الطـالب والحضـور إلا بنفحـة مـن نفحـات اللّـه تصلـح بهـا أمورهـم وتستجاب بها دعواتهم وتغفر بها ذنوبهم إن شاء اللّه، كلُّها بفضل اللّه، ومن الكتب التي تقرأ فيها: - « إحياء علوم الدين » للغـزالي - « الرسـالة القشـيرية » للقشـيري - كتب الإمام الحداد - « العهود المحمدية » للشعراني، تقرأ كل ليلة.

الفرائض والنكاح:

« خلاصة الكلام » للشيخ فضل بافضل - « تكملة زبدة الحديث » «المفتاح لبـاب النكاح » كلاهما للحبيب محمد بن سالـم بن حفيظ- « فتوحات الباعث » - «زيتونة الإلقاح» مع شرحها « مشكاة المصباح » لباسودان ، أما كتب الفقه والنحو فقد سـبق ذكرها آنفا .

وعند انتهاء أيِّ طالب من حفظ متن من المتون أو انتهائه من قراءة كتاب يعقد لـه اختبارٌ لدى مدير الرباط لـمعرفة مدى استيعابه وإمكانية نقله إلى كتاب آخر، وذلـك بعد صلاة المغـرب في الحلقـة الخاصـة بمديـر الربـاط، واللّـه الموفـق والهـادي إلى سـبيل الرشاد.

أَثَرُ الطُّلَّابِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ

لقد حصلَ نَفْعٌ عظيمٌ في كثيرٍ من الأصقاع بواسطة طلاب العلم الذين عادوا إلى مناطقهم، وتنقلوا في المدن والقرى للدعوة إلى اللّه، شهد بذلك كلٌّ من رأى أولئك الطلاب.

وهذه القصيدة بمناسبة التحاق مجموعة من الطلاب من نصاب برباط البيضاء وعودتهم بعد فترة قصيرة يعظون ويذكرون، أُلقيت هذه القصيدة بين يدي سيدي الحبيب محمد بن عبداللّه الهدار في مكة المكرمة يوم الجمعة ١١ صفر الخير ١٤١٤ هـ للشاعر الأديب محمد بن حسن الحداد:

بالأمسِ في الأسواقِ يلهو يلعبُ ... واليومَ مِن فوق المنابر يخطبُ
حُيِّيتَ يا مَن قام يخطبُ واعظاً ... فاعلم وعَلم نِعْمَ هذا المكسبُ
يا طالبَ العلم الشريف تحيةً ... غَرّاءَ من إعجابنا بِكَ تُعْرِبُ
ها أنت في روضِ المعارف عاكفٌ ... في المعهد الميمون تقرأ تكتبُ
هاقد وجدتَ الشيخَ تلك سعادةٌ ... فالزمْهُ لا يصرفْك عنه الملعبُ
يا قومَنا هذا المربي حاضرٌ ... إنَّ عَزَّ في هذا الزمان مؤدِّبُ
إنّا لمسؤولُونَ عن أبنائنا ... تعليمُهم فرضٌ علينا واجبُ
ها قد أُتيحتْ فرصة التعليم في ... هذا الرباط فأين مَن هو يرغبُ ؟
فلنبعثِ الأبناءَ في عجلٍ إلى ... يَنبوعِ علم طاب منه المشربُ
هذا هو الهدارُ هادينا إلى ... نهجِ الهدى بالطالبين يرحِّبُ
هذا رباط العلم في البيضاء ما ... أبهاهُ إنَّ مَعِينَهُ لا يَنْضَبُ
مِن رَوضِهِ انطلقتْ مواكبُ دعوةٍ ... يا ليتني مِمَّنْ يَضُمُّ الموكبُ
يا معهدَ البيضاء شمسُك دونَها ... شمسُ الضحى إذ إنها لا تَغْرُبُ

مـا أنـت إلا روضـةٌ مـن جنـةٍ — وقُطُوفُ روضِكَ «تحفةٌ» و«مُهَذَّبُ»
قامتْ قواعـد صرحـك العـالي على — أُسُسٍ مـن التقـوى وغيثُـك صَيِّـبُ
حَفَّتْ بـك الأمـلاكُ نـادى بعضهـم — بعضـاً هَلُـمـوا هاهنـا مـا نطلـبُ
يا طالبَ العلـم الشـريف بـه التحِقْ — فهُنـا العلـوم هنـا المعـارفُ تُكْسَـبُ
حلقـاتُ ذِكْرٍ هاهنـا حلقـاتُ علـ — ـمٍ هاهنـا فكلـوا هنيئـاً واشـربوا
فـانهضْ إلى روض العلوم مسـارعاً — فالعلـم والأسـرار ثَـمةَ تُوهَـبُ
يلقـاك فيـه الغُـرُّ آلُ المصطفـى — سُفُنُ النجـاة هـم الكثـير الطيـبُ
يلقـاك فيـه حبيبنـا الهـدار مَـن — يُحْيِـي النفـوسَ بوعظـه ويهـذِّبُ
مَـن لا يَخَـفْ في اللّـه لومـة لائـمٍ — يرضـى لـمولاهُ الكريـمِ ويغضـبُ
حـاز المحـامد والـمكارم والتقـى — وإليـه أنـواع الفضـائل تنسـبُ
لَحَظاتُـهُ نَظَراتُـه دَعَواتُـهُ — إكسـيرُ طِـبٍّ للشـفاء مجـرَّبُ
هـو بحـرُ علـم زاخـرٌ بنفـائس — ولطـائفٍ يحظـى بهـا المتـأدِّبُ
مِـن حولـه التفَّـتْ جمـوعٌ جمـةٌ — مـا بـين مغـترفٍ وآخـر يشـربُ
والسرُّ منه إلى بنـيه لقـد سـرى — فهُـمُ الأسـاتذة الكـرام النُّجَّـبُ
كم عَلموا مـن طـالبٍ كـم هذبـوا — مـن راغـب كـم أدبـوا كـم دربـوا
لا غـرو تلـك وراثـةٌ نبويـةٌ — فنبوغهـم في العلـم لا يسـتغربُ
يـا رَبِّ فـاحفظهم ووفقهـم لـما — ترضـى يُسَـرُّ الجـدَّ منهـم والأبُ
واحفـظْ لنـا ولهـم وللإسـلام مَـن — ببقائـه سُـوحُ المكـارمِ مُخْصِـبُ
السـيدَ الهـدارَ يَنبـوعَ النَّـدى — حقـاً إلى كـل النفـوس محبَّـبُ
ثـم الصـلاةُ علـى النـبيِّ وآلـه — وعلـى الصحابـة مـا تَـأَلَّقَ كوكـبُ

ومما قاله في موعد مولد الرباط:

مرحبـاً مرحبـاً بعيـدِ الربـاطِ — إنـه عيـدُ بهجـةٍ وانبسـاطِ

يـا ربـاطَ البيضـاء دُمْـتَ منـاراً عاليـاً زاهيـاً شَـهِيَّ السِّمَاطِ
و«الحبيـبُ الهـدارُ» بـدرٌ تجلـى سـاطعَ النـور في سمـاء الربـاطِ
كـم هَـدَى ضـالاً وأرشـدَ غـاوٍ[1] وهدانـا إلى سـواء الصـراطِ
عـابدٌ زاهـدٌ تقـيٌّ نقـيٌّ عالـم مُلْهَـمٌ وذو اسْـتِنْبَاطِ
بحـرُ علـم يحـوي نفيس الـلآلي يَلْفُـظُ الـدُّرَّ بـادروا بالتقـاطِ
بالربـاط الميمـون تزدهـر البيـ ـضاء من بعـد ظلـمة وانحطـاطِ
معهـدٌ مـن نباتـه الغـضِّ زيـنٌ هـو لا شـك رائـع الأسمـاطِ
طـالبَ العلـم إن أردت المعـالي فـالتحق بالربـاط دون تبـاطي
فهنـاك العلـوم مـن كـل فـنٍّ ثـم فـوق الحروف وَضْـعُ النقـاطِ
أيهـا العالـم المتـوَّجُ بالعلـ ـمِ وبالحلـم أنـت رحـب البسـاطِ
تُجْتَلَـى فيـك هيبـةٌ ووقـارٌ هيبـةُ العلـم والتقـى لا السيـاطِ
فـاز واللّـه مَـن يَمُـتُّ إليكـمْ بصِـلاتٍ ومَـن يَفُـزْ بارتبـاطِ
فاقبلونـا فضـلاً بـدون اختبـارٍ وامنحونـا القبـولَ دون اشـتراطِ
ونُحَيِّي «الحسينَ» مـن نـاب عنكم في ربـاط البيضـا بحسـن انضبـاطِ
وأُنيطَـتْ بـه أمـورٌ جسـامٌ مـا توانـى عـن أي أمـر مُنـاطِ
وعلـى خـيرِ مـا يـرامُ رعاهـا فتَجَلَّـتْ بأحسـنِ الأنمـاطِ
قَـرَّ عينـاً بـه وإخوانـه الغُـ ـرِّ وأحفـادِكم وبالأسـباطِ
وتلاميذكـمْ وأحبـابكمُ مَـن أُشـربوا حُبَّكـم لذيـذَ التعـاطي
وحَبـاكم ذوالمـنّ كـلَّ الأمـاني في أمـانٍ وصحـة ونشـاطِ
لا بَرِحْتـم يـا سـيدي في هنـاءٍ ونعيـمٍ نحيـا بكـم باغتبـاطِ
وإليكـم أَزُفُّ أحلـى التهـاني بربيـع الهـدى وعيـدِ الربـاطِ

---

(١) كذا في الأصل.

دونكم مَدْحَتي وما قلتُ عنكم ... من ثناءٍ أقلُّ من قيراطِ
فتجاوزْ عما بها من قصورٍ ... عَيْنُ حِبِّي تَغُضُّ عن أغلاطي
بصفاتٍ غُرٍّ لكم تتباهى ... مَدْحَتي لا بريشةِ الخطاطِ
وعليكم بعدَ النبي صلاةٌ ... ما توالى الطوافُ بالأشواطِ

منهج الدراسة أثناء العطل الصيفية للمستويات الثلاثة

« مقرر المستوى الأول ، ويشتمل على الفصلين الأول والثاني الابتدائي »

القرآن الكريم: من الضحى إلى الناس «تلقين» .

الفقه: حفظ «أهم الواجبات» لسيدي الوالد الحبيب محمد الهدار .

السيرة: (أ) حفظ نسب النبي صلى الله وعليه وآله وسلم وكونه ولد بمكة وبعث بها وهاجر إلى المدينة وتوفي بها .

آداب المستوى الأول:

(١) **آداب النوم:** أن يقرأ المعوِّذات، ثم ينفث في يديه ويمسح بها جسده، لما روي عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أخذ مَضْجَعَهُ نَفَثَ في يديه وقرأ بالمعوذاتِ ومسح بها جسده»، متفقٌ عليه، وفي رواية: «يفعل ذلك ثلاثا».

(٢) **آداب دخول الخلاء:**

(أ) الدخول بالرجل اليسرى والخروج بالرجل اليمنى لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه من رواية الترمذي .

(ب) عدم الكلام في الخلاء، جاء في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال: «مر رجل بالنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه».

(ج) أن يستنجي بيساره، فقد ورد عن سلمان الفارسي أنه قال: «نهانا رسول اللّه أن نستنجي باليمنى» رواه مسلم .

(٣) آداب دخول المنزل :

(أ) الاستئذان، والدليل على ذلك ما جاء عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «الاستئذان ثلاثٌ، فإن أُذِنَ لك وإلا فارجع» متفق عليه .

(ب) الدخول بالرجل اليمنى والخروج باليسرى .

(ج) أن يُسلم على من وُجِد في البيت، فعن أنس رضي اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «يا بني إذا دخلتَ على أهلك فسَلم تكن بركةً عليك وعلى أهل بيتك» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .

(د) مصافحة من وجد في ذلك البيت وخاصة الوالدين .

(٤) آداب الطعام:

(أ) غسل اليدين قبل الأكل وبعده .

(ب) البسملة والأكل مما يليه والأكل باليمين، لما روي عن عمرو بن أبي سلمة رضي اللّه عنهما قال: كنتُ غلاماً في حِجْرِ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وكانت يدي تَطِيشُ في الصَّحْفَة، فقال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: يا غلامُ، سَمِّ اللّه، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك» .

(٥) **آداب الطريق:** السلام على مَن وَجَدَه في الطريق عرفه أم لا، فعن عبداللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما أن رجلاً سأل النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: أيُّ الإسلامِ خيرٌ ؟ قال: «تُطعم الطعامَ وتَقرأُ السلامَ على مَن عرفتَ ومَن لم تَعْرِفْ» متفق عليه.

(٦) آداب المسجد:

(أ) الدخول باليمنى والخروج باليسرى .

(ب) تعليمه بأن المسجد بيت اللّه، فما عليه إلا الالتزامُ بالهدوء وعدم اللعب فيه، لما رواه مسلم عن بريدة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إنما بنيتِ المساجدُ لما بنيتْ له» .

مقرر المستوى الثاني

« يشتمل على الصفين الثالث والرابع الابتدائي »

القرآن الكريم: من الناس إلى التكوير «حفظا وقراءة» .

الفقه: «النبذة» للإمام عبدالرحمن المشهور .

التوحيد والسيرة: عقيدة العوام حفظا .

الأناشيد: «أوصيكم يا معشر الإخوان» للإمام عبداللّه بن حسين بن طاهر .

الحديث الشريف: «المختار من شفاء السقيم» .

آداب المستوى الثاني:

(١) آداب النوم:

(أ) أن يقرأ المعوذات ثم ينفث في يديه ويمسح بها جسده، لما روي عن عائشة رضي اللّه عنها: «أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم كان إذا أخذ مَضْجَعَهُ نَفَثَ في يديه وقرأ بالمعوذاتِ ومسح بها جسده»، متفقٌ عليه، وفي رواية: «يفعل ذلك ثلاثا» .

(ب) أن يقول: سبحان اللّه (٣٣) والحمدللّه (٣٣) واللّه أكبر (٣٤)، وذلك لما

روي في «الصحيحين» .

(ج) دعاء الاستيقاظ من النوم، فعن أبي ذر وأبي حذيفة رضي اللّه عنهما قالا: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم إذا آوى إلى فراشه قال: «باسمك اللّهمَّ أحيا وأموتُ»، وإذا استيقظ قال: «الحمد للّه الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور» متفق عليه .

(٢) آداب دخول الخلاء:

(أ) الدخول بالرجل اليسرى والخروج بالرجل اليمنى، لما ورد عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: مَن بدأ برجله اليُمنى قبلَ يساره إذا دخل الخَلا ابتُلِيَ بالفقر، رواه الترمذي .

(ب) عدم الكلام في الخلاء، جاء في «صحيح مسلم» عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: مَرَّ رجلٌ بالنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه .

(ج) أن يستنجي بيساره، فقد ورد عن سلمان الفارسي أنه قال: نهانا رسول اللّه أن نستنجي باليمنى، رواه مسلم .

(د) أن لا يبول في وسط الطريق، أو في ظل الناس، لقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم: «اتَّقُوا اللعانين . قالوا: وما اللعانان ؟ قال: الذي يَتَخَلّى في طريقِ الناس أو في ظِلِّهِمْ» رواه مسلم .

(٣) آداب دخول المنزل:

(أ) الاستئذان، والدليل على ذلك ماجاء عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «الاستئذانُ ثلاثٌ، فإن أُذِنَ لك وإلا فارجع» متفق عليه .

(ب) الدخول بالرجل اليمنى والخروج باليسرى .

(ج) أن يسلم على من وجد في البيت، فعن أنس رضي اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «يا بني إذا دخلتَ على أهلك فسَلِّم تَكُنْ بركةٌ عليك وعلى أهل بيتك» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .

(د) مصافحة من وجد في ذلك البيت وخاصة الوالدين .

(٤) آداب الطعام :

(أ) غسل اليدين قبل الأكل وبعده .

(ب) البسملة والأكل مما يليه والأكل باليمين، لما روي عن عمرو بن أبي سلمة رضي اللّه عنهما قال: كنتُ غلاماً في حِجْرِ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وكانت يدي تَطِيشُ في الصحفة فقال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: يا غلامُ، سَمِّ اللّه، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك» .

(ج) أخذ اللقمة إذا سقطت، فعن أنس رضي اللّه عنه قال: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم إذا أكل طعاماً لَعَقَ أصابعه الثلاث، وقال: «إذا سقطتْ لقمةُ أحدكم فليأخذها ولْيُمِطْ عنها الأذى وليأكلها، ولا يَدَعْها للشيطان»، قال: «إنكم لا تَدْرُونَ في أَيِّ طعامكم البركة» رواه مسلم .

(٥) آداب الطريق: السَّلام على مَن وَجَدَهُ في الطريق عرفه أم لا، فعن عبداللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما: أن رجلاً سأل النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: أَيُّ الإسلام خيرٌ ؟ قال: «تُطعم الطعام وتقرأُ السلام على مَن عَرَفْتَ ومَن لم تعرف» متفق عليه.

(٦) آداب المسجد:

(أ) الدخول باليمنى والخروج باليسرى .

(ب) تعليمه بأنَّ المسجد بيتُ اللّه، فما عليه إلا الالتزام بالهدوء وعدم اللعب فيه، لما رواه مسلم عن بريدة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله

وسلم: «إنما بنيتِ المساجدُ لما بنيتْ له» .

(ج) دعاء الدخول إلى المسجد وكذا الخروج، عن أبي حميد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، ثم لْيَقُلْ: اللّهمَّ افتحْ لي أبوابَ رحمتك، وإذا خرج قال مثل ذلك: اللّهم افتح لي أبواب فضلك» رواه مسلم .

وروى ابنُ السُّنِّيِّ أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم كان إذا دخل المسجد حمد اللّه وسمى وقال: اللّهم اغفرْ لي وافتحْ لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال مثل ذلك اللّهم افتح لي أبواب فضلك .

مقرر المستوى الثالث

« ويشتمل على الفصلين الخامس والسادس الابتدائي »

القرآن الكريم: جزء عمَّ «حفظا وقراءة» .

الفقه: « الذخيرة المشرفة » للعلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ.

الحديث الشريف: « الأربعون النووية » للنووي.

التوحيد: شرح « عقيدة العوام » للجاوي مع حفظها .

السيرة النبوية: « خلاصة نور اليقين » لعمر عبدالجبار، الجزء الأول .

التجويد: أحكام النون الساكنة والتنوين .

آداب المستوى الثالث:

(١) آداب النوم:

(أ) أن لا ينام إلا على طهارة، لما ورد في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي

اللّه عنهما قال: قال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إذا أتيتَ مضجعك فتوضَّأْ وُضوءَك للصلاة» .

(ب) أن يقرأ المعوذات ثم ينفث في يديه ويمسح بها جسده، لما روي عن عائشة رضي اللّه عنها: «أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم كان إذا أخذ مَضْجَعَهُ نَفَثَ في يديه وقرأ بالمعوذاتِ ومسح بها جسده»، متفقٌ عليه، وفي رواية: «يفعل ذلك ثلاثا» .

(ج) أن يقرأ سورة الكافرون، لما رواه الترمذي وأبوداود عن نوفل الأشجعي رضي اللّه عنه قال: قال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «اِقْرَأْ قُلْ يا أيُّها الكافرونَ، ثم نَمْ على خاتمتها، فإنها براءةٌ من الشرك» .

(د) ثم يقرأ آية الكرسي لما جاء في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي اللّه عنه من حديثٍ طويلٍ قال في آخره: إذا آويتَ إلى فراشك فاقرأْ آيةَ الكرسي لَنْ يزالَ معك من اللّه حافظٌ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: «صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ، ذاك شيطانٌ» .

(هـ) أن يقرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ﴿آمنَ الرسولُ بما أُنْزِلَ إليه مِن ربِّه﴾ إلى قوله: ﴿فانْصُرْنا على القوم الكافرين﴾، فعن أبي مسعود الأنصاري البدري عقبة بن عمر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «الآيتان من آخر سورة البقرة مَن قرأ بهما في ليلةٍ كَفَتاه» متفق عليه، وأن يقول: سبحان اللّه (٣٣) والحمدللّه (٣٣) واللّه أكبر (٣٤) وذلك لما روي في «الصحيحين».

(و) ودعاء الاستيقاظ من النوم، فعن أبي ذر وأبي حذيفة رضي اللّه عنهما قالا: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم إذا آوى إلى فراشه قال: «باسمك اللّهم أحيا وأموت»، وإذا استيقظ قال: «الحمد للّه الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور» متفق عليه. وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله

وسلم: «إذا آوى أحدُكم إلى فِراشِهِ فلْيَنْفُضْ فراشَه بداخِلَةِ إزارِه، فإنه لا يدري ما خَلَّفَهُ عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعتُ جنبي وبك أرفعه، إنْ أمسكتَ نفسي فارحمها وإنْ أرسلتَها فاحفظْها بما تحفظُ به عبادك الصالحين» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية: «ينفضه ثلاثا» .

(٢) آداب دخول الخلاء:

(أ) الدخول بالرجل اليسرى والخروج بالرجل اليمنى، لما ورد عن أبي هريرة رضي اللّه عنه .

(ب) عدم الكلام في الخلاء، جاء في «صحيح مسلم» عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: «مَرَّ رجلٌ بالنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه» .

(ج) أن يستنجيَ بيساره، فقد ورد عن سلمان الفارسي إنه قال: «نهانا رسول اللّه أن نستنجي باليمنى»، رواه مسلم .

(د) أن لا يبول في وسط الطريق أو في ظل الناس، لقوله صلى اللّه عليه وآله وسلم: «اتَّقُوا اللَّعَّانَينِ . قالوا: وما اللعَّانانِ ؟ قال: الذي يَتَخَلَّى في طريقِ الناس أو في ظِلِّهِمْ» رواه مسلم .

(هـ) أن يأتي بدعاء دخول الخلاء، لما ورد في الصحيحين عن أنس رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم كان يقول عند دخول الخلاء: «اللّهمَّ إني أعوذُ بك من الخُبُث والخبائث» .

وفي رواية: «اللّهم إني أعوذ بك من الرجس النجس، الخبيث المخْبِث، الشيطان الرجيم».

وأن يأتي بدعاء الخروج لما ورد في «سنن أبي داود» والترمذي: أن الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول عند خروجه من الخلاء: «غفرانك»، وروى النسائي وابن

ماجه: أنه كان يقول: «الحمدللّه الذي أذهب عني الأذى وعافاني» .

وأن لا يدخل الخلاء حاسر الرأس حافي القدمين لما رواه البيهقي في «سننه»: «أنه صلى اللّه عليه وآله وسلم كان إذا دخل الخَلاءَ لَبِسَ حِذاءَهُ وغَطَّى رَأْسَه» .

(٣) آداب دخول المنزل:

(أ) الاستئذان لقوله تعالى: ﴿وإذا بَلَغَ الأطفالُ منكم الحُلـم فلْيَسْتَأْذِنُوا كما استَأْذَنَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «الاستئذانُ ثلاثٌ، فإنْ أُذِنَ لك وإلا فارجعْ» متفق عليه .

(ب) أن يأتي بدعاء دخول المنزل، وهو كما رواه أبوداود عن أبي مالك الأشعري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إذا وَلَجَ الرجلُ بيتَه فلْيَقُلْ: اللّهمَّ إنِّي أسألُك خيرَ المَوْلِجِ وخيرَ المخْرَجِ، بسم اللّه وَلَجْنا، وبِسْمِ اللّه خَرَجْنا، وعلى ربِّنا تَوَكَّلْنا، ثـم يُسَلـم على أهله» .

(ج) الدخول بالرجل اليمنى والخروج باليسرى .

(د) أن يسلم على مَن وجد في البيت، فعن أنس رضي اللّه تعالى عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «يا بني، إذا دخلتَ على أهلك فسَلِّم تكنْ بركةً عليك وعلى أهل بيتك» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .

(هـ) مصافحة من وجد في ذلك البيت وخاصة الوالدين، فعن البراء بن عازب قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إذا الْتَقَى المسلمانِ فتصافحا وحَمِدا اللّه عَزَّ وجَلَّ واستغفراهُ غُفِرَ لهما» رواه أبوداود وأحمد .

وأن يأتي بدعاء الخروج من المنزل، وهو عن أنس قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «مَن قال -يعني إذا خرج من بيته-: توكلتُ على اللّه ولا حول ولا قوة إلا باللّه، يقال له: كُفِيتَ ووُقِيتَ وهُدِيتَ، وتنحى عنه الشيطان» رواه الترمذي وأبوداود والنَّسائي وغيرهم، قال الترمذي: حديث حسن .

(٣) آداب الطعام:

(أ) غسل اليدين قبل الأكل وبعده .

(ب) البسملة والأكل مما يليه والأكل باليمين، لما روي عن عمرو بن أبي سلمة رضي اللّه عنهما قال: كنتُ غلاماً في حِجْرِ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وكانت يدي تَطِيشُ في الصَّحْفَة، فقال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «يا غلامُ، سَمِّ اللّه، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مِمَّا يليك» .

(ج) أخذ اللقمة إذا سقطت، فعن أنس رضي اللّه عنه قال: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم إذا أكل طعاماً لَعَقَ أصابعه الثلاث وقال: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها ولْيُمِطْ عنها الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان» قال: «إنكم لا تدرون في أيِّ طعامكم البركة» رواه مسلم .

(ج) دعاء قبل الأكل، وبعد الأكل عن عبداللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه كان يقول في الطعام إذا قُرِّبَ إليه: «اللّهمَّ بارِكْ لنا فيما رَزَقْتَنا وقِنا عذابَ النار، بسم اللّه» رواه ابن السني .

وعن معاذ عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول صلى اللّه عليه وآله وسلم: «مَن أكلَ طعاماً فقال: الحمد للّه الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه أبوداود والترمذي وقال: حديث حسن ،وفي رواية: «وما تأخر».

(٤) آداب الطريق:

(أ) السلام على من وجده في الطريق عرفه أم لا، فعن عبداللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما: أن رجلاً سأل النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: أَيُّ الإسلام خيرٌ ؟ قال: «تُطعم الطعام وتقرأُ السلام على مَن عَرَفْتَ ومَن لم تعرف» متفق عليه.

(ب) احترام الكبير ورحمة الصغير ومساعدة المحتاج وقيادة الأعمى .

(ج) إماطة الأذى عن الطريق .

(د) عدم الإشارة إلى بيوت الآخرين .

(هـ) عدم كثرة الضحك وكثرة المزاح .

(٥) آداب المسجد:

(أ) الدخول باليمنى والخروج باليسرى .

(ب) تعليمه أن المسجد بيت اللّه، فما عليه إلا الالتزام بالهدوء وعدم اللعب فيه، لما رواه مسلم عن بريدة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إنما بنيت المساجد لما بنيت له» .

(ج) دعاء الدخول إلى المسجد وكذا الخروج، عن أبي حميد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «إذا دَخل أحدُكم المسجد فليسلم على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، ثم ليقل: اللّهمَّ افتحْ لي أبوابَ رحمتك، وإذا خرج قال مثل ذلك: اللّهم افتح لي أبواب فضلك» رواه مسلم .

وروى ابن السني «أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم كان إذا دخل المسجد حَمِدَ اللّه وسمى وقال: اللّهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال مثل ذلك: اللّهم افتح لي أبواب فضلك» .

ويسن أيضا أن يبدأ دائماً بيمينه، كما صح عن السيدة عائشة رضي اللّه عنها قالت: «كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يحب التَّيَمُّنَ في شأنه كله، في طَهوره وترجله وتنعله» متفق عليه، واللّه أعلم .

تعليمات المدرسين

المطلوب مِن كلِّ مدرسٍ أَنْ يُطَبِّقَ هذه التعليماتِ في نفسه، ثم في أسرته، وأن يبذلَ جهده في توصيل المعلومات إلى ذهن الطالب، وأن يلزمه بالمداومة عليها طيلة حياته . وعليه بالإخلاص في عمله هذا، وكل أعماله للّه سبحانه، فلا ينفع من العمل إلا ما كان خالصا للّه، نسأل اللّه سبحانه أن يجعل عملنا هذا وكل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



رحلاتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

ورحلاتُه رضي اللّه عنه كثيرة غير أنا لـم نحظ إلا باليسـير منهـا، وقـد طلبتُ منـه رحمه اللّه رحلته الأولى إلى حضرموت فأَعْلـمني أنه أعطاهـا بعـض طلبـة العلـم لينقـل بعض الفوائد منها غير أنها ضَلَّتْ عليه، وله رَحَـلاتٌ إلى الحبشـة والصومـال وأفريقيـا ومصر والشام والعراق ورحلات كثيرة داخل اليمن .

رِحْلَتُهُ لأداءِ مناسكِ الحجِّ مشياً على الأقدام

في الثاني عشر من شوال ١٣٦٥ هـ اتجه الوالـد الحبيب محمد الهدار مـن عـزة بصحبة العـم عبدالقـادر والحبيـب أحمـد عبداللّـه كعيـتي المحضـار [1] صباحـاً، وخـرج لتشييعه العم صالح وجمعٌ غفيرٌ من الأهالي حتى وصلوا إلى المرَدَّم، وعـاد المشـيعون مـا عدا العم صالح، وتـم المبيت في الحَيْكَل في بيت أحمـد العبـد المهـلْ، ولـه صحبـةٌ قويـةٌ بالحبيب الهدار بن شيخ، وتـمت محاضرةٌ في تلك الليلة، ثـم اتجهـوا في اليـوم التـالي إلى

---

(١) هو العلامة أحمد بن عبداللّه كعيتي المحضار، ولد في مدينة حبان سنة ١٣٢٠ هـ وبهـا نشـأ وترعرع وأخذ مبادئ القراءة والكتابة، ثـم رحل إلى تريم لطلب العلـم الشريف، واستقر في رباطها المنيف، وتلقى كثيراً من المعارف العلـمية، ساعده في ذلك صفـاءُ ذهـنٍ وذكـاءٌ نـادرٌ وعقلٌ متفتّح .

وبعد أن قَوِيَ عُوده عاد إلى بلده وبها استـمر داعياً ومرشداً ومفتياً في منطقته، ثـم تـم تعيينه قاضياً وحاكماً لـمدينة حبـان وضواحيهـا، وفي سـنة ١٣٩٢ هـ امتـدت إليـه أصـابع الإلحاد من أذناب الحزب الاشتراكي وقتلوه أمام داره ضمن سلسلة من العلـماء الأعلام دون ذنب يذكر إلا أن المذكور ومن على شاكلته قالوا: ربنا اللّه .

منطقة عَفار، وتم المبيت في منطقة سَراويل، عند صديق والدهم الشيخ علي محمد الرشدي وتمت محاضرة بعد المغرب، وبعد العشاء تم جمع النساء في منزلٍ ووَعَظَهُنَّ سيدي الوالد محمد الهدار، وفي اليوم التالي تمت الموادعة من العم صالح، وعاد من عفار، واتجه الجميع على بركة اللّه إلى السوادية[1] ثم عبس والقاهر[2] وتم المبيت برَداع، وفي اليوم التالي واصلوا السفر وتم المبيت في قاعِ الدَّيْلمي، وقد تم المبيت في العَراء، وعلموا فيما بعد أن بالقرب منهم مسجداً، وأن هناك ولياً للّه هو الإمام أبوالفتح الدَّيْلميّ [3]، فصلوا في المسجد ثم زاروا ذلك الإمام وأَهْدَوا إلى روحه ما تيسر من القرآن، ثم واصلوا السفر وتم المبيت في مَعْبَر في المسجد، وتمت محاضرة هناك، وفي اليوم التالي تم مواصلة السفر وتم المبيت في وَعْلان بلاد الرُّوس، وتم

---

(١) السوادية هي منطقة تعتبر مركز المديرية وكانت تسمى الصفاة، حيث ذكرها الجَنَدي عند ذكره لرباط الصفاة، وهي مجمع قبيلة آل سواد وهي قبيلة كبرى عُرفت بالكرم والشهامة من أعلامها الشيخ الخضر عبدربه السوادي والشيخ بن عبداللّه صالح السوادي والشيخ حسين بن حسين السوادي والشيخ عثمان محمد بن عبداللاه السوادي والشيخ ضيف اللّه بن عبداللاه السوادي .

(٢) القاهر هي اسم لقرية الشيخ أحمد بن قايد الجبري، ذلك الرجل الشهم والكريم المعطا، وقد كان عاملاً للإمام على منطقة السوادية، ومن أحفاده الشيخ أحمد قايد بن أحمد قايد الجبري عضو مجلس النواب، صديق الوالد ، والذي طالما تردد عليه للزيارة، وربما رافقه في سفره وهو على جانب عظيم من الصلاح، أطال اللّه في عمره وإيانا آمين، وكذلك الشيخ إبراهيم بن أحمد بن محمد الجبري وإخوانهم بارك اللّه فيهم أجمعين .

(٣) هو أبو الفتح الدَّيْلميّ، ذكره مؤلف «أئمة اليمن» وأطنب في ذكره، وذكر أنه اقتتل مع جيش الصُّلَيحِيِّين وأنه قتل في نجد الجاح بالقرب من رَداع، وأن ولده نقله إلى ردمان ذمار وهو ما يسمى اليوم «قاع الديلمي» وذلك في عام ٤٤٤، وكان سيدي الوالد يزوره في كل مرة يمر بها، وقلّ أن يسافر دون أن ينزل لزيارته .

المبيت في مسجد القرية، ومن وعلان إلى صنعاء، وفيها كان النزول في سَمْسَرَة بجوار الجامع الكبير، وقد رافقهم من البيضاء أحمد بن محسن الصارطي ساكن مقديشو وشيخ بن صالح القحيم والشيخ صالح بن عبدربه اليافعي من يافع والشيخ علي بن عبدالله زيزيا طالب علم من الحَيْكَل، والشيخ محمد بن عبدالله العمودي[1] من الماذَن ومحمد الدَّحني وعبدالله السيسي ومحمد بن صالح بن محسن الحميقاني من ذي الخشب، وكانت الصلوات في الجامع الكبير، وتعقد محاضرات في عدة مساجد من مساجد صنعاء، وهم ينتظرون خروج «أمير المحْمَل»، والمحمل هو عبارة عن أمير مجموعة كبرى من العلماء والأعيان يرعون الحجاج ويسير بسيرهم كل الحجاج، وكان الأمير على المحمل حينها السيد محمد الحُوثي[2]، وهو عالم كبيرٌ وعَلم مشهور، وشاءت إرادة الله فيما بعد أن يتزوج ابنته العم محسن بن محمد الهدار، وهي أم أولاده عبداللطيف وعبدالله وإخوانهما، وتم المكث في صنعاء نحوا من أسبوع تمت فيها زيارة الأمير عبدالله بن أحمد الوزير، وكان منه السؤال على كثير من شؤون البيضاء وعلمائها وأعيانها، حيث تعرف عليهم عند دخوله على رأس جيش كبير إلى

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبدالله بن باكر العمودي، من مواليد مرخه واسط، وبها نشأ وترعرع، وأخذ بها مبادئ القراءة والكتابة،ثم رحل إلى تريم الغنَّا، وقصد رباطها، وتتلمذ على يد شيخ الإسلام الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، ونهل من المعارف والعلوم، مما جعله يعود إلى منطقته يُعلم وينشر التعاليم الإسلامية، ثم انتقل في سنة ١٣٥١ هـ إلى منطقة الماذن، وبها تولى الإمامة والخطابة منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا، وقد نفع الله به، توفي بعد ما ظهرت عليه آثار الشيخوخة في الماذن عام ١٤٢٠ هـ ودفن بها .

(٢) هو العلامة الناسك، محمد بن محمد بن زيد الحوثي، كان أمير الحج من قبل الإمام يحيى حميد الدين، تولى عدة مناصب منها حاكم جبن، وحاكم السوادية، وعضو مجلس الشورى ثم انقطع للعبادة متردداً على بيوت الله حتى فاجأه الأجل المحتوم في أجواء ١٣٩٨ هـ بصنعاء.

البيضاء عام ١٣٤٢ هـ ، وتـم الخروج مع المحمل من صنعاء وتـم شراء مركوب «حمـار» من صنعاء بالإضافة إلى مركوب آخر أخذه من البيضاء .

وفي عَمران توقف الحمار المشتَرَى من صنعاء وتـأخر عـن المحمـل لعَـرَجٍ في رِجْلِـه، قال العم عبدالقادر عندما تأخرًا عن المحمل وأَحَسَّا بالانقطاع: رفع سيدي الوالد يديـه إلى السماء ودعا اللّه وإذا بالحمار يَنْفُضُ رِجْلَه ويسير وكأنه لـم يُصَبْ بـأذى، وكـان مرافقاً لهم الحادي أحمد علي اليَريمي من يَرِيم، وطالـما أسمعهم أشعارَ سيدنا عبدالرحيم البرعي بصوته الجميل والشجي ليخفف عنهم مـن عنـاء السـفر، وكـان يعقـد في كـل جلسة يجلسونها مجلس علـم في أبواب الحج في «بشرى الكريم» و«مغني المحتـاج»، وفي الحديث في كتاب «التاج الجامع للأصول» .

وفي عَمران ودَّعَ أناسٌ من أهـالي صنعـاء الحجـاجَ ومعهـم رجـلٌ يُبغـض الشـيخين فَتَفَوَّهَ بكلـمةٍ سيئةٍ نحو الشيخين عليهما السلام وكـان الوالـد رحمـه اللّه راكبـاً علـى حماره فتغَيَّرَ لَوْنُهُ، وقال: ما كنّا نظنُّ أنَّ أحداً من أهل اليمـن يَسُـبُّ أصحـاب رسـول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم، ورفع صوته وحذَّر وأَنْذَرَ حتى اجتـمع إليه كثـيرٌ مـن العلـماء واعتذروا لـما بدر من ذلك الرجل، وأفادوا بأنـه جـاهلٌ، وقـال مخاطبـاً لهـم: الحجة عند علـماء السوء الذين لـم يُوَضِّحُوا كثيراً من المسائل التاريخية التي كَذَبَ فيها بعض رواة السير، وكثيراً ماكان يردد:

. . . واعْلَـــم بـــأَنَّ السِّـــيَرا تَجْمَـعُ مـا شَـذَّ ومـا قـد نُكِـرا

ومن عَمران إلى رَيدَة، ومنها إلى حُوث وحَرْفِ سفيان، ثـم إلى الصفراء آل عَمّار، واستـمر المحمل يواصل السفر حتى وصـل صعـدة، ونزلـوا في مـنزل رجـل مـن أهـالي

صعدة يسمى الركيك، واتجهوا إلى مسجد الإمام الهادي يحيى[1] بن الحسين وصلوا فيه وزاروا ضريحه، وقد وجدوا رائحةً طيبةً عند القبر، فسألوا عن سبب ذلك وعلموا أن الإمام الهادي كان مصاباً بجرح في رجله من جراء معركة مع الباطنية فصبر عليه، وبعد مماته وإذا برائحةٍ طيبةٍ تنفح منه، وهذه من الكرامات التي منحها الله لكثير من أوليائه، وفي صعدة تم المكث نحواً من ثلاثة أيام وواصلوا السفر منها إلى رأس عقبة نجران المسمى المضيق، ثم وصلوا نجران ومكثوا بها نحو من ثلاثة أيام ثم اتجهوا نحو بِيشَة ثم ظَهْران الجنوب .

أما السيد أحمد بن عبدالله الكعيتي المحضار فقد وجد رُفقةً في نجران واتجه معهم، ومنها إلى خميس مشيط ووادي تَنُومَة والباحة، ومنها إلى الطائف، وفي الطائف نزلوا في منزل بإيجارٍ، واتجهوا إلى مسجد الإمام عبدالله بن عباس وزاروه مِراراً أيام إقامتهم هناك، ومن الملاحظ أنه لم يترك قيام الليل في ذلك السفر حسبما أفاد مرافقوه، وكذلك إحياء الوقت بعد صلاة الصبح بالذكر ومجالس العلم إلى شروق الشمس كلَّ يوم، كما أنه حينما ينزل في أي قرية أولَ ما يبحث عن مسجدها ويقصده .

وفي الطائف قصدتْه عجوزٌ تشكو أن ابنها قد جُنَّ منذ خمسة عشر عاماً وأدخلتْه إلى الغرفة التي هو محبوسٌ فيها فأَذَّنَ في أُذُنِهِ اليمنى وأقام في اليسرى فشفاه الله سبحانه

---

(١) هو الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني العلوي الرَّسِّي، ولد بالمدينة المنورة عام ٢٢٠ هـ، وكان يسكن «الفرع» من أرض الحجاز مع أبيه وأعمامه، ونشأ فقيهاً عالماً ورعاً فيه شجاعةٌ وبطولةٌ وصنَّف كتباً، نزل بصَعْدَة سنة ٢٨٣ هـ في أيام المعتضد، وبايعه أبوالعتاهية وعشائره وبعض قبائل خَولان وبني الحارث بن كعب وبني عبدالمدان، وخُوطب بأمير المؤمنين وتَلَقَّبَ بالهادي إلى الحق، وفَتَحَ نجران وأقام مدةً، وقاتله عُمّالُ بني العباس فظفر بعد حروب ومَلَكَ صنعاءَ سنة ٢٨٨ هـ، وامتدَّ مُلْكُه فخُطِبَ له بمكة سبع سنين وضُربت السّكّةُ باسمه، وتوفي في سنة ٢٩٨ هـ ودفن بصعدة رحمه الله .

وتعالى على الفور، وحصل في بيت ذلك الرجل ابتهاجٌ عظيمٌ وفرحٌ كبيرٌ، وأهدتْ له مالاً كثيراً إلا أنه أصرَّ على عدم أخذ شيءٍ منها، وتم بيعُ الحمار في الطائف، ومِن يَلملم أحرموا بالحج إفراداً وركبوا سيارات كبيرة «لوري» إلى مكة المكرمة .

قال رضي اللّه عنه حينما يَقُصُّ علي هذه القصةَ: ليتنا واصلنا المشي إلى مكة المكرمة ولم نركب السيارات، إذ ورد في «إحياء علوم الدين»: قال مجاهدٌ وغيرُه من العلماء: إن الحجاج إذا قدموا مكة تَلَقَّتْهُمُ الملائكةُ فسَلموا على ركبان الإبل وصافحوا ركبان الحُمُر واعتنقوا المشاةَ اعتناقاً .

وفي مكة نزلوا في جبل أبي قبيس عند المطوف مصطفى بن حسين من أهل مكة واتجهوا إلى بيت اللّه، وأكملوا مناسك الحج، وقد صادف في ذلك الوقت أن فُتحت الكعبة المشرفة، فكان من أول الداخلين إليها وصلى فيها، وفي ذلك ثوابٌ عظيمٌ وفي الحديث: «من دخل البيت فصلى فيه دخلَ في حسنةٍ وخرج من سيئةٍ مغفوراً له»، وفي لفظ: «مَن دخل البيتَ خرج مغفوراً له» ذكره في «شفاء الغرام»، وفي أثناء وجوده في الكعبة المشرفة رأى صديقه العلامة الداعية إلى اللّه طاهر بن حسين الكاف[1] فإذا به يناديه ويُمدُّ يده إليه، فأخذه وصعد به إلى الكعبة رحمهما اللّه جميعا آمين .

---

(١) هو العلامة الحبيب طاهر بن حسين الكاف، ولد في تريم ١٣٣٤ هـ، ونشأ وترعرع بها وحفظ القرآن الكريم، وأخذ جل المعارف عن خاله شيخ الإسلام الحبيب عبداللّه بن عمر الشاطري، وكان زميلاً لسيدي الوالد في رباط تريم، ثم انتقل إلى الصومال داعياً ومرشداً وحج في السنة التي حج فيها سيدي الوالد سنة ١٣٦٥ هـ .

قال رضي اللّه عنه: «وصادف أن فتحت الكعبة في ذلك العام فلم أشعر بالحبيب محمد الهدار إلا يناديني وهو وسط الكعبة فأقبلت وأخذ بيدي حتى أدخلني الكعبة معه» ، وحينما وصل إلى صنعاء أمرني سيدي الوالد بالذهاب لكي أوصله إلى البيضاء وبها مكث لدينا فترة كانت من أسعد الأوقات وحينما سافر امتزجت الدموع للوداع، وكان رحمه اللّه على

وفي أثناء إقامته في أم القرى شرفها اللّه كان كثير التردد على زميله في الدراسة السيد محمد بن صالح المحضار وكذا الشيخ عمر اليافعي نزيلَيْ مكة، وكان طيلة أيام السفر وبالذات أيام التشريق يجمع رفقته ومن حضر معهم ليرشدهم ويعلمهم مناسك الحج، وقد زار ومرافقوه كثيراً من العلماء منهم السيد علوي بن عباس المالكي، والحبيب عيدروس بن سالم البار[1] الذي دخل عليه وهو في فراش المرض، فحينما رآه جلس وأجازه إجازةً عامةً، ولم يلبث أن توفي وخلفه ولده شيخنا الحبيب علي بن عيدروس البار الذي قام بمقام والده خير قيام حتى توفي بمكة المكرمة عام ١٤٠٩ هـ ، وهناك اجتمع مع خاله الشيخ محمد بن عبداللّه باصهي الذي وصل من مقديشو لأداء مناسك الحج والزيارة، وبعد انتهاء مناسك الحج اتجهوا جميعا إلى جدة ومنها إلى المدينة المنورة على سيارات كبيرة «لوري» واستمرت الرحلةُ ثلاثةَ أيامٍ تقريباً، وفي أثناء الطريق توقفوا في بدر لزيارة سادتنا شهداء بدر، وفي المدينة المنورة نزلوا في رباط السادة ووجدوا العابد السيد صالح فدعق، وكان الرباط قريباً من الحرم وقد دخل اليوم ضمن المسجد النبوي، ولقربه كان أكثر الجلوس في المسجد النبوي الشريف،

جانب عظيم من الصلاح مع علم غزير بالذات في علوم القرآن واللغة العربية، ثم انتقل إلى جدة وبها استقر إلى أن فاجأه الأجل المحتوم في شهر شوال ١٤١٧ هـ ودفن بمقبرة المعلاه.

(١) السيد عيدروس بن سالم البار ولد بمكة المكرمة ١٢٩٩ هـ وأخذ عن جُل علمائها وبالذات السيد حسين الحبشي والشيخ محمد سعيد بابصيل وغيرهم، وقد كان من أشهر علماء مكة مع نسك وزهد وورع، وكان يقرر في دروسه كثيراً من كتب الفقه وكتب الإمام عبداللّه بن علوي الحداد، كما أفاد المؤرخ عمر عبدالجبار، واستمر في مكة المكرمة فاتحاً منزله يقصده العلماء من كل حدْب وصوب حتى توفاه اللّه عام ١٣٦٥ هـ بمكة المكرمة ، ولا زالت الجلسات العلمية مستمرة في منزلهم العامر رحم اللّه السلف وبارك في الخلف آمين.

وزاروا كل المآثر في المدينة المنورة مشياً على الأقدام، وبها مكثوا نحواً من ثلاثة أيام، ثم تودعوا وعادوا إلى جدة بعد الإحرام بالعمرة من ذي الحليفة، ومنها إلى مكة لأداء مناسك العمرة ثم عادوا بعد التودع من بيت اللّه إلى جدة، ومنها حجزوا في باخرة تسمى «زينال» متجهة إلى السودان عبر الحديدة لتترك حمولتها من الحجاج اليمنيين في الحديدة، ثم تواصل سفرها إلى السودان، وكان ممن أبحر معهم في تلك الباخرة السلطان محمد بن جعبل العوذلي وولده جعبل بن محمد جعبل والأمير عبداللّه بن أحمد العوذلي ومرافقوهم، والشيخ موسى بن أحمد العامري[1] والشيخ محمد بن عبدالقوي الحميقاني رحمهم اللّه جميعاً وجمع غفير من أهالي الحديدة وزَبيد، وكان عددهم نحواً من ستمئة .

وفي أثناء الرحلة وعلى مقربة من المياه اليمنية توقفت الباخرة عن مواصلة سيرها لعطب حصل فيها مع هيجان البحر الذي طالما وصلت مياهه إلى أعلى سطح الباخرة، حتى إن الوالد كان يجلس للتدريس في كتاب «التاج الجامع للأصول» في الحديث فأتت المياه الهائجة وأخذت الكتب التي أمامه وحصل من جرّاء ذلك كربٌ وخوفٌ شديد لدى الحجاج، وإذا بعالم مصري -وهو الحاجُّ الوحيد من مصر- ينادي الحجاج بأعلى صوته حينما رأى طاقم الباخرة قد أَعَدُّوا عدتهم لتجهيز قوارب للخروج منها وترك الباخرة مع مَن فيها من الحجاج فريسةً للغرق، فاتَّجه الحجاجُ نحو

---

(١) هو الشيخ موسى بن أحمد بن علي العامري، من مشايخ بني عامر وشقيق الشيخ ناصر بن أحمد العامري، وقبيلة بني عامر فَخِذٌ من قبيلة بني هلال، انتقل سَلَفُهُم من نواحي مرخة العوالق واستقروا في «العقلة» ناحية الصومعة آل عزّان بالقرب من منطقة «حصي» التاريخية، كان رحمه اللّه على جانبٍ عظيمٍ من الصلاح والنُّسُك والعبادة، ملازماً لكتاب اللّه، ومحباً للعلماء، ومكرماً لهم، واستمر على ذلك الحال حتى فاجأه الأجل المحتوم في منطقة «العقلة» عام ١٤١٨ هـ ودفن بها .

القوارب وحرسوا منافذ الخروج لِيَحْيَوا معا أو تكونَ الأخرى؛ إلا أن طاقم الباخرة حينما رأوا الجِدَّ حاولوا بعد جُهدٍ جَهيدٍ ومشقةٍ كبيرةٍ إعادةَ الباخرة إلى جدة، واستمر الحجاج في البحر نحواً من عشرة أيام ذاقوا فيها الموتَ مراراً وألواناً، وإذا بالشيخ محمد بن عبدالله باصهي يبشر الحجاج بظهور جبلٍ فاستبشر الحجاج وعاد إليهم الأمل وعادت الحياة فقربوا من الساحل ونزلوا بسلامة اللّه على ظهور أناسٍ وصلوا لإخراجهم من الباخرة المذكورة، وعاد الجميع إلى جُدة ونزل الوالد ومرافقوه في رباط جدة .

أما الشيخ محمد بن عبدالله باصهي فقد سافر بالطائرة إلى عدن، وأما الآخرون فقد اتجهت مجموعةٌ منهم وعلى رأسهم السلطان محمد بن جعبل العوذلي لزيارة الملك عبدالعزيز آل سعود ليخبروه بما قاسوه في رحلتهم وليطلبوا منه سيارة لأخذهم إلى الحديدة، فخصص لهم سيارة من ماركة «فوردلوري» لنقلهم إلى منطقة السلطان محمد جعبل «لودر»، وقد حصل لها عطبٌ في الطريق وبالذات في منطقة الليث حيث تأخروا مدة أربعة أيام، وعاد السائق إلى جدة ليأتي بمهندس لإصلاح السيارة المذكورة واستمر السفر إلى الحديدة لمدة عشرين يوماً، ومن الحديدة إلى تعز، فنزل الوالد لزيارة مفتي محافظة تعز الحبيب إبراهيم بن عمر بن عقيل، والذي كان يعمل إماماً وخطيباً في جامع المظفر ومديراً للمعارف من قبل الإمام أحمد حميد الدين، وقد وجد السلطان محمد جعبل ابنه ناصراً منتظره بسيارته «اللوري» في تعز فعادت السيارة التي نقلتهم من جدة وواصل البقية السفر إلى عدن في سيارة السلطان محمد جعبل العوذلي، أما الوالد فقد بقي في تعز لدى الحبيب إبراهيم بن عمر بن عقيل وذهب معهم صنوه العم عبدالقادر الهدار إلى عدن ونزل عند بعض أقاربه ثم اتجه إلى لودر ومنها إلى البيضاء وعزة .

ومكث الوالد فترة من الزمن في تعز عند السيد إبراهيم بن عقيل قرأ خلال تلك الفترة عليه كثيراً من الكتب العلمية وبالذات في القرآن وعلومه والحديث والفقه والتصوف، ثم سافر إلى عدن ومنه اتجه إلى لودر ثم إلى البيضاء وعزة بحمدالله وسلامته وتوفيقه .

الرحلة الثانية

تلي الرحلة السابقة رحلة ثانية لأداء مناسك الحج عام ١٣٧٥ هـ فقد اتجه رحمه الله من البيضاء يرافقه الأخ سالم بن صالح النسي [١] ، وذلك بعد أن طلب منه الشيخ صالح بن ناجي الرويشان محافظ محافظة البيضاء أن يرافق السلطان عوض بن صالح بن عبدالله سلطان نصاب[٢] ، والذي وصل لزيارة الإمام أحمد في تعز ثم لأداء مناسك الحج، واتجه الجميع في سيارة من البيضاء ، وفي الطفة خرج الشيخ محمد بن

---

(١) سالم بن صالح بن خميس النسي، من أهالي مرخة قرية واسط، انتقل إلى عزة في صباه مع أخيه أحمد عام ١٣٧٠ هـ وعمل مع الوالد فترة ورافقه في كثير من أسفاره، واستمرا إلى عام ١٣٨٢ هـ فانتقلا إلى جدة، أما أحمد فقد انتقل إلى رحمة الله عام ١٤١٨ هـ بعد وفاة الوالد بعد مرض عضال ألم به، وأما سالم فلازال بخير تحفه عناية اللّه ورعايته ولهم ذرية مباركة .

(٢) السلطان عوض بن صالح بن عبدالله، سلطان نصاب بالعوالق من محافظة شبوة، كان على جانب عظيم من الصلاح مع سمت حسن وحلم وافر ، وكان كثير الزيارة للإمام أحمد كثير التردد على البيضاء، وقد استعان في أعماله بالعلامة الكبير أحمد بن علوي الحداد قبل أن يتولى رئاسة القضاء في دولة اتحاد الجنوب العربي، وقد استمر المترجم له سلطاناً في بلاده حتى قيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وتوفي عام ١٣٨٧ هـ .

صالح بن ناجي الرويشان لاستقبالهم مع أعيان المنطقة وعلى رأسهم الشيخ عبدالله بن محمد الهياشي والشيخ عبدالرب بن صالح الهياشي والشيخ محسن بن سالم وغيرهم، واستُقبلوا بترحيب حار حيث أطلقت العيارات النارية بكثافة، وكان المبيت في الطفة في منزل الشيخ صالح بن ناجي الرويشان، وتمت محاضرة بعد المغرب.

وفي الصباح الباكر ودَّعهم الشيخ محمد بن صالح فاتجه الجميع على بركة الله حتى وصلوا ذمار ومن ذمار واصل السلطان عوض ومرافقوه السفر نحو تعز، أما سيدي الوالد فقد اتجه إلى صنعاء يرافقه سالم بن صالح النسي وبها مكثا يوماً واحداً زار بعض علمائها، ثم تم الاتجاه نحو صعدة، وفي صعدة بحث عن سيارة أجرة فلم يجد، فاشترى حماراً لحمل المتاع ومشى مع مرافقه إلى نجران مشياً على الأقدام، ومن نجران ركب في سيارة يملكها رجل من الدواسر اسمه متعب الدوسري، وواصل الجميع المشي إلى الطائف وفيها زار ضريح سيدنا عبدالله بن العباس رضي الله عنهما ومن الطائف إلى جدة ثم إلى مكة المكرمة.

وتم الإحرام بالحج إفراداً وتم أداء المناسك بحمد الله وقد كان في رحلاته يتردد على كثير من العلماء، منهم عالم الحرم السيد علوي بن عباس المالكي والسيد محمد بن صالح المحضار والسيد عبدالله بن حسن الجفري [1] والسيد عبدالرحمن بن

(١) السيد عبدالله بن حسن الجفري، ولد في الخريبة بحضرموت عام ١٣١٩ هـ، وبها نشأ وترعرع وأخذ عن جُل علمائها، وفي سنة ١٣٤١ هـ اتجه صوب الحجاز وطنب خيامه في مكة المكرمة، وأخذ عن السيد عباس المالكي وعن الشيخ عيسى الرواس والشيخ حسن مشاط، وعمل في حقل التجارة التي لم تكن إلاَّ سبباً موصلا إلى أعمال البر والإحسان واستمر على ذلك كريماً محسناً، وله ولأولاده الكرام أثر كبير في مساعدة الوالد في عمارة رباط الهدار للعلوم الشرعية والإنفاق عليه وانتقل إلى جوار ربه عام ١٣٩١ هـ، وخلف أولاده السائرين على طريقته محمد الملقب باعبود وحسن ومحمد المكي الشهير بحمادي

حسن الجفري[1] والشيخ عمر بن محمد اليافعي[2] ، ثم اتجها إلى المدينة المنورة وزار ومرافقه الحضرة المشرفة والشهداء ومقبرة البقيع، وقد اتفقا في المدينة بالشيخ عمر عوض حداد الذي وصل من أسمرة وفي المدينة زار السيد الناسك العابد أبابكر بن

وعبدالوهاب والدكتور محمد الصادق ومحمد حامد ومحمد ياسين، بارك اللّه فيهم وجعل الخير باقياً فيهم وفي عقبهم إلى يوم الدين وإيانا آمين .

(١) السيد عبدالرحمن بن حسن الجفري، من مواليد الخريبة بحضرموت ١٣٢١ هـ، وبها نشأ وترعرع وأخذ عن كثير من علمائها ثم انتقل إلى جدة وبها استقر وفتح أعمالاً تجارية بها، له كثير من الأعمال الخيرية وبالذات في دعم وتشجيع العلماء والإنفاق على المعوزين ، وبالذات في أيام الشدة والبطش في حضرموت،كما كان يقوم بإصلاح ذات البين ، وله في ذلك قدم وباع واسع، وفي جدة استمر حتى أدركته الوفاة بها سنة ١٤٠٣ هـ .

وله أولاد صالحون سائرون على طريقته وله ولهم مساهمات في دعم رباط الهدار للعلوم الشرعية وفي الإنفاق عليه جزاهم اللّه خيرا ، وهم عمر ومصطفى وياسين والدكتور محمد هشام بارك اللّه فيهم وجعل الخير باقياً فيهم وفي عقبهم إلى يوم الدين وإيانا آمين .

(٢) الشيخ عمر بن محمد اليافعي، من أكابر علماء الشافعية، ولد بحضرموت وبها نشأ وترعرع والتحق برباط تريم، وتشبع من علوم شيخ الإسلام عبداللّه بن عمر الشاطري، وبعد وفاته انتقل إلى مكة المكرمة وتصدر حلقة في الحرم المكي لتدريس الفقه على مذهب الإمام الشافعي ولازم عين علماء مكة السيد عيدروس بن سالم البار ملازمة الظل للشاخص وقد قابلته في عام ١٣٩٠ هـ، وكان يناقشه سيدي الوالد في كثير من مسائل الحج مكبرا علمه الغزير واستمر على ذلك حتى أدركته الوفاة على إثر حادث سير بين مكة والمدينة عام ١٣٩٥ هـ تقريباً، ودفن بالبقيع ولم يعقب، وقد اشترى مكتبته العلمية الأخ حمادي بن عبداللّه بن حسن الجفري .

حسن الحامد[١] والسيد عمر بن المثنى العطاس [٢] ، ومكث في المدينة المنورة نحـواً مـن عشرين يوماً مواظباً على الصلوات الخمس في المسجد النبوي ومواصلاً لزيارة أفضـل الخلق صلى اللّه عليه وآله وسلـم وصاحبيه، وتردد على المآثر وبـالذات مسـجد الفتـح والذي طالـما وتردد على زيارته بعد ظهر يوم الأربعاء حتى آخر أيامه [٣] ، ثـم رجع من المدينة إلى مكة فقد كان يتحاشى الرجوع إلا محرما حتى لا يأثـم بِعَـدَمِ الإحـرام، وكان رحمه اللّه يكرر مسألة الرجوع من غير إحرام لـمن يريد النسك في عامه وأن في ذلك إثـما[٤] ، ومـن مكـة عـاد إلى جـده ونـزل بربـاط الحضـارم، واتفـق بالسـلطان

---

(١) أبوبكر بن حسن بن عيدروس الحامد، من مواليد عَمد حضرموت وبها نشأ وترعرع وأخـذ عن جُل علـمائها، ثـم انتقل إلى المدينة المنورة، واستمر بها مجـاوراً لرسـول اللّـه صلـى اللّـه عليه وآله وسلـم مع صلاح ونسك وعبادة، وقد قال فيه سيدي الوالد مديحة حمينية مطلعها:

بوبكـر يـابن حسـن يـاالفحل يـاابن الفحـول

واستـمر بالمدينة المنورة إلى أن فاجأه الأجل المحتوم ١٣٨٧ هـ تقريباً ودفن بالبقيع .

(٢) عمر بن علي بن مثنى العطاس، عالـم عابد ولد في حريضة بحضرمـوت وبهـا نشـأ وترعـرع وأخذ عن جل علـمائها ، ثـم انتقل إلى المدينة المنورة مجاوراً لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآلـه وسلـم، وكان سيدي الوالد كثير التردد عليه، وكان يحثنا دائماً علـى التضلـع مـن التفقـه في الدين ويقول: إن أهل هذا الزمان أهملوا الفقه . واستـمر في المدينة المنورة حتى فاجأه الأجل المحتوم بها عام ١٤٠٢ هـ .

(٣) لـما روي عن جابر بن عبداللّه رضي اللّه عنهما أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلـم دعـا في مسجد الفتح ثلاثاً يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويـوم الأربعـاء فاستُجيب لـه يـوم الأربعـاء بـين الصلاتين فعُرف البشر في وجهه، قال جابر رضي اللّه عنه: فلـم ينزل بي أمر مهم غليـظ إلا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة . رواه أحمد والبزار .

(٤) انظر « التحفـة » لابـن حجـر، و« عـدة المسـافر » لباسـودان، و« رسـالة الحـج المـبرور » للـمترجم له .

عوض بن صالح في فندق قريش بحارة المظلوم، واتجهوا جميعاً إلى المخا في باخرة تسمى « معين » ، وواصلوا الإبحار حتى وصلوا الحديدة ومنها إلى المخا .

ومن المخا اتجه إلى تعز ونزل عند السيد العلامة إبراهيم بن عمر بن عقيل ومكث لديه يومين، ومن تعز إلى عدن ونزل عند الشيخ سالم بن محمد العولقي، ثم ركب طائرة إلى مكيراس ومنه إلى البيضاء وعزة بصحبة مرافقه المذكور بحمد اللّه وتوفيقه، وتوالت بعدها الرحلات إلى الحج كل عام تقريباً ولم نذكر أنه رحمه اللّه تأخر عن الحج إلا نادراً .

الرحلة إلى شبوة

قام رحمه اللّه بعدة رحلات إلى شبوة ونواحيها، وشبوة كما ضبطها الحجري بفتح الشين المعجمة وسكون الموحدة وفتح الواو ثم هاء بلدٌ قديمٌ حميري فيما بين مأرب وحضرموت، وفيها أحد جبلي الملح الحجري، والآخر بصافر جبلٌ آخر بينها وبين مأرب، وملح شبوة ينقل إلى حضرموت وما إليها، وملح صافر ينقل إلى مأرب ثم إلى بلاد صنعاء وذمار والجوف وما إلى ذلك .

ويسكن ناحية شبوة قبائل الكُرَب بضم الكاف وفتح الراء المهملة ثم موحدة، وقبائل الصَّيْعَر بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح العين المهملة ثم راء مهملة، ومن لَحام قبائل الكُرَب آل جَعَيْوان وآل حسن والمطاجلة، والحُولان وآل محمد بن سالم، وآل ناصر بن أحمد، وآل قِصّان، والقِعَطة، وآل فرح، وآل عُوَيرَة، ومن آل عويرة آل القُباص .

ومن لَحام قبائل الصيعر آل صالحة وآل عبدالله بن عَون وآل عُبَيدُون وآل حُويلان والعساكرة وآل دَحيان وآل محمد بن ليث وآل علي بن ليث، ويسكن شبوة نفرٌ من العرب يعرفون بالفقراء عند أهل الجوف، وبالمشايخ عند أهل حضرموت، وهم يتّجرون بين حضرموت والجوف، وفي «معجم البلدان»: شبوة بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الواو، وهو اسم موضع، قال رجلٌ من بني عامر بن عَوبَثان:

طَرِبَتْ وهاجَتْكَ الحَمُولُ البَواكِرُ ... مُقَفّيةً تَحْدِي بِهِنَّ الأباعِرُ
على كُلِّ مَهْرِيٍّ رَباعٍ مُخَيَّسٍ ... لَهُ مِشْفَرٌ رَخْوٌ وهادٍ عراعِرُ
يُذَكِّرُ أظعاناً بشَبْوَةَ بعدَما ... عَلَوْنا بُرُوجاً فَوقَهُنَّ مَناظِرُ

وقال بشر بن أبي حازم:

أَلاَ ظَعَنَ الخَلِيطُ غداةَ ريعوا ... بشبوةَ والمطِيُّ لها خُضُوعُ
أَجَدَّ البَينَ فاحتملوا سِراعاً ... فما بالدارِ إذ رَحَلُوا كَتِيعُ

وشبوة أيضاً من حصون اليمن في جبل رَيْمَة، وقال الأزدي: شبوة في طرف العراق في قول ابن مقبل حيث قال:

مَنَعُوا ما بينَ أعلى شبوةٍ ... وقصورِ الشام بالضَّرْبِ الخَذِمْ

وقال نصر: شبوة بلدٌ من اليمن على الجادة من حضرموت إلى مكة، وقال ابن الحائك وهو يذكر نواحي حضرموت: شبوة مدينةٌ لحمير، وأحد جبلي الملح بها، والثاني لأهل مأرب، قال: فلما احتربت مَذْحِجٌ وحِمْيَرٌ خرج أهل شبوة من شبوة وسكنوا حضرموت، وبهم سميت شبام، وكان الأصل في ذلك «شباه» فأبدلت الميم من الهاء، انتهى ما ذكره ياقوت .

وكانت رحلات سيدي الوالد إلى شبوة في فترات متعددةٍ، وقد رافقته في بعض رحلاته إليها وأنا في سن الصبا، منها رحلته سنة ١٣٨٣ هـ، وقد وجدنا في مذكراته

كثيرا من أخبار تلك المنطقة، وأنه كان يكلفه محافظ محافظة البيضاء القاضي محمد بن عبدالله الشامي[1] بالذهاب إلى قبائل شبوة، وهي قبائل العوالق العليا للإصلاح عند نشوب حرب بينهم، ومعلومٌ أن الرحلات كانت مشياً على الأقدام مروراً بمنطقة العُقلة وحَصِي، وفيها ينزل لزيارة الإمام عمر بن المبارك الجُعفي الملقب «مقطوع اللسان»[2]، ثم المشْرَع والمقضاب والميفاع والرَّكَبْ، وهو عبارة عن محطة لاستراحة المسافرين، وأسفلها نهر، وفي الركب يجتمع المسافرون الذاهبون إلى

---

(١) هو القاضي الحُلاحِل الزاهد الناسك محمد بن عبدالله بن زيد بن إبراهيم بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن زيد بن صالح الشامي، مولده في كوكبان ١٣٠٣ هـ وبها نشأ وقرأ القرآن وعلومه على مشايخها الأعلام، وكان شهماً وبطلاً صارماً ماهراً في السياسة والتدبير لا يخاف في الله لومة لائم، كثير الخشوع محباً للعلم والعلماء مواظباً على الطاعات آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، يغضب إذا بلغه ما يخالف الشرع، غيوراً على محارم الله. وفي ١٣٣٧ هـ تعين عاملاً في جُبَيْش، وقام بمهام الأمور فيها بهمة عالية، وقدرة فائقة، وسار في الرعية سيرة مرضية، أقام قناة الشريعة وانتصف للضعيف وقمع شوكة الظالمين، ثم أنيطت إليه أعمال زبيد فانتقل إلى هناك ومكث مدة تزيد على عشر سنوات، شارك خلالها في معارك الزرانيق مع الإمام أحمد، ثم تعين محافظاً للواء البيضاء وسار فيه سيرة محمودة لازالت مآثرها تفوح على ألسنة الأهالي قاطبة، معروف بتواضعه وشدته في الحق، وقّاف عند كتاب الله، يثني عليه كل من جالسه، وله مع ذلك الذكاء الثاقب، وكثيراً ما يردد الأهالي حكاياته النادرة والتي يفضح بها زيف وخداع الماكرين من الناس، وكان مقر إقامته الحكومة السفلى بالسوق ثم انتقل إلى الحكومة العليا أسفل القلعة، وفي الآونة الأخيرة تعين الشيخ صالح بن ناجي الرويشان نائباً له في إمارة اللواء، واستمر رحمه الله على ذلك الحال حتى تم تعيينه وزيراً للدولة وأخيراً نائباً للإمام أحمد في صنعاء حتى قيام الثورة، وأبلى بلاءً ثم ارتحل إلى كوكبان ضارباً عن الدنيا ملازماً للذكر والعبادة حتى توفاه الله سنة ١٣٨٨ هـ .

(٢) تقدمت ترجمته، وهي مبسوطةٌ في «السلوك» و«طبقات الخواص» .

البيضاء، والعائدون منها،وفي عام ١٣٨٣ هـ اتجهنا على بركة اللّه وبتوفيقه وقد رافقنا في تلك الرحلة السيد الأجل طاهر بن أحمد الجنيدي [(١)]، الذي اختاره الوالد لأن يكون أمير رحلتنا، والذي كان يقوم بالأخبار والإعلام مع من يلقاهم من المسافرين، كما رافقنا السيد العابد أحمد بن حسين الجنيدي، والأخ محمد بن عبداللّه المزيد طالب علم من طياب مديرية ذي ناعم، والحاج محمد بن سعيد من الماذن، وودعنا الحبيب عبدالرحمن بن أحمد الجنيدي[(٢)] إلى منطقة الشعرة، وهي بالقرب من حصي، ومررنا بالعقلة والمشرع وزهيرا والمقضاب، وكان في استقبال سيدي الوالد الشيخ

---

(١) طاهر بن أحمد الجنيدي، من الحكماء الذين يسعون في إصلاح ذات البين، مع عقل راجح وتدبير وتفهم في عواقب الأمور، من أهالي الماذن ، رحل في صباه إلى الحبشة للتجارة وللكدح في سبيل الرزق ، ثم عاد إلى موطنه واستقر في عَوِّين الأعلى من ضواحي البيضاء، واستمر بها إلى أن فاجأه الأجل المحتوم سنة ١٤٠٤ هـ تقريباً ودفن بها .

(٢) هو السيد عبدالرحمن بن أحمد الجنيدي، عابد زاهد من أهالي الماذن من ضواحي البيضاء، أخذ مبادئ القراءة والكتابة، ثم رحل إلى عدن في صباه والتحق بجيش سعيد باشا، الوالي العثماني في اليمن حين نشوب الحرب بينه وبين بريطانيا سنة ١٣٣٣ هـ، حيث زحف القائد سعيد باشا على عدن، على رأس قوة تركية تساندها القبائل من كثير من المناطق اليمنية، حتى تم الاستيلاء على لحج، والتجأ السلطان أحمد بن علي العبدلي إلى عدن، وقد قابلتهم القوات البريطانية بهجمات قوية، ولعل الطائرات البريطانية كانت السبب في تراجع القائد سعيد باشا عن دخول عدن، وكان المترجم له كثير التردد على بيوت اللّه مع عبادة وإنابة قلّ أن يوجد له نظير فيها، وكان الوالد حين خروجه للدعوة يمر على الماذن لزيارته وللمكث لديه، ثم تردد على الحرمين الشريفين فترة، وتوفي في الحديدة وهو عازم للعمرة والزيارة في ١٩ صفر عام ١٤٠٨هـ ودفن بها .

محمد بن موسى طالب [١] والحاج عبدالنبي بن أحمد اليحوي [٢] ومحمد بن صالح القاضي وغيرهم، وبعد طلب السماح منهم لمواصلة السفر اتجهنا إلى الميفاع، وبتنا في منزل الشيخ حسين بن علي الثرياء [٣] بعد أن تمت محاضرة للرجال بعد المغرب، ومحاضرة أخرى للنساء بعد العشاء من وراء ساتر . وقد ذكر الهمداني كثيراً من الأودية في هذه المنطقة منها حَجْلان وذوالعيبة والموطن والمضمار وذات عين وشَبَثان وذو القعقاع ونخلان، قلت: «ولازالت بعض المناطق تحمل نفس الاسم حتى

---

(١) هو الشيخ محمد بن موسى بن طالب اليحوي من آل يحيى، كان على جانب عظيم من الصلاح والمروءة والشجاعة والشهامة، مرجعاً في منطقته لكثير من قضايا الأهالي كريماً مضيافاً ، توفي بعد الثورة ودفن في المقضاب ، وخلفه أخواه الشيخ علي بن موسى بن طالب والشيخ صالح بن موسى بن طالب وكيل محافظة صنعاء في الوقت الراهن، والذي تدرج في عدة وظائف وتقلد عدة مناصب، ولا زالا بخير تحفهما عناية اللّه، ولهم ذرية صالحة جعل اللّه الخير فيهم وفي عقبهم وإيانا إلى يوم الدين آمين .

(٢) هو الحاج عبدالنبي بن أحمد بن علوي اليحوي، من أهل الفضل والصلاح، سكن البيضاء فترة من الزمن ثم عاد إلى موطنه المقضاب، وتربطه صداقة متينة بسيدي الوالد هو وأولاده الكرام الحاج صالح ومحمد وعلي وأولادهم، وحينما تم تأسيس الرباط كان المترجم له وأولاده من أول المساعدين في تأسيسه، ولا زالوا على ذلك جزاهم اللّه خيرا ، وقد توفي في المقضاب ١٤١١ هـ وأمرني سيدي الوالد بأن أذهب لتعزية أولاده نيابة عنه بعد أن أثنى عليه كثيرا .

(٣) هو الشيخ حسين بن علي الثرياء من أهل الفضل والصلاح، ملازم لكتاب اللّه متمسك به مرجع لكثير من قضايا الأهالي، وهو الآن في العقد العاشر من عمره، وله من الأولاد الشيخ عيدروس المتوفى سنة ١٤١٩ هـ والذي تقلد عدة مناصب منذ بداية الثورة، وكذلك إخوانه أحمد ومحمد وعلوي، وهم ذرية مباركة لهم كثير من أعمال الخير وبالذات في إصلاح ذات البين جزاهم اللّه خيرا .

يومنا هذا»، وبعد زيارة الشيخ عمر بن المبارك عاد الحبيب عبدالرحمن إلى الماذن، وقد واصلنا المشي حتى وصلنا الميفاع، وعن الرَّكَبْ وأخباره تُروى كثير من الأساطير، ويستهوي الناظر الإعلام والأخبار حينما يتفق جماعة من المسافرين، فيبدأ أحدهم بالسلام ثم يطلب من الآخر أن يفصل له ما لديه من أخبار، فيقول بعد أداء تحية السلام «إعلامكم» فيجيب عليه الآخر بعبائر منسقة ومنمقة منها على سبيل المثال: «سكون وبالله ركون، وماقدر الله بايكون، ماشي يخرب» ثم يبدأ بسرد ما يعرفه من أخبار وردت عليه، وفي نهاية كلامه يقول: «هذا علمنا وسلامتكم، شي عندكم ؟» فيبدأ الآخر يقص ما لديه من أخبار .

وأذكر أني في ذلك المحل مررتُ فوجدتُ ثعباناً كبيراً لم أر مثله، فعدتُ أدراجي إلى عند سيدي الوالد ومن معه، وحينها قرأ على صدري بما كان يعوذ به النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم الحسن والحسين[1] ، ثم ذهب ومن معه ليقتلوا ذلك الثعبان فوجدوه ميتا وتعجبوا من ضخامته، فكان يقول سيدي الوالد بما معناه: كيف لو سلط اللّه هذه الثعابين على بني آدم؟!

وواصلنا المشي حتى أدركنا المبيت في شعب المحبس، واستضافنا رجل صالح من القيسيين اسمه عبدربه بن أحمد القيسي، وأسس سيدي الوالد لديهم مسجداً، وقام بالمحاضرة لأهل ذلك الحي بعد المغرب إلى العشاء، وبتنا بخير ليلة، ثم ودعنا الشيخ عبدربه إلى أعلى العقبة، وهو يطلب من الوالد أن يدعو له بأن ييسر اللّه له الحج ذلك العام، قيل: إنه حج عدة حَجّاتٍ مشياً على الأقدام .

---

(١) روى البخاري في « صحيحه » عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: «كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يعوذ الحسن والحسين: أعيذكما بكلمات اللّه التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ، ويقول: إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق» .

وقد اتجهنا إلى مَرْخَة[١] وأولها العقبة ونزلناها بصعوبة وعناء،وبتنا في الفرشة عند الشيخ أحمد بن حسين الرصاص،وفي اليوم الثاني مررنا بالفرشة ثم العاقر وقد استقبلنا فيها جمعٌ من الأهالي وفي مقدمتهم الشيخ عبدالله بن حسين بن ناصر القبالي ونزلنا ضيوفاً عندهم، وتمت محاضرة بين المغرب والعشاء للرجال ومحاضرة بعد العشاء للنساء،وتناولنا طعام الإفطار عند آل الحداد، ثم اتجهنا إلى نُقَاق فحَلْحَلْ ثم وصلنا الهَجَر بعد الظهر،وكان في مقدمة المستقبلين لسيدي الوالد الحبيب أحمد بن صالح الحداد وأعيان الهجر وفي مقدمتهم العاقل ناصر بن محسن المحضار[٢] والعلامة الأديب

---

(١) بلدٌ من أعمال البيضاء، قال في « معجم البلدان » : [مرخة] بلد باليمن له عملٌ ورُستاق، ومن نواحيه أولا عُبَرَة لبني لَقِيط من صُداء، والتختاخة وادٍ كثيرُ النخل، والعُلُوب لبني شداد، والمديد لبني سليم من صُداء، وحورة والحجر والحَرسا لبني معاصر من حمير . انتهى ما ذكره ياقوت .

وقال ابن مخرمة: [مَرْخَةٌ] بالفتح وسكون الراء ثم خاء معجمة ثم هاء بعد الخاء: قريةٌ قرب جردان، إليها ينسب جماعةٌ من أهل اليمن . انتهى ما ذكره ابن مخرمة .

(٢) هو الشيخ الأجل العاقل ناصر بن محسن بن الحاج المحضار، ولد في هجر مرخه سنة ١٣٢٠ هـ تقريباً، وأخذ مبادئ القراءة والكتابة في بلده، ثم رحل إلى تريم وبدأ يكرع من معين العلماء هناك إلا أن الظروف أجبرته على العودة إلى بلده، فاختير شيخاً على منطقته، وكان يتميز عن غيره بشجاعة قلّ أن يوجد لها نظير، مع كرمٍ واسع وشهامة نادرة وعقل راجح، وحينما وصل إليه الشيخ الحميقاني والشيخ القردعي يطلبان منه حق الجوار بعد أن خرجا هرباً من سجن الإمام يحيى – إذ لم يستطع أحد أن يجير على الإمام – قال زاملاً بالشعر الحميني:

حيَّا الحميقاني وحيَّا القردعي ... الشيخ ذي قسَّم على الدنيا عياه

القردعي عندي ولاباعطيه حد ... والموت عند القردعي ولاّ الحياه

واستمر شيخاً مبجلاً في منطقته حتى تَغَيُّر الأوضاع ، فاتجه صوب الحجاز،وسكن مع

أبوبكر بن عبدالله المحضار[1] والسيد أحمد بن محسن المحضار والسيد مصطفى بن ناصر بن حفيظ والسيد محمد بن محسن المحضار والسيد علوي بن أحمد بن أحمد والسيد عبدالقادر بن حسين بن محسن والسيد حسين بن محسن بن شيخ والفقيه طاهربن عبيد وأبوبكر بن عبيد والشيخ العالم ناصر بن علي بن صايل وجمع غفير منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، غفر الله للأحياء منهم والأموات .

وفي أثناء الرحلة كان سيدي الوالد لا يترك إحياء ما بين العشائين وكذا بعد صلاة الصبح إلى الإشراق، فنقرأ كثيراً من الأوراد وقراءة القرآن والحديث، أما قيام الليل والتهجد فلا أذكر أنه تركه حضراً ولا سفرا، وفي الهجر مكثنا أياماً وكانت الدروس العامة تعقد كل ليلة ويحضرها الجم الغفير من الناس من داخل المنطقة وخارجها، وتتم محاضرة النساء بعد صلاة العشاء .

أفراد أسرته في أبها واستمر إلى أن فاجأه الأجل المحتوم فجأة سنة ١٤٠٧ هـ ودفن في نجران حيث توجد جالية من أهله ومعارفه، له كثير من أعمال الخير وبالذات في مجال الإصلاح بين العشائر .

(١) العلامة الأديب أبوبكر بن عبدالله المحضار هو الأخ الأصغر للسيد محسن بن عبدالله المحضار المار ذكره ، ورد ذكره عند ترجمة أخيه المذكور، ولد في هجر مرخه وبها نشأ وترعرع وانتقل إلى تريم فتشبع من العلوم مما جعله علماً في سماء المعارف، واستمر مدرساً وموجهاً، وبعد قتل الإمام الشهيد أحمد بن صالح الحداد اتجه إلى المملكة العربية السعودية وقابل الملك فيصل، وفي مجلسه قام خطيباً فشرح ما عاناه العلماء من الحزب الاشتراكي في اليمن فأبكاه.

سكن مكة المكرمة مجاوراً لبيت الله مع كرم منقطع النظير يستقبل الوافدين وبالذات في المواسم الدينية ، كثير التردد على مجالس الخير والعلم مع صلاح ونسك حتى توفي بها عام ١٤٠٦ هـ ودفن بمقبرة المعلاه .

وهذه الزيارة لم تكن الأولى لسيدي الوالد فقد كان كثير التردد لزيارة شيخه الحبيب محسن بن عبدالله المحضار في منطقة الهجر، والذي ذكرناه ضمن شيوخه، وبعد مضي عدة أيام انتقلنا بصحبة الحبيب أحمد بن صالح الحداد إلى خورة ومكثنا بها عدة أيام، وممن استقبلنا بها السادة آل الحامد منهم الحبيب أبوبكر بن محسن الحامد وأحمد بن ناصر الحامد وعلوي السقاف والمشايخ آل المسدس منهم مِحمِّد بن أحمد المسدس وعلي بن أحمد المسدس وعبدالله بن صالح المسدس وعلي بن صالح المسدس وآل عمر منهم أحمد بن صالح بن عمر وصالح بن أحمد بن عمر والشيخ شيخ بن صالح بانافع، وانتقلنا إلى وادي الحبايب آل الحداد المسمى الجَدْجَد وفيه وفد عليه الشيخ سالم أحمد عرار[1] من أجل مناقشة قضية بينه وبين ابن أخيه قام الوالد رحمه الله بحَلها، وبعد

---

(١) هو الشيخ سالم بن أحمد عرار عاش في أرض السَّلميّين ونُقاق بمرخه ، توفي ١٣٩٣ هـ ، من شعره الحميني قوله:

سالم حِمِد قال نوم العين ما هادها ذكرت ذي كَمَّل السادات واجدادها

الموت ذي يقطع الجلده من افنادها

ومن شعره أيضاً:

بو لجعم إحسين يالفواج ذي تخرعين ياذي خرعتي ونا بين الخشيبه وعين

على طريق الرواعي حيث بايجزعين زعزعتي القلب يوم أضلاعي أتزعزعين

ياالنفس سالش بمن سوى القنف تقنعين لاعاد يدهيش مولى أعيان يتساجعين

وانش حملتي ثنعشر ذنب فوق اربعين فازع ومختاف وانتي بن ماتفزعين

ولابغيتش نهار الموت تتجعجعين حرمت باب الهوى واليوم لاترجعين

قوله: « بَنْ » هي كلمة متداولة على ألسنة العوام، تفيد الظن ، فهي هنا بمعنى أظن، والقنف هو السحاب، والشين في آخر الكلمة بدلاً عن الكاف، تخاطب بها الأنثى، وهي

نهاية المحاورة حَوْل القضية، استمع إليه وهو ينشد كثيراً من أشعاره الحمينية وأعجب بمايقوله . وكانت الدروس تقام كل ليلة بعد المغرب للرجال، وبعد العشاء للنساء، ثم انتقلنا بصحبة الحبيب أحمد بن صالح الحداد إلى نصاب ومكثنا بها أياما كثيرة، وكانت الدروس تقام كل ليلة للرجال بعد المغرب وللنساء بعد العشاء حيث كن يجتمعن في أحد مساجد نصاب، وقد تكررت زيارة سيدي الوالد لنصاب للدعوةإلى اللّه ولزيارة شيخه الحبيب أحمد بن صالح الحداد والحبيب العلامة أحمد بن علوي الحداد[1] وغيرهم من العلماء، وفي أثناء إقامته في نصاب في بعض رحلاته قال سيدي الوالد رحمه اللّه في ١٩جمادي الثاني ١٣٨٩ هـ:

قد نَزَلنا منازلَ الأحبابِ	في نِصابٍ بِهِمْ يَتم نِصابي
ووَجَدْنا مِن الجِنان رياضاً	مُثمراتٍ في سُوحِها والرَّوابي
فرَتَعنا في الراتِعينَ لِنَحْظَى	بِجَناها الدَّاني وعَذْبِ الشرابِ
فافْخَري يا نِصابُ شُكراً على ما	خَصَّكِ مِن مَواهِبِ الوَهَّابِ
وبذا العَصْرِ زادَكِ اللّه أضعا	فاً على ما مَضَى من الأحقابِ
فيكِ كَنْزُ الغِنى ثمالُ اليتامى	ورَضِيعُ العلومِ والآدابِ
وارِثُ الأكرمينَ مِن آلِ عَلْو	يٍّ حُماةِ الوَرَى من الأَوْصَابِ
أحمدُ ابنُ الإمامِ صالحٍ الحـ	ـدّادِ خِدْنِ الكتابِ والمحرابِ
أَيُّها الشَّهْمُ زادَك اللّه مِن كـ	ـلِّ كمالاتِهِ بغَيرِ حِسابِ

لهجة تكلم عنها علماء اللغة وإن كانت ضعيفة ونادرة، ومنها قول الشاعر:

فعيناش عيناها وساقش ساقها ولكن عظم الساق منش دقيقُ

وفي الحديث المروي عن الإمام أحمد:«إن اللّه سلم هذا القرآن من الكشكشة والكسكسة» والكشكشة اختتام الكلمة بالشين والكسكسة اختتامها بالسين .

(١) تقدمت ترجمته في إجازة الحبيب عمر بن أحمد بن سميط لسيدي الوالد .

ها أنـا ذا المسـكينُ عَبْدُكُـمُ الهَـ ـدَّارُ ضـاقَتْ مَنـازلي ورِحـابي
جئْتُكُـمْ زائـراً بِـذُلِّي وفَقْـرِي وعلـى بـابكُمْ أَنَخْـتُ رِكـابي
ضَـاعَ عُمْـري في غَفْلَـةٍ وذُنُـوبٍ وعُيُـوبٍ أَنْفَقْـتُ فيهـا شَـبابي
أَخرَّتْني نَفْسِي الحَرُونُ عـن العَلْـ ـيـا الـتي ظَفِـرُوا بهـا أترابـي
خَدَعَتْـني بتُرَّهـاتٍ ظَنَنْـتُ الـ ـفَـوزَ فيهـا فـأصبحتْ كالسـرابِ
فـإلى القَهْقَرَى مَسِيري وقـد كُنْـ ـتُ أَظُـنُّ بـأَنَّ ذاك ذَهـابي
فأنـا في الطَّريـقِ حَـيرانُ لا أَدْ ري إلى أَيـنَ مَرْجِعـي ومـآبي
ليـس إلا باللّـه ثـم بِكُـمْ يـا عُدَّتِي عندَ شِدَّتِي كَشْفُ ما بي
عَطْفَـةً أيهـا الكـرامُ بهـا يَصـْ ـلُـحُ قلـبي وقـالَبي وخَرابـي
وبهـا يَحْصُـلُ المنـى في مَعاشـي ومَعـادي وجِـيرَتي وصِحـابي
يـا أمـانَ الأنـامِ أَمْنـاً لـمطْرُو دِ الذُّنـوبِ المغَفَّـلِ المرتـابِ
نَظْـرَةً تُنْقِـذُ الغَريـقَ بهـا يَصْـ ـفُـو شَرابي ويَضْمَحِـلُّ حِجـابي
وبهـا تَنْطَـوي طَرِيقِـي فأُمْسِـي سـابقاً في السُّـرَى بـلا أتعـابِ
فـأَغِيثُوا وأَسْـرِعُوا وتَلافَـوا قبـلَ يبـدُو عَيْبِـي ويَدْنُـو غِيـابي
يـا إلهـي وخـالقي ومَـلاذي ومعـاذِي مُسَـبِّبِ الأسـبابِ
يا عَظِيـمَ الرَّجـاءِ يـا مُنْقِـذَ الغَـرْ قَـى ذَلِّـلْ بسـادتي لي صِعـابي
وأَطِـلْ عُمْـرَ سـيدي وأَنِلْـهُ يـا إلهـي مَراتِـبَ الأقطـابِ
أَعْطِهِ مِثْـلَ مـا حَبَـوْتَ بـهِ أَسْـ ـلافَـهُ كُـلَّ مُهْتَـدٍ أَوّابِ
في عـوافي ومَـن يُحِـبُّ وأَرْشِـدْ نـا إلهـي مَعْهُـمْ لكـلِّ صَـوابِ
وأَثِبْنـا وأَعْطِنـا يـا إلهـي كُـلَّ حيـنٍ ثَـوابَ أَهْـلِ الثـوابِ
وصـلاةٌ علـى النـبيْ وسـلامٌ كُلَّ حينٍ عَـدَّ الحَصَـى والـترابِ
وعلـى رُسُـلِ الإلـهِ جميعـاً وعلـى آلِهِـمْ مَـعَ الأصحـابِ
بجميـعِ الصـلاةِ عَـدّ كـلامِ اللـ ـه جـلَّ وعَـدَّ وَدْقِ السَّحابِ

ولـكَ الحمدُ مِثْـلَ ذلِـكَ مـا حَـــ ـــمدكَ دَاعٍ ومـا حَظِـي بجـواب

وقال رضي اللّه عنه حين كَمُلَتْ عِمارةُ محضرةِ الحبيب صالح بن عبداللّه الحداد بعد الهدم الذي حصل لها وتُوفي من جَرّاء ذلك بعض أفرادِ أسرةِ الحبيب الشهيد أحمد بن صالح الحداد:

لقـد تـممَ اللّـه كُـلَّ المـرادْ ... وأَعْطَـى المحِبِّـينَ مـا يَطْلُبُـونْ

وأَصْلَـحَ دارَ الإمـامِ المهـابْ ... حبيـبِ القلـوبِ ونـورِ العيـونْ

أبـو أحمـدٍ صـالحٌ مَـن ثَـوَى ... نِصابـاً وفيهـا أَتَتْـهُ المُنُـونْ

فخَلَّـفَ فيهـا رجـالَ الهـدى ... لِشَـرعِ شـفيعِ الـورى يَنْشُـرُونْ

فـأَحْيَوا مكـارمَ أسـلافِهِمْ ... هُـداةٌ كـرامٌ مَضَـوْا في القـرونْ

فجـادُوا وسـادُوا علـى غـيرِهِمْ ... بمـا في العُـرَى للـورى يَخْدِمُـونْ

مَوائِدُهُـمْ فيـهِ مَبْسُـوطَةٌ ... وأخلاقَهـمْ بَذَلـوا والفنـونْ

وفيهـمْ رَبِيـبُ الهـدى والتقـى ... رَضِيـعُ العلـوم الـرؤوفِ الحنـونْ

حَـوَى المجْـدَ مِـن كُـلِّ أطرافـهِ ... فـآلُ النَّبـيِّ بـهِ يَفْخَـرُونْ

فيـا أحمـدُ الحَـبْرُ نَسْـلُ الكـرامْ ... بـكَ اللّـه أَكْبَـتَ مَـن يَحْسُـدُونْ

فمَـولاكَ رَبُّـكَ و الـمصطفى ... وجـبريلُ والآلُ والـمؤمنونْ

ولا زالَ مَـنْزِلُكُمْ عـامراً ... يَـؤُمُّ فضائلَـهُ الوافـدونْ

يُفِيـضُ علـى النـاسِ فـالواردونْ ... لَدَيـهِ مَـدى الدَّهْـرِ والصـادرونْ

مَعايِنُـهُ زَخَـرَتْ بـالعلو ... مِ فالعلـماءُ بـهِ يَنْبُتُـونْ

تَشَـيَّدَ منكـمْ بذُرِّيَّـةٍ ... هُـداةٍ إلى يـوم إذ يُبعثـونْ

وتاريخُـه قـد أتـى ناطقـاً ... بفـألٍ بـهِ مُـدِحَ السـابقونْ:

«أيـا دارُ للّـه فيـكِ بَـدا ... رجـالٌ يُحِبُّـونَ يَتَطَهَّـرُونْ»

١٣٨٩ هـ

فيـــا رَبِّ يـــا رَبِّ يـــا رَبَّنـــا ويـا مَـن خَزائِنُـــهُ كـافْ نُـونْ
ويـا رَبِّ يـا رَبِّ يـا اهـلَ الثَّنـا تَفَضَّـلْ وأَصْلِـحْ جميـعَ الشُّـؤُونْ
وزِدْ سادتي فـوقَ مـا قـد حُبُـوا وأَعْطِهِـمُ كُـلَّ مـا يَطْلُبُـونْ
وأَدْخِلْهُـمُ في حِمَـى الآمنـينْ وأَحْـيِ بِهِـمْ شَـرْعَ طـه المصُـونْ
بجـاهِ النَّبِـيِّ وآلِ النَّـبي حمـاةِ البَرِيَّـةِ لا يَغْرَقُـونْ
عليـهِ الصـلاةُ عليـهِ السـلامْ مـدى الدهـرِ مـا يَكْتُـبُ الكـاتبونْ
وآلٍ وصَحْـبٍ مَـعَ الأنبيـا ءِ في كُـلِّ حـينٍ كـذا الصـالحونْ
ونَحْمَـدُكَ اللّـه مِـلْءَ السَّـما يَـدُومُ كمـا يَحْمَـدُ الحـامدونْ
ومِـلْءَ العوالـم زِدْ مـا تَشـا ءَهُ عَـدَّ مـا كـان أو مـا يَكُـونْ

ولـم يفته المشاركة بالشعر الحميني حين العمارة للمحضرة المذكورة على طريقة الزامل الذي يلهج به العمال أثناء العمارة، فقال:

اليـوم ياالله بالمعونة في عجـل ياالله بجاه المصطفى غـاره سـريع
طـول لنـا عمـر الحبيـب الهاشمي بن صالح أحمد غوثنا البحـر الوسيع
ضيفـانكم ياأهل الكـرم في بيتكـم نبغـى كرامـة للمعافى والوجيـع
نبغـى كرامـه في عجـل ذا حلهـا يقسم بها الشائب وذي عاده رضيع
يـاذي في المبنـى رفـع صـوت الغنـى مـا في المبـاني فـوق مبنـاك الرفيـع
كم فيه من رحمـه وكـم مـن مغفـره كم ضم من عابد وكم جوفه مطيع
شف ذه جنان الخلد تبـني وسـطها فاحكم بناها لاجـل تدخلها سـريع
مـن عـان فيهـا عانـه اللّـه والنبي وَضِيْعْ قـل لـه عنـد ربـه مـايضيع
والفـين صلـى اللّـه وسلـم دائمـاً في كل ساعة على النبي طـه الشـفيع
والآل والأصحـاب وأهـل المعرفـة مـايدعي المسكين مـولاه السـميع
يااللّـه نقـع معهـم وفيهـم دائمـاً نسلـم من الأهوال في اليـوم الشـنيع

والحمد للّه يملى أرضه والسما ماسخر الاشيا وما أشبع كل جيع

وله رضي اللّه عنه هذه الأبيات:

اللّه يكرمكم ويكرمنا بكم ياأهل الكرامة والكرم والمكرمات
زرنا ولاخبنا زيارتكم شفا تصلح بها الأحوال دنيا وأخرات
يهني لكم ياوارثين المصطفى بلغكم اللّه ربكم مافي النيات
شفنا لبا معكم صله ماتنفصل في الدار ذه صحبة ومن بعد الممات
ماحد يخلي صاحبه عند الحوى قولوا معانا والمطالب حاصلات
هاتوا لنا ماقد نوينا واعجلوا هيا أكرمونا بالعطايا الوافرات
حاشى عليكم ماتجو في قاصره والعفو شيمتكم وحل المشكلات
قدبحركم من بحر طه المصطفى مايختمج بحر الهدى والمغفرات
صلى عليه اللّه ماهب الصبا تملأ الأراضي والسماء الواسعات

ومن نصاب اتجه سيدي الوالد ومن معه بصحبة الحبيب أحمد بن صالح الحداد إلى وادي ضرى، وقد استقبلنا فيه السلطان مبارك بن صالح بن عبداللّه[1]، وكذلك مهدي بن عوض بن صالح المتوفى ١٤١٩ هـ ومن معهم، ثم اتجهنا إلى عَبَدَان وهي

---

(١) هو السلطان مبارك بن صالح بن عبداللّه، من حكماء ووجهاء العوالق العليا، والده هو السلطان صالح بن عبداللّه، وأخوه السلطان عوض بن صالح المعروف بصلاحه وتقواه، كان المترجم له على جانب عظيم من الصلاح مع حكمة وشجاعة ورأي صائب، له مواقف في إصلاح ذات البين يشكر عليها بالذات بين قبائل المنطقة، وقد استمر في منطقته مُكرِماً للضيوف مُصلحاً بين المواطنين حتى يوم ٢٧رجب ١٣٩٢ هـ، حيث قتل أمام منزله من جراء أذناب السلطة الشيوعية آنذاك، وهو في العقد الثامن من عمره تقريباً، وقد قتل في اليوم الذي قتل فيه الإمام أحمد بن صالح الحداد وجمع كبير من أعيان العوالق رحمهم اللّه رحمة الأبرار .

منطقة أثرية، بها كثير من المآثر القديمة، حسبما تحكي ذلك النصوص، وقد استقبلنا فيها السيد طاهر بن سالم الجنيدي[1] ، والسيد علي بن ناصر الجنيدي المتوفى سنة ١٣٩٩ هـ، والشيخ عوض بن أحمد بن جازع الدغاري المتوفى سنة ١٣٩٨ هـ ومن معهم، وزرنا فيها ضريح الحبيب شيخ بن جنيد، ينتهي نسبه إلى الإمام عبدالله باعلوي ، وإليه ينتسب السادة آل الجنيدي، وهم قبيلة كبرى منتشرون في حضرموت وشبوة وأبين والبيضاء ومن عبدان إلى جباه ، وفيها استقبله الشيخ سالم بن عوض بن حيدرة وجماعته.

ثم إلى المصينعة واستقبله فيها الشيخ حسين بن عشيب الطوسلي وجماعته، وتمت محاضرات علمية بين المغرب والعشاء ، وقد زار حطيب من أراضي ربيز، ودخل قرية الرباط، وكان بصحبته السيد العلامة أحمد بن صالح الحداد، والسيد العلامة علي بن أبي بكر المشهور، ونزلوا ضيوفاً عند الشيخ خباش بن عوض المسعودي، وأحمد بن مبارك بن جميعه، وقد كان في استقبالهم شيخ قبيلة ربيز المجاهد الشيخ علي بن صالح لعور[2] من آل شمس، وزاروا ضريح الشيخ مسعود بن موسى بن عمر بن المبارك الجعفي.

---

(١) طاهر بن سالم الجنيدي، من أعيان محافظة شبوة، ذو وجاهة ورأي صائب، شهم كريم، اضطر إلى مغادرة بلده في عام ١٩٧٢ هـ بعد أن قتل الحبيب أحمد بن صالح الحدادوالسلطان مبارك بن صالح بن عبدالله وجمع كبير من الأعيان، واستقر في صنعاء منذ ذلك التاريخ فاتحاً منزله للوافدين، توفي في رمضان ١٤١٩ هـ وله ذرية صالحة بارك الله فيهم وإيانا آمين .

(٢) يعتبر الشيخ علي بن معور الربيزي من أوائل الثائرين على بريطانيا إن لم نقل أولهم،حيث وقف وقوف الرجال الأشاوس في وجه الاستعمار البريطاني البغيض ومعه قبيلة ربيز بأكملها ومعه زميله في الجهاد الشيخ عمر بن سالم الدماني المعروف بصلابته وقوته ومعه قبيلة آل دمان

بأكملها وقد تناقلت وكالات الأنباء العالمية نبأ المعارك الضارية التي خاضتها تلك القبيلتان، وبالذات إذاعة صوت العرب، والإذاعة البريطانية في القسم العربي منها .

بداية ثورة العشائر : وذلك حينما بدأ الاستعمار البريطاني يسعى لضم المحميات في المناطق الجنوبية من اليمن، وفي عام ١٩٥١م قام الإنجليز بفرض سلطتهم الجديدة، وتدخلوا تدخلاً مباشراً في الإشراف على تلك المحميات ، وقد ثار لهذا التوسع الاستعماري كثير من رؤساء العشائر ، وبالذات الشيخ علي بن معور الربيزي والشيخ عمر بن سالم الدماني والشيخ مقبل بن سالم باعزب في آل باكازم، وكذا آل فريد والشعوي والعوالق واليافعي والشقّي وغيرهم، وقد حدثت ضجة كبرى لتلك العشائر يصورها لنا الشاعر الشعبي الشيخ محسن بن أحمد الفقير حينما قال:

وش قالت العقال من بيناتها	حرمة تبى تبسط على أرض الرجال
لاشي رضا حط القضا فيما مضى	باتمسي الروبية تحكم عاالريال
يوم البريطاني مخيم في ارضكم	ملقي عليها الشَّد من فوق الحوال
لا اعرف لهالمهرا ولا اعرف ترجمه	عارف غنم ترعى وعارف للجمال

وش: بمعنى ماذا ، والمراد بالحرمة أي:المرأة ملكة بريطانيا، والشد: الحبل الذي يربط به المتاع على الدواب ، وقد قامت تلك القبائل بضرب أروع الأمثلة في الدفاع عن أراضيهم.

دعم المجاهدين: قام محافظ محافظة البيضاء القاضي محمد بن عبداللّه الشامي، ونائبه الشيخ صالح بن ناجي الرويشان، بدعم الثوار بالمال والسلاح، وقد قامت محاولات عدة من جانب الاستعمار البريطاني بقصد إخضاع تلك العشائر باءت كلها بالفشل .

الطائرات تهاجم الثوار: قام سلاح الجو البريطاني بإلقاء منشورات في عام ١٩٥٤م إلى الشيخ مقبل سالم باعزب وسكان الرباط بمديرية المحفد يهدد وينذر ، كما شنت الطائرات غاراتها على كثير من المناطق، منها منطقة ربيز ، وقد هدم فيها منزل الشيخ علي معور الربيزي، وقد قوبلت تلك الغارات ببسالة نادرة وصبر وربط جأش فريد، إلاّ أنه كان

للخراب والدمار وقتل النساء والأطفال أثر كبير في نفوس المجاهدين، نستوحي ذلك من قول حميد بن سريب في أثناء زامل:

هـذي السـنة عنـد السـعودي واليمـن　　والثانيـة عنـد القريـن المصريـات

ان بـاتدق الطـائرة بالطـائرة　　والا زحفنـا مـن صريـر الحربيـات

وذلك لكون فوهات البنادق لا تصل إلى الطائرات الغـائرة، وكذلـك نـرى الشـاعر قـد سئم من الجهاد بسلاحه الشخصي حينما قال:

سـلام اليـوم مـن راس الأسـد　　عـاد الأسـد وانمارهـا مـتزارمين

ياامبـارك اشـهد لا ترانـا في حفـد　　شعنا احتفدنـا مـن جهـاد المشـركين

بشائر النصر: تـم إسقاط تسع طـائرات بريطانيـة أثنـاء قصفهـا لتلـك المنـاطق، وذلـك بسلاحهم الشخصي ، وكم ابتهجت الأنفس ولهجت الألسـن بالثنـاء والشـكر للّـه سبحانه وتعالى حينما وجـد المجاهدون أنفسـهم يعبثـون بالطـائرات المحطمـة بعـد أن كـانت تشـكل كابوساً مخيفاً أمامهم ، وقد سجل ذلك الشاعر الشعبي حينما رأى طائرة غائرة فقال متهكماً بها:

ياالطـائرة عـزي جناحـاتش　　مـن قـوم لعـور لايصيبونـش

بـايذحلونش في خـلا خـالي　　مـاحد تخـاتر بـايداوونش

ويقف الشاعر متحدياً لأمير الجيش البريطاني الذي هاجم المنطقة فيقول:

وأنـت يـا الأمـر قـل للحكومـة　　كلـما تقـاربت باتبـاعد

مـن يبـى العشـر مـن أرض معـور　　مـامعي غـير لي السـواعد

ويقف الشيخ عمر بن سالم الدمـاني وقوفـاً شـامخاً تجاه تلـك التحديـات الاستعمارية فيقول:

إن حـد يبـاني ياسـلام ألفـين لـه　　وان مايبـاني ليـش باتشـبَّر رضـاه

راسي من امسيله وكبدي من حجـر　　والقلـب متوكـل علـى ماللّـه يبـاه

مدينة البيضاء محطة لاستقبال الثوار : وقد كانت مدينة البيضاء منطقة لاستقبال الثـوار والذين وقفوا سداً منيعاً ضد هجوم بريطانيا على ما كان يسمى بالحدود .

ولذلك نجد أن وفد الجامعـة العربيـة برئاسـة الأسـتاذ عبدالخـالق حسـونة قـد وصـل إلى البيضاء عام ١٩٥٧م للتفاهم والنظر في مطالب أولئك الثوار الأشاوس ، وكان يوماً مشهوداً تجمعت فيه القبائل من كل حدب وصوب وقيلت فيه كثير من الزوامل الشعرية، وممن وصل إلى البيضاء المجاهد الكبير السيد عبداللّه بن علوي السقاف مـن دثينـة وَجَـدَ الوالـد في مدينـة مكيراس عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤م) .

وبعد محاضرة حول عدم تكثير سواد أعداء اللّه كان المذكور ضمـن جيـش محميـة عـدن التابع لبريطانيا، فاختلى بالوالد وقـال: لـو أتيـت إلى البيضـاء ومعـي مجموعـة هـل يسـتقبلني المسؤولون؟ فرتب له سيدي الوالد لقاءً مع محافظ محافظة البيضاء حينها القاضي محمد عبداللّه الشامي ونائبه الشيخ صالح بن ناجي الرويشان، فوصل المذكـور ومعـه ثلاثـون ثـائراً وتتـابع آخرون معهم منهم العقيد أحمد بن حسين الشرفي ومحمد بن الفضـل الصـالحي ومنصـور بـن الفضل الصالحي وعلي بـن محمـد القفيـش والشـيخ مقبـل بـن عـاتق بـاعزب والشـيخ نـاصر الشمعي والشيخ محمد بن أبي بكر بن عجرومه بن فريد وجماعته ومحمـد بـن نـاصر الجعـري وناصر بن علوي السقاف منصب دثينة وأعداد كبيرة من ربيز ومـن دمـان ومـن يـافع ومـن كثير من المناطق المتاخمة للبيضاء.

أما السيد عبداللّه بن علوي السقاف فقد انتقل إلى صنعاء بعد الثورة وفي أثناء اجتـمـاع بين قادة الأحزاب وإذا بأفكار غريبة وطارئة على المجتمع اليمني منها الفكر الماركسي وفكـر القوميين العرب وحزب البعث والحزب الناصري وغيرهـا ، فضـاقت بـه الحـال وخـرج مـن الاجتـماع ورفع يديه إلى السماء وقال: اللّهم اجعل لي من هؤلاء فرجاً ومخرجا، فاتّجه عائداً إلى بلده وفي مدينة ذمار حصل له حادث مروري مات على إثره وذلك في عام ١٣٨٦ هـ .

وقد كان سيدي الوالد كثير الذكر له والثناء عليه، وقد كان كثير مـن الثـوار المتواجديـن في البيضاء يترددون على سيدي الوالد ويسـتمعون إلى محاضراته ويستفسرونه في كل أمر يشكل عليهم، حيث كان جهادهم نابعاً من توجيهات الدين الإسلامي الحنيف ولـم يكـن للتبعـات

الحزبية الخارجة عن الدين أي أثر في صفوفهم في ذلك الوقت رحمهم الله جميعا .

خاتمة المطاف: استمر أولئك الرجال في جهادهم المقدس ضد الغزاة البريطانيين، لم تضعف لهم عزيمة ولم تلن لهم قناة ، واستمروا على ذلك بعد أن شتت كثير من أسرهم في كثير من المناطق حتى رحل ذلك المستعمر البغيض سنة ١٩٦٧م، فألقوا عصا الترحال وتنفسوا الصعداء ليبدؤوا حياة كلها أمن واستقرار ومحبة ونقاء مستمدين تعاليمهم من الدين الإسلامي الحنيف .

جزاء سنمار: غير أنه ومما يؤسف له أن جزاء أولئك المجاهدين بعد رحيل المستعمر القتل والسجن والنفي والتشريد، ليس من المستعمر البريطاني ؛ ولكن من أبناء جلدتهم ممن يدعون الوطنية والتحرر من الاستعمار ! بل حصل لهم أضعاف ما لاقوه من المستعمر البريطاني . نعم كل ذلك حصل وعلى مرأى ومسمع من الشعوب الشقيقة والصديقة دون رقيب أو حسيب، ترى هل هذا جزاء أولئك المجاهدين ؟! بأن يمزقوا كل ممزق، لا يعرف كثير منهم مصير بعضهم في فترة استيلاء الحزب الشيوعي في جنوب اليمن لمدة تزيد على عشرين عاما، كانت من أشد الفترات وأقساها إن لم تكن أشدها في تاريخ اليمن الماضي والحاضر، بحجج واهية وسقيمة منها أنهم رجعيون أو ثورة مضادة أو كهنوت إلى غير ذلك من العبائر الجوفاء؟!

وهكذا كانت نهاية أولئك الرجال حتى عادت الأمور إلى نصابها وذلك بتوحيد اليمن الكبير ، فذهب الإرهاب والخوف والهلع والتمزيق إلى غير رجعة إن شاء الله، ومهما يكن فإن لهم أسوة ببعض المجاهدين من سلف هذه الأمة كموسى بن نصير الذي فتح الأندلس ثم ألجأته الحاجة لأن يتسكع في الشوارع والسكك يستجدي القوت الضروري بعد أن شاخ وضعف، وكأبي فراس الحمداني وغيرهم، فكانت خاتمتهم كلها ضياع وكد ونكد، لازال يرددها التاريخ بكل مرارة وأسى، وأخيراً أقول: إن التاريخ لن ينسى صُنّاع تلك الهزائم والمظالم، وأعتذر إن لم أف بالغرض، وقد لخصته من كتابنا «البيضاء ودورها في التاريخ» فليرجع المطلع إن أراد ذلك .

وفي رمضان ١٣٨٥ هـ بلغه وفاة الشاب الناشئ في طاعة اللّـه علي بن أحمد بن صالح الحداد فتأثر لذلك أشد التأثر وقال:

ياسريع الإجابه يامجيب السؤال

ياالله إنا على بابك حططنا الرحال

ربنا سيدنا المعبود مولى الموالي

حول أحوالنا ياالله إلى خير حال

فأننا قد غرقنا في بحار الظلال

في بحار المعاصي موجها كالجبال

مالها إلا أنت يا عالم بفعلي وقالي

اغفر أوزارنا واصلح لجسمي وبالي

ياصويحب أنا المشغول أماأنت خالي

ياطويل الأمل قصر طوال الحبالِ

مامعك علم ياذا في صروف الليالي

لودريت ايش بايفجاك ماأمسيت سالي

في الليالي مخبا كم مصائب ثقالي

كم مرض كم سهركم خوف والموت تالي

فانتبه يامغفل قبل ضيق المجالي

خذ من الزاد واكثر فالمراحل طوال

وقد توفي الشيخ علي بن معور الربيزي في مدينة الرباط في عام ١٩٥٤م ودفن بها . وقام بالأمر بعده ابنه الشيخ سالم بن علي بن معور، وتوفي الشيخ عمر بن سالم الدماني في صنعاء حيث كنت ممن شيعه إلى مثواه الأخير سنة ١٤١٠ هـ بمقبرة خزيمة ، وتوفي الشيخ مقبل بن سالم باعزب سنة ١٣٩٥ هـ ودفن في رباط مريع .

فانتـــه اليـــوم في دار الفنـــا والـــزوال
بايـنـــاديك داعـــي المـــوت ذي مايبـــالي
صيحـة واحـدة تلهيـك عــن كـل حــال
يالهـــا صيحـــــة تدعــــوك للإرتحـــال
صيحـة تخرجـك مـن بـين تلـك الرجـال
تفصلـك عــن ديـارك والنســاء والعيـالِ
وامسـت الـروح في الجنـات أوفي النكـالِ
وانـت تدعـو بصوتـك للنسـاء والرجـال
لا أصبـح البيـت بيـتي لاولا المـال مـالي
مـاسمعت الخـبرذي هـد شـم الجبـال
قـالوا أن الفتـى زيـن الشـباب الجمـالي
جـاه مـــن ربـه الداعـي إلى الإنتقـــال
في الليـالي مـن الشـهر الكريـم التـوالي
يوصـي اللّـه إلى الجنـات في ذي الليـالي
رحـبي واسـتعدي واضحكـي ثـم لالي
ضـاعفي زينتـش ثـم ألبسـي كـل غـالي
للـذي يدخلـش في ذي الليـالي الفضـالي
أكرمـي واطعمـي وأسقيه مـن كـل حـالي
فاستجاب الدعاء وامسـى عـروس الجمـالِ
ابـن عشـرين نـوره مثـل بـدر الكمـال
قــد نشــأ في عبـادة ماصبـا في المثـالي
قد حوى من خصال المجد كم مـن خصـال
كــالهدى والتقــى والجــود والأمتثـــالِ

ياعلي زادك اللّه من خصال الكمال
واوصلك لامراتب عاليات المنال
بين أهل التقى فوق الأريك العوالي
متكي في جنان الخلد تحت الظلال
بين حور حسان في مواهب عوالي
عند جدك شفيع الخلق مولى بلال
أذكر أذكر حبيبي مامضى من وصال
واعطف أعطف حبيبي ثم بلغ مقالي
بلغه حضرة المختار بدر الكمال
قل له إنا حيارى في ضلال الضلال
ياغياث الورى غاره تحل العقال
سد عنا النوائب واغننا بالنوال
وأنت يابو علي يابن الكبار الرجال
يابن الابطال حمال الصعاب الثقال
هم جمال النوازل حيها من جمال
اصبر اصبر وابشر في الدنا والمآل
جاك من ربك المعطي عظيم النوال
أقسم أقسم فديتك فالمواهب جزال
ثم صلي وسلم في البكر والاصال
على النبي المصطفى والآل هم خير آل
والمتابع إلى يوم الجزء والسؤال

زيارة حَبّان

وفي سنة ١٣٨٦ هـ اتجه رحمه الله بصحبة الحبيب أحمد بن صالح الحداد والشيخ محمد باخبيرة والشيخ فضل بن محمد بافضل لزيارة الإمام الشيخ عبيد بن عبدالملك بانافع في يشبم، وكان في استقبالهم السيد عبدالله بن حسن الجفري والمشايخ آل بانافع والمنصب علي الصفي بانافع، وقد حضر الزيارة الحبيب أحمد بن صالح بن عيدروس المحضار والسيد علي بن حسين لَرْوس المحضار والشيخ محمد بن سالم الشقاع والسيد أحمد بن عبدالله المحضار ، وطلبوا منهما الوصول إلى حبان فاتجه الجميع إلى حبان، وكان في استقبالهم السيد أحمد كعيتي المحضار والحبيب عبدالله بن علي المحضار وأعيان آل فدعق وآل ذييبان وآل الشبلي وآل الشقاع وآل باحاج، واستمر الجلوس في حبان لمدة إحدى عشر يوماً، كانت أياماً مشهودة.

وانتقلوا إلى الوجاء وفيه زاروا ضريح الحبيب صالح بن محمد المحضار شقيق الحبيب أحمد بن محمد المحضار، ثم واصل سيدي الوالد ومن معه السفر إلى حضرموت لحضور زيارة نبي الله هود بينما عاد الحبيب أحمد بن صالح الحداد إلى نصاب .

وترددنا في نصاب على درس الإمام الشهيد أحمد بن صالح الحداد، ومما لفت انتباهي في درس صحيح الإمام البخاري عند الشيخ أحمد بن عبدالرحمن بامجبور[1] ، وهو رجل شايب من أهل الفضل والصلاح طالما اختتم قراءة الحديث بآخر حديث

---

(١) هو الشيخ أحمد بن عبدالرحمن بامجبور، ولد في نصاب، وبها نشأ وترعرع وطلب العلم على يد الحبيب صالح بن عبدالله الحداد واستمر في نصاب على ذلك الحال حتى توفي سنة ١٣٨٨هـ تقريباً، وخلفه ولده الشيخ عبدالرحمن والذي قام بمساعدة الإمام الشهيد أحمد بن صالح الحداد في إقامة المشاريع الخيرية وقراءة الحديث خلفاً لوالده، واستمر على ذلك الحال حتى توفي ١٤٠٨ هـ.

فيه، والذي يلفت النظر مداومته على تلك الدروس ومواظبته عليها وهو في ذلك السن .

الرحلة إلى العواذل ودَثينة

اتجه سيدي الوالد محمد بن عبدالله الهدار رحمه الله بصحبة العم أحمد بن عبدالله الهدار وآخرون في شهر جمادى الثانية تقريبا من عام ١٣٨٥ هـ ، وعلى بركة الله اتجه نحو مكيراس[1] وقصد مسجدها، وقد وصل فور وصوله النائب جعبل بن حسين العوذلي ونائبه أحمد بن محمد جعبل والشيخ أحمد بن صالح الربيدي، وأخيه حسين بن صالح الربيدي وجمع غفير ، ثم تم الترتيب لمحاضرة بعد المغرب وحضرها جمع

(١) مُكَيراس اسمٌ لمدينةٍ في أعلى الظاهر أصبحت سوقاً حياً، وكانت العاصمة الثانية للسلطنة العوذلية، وهي اليوم مركز مديرية مكيراس، وهو اسمٌ غريبٌ، لعله من تسمية أحد البريطانيين الذين سكنوه في فترة احتلالهم للشطر الجنوبي من اليمن، ولذلك قال الشاعر الشعبي:

يا مكيراس لا جاك البلا ويش همك

عسكرك فيك والسركال خوك ابن عمك

وكلمة «السركال» تعني المستعمر البريطاني، أو لعل سبب التسمية أن ذلك منسوب إلى «العِتَلْ»، وهو التراب المتحجِّر يقال له «كيرس»، وكانت هذه المنطقة تسمى رَداع الحرامل، وهي منطقةٌ واسعةٌ ذُكِرَتْ في كتب التاريخ، ولا زالتْ قلعة رداع شامخةً بالقرب من مكيراس، وقد أفردناها ببحثٍ مستقلٍ في كتابنا «البيضاء ودورها في التاريخ»، ويسكنها قبائل العواذل، وهم ينتسبون إلى عائذ الله بن سعد العشيرة، ومن أشهرهم آل الدَّهْبَلِيّ الذين ذكرهم الهمداني قبل ١١٠٠ عام تقريباً، واحتفظوا باسمهم حتى يومنا هذا .

غفير، وبعد انتهاء المحاضرة بدأت محاضرة النساء، حيث يتم وضع ساتر في المسجد وتجتمع النساء ويتم مذاكرتهن من وراء ذلك الستار، واستمرت المحاضرة إلى نصف الليل تقريبا .

ومن مكيراس تم الاتجاه إلى عَرْيب[1] حيث استقبلهم الأمير عبداللّه بن أحمد بن صالح العوذلي[2] والسيد أحمد بن عيدروس الجفري[3] ، والسيد عبداللّه بن صالح

---

(١) عَرْيب هي مدينةٌ بالقرب من مكيراس الآنفة الذكر، سُميتْ عريبٌ بذلك لشَجَرٍ كان بها أو لأنه منسوبٌ لأحد الأقيال ممن يسمون «عَرِيب» على وزن «غَرِيب»، بالقرب منها جبل «هَكَار» الأثري وفي سفحه سوق «غُبَيش أَنْعَم»، وبالقرب منه ضريح الشيخ عمر المسْبَحِي ابن عبداللّه الأصم ابن أحمد بن علي بن صالح بن عمر بن عبدالرحمن بن كانع بن عبداللّه بن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه، يقال: إنه انتقل من الجند إلى منطقة هكار، عند قبيلة أنعم، وقبره معروف بالمدمنة بالقرب من مدينة عريب .

(٢) هو الأمير عبداللّه بن أحمد بن صالح بن قاسم علي، من الدهاة، شاعرٌ حكيمٌ عاش في منطقة عَرْيب، وكان ذا نفوذٍ واسعٍ لدى القبائل، وله كلمةٌ مسموعةٌ في أوساطهم، وكان له مجلسٌ في عَرْيبٍ يحضره كثيرٌ من العلماء، ولعلمه ولحبه للعلم وتشجيعه للعلماء توافد عليه كثيرٌ منهم، وعلى رأسهم الأستاذ القدير أحمد بن محسن العوامي الذي استمر مدرساً، والذي ألف كتاب «سعادة العواذل ونهضتها الحديثة»، واستمر الأمير عبداللّه بن أحمد في عريب إلى قيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في الجنوب، فاتجه مع كافة أسرته إلى جدة، وبها استمر إلى أن فاجأه الأجل المحتوم عام ١٤٠١ هـ، ودفن بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة، ولم أعثر على تاريخ ولادته إلا أنه لا يبعد أن يكون في العقد الثامن من عمره تقريباً .

(٣) أحمد بن عيدروس بن عبداللّه بن أحمد بن عمر بن علي بن علوي بن حسين بن علي بن محمد ابن الإمام عبدالرحمن بن محمد الجفري، كان شهماً كريماً مصلحاً بين الناس، توفي سنة ١٤٠٩ هـ وأصله من نصاب، من أسرة نزحت إلى عريب ، وأول من وصل منهم السيد العلامة أحمد بن عمر الجفري الذي قام بالإمامة والخطابة، وله ذرية صالحة، منهم السيد

الجفري[١] ومحمد بن أحمد علوي وأحمد بن صالح المسيبلي [٢] وجمع من أهالي عريب، وقد نزلوا ضيوفاً على الأمير عبدالله بن أحمد العوذلي في منزله الجديد والذي يطل على

عبدالله عيدروس،المشهور بصلاحه وزهده وورعه، مع كرامات ظاهرة لازال الأهالي يتناقلونها، ومنهم السيد صالح بن أحمد ، وهو والد والدتي ، ولآل الجفري ذرية مباركة في عريب، نسأل الله أن يجعل الخير باقياً فيهم وفي عقبهم إلى يوم الدين .

(١) عبدالله بن صالح بن أحمد الجفري، شقيق الوالدة، كان على جانب عظيم من الصلاح كريماً ذو مروءة وعفة وشجاعة، اعتقل أثناء السلطة الشيوعية، وأُخذ إلى عدن ولم يعرف مكانه مع مجموعة من أهل الحل والعقد في عريب، منهم السيد حسين بن عبدالله عيدروس وعبدالله بن محمد عيدروس، ثم أطلق سراحهم ، وفي طريقه بالقرب من أملاكٍ له في السيلة البيضاء وضع له لغم فردي من قبل مجهول فاختاره الله شهيدا عام١٣٩٣ هـ تقريباً في منطقة تسمى إرباض ودفن بها رحمه الله رحمة الأبرار، وقد بلغنا النبأ بعد عصر يوم الجمعة والوالد في أثناء درس في الرباط فتأثر تأثراً كبيراً، وأبنّه رحمه الله بكلمات عظيمة جليلة رحمهم الله رحمة الأبرار، وجمع بيننا في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بعد طول العمر في طاعته ورضاه آمين .

(٢) آل المسيبلي أسرة علمية، لها دور كبير في التوجيه والإرشاد في المنطقة، أصلهم من مدينة نصاب بمحافظة شبوة، وأول من قدم منهم الشيخ عمر بن عبدالله المسيبلي الذي سكن مَذْوَقِين ، وكان على جانب عظيم من العلم والمعرفة، وقد خلف أولاده صالح وعلي ومحمد وحسين وأحمد، أما ولده الشيخ صالح فقد انتقل إلى عريب بطلب من السلطنة العوذلية، وتولى الإمامة والخطابة، وكان عالماً عاملاً زاهداً .

وله من الأولاد أحمد الذي خلفه وتولى القضاء في السلطنة العوذلية، وكذا عمر وعلي ومحمد وحسين، توفي الشيخ صالح بن عمر المسيبلي سنة ١٣٥٨ هـ ودفن في عريب، أما الشيخ محمد عمر فقد تولى الإمامة والخطابة في مدينة مكيراس، وكان إلى جانب علمه الغزير ذا مشرب صوفي نقي، كثير المحافظة على الذكر والدعاء، وتوفي سنة ١٣٩٤ هـ . ومن أولاد الشيخ عمر المذكور ولده الشيخ أحمد العالم المتبحر والناسك الوجل، وكذا

عريب ويسمى «البنقلة»، وتمت محاضرة النساء إلى نصف الليل تقريباً، ومن عريب تم الاتجاه إلى زارة عبر عَقَبَةِ ثِرَة .

عَقَبَة ثِرَة

هي جبل معروف من جبال اليمن المشهورة، بكسر الثاء وفتح الراء وآخرها هاء، وهو جبلٌ متسعٌ تصبُّ مياهه بمنطقة الكور، ويرتفع هذا الجبل عن سطح البحر ٢١٩٠ متراً، ويسمى جبل دَثِينة، وفي ذلك قال الهَمدانِيّ: أول دثينة «ثِرَة» لبني حُباب من أَوْدٍ، ودَثِينةُ غائطٌ[١] كغائطِ مأرب، فيه بنو أَوْدٍ، لكل بني أبٍ منهم قريةٌ حول مزارعهم، ويقول عن طريق الكور: ثم الكور إلى دثينة له طرقٌ كثيرةٌ منها الرُّقُب ودِمامة وساحَة والبُحَير وتاران وثِرَة وعُرُفّان ومُلْعَة وبُرَع وحَسِر .

حسين وعلي وكلهم صلحاء أتقياء نحسبهم كذلك، وقد تركوا ذرية صالحة وذكر حسن .

وممن عرفناه الشيخ حسين بن صالح بن عمر المسيبلي الأستاذ الأديب والذي تلقينا عنه كثيراً من المسائل العلمية، والشيخ العالم العابد عبدالله بن محمد بن عمر المسيبلي والشيخ الأجل صالح بن حسين المسيبلي وكيل وزارة الأوقاف والإرشاد، والإخوان فيصل بن أحمد بن صالح المسيبلي وعبدالله بن عمر المسيبلي القائمان بالوعظ والإرشاد في عريب في هذه الآونة،والولد النجيب رياض بن سالم بن عمر المسيبلي مغترب في أمريكا ، وهو طالب علم له دور كبير يشكر عليه في الدعوة إلى الله ، جعل الله الخير باقياً فيهم وفي عقبهم وإيانا إلى يوم الدين.

(١) هو المنخفَضُ الواسع من الأرض، ويقال له: «الغاطُ» بحذف الهمزة، جمع أغواط أو غيطان.

قلتُ: ولا زالت بعض الجبال المذكورة تحمل نفس الاسم حتى يومنا هذا، فالرقب عَقَبَةٌ في أعلى جبال دثينة من الجهة الشرقية وفيها قبائل الضَّمَج والذِّيب وآل المجهِّز، أما دمامة فهو جبل بالقرب من منطقة الشَّعَة وشُوحَط بدثينة، وفيها آل الأبرق وآل عُمَير وآل القُفَيش، أما تاران فهو جبل بالقرب من عقبة ثِرَة، وهو اسم لأحد الأقيال السابقين، وإليه ينسب مؤسس مدينة حَصِي التاريخية القَيل شمر تاران، وفي ذلك الجبل آل بَجلَة وآل مُهَيَّم، وعُرُفّان جبلٌ مشهورٌ بالقرب من عقبة ثِرَة فيه آل طاهر وآل مَشْرَقَة وآل العَوْسَجِي، ومَلْعَة جبل بالقرب من عُرُفّان فيه آل عَنَّة وآل بَركان، وبَرَع منطقة معروفة أعلى السَّيْلَة البيضاء، وفيه أخلاطٌ من البدو ومن قبيلة آل بَركان، وحَسِر جبلٌ مشهورٌ بالقرب من السَّيْلَة البيضاء، وبه أخلاطٌ من البدو، وأكثرهم من النَّخَع وآل شُنَين .

الكَور

هو تِهامة العواذل، وأهم مُدُنه وقُراه لَوْدَر، و زارَة، والجوف، والحَضْن، ويسكنه قبائل العواذل السفلى، ويطلق على تِهامة دثينة «الكَوْر» وعلى نجدها «الظاهر»، وهو مساكن العواذل العليا، وهو في اللغة جمع كَوْرَة وهي المدينةُ والصُّقْعُ والمخلاف، وفي «لسان العرب» أنها قريةٌ من قرى اليمن، والكلمةُ من أصلٍ يونانيٍّ هو «خورة» بمعنى ناحيةٍ من بلد، وهي من التقسيمات الإدارية لبلاد الشام .

قلتُ: ولَوْدَر و زارَة والحَضْن مساكنُ العواذل السفلى كما أسلفنا، وقد كانت المنطقة المذكورة أحسنَ حالاً من غيرها من الناحية العلمية، وبالذات في عصور الضعف، فقد ظهر

فيهم علماءُ أَجلاّءُ، منهم العلامة الكبير عمر بن صالح[1] الجفري والشيخ عمر بن محمد باهرمز والقاضي محمد مؤنس والأستاذ الكبير أحمد بن محسن العوامي والشيخ صالح بن عمر المسيبلي والشيخ محمد بن عمر المسيبلي وأولادهم أحمد بن صالح المسيبلي وحسين بن صالح المسيبلي والعم أحمد بن عبدالله الهدار وغيرهم .

يوم الأربعاء

تطرَّق الأستاذ محمد بن علي لقمان إلى ذكر يوم الأربعاء وأن أهالي تلك المنطقة يبدلونه بيوم «النور» أو يوم «البِرك»، وأن يوم «الرَّبُوع» يوم مشؤومٌ في تلك البلاد، وساق السبب إلى أنها حصلتْ معركةٌ ضاريةٌ في مدينة لودر قُتِلَ فيها عددٌ كبيرٌ من الرجال، وقُطِّعَتْ فيها آذانُ الأسرى، ولذلك السبب أُبْدِلَ السوقُ في لودر من يوم الأربعاء إلى يوم الأحد، ويقال: إن تسمية «لودر» كان لهذا السبب، فحينما سُئِلَ مَن حَضَرَ الوَقْعَةَ قال: «لَبا لُودَر»، أي: نهلك، مِن «وَدَرَ» بمعنى «هَلَكَ»، يقال: تَوَدَّرَ فلانٌ، أي: غابَ فلم يُعرف مصيرُهُ، وأهلُ المنطقة يُبدِلُون نونَ المضارعة لاماً في لهجتهم .

قلتُ: وتشير الأساطير إلى وجود أسبابٍ أخرى للتشاؤم بيوم الأربعاء، منها دخول جيش المتوكل على الله إسماعيل بقيادة الإمام المهدي أحمد بن الحسن حينما كان قائداً

(١) هو العلامة الأجلّ عمر بن صالح الجفري، لا زالت آثاره العلمية باقيةً يتناقلها الخلف عمن قبلهم، انتقل من منطقة نصاب بمحافظة شبوة ثم استقر في زارة وبها استمر مرشداً وداعياً إلى الله، ومرجعاً للفتاوى والاستفسارات الشرعية، إلى أن فاجأه الأجل المحتوم في سنة ١٣٥٥ هـ تقريباً، وله ذريةٌ صالحةٌ لا زالت تسكن في المنطقة المذكورة .

للجيش آنذاك في سنة ١٠٦٤ هـ ، وقد دخل إلى المنطقة وتجمعت القبائل المجاورة من كل حَدَبٍ وصَوْبٍ لصَدِّهِمْ ولكن دون جدوى، وقد قتل في تلك الوقعة السلطان حسين بن أحمد بن علي الرَّصَّاص مع أعدادٍ كبيرةٍ من معظم المناطق، وأن ذلك كان يوم الأربعاء، فتشاءم الناس به، ولذلك يقال ليوم الشدة «يوم الربوع» أو لعل ذلك متعاقبٌ من بعد هلاكِ العربِ البائدةِ قومِ عادٍ، فقد ذكر بعض المفسرين أن هلاكهم بالريح كان بدايته يوم الأربعاء، قال تعالى: ﴿وأَمّا عادٌ فأُهْلِكُوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتية . سَخَّرَها عَلَيهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وثمانيةَ أَيّامٍ حُسُوما . فَترى القَوْمَ فيها صَرْعَى كأَنَّهُمْ أعجازُ نَخْلٍ خاوِيَة﴾، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عادٌ فكيف كان عذابي ونُذُر. إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيهِمْ رِيحاً صَرْصَراً في يومِ نحسٍ مستمرّ﴾ .

العواذل

هي قبيلةٌ كبرى سكنتِ القرى الرابضةَ في أعالي جبل ثِرَة، وتسمى الظاهر والعواذل العليا، أما العواذل السفلى فهي التي سكنت القرى الرابضة في أسفل عقبة ثِرَة، وتسمى الكور، فيطلق على نجد دثينة «الظاهر»، وعلى تهامتها «الكور» كما أسلفنا، وأشهر قبيلةُ العواذلِ آلُ منصور، ومنهم الطُّهَيفي والبُجَيري وآل مرزوق وآل الدَّهْبَلي[1] وآل جُعَيمَلان وآل النَّخَع، أما عن سبب التسمية بهذا الاسم فهناك عدةُ

(١) آل الدهبلي أسرة لازالت تحمل نفس الاسم من قديم الزمان، حيث أفاد الهمداني عند وصفه للمنطقة أنهم ذو سيادة وشرف في قبيلة أود، وأن منهم الشيخ المجاهد عثمان الدهبلي الذي أقام بالثغر غازياً ثم عاد، قلت: «ومعلوم أن المجاهد المذكور كان ذا صيت ذائع وإلا لما ذكره الهمداني» ، ولازالت هذه الأسرة تتعاقب السؤدد والمرجعية منذ ذلك

احتمالاتٍ ذكرها المؤرخون لعل أقربَ احتمالٍ أنهم ينتسبون إلى عائذ اللّه بن سعد العشيرة بن مَذْحِج، وسمي سَعدَ العشيرة لأنه كان يمشي في الناس وأولاده بجواره يملؤون موكبه، فإذا قيل: مَن هولاء ؟ قال: عشيرتي، خوفاً عليهم من العين.

قال عمرو بن مَعْدِي كَرِب عندما سأله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عنهم قال: هم سَنامٌ والناس أجسامٌ، ذكره الهَمْدانِيّ والمسعودي، وممن ينتسب إلى عائذِ اللّه محمدُ بن سليمان العَيْذِي، يروي عن هارون بن سعد ومجمع بن عبداللّه بن مالك بن مَناة بن عائذ اللّه قُتِلَ مع الحسين بن علي عليهما السلام في موقعة كربلاء .

وهناك احتمالٌ آخر، وهو أنها محرَّفَةٌ عن كلمة «عَود»، والنسبة إليها «عَوْدِي»، وقد ورد ذِكْرُها في نصِّ صِرواح الشهير الذي ينبي عن المعارك الضارية التي قام بها الملك السبئي، ويفيد النص أن منطقة العودين لم تصبها مَعَرَّةُ الجيش، وأنها أُبقيتْ لذويها لوقوفهم مع مملكة سبأ، وانفصالهم عن مملكة أَوْسَان التي حَلَّتِ الهزيمةُ بها من مملكة سبأ آنذاك .

أما قبيلة النَّخَع الشهيرة فقد سبق ذكرها في بداية الكتاب، ومن أعلامهم إبراهيم بن مالك النخعي والقاضي حفص بن غياث وشريك بن عبداللّه والشاعر الفضل بن جعفر وإسحاق بن محمد، وقد ورد ذكرهم في «اللباب» للقلقشندي، وفي «مجمع الزوائد» للّهيثمي، وفي «جمهرة الأنساب» لابن حزم، وقد قال الشاعر الشعبي:

عواذلة وان عاده فرق في العوذله

عواذلة من قفا طفة جبل حلحلة

التاريخ، ومن أعلامهم الشيخ الخضر حسين الدهبلي وصديقنا المجاهد محمد بن سالم المصكعي الدهلبي المتوفى في عزة ١٤٠٣ هـ، كان على جانب عظيم من الصلاح، صادعاً بالحق لا يخاف في اللّه لومة لائم .

ذي لا نجــح عيشــــهم للضيـــف ماكملــــه
وخصمهـــــم يطعنونـــه طعـــن بالــــمسقلة

وقد واصل الوالد رحمه اللّه ومن بصحبته السفر إلى زاره، وهـي عاصمـة السـلطنة العوذلية، واستقبلهم أهلُها، وكان في مقدمة مستقبليه السلطان محمد جعبـل بـن قاسـم علي(١) والسادة آل الحامد وجمعٌ غفيرٌ، وفي زاره نزل سيدي الوالد ومن معه في مـنزل العم أحمد بن عبداللّه الهدار الذي كان إماماً وخطيباً في مسجدها، وقد تـمت المحاضرة بعد المغرب إلى العشاء للرجال ثـم للنساء على العادة، وقد نزل الوالد ومن معه ضيوفاً على السلطان محمد جعبـل رحمـه اللّـه ومـن زاره إلى لـودر، وقـد خـرج أهـالي لـودر

(١) هو السلطان محمد جعبل بن قاسم علي، ينتهي نسبه إلى السلطان عـامر بـن عبدالوهـاب الطاهري، من السلاطين آل الطاهر، أصلهم من الطاهرية بالقرب من السُّوادِيّة، وهـي أوديـةٌ خصبةٌ حسبما أفاد القاضي محمد بن أحمد الحَجْري في كتابـه «معجـم بلـدان اليمـن»، وقـد انتقل جد السلطان المذكور من رَداع عاصمة ملكهم، وذلك بعد أُفُول الدولـة الطاهريـة إلى عقبة ثِرَه، وخلَّف عَقِباً عُرفوا بالصلاح والتقوى، وعَقِبَ غِيابِ السلاطين آل الرَّصَّـاص عـن المنطقة تـم تأسيس السلطنة العوذلية ضمن أخبارٍ يطول شرحها .

ولد السلطان محمد جعبل عام ١٣١٢ هـ، وعاش ملازماً لأخيه السلطان حسين جعبـل، وكان على جانبٍ عظيمٍ من الصلاح والتقوى، محبـاً للعلـماء، مبجـلاً لهـم، كريمـاً مضيافـاً، حيث لا يخلو بيتُه عن عدد من الضيوف كل يوم وليلة، واستمر على ذلـك الحـال حتـى آل الأمر إلى السلطان صالح بن حسين ، ونابه من أولاد السلطان حسين جعبل وأولاد السـلطان محمد جعبل، وانقطع للعبادة ضارباً عن الدنيا حتى قامت جمهوريـة اليمـن الجنوبيـة الشـعبية، فاتجه وكافة أسرته إلى الطائف، وبها استمر يتردد إلى الحرمين الشريفين، وفي عام ١٣٩٩هـ خرج مع حفيده في يوم جمعة لأداء مناسك العمرة فحصل لهما حـادثٌ مـروريٌّ تـوفي علـى إثره، ودفن بمكة المكرمة في مقبرة المعلاة .

لاستقبال الوالد ومن معه، وكان في مقدمة المستقبلين السيد محمد بن حفيظ والسيد قاسم بن منصور الجنيدي والشيخ عمر بن محمد باهرمز [١] رئيس القضاء في السلطنة العوذلية، والشيخ أحمد بن محمد الصغير وحسين محمد غرامة وناصر بن فضل وعلي البعلول وغيرهم.

وقد تم القيام بعدة محاضرات في مساجد لودر للرجال والنساء ومكث بها نحواً من أسبوع، وكانت معمورة بالمحاضرات وحلقات الذكر والأسئلة في المسائل الفقهية، وبعد قضاء عدة أيام في لودر تم الاتجاه نحو دثينة .

---

(١) هو الشيخ عمر بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبدالرحمن باهرمز، ولد في الجَبْلَة إحدى قرى دثينة سنة ١٣٢١ هـ، حيث انتقل إليها جدُّه من نصاب مرشداً وواعظاً بالمنطقة، ونشأ في حجر والده وأخذ مبادئ القراءة والكتابة لدى جده الشيخ عثمان بن محمد، وما أن بلغ دور الشباب حتى انتقل إلى نصاب وتتلمذ على الحبيب صالح بن عبدالله الحداد، ورافقه فترةً من الزمن وانتقل معه إلى قيدون، ثم رحل إلى تريم برسالة من الحبيب صالح إلى عند شيخ الإسلام عبدالله بن عمر الشاطري، وتتلمذ عليه وأخذ عنه كثيراً من المعارف والعلوم، وبعد فترةٍ من الزمن عاد إلى نصاب ومنه إلى لَوْدَر، وعُيِّنَ رئيساً للقضاء في السلطنة العوذلية، وكان مثالاً للعدل والنزاهة والإصلاح بين المتخاصِمِين، وكان يقوم في المسجد بدروسٍ عامةٍ وخاصةٍ للطلاب المترددين عليه .

واستمر على ذلك الحال حتى عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠م) حيث توقف عن القضاء واشتغل بالدعوة إلى الله متردداً على المساجد، وقد سلمه الله من الفتن التي ابتُلي بها كثيرٌ من العلماء في تلك الفترة حتى فاجأه الأجل المحتوم سنة ١٣٩٧ هـ ودفن في لودر .

دِثِينة

هي صُقْعٌ من أصقاع اليمن المشهورة، ورد ذكرُها في التاريخ، وهي واحدةٌ من قليل من المناطق اليمنية التي احتفظتْ باسمها ولم يتغير حتى الآن، ولها ذكرٌ في العصور الذهبية للتجارة أيام أَوْسَان ومعين وسبأ وحضرموت، فقد كانت إحدى المناطق المهمة التي تعبر بها القوافل، وذكرها الكُتَّابُ الرومان واليونان منذ أكثر من ألفي سنة، وقد أوردَ الهَمْدانِيّ شعراً ذكرها فيه، قال:

طَبَّقَتْ بالسيولِ أَبْيَنَ حتى ... لَحْجها وهْيَ والسماءُ سَواءُ
تِلْكُمُ أَحْوَرٌ وتِلْكَ الدَّثِينا ... تُ مَعَ السَّرْوِ جَنَّةٌ خَضراءُ

قال الحجري: ودثينةُ بلدٌ مشهورٌ ما بين حضرموتَ وعدن، وقد ذكرها الهَمْدانِيّ من ضمن كلامه الذي نقلناه في سرو حمير، وقال في «معجم البلدان»: الدَّثِينَةُ بفتح أوله وكسر ثانيه وياءٍ مثنّاةٍ من تحت نونٍ: ناحيةٌ بين الجَنَدِ وعَدَن، وقال ابنُ مَخْرَمَة: دَثِينَةُ بالفتح وكسر المثلثة وسكون التحتانية ثم نونٍ مفتوحةٍ ثم هاءٍ: صُقْعٌ معروفٌ باليمنِ بناحية أَبْيَن من الشمال وتهامة رداع الحرامل تحت الكور من الشرق، وهي بلادٌ متسعةٌ ، في كلّ بقعةٍ منها قبيلة، وتسمى «الحافة»، وسلاطينها الهياثم، ويقال: إنها كانتْ تُسَمّى دَفِينة، ولمعركةٍ ضاريةٍ حصلتْ فيها قُلِبَ اسمُها إلى دثينة، وهي من أيام العرب المشهورة، وقد ذَكَرَها الأَفْوَهُ الأَوْدِيُّ في قوله:

وقد مَرَّتْ كُماةُ الحرب مِنّا ... على ماءِ الدَّفِينَةِ والحَجيلِ

ومن أعلامها عُروة بن غَزَنَة الدَّثَني، وقد وصفها لسان اليمن الهَمْدانِيّ فقال: دثينة أوَّلُها الرُّقُب لبني كَتِيف، وهم رهط رزام بن محمد، وله الموشَّح، وهي مدينة كبيرة، الحار وتاران واديانِ لبني قيس من بني أود، والمعوران والقرن والسوداء وذي

الخُنَينَة والجبل الأسود، ثـم ذكـرَ طُـرُقَ الكَـوْرِ إلى دثينـة فقـال: منهـا الرُّقُـب ودُمامـة وساحة والـمحَير وتاران وثِرَة وعُرُفّان ومَلْعَة وبَرَع وحَسِر .

قلـت: ولا زالـت بعـض الأمـاكن تحمـل نفـس الاسـم حتـى اليـوم، ويفيـد الملـك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول في كتابه «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» أن القبائل التي تسكن دثينة هي الجحـافل، والـمشهور منهـم أربـع قبـائل: آل علـي وآل يحيـى والعُجمـان والهياثـم، وآل يحيـى قبـائلُ كثـيرةٌ يجمعهـم آل عَـزَب والعجمـان، نسبتهم إلى جدهم، وهو رجلٌ نَجَعَ من خراسان فوُلِدَ لـه خمسـةُ أبنـاء، تفـرَّع هـؤلاء الأبناء إلى خمس قبائل، وهو قُراد، وأبوالضـم، وظَفَـر، وعَيّـاش، وبَيَاحَـة، أمـا الهياثـم فينتسبون إلى حمير، ومن قبائل دثينة بنـو علـي وبنـو أيـوب وآل جعيمـلان والعُلَهِيّـون والنَّخَعِيّون . انتهى باختصار .

ويسكن دثينة اليوم من القبـائل آل حَسَني وآل منصـور والسـادة وآل زامِـك وآل حسين والـميْسَرِي وآل دَيّان وآل عَزَب وغيرهم .

دَثِينَة في كُتُب التاريخ

وقد ورد ذكر دثينة في كتاب ياقوت «معجم البلدان» و«الشمائل» لابـن كثـير وفي «تذكرة الحفاظ» للذهبي عند ذكر حديث أبي سَـبْرَة النَّخَعِـيّ الـذي قـال فيـه: حدثنـا إسحاق بـن إسمـاعيل وأحمـد بـن جبير وغـيرهم، قـالوا: حدثنـا محمـد بـن عبيـد عـن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي: أن قوماً أقبلوا مـن اليمـن متطوعـين في سـبيل اللّـه فنفق حمارُ رجلٍ منهم فأرادوه أن ينطلقَ معهم فأبى، فقام فتوضأ ثـم صلـى ثـم قـال: اللّهم إني جئتُ من الدَّثينة مجاهداً في سبيلك وابتغاءَ مرضاتك، وإني أَشْهَدُ أنك تُحْيِي

الموتى وتَبْعَثُ مَن في القبور، لا تجعل لأحدٍ عليَّ مِنَّةً، فإني أَطْلُبُ أَنْ تبعثَ لي حماري، ثـم قام إلى الحمار فقام الحمار يَنْفُضُ أُذُنَيه، فأسرجه وألجمه ثـم ركبه وأجراه، فلَحِقَ بأصحابه فقالوا له: ما شأنُك ؟ قال: شأني أنَّ اللّه بَعَثَ حماري .

قال الشعبي: فإني رأيتُ الحمار بِيعَ أو يُباع في الكُناسة، يعني بالكوفة، قال ابن أبي الدنيا: وأخبرني العباس بن هشام عن أبيه عن جده عن مسلم بن عبداللّه بن شريك النخعي أن صاحب الحمار رجلٌ من النَّخَع يُقال له نَباتُ بنُ يزيد، خرج في زمان عمر غازياً حتى إذا كان بلُقَيٍّ عميرة نَفَقَ حمارُه، فذكر القصة غير أنه قال: فباعه بعدُ بالكناسة، فقيل له: تبيع حمارك وقد أحياهُ اللّه لك ؟ قال: فكيف أصنعُ؟

وقال رجلٌ مِن رَهَطِهِ ثلاثةَ أبياتٍ فحفظتُ هذا البيت:

ومِنّا الذي أحيا الإلهُ حِمارَهُ وقد ماتَ منهُ كُلُّ عُضْوٍ ومَفْصِلِ

وبعد زيارة سيدي الوالد للودر اتجه إلى دثينة، ووصل إلى منطقة النجدة، واستقبله فيها الشيخ المنتصر حسن والشيخ عبداللّه بن أحمد، وقام بالمحاضرة للرجال والنساء على وفق ما ذُكر.

ثـم زار ضريح الشيخ عمر بن سعيد، ومنها انتقل إلى الشَّعَة واستقبله كثيرٌ من الأعيان، وعلى رأسهم الشاب الصالح جعبل الشَّعَوِيّ، وتمت المحاضرة كما سبق، ومنها إلى العين واستقبله فيها آل السقاف السيد صالح بن عبداللّه السقاف وعلوي بن عبداللّه السقاف، ونزل ضيفاً على الشيخ أحمد بن حسين الطَّلّي، وتمت بها محاضرات قيمة للرجال والنساء.

ثـم إلى الخُدَيرة واستقبله الشيخ عمر أحمد المعيقبي والـمشايخ آل باهرمز، وتنقل في أكثر قـرى دثينـة وبـالذات قـرن عَشّـال والـمصعام والصلعـاء والقُـوز[1] والـمقاصر والفَرعـة والـمقبابة وغيرهـا، ثـم عـاد إلى البيضـاء بحفـظ اللّـه وعنايتـه، وقـد قـام بالـمحاضرات في كل القرى المذكورة للرجال والنساء ونفع اللّه به كثيراً .

نُبْذَةٌ عن مُحَاضَرَاتِهِ ومُذاكَرَاتِهِ في رِحلاتِهِ الدَّعْوِيَّة

كان رحمه اللّه في ذلك الوقت من الزمن يَصُبُّ كـلَّ توجيهاتـه نحـوَ ضـرورةِ تربيـة النَّشْءِ تربيةً صالحةً، وضرورةِ تردُّدِهـم إلى المساجد، ويحذِّرُ مـن دسـائس الاسـتعمار البريطاني في التربية؛ لكونه يفصل بين النشء والتربية الإسلامية .

كما كـان رحمـه اللّـه يحثُّ على أداء الصلوات في جماعـة وضـرورة قيـام الأهـل بالصلاة، ويضرب على ذلك مثلاً بالأقوال الشعبية القريبة من المستـمع مما يجعلها أكثرَ صدىً في نَفْسِ العاميِّ، وربما استشهد بقول الحُمَيد بن منصور[2] وغيره من الحكمـاء،

---

(١) وقد زار في القوز زميله في الدراسة في حضرموت الشيخ عبداللّـه بـن حسـين درَّامـة الملقب «الدَّثَني»، وهو من العلماء الصلحاء، مكث في تريم نحـواً مـن سبع سنوات ملازمـاً لشيخ الإسلام الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري ورافقه في رحلته إلى الحج ثـم عاد إلى موطنه وتولى الإمامة والخطابة والإصلاح بين الناس، واعتذر عن تولي القضاء، وتخـرج على يديـه طـلابٌ كثيرٌ، واستـمر في القوز حتى توفاه اللّه عام ١٣٨٧ هـ وعمره ثلاثة وستون عاماً رحمـه اللّـه وإيانا آمين .

(٢) الحُمَيدُ بنُ منصور أسطورةٌ شاع ذِكْرُها في أوساط المجتمع اليمني أجمع، يقال: إنها شـخصيةُ رجلٍ حكيمٍ سَكَنَ أسفلَ منطقة سَرُوم بين البيضاء ومنطقـة خَـوْرَه، وإليـه تُنسَب كثيرٌ من

كما كان رحمه اللّه يحذِّر من الحقد والحسد والبغضاء بين المسلـــمين، ويـردد الحديـث الشريف عن الزبير بن العوام رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليـه وآلـه وسلـم: «دَبَّ إليكم داءُ الأممِ قبلَكم، الحسدُ والبغضاءُ، هـي الحالقـةُ حالقـةُ الدِّيـنِ لا حالقةُ الشَّعْرِ، والذي نَفْسُ محمدٍ بيده لا تُؤْمِنُوا حتى تَحَـابُّوا، أفـلا أُنَبِّئُكُـمْ بشـيءٍ إذا فعلتـموهُ تحاببتـم ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بينكم» رواه أحمد .

الحِكَم التي يُرَدِّدُها المزارعون، نظراً لـما يجدون فيها من بيانٍ وتوضيحٍ لكثيرٍ من أمـور الحيـاة التي ربما اصطدَمَ بها الإنسانُ في حياته، وربما حضرَ المصلِحُ بين المتشاجرينَ والناسُ من حولـه ورَدَّدَ كثيراً من تلك الحِكَمِ المنسوبة إلى الحميد بن منصور فتَجدُ كُلَّ من في المجلـس يـرددون صَدَى تلك العبارة التي استشهد بها ذلك المصْلِح لِتَدْعَمَ الحَلَّ الذي وَضَعَه بينهم، منها قولـه: قال الحميد بن منصور: ما حد من اللّه هارب، مريت له في المشاطي ومر لي في المقارب.

ومنها قوله: الجار يخطي علينا وليش نخطي علـى الجـار ، « ليش » كلـمة عامية بمعنـى «لـماذا» ، وقوله أيضاً: الدَّين قبل الوراثة ، وقوله: بوري التتن ما يفيدك، ولا يقـوي زينـدك والثالثة في وريدك، و«البوري» أداة لاستخدام التنباك ، و«التتن» كلـمة معرَّبة ، والـمراد بهـا التنباك ، وقوله: «ياليتني موت واحيا باعين الخَلْف بعدي هـم مثلي أو خير مني» ، الخلف محرفة عن الخَلَفْ وهم الذرية .

ومنها قوله: «باوصيك في أربـع وصايـا: الأولـه قـم بنفسـك تخـرج مـع الصـوت لـول، والثانية في ابن عمك قاتل معه قبل يقتل، والثالثة في دخيلك عجل بعيشه ولـو قـل، والرابعـة حرمة الويل طلاقها قبل تحبل» .

ومنها قوله: «ما يجبر الفقر جابر غير البقر والزراعة، ولا الجمال ذي تسـافر تقبـل بكـل البضاعة، ولا مرة من قبيلة تقبل وفيها نفاعه، تقلب الوقت دايـم كنـه معاهـا وداعـه، تجيعنـا حين نشبع والشبع وقت المجاعة».

وكان رحمه اللّه يحذر طُلاّبَهُ من العُجْبِ والاستعلاء على أحد من المستمعين، ويفيد أنه ربما كان المستمع خيراً وأفضلَ من المتكلم، وخاصة إذا لم يُخلص عمله للّه تعالى، وربما رَدَّد الحديث الشريف عن أسامة بن زيد قال: سمعتُ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول «يُؤْتَى بالعالم يوم القيامة فيُلقى في النار فتَنْدَلِقُ أقتابُه فيَدُورُ بها كما يدورُ الحمار بالرَّحَى، فيَضِيقُ أهلُ النار، فيقولون: ما لَكَ ؟ فيقول كنتُ آمُرُ بالخيرِ ولا آتِيهِ وأَنْهَى عن الشر وآتِيهِ» متفقٌ عليه .

نسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يوفقنا، وأن يجعلنا من الداعين إليه على بصيرة، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، آمين .

رِحْلَتُه إلى يَافِع

هي بلدٌ مُتَّسِعٌ كانت تُسَمَّى «دَهْس» حسبما حَكَتْها النُّصُوصُ القديمةُ كنص صرواح الشهير ، وتسمى سرو حمير كما ذكرها الهَمْدانِيّ في كتابه «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب»، وعَدَّد كثيراً من مُدنها وحصونها وأوديتها كالعِرقة والعُرّ وثمر وعُلَة وحَطِيب ويَهَرّ وذي ناخب وسَلَفَة وسُلُب وتَيْم، قال الأعشى:

وقد طُفْتُ للمالِ آفاقَهُ عُمانَ فحِمصَ فأُورِي شَلَم
فنجران فالسَّرْو مِن حميرٍ فأَيُّ مَرامٍ لَهُ لم أَرُمْ

أما نسبتها إلى يافع فهو جَدٌّ جاهليٌّ قديمٌ، وهو يافع بن قادل بن زيد بن ناعتة بن شراحيل بن الحارث بن زيد بن يَرِيم ذي رُعين الأكبر، يقال: إنها أكبر قبيلةٍ حميريةٍ

سَطَعَ نجمُها في القرن السادس بعد الميلاد، أَنْشَأَتْ دولـةً في الجنـوب اليمـني في العصـر الجاهلي، وكانت عاصمتُها شَبْوَة، وقد استقرَّ حكمهم أكثرَ من خمسين عاماً[١].

وتقع يافع على هَضَبَةٍ صخريةٍ كبرى، يحدُّها شمالاً وغرباً محافظـةُ البيضـاء ومحافظـة إبّ، وهي بالقرب من محافظة الضالع، وشرقاً محافظة أبين، وكثـيرٌ مـن مناطقهـا اليـوم ضمن محافظة لحج، ومنها ما هو تابعٌ لـمحافظة أبـين، وهـي في الشـمال الشـرقي مـن محافظة عدن، وتحتلُّ هذه الهضبة العالية كتلةً جبليةً وَعِرَةَ المسالك، أعلاهـا جبـل ثـمر الذي يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٨٢٤٥ قدمـاً، بـالقرب مـن جبـل جحـاف الـذي ينتسب إليه العلـماء من آل الحَرِيري، وتتخلَّل يافع أوديةٌ أهمها وادي حَطِيـب ووادي العِرقة وذي ناخب .

وتنقسم يافع إلى قسـمين: يـافع العليـا ويـافع السـفلى، وتشـمل يـافع العليـا قبـائل الموسِطَة والضُّبي والـمفلِحِي وعشائرهم، وكانوا من قبل وجود دولة في يـافع يدينـون بالطاعة لآل الشيخ علي، وعاصمتهم المحْجَبَة، أما يافع السفلى فتشمل قبـائل السَّعْدِي والكَلَدي والناجِي واليزيدي وعشائرهم، وتدين قبائل يافع السفلى قبل وجود دولة في يافع للسلاطين آل العفيفي، وعاصمتهم القارَة .

قال في «القاموس»: ويافعٌ موضـعٌ، وأبـو قبيلـة رعـين . وقـال يـاقوت الحمـوي في كتابه «معجم البلدان»: ويافعٌ أظنُّه موضعاً باليمن يُنسب إليه القـاضي أبوبكـر اليـافعي اليمني قاضي الجَنَد، صَنَّفَ كتاباً في النحو سماه «الـمفتاح» .

وأهمُّ حاصلات يافع البُنُّ المشهور بجودته، غير أن كثيراً من الأهالي اشتغلوا بزراعة القات عوضاً عنه .

---

(١) انظر «تاريخ حضرموت السياسي» .

قلت: وقبيلة يافعٍ قبيلةٌ كبرى لها ذكرٌ في التاريخ، وهم أهلُ عِـزَّةٍ وشكيمةٍ ومَنَعَـةٍ وكرمٍ، وهي من القبائل التي هَبَّتْ لنصرة الإسـلام، وبـالذات في عصـر ظهـوره، وقـد أنجبت قبيلة يافع كثيراً من الفطاحل والرجال الذين قـلَّ أن يوجد لهم نظيرٌ، منهم العالم الجليل سيدي عبدالله بن أسعد اليافعي، ومنهم الإمام تقي الدين عمر بن محمد بن عيسى الحريري، توفي بعدن عام ٨٢٣ هـ ، والإمام جمال الدين محمد بن عيسى اليافعي، والقاضي أبوعبدالله محمد بن إبراهيم اليافعي الجَنَدي، ومنهم إبراهيم بن أحمد اليافعي، سكن صنعاء، توفي عام ١١١٠ هـ، ومن شعره:

لَحَى اللّه دهراً خَصَّني بخَصاصةٍ ... وأَقْعَدَني عمّا سَعَى فيه أمثالي
تَنُوبُ صديقي نائباتُ زمانِهِ ... فيَمْنَعُني عن رِفْدِهِ قِلَّةُ المالِ

ومنهم القاضي أبوبكر بن محمد بن عبدالله اليافعي، حضر موته الإمام يحيى بن أبي الخير العِمراني مؤلف «البيان»، وقال حينما مات: ماتت المروءة، وقال الحَرَضِيّ: وكان له جاهٌ عظيمٌ عند الملوك، خَلَّصَ فقهاء اليمن من الخراج والمظالم، ومن علماء يافع الإمام عبدالملك بن محمد بن ميسرة اليافعي، سكن جبل الصُّلْو من بلاد الحُجَرِية، توفي عام ٤٩٣هـ، ترجمه الأهدل .

ومنهم أبوبكر بن علي الحريري، ترجمه بامخرمة، والحريري نسبة إلى حريرٍ من بلاد يافع، ومَعُوضَة بن علي بن عَزّان اليافعي، سمع على حسين بن أحمد بن حسين الحسيني بعدن في سنة ٧٤٨ هـ ، والفقيه رضي الدين أبوبكر بن محمد بن أسلم الفراع اليافعي، كان إماماً في النحو، سمع كتاب «الشفاء» للقاضي عياض على القاضي محمد بن إبراهيم الصنعاني عام ٧٩١ هـ ، والشيخ تاج الدين عبدالوهاب بن الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي، والشيخ علي بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أسعد اليافعي، وهو القائل حينما زار حضرموت:

مَرَرْتُ بـوادي حَضْرَمَوْتَ مُسَلـماً فأَلْفَيْتُـهُ بالبِشْـرِ مُبْتَسِـماً رَحْبـا
وأَلْفَيـتُ فِيـهِ مِـن جَهـابِذَةِ العُـلا أَكـابرَ لا يُلْقَـوْنَ شَـرقاً ولا غربـا

ومنهم الشاعر منصور بن نصر بن عبدالله اليافعي، وهو القائل:

إنْ كُنْتَ تَسْأَلُ عن قومي وعـن حسبي كُتْـبُ التواريـخِ والأنسـابِ تكفينـا
فنحنُ من يـافعٍ حُزْنـا الأُولىَ حَسَباً مِـن مُنْتَقَـى يـافعٍ قحطـانُ راعينـا
مَـن أَيْنَعَـتْ في سمـاءِ المجـدِ مُعْلِنَـةً للعِـزِّ تدعـو وللعَلْيـا تُنادِينـا

توفي سنة ١٣٤٢ من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وفي عام ١٣٨٧ هـ كان سيدي الوالد يردد في مجالسه: لابد وأن نذهب إلى يافع للدعوة إلى الله، وللصلح بين القبائل المتناحرة، ولنشر التعاليم الإسلامية، وللتَّذَكُّر والتذكير، ولم تكن هذه الرحلة هي الأولى بل إنه قد تردد مراراً كثيرة على المدن والقرى في يافع والحد وبني بكر ، وذلك للدعوة إلى الله مشياً على الأقدام، وقد رافقه في بعضها زميل دراسته الأستاذ محسن بن محمد الهدار والقائم بمساعدته سالم بن صالح النسي، غير أنا لم نعثر على تفاصيلها، فاتجه رحمه الله بصحبة العم صالح عبدالله الهدار وعلي محمد شميله وراقم هذه الأحرف حسين بن محمد الهدار، ومعنا مكبر للصوت ضخمٌ ومجموعةٌ كبرى من الكتب، وخرجنا من البيضاء متجهين إلى «نَعْوَة»، وهي ما يطلق عليها مديرية الزاهر، وهو مركز المديرية، وتشتمل مديرية الزاهر على العُزَل التالية: نعوة، والزاهر، والمحصن، وآل بَرمان بن الأشيب، والحَبَج، وقِرْبَة، والناصفة، وممدود وقُرْعُد، وأَثْعَب، والخميس، وقد ورد لها ذكرٌ في التاريخ، حيث عَدَّدَ لسانُ اليمن الهَمْدانيُّ كثيراً من مدنها وقراها، فممّا قاله يَصِفُ سَرْوَ مَذْحِج:

سَرْوُ مذحج أوَّله الرُّبَّاحة والسَّلَف وحُمُر وتَناعُم لِرُهاء،المرواح لبني صائد، وينتسبون إلى الأُزْد، والجازة لبني عامر بطنٌ من مُسْلِيَة، الشعب لآل كَتِيف وهم من بني مسلية، وهم أشرافهم، والبادة ومَيض وشَبَثان لبني مُسْلِية، ولهم نَخلان وادٍ كبيرٌ، أرضُ بني زائد أولها الخَزانة، والهُجَيرَةُ مَصْنَعَةٌ جاهِلِيَّةٌ، والشهد وهو حصنهم، وحوله أموالٌ كثيرةٌ، والسِّرُّ ونَوّاس وعَبابة، ولهم حصنٌ يعرف بالهُضيمة، ولهم دُبَان وامسِر، كل هذه المواضع لبني زائدٍ حيٌّ من أَوْدٍ، وادي نَعْوَةَ لبني مُنَبِّه، وهم إخوةُ بني كَتِيف، وبنو قيسٍ من بني أَوْدٍ، وهم رَهْطُ **الأَفْوَهِ الأَوْدِيّ** . انتهى كلام الهمداني .

ولتمام الفائدة أحببنا تقديم دراسة عن هذا الشاعر المجهول الذي نسيه الكثير..

إِنَّهُ الأَفْوَهُ الأَوْدِيّ

عاش الأفوهُ الأوديُّ عصرَ ما قبل الإسلام، ويُعَدُّ من حكماء العرب، قال الأصبهاني عنه: إنه كان سيد قومه وقائدهم، وكانوا لا يَصْدُرُون إلا عن رأيه، وأن العرب تَعُدُّهُ من حكمائها، كما تفيد كتب التاريخ أنه أدرك المسيح عليه السلام، ويفيد ابن قتيبة في «طبقات الشعراء» أن العرب كانوا لا يعرفون القصائد الطويلة، وإنما كان الشاعر يقول البيت والبيتين، ويفيد أن شاعرنا الأفوه الأودي هو أول من نظم القصائد، ولعله يقصد أن ذلك كان في فترةٍ من حياة العرب ليس إلا، فقد رُوِيَتْ كثيرٌ من القصائد لكثير من الشعراء الأوائل، كالملك أسعد الكامل وغيره، أما وفاته فكانت عام ٧٥ من الميلاد تقريباً.

إنه شاعرٌ تغنَّى بقصائده الكثيرُ منذ ذلك العصر حتى يومنا هذا، لعذوبة أسلوبه ورصانة قوله، بل ولما تنطوي عليه من حِكَمٍ جليلةٍ، قال البكري عنه: هو جاهليٌّ قديمٌ . وقال الكلبي: إنَّه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، كما أنه سَجَّلَ أعمالاً جليلةً ووقائعَ مشهودةً إلا أنه نَسِيَهُ الكثيرُ فلم يأخذْ مكانتَه في عالم الشهرة، وربما أُستشهِدَ بأبياته وحِكَمِه دون أنْ يُعرف مَن هو ؟ ومِن أيِّ قُطْرٍ ؟ وإلى أي قبيلةٍ ينتسب ؟

إنه «الأفوه الأودي»، صَلاَّةُ بنُ عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن مُنَبِّه بن أَوْدِ بن الصعب بن سعد العشيرة، يكنى بأبي ربيعة، لقب بالأَفْوَه لأنه كان غليظَ الشفتين ظاهرَ الأسنان، وأبوه فارس الشَّوهاء عمرو بن مالك، والذي قال فيه:

أبي فارس الشَّوهاءِ عمرُو بنُ مالكٍ غداةَ الوَغا إذ مالَ بالجدِّ عاثِرُ

قبيلةُ الأَوْد

هي بطنٌ من قبيلة مَذْحِجٍ المارِّ ذكرُها، وقد سكنتْ دثينة ونَعْوَةَ وحَصِياً وكَرِيش من سَرْوِ مَذْحِج، أو بني أرض كما كانت تسمى سابقاً، ثم حُرِّفَتْ فقيل «بنير» على وزن «مَسْوَر»، أما «نعوة» فهي ما تسمى الآن بناحية الزاهر آل حُميقان، وهي موطن قبيلةِ أَوْدٍ، وقد كان أَوْدٌ حكيماً في زمانه وسيداً مطاعاً في قومه، عاش دهراً وعُمِّر حتى ضَعُفَ بصرُه وكَلَّ سمعُه وقَصُرَتْ خُطاه، وأوصى بنيه فقال شعراً:

أَوْدٌ بني أبوكُمُ أَوْدَى بهِ صَرْفُ الزمانِ ورَيْبُهُ فتَأَوَّدَا

والدَّهْرُ غَشَّ لناظِريهِ فلا يَرى بهما الضُّحى إلا ظلاماً أسودا

ما إنْ يَعِي إلا إذا قُرِعَتْ لَهُ وإذا يَمِيلُ على المَحدّثِ أَحْيَدا

وكان من الكِبَرِ الذي عَلاهُ يكون مَشْيُه الساهي ما يُحِسُّ بشيءٍ إلا إذا قُرِعَتْ له العِصِيّ، كما قيل:

لذي الحلم قبل اليومَ ما تُقْرَعُ ... وما عُلم الإنسانُ إلا لِيَعْلما

وقد أنجبتْ قبيلةُ الأَوْدِ كثيراً من الفطاحل والجهابذة كشاعرنا الأفوه موضوعِ بحثِنا هذا، والشاعر الكبير علي بن محمد الأودي، والمحدِّث عمرو بن ميمون الأودي، الذي عاش ملازماً للصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه ثم انتقل إلى الكوفة ومات بها سنة ٧٥ هـ، وقد خرَّج له كثيرٌ من المحدِّثين كالبخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي وغيرهم، وترجمته مبسوطةٌ في «الاستيعاب» و«الإصابة» و«تذكرة الحفاظ» و«صفة الصفوة»، ومن قبيلة الأود الإمام عبدالله بن إدريس الأودي، سكن الكوفة وترجم له الذهبي، ووصفه بالإمام القدوة الحجة أحد الأعلام، حدث عن أبيه، امتنع عن القضاء وقال له الرشيد: وَدِدْتُ أنّي لم أكن رأيتُك، قال: وأنا وَدِدْتُ أني لم أكن رأيتُك، ولما نزل الموتُ به بَكَتْهُ ابنته فقال: لا تبكي، لقد قرأتُ في هذا البيتِ أربعةَ آلاف ختمة، توفي عام ١٩٢هـ.

وقد أورد ابن حجر العسقلاني في مقدمته على «فتح الباري» كثيراً من المحدثين من قبيلة الأود ليس هذا مَحَلُّ بَسْطِ تراجِمِهم .

ونعود إلى ذكر الأفوه فنقول إنه طالما ذكر قبيلته وافتخر بها، كقوله:

نحنُ أَوْدٌ ولأَوْدٍ سُنَّةٌ ... شَرَفٌ ليس لنا عنه قِصارُ

شَنَّ مِن أودٍ عليكمْ شَنَّةً ... إنه يحمي حِماها ويَغارُ

وقوله:

إنَّ بني أودٍ هُمُ ما هُمُ ... للحربِ أو للجدبِ عامَ الشموسْ

يَقُونَ في الحَرَّةِ جِيرانَهُمْ ... بالمالِ والأنفسِ مِن كُلِّ بُوسْ

نفســي لهــم عنــدَ انكســارِ القَنــا ... وقــد تــرَدَّى كــلُّ قِــرْنٍ حَسِــيسْ
أَبْلِــغْ بنــــي أودٍ فقــد أحســـنوا ... أَمْسِ بضـربِ الهـامِ تحت القنـــوسْ
قــد أَحْسَـــنَتْ أودٌ ومــا نَأْنَــأَتْ ... مَذْحِجُ في ضَـرْبِ الكِلى والـرؤوسْ

الحَسِيسُ بمعنى القَتِيل ، والقَنُوس جمع قَنَس، وهو أعلى الرأس، وقوله:

ولقــد نكــونُ إذا تَحَلَّلَــتِ الحِبَــى ... منّــا الرئيــسُ ابــنُ الرئيــسِ المقْنَــعِ

قوله: «تَحَلَّلَتِ الحِبَى» كنايةٌ عن مواطن الجِدّ، لأن الحبى لا تُحَلُّ قبلَ انتهاء المجالس إلا إذا جَدَّ الجِدُّ وعَظُمَ الأمرُ، وحِبَى بكسرِ الحاء -وقيل بفتحها- جمعُ حِبْوَةٍ بكسر الحاء، كما في «الصحاح»، وفي «القاموس» بفتحها ، وهو الاحتباءُ بالثوبِ، أي: الاشتمال، وهو جمعُ الساقينِ والظهرِ بثوبٍ واحدٍ .

الحَمَاسَةُ في شِعْرِ الأَفْوَه

عاش الأفوه الأودي عصرَ ما قبل الإسلام، ذلك العصر الذي يمتاز كثيرٌ من رجاله بنصيبٍ وافرٍ من الوفاء والكرم والشهامة، ومعلومٌ أن حياة العرب يتخلّلها كثيرٌ من الشوائب والنواقص كالحروب والسلب والنهب والعصبية وغير ذلك وإن كانت الحروب قد تكون دفاعاً عن النفس أو طلباً لحقٍّ مستجيرٍ، ومثل ذلك يحصل لا محالةَ لكونهم في فترةٍ من رسالة السماء.

ولذلك نرى أن المؤرخين سَجَّلُوا كثيراً من الملاحم في أيام الجاهلية، وذلك لأن الغزو يُعتبر في تلك الآونة من أهم موارد الكسب لا سيما في سِنِيِّ انقطاعِ المطر، أَضِفْ إلى ذلك ما ينتج من حبٍّ للذّات وشهوةٍ للاستيلاء واستعباد للضعيف، إلى غير ذلك من الأسباب التي نعاني منها في أيام جاهليتنا المتحضرة .

ولعمري فليس هناك من علاجٍ لمثل هذه الأدواء سوى الإسلام الذي هذَّب نفوس أجلاف العرب، وحولهم من رعاة غنم إلى قادة أمم، ولمزيد من التوضيح عن هذا الموضوع انظر كتاب «بين الدِّين والمدَنِيَّة» لأبي الحسن النَّدْوِيّ .

ولقد فَرَضَتْ هذه الأسبابُ على العربيّ أن يكون محارباً غازياً، وهنا نرى أن الأفوهَ الأوديَّ طالما ذَكَرَ الحروبَ في شعره، مما يدل على أن الحرب بينه وبين أعدائه على أَشُدِّها.

من ذلك قوله:

وبروضةِ السَّلاّن منا مَشْهَدٌ   والخيلُ شاحيةٌ وقد عَظُمَ الثُّبى

تحمي الجماجمَ والأَكُفَّ سُيُوفُنا   ورِماحُنا بالطَّعْنِ تنتظمُ الكِلَى

قوله : «روضة السَّلاّن » - بالسين واللام المشددتين - هي أرض في تهامة اليمن بين ربيعة ومذحج ، وقوله : «شاحيةٌ » أي: إن الخيلَ فاتحةٌ أفواهها ، وفي هذا اليوم سُمِّيَ عامرٌ «مُلاعِبَ الأَسِنَّة »، قال زهير بن جناب:

شَهِدْتُ المَوْقِدَينِ على خَزازٍ   وبالسّلاّنِ جَمْعاً ذا زُهاءِ

ومن ذلك قوله:

ونحن المورِدُونَ ضُبا المعالي   حِياضَ الموتِ بالعددِ المثابِ

وقد تناول العرب الجاهليون أخبار الحرب، وصَيَّرَتِ القبائلُ المنتصرة أيامَ انتصارها أعياداً، وطالما ذَكَرَتْ تلك الملاحمَ وأعادتْ قصصها في أنديتها، ولعل جُلَّ هذا الأمر على الشعراء منهم، فعليهم أن يخلِّدوا خبرَ ذلك الانتصار في شعرهم، فالشعر خيرُ وسيلةٍ لإظهاره، بل لولا الشعر لما ظهرتْ كثيرٌ من الوقائع والملاحم.

فمن ذلك قول الأفوه يصف الحرب ويسجل كثيراً من انتصاراته:

كُنّـا فوارسَـها الذيـنَ إذا دعـا ... داعـي الصبـاحِ بـه إليـه نَفْـزَعُ
كنـا فـوارسَ نَجْـدَةٍ لكنهـا ... رُتَـبٌ فبعضٌ فـوقَ بعـضٍ يَشْـفَعُ

وقوله:

نحـن أصحـابُ شُـبا يـومَ شُـبا ... بصِفـاحِ البِيـضِ فيهـنَّ ظَفـارُ
عنكـمُ في الأرضِ إنّـا مَذْحِـجٌ ... ورويـداً يَفْضَـحُ الليـلَ النهـارُ

و«شباء» بلدٌ كان فيها النصرُ لـمذحج على بَكْرٍ.

إلى أن قال:

نحن قُدنـا الخيـلَ حتـى انقطعـتْ ... شَـدَنُ الأفـلاءِ عنهـا والـمهارْ
كلـما سِـرنا تركنـا مـنزلاً ... فيـه شـيءٌ مـن سباع الأرض غـارْ
تـركَ النـاسُ لنـا أكتـافَهمْ ... وتَوَلَّـوا لاتَ لـم يُغْـنِ الفِـرارْ

ويصور لنا الأفوه الأودي كيفية حفاظهم على حُرَمِهم، وبالذات في أيـام الحـروب الشرسة، والتي تجعل من النساء والولدان أرِقّاء في ذلك الزمن الغابر كما أسلفنا، فيفيد أنهم بِطـاء المشـيِ عندهـنَّ يلتفتـون يمنـةً ويسـرةً بأعنـاقهم الشـامخة وزُنودِهِـمُ المفتولـة والضخمة، فيقول:

وإنـا بِطـاءُ المشـيِ عنـد نسـائنا ... كمـا قُيِّـدَتْ بـالصيفِ نَجْدِيَّـةٌ بَـزْلا
نَظَـلُّ غَيـارى عنـدَ كُـلِّ سـتيرةٍ ... نُقَلِّـبُ جيـداً واضحـاً وشَـوًى عَبْـلا

قوله: « النجدية » المرأةُ العاقلـةُ والنبيلـةُ، و« البَـزْل » الجمـل الـذي طَعَـنَ في السـنة التاسعة، ويقال: بازِلٌ لأنه بَزَلَ نابُه ، أي: طَلَعَ، و« الشَّـوَى » الأطـراف مـن الرجـل، ولعله يقصدُ بالشوى الزِّنْدَ، و« العَبْلُ » الضَّخْمُ .

وكما عَلمنا أنَّ القَبَلِيَّةَ بلغتْ أَوْجَهَا في عصر الأفوه، ولذا فإن الرجل في مثلِ عصرِه بحاجةٍ إلى عددٍ كبيرٍ من أبناء جِلْدَتِه لكي يَحْمُونَه ويلتفُّوا حوله، وبالعكس فمتى قَلَّتِ العشيرةُ في مثل هذه المواقف الصعبة فإن من السهل أن يَضعف ويُضام.

كما أشار إلى ذلك بقوله المتقدم:

إذا ما الدَّهْرُ أَبْعَدَ أو تَقَضَّى رِجالُ المرءِ أَوْشَكَ أَنْ يُضاما

ومن ذلك قوله:

وقد مَرَّتْ كُماةُ الحرب مِنّا على ماء الدَّفِينَةِ والحَجِيلِ

و« الكُماةُ » جمعُ كَمِيٍّ ، وهو الشجاعُ أو لابِسُ السلاح ، سمي به لأنه كَمَى نفسَه ، أي : سَتَرها بالسلاح ، و« الدَّفِينة » بالفاء هو اسمٌ لمنطقة دَثِينة ، غُيِّرَ اسمُها تشاؤماً لحربٍ ضَروسٍ حصلتْ فيها ، وهي من أيام العرب المشهورة ، فسَمَّوْها من ذلك الحين دثينة .

قال النابغة الذبياني :

وعلى الرُّمَيْثَةِ من سَكِينٍ حاضرٍ وعلى الدثينةِ من بني سَيّارِ

و«دثينةُ» اسمٌ لموضعٍ ضمن محافظة أبين، تم ذكرها بالتفصيل في هذا الفصل، وأنها من مساكن أود، و«الحجيل» اسمُ موضع.

ومن ذلك قوله:

فينا لثعلبةَ بنِ عوفٍ جَفْنَةٌ يأوي إليها في الشتاء الجُوَّعُ
ومذانبٌ ما تُسْتَعارُ وجَفْنَةٌ سوداءُ عند نَشِيجها ما تُرْفَعُ
مَن كان يَشْتُو والأراملُ حولَه يُرْوَى بآنيةِ الصَّرِيف ويَتْبَعُ

قوله: «الصَّرِيف» الفضة الخالصة.

ومن ذلك قوله:

أيهــا الســاعي علــى آثارنــا ... نحـن مَـن لسـتَ بسَـعّاء معـهْ

نحـن أودٌ حـينَ تَصْتَـكُّ القَنـا ... والعـوالي للعـوالي مُشْـرِعَةْ

يوم تُبْدِي البيـضُ عن لـمعِ البَرَى ... ولأهـلِ الـدار فيهـا صَعْصَعَـةْ

ثـم فينـا للقِـرى نـارٌ يُـرى ... عندهـا للضيـفِ رَحْـبٌ وسَـعَةْ

ولـم يَفُتِ الأفوهَ الأوديَّ وصفُ جَمَلِه، بل لقد كان أكثرَ إجادةً من امرئ القيس حينما قال يَصِفُ حصانه:

مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقبـلٍ مُدبـرٍ معـاً ... كجلمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيلُ مِـن عَـلِ

فلقد سبقه في ذلك مع نعتٍ دقيقٍ وبلاغةٍ معجزةٍ فقال:

وقـد غـدوتُ أمـامَ الحـيِّ يحملـني ... والفَضْلَتَينِ وسيفي مُحْنَقٌ شَسِـفُ[(١)]

مُضبَّرٌ مثـلُ ركـنِ الطَّـودِ تحملُـه ... يدا مَهاةٍ ورِجلا خـاضِبٍ يَجِـفُ[(٢)]

---

(١) «المحنق» البعير إذا لَصَقَ بطنُه بظهره، و« الشَّسِف » الضَّامِر، كنايةٌ عن أنه سريع العَدْو .

(٢) «المضْبَرّ» و«المضبور» من الجِمال شديدُ تقارب العظام، و« الطودُ » الجبل، و«المها » بقرُ الوحش، و« الخاضب » اسم فاعل الظالم إذا اغتلم واحمرت ساقاهْ، وهو ذكر النعام، و«يجف» بمعنى مجوَّف، أي: جوف من الدواب الذي يصعد البلق منه، حتى يصل إلى جوفه، أو أنه عظم الجوف كما قاله يصف ناقته:

فهْـيَ شـوهاءُ كـالجوالِقِ فوهـاً ... مسـتجافٍ يَظَـلُّ فيـهِ الشـكيمُ

ومنه قول الأعشى:

هي الصاحبُ الأدنى وبيـني وبينهـا ... مَجُـوفٌ عَلاقِـيٌّ وقَطْـعٌ ونَمْـرَقُ

أَغَـرُّ أَسْقَفُ سامي الطَّرْفِ نظرتُـه ... لِـينٌ أصابعُـه في بَطْنِـهِ هَيَـفُ[١]

فظــلَّ بــينَ لَخَــاقِيقٍ وتَنْهِيَــةٍ ... يُخَـذِّمُ اطـرافَ تَنُّـومٍ ويَنْتَتِـفُ[٢]

حتى إذا غاب قَرْنُ الشمس أو كَرَبَـتْ ... وظُنَّ أَنْ سوف يُولي بيضَـهُ الغَسَفُ[٣]

شَـلَّتْ ذُنابـاهُ واهتـاجتْ ضَبابَتُـهُ ... في قائمٍ لا يُرِيـدُ الدَّهْـرَ ينكشـفُ[٤]

لا الشَّـدُّ شَـدَّ إذا مـا هاجَـهُ فَـزَعٌ ... ولا الزفيـفُ إذا مـا زَفَّ يعـترفُ[٥]

كـالهودجِ السـاطعِ المحفوفِ يحملـه ... صَقبانُ من عَرْعَرٍ ما فوقَـه كَنَـفُ[٦]

ينقــدُّ ذو رِقَّــةٍ تَهْفُــو جوانبُــهُ ... كما هَفا في فروعِ الأَيْكَةِ الغَـرَفُ[٧]

كالأَسَـدِ الحَبَشِـيِّ الحِمْـشِ يتبعُـهُ ... سُودٌ طَمـاطِمُ في أذنابهـا النُّطَـفُ[٨]

---

(١) « الأغرُّ » أي: ذو غرَّةٍ، وهو البياض في الجبهة، وكل ما بدا من ضوءٍ أو أصبح أو غير ذلـك فقد بدت غرَّتُه، والأسقف من الجمال الذي لا وبر عليه .

(٢) « اللخاقيق » جمع لُخْقوق، وهي الشقوق في الأرض، و« التَنْهِيَةُ » الغديرُ، و«يُخَـذِّمُ» بمعنى يَقْتَطِعُ .

(٥) « الغَسَفُ » الظُّلمةُ .

(٤) « الذُّناب » خيطٌ يُشَدُّ به البعير، و« الضَّبابة » السحاب، ومنه قول الشاعر:

نُصِبَـتْ لَـهُ جَوفـاءُ ذاتُ ضَبابَـةٍ ... مِنَ الدُّهْـمِ مِبطانـاً طويـلاً رُكودُهـا

(٥) « الزَّفِيف » السريع، وقيل: هو مشيُ متقاربِ الخُطى في عجلةٍ وسرعةٍ .

(٦) « الصَّقبان » بالفتح تثنية صَقب، وهو ولد الناقة، وبالضم جمع، و« الكنف » الوعاء، كناية عن خِفَّة حمله .

(٧) يَنْقَدُّ بمعنى يقطع، والأَيْكُ الحَمَام، الغَرَف الشجر الأخضر .

(٨) الحِمْشُ دقيقُ الساقين، والنُّطَف مصدرٌ وهو العيب والفساد .

هـابٌ هَبَـلٌّ مُـدِلٌّ يَعْمَـلٌ هَـزَجٌ طُفْطافُهُ ذو عَفاءٍ نَقْنَـقٌ جَنِـفُ(١)

وفي يوم خَزَازٍ(٢) وكان تُبَّعُ بن ذي الأذعـار(٣) قد أَمَّرَهُ على أودٍ وجميع مذحج فانهزم وأقبل إلى ابنته جريحاً، فقالت: أين إخواني ؟ قـال: قُتلوا جميعـاً، قـالتْ: فـأين

---

(١) « الهابُ » النشيط في سيره، و« الهَبَلُّ » الضخم المسنّ، و«المـدِلُّ » قليل اللحم، و«اليَعْمَلُ» النجيب المطبوع على العمل، و« الهَزَجُ » المتأثّر بالحُداء عنـد السير، و« الطُّفطـاف » العَلَف الناعم، و«النَّقْنَق» الخفيف أو الناخِر، و« الجَنِف » منحني الظهر .

(٢) يوم خزاز والبيضاء من أيام العرب المشهورة، سببُها مجيءُ مَذْحِجٍ قاصدةً متسعاً من الأرض وموطناً جديداً، فاصطدمتْ بقبائل مَعْدٍ النازلةِ بتِهامة، أما اليوم الأول فقـد اجتـمعتْ قبائلُ مَعَدّ على كُلَيب بن ربيعة، وجعلته رئيساً لها، واجتـمعتْ تحت لوائه والتفتْ في يـوم خـزاز، وكان الغَلَبَةُ لـمعد. وقد أشار عمرو بن كلثوم التغلبي إلى هذا اليوم وافتخر به، وذكر بعـض أهل الأخبار أنه لولا عمرو بن كلثوم ما عُرف يوم خزاز، أما اليوم الثاني فقد جعلتْ عليهـا رئيساً عامر بن الظَّرْبِ العُدواني، وقد جمـع عـامرٌ هـذا مَن كـان في تهامـة مـن قبائل معد وهاجم مذحجاً فغلبهم في موضعٍ يقال له البيضاء، ويقول المؤرخون: إن هذا اليـوم هـو أول يوم اجتـمعتْ فيه معدٌّ تحت رايةٍ واحدةٍ، وقد توسَّع أهلُ الأخبار في عامر بن الظـرب، وأنـه من حكماء العرب الذي تحاكم الناس إليهم وصارت أحكامه سُنَّةً يتَّبِعُونها، ويقال: إنـه أول من قُرِعَتْ له العصا . انتهى من «الـمفصل من أيام العرب» باختصار .

قلتُ: ولا زال البحثُ جارياً عن مكانَيْ هذينِ اليومينِ، ولعل الأيامَ تُسْعِفُنا بخـبرٍ يَشـفي الغليلَ نستند فيه إلى دليلٍ تاريخيّ .

(٣) تُبَّعُ بنُ ذي الأذعار، ويقال له «عَمْـرو ذو الأذعـار»، و«العبـد ذو الأذعـار»وهـو عمـرو بـن أَبْرَهَة، يقال أن أمه العيّوف الجنية، ويقال: أَذْعَرَ الناس حينما قهرهـم بالسيف والجَـوْرِ، فـلا يَرْفِقُ بقريب ولا بعيد، ويقال: إنه شرَّد الناسَ ووَسَمَ مَن سَخِطَ عليه بالنار، فذُعِرَ الناس منـه ذعراً شديداً، وهو الذي هجاه الشعراء بعد موته، ومن ذلك قول عمرو بن الهُدهاد:

أصبـح ذو الأذعـار في رَمْسِـهِ يأكلُـهُ الجَـوْرُ الـذي قَدَّمـا

الملوك ؟ قال: قتلوا، قالت: فأين الأقيالُ من حمير ؟ قال: أُسارى في كُلَيب، قالت: فأين حَقُّكَ ؟ قال: هذه الجراحاتُ، وأنشأ يقول:

لـما رَأَتْ بَشَـرِي تَغَـيَّرَ لونُهـا ... مِـن بعـدِ بَهْجَتِـهِ فـأقبلَ أحمـرا

أَلْـوَتْ بأصبُعِهـا وقـالت: إنمـا ... يكفيـكِ مما قـد أرى مـا قُـدِّرا

إنِّـي ذُؤابـةُ مَذْحِـجٍ وسـنامُها ... وأنـا الكريـمُ ذَرَى القديمـة كُـرِّرا

قـولي لـمذحجَ عـاوِدوا لذحولكـمْ ... لـولا يجيبـوا دعوتـي حُلِـبَ الصِّـرا

كـان الفَخـار يمانيـاً مُتَقَحْطِنـاً ... وأراهُ أصبـحَ شـامياً مُتَـأَزِّرا

مـا خيرُ حمـيرَ أَنْ تُسلـم مذحجـاً ... أو خـيرُ مذحـجٍ أَنْ تُسَلـم حميرا

وقوله: «الذُّحُول» جمع ذحل، وهو الثأر .

لـم يَحْمَـدِ اللّـه لـهُ سَـعْيَهُ ... ولـم يُحَـرِّمْ دَهْـرَهُ مَحْرَمـا

لـم تبـكِ عـينٌ بعـده حَسْـرَةً ... ولـم يَـرَ الدهـرَ لـه مُكْرِمـا

إلى أن قال:

وكـم كريـمٍ مـاجدٍ سـيدٍ ... مِـن حِمْـيَرِ الأمجـادِ قـد أُوسِمـا

شَـكَت وُجُـوهُ العـدلِ أيامـهُ ... أَسْلَـمهُ الحـقُّ الـذي أَسْلَـما

انتهى من «التيجان في ملوك حمير» .

ويفيد نَشوانُ الحميري أنه إنما سمي ذا الأذعار لأنه سبى قوماً لهم وجوهٌ مختلفةٌ عن الوجوه، فذعر الناس منهم، وفي ذلك قال:

والعبـد ذو الأذعـار إذ ذَعَـرَ الـورى ... بوجـوهِ قـومٍ في السِّـباءِ قِبـاحِ

قـومٌ مـن النَّسـناسِ مذكـورون في ... أقصـى الشـمال شمـالِ كـلِّ ريـاحِ

مُعاناة الأَفْوه الأَوْدي

إذا كان الكثير من المصلحين قد ابتُلُوا بـأذى ضعـافِ النفـوس، الذيـن لـم يكتفـوا بعدم تقديم العون والبناء لأممهم فتجاوزوا إلى ما هـو أبعدُ مـن ذلـك، وهـو هـدم مـا أصلحه المصلحون؛ فإن شاعرنا الأفوه الأودي أحد أولئـك الذيـن ابتُلـوا وعـانَوا أشـدَّ المعاناة من هذا الصنف، نستوحي ذلك من خلال تطلعنا في قصيدته العصماء التي قـال فيها:

فينـا معاشـرُ لـم يَبْنُـوا لقومِهِـمُ ... وإنْ بنى قومُهُـمْ مـا أفسـدوا عـادُوا

لا يَرْشُدُونَ ولـن يَرْعَـوا لـمرْشِدِهِمْ ... فـالغَيُّ منهـم معـاً والجهـلُ ميعـادُ

كـانوا كمثـلِ لُقَيـمٍ في عشـيرتِهِ ... إذ أُهلكـتْ بـالذي قـد قَدَّمَـتْ عـادُ

أو بعـدَه كقُـدارٍ حـين تابعَـهُ ... علـى الغَوايـةِ أقـوامٌ فقـد بـادُوا

والبيـتُ لا يَبْتَـني إلا لَـهُ عُمُـدٌ ... ولا عِمـادَ إذ لـم تُـرْسَ أوتـادُ

فـإن تجمَّـعَ أوتـادٌ وأعمـدةٌ ... وسـاكنٌ بلغـوا الأمـرَ الـذي كـادوا

وإن تجمَّـعَ أقـوامٌ ذَوُو حَسَـبٍ ... اِصطـادَ أَمْرَهُـمُ بالرُّشْـدِ مُصطـادُ

لا يَصلُحُ الناسُ فوضى لا سُراةَ هم ... ولا سـراةَ إذا جُهّـالُهُمْ سـادوا

تُلْفَى الأمورُ بأهلِ الرُّشْدِ ما صَلُحَتْ ... فـإنْ تَوَلَّـوا فبالأشـرارِ تنقـادُ

إذا تـوَلىّ سُـراةُ القـومِ أَمْرَهُـمُ ... نَمَى علـى ذاك أمرُ القـوم فـازدادوا

أَمارةُ الغَيِّ أن تَلفى الجميع لدى الـ ... إبـرامِ للأمـرِ والأذنـابُ أكتـادُ

كيفَ الرشـادُ إذا مـا كنتَ في نَفَرٍ ... لهـم عـن الرشـد أغـلالٌ وأقيـادُ

أَعْطَـوا غُواتَهُـمُ جهـلاً مقـادتَهمْ ... فكلُّهـمْ في حبـالِ الغَـيِّ منقـادُ

حـان الرحيـلُ إلى قـومٍ وإنْ بَعُـدُوا ... بهـمْ صـلاحٌ لـمرتادٍ وإرشـادُ

فسوف أجعـلُ بُعْـدَ الأرضِ دُونَكُـمُ ... وإنْ دَنَـتْ رَحِـمٌ منكـم وميـلادُ

إنَّ النجـاةَ إذا مـا كنـتَ ذا بصـرٍ   مـن أَوْجُـهِ الغَـيِّ إبعـادٌ فإبعـادُ
والخيرُ تـزداد منـه مـا لقيـتَ بـه   والشـرُّ يكفيـك منـه قلـما زادُ

الأَفْوَهُ الأَوْدِيّ يَنْعَى نَفْسَهُ

إذا كان امرؤ القيس بن حجر وامرؤ القيس بن حابس وأبوفراس الحمداني قد نعوا أنفسهم فلقد سبق هؤلاء الشعراء الشاعرُ الحكيم الأفوه الأودي حينما نعى نفسه، بـل لعلهم اقتبسوا ذلك من شعره أو نَحوا نحوَه، فقد نظر بعين فكرتـه إلى ماسيحدث لـه حين موته، وتناول وصف ذلك الموقف المهيب بنعتٍ دقيقٍ وكأنه يـراه كشاهدِ عِيان حينما قال:

أَلاَ عَلِّلانـي واعلـما أَنَّـي غَـرَرْ   وما خِلْتُ يُجديني الشِّفاقُ ولا الحَذَرْ
وما خِلْتُ يُجْديني أُساتي وقـد بَـدَتْ   مَفاصِلُ أوصالي وقد شخص البصَـرْ
وجـاءَ نسـاءُ الحـي مـن غـيرِ إمـرةٍ   زَفيفـاً كمـا زُفَّـتْ إلى العَطَـنِ البَقَـرْ
وجـاؤوا بمـاءٍ بـاردٍ وبغِسْـلَةٍ   فيـالكَ مـن غَسْـلٍ سَـيَتْبَعُهُ عَـبَرْ
فنائحـةٌ تبكـي وللنَّـوحِ دَرْسُـهُ   وأمـرٌ لـه يَبْـدُو وأمـرٌ لهـا يُسَـرْ
ومنهنَّ مَن قد شَقَّقَ الخَمْشُ وجهَهـا   مُسَبَّلَةٌ قـد مَـسَّ أحشـاءها العِـبَرْ
فرَقّـوا لـه أثوابـه وتفجعـوا   ورَنَّ مَرَنَّـاتٍ وثـارَ بـهِ النَّفَـرْ
إلى حفـرةٍ يـأوي إليهـا بسـعيهِ   فذلك بيتُ الحقِّ لا الصوفُ والشَّعَرْ
وهـالوا عليـه التُّربَ رَطْبـاً ويابسـاً   أَلاَ كُلُّ شيءٍ مـا سوى ذاك يُجتبَرْ
وقال الذيـن قـد شَجَوْتُ وساءهمْ   مكـاني ومـا يغـني التـأملُ والنَّظَـرْ
قِفُوا ساعةً فاستـمتعوا مـن أخيكـمُ   بقـربٍ وذكـرٍ صالحٍ حـين يُدَّكَـرْ

قوله: «الأُساء» الدواء، والجمع آسية، من أسا الجرح يَأْسُوه أسواً، بمعنى داواه، والإِساوة الطب، قوله: «الغِسلة» من الغِسل بكسر الغين، وهو الماء والخِطْمِي[1] يُغتسل به، وقوله: «عَبَرْ» جمعُ عَبْرَةٍ، وهي الدمعة، وقوله: «العَطَن» مَبْرَكُ الأنعام حولَ الماء، والجمع مَعاطِن، وقيل: هو خاصٌّ بمَبْرَكِ الإبل حول الماء .

قلتُ: وهذه هي سنة اللّه في خلقه، فلم يختلف من مظاهر الحياة شيءٌ لبكاء الأفوه ولا لبكاء من تبعه، ولم تذبل زهرةٌ في ضِرام أشجانهم، وهاهي الحياة عادتْ تدور دورتها كأن شيئاً لم يكن، وسوف نلحق بهم ضمن ذلك الركب الذي لم ينقطع حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها.. ومسكينٌ ذلك الإنسانُ البائسُ الذي رأى من نفسه ومن حلمه أنه باقٍ ومخلَّدٌ على هذه الأرض، دون أن يرجع ليستذكر مَن غَبَرَ من أسلاف الأمم، ووَطِئَ هذا الثرى ثم أُلْحِدَ فيه، فيا قَيُّومَ السموات والأرض.. يا مَن يُجيرُ ولا يُجار عليه.. يا ذا الجلال والإكرام.. هَيِّئ لنا سبيلاً إلى خاتمةٍ تُرضيك.. واجعلْ أفضلَ أيامنا وأسعدَها يومَ لقائك.. يا أرحم الراحمين .

وشعر الأفوه لم يحظَ بمَن يجمعه على الرغم من جَودته، وما ينطوي عليه من حِكَمٍ جليلةٍ، ويوجدُ شيءٌ من شعره في الآستانة (متحف ٢٠١٥/٢٣) من القرن السابع الهجري، ونسخةٌ بخط الشنقيطي في القاهرة بدار الكتب برقم (٢١س ص١٤ب) وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . انتهى ملخصاً من كتاب «البيضاء ودَورُها في التاريخ» للمؤلف .

---

(١) وهو بضمِّ الخاء وكسره نباتٌ كثيرُ الرغوة يستعمل في التنظيف والغسل، قال الشاعر:

فيا ليلُ إنَّ الغُسلَ ما دُمْتُ أَيِّماً ... عليَّ حرامٌ ما يمسَّنيَ الغِسْلُ

أما بضم الغين فهو الماء الذي يُتطهر به .

ونعود إلى ما نحن بصدده فنقول: وفي الزاهر استقبلنا كثيرٌ من الأعيان، منهم الشيخ سالم بن عبدالقوي[1] الحميقاني والشيخ عبدالله بن عبدالحق المطري [2] والحاج سالم بن موسى عزّان، وهو رجلٌ صالحٌ وحكيمٌ، وكانت بينه وبين الوالد الهدار بن شيخ مودة وصحبة، وقد كان سيدي الوالد كثير التردد على الزاهر، وطالما زار ضريح العابد المهاب السيد سالم بن صالح بن عبدالرحمن[3] . وممن صحبه من آل

---

(١) هو سالم بن عبدالقوي صالح الحميقاني، شيخُ مشايخ آل حميقان، ولد في الزاهر سنة ١٣٣٨ هـ من أسرةٍ عرفت بالفضل والصلاح والشكيمة والشجاعة، ونشأ في حجر والده وأخيه الأكبر، وتعلم القرآن ومبادئَ القراءة والكتابة في بلده، ثم نهل من مدرسة الحياة كثيراً من الأمور والتجارب، وهو منذ نَشَأَ مرجعٌ للإصلاح في كثير من المشاكل بين القبائل، وله مواقف في نصرة الحق يُشكر عليها، قام بكثير من الأدوار الجهادية، وبالذات في حرب الثورة وحرب التحرير من الاستعمار البريطاني وحصار السبعين .

وكان ومعه قبائل آل حميقان درعاً حصيناً ضد المبادئ الهدامة والأفكار المستوردة، وبالذات أيام الحزب الاشتراكي الشيوعي، وضحى بكثير من أفراد أسرته وقبيلته دون أن تلين له قناة أو يضعف له عزم أو يتزعزع له موقف، صحب سيدي الوالد فترةً وكذا والده من قبله، وبينهما كثير من المراسلات والطرائف الأدبية، واستمر على ذلك الحال مرجعاً لكثير من الأمور، إلى أن أدركته الوفاة في شعبان ١٤٢٠هـ .

(٢) هو الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالحق المطري، من العلماء الأبرار، أصله من يافع من منطقة حَمُومَة، طلب العلم في تريم لدى الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري، وانتقل إلى عدن وعاد إلى الزاهر وتولى الإمامة والخطابة، و هو عم والدة الأخ حسن بن محمد الهدار، وكان على جانبٍ عظيمٍ من العلم والصلاح والنُسُك والعبادة، قائماً بالوعظ والإرشاد، واستمر على ذلك الحال حتى توفاه الله في سنة ١٤٠٢ هـ ودفن في الزاهر .

(٣) هو العابد الناسك السيد سالم بن صالح بن عبدالرحمن بن سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، نزح جده

حميقان الشيخ محمد بن علي عبدالخالق[١] والشيخ صالح الظاهري[٢] والشيخ محسن بن عبدالقوي الحميقاني[٣] والشيخ حسين بن علي منصر وأولاده ، والشيخ علي بن

عبدالرحمن من حضرموت عينات وسكن في الحبج ، ثم انتقل المترجم له واستقر في قرية كَيدان بالقرب من الزاهر، واستمر بها إلى أن أدركته الوفاة عام ١٣٦٠ هـ تقريبا .

(١) هو الشيخ محمد بن علي بن عبدالخالق الحميقاني، من العلماء الأجلاء، ولد في الزاهر ناحية آل حميقان وبه ترعرع ونشأ، ثم ارتحل الى حضرموت وقصد رباط تريم وكرع من معينه، وتتلمذ على يد شيخ الإسلام الإمام عبدالله بن عمر الشاطري، وذلك في عام ١٣٤٨ هـ ثم عاد في عام ١٣٥٣ هـ وقد تولى الإمامة والخطابة في جامع الزاهر، وخلَف الشيخ صالح الظاهري، وكان مقصداً للفتاوى الشرعية وقافاً عند الأوامر والنواهي لا تأخذه في الله لومة لائم، واستمر على ذلك الحال حتى توفاه الله في ١٣٦٥ هـ، ودفن في الزاهر رحمه الله رحمة الأبرار .

(٢) الشيخ صالح بن محمد بن عبدالله القاضي الملقب « الظاهري » ، أصله من منطقة آل عواض وانتقل إلى تريم لطلب العلم ومكث فترة، وكان من أقرب المقربين إلى شيخه الإمام عبدالله بن عمر الشاطري، ثم عاد إلى موطنه وتولى إمامة وخطابة جامع المقضاب بالسرو عام ١٣٤٤ هـ، وكان يكلفه حاكم البيضاء محمد بن عبدالله الشهيد للتنقل في القرى لتعليم الناس أمور دينهم، ثم انتقل إلى الزاهر آل حميقان للقيام بالمسجد وتوفي به عام ١٣٥٥هـ، وله ذرية صالحة منهم ولده الشيخ محمد صالح القاضي صديقنا إمام وخطيب جامع المقضاب بالسرو .

(٣) هو الشيخ محسن بن عبدالقوي بن صالح الحميقاني، من مواليد الزاهر في حوالي ١٣٤٥ هـ تقريباً، أخذ على يد الشيخ عبدالله بن عبدالحق المطري، وحفظ أكثر القرآن الكريم عن ظهر قلب، وكثيراً من المتون في كتب الفقه، ومكث فترة من الزمن بمنطقة الزاهر، ثم انتقل إلى الحديدة وتولى إمامة مسجد الكويت، ثم انتقل بطلب من أهل العاقل ليقوم بالإمامة والخطابة في مسجد العاقل بالحديدة، وكان رحمه الله يقيم حلقات لعلوم القرآن وللفقه ، وبالذات في «صفوة الزبد» لابن رسلان، ويتحمل في سبيل القيام بتلك الدروس العنت

عبدالقوي الحميقاني[1] والشيخ محمد بن عبدالخالق والشيخ عبدالله بن محمد العروي والشيخ عبدالله بن عبداللاه الحبجي . ومن جملة المستقبلين الأخ عبدالقوي بن حسين الحميقاني[2] والشيخ عبدالرحمن بن

والمشقة، حيث لا يبالي بصحته ولا براحة جسده، حتى توالت عليه الأمراض وأقعدته، فانتقل إلى مسقط رأسه الزاهر، وفي المسجد الذي بناه في الروضة، استمر إماماً على الرغم مما يعانيه من أمراض لم يفته قيام الليل إلى آخر ليلة من حياته، وفي ليلة من ليالي شهر صفر ١٤٢٠ هـ، قام بالتهجد كعادته، وصلى في المسجد الصبح جماعة وهو جالس وبعد تسليمه من الصلاة، أدركه الموت وحمل وهو يخاطب المسجد ويقول: «استودعك الله إلى يوم القيامة» رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه برحمته دار القرار، وجمعنا وإياه بعد طول العمر في طاعته ورضاه، في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وقد خلف أولاده الكرام السائرين على طريقته محمد وعبدالرب وطاهر وعبدالله وعبدالسلام وعبدالقوي بارك الله فيهم وجعل الخير باقياً فيهم وفي عقبهم إلى يوم الدين وإيانا آمين.

(١) هو الشيخ الأجل علي بن عبدالقوي الحميقاني، من أهل الفضل والصلاح جنَّد نفسه لإصلاح ذات البين، مع صلاح وعبادة ومساهمات في أعمال الخير، وقد كانت تربطه بسيدي الوالد مودة وصداقة، ولازال بخير تحفه عناية الله، له ذرية صالحة، منهم ولده عبداللاه وإخوانه بارك الله فيهم أجمعين .

(٢) هو الشيخ عبدالقوي بن حسين عبدالقوي الحميقاني، ابن الشيخ حسين عبدالقوي ذلك الرجل المعروف بصلاحه ونسكه، والأخ عبدالقوي شاب أخذ بنصيب وافر من الشهامة والكرامة والشجاعة، مع أدب زاخر بأنواع المعارف، أخذ على يد الشيخ عبدالله بن عبدالحق المطري، ويعتبر الساعد الأيمن لعمه الشيخ سالم عبدالقوي، وقد تقلد عدة مناصب لكنه آثر القيام بمهمة التجارة والزراعة ، وبالذات بعد انتقاله إلى منطقة تهامة والذي يعتبر أن تحصيل المال ما هو إلا وسيلة لإكرام الضيف وللإنفاق على المعوزين ولصرفه في مصارف الخير ولازال في موقعه هذا متردداً بين البيضاء وتهامة مع علو همة وعزة نفس ورباطة جأش،

عبدالرب[1]، وولده أحمد بن عبدالرحمن، وقد نزلنا ضيوفاً على الشيخ عبدالرحمن عبدالرب، وأخذنا مركوبين وبعد الصلاة في المسجد تناولنا طعام الغداء واتجهنا نحو يافع، وأصر الجميع على موادعتنا إلى عِينَة منطقة آل بُرمان، وفي أثناء الطريق كان الوالد رحمه الله يأتي للمودعين بكثير من النوادرِ الأدبية من سيرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفي عِينَة توقفت السيارة لعدم وجود طريقٍ لها، فاتجهنا مشياً على الأقدام نحو المحاجي، ومنها إلى جبل العُرّ المطلّ على يافع، وفي أعلاه وجدنا سِقايةً كبرى تجتمع فيها مياه الأمطار، قيل: إنها من مآثر الإمام المهدي أحمد بن الحسن الملقب سيل الليل، والذي دخل يافع على رأس جيش عَرَمْرَم، وكان ذلك في القرن الحادي عشر الهجري بعد دخوله البيضاء واستيلائه عليها بعد معركة نجد السلف، وهو المسمى اليوم «شِعْبُ الدقيق»، والتي تكلم عنها كثير من المؤرخين .

ونزلنا بقرية مَرْفَد بالقرب من غروب الشمس، واستقبلنا الأستاذ عبدالرب بن عبدالرب علي المرفدي إمام وخطيب المنطقة، وقد كان يتردد على الرباط للدراسة من وقت إلى آخر، وقد انتقل إلى البيضاء هارباً بدينه بعد مضايقة الحكم الشمولي له واستمرَّ مدرساً في مدرسة الفتح الأهلية التابعة للرباط، ولازم الوالد والحبيب زين بن

مد الله في عمره في خير وعافية، وأجدني لم أعط الرجل حقه من الثناء بما هو فيه وما يتحلى به من مكارم الأخلاق، ولازال هو وإخوانه الكرام في صحة وعافية مع أخلاق فاضلة قلَّ أن توجد في غيرهم .

(١) هو الحاج عبدالرحمن بن عبدالرب الحميقاني، عابد ناسك من أهل الفضل والصلاح ، من مواليد الزاهر وبها نشأ وترعرع ، ورحل إلى عدن في شبابه للعمل ، ثم عاد إلى الزاهر ، وكان صادعاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم ، وكان رحمه الله محباً للعلماء مكرماً لهم كثير المجالسة لهم ، توفي في الزاهر ١٤٠٢ هـ ودفن بها ، وله ذرية مباركة .

إبراهيم بن سميط وقرأ عليهما كثيراً من الكتب، وبالذات في الفقه وفروعه، وفي اللغة العربية، حتى أصبح من مدرسي الرباط، وفي «مرفد» تسامع الناس بوصول الوالد واجتمعوا في المسجد، وحضر جمعٌ غفيرٌ من كافة القرى، وقام الوالد بمحاضرة في المسجد حتى الساعة التاسعة مساءً تقريباً، ثم طلب من الأهالي أن يجمعوا النساء في المسجد، وقام بمحاضرتهن من وراء حائل، واستمرت المحاضرة إلى نصف الليل تقريبا، وبِتْنا في المسجد، وقام الوالد كعادته في آخر الليل لم يُثْنِهِ تعبٌ ولا وَصَبٌ .

وبعد الفجر مكثنا في المسجد، وفي الصباح طلب الوالد المشايخَ والعُقّال لِيُبْرِمَ بينهم صلحاً، وأجابوه إلى ذلك، وطلبوا منه الاتصال بالأطراف الأخرى، وفي أول النهار أخذنا «المكرفون» والكتبَ التي معنا وجمعناها على الحمير، فاتجهنا ومعنا الشيخ عبدالرب إلى قرية «بُرّ» ونزلنا في المسجد، وقمنا بتجهيز الميكرفون قبل صلاة الظهر، وتجمع الناس؛ ولكن الجمع الغفير لم يتم إلا في الليل، وتمت المحاضرة على النسق الأول، وأتى أحد الأهالي ليُعلم الوالد أن أهالي «الشَّسْعَة» على وَشْكِ فتنةٍ عمياءَ من جَرّاءِ خلافٍ على أراضٍ زراعيةٍ، وأن بعضهم قامَ بـ«رَزْمِ» جَرْبَةٍ تحت القرية، فاستفسرنا عن «الرزم»، وإذا هي عادةٌ في يافع، وهي أن المدعي يقوم بأخذ أحجارٍ كبيرة ينثرُها في الأرض «الجربة» المتنازع عليها، ومتى قام المدعى عليه برفع الأحجار قبل الاحتكام إلى طرف ثالث، فإن ذلك يعني إنذاراً بحربٍ ضَروسٍ بين الطرفين .

وارتحلنا من منطقة «برّ» مشياً على الأقدام إلى «الشَّسْعَة»، يتقدم موكبنا سيدي الوالد رحمه الله عدا العم صالح بن عبدالله الهدار والأخ أحمد محمد عبدالحق المطري الذي كلفهما بإيصال رسالة إلى مشايخ الشقي وآل القحيم، يعلمهم فيها بطلبه صلحاً عاماً بين القبائل، وأن قبائل مرفد قد وافقت على الصلح المذكور .

وقد اتجها إلى العرقة وأخذا رسالة إلى مشايخ آل القحيم هدار بن حسين وأصحابه وكذلك آل منصور وآل الشقي وغيرهم، ولم نتفق بهم إلا في المحْجَبَة عند آل الشيخ على سلاطين آل هَرْهَرَة، أما سيدي الوالد ومن بصحبته فقد وصلنا إلى الشسعة وقصدنا مسجدها لأداء الصلاة فوجدنا الماء المعد للوضوء متغيراً تغيراً شديداً، وذلك لندرة الماء في تلك الجبال الشاهقة، ويقال إن هِجَرَ المساجد في يافع -جمع هِجْرَةٍ، وهي محلٌّ تجمُّع الماء للوضوء- يقال: إنها لا تُجْلَبُ إليها المياه وإنها تعتمدُ على الماء النازل من المطر طال الوقتُ أم قَصُر، وقد تم مناقشة هذا الأمر من الناحية الفقهية: هل يصحُّ التطهير بهذا الماء المتغير ؟ فيجيب الوالد رحمه اللّه: إنه يصحُّ الوضوء به ما لم يُسْلَبْ منه اسمُ الماء؛ لأن تغيرَه ناتجٌ عن طولِ مُكْثٍ وعن أوساخِ المتوضئين، وأنه لا يضرُّ الشَّكُّ في تَغَيُّرِه من نجاسةٍ أثناء الاستنجاء، لأن الكثير يستنجي لا لإزالة النجاسة ولكن لظنِّه أن ذلك ركنٌ من أركان الوضوء كما هو في بعض المذاهب .

وفي أثناء إقامتنا في الشسعة تكلم سيدي الوالد مع الحاضرين بما فتح اللّه به واستدعى طرفي النزاع، فأتى كل طرفٍ بجنبيّته ضماناً على حسن النية في قَبول الحل، كما هي العادة في المنطقة قاطبةً، وبعد سماع الدعوى والإجابة اختار لهما من يكمل تَقَصِّي الحقائق، وسَلم له عَدْلَيهما، واتجهنا جميعا إلى الديوان ووصلنا إلى الديوان، واستقبلنا الشيخ أحمد داود وهو من أهل الفضل والصلاح، وأصر على أن ننزل عنده وفي منزله، واعتذر الوالد بأنا سوف ننزل في المسجد، لكنه أصر على أن ننتقل إلى منزله فانتقلنا إليه وقد أكرمنا غاية الإكرام، ووجدنا أن منزله المذكور على الطريق، وأنه مَقْصِدٌ للمسافرين والمحتاجين، وكم من أُناسٍ في يافع بهذا الإباء والكرم والشهامة، وتقدمَ رجلٌ من أهل الديوان عليه سِيما الخير وأثر الصلاح يتكلم مع الوالد رحمه اللّه ويقول له والدموع تجري من عينيه بألم ظاهر، يفيدُ أنه رأى والده في المنام وأنه يعذَّبُ في بئرٍ عميقةٍ ويصيحُ صِياحاً منكراً ويستغيثُ، فأجاب عليه الوالد:

هل أعطى والدُك أخواتِه إرْثَهُنَّ من بعدِ مُورِّثِهِنّ ؟ فأجاب بالنفي، فأخبره سيدي الوالد بأن الرؤيا الصالحة قد تكون تذكيراً أو إنذاراً، وألزمه بإعطاء عمّاتِه إرْثَهُنَّ، وكذا أخواته .

وكان كثيراً ما يستشهد بهذه الرؤيا، وبأن أعمال ذلك الرجل الصالح لم تفده لأنه ظلم أخواته من الميراث، وظُلم النساءِ وحِرمانُهُنَّ من الميراث من العادات السيئة في يافع، نسأل اللّه سبحانه أن تكون قد انتهت تلك الظاهرة .

وبعد ذلك ارتحلنا صوب المحجبة، وفي أعلى جبل في الطريق جلس سيدي الوالد رحمه اللّه لأخذ قسط من الراحة من عناء السفر، فقَدَّمَ إليه أحدُ المسافرين من أهالي يافع أغصاناً من القات لينشطه على السير، وسيدي الوالد ممن يحارب مضغ القات لكنه لا يحرمه لأن التحريم والتحليل خاصٌّ بالمولى سبحانه وتعالى، وحينها أخذ القات ودعا بدعوات عظيمة للعلماء السابقين الذين كانوا يمضغون القات ليستعينوا به على طاعة اللّه، وأذكرُ ممن ذكرهم سيدي حاتم الأهدل صاحب المخا[1] ، وختم دعاءه بقراءة الفاتحة، وواصلنا السير حتى وصلنا قرية المحجبة قُبَيل المغرب فاستقبلنا

---

(١) هو الإمام العلامة العارف باللّه السيد حاتم بن أحمد بن موسى الأهدل، له اليد الطولى في العلوم العربية والشرعية والنظم والنثر وغلب عليه التصوف، رحل إلى كثير من البلدان، وأقام بالحرمين، ثم توطن بالمخا سبعةً وثلاثين عاماً وحصل له بها مظهرٌ روحيٌّ فخيمٌ، وانتفع أهلها به انتفاعاً كبيراً، كانت العلوم نصب عينيه، وكان آيةً في الزهد والورع تؤمه الملوك والأمراء للاجتماع به فيمتنع، ومات ولم يخلف شيئاً، وله شعرٌ رصينٌ ونثرٌ بهيٌّ، جمع له بعض أصحابه ديواناً، توفي بالمخا في ١٧ محرم عام ١٠١٣ هـ رحمه اللّه تعالى رحمة الأبرار.

وقد ترجم له الشِّلّي في «عقد الجواهر والدرر» والمحِبِّي في «خلاصة الأثر»، وأفرد له الشيخ عبدالقادر بن شيخ العيدروس ترجمةَ سماها «الدُّرُّ الباسم من رَوْضِ السيد حاتم» .

تلـميذه السالك الناسك الشيخ العلامة محمد بن محمد الحريري[١] مفتي يافع في الوقـت الحاضر، ونزلنا في غرفة في أعلى المسجد، وقد أمرنا سيدي الوالد بـتركيب الميكرفـون في منارة المسجد، وتسامع الناس بوصولنا فوصـل مـن الأهـالي الكثـير، منهـم الشـيخ عبدالرحمن بن أحمد الحريري عم الشيخ محمد، وكذا الشيخ فضـل بـن علـي بـن أحمـد هرهرة، والشيخ علي بن أحمد هرهرة ، وتـم الأذان عبر الميكرفون، وكم كـان صـداه في تلك الجبال الشاهقة كبيراً، وبدأت المحاضرة للرجـال، ثـم بـدأ بـدرس النسـاء مـن خلف ساترٍ إلى وقتٍ متأخرٍ من الليل، واستمر على ذلك الحال عدة أيام .

المحْجَبَة

هي قريةٌ كبيرةٌ من أهم قرى يافع، مستندةٌ منازلها إلى الجبل الشامخ الذي يعلوهـا، وبها أسرٌ كثيرةٌ، وهي مسكن المشايخ آل الحريري، وهم أسرةٌ عريقةٌ فيها، وأولُ مَـن تكلـم عنهم بامخرمة في كتابه «النِّسْبَة» كما سيأتي مفصلاً، وممـن ظهـر منهـم في هـذه الآونة الشيخ عبدالرحمن بن أحمد الحريري عم الشيخ محمد الحريري، والذي كان على جانب عظيـم مـن النسـك والعبـادة، وكـان مستشـاراً للسـلطان محمـد بـن عيـدروس

(١) هو الشيخ العلامة العابد الناسك محمد بن محمد بن أحمد الحريري ، من أسرة علـمية عرفـت بالعلـم والفضل في يافع ولد في المحجبة، وبها نشأ وترعرع وأخذ مبادئ العلوم على يد والده وعمه الشيخ عبدالرحمن ، ثـم انتقل إلى البيضاء وأخذ كثيراً من المعارف والعلوم عن سـيدي الوالد وعن الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط، ثـم عاد إلى يافع وبهـا استـمر داعيـاً ومرشـداً حتى يومنا هذا، وهو في أوائل العقد السادس من العمر تقريباً أمد اللّه في عمره .

العفيفي[1]، واستمر داعياً إلى اللّه وباذلاً نفسه للإصلاح بين القبائل حتى توفاه اللّه في يافع قرية المحجبة سنة١٣٩٤هـ.

وممن سكن المحجبة المشايخ آل الشيخ علي، وهم سلاطين من آل هرهرة، كان جدهم الشيخ علي بن أحمد هرهرة نائباً عن الإمام الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن

---

(١) هو محمد بن عيدروس بن محسن بن علي العفيفي سلطان يافع السفلى، من أسرة عريقة لها قَدَم في الحكم حسبما تحكي ذلك كتب التاريخ، كان جذوةً من النشاط والحماس ضد المستعمر البريطاني، حيث لم تستطع بريطانيا الدخول إلى يافع نظراً لموقفه الصلب والشجاع، وكان كثيرَ التردد على البيضاء للاتصال بنائب الإمام أحمد حميد الدين فيها، واستمر على ذلك مجاهداً شجاعاً وبطلاً صارماً لا يهاب الحروب ولا النوائب، وقد حاولت بريطانيا إضعاف عزيمته الجهادية فاتجهت إلى ضربِ كثيرٍ من مناطق يافع بالطائرات الحربية، والتي لا تصل فوهات البنادق نحوها؛ ولكن دون جدوى، فقد وجدت الصلابة في المواقف أعظم وأكبر .

وقد عاش حياةَ جهادٍ مستمرٍ لم تغمض له عين ولم يستقر له مضجع من جراء مؤامرات السلطات البريطانية، حتى رحل ذلك المستعمر البغيض وتسلمت جمهورية اليمن الديمقراطية الحكم فتنفس الصعداء وحَمِدَ اللّه على ذلك، فقد ظنَّ أنه وجد بغيته وأنه آن له أن يضع عصا التَّرحال، ولكن الأمر أشد وأقسى مما قبل، فقد اتجه مع مجموعة كبرى للاتفاق بحكام محافظة أبين فاستقبلوه بها أيما استقبال، وفي أثناء عودته إلى موطنه «القارة» نصبوا له كميناً مع كل من معه وأفنوهم عن بكرة أبيهم، وذلك عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨م) في منطقة حِمَه بالسيلة البيضاء، وقد قتل وهو في بداية العقد السادس من عمره تقريباً، ومعه أخوه محمود والمشايخ حسين الضباعي وصالح سالم عاطف وغيرهم، وكان مصيره مصير كثير من المصلحين، والذي قلّ أن يوجد لهم نظير في أرجاء المعمورة عِزَّةً ومَنَعَةً وشهامةً وكرامةً، والذين لاقَوا حَتْفَهُم على أيدٍ جاحدةٍ وجاهلةٍ لا تعرف معروفاً ولا تُنكر منكراً، إنها ذكرى مخزيةٌ تطارد كل من ساهم في إيجادها مدى الأزمان .

سالـم، والــذي وصـل إلى يـافع مـن الحرمـين الشـريفين مرشـداً وداعيـاً إلى اللّـه سـنة ١٠٢٧هـ، وقد كان زعيماً روحياً أحبتـه قبـائلُ يـافعٍ محبـةً عظيمـةً، واتخذوه مرجعـاً للكثير من مشاكلهم، وبالذات بعد أُفُـول الأتـراك في ذلـك الحُقـب مـن الزمـن، وقـد أسس مسجداً في عنتر، واشترى من ماله الخـاص كثـيراً مـن الأراضـي المتنـازع عليهـا وأوقفها على كثيرٍ من أوجه البر، وبالذات في عينات، ولا زالت كثيرٌ مـن قبـائل يـافع تعترف بهذا وتؤدي ريع تلك الأراضـي، والـمطلع على وثـائق الأراضـي المذكـورة يُكْبِرُ هِمَّةَ هذا الإمام والعلـم الشامخ الذي أنهى كثيراً من المشاكل بعمله هذا، غير أن فترة الحكم الشمولي في الشطر الجنوبي من اليمن أَمَّمَتْ ووَزَّعَتْ كثيراً منها .

وقد انتقل الإمام الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالـم من يـافع إلى البيضـاء وبنـى فيها مسجده المشهور، وحفر بئراً، وإليـه تنسـب مدينـة البيضـاء، فيقـال لهـا: «بيضـاء الحسين»، كما تكلـم كثير من الشعراء عن ذلك، وقـد قـام بتوثيـق هـذا النبـأ الحبيـب حسن بن إسماعيل الحامد الحضرمي في كتابه «النهر المورود»، ومن النـاس مـن ينسـبها إلى السلطان حسين بن ناصر الرَّصَّاص .

ونعود إلى رحلتنا السالفة الذكر ونقول: وقد استقر رضي اللّه عنه بالـمحجبة عدة أيام، وكان أكثر جلوسه في غرفةٍ في أعلى المسجد، وقد تَرَدَّدَ عليـه الكثيرُ مـن أعيـان المنطقة، منهم الشيخ عبدالرحمن بن أحمد الحريري، والشيخ فضل بن محمد بن هرهـرة، ومحمد بن حسين هرهرة، والأخ أحمد بن محمد الحريـري وغـيرهم، وقـد كـان خـلال فترة جلوسه يقوم بالـمحاضرات المتوالية للرجال والنساء، كلٌّ على حِدَة .

أما النساء فيجتـمعن في المسجد بعد خـروج الرجـال، ويتــم محـاضرتهنَّ مـن وراء حائل، ومن المحجبة اتَّجهنا للدعوة إلى اللّه إلى قريةِ سَلَفَة، وفي الطريق استضافنا الشـيخ محمد بن حسين الزُّمري في قرية الحناك ، وهو رجلٌ في العقد السـابع مـن عمـره، ولـه

اهتمامٌ بالكتب العلمية، محبٌّ للعلم والعلماء، وكانت الجلسة لديه مباركة، نُوقشتْ فيها كثيرٌ من المواضيع العلمية، فوصلنا سلفة بعد العصر، وقمنا بإصلاح مكبر الصوت «الميكرفون» ثم أذَّنَ المؤذن لصلاة المغرب، وصلى الوالد رحمه الله، وقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسولِ إذا دَعاكُمْ لما يُحْيِيكُمْ..﴾ إلخ الآية، وتمت محاضرةٌ قيمةٌ للرجال والنساء .

وبعد العشاء لم نشعر بأحد المصلين إلا وهو يأتي بكثير من الريالات الفرنسية هديةً للوالد؛ لكنه اعتذر له فردَّها عليه فقال: نحن خرجنا للدعوة إلى الله ولم نخرج لغرض الدنيا، وحاول ذلك الرجل مراراً أن يقبلها وردَّها إليه باعتذارٍ وتلطفٍ، وقد شاهدنا في طريق يافع وبالذات في العُرّ والعقبات التي تمرُّ إلى المحجبة كثيراً من المدَرَّجات والإصلاحات للطرق التي تمكن المسافر من أن يضع رجلَه آمناً في تلك الجبال الوعرة وعلمنا من كتب التاريخ أن معظم تلك الإصلاحات للقائد التركي المحنك سِنان باشا والي اليمن من قبل الدولة العثمانية، والذي وصل إلى يافع على رأس جيش عرمرم واستولى عليها عام ٩٩٩ هـ ، وكان طريقه عبر رداع، وسارع واتخذ من الزهراء مقرّاً له، وهي اليوم في عِداد مديرية السوادية، ويقال: إن جيش ذلك القائد كالجراد، والجمال التي تحمل له المؤنة ستون ألف جمل، فسبحان من لا يفنى ولا يزول ملكه .

وبعد سلفة عدنا إلى المحجبة وترجح للوالد رحمه الله أن أعود إلى الرباط بالبيضاء بصحبة الشيخ محمد بن محمد الحريري لمواصلة طلب العلم، فتودعنا منه في المحجبة واتجهنا صوب طريق الحنكة مشياً على الأقدام، وبِتْنا في الحنكة نحن والشيخ محمد الحريري ومعنا جملة من الكتب، وقمنا بعمارة الوقت بالمذاكرة في المسجد، وفي

الصباح اتجهنا إلى العقبة، ومنها إلى العر حتى وصلنا منطقة عِينَة، فوجدنا سيارة ومنها انطلقنا حتى وصلنا إلى منطقة الزاهر، واستقبلنا فيها الشيخ عبدالله عبدالحق المطري .

أما سيدي الوالد فقد اتجه من المحجبة بصحبة العم صالح الهدار والأخ علي بن محمد شميلة إلى منطقة العرقة والسورق، ونزلوا ضيوفاً لمدة ثلاثة أيام على أهل القحيم واستمرت الدروس والمحاضرات صباحاً ومساءً، ولنا علاقةٌ متينةٌ بأسرة آل القحيم وبالذات آل صالح بن حسن، حيث انتقل الوالد الهدار بن شيخ بأسرته عام ١٣٤٢ هـ على إثر دخول الجيش الإمامي البيضاء، والوالد في دور الرضاعة، ومكث فترة مع أسرته حتى استتبَّ الأمن وعادت الأمور إلى طبيعتها، فعاد وعاد معه كافة أصحابه، وكانت الروابط بين الوالد الهدار بن شيخ وبينهم قوية وبالذات الشيخ صالح بن حسين القحيم، حيث كان كثير التردد عليه إلى منطقة عزة، وقد كانت بينهم مودةٌ لا زالت تتناقل على ألسنة الأسرة بغاية من الإعجاب والتقدير .

وفي تلك المنطقة اتَّفق سيدي الجد الهدار بن شيخ بالزعيم حسين بن حامد المحضار[1] وزير الدولة القعيطية، ودار بينهما كلامٌ كثيرٌ حول أوضاع المنطقة، وجرى فيها تبادل الكثير من الأشعار الحمينية .

---

(١) عالم وأديبٌ وُلد في القويرة سنة ١٢٨٢ هـ، رحل إلى الهند وجاوه، استوزره السلطان عوض بن عمر القعيطي اليافعي، واستمر يُدير الشؤون في الشحر والمكلا ويافع وحضرموت الداخل لمدة سبع وعشرين سنة، وكان شديدَ الذكاء حاضرَ الذهن قويَّ الحجة سريعَ البديهة، وله مواقفُ مشكورةٌ في الإصلاح، كريماً شجاعاً محباً للعلم وأهله حتى توفاه الله سنة ١٣٤٥ هـ وقد أفرد له السيد حامد بن أبي بكر المحضار ترجمةً مستقلة طبعت باسم «الزعيم حسين بن حامد المحضار» .

ونعود إلى رحلة سيدي الوالد محمد الهدار رحمه اللّه، أقول: وقد تم الإصلاح بين آل القحيم وآل منصور على يد الوالد رحمه اللّه، وسعى معه ومهّد له العم صالح الهدار، والذي سبق وأن أشرنا أنه أرسله من مرفد، ومن السَّوْرَق توجهوا إلى منطقة سبيح، وقد استقبلهم السلطان الخضر محمد الشقّي[1] ومجموعةٌ كبرى من قومه، ونزلوا ضيوفاً عليه، وقد تم الإصلاح بينه وبين آل علي بن عبداللّه بن ناصر غالب ومن إليه، وتم إلقاء محاضرات عديدة تطرق فيها إلى حرمة المسلم وحرمة دمه وماله وعرضه وتحريم قتل النفس التي حرم اللّه إلا بالحق، وبعد إبرام الصلح تمت العودة إلى ذي ناخِب قرية الخربة، وتم فيها إلقاء محاضرة بعد المغرب، وفي أثناء المحاضرة ظهرتْ أعراضُ المرض في الوالد، وبدأ الضعفُ يسري في جسده، وإذا بالتهابٍ شديدٍ في الصدر إلا أنه استمر في إكمال المحاضرة، واستمر الألم طيلة الليل واليوم الذي يليه .

---

(١) هو السلطان الخضر محمد بن صالح بن حيدرة الشقّي سلطان ذي ناخب وسباح، وقد كان على جانب عظيم من الصلاح والذكر والعبادة، مكرماً للضيف وعطوفاً على الضعيف مع شهامة وشجاعة ومنعة، وهو القائل عند اجتماع قبائل المشرق حين وصول وفد الجامعة العربية إلى البيضاء لصد هجوم المستعمر البريطاني واستيلائه على كثير من مناطق الجنوب اليمني:

حيا اللّه الليلة مصابيح البلد ... وانتو حرسها من تخلاف السباع

مانا حلالي في البلاد العالية ... لا المشتري صافح ولا البياع باع

وقد استمر على ذلك سلطاناً في بلاده حتى قيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وتم اعتقاله وسجنه وأودع في سجن المنصورة مع كثير من المشايخ والأعيان، إلى أن فاجأه الأجل المحتوم في السجن عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢م)، وتم نقل جثمانه إلى موطنه سَبيح، ودفن وعمره ناهز السبعين عاماً تقريباً .

وبعد المغرب من ذلك اليوم تم السفر إلى العرقة بصحبة رفيقه في ذلك السفر علي محمد شميله الذي لم يبق سواه لكون العم صالح عاد إلى البيضاء، وتم طلوع العقبة مشياً على الأقدام فوصلوا أعلاها قبل الفجر، وبعد صلاة الصبح واصلوا المشي إلى البيضاء حيث لم يجدوا سيارة في الطريق فوصلوا إلى البيضاء قبل الظهر، ولم أشعر وأنا في الرباط إلا بالوالد يصل وعليه أثر المرض، وإذا به مصاب بالتهابٍ شديدٍ في الصدر، واستقرَّ في البيت إلا أن المرض أثَّر فيه كثيراً، وحصلتِ الحيرةُ: هل يتم إسعافه إلى عدن وهي المدينة الراقية آنذاك وبها أطِبّاءُ كثيرون ولكنها تَعُجُّ بالحرب بين الثُّوَّار والبريطانيين ؟

ونظراً لحالته الصحية فقد تم سفره إلى عدن بصحبة العم صالح الهدار والحاج صالح بن عبدالنبي اليحوي، وفي عدن نزلوا في منزل العم عبدالقادر الهدار، وشاءت إرادة اللّه أن يتعرف السيد صالح بن عبدربه الجنيدي على طبيبٍ مسلم من باكستان يعمل في شركة «البس» اسمه الدكتور أشرف محمود، فقام المذكور ببذل جهودٍ عظيمةٍ في معالجته على الرغم من خطورة الخروج في الشوارع من جراء الحرب إلا أن صحته تحسنتْ كثيراً، ونظراً لصعوبة البقاء من جراء الحرب اتجه عائداً إلى البيضاء بعد أن نصحه الطبيب المذكور بالسفر إلى أسمرا الحبشة لمواصلة العلاج، وعاد إلى البيضاء واستقر بها فترةً وهو مع ذلك كثير النصح والتوجيه والإرشاد، وبعد رجوعه من عدن حضر زواجَ ولدَيهِ الحسن وراقم هذه الأسطر وابن أخيه محمد عبدالقادر الهدار.

وبعدها -نظراً لما يُعانيه من ألم- اتَّجه إلى عدن ومنه إلى أسمرا الحبشة لمواصلة العلاج، واستقبله فيها شيخه العلامة عمر بن عوض حداد وزميله في الدراسة السيد أبوبكر بن عبداللّه المحضار والسيد عبداللّه بن عبدربه الجنيدي والسيد محمد بن صالح الجنيدي وأحمد بن ناصر الجحدري وعبداللّه بن عقيل الجحدري والسيد سالم بن

محمد العيدروس، وكلهم من الجالية اليمنية المقيمة هناك، وقد نزل ضيفاً في منزل المرحوم محمد بن محمد العاقل شقيق العم عبداللّه محمد العاقل[١]، وأرسل رسالة بضرورة أن أصلَ إلى أسمرا لمرافقته، فاتجهتُ إلى مكيراس ومنه إلى عدن واستقبلني الأخ أحمد صالح بن عبدربه الجنيدي والأخ محمد بن عبداللّه القربي، وأكملوا معاملة الجواز فاتجهتُ بالطائرة ووصلت مطار أسمرا، فكان رحمه اللّه في استقبالي وبصحبته الشيخ عمر بن عوض حداد والسيد أبوبكر بن عبداللّه المحضار وسائق سيارة آل العاقل جوهر، وهو رجل صالح من مسلمي الحبشة .

وفي أسمرا كان يتردد على جامعها الكبير ويقيم فيه كل ليلةٍ محاضرةً، وكانت أسمرا تعج باليمنيين الهاربين من الحرب في عدن ونواحيها، ولم نشعر بالمرحوم الحاج هائل بن سعيد أنعم[٢] إلا وهو يطلب الوالد لتناول طعام الغداء، فلَبّى الدعوة ونحن

---

(١) هو عبداللّه بن محمد العاقل، من مواليد البيضاء، وبها نشأ وترعرع، ودرس بها، من أهل الفضل والصلاح كثير التلاوة والذكر، وكان زميلاً لسيدي الوالد في الدراسة في صباه، ولا زالت العلاقة بينهما مستمرة، اشتغل في باكورة عمره بالتجارة في عدن، وساهم في مكتبة الرباط بكتب قيّمة كان يشتريها من عدن، ثم انتقل إلى تعز، وبها استقر يزاول مهنة التجارة هو وأولاد أخيه أحمد ولازال بخير تحفه عناية اللّه .

(٢) هو المحسن الكبير الحاج هائل بن سعيد أنعم، ولد ونشأ في قرية قَرَض ناحية القَبَيْطَة من نواحي محافظة تعز سنة ١٣٢٣ هـ، واشتغل بالتجارة، وكان يقسم ربحه نصفين نصف يتصدق به ونصف يضيفه إلى تجارته، له مشاريع خيرية كثيرة تجل عن الحصر، يكنى بأبي المساكين، ولا زالت آثاره الخيرية ظاهرةً شاهرةً للعِيان في اليمن وخارجه، وقد ترك ذرية صالحة سائرين على نهجه بارك اللّه فيهم وجعل الخير باقياً فيهم وفي عقبهم وإيانا إلى يوم الدين، منهم ابن أخيه علي بن محمد سعيد وأولاد عبده سعيد وجازم سعيد، وأولاده أحمد وعبدالرحمن وعبدالواسع وعبدالجبار ورشاد ونبيل، توفي في ٢٨ رمضان عام ١٤١٠ هـ بعد

بصحبته، وفي أثناء الطريق كان يثني عليه كثيراً ويتعجب من الصِّفاتِ الخَيِّرَة التي مَنَحَهُ اللّه سبحانه، فسبحان المعطي والهادي إلى سواء السبيل، وقد زُرنا العلامة الكبير السيد حامد بن أبي بكر المحضار الذي كان نازلاً بها، ورأى الوالد أن يقوم بدرس للنساء وبالذات للجالية اليمنية، فاجتمعنَ في منزل أحد الإخوان اليمنيين غير أن السلطة حينذاك حالت دون مواصلة ذلك، ورأى الوالد أنه سيذهب من أسمرا إلى الحرمين وأَذِنَ لي بالعودة، فعدتُ إلى عدن ومنها إلى البيضاء.

ثم بعد ذلك بأيام عاد الوالد بحمد اللّه، وفي خلال تلك الفترة تردد عليه كثيرٌ من الزوار من أعيان البيضاء وغيرها، فاضطُرَّ إلى أن يبقى في المكتبة المجاورة للبيت، وكان لا يتوقف بعد خروج الزائرين عن ذكر اللّه سبحانه والاستغفار والصلاة على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ومطالعة الكتب، وكان مع شدة مرضه لا يترك قيام الليل ولا التبتل والتضرع فيه كعادته أيام صحته وشبابه، وكثيراً ما نسمعه يبكي في الظلام بلَوعةٍ محرقةٍ، ويتعوذ باللّه من عذاب القبر ومن الوحشة والوحدة فيه، ويقول ما معناه: «اللّهمَّ لا تَنْسَنِي فيه إذا نَسِيَنِي أهلُ الدنيا» .

واستمر على ذلك ثم سافر إلى تريم حضرموت مجالساً للإمام جعفر بن أحمد العيدروس، وقد سبق وأن تأهل بها لدى السادة آل العيدروس، وفي أثناء إقامته في

رجوعه من أداء مناسك العمرة رحمه اللّه رحمة الأبرار وأسكنه برحمته دار القرار، وله ولهم مساهمات قيمة في رباط الهدار للعلوم الشرعية جزاهم اللّه خيرا، ولهم أياد بيضاء في إنشاء ورعاية المشاريع التعليمية والخيرية.

مدينة تريم كان كثير الزيارة والتردد على كثير من العلماء والصلحاء، وحينما زار السيد العلامة عبدالله بن أحمد الهدار[1] قال فيه هذه الأبيات:

---

(١) عبدالله بن أحمد الهدار عالم واسعُ الاطِّلاع وشاعرٌ مُفْلِق، وُلد في مدينة عينات، وأخذ عن جُلِّ علمائها، وبالذات العلاَّمة الكبير الحسن بن إسماعيل الحامد، ثم انتقل إلى تريم وأخذ عن كثير من علمائها، فلمع نجمه في سماء المعارف والعلوم، وطالما جرى الشعر على لسانه دون تَكَلُّفٍ، غزا بشعره معظمَ المواضيع المطروقة، منه قوله في وجوب اتحاد الرأي والكلمة:

في الخُرَّدِ الغِيدِ مالي قَطُّ مِن أَرَبِ   وما مُرادِيَ إلا وَحْدَةُ العَرَبِ

وإنْ يَكُنْ مَطْلَبُ المشتاقِ غانِيَةٌ   فوَحْدَةُ الرأيِ عندي منتهى طلبي

متى أرى أمةَ الإسلامِ عن رَغَبٍ   تُحَقِّقُ القصدَ هذا ليس عن رَهَبٍ؟

فلُحمةُ الدينِ مِن أقوى العواملِ في التـ   ـحقيقِ وَهْيَ تُضاهي لحمةَ النَّسَبِ

فكَوِّنوا يا بني الإسلامِ جامعةً   باسم التراحُمِ والشكوى لدى النُّوَبِ

وامْشُوا على سِكَّةِ الإخلاص وانتبهوا   فالجَوُّ ما زال يبدو قاتمَ السُّحُبِ

قُمْ نادِ إخواننا في كُلِّ عاصِمَةٍ   وقُلْ: نُريدُ اتِّحادَ الفكرِ والأدبِ

فنحن جَمٌّ عديدٌ غيرَ كثرَتنا   لم تُغْنِ شيئاً فياللّه مِن عَجَبِ !

زار كثيراً من مدن العالم الإسلامي ولقي من علمائها كل إجلال وإكبار، وقيلتْ فيه كثيرٌ من القصائد، منها أنه حَجَّ وفي مجمعٍ كبيرٍ ضَمَّ كثيراً من العلماء وطلب منه الحاضرون أن يرتقيَ كرسياً في ذلك المجمع، فقال السيد علوي بن عباس المالكي على البديهة:

لقد صَعَدَ الهَدّارُ كُرْسِيَّ رِفْعَةٍ   فأَيْقَنْتُ حَقّاً أنه آيةُ الكرسي

فعِيناتُ تَزْهُو في محافلِ عِلْمِهِ   لما كان يُلقيهِ من الفيضِ في الدرسِ

فرد السيد الهدار عليه مجيباً ببيتين أيضاً فقال:

مَلَكْتُ شعوري يا أَجَلَّ مُعَظَّمٍ   فأنت لأهلِ الأرض في النفعِ كالشمسِ

ولــــم أَرَ يـــا ابـــنَ المـــالكيِّ ممـــــاثلاً   جنـــابَك في الإدراكِ يـــا طـــاهرَ النَّفْـــسِ

ولـما اطَّلَعَ على ما قيل الشيخُ العلامة الشاعر الكبير محمد بـن عبداللّه بـن عمـر بـاعمر نزيل شماسة صوماليا نظم القصيدة الآتية وبنى على القافية وضمَّن ما قيل فيها فقال:

ومُجْتَـــمعٌ قـــد راقَ للقلـــبِ أُنْسُـــهُ   بخـيرِ بـلادٍ حَبَّـــذا لـــك مِـــن أُنْــسِ

حَــوَى جملـــةً مـــن قـــادةٍ وأئمـــةٍ   كـرامِ السـجايا زينَـةِ العلـم والـدرسِ

أُدِيـــرَتْ أحـــاديثُ الصَّبابَـــةِ بينَهُـــمْ   وقـد أَخَـذُوا كـأْسَ السرورِ مـن النَّفْـسِ

فخـامرَ نَفْـسَ «الـمالكي علَـوِي» العُلى   فـأَرْوَى زنـادَ الفِكْـرِ للشـعرِ بـالقَبْسِ

فقـــال ارتجـــالاً مـــن جواهـــرِ نظمـــهِ   مُشـيراً إلى الهَـدّارِ إذ صَعَـدَ الكرســي

«لقـدَ صعـدَ الهَـــدّارُ كُرْسِـــيَّ رِفْعَـــةٍ   فـأَيْقَنْتُ حقــاً أنــه آيــةُ الكرســي»

«فعِينـــات تَزْهُـــو في محـــافلِ عِلـــمه   لـما كـان يُلقِيه مـن الفَيْـضِ في الـدَّرْسِ»

هنـــاك رَمَـــى الهـــدارُ عـــن قـــوسِ قولِـــه   بسـهمٍ بديـعِ النظـمِ خُـذْهُ بـلا لَبْـسِ

«مَلَكْـــتُ شـــعوري يـــا أَجَـــلَّ مُعَظَّـــمٍ   فأنت لأهلِ الأرض في النفعِ كالشـمسِ»

«ولـــم أرَ يـــا ابـــنَ المـــالكيِّ ممـــاثلاً   جَنابك في الإدراك يـا طـاهرَ النَّفْسِ»

فمَـن لي بشعرٍ مثـلِ هـذا الـذي أتـى   بـه السـيِّدانِ الطـاهرانِ مـن الرِّجْـسِ

ولـــو قـــابلوا شـــعرَ ابـــنِ هـــاني وغـــيرِه   معَ شِعْرِ ذَيـنِ بيـعَ بـالدُّون والبَخْـسِ

ولـــو كُنْـــتُ في مَيدانهـــم وغِمـــارِهِمْ   لكنتُ رميتُ السـهمَ بـالقول عـن قَـوْسِ

ولكنـــي أَجْـــري بـــزورقِ هِمَّـــتي   وهيهـاتَ في مرسـى مراكبهـم يَرْسِـي

وأَنَّـــى لـــمثلي بـــالغٌ شـــأوَ مَجْدِهِـــم   وذلـك أمـرٌ لـيس يَخْطُـرُ في حَدْسـي

همـــا عَلَـــما عِلـــم ولكـــنَّ نـــارَهُ   هو النورُ يَسْري جانب الغربِ والشـمسِ

لقـــد أشـــرقتْ شمـــسُ النجابـــةِ فيهمـــا   فلا غَرْوَ طيبُ الأصل من طَيِّـبِ الغَرْسِ

فمـــا بَرِحـــوا يُبْـــدُونَ كُـــلَّ غريبـــةٍ   يُرينـا سُطُورَ الحُسْنِ في أَوْجُـهِ الطِّـرْسِ

فنفعهمـا إن قيـل:«كالشـمس» قلـتُ:لا   فـأين لنفـع الشـمس لـلروح والنفـسِ ؟

شَرِبْنا مُدامَ الشَّاي عِنْدَ حَبِيبِنا … وسيِّدِنا الهدَّارِ ذي المَفْخَرِ الأسنى
وآنَسَنا في دارِ سُكْنى جديدةٍ … بها جَدَّدَ الأفراحَ والفوزَ بالحسنى
وأَصْبَحَ فيها ثاوياً مُتَرَجِّياً … لِذُرِّيَّةٍ من فضلِ مولاه لا تَفْنَى
أيا سيِّداً حازَ المكارمَ والتقى … لك الخيرُ والبشرى من اللّه لا مِنّا
ودُمْ في سُرُورٍ وارتياحٍ وغِبْطَةٍ … ألا قُلْ بفَضْلِ اللّه فافْرَحْ وحَدِّثْنا
ولا زِلْتَ في فُلْكِ المعالي كوكباً … به يَهْتَدِي الأقصى ويستصبحُ الأدنى
فكم لكَ مِن فخرِ الوجودِ عنايةٍ … تُراعِيكَ يا مولاي في الحِسِّ والمعنى
وسُكْنى بلادِ الطِّبِّ أعظمُ مِنْحَةٍ … هنيئاً مريئاً بين عِيناتِ والغَنّا
هنيئاً بها أولاكَ مولاكَ سيدي … هنيئاً مريئاً بالقِرانِ وبالسُّكْنى

لسيدي الحبيب اللبيب، اللوذعي الأريب، الداعي إلى اللّه حالاً ومقالاً، سيدي عبداللّه بن أحمد بن عبداللّه الهدار حفظه اللّه، سلامُ اللّه عليكم ورحمته وبركاته .

وبعدُ فلي شوقٌ إليكم ولوعةٌ … ولكنَّ شوقَ اليومِ يربو على أمسِ
فهل نفحةٌ هل نظرةٌ تجذبُ الفتى … وتنقلُه من حالةِ البعدِ والحبسِ
وتدنو به تلكَ البقاعَ جميعَها … يُباشر ذاك الحجرَ والحجر باللمسِ
ويَسْرِي مُجِدَّ السَّيْرِ يَخْتَرِقُ العُلى … إلى طَيْبَةٍ مُسْتَوْطَنِ القُرْبِ والأُنْسِ
يَزُورُ حبيباً حَلَّ وَسْطَ خِبائها … فطوبى لمن يُضْحى بطيبةَ أو يمسي
نبيٌّ براه اللّه للخلق رحمةً … وأرسله للجنِّ طُرّاً وللإنسِ
ومَيَّزَ بينَ المرسلين مَقامَهُ … تكاملَ في المعنى عَلاءً وفي الحِسِّ
عليه صلاةُ اللّه ما ذُكِرَ اسْمُهُ … وكُرِّرَ في كلِّ المجالس والدرسِ
صلاةً بها تُقْضَى المآربُ كلُّها … وتجمعُنا بالغيدِ في حَضْرَةِ القُدْسِ

واستمر السيد عبداللّه الهدار مرشداً وداعياً إلى اللّه حتى فاجأه الأجل المحتوم في عينات في شهر ربيع ثاني عام ١٣٩٦ هـ .

سيدي.. في هذه اللحظة جَرَتْ على لساني هذه الأبيات، مع أني لـم أَعْتَـدْ قَـرْضَ الشِّعْرِ، فأَثْبَتُّها رجاءَ أَنْ تُقَرِّبَنا إليكم زُلْفَى، وتَقْسِمُوا لنا بالقَسْمِ الأوفى .

وسلام اللّه عليكم، واذكرونا مثلَ ذكرانا لكم

في ٢٢ صفر سنة ١٣٨٦ هـ

محمد الهدار

كما كان يتردد على عينات، وينزل ضيفاً عند صديقه الحميم الحبيـب أحمـد[1] بـن علي منصب الإمام الحسين ابن الشيخ أبي بكر بـن سالـم، كمـا كـان كثير المجالسـة للحبيب حسن بن عبداللّه الكاف [2] .

---

(١) هو الحبيب أحمد بن علي منصب آل الشيخ أبي بكر بن سالـم، عالـم عابدٌ طلـب العلـم في رباط عينات وأخذ عن عالـمها الكبير السـيد حسـن بـن إسمـاعيل الحامد، تـولى المنصبـة في شبابه، وهي عبارة عن رعاية آل الشيخ أبي بكر بن سالـم ومقامهم الروحي في المنطقة، وقد كنت كثير التردد عليه أثناء طلبي للعلـم في تريم وكـان سيدي الوالـد يجلـه ويقـدره كثيراً، واستـمر في عينات راعيا للـمقام إلى أن أدركته الشيخوخة، وتوفي بعينات عام ١٤١٤ هـ . وقد علـمت بالنبأ واتجهت إلى عدن على أمل أن أجد رحلة بالطـائرة، فأُدرِكَ الصلاة على الجنازة إلا أني لـم أجد رحلة بالطائرة فاتصلت بسـيدي الوالـد مـن عـدن إلى مكـة المكرمـة وأعلـمته بالنبأ فتأثر لذلك تأثراً كثيراً وأرسل برقية على إثـر ذلـك معزيـاً في وفاتـه ومباركـاً ومشجعاً لنجله السيد حسن لقيامه بمقام والده رحمه اللّه .

(٢) هو العلامة الناسك الأواه حسن بن عبداللّه بن أحمـد بـن محمـد الكـاف، ولـد في تريـم عـام ١٣١٩ هـ وبها نشأ وترعرع، وأخذ عن جُـل علـمائها، لـه رحـلاتٍ كثيرة إلى كثير مـن الأصقاع، وفي سنة ١٣٨٩ هـ وصل إلى البيضاء لزيارة الرباط بصحبـة ابـنـيه أحمـد ومحمـد

واستمر على ذلك الحال يتردد على حضرموت حتى سُجن في تريم، ومنه انتقل في تلك الأيام إلى سجن سيؤون والمكلا كما سبق .

وفي أثناء مرضه قال رضي اللّه عنه:

الحمد للّه ربي عد ماقد مدح
والشكر للّه والشاكر لربه ربح
فاحسن بربك ظنونك قل وردد وصح
باتحصل العافية والصدر باينشرح
عسى عسى بعد هذا الكرب تصبح فرح
ربك معك بالمعونة ياالغبي فاسترح
وبايجيك المدد والباب باينفتح
والواسطة في المطاليب الشفيع الملح
خير النبيين من تابع طريقه نجح
عليه في كل لحظة ألف مرة تصح
صلاة ربه بها يغبق بها يصطبح
هو باب ربه ومن يوقف ببابه فتح
وأسلافك أهل الهدى ذي لااصلحوا شي صلح
يارب يارب عبدك منكسر منطرح

والحبيب طاهر بن حسن الشاطري، وقد استبشر سيدي الوالد بوصولهم، فكانت تعقد الجلسات العلمية في المساجد في البيضاء، ثم أخذهم إلى عزة واستمروا بها عدة أيام، وعند الوداع انهمرت الدموع، ولم ندرِ أن ذلك للفراق، جمعنا اللّه وإياهم بعد طول العمر في طاعته ورضاه في مستقر رحمته، وقد عاد المترجم له إلى تريم واستمر بها حتى فاجأه الأجل المحتوم عام ١٤٠٤ هـ .

مضطـر يـارب دمعـه مـن ذنوبـه يسـح

مـن جـور ذنبـه وكربـه شـف فـؤاده طفـح

ضعيـف مدنـف كمـل دمعـه ولحمـه نجـح

خـائف ومسـرف فغـر وادركـه لاينـذلح

وقـل لـه أدخـل حمانـا وانبسـط واسـترح

واسـقه وعافـه والطـف سمِّحـه يستـمح

رجـح لـه الـوزن يرجـح لـه كمـا مـن رجـح

صحـح لـه القصـد والـمأمول كلـه يصـح

واعطـه كمـا أهلـه وأصلـه وامنحـه مـامنح

وافتـح لـه البـاب واعطـه مثـل مـن لـه فتـح

اسـقه وابقـه وزد ربحـه علـى مـن ربـح

واغفـر لـه الذنـب واحبابـه وللشـر نـح

فـالفضل واسـع وجـود اللّـه مافيـه شـح

بجـاه خـير الـورى بـاب العطـا المنفتـح

صلـى وسلـم إلهـي عـد لامـح لـمح

صـلاة تـملأ العوالـم عطرهـا يرتـوح

عليـه وآلـه بهـا يرضـى بهـا ينشـرح

وقال أيضاً:

الحمـد للّـه ربـي مـن لحمـده سمـع

مالـم يشـأ لـم يكـن ومـا يشـاءه وقـع

فـانطق بخـير إن بغيـت الخـير يامستـمع

وادخـل إلى سـوق حسـن الظـن واشـتر وبـع

وقـــل وربـــك بحمـــده يوصـــل المنقطـــع
بـــاتحصل العافيـــة والشـــر بـــايندفع
فمـــن قصـــد بـــاب ربـــه بالـــمطالب رجـــع
بواسـطة خـير مـن يشـفع ومـن قـد شـفع
هـــو حبلنـــا بـــه تـــمسكنا ولا ينقطـــع
والـــمصطفى ذي ترقـــى المرتقـــى المرتفـــع
صـــلاة ربـــي وتســـليمه بهـــا يتبـــع
عليـــه في كـــل لحظـــة ماستـــمع مستـــمع
يـــاأفضل الخلـــق والطـــالع علـــى مـــن طلـــع
عبـــدك محمـــد بـــن الهـــدار نـــادم طمـــع
حـــيران بالبـــاب واقـــف منطـــرح مصطـــرع
فـــزع مـــن الذنـــب وأهـــوال القيامـــة فـــزع
قلبـــه مخـــرب وجســـمه بالـــمرض مضطجـــع
وكلـــما تـــاب مـــن كســـب المعـــاصي رجـــع
وشـــاب راســـه وعـــاده منّهـــا مـــاقنع
وحالتـــه خاربـــه يرثـــي لهـــا مـــن سمـــع
وأنتـــه علـــى الحـــال ياخـــير الـــورى مطلـــع
ولا معـــه طـــب غـــيرك لا فـــزع أو وجـــع
ولا لحـــادث مـــن اهـــوال الزمـــان الفضـــع
فغـــارتك ياشـــفيع الخلـــق لا تنقطـــع
غـــارة ســـريعة بهـــا هـــذا البـــلا يرتفـــع
والقلـــب يحيـــى ويشـــفى جســـم هـــذا الهلـــع
ويغفـــر الذنـــب للقـــائل وللمستـــمع

مـــن المحبـــين والنـــافع لهـــم ينتفـــع
عليـــك صلـــى إلهـــي عـــد مـــاقد وقـــع
ومـــايقع شـــي عـــدد مـــا علـــم ربـــي وســـع
وآلـــك الكـــل والأصحـــاب والـــمتبع
صـــلاة تـــملأ العوالـــم في الســـماء ترتفـــع
تقضـــى بهـــا كـــل حاجـــة والدعـــا يستـــمع
مـــع الســـلام وتســـليم المنيـــب الـــورع

شكاية إلى الحضرة النبوية

وفي عام ١٣٨٨ هـ توجَّه من البيضاء إلى عدن ومنه إلى الحرمين لأداء مناسك الحج والزيارة، ولازال في تلك الفترة، يعاني من الداء العضال الذي لازمه، وأضعفه كثيراً، وقد مكث في عدن فترة في منزل العم عبدالقادر، يتردد على مساجدها للوعظ والإرشاد، وبالذات مسجد العيدروس والذي كان يقيم فيه السيد العلامة سالم بن عبدالله الشاطري، وتمت إجراءات السفر، ووصل إلى الأماكن المقدسة عبر الجو، وعندما وقف تجاه الحضرة النبوية المشرفة قال هذه القصيدة العصماء:

أنـــت في الكـــونِ غـــرَّةٌ بيضـــاءُ ... بـك غـاض الشـقاءُ فـاض الشـفاءُ
وتولـــت وأدبـــرت مالهـــا عـــ ... ـــود إلينـــا الباســـاء والضـــراءُ
أنـت كـنز الغنـى ثـمال اليتـامى ... ومـلاذ الـورى وأنـت الرجـاءُ
أنـت حبـل الإلـه والعـروةُ الوثـ ... ـقـى ونـور الهدايـة الوضّـاءُ
أنـت بـاب الإلـه أنـت حبيـ ... ـب اللّـه أنـت اليتيمـة العصمـاءُ
أنـت حصـن مـن البلايـا وكهـف ... في الرزايـا وفي السـنين الرخـاءُ

وبك اللّه يكشفُ الكَرْبَ والخَطْـ ـبَ وتزداد للورى النعماءُ
أنت صلى عليك ربك مفتا ح السعادات جندك السعداءُ
أنت بحرٌ وكل ما أنعم اللـ ـه على العالمين منك دلاءُ
رحمة اللّه أنت والآية الكبـ ـرى فماذا تقوله البلغاءُ
ليس يحصى الثنا عليك ولو كا ن مداداً من البحار الماءُ
ما ثناءُ العباد عند ثناء اللـ ـه في البيناتِ إلا هباءُ
عَجِبَ الأنبياءُ مما حباك اللـ ـهُ حتى تَحَيَّرَ الأنبياءُ
ولقد قال فيك مادحك المشـ ـهور قولاً ذلت له الفصحاءُ:
«إنما مَثَّلوا صفاتِك للنا سِ كما مثَّل النجوم الماءُ»
يا رسول الهدى دعاكم حسيرٌ قَصَّرَتْ خُطُواتِهِ الأخطاءُ
ما له شافعٌ أحاطتْ به أخـ ـطاؤه والصحيفةُ السوداءُ
جاءكم هارباً لهيفاً صريخاً من دواءٍ وكلُّها دهياءُ
قد تَغَطَّا بسابغاتِ الخطايا فعليه من كلِّ ذنبٍ غِطاءُ
عمرُه قد مضى لزيمَ ذُنُوبٍ ليس يحصي أقلَّها الإحصاءُ
وعيوبٌ أخفُّها الخُلُقُ السُّـ ـوءُ وهُوَّ المصيبةُ الصماءُ
أغرقتْه أَمارةُ السوء في بحـ ـر المعاصي فأين أين النجاءُ؟
قلبه قد قسى فمات من الرَّيـ ـنِ فما فوق ما دهاه بلاءُ
فعسى نظرةٌ بها القلب يحيى ثم فيكم يفنى فيعطى البقاءُ
كم أُلوفٍ موتى بك اللّه أحـ ـياهم فهم بعد موتهم أحياءُ
يا شفيعَ الورى مريضٌ طريحٌ شَفَّهُ داؤُهُ وعَزَّ الدواءُ
داؤُهُ حَيَّرَ الطبيبَ عضالٌ ليس داءً لكنها أدواءُ
قد تمادى البلا وأظلمتْ الدنـ ـيا عليه وضاق منه الوعاءُ
وبكتْ عينُه المدامعَ حتى ضَحِكَتْ مِن بكائه الأعداءُ

ليس إلا بكم ومنكم وفيكم ... ولديكم علاجه والشفاءُ

كم بعيدٍ ذي جفوة لحظتْهُ ... عينُكم فجفاه ذاك الجفاءُ

وسقيماً أشفى شفاه من المخـ ... ـتار لمسٌ أو رِيقةٌ أو دعاءُ

كم هدى ضالاً وأغنى معيلاً ... ويتيماً آوى فطاب الإواءُ

وبليداً رأى فأضحى فطيناً ... ماالذكا عنده وماالأذكياءُ

سالتِ العينُ فوقَ خَدٌ فَرَدَّ ... ـتْها من المصطفى يد بيضاءُ

خيرُ عينيكَ يا قتادةُ هذي الـ ... ـعينُ فهي الجميلةُ النجلاءُ

ويدُ ابنِ الجَمُوحِ طاحتْ ببدرٍ ... فأعيدتْ تلك اليد القطعاءُ

كم لكم سيدُ الورى معجزاتٌ ... ظاهراتٌ فما بهنَّ خفاءُ

حَنَّ جِذْعٌ إليكمُ وهوى البَدْ ... رِ وعادتْ بعدَ الغُرُوبُ ذكاءُ

أَشْبَعَ الصاعُ أَلْفَ شخصٍ وأر ... وى الجيشَ من بين أُصبعينِ الماءُ

كل يوم لكم خوارق يأتيـ ... ـنا بها وارثوكمُ الأولياءُ

ثم هذا القرآنُ أَعْظَمُ ما جئـ ... ـتم به فهو في الظلام الضياءُ

هو حبلُ الإله وهْو كلامُ اللـ ... ـهِ وهْو المحجة البيضاءُ

لا تَزِيغُ الأهوا به وطريٌّ ... من جناهُ لا يشبع العلماءُ

وبكم أَكْرَمَ المهيمنُ أقوا ... ماً ولولاكمُ همُ الأغبياءُ

فترَقَّوا فوق المعالي حتى ... حسدتْهم في بُرْجِها الجوزاءُ

فهمُ الطَّيِّبُ الكَثِيرُ أمانٌ ... للبرايا والقادة الحكماءُ

وهمُ الحاملون للسِّرِّ والأقـ ... ـطابُ والبدلاءُ والنجباءُ

عيبةُ العلم بَلَّغُوا وأفادوا ... فهمُ الأقوياءُ والأمناءُ

استقامتْ بهم وطابتْ وأضحتْ ... تتباهى الشريعة السمحاءُ

قُرناءُ القرآنُ لولاهمُ بيـ ... ـنَ الأنامِ لمادَتِ الغبراءُ

أَذْهَبَ اللّه عنهمُ الرِّجْسَ ما بعـ ... ـدَ ثناءِ الإله جَلَّ ثناءُ

كل ما قد حَبَوْهُ قَسَّمَهُ طـ ـه عليهم وقَسْمُ طه سواءُ

فهُو القاسمُ العطاءَ على الخلـ ـق ومن ربه الكريم العطاءُ

قِسْمَةٌ غيرَ ذاتِ حَيْفٍ فما عنـ ـدَ النبيينَ قسمةٌ ضيزاءُ

يا أبا القاسم اوْفِ قِسمي وقل لي لَكَ في كلِّ قسمةٍ أنصباءُ

كُلْ ما شئتَ شاءه اللّه فامـ ـنُنْ لي بكلِّ المنى وزِدْ ما تشاءُ

فأنا أفقرُ البرايا إلى فيـ ـضِ نِداكُمْ وصِبْيتي فقراءُ

فقراءُ مِن كُلِّ خيرٍ وأما مِن سواهُ فإننا أغنياءُ

فقراءُ من الفضائلِ إلا أنّ آباءنا هم الفضلاءُ

قد أتينا مستغفرين لأو زار ثِقالٍ أَخَفُّهُنَّ حراءُ

مسَّنا الضُّرُّ فانظرِ انظُرْ إلينا نَظْرَةً تنتهي بها الضراءُ

يا أبانا استغفرْ لنا إننا ليـ ـس على مثلنا يعد الخَطاءُ

وقتُنا كلُّه نَخَبَّطُ لا نـ ـدري الطريقَ فخَبْطُنا عشواءُ

نتعاطى القبيحَ عمداً معْ الدعـ ـوى بأنّا من القبيح براءُ

وبأنا على الطريقة نمشي حيثما قبلَنا مشى الصلحاءُ

ونُرائي بالخير مِن غيرِ أنّا نعملُ الخيرَ كيف هذا الرياءُ

نظرةٌ تُرْجِعُ الفسادَ صلاحاً تستحيلُ العتيقةُ الصهباءُ

فبكم تنقضي الحوائجَ في الدا رينِ قطعاً جرى بهذا القضاءُ

ولكم في القيامة الفخرُ والفضـ ـلُ وفصلُ القضا لكم واللواءُ

يوم كشفِ الغطاءِ إذا حُشِرَ الـ ـخلقُ وحتى الجمَّاءُ والقرناءُ

يُبعثون وهُمْ حُفاةٌ عُراةٌ هذه سوءَةُ البلا السوآءُ

وترى الناس ساكتينَ سكارى أرمضتْهم مِن حَرِّها الرمضاءُ

وأحاطت بالخلق نارٌ لها صو تٌ زفيرٌ يجثوا له الأنبياءُ

ويلوذُ العبادُ بالرُّسْلِ كيما يشفعوا فهم هم الشفعاءُ

فـإذا الرُّسْـلُ يُعـذرون وإبـرا — هيـمُ قـال إنـي وراءُ
أين أين المفر يا خيرَ خلقِ الـ — ـلـهِ إلا إليك أين اللجـاءُ؟
أنت أنت لها خبأتَ لها خَبْـ — ـءً فنِعْمَ الخِبا خَبَأْتَ الدعـاءُ
ذلك اليومُ مثلُ آلاف أعـوا — مٍ وللّـه زمـرةٌ سـعداءُ
يستظلُّون تحت ظلٍّ من العـر — شِ ظليـلٍ والطيبـاتُ غـذاءُ
طول ذا اليوم عندَهُمْ مثلَ فرضِ الظـ — ـهـرِ والهـولِ عندهـم سـرّاءُ
ربَّنـا بـالنبيِّ معهُـم وفيهـمْ — وأَنِلْنـا بالـمصطفى مـا نشـاءُ
وأَغِـثْ ضَعْفَنـا برحمتِـك العُظْـ — ـمـى فإنـا عبيـدك الضعفـاءُ
يـا رسـولَ الهـدى أجيبـوا عُبيـداً — شـاكياً ملَّـه الشـكى والبكـاءُ
كم ينادي في القرب والبعدِ فالعُمـ — ـرُ مضـى كلُّـه دعـاءٌ نـداءُ
كـلُّ مَـن أَمَّكُـمْ لـه سببُ التقـ — ـوى وأنتـم يرضيكـمُ الأتقيـاءُ
وأتينـاكَ مفلسـينَ فـلا تقـ — ـوى ولا أتقيـا ولا أدبـاءُ
راغبـينَ وراهبـينَ فصـار الـ — ـخـوفُ مِـلءَ قلوبنـا والرجـاءُ
ولنـا كـم حوائـجٍ ليـس تخفـا — كـم ونحـن عـن جُلِّهـا أغبيـاءُ
تتـولى في كـل يـوم علـى مـ — ـرِّ الزمـانِ فمالهـا إحصـاءُ
وأمـورٌ كثـيرةٌ مالهـا إ — لاّ اعتنـاكم وعطفكـم والسـخاءُ
قـد أحـاط بهـا الإلـه وأنتـم — عنـده في قضائهـا الشـفعاءُ
لا انصـرافٌ لنـا أُهيـلَ الوفـا إ — لاّ بهـا فالوفـاءُ يـا أوفيـاءُ
حسـنَ ظـنٍّ بكـم وليـس بـإدلا — لٍ بأنّـا أبنـاءُ أو أقربـاءُ
فلنحـن واللّـهِ إن لـم تُغيثـو — نـا قسـاةٌ محرمـون أشـقياءُ
ولإن لـم نكـن لرحمتكـم أهـ — ـلاً وهـيّ الفسـيحة الوسـعاءُ
فهـي أهـلٌ تنالنـا كـلَّ شـيء — وَسِـعَتْهُ ومـا هـي الأشـياءُ؟
أنتـم الظـن والرجـاءُ فـلا خـا — بـتْ لديكـم ظنونُنـا والرجـاءُ

قد أتانا بأنّ مَن زاركم نا ... ل الأماني فليسألنْ ما يشاءُ

فبحق الذي على الخلق أعلا ... كم فكل الورى لديكم وراءُ

نظرةٌ تُصلح القلوب بها تد ... نو الأماني وتَذْهَبُ الأسواءُ

وبها ما مضى مع الحال والآ ... تي يطيب وتصلح الأشياءُ

وربا‌ط البيضا بها فيه يحيى الـ ... ـعلم دأباً وأرضه بيضاءُ

ويعم الجهات نفعاً فتحيا الـ ... أرض فيها ويثبت الإحياءُ

وأُصَيحابنا لنا ولهم منـ ... ـكم وفيكم محبةٌ وولاءُ

أكرمونا معْهُم بكل مرامٍ ... وامنحونا ما تُمنح الكرماءُ

أمِّنونا من كلّ خوفٍ وقولوا ... أنتمُ المؤمنون والأمناءُ

أدخلونا حمى العناية ترعا ... نا مدى الدهر عينها العيناءُ

وخذوا كلما عثرنا بأيديـ ... ـنا وقولوا نحن لكم أولياءُ

أبشروا أبشروا بعفو وصفحٍ ... أنتمُ العتقاء والطلقاءُ

كلَّ حاجاتِكم قضينا ونحن ... بالذي تطلبونَه الضُّمَناءُ

أنتمُ مِنّنا ومعنا وفينا ... رحمةً بالضعاف يا رحماءُ

يا رسول الهدى ويا منقذ الغر ... قى إذا الموجُ ليلُه ظلماءُ

هؤلاءِ بنوكمُ دَهَمَتْهُمْ ... فانقذوهم جهالة عمياءُ

أهملوا العلم الاّ القليل وخاضوا ... كلَّ خوضٍ قد خاضه الأعداءُ

فبدتْ لهمُ العداوةُ من أعـ ... ـداء طه والحقد والبغضاءُ

جحدوا حقهم ولم يرتضوا أنّـ ... ـهمُ في الحقوق معْهم سواءُ

جاهروا بالقبيح وانتهكوا ما ... حرّم اللّهُ عاملوا فأساؤوا

وأرادوا بالزُّورِ إطفاء نورِ اللـ ... ـهِ لكنْ بلَعْنِهِ قد باؤوا

أطفئوهم فكلُّ ما أبرموا نقـ ... ـضٌ وما أوقدوا من الحرب ماءُ

يا رسول الهدى بنجدة ذي جـ ... ـدٍّ وغوثاً ترضى به الزهراءُ

أدركوهم لأجل فاطمة الزهـ   ـراء ومن أجل ما حواه الكساءُ

عطفةً فالجدارُ واهٍ بها يقـ   ـوى الجدار ويستقيم البناءُ

وبها الجهل ينمحي وعلوم الـ   ـدين تحيا رياضها الغناءُ

يا شفيع الورى ويا حامل الأعـ   ـبا ولو أن ذا الوجود عباءُ

أنت أدرى بما جرى فإلاما   ذا التمادي إلى متى ذا البطاءُ؟

زُلزل المؤمنون طاشت من الأهـ   ـوال ألبابُهم وضاق الفضاءُ

ما ترى ما دها الشريعة فالديـ   ـن غريبٌ وأهله غرباءُ

غَشِيَتْهُم كوارثٌ ما لهم فيـ   ـها يدانِ وفتنةٌ صماءُ

وأتتهم من كل فجٍّ على الديـ   ـن الحنيفي غارة شعواءُ

بِدَعٌ كالظلام جهلٌ وكفرٌ   وشيوعيةٌ دهت حمراءُ

واتِّباعٌ أعمى لعُمْيٍ فيا لـ   ـلّهِ أعمى تقوده عمياءُ!

وفسوقٌ في الناشئين وطغيا   نٌ ولهوُ الحديث وهْو الغناءُ

ومروقٌ عن الشريعةِ ما الكفـ   ـرُ وما الجاهليةُ الجهلاءُ؟

وسفورٌ للكاسيات العواري   واختلاطٌ وما تشاء النساءُ

وارتكابٌ للمنكرات فعينُ الـ   ـدين مما بكتْهُم قرحاءُ

خَلْفُ سُوءٍ مرماهمُ الخمر والرقـ   ـص وكشف العورات والسينماءُ

قد أضاعوا الصلاة يتّبعون الشـ   ـهواتِ ودينُهم أهواءُ

في نواديهمُ الخليعة نُكْرٌ   يخجل الفحشُ منه والفحشاءُ

ولهم غير ذا أمورٌ عظامٌ   تستحيها البهيمة العجماءُ

فيهم يخطبُ الرويبضة التا   فه لما تأمَّر السفهاءُ

فهم الحاكمون عندهم الديـ   ـن وأهلوه ضأنهم والشاءُ

كلُّ ما قلتموه كان فلم يبـ   ـق إلا شفاعةٌ حسناءُ

فأغيثوا يا أسرع الخلق غوثاً   منه ترتاحُ الملة الغراءُ

وبـه ينجلـي القتـام ويمحـى الـ ـبغـي والغـي فـالضلال هبـاءُ

مـا لهـا كاشـفٌ سواكم فمـن غيـ ـرِكـم للظـلام هـذا جـلاءُ

أنتـمُ ملجـأُ الـورى ومعـاذٌ ومـلاذٌ إذا اسـتحَرّ البـلاءُ

وإليكـم منظومـةً مـن بليـدٍ مـا درى كيـف تنظـم الشـعراءُ

بـاسمكم طـاب عيبهـا وبكـم طـا بـت لكـل الخلائـق الأشـياءُ

وعليكـم مـن الإلـه صـلاةٌ كلـما أعقـب الصبـاحَ المسـاءُ

وعلـى آلـك الكـرام وصحـبٍ وكـذا الأنبيـاء والصلحـاءُ

كـل حـين مـا ذاكـرٌ ذكـرَ اللـ ـهَ وداعٍ ومـا اسـتجيب الدعـاءُ

وسيلة الإنقاذ

وفي شوال من عام ١٣٩٣ هـ اتجه سيدي الوالد من البيضاء إلى تعز لزيارة الحبيب إبراهيم بن عمر بن عقيل، وبصحبته العم صالح الهدار، وولداه طاهر وعبدالله وعبداللاه صالح الهدار، ومن تعز اتجه الجميع إلى الحديدة، ونزلوا ضيوفاً عند الأخ محمد عبدالرحيم باصهي[1]، وبعد سفرهم أُصبتُ بوعكة صحية، فسافرتُ بعدهم إلى

---

(١) محمد بن عبدالرحيم بن عبدالله بن عوض باصهي، شاب نشأ في طاعة الله، من مواليد البيضاء، أخذ قسطاً من التعليم في مدرسة عزة، والده هو خال سيدي الوالد، كان رجلاً من الصالحين الأخيار عاش في البيضاء واغترب في مقديشو، ثم استقر في مدينة البيضاء وبها توفي عام ١٤٠٥ هـ .

أما الأخ محمد بن عبدالرحيم فقد اغترب مع والده في مقديشو وتناول أسباب التجارة بها، ثم عاد إلى الحديدة وانتقل بأسرته إليها، وكان سيدي الوالد يحبه كثيراً ويتردد على منزله في الحديدة حتى إنه خصص جناحاً خاصاً له ولمرافقيه ولضيوفه، وكان إلى جانب

تعز، ونزلتُ عند سيدي الحبيب إبراهيم، وقد قدمت له قصيدة شعرية قلتها في الطريق، وعلى الفور من تقديمها له أجاب عليٌّ رحمه اللّه بقوله:

يا أَبَرَّ الإخوانِ والأولادِ | وسليلَ الأئمةِ الأمجادِ

عمله التجاري يتردد على بيوت اللّه ويتعاهد الحلقات العلمية بها، ثم أصيب بوعكة صحية وحينما علم سيدي الوالد بما جرى له -وكان في مكة المكرمة- طلب وصوله فتم سفره وكنت ممن ودَّعه ، ولم يطل المكث هنالك فعاد إلى الحديدة وبها انتقل إلى جوار ربه سنة ١٤٠٧ هـ ، وقد أبَّنه كثير من العلماء منهم الشيخ محمد بن علي مرعي والشيخ نصر الدين العقاد، وقد قال فيه السيد عبداللّه بن يحيى الأهدل يرثيه :

فكيف ثبوتُ العقل والقلب قد ثوى | ببطن الثرى واغبر وجه المكارمِ
فتى طيب الأخلاق والسابق الذي | غدا موته في الناس إحدى العظائمِ
قضى في مجال الخير كل حياته | فواهاً على شخص منير المعالمِ
وداعاً حليف العلم بالحزن والأسى | كذا الموت يأتينا برغم الرواغمِ
إلى اللّه سلمناك يا خير صحبنا | إلى ربك الترحال يا خير قادمِ
هنيئاً إلى مثواك يا خير نازل | إلى خير منزول وأكثر راحمِ
فيانفس لا تبكي عليه وسلمي | كذاك قضاء اللّه أعدل حاكمِ
فلا تعشق الدنيا فسرعان ما انتهت | فعادت أحاديثاً كأحلام نائمِ
فيا آله الأمجاد صبراً فإن ما | تكوَّن في الدنيا فليس بدائمِ
وسرعان ما يلقى المحب صفيه | لدى جنة الفردوس دار الأكارمِ
محمد لن ننسى محياك إنه | سيبقى تراه العين رسمة راسمِ
لقد كان سباقا إلى الخير مثلما | لقد كان في المحراب إحدى الدعائمِ
فما مات بل أحيا صفاء مخلدا | وذكرى يعطرها بأسما المكارمِ
عليك من الأعماق أزكى سلامنا | إلى قبرك السامي كوبل الغمائمِ
وتغمر مثواك النضيرَ تحيةٌ | بروح وريحان كوبل السواجمِ
وأزكى صلاة اللّه تغشى محمداً | إمام الهدى والحق غوث العوالمِ
كذا الآل والأصحاب ما خرّ ساجدٌ | وما ناح فوق الأيك سرب الحمائمِ

جـاءني منـك دَرٌّ عِقـدٍ نَضِيـدٍ   فشَفى خـاطري وأَحيـا فـؤادي
فجـزاك الإلـهُ خـيرَ جـزاءٍ   وكفـاكُمْ مِـن كُـلِّ سـوءٍ وعـادي

وقد أرسلتُ برقية إلى الحديدة أعلمتُ سيدي الوالد بوصولي إلى تعز للعلاج وبعد العرض على الطبيب وطلب الإذن من الحبيب إبراهيم اتجهت إلى الحديـدة، فوجدت سيدي الوالد ومعه الأخ عبدالقادر بن علوي القربي[1] وإذا بـه يتهيـأ للسفر إلى تعز للاطمئان على صحتي، فحمد اللّه على وصولي بالسلامة .

وعند مقابلتي له خنقتني العبرة، وقد رحب بي كثيراً ومكثت لديه عدة أيام فأشار عليَّ بالحج في ذلك العام عن خالي عبداللّه بن صالح الجفري، واتجه رحمه اللّـه بصحبة ولديه طاهر وعبداللّه إلى الأراضي المقدسة بالطائرة، أما راقم هذه الأحرف فقد لحقت بهم عبر البحر، بصحبة الأخ أحمـد محمـد المشعبي في بـاخرة تسمى «السلام» ومعنا الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط وعائلتـه، ونـاصر نـاجي ومحمـد مـاجد وعلي شميله وعلي عبدالنبي عرمان والحاج أحمد الجالسي ومحمد حسين علي الرماح وآخرون، وقد تأخرت الباخرة في البحر كثيراً فوصلنا بعد جهد جهيد إلى جـدة، واتجهنـا إلى المحجـر الصحي ومكثنا به نحواً من ثلاثة أيام، قابلنا فيه السيد محمد بن عباد السقاف[2] الرجل

---

(١) عبدالقادر بن علوي القربي ، رجل أعمال مشهور، من مواليد البيضاء، وبهـا نشأ وترعـرع وتلقى تعليمه فيها، ثـم سـافر للكـدح في سبيل الـرزق، وأخيراً استقر في مدينـة الحديـدة، وزاول بها مهنة التجارة، مع عقل راجح وتفهم لعواقب الأمور، وأخلاق فاضلة جعلته يحـوز قصب السبق بين أقرانه، ولازال بها تحفه عناية اللّه جعل اللّه الخير باقياً فيـه وفي عقبـه وإيانـا آمين .

(٢) هو السيد العابد الناسك ذو الكرامات الخارقة محمد عباد بن علوي بن عبداللّه بن سقاف بن أحمد بن علي بن سالـم بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالـم ، كان على جانب عظيم من الصلاح والنسك والعبادة، اغترب في باكورة شبابه في بريطانيا، وقـام بـدرو كبير

الصالح الذي طالما ظهرت على يديه الكرامات الخارقة للعادة، ثم لحقنا بالوالد إلى المدينة المنورة فوجدناه في رباط السادة، وقد دخل اليوم ضمن التوسعة الجديدة للحرم المدني، وفي أثناء تلك الزيارة وجنوب اليمن تعج بالبلاء الماركسي قال رحمه الله هذه القصيدة تجاه الحضرة المشرفة وقد سماها «وسيلة الإنقاذ»:

أين أين المفرُّ أين النجاةُ ... والليالي خطوبها كالحاتُ

ما لها كاشفٌ سوى جاه طه ... فإليه الملاذ والإلتفاتُ

فهو بحر الهدى ذنوبُ جميع الـ ... ـخلق في موجه العظيم قذاةُ

وهو كهف اللجا إن جد خطب ... يَمَّمَتْهُ الرعية والرعاةُ

فهو كنز الغنى ثمال اليتامى ... وشفيع أقواله نافذاتُ

كل ما شاء شاءه اللّه وعداً ... صادقاً والضحى به مخبراتُ

يا رسول الهدى إليكم هرعنا ... وعلى بابكم تحط العفاةُ

أنت باب الإله تقضى مع غفـ ... ـر الخطايا لنا بك الحاجاتُ

كم بكم ذُللتْ أمور صعاب ... وهي لا شك قبلُ مستعصياتُ

وبكم كَشْفُ كلِّ كرب مُلِمٍّ ... وبكم تتيسر المعسراتُ

وبكم قُربت طريقُ بعيدٍ ... فدنت فشهورها ساعاتُ

وبكم سُخرت لنركبها الـ ... ـفلكُ كما سخرت لنا الصافناتُ

في الدعوة إلى اللّه ، وكانت تأتيه فترة من الوقت يصاب فيها بذهول عجيب يتكلم بكلام غريب ، اشتهر بين الأهالي بكرامات خارقة للعادة، وكان محبوباً لدى كافة الأهالي يلتمسون منه صالح الدعاء، وفي فترة صباي مر رحمه اللّه قريباً من المنزل الذي تسكن فيه والدتي رحمها اللّه فقالت لي: اذهب إليه واطلب منه أن يدعو لك، وكان كثير التردد على عدن ولودر وسكن منطقة مذوقين ثم انتقل إلى مدينة البيضاء وبعدها انتقلت أسرته إلى الحديدة واستمر بها إلى أن فاجأه الأجل المحتوم سنة ١٤٠٣ هـ تقريباً رحمه اللّه رحمة الأبرار.

وســـواها لزينـــة ولحمـــل ... وكـذا المسـرعات والنـاقلاتُ
وهـي في قولـه تعـالى: ﴿ومـا لا ... تعلـمون﴾ جميعُهـا داخـلاتُ
فلـه الحمـد سـخر الـبر والبحـ ... ـر لنـا فهباتُـه وافـراتُ
وكـذا سـخر الفضـاء لنـا نجـ ... ـري عليـه تشـقه الطـائراتُ
من وراء السحاب سبحان من سـ ... ـخّـر هـذا وفعلـه معجـزاتُ
كـم قطعنـا مَهامِهـاً واسـعاتٍ ... تنطـوي تحتنـا فـلاةٌ فـلاةُ
ولنـا شـافع البرايـا طريـق ... غـير هـذا وكلهـا عقبـاتُ
فعسـى تنطـوي بكـم وإليكـم ... فتهـون المراتـب الرافعـاتُ
فـوق متنِ التّقـى المكلّلِ لطفـاً ... وعيـون العنايـة راعيـاتُ
فيخـف الطريـق حسـاً ومعنـى ... فأتـموا هبـاتكم تامـاتُ
ثـم جـد المسير حتـى وصلنـا ... طيبـةً طـاب ماؤُهـا والنبـاتُ
وقضـى اللّـه أن نقـوم مقامـاً ... تنتهـي فيـه للـورى الرغبـاتُ
مـنزلاً عـزّ أن ينـال بجـد ... رحمـة اللّـه فيـه والنفحـاتُ
فوقفنـا بحمـدِ رَبٍّ كريـمٍ ... موقفـاً فيـه توقـف الغايـاتُ
فيـه حِرنـا ومِـن سـناهُ ذُهلنـا ... مـا نـرى مـا رآه فيـه التقـاةُ
فلقـد شـاهدوا أمـوراً عظامـاً ... لا تسـامى كمـا رواه الثقـاتُ
فهنـا تنتهـي المطـالب جمعـاً ... ما الصفا ما منى ومـا عرفـاتُ؟
وهنـا حضـرة تجـل عـن المـد ... ح ومنهـا تُفـرع الحضـراتُ
فهـي للعـارفين قـرة عـين ... وهـي ألخلـوات والجلـواتُ
وهنا منبـع الهـدى فشموس الـ ... ـدين والعلـم مـن هنـا طالعـاتُ
وهنـا رحمـات ربٍ كريـم ... شـاملات لخلقـه واسـعاتُ
وهنـا معـدن المواهـب والأر ... زاق حيـث تضـاعف البركـاتُ
وهنـا تقسـم العطايـا ولا خـو ... ف مـن الحيـف فـالعدول ولاةُ

هــذه حضــرة مطــالب مــن جــا   ءَ إليهــا مصدقـــاً حـــاصلاتُ
هــذه حضــرة فمــن جاءهــا يــد   عــو أجيبــت لــه بهــا الدعـــواتُ
هــذه حضــرة تبــارك مــن يَسَّــ   ــرهــا فســـعى إليهـــا الســـعاةُ
قـــل لزوارهـــا: شـــفاعة طـــه   لهـــمُ في معـــادهم واجبـــاتُ
ولهــم في الحيــاة مــا شــاءها اللـــ   ــه وعنهــم تكفـــر الســـيئاتُ
مــا تــرى الزائريــن والبِشْــرُ بــادٍ   فوقهــم فوجوههـــم مســـفراتُ
طفحــتْ منهــمُ القلــوبُ ســروراً   وتوالـــتْ عليهـــمُ المفرحـــاتُ
طــار عنهــم مَنامُهم هــان مــا قــد   بذلـــوا والــــمراحل المتعبـــاتُ
مــا يكــادون ينطقــون خيــار الـــ   ــوفـــد إلا ونطقهــم صلـــواتُ
فعســى مكــرم الكــرام ووهـــا   بُ الـــمزايا تعــاد منــه الهبــاتُ
قـــاسمين العطـــاءِ هـــذا عُبَيـــدٌ   وذَوُوه لهـــم تَحُـــلُّ الزكـــاةُ
فقـــراءُ مـــن التقـــى غـــارقونَ   في الــردى عــابرون غفــل جفــاةُ
ولهـــم في الـــذي أفـــاء عليكـــم   ســهم قربــى ومــا حوتــه الغـــزاةُ
ولهـــم رحـــم وإن قطعوهـــا   وصلهـــم لازم يقـــول الـــرواةُ
فعســى يوصلــون منكــم برحمـــى   وعلــى قدركــم تكــون الصِــلاتُ
مــا لنــا راحــم ســواكم عصينــا   فبَعُدْنـــا كـــذا يُجـــازى العصـــاةُ
فاتنـــا أن نكـــون معكـــم لأنّـــا   حجبتنـــا الذنـــوب والشـــهواتُ
فأتينـــاك مســـتجيرين مِنّـــا   مِنّنـــا داؤنـــا ومنـــا الشـــكاةُ
ووجمنـــا لا نهتـــدي لـــمقال   عنــد مَــن هُــم لكــل هــاد هــداةُ
ثـــم إنـــا علـــى الكـــلام تجـــرأْ   نـــا ولـــم يجـــترِ ســـوانا الجـــراةُ
حســنَ ظــنٍّ بمــن هــمُ الرحمــة العظـــ   ــمــى وللـــمذنبين منـــا أســـاةُ
يــا رســول الهــدى عليكــم مــن اللّـــ   ــه تعــالى مــدى الزمــان الصــلاةُ
كــل حــين مــع الســلام بعَــدِّ الـــ   ــخلــق والأمــر ضعفهــا حســناتُ

يـا شـفيع الـورى على البـاب وفـدٌ … مـن لبـاس التقــى حفــاةٌ عــراةُ
مســتغيثون مــن دواه كبــار … دهمتهــم بهــا الطغــاة البغــاةُ
دهمتهــم في دورهــم وتوالــتْ … فوقهـم مـن شـرارها اللفحــاتُ
مـن فريـق قـد أعلنوا الكفر جهـراً … مـا عتــى مثلهـم عليهـا عتـاةُ
فئــة مرقــت عــن الديــن بغيــاً … ولهــا تحـت كـل نجـم فئــاتُ
استباحوا الحـرام حلـوا عـرى الإســ … ـلام بـل جـاوزوا الحـدود وفـاتوا
بدلــوا نعمــة الإلــه جحــوداً … وارتــداداً وللصــلاة أمــاتوا
أعلنــوا حربهـم علـى ديـن طــه … وأشـــاعوا بأنــــه رجعيــاتُ
كفـروا فجــروا وكـم قتلـوا كـم … شــردوا وشــعارهم منكــراتُ
هتكـوا الســتر فــالفجور نجـاحٌ … عندهـم والحجـاب فيهـم كبـاتُ
جــددوا كربــلاء بــل جاوزوهــا … فبنوكــمْ أســرى لديهــم عنــاةُ
ذبحــوا الأتقيــاء ذبحــاً فظيعــاً … فلهــم قبــل قتلهــم قتــلاتُ
مـا لهـم مشـبه مـن الكفـر في مـا … قـد مضـى فـإلى متـى ذا السـكاتُ
كل ما قد جرى علـى وفـق مـا قلـ … ـتـم فـأين الشـفاعة المســرعاتُ
عَظُمَ الخطبُ ضـاقتِ الأرضُ ذرعـاً … زُلــزل المؤمنــون والــمؤمناتُ
رفـع الجـورُ رأسَـه خفــي الحــ … ـقُّ متى نصركـم متـى الغـاراتُ؟
أســرعوا أسـرعوا بغــارات جــدٍ … منقــذات ســهامها صائبــــاتُ
أسرعوا أسرعوا بجيش من الصحـ … ـــب وجــبريل فوقــه الرايــاتُ
وعلــيٌّ أمامــــه والحســـينا … نِ جناحــاه والفــروع الرمــاةُ
يــذرون العــدو صرعــى فــلا يمــ … ـسـون إلا وهــم خميـد رفـاتُ
أينمــا يُثقفــوا يُبـادوا فــلا تبــ … ـقـى لهــم في ذه الدنــا باقيـاتُ
أنتــم أنتـــم الغيـــورون للـــ … ـــهِ حــدود الإلـــه منتهكــاتُ
ارحمــوا نســوةً ونشــواً صغــاراً … باكيــاتٍ عيونُهــم ســاهراتُ

ارحمـوا نقـوة شـيوخاً كبـاراً — في الليـالي دعـاؤهم صرخـاتُ

أدركـوا صفـوةً تضمّنهـا السجـ — ـنُ وفيهـم هداتنـا والدعـاةُ

أنقـذوا عـترةً تعـز عليكـم — جرحتهـا الجـوارح النابحـاتُ

قد جـرى مـا كفـى فصفحاً جميلاً — وكفـى مـا جـرى ارحمـوا يا رعـاةُ

مـا لنـا قـوة وليـس لنـا ركـ — ـن سـواكم ومالنـا طاقـاتُ

وبحمـد الإلـه من أجـل ديـن اللـ — ـه هـذي العـداوة والشـماتُ

فاسـتغيثوا إلهكـم وأغيثـوا — وانصروا الدين ما سـواكم حماةُ

طهِّروا الأرض مـن فريـقٍ خبيـثٍ — هُـم علـى دينكـم حقـودٌ عـداةُ

أحرقوهـم وأغرقوهـم عليهـم — غَضَـبُ اللّـهِ صُـبَّ واللعنـاتُ

هـذه حاجـة وأنتـم بهـا أد — رى وفي النفس سـادتي حاجـاتُ

فاشـفعوا تؤجـروا وقولـوا تجـابوا — فالـمحالات عندكـم ممكنـاتُ

وصـلاة مـن الإلـه عليكـم — وسـلام ورحمـة غـامراتُ

وعلـى الأنبيـاء والآل والأصـ — ـحـاب والتـابعين والبركـاتُ

كـل حـين بعَـدِّ مـا علـم اللـ — ـه بهـا تـمتلي الربـى والجهـاتُ

ملء الميزان ومنتهى العلـم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبـداً ياالله ياالله ياالله عدد نعمك وإفضالك مئتي ألف ألف ألف مليون مرة في كل ذرة مـن ذرات الوجود الخلقي ياالله ياالله ياالله، وفي كل لـمحة ونفس أبداً بلسان كل عـارف مثل ذلك كله عـدد خلقـك ورضـا نفسـك وزنـة عرشـك ومـداد كلـماتك، تـمت بحمدالله يوم الاثنين ٢٤ القعدة الحرام ١٣٩٣ هـ بطيبة شرفها الله وزادهـا تشـريفاً في كل حين كما يحب ويرضا، وجعلنا من صفوة أهلها وذرياتنا وأحبابنا في عافية آمين.

الرحلة إلى الحبشة

وهي رحلةٌ مختصرة، كانت عام ١٣٦٥ هـ لـم يطل له المكث فيهـا بعـد أن فاجـأه نبأ وفاة والده رحمه اللّه، حيث توجه بصحبة شيخه العلامة عمر بن عوض حداد، أمـا هو فقد اجتـمعت به الجالية اليمنية كما أسلفنا وبـالذات أهـالي البيضـاء وكـانوا على معرفة بوالده، ورأوا أنه الابن الأكبر وأن عليه العودة لرعايـة إخوانـه وتدبـير شـؤون أسرته، وعاد منها يعصر فؤاده الأسى والحزن، قال لي رضـي اللّـه عنـه بعـد أن قـص عليَّ القصة: كان آخـر وداعـي بوالـدي رحمـه اللّه في منطقـة أسلـم في أرض زراعيـة يملكها هناك، ولـم أره بعدها فعسى اللّه أن يجمعـه وأحبابـه في مستقر رحمتـه . فلقـد كان كثيرا مايردد هذا البيت للإمام الحداد:

يـــارب واجمعنـــا وأحبابـــاً لنـــا   في دارك الفـردوس أطيـــب موضـــع

ويقول إن هذه الدعوة هي المعني بها في قول الإمام الحداد:

حاجـــــة في النفـــــس يـــــارب   فاقضهـــــا ياخـــــير قـــــاضي

فعسى ذلك، ونسأل اللّه أن يلحقنا بهم في أعلى فراديس الجنان بعد طول العمر في طاعته ورضاه .

قلت: وقد أفادني رحمـه اللّـه أن الحبيـب عيـدروس بـن أحمـد عـم الوالـد عبداللّـه الهدار بن شيخ رآه في منامه في موكب كبير ينشد هذا الزامل باللّهجة الحمينية:

ياللّـه تجيـب الغيـث مـن جـل البلـد   تشرب عجـوم البـل هـي والضانهـا

والا فمانـا خـالقي قـد سـاق لي   حبـة عنـب والقـوت مـن رمانهـا

وكلمة « جل » محرفة عن أَجْل .

وقد عاد رحمه الله من الحبشة، وفي عدن قابل مفتي حضرموت الحبيب عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف كما أسلفنا ثم عاد إلى موطنه .

رحلته إلى الصومال

أما رحلته إلى الصومال فقد كانت في عام ١٣٧٠ هـ بتشجيع من أخواله آل باصهي، حيث كانوا يقيمون بها يتعاطون أسباب التجارة، وبالذات خاليه محمد وعبدالرحيم ابنا عبدالله عوض باصهي، وهما من أسرة عريقة من كنده أصلهم من شبام حضرموت، وسكنوا مدينة البيضاء منذ القرن العاشر الهجري تقريباً حيث كانت البيضاء مركزاً تجارياً، يربط شمال الجزيرة العربية بجنوبها كما سبق، ولازال المثل الحضرمي الشهير يتداول على ألسنة الأهالي قاطبة والذي يقول بالشعر الحميني:

يامقرب الليلة البيضاء وما ابعد شبام　　على الجمال المنيبة والرجال الهمام

ويقال أن أسرة آل باصهي من أول الأسر التي نزحت من شبام إلى البيضاء، وقد اطلعت على معروض إلى الإمام المهدي أحمد بن الحسن «سيل الليل» يطلب فيه أفراد هذه الأسرة السماح لهم بالتنقل دون خفير أوغفير، وبأعلاها أمر من القائد أحمد بن الحسن، ولعله حين دخوله البيضاء ١٠٤٦ هـ حينما دخلها على رأس جيش عرمرم بعد معركة مهولة قتل فيها السلطان حسين بن أحمد بن علي الرصاص في خلافة المتوكل على الله إسماعيل الذي تم توحيد اليمن في عهده .

ونعود إلى رحلة الحبيب محمد الهدار إلى الصومال فنقول: لقد وصل إليها عبر عدن، بعد رحلة مضنية، وأخيراً استقر في مقديشو، وعُين إماماً وخطيباً لمسجد مِرْوَاس، وقد أقام سنة ونصف في ذلك المسجد، وفيه قام بالتدريس لفروع الفقه

والعربية، وفي تلك الآونة قَدِمَ شيخه الحبيب أحمد مشهور الحداد فقال بمناسبة قدومه قصيدة شعرية مطلعها:

شرحت باللقاء قلب الكئيب وشفتني بريق ثغر شنيب

وقد أوردناها مع الرد من شيخه الإمام أحمد مشهور الحداد في ترجمته .

وله حكايات أدبية نادرة مع زملائه تسجل بماء الذهب، غير أنا لا نستطيع ذكرها في هذه العجالة، وحينما أزمع على الرحيل وَدَّعَه جمع غفير من أهالي مقديشو وعلى رأسهم العلامة الكبير الشيخ محمد بن عبدالله شداد، وقد ألقى في ذلك المجمع قصيدة مطلعها قوله:

ألا سر أيها البطل الأجلُّ فنجمك حيثما يمَّمْتَ يعلو

وممن كان يطلب العلم لديه في مسجد مِرْوَاس الرئيس الصومالي السابق عبدالرشيد علي، وقد كان رحمه الله يقوم بتدريس « صفوة الزبد » و« مختصر أبي جمرة » ، وأخيراً أمر تلميذه الشيخ محمود بن عبدالباري حاج إبراهيم[1] والحاج

---

(١) هو الشيخ العلامة محمود بن عبدالباري حاج إبراهيم، من أبرز الطلاب الذين درسوا على يد الوالد، فقد تلقى كثيرا من المعلومات العلمية عنه واستفاد منه كثيراً، وصل من الصومال إلى البيضاء بصحبة الشيخ سالم ناجي ومكث في الرباط نحواً من أربع سنين يكرع من معينه، ثم عاد إلى الصومال، وفي مدينة بيدوا أسس رباطاً للعلوم الشرعية كفرع للرباط وذلك بعناية ورعاية سيدي الوالد رحمه الله، ولا زال الرباط المذكور يعطي ثماره طيبة بحمد الله، ويضم بين أروقته نحواً من ثلاثمئة طالب علم، ويعتمد في نفقاته على ما يجود به المحسنون من أهل الخير، ويسعى الشيخ محمود لجمع التبرعات والإنفاق على محتاجات الرباط المذكور، ولازال بخير تحفه عناية الله ورعايته .

سالـم بن ناجي اللسواس[1] أن يُؤَسِّسَا رباطاً في مدينة « بيدوا » بالصومال، وقد تـم ذلك بنظـره وتحـت توجيهاتـه، وهـو معمـور الآن يقصـده الطـلاب مـن كـل حـدب وصوب، وبالذات من محافظات الصومال ومن الدول المجـاورة ككينيا واثيوبيـا، وقـد أثـمرت الدعوة هنالك ونجحت نجاحـاً منقطـع النظـير، فالحمدللّـه الـذي بنعمتـه تتـم الصالحات، وقد مدحه الشيخ أحمد الدوله ساكن الصومال بقصيدة عصماء مطلعها:

قـم للتهجـد في دجـى الأسـحار واضـرع إلى المـولى الكريـم البـاري

وفيها يقول:

قـل للحبيـب أبـي الحسـين محمـد نسـل الأئمـة مـن بنـي الهـدار
جوزيـت خـيراً إذ غرسـت بأرضنـا غرسـاً فجـاء بـأطيب الأثـمار

---

(١) هو الشيخ سالـم بن ناجي بن صالح اللسواس، مـن مواليـد البيضـاء، رحـل إلى الصومـال في صباه بصحبة والده الذي كان يزاول مهنة التجـارة هنـاك، كـان ولازال مـن أبـرز المـترددين على الرباط، وعلى الدروس ومحاضرات سيدي الوالد رحمه اللّه، وهـو ذو خـط حسـن جمع كثيراً من الفوائد والأذكار والـمؤلفات الخاصـة بـالوالد، بـل إن معظـم مؤلفاتـه كـان يقـوم بنسخها قبل تقديمها للطبع جزاه اللّه خيرا، وانتقل من الصومال إلى البيضاء، وبها مكث فترة من الزمن، ثـم انتقل إلى مكة المكرمة، وهنالك لازم الوالد ملازمة الظل للشاخص، ثـم رأى أن يعود إلى بيدوا بالصومال وليساعد الشيخ محمود عبدالباري في الرباط، ولازال بحمـد اللّـه في خير وعافية.

رحلته إلى إفريقيا

كانت رحلته إلى إفريقيا لزيارة شيخه الحُلاحل العلامة عمر بن أحمد بن سميط[1] والذي استوطن جزر القمر أخيراً، وقد كانت هذه الرحلة في أحلك الظروف والشطر الجنوبي من اليمن يعج بالوباء والبلاء الماركسي، وذلك في فترة قتله وخطفه لكثير من العلماء الأعلام.

وقد دَوَّنَ رحلته رحمه الله فقال فيها: توجهنا بصحبة الأخ في الله أحمد بن حسين الجنيدي[2] في ١٣رجب ١٣٩٥ هـ، لزيارة الإمام عمر بن أحمد بن سميط، وقد مرا في جيبوتي وبقيا فيها فترة، وكان سيدي الوالد يقيم محاضرات بين المغرب والعشاء،

---

(١) هو العلامة القدوة الإمام عمر بن أحمد بن سميط ، ولد في مدينة أواسند بجزر القمر عام ١٣٠٣ هـ وأخذ عن والده كثيراً من المعارف والعلوم، وفي شبابه انتقل إلى حضرموت للأخذ عن علمائها حسبما حكى ذلك في كتابه «النفحة الشذية» ، وهو مع ذلك جم التواضع يجلس دائماً حيثما ينتهي به المجلس وبالذات في مجالس الوعظ، تولى القضاء في زنجبار، ثم بعد وفاة والده أخذ بمقامه وتولى التوجيه والإرشاد ، وتردد كثيراً على حضرموت وعدن ، وقد زرته مراراً منها بصحبة سيدي الوالد رحمهما اللّه ، ثم انتقل إلى جزر القمر واستمر بها داعياً ومرشداً إلى أن توفاه اللّه بها سنة ١٣٩٦ هـ . وعلم سيدي الوالد بالنبأ فاتجه إلى عزة وعمل بها درساً لعدة أيام وأبّنه فيها بكثير من الكلمات العظيمة مستطرداً نزراً من سيرته العاطرة .

(٢) هو أحمد بن حسين بن محمد الجنيدي، ولد في قرية الماذن من ضواحي البيضاء، ونشأ بها نشأة صالحة، واشتغل بالتجارة فترة وكان على جانب عظيم من الصلاح والاستقامة، محباً للعلم وأهله، كثير التردد على العلماء، توفي في جدة بعد مرض ألم به ودفن في مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ ، وكانت بينه وبين سيدي الوالد أخوة في اللّه ، وقد رافقه في كثير من أسفاره رحمهما اللّه جميعاً وإيانا آمين .

وتعرف عليه الكثير من الأهالي ومنهم أناس أصلهم من محافظة البيضاء وهم علي السباحي وحسين الحداد وأولاد الشيخ عبدالرحمن الفقير، أما نزولهم فقد كان في منزل الشيخ يحيى باجرش، وبعدها اتجها بالطائرة حتى وصلا إلى جزر القمر، فاستقبلهم أهلها أحسن استقبال.

قال رحمه اللّه: وبقينا في جيبوتي إلى ٢٨رجب وتوجهنا بالطائرة النفاثة السريعة إلى «مروني» بعد ثلاث ساعات، وقد وصلا بسلامة اللّه وكان في استقبالهما السيد محمد بن علوي أبو نمي وآخرون، وقصدوا منزل الحبيب عمر وقد قدم له سيدي الوالد هذه القصيدة:

حثتنا المطايا في سبيل أولي النُبل ... وعذنا عسى أن لا نميل عن السبلِ
طوينا رمالاً واسعات وأبحراً ... عراضاً إلى بحر المكارم والفضلِ
إلى مركز الأسرار والنور والبها ... إلى حضرة كبرى تجل عن المِثلِ
إلى معدن الخيرات مفتاح بابها ... إلى كعبة الزوار والمنهل الأصلي
إلى وارث الأسلاف من غير حاجب ... بفرض وتعصيب لذا فاز بالكلِ
إلى كهفنا الأعلى إلى الملجأ الذي ... نلوذ به في الخطب والصعب والسهلِ
إلى درة السمط النفيس الذي غدا ... إماماً لأهل العلم والعقد والحلِ
أبي الخير وابن الخيرِ والخيرُ كلُّه ... له ولأهليه فللّه من أهلِ
بحور الندى آل السميط همُ همُ ... شموسُ الهدى تمحي دجى المحلِ
خلاصة أهل السر حسبك منهم ... إذا ظفرت يمناك بالسيد الفحلِ
هو عمرُ ابن القطب أحمد ليثهم ... فأكرم به ليثاً أتانا بذا الشبلِ
«مروني» متى كنتِ لدى الشمس مطلعاً ... ومن أين حزت مورد النهل والعلِّ؟
متى صرتِ مثوى نور آل محمد ... متى حَلَّ فيك مفخر الفرع والأصلِ؟
به صرتِ في ذا العصر أسعد بقعة ... هنيئاً «مروني»ما خُصصت من الفضلِ

عليك «مروني» كل حين تحية   من اللّه لا تفنى إلى موقف الفصلِ

أيا سيداً قد حاز كل فضيلة   وفاق على أهل الفضائل بالبذلِ

على بابكم عبدٌ لهيفٌ مقصِّر   صريخ حزين القلب مستضعف مقلي

جريحٌ طريحٌ غارقٌ قد تضافرت   عليه الأيادي من أعاديه والجهلِ

قضى مامضى في اللّهو يتّبع الهوى   دعاه فلباه إلى أسفل السفلِ

عديمٌ يتيمٌ سائلٌ ضل رشده   يخبط لا يدري كسارحة الغفلِ

أتاكم على باب المسافة لائذاً   بكم مستغيثاً من مشاكله العضلِ

به ضاق رحب الأرض وانقطع الرجا   وصارت خطوب الدهر من فوقه تغلي

وجاءكمُ يشكي قساوة قلبه   وَضَيْعَةَ عمر مرَّ في أقبح الفعلِ

وغفلته عن ربه ومعاده   وحيرته مما يشيِّبُ للطفلِ

أمور عظام ماها كاشف سوى اعـ   ـتنائكمُ والعطفِ والكرمِ الجزلِ

وفي النفس حاجات وعلمكم بها   محيط وبالأولاد والصحب والأهلِ

فكلهم يشكون مما شكى ومن   زمان زمام الأمر فيه لدى النذلِ

فهيا سريعاً نظرة نبوية   بها يحصل المطلوب والمقصد الكلي

لنرجع منكم ظافرين بكل ما   نوينا وما أنتم له الأهل يا أهلي

وإن صلاح الدين والقلب سيدي   هو الغَرَضُ الأقصى فيا سيدي هب لي

فأنتم لنا الغوث المغيث وللورى   وأنتم بإذن اللّه حمّالة الثقلِ

فياحاملي الأثقال عن إذن ربهم   أضيفوا إلى أحمالكم أبداً حملي

وأغنوا بلا نهر وأعطوا بلا بطا   ومنّوا بلا مَنٍّ وجودوا بلا مطلِ

سريعاً سريعاً غارة علوية   معجلة من قبل نائحة الثكلِ

وأنتم على علم بنا وبقطرنا   وما كان فيه من أساكفة النَّعلِ

وماحل بالوادي المبارك مربع الـ   أئمة من ظلم وكفر ومن قتلِ

فأبناؤكم فيه يقاسون شدة   وحبساً وتشريداً وقاصمة الشملِ

وقد عاث أهل الإفك ظلماً وحاربوا الـ ـشريعة جهراً بالمقال وبالفعلِ
فكم أضرموا للكفر والفحش جذوة شرارتها طارت إلى الجو تستعلي
ولم يبق من يرجى لها غير جاهكم فلا وزرٌ يغني ولا صاحب يسلي
دَراكِ فقد صال اللئام وأظلمت جميع النواحي واستطال ذوو الجهلِ
وقد قال للمختار من جاء لائذاً: فأين فرار الخلق إلا إلى الرسلِ
وأنتم لطه الوارثون وآله كذاك لأهل اللّه في الوعر والسهلِ
فلا كاشف للخطب هذا سواكم ولا لظلام الليل غيركم يجلي
وصلّى إلهي كل حين وساعة على خير مبعوث مع الصحب والأهلِ
وكل نبي مع سلام مضاعف بعَدّ الحصى والقصر والذر والرملِ
صلاة بها يرضى وتشمل بعده جميع عباد اللّه متبعي الرسلِ

وفي جزر القمر نزل ضيفاً كريماً عليهم مع زميله، وتنقل للوعظ والإرشاد من منطقة إلى أخرى مع وجود مُترجِم يترجم المواعظ إلى لغتهم، والمترجم من آل جمل الليل أسرة أصلها من حضرموت، وقد زار ضريح الإمام محمد بن شيخ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، والحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط، والحبيب أبي بكر بن عبداللّه بن سميط، وهم من حضرموت وممن قاموا بنشر الدعوة الإسلامية في تلك الأصقاع، حتى إذا أزمعا على الرحيل وفي يوم الجمعة وبعد عصرها اجتمع خلق كثير لقراءة المضرية للإمام البوصيري فاستأذن سيدي الوالد رحمه اللّه ليقول مودعاً لذلك العالم الكبير:

وداعاً أيها البحر المفيضُ وداعاً والفؤاد به مريضُ
وداعاً يلهب الأحشاء جمراً فسل عنه المحاجر إذ تفيضُ
وكيف وليس في الدنيا جميعاً عن المحبوب حقاً ما يعيضُ
قضاء لا يرد وحكم ربّ حكيم ما لحكمته نقيضُ

فنحمـــده علـــى منـــن عظـــام ... تفيـض علـى الـدوام ولاتغيـضُ
ونســـأله يمتعنـــا تعـــالى ... بسـيدنا ويذهــب مـا يغيـظُ
ويجمعنـــا هنـــا بهــم دوامـــاً ... وثـم وحيثـما الـروض الأريـضُ
ونرجـع ظـافرين بمـا رجونـا ... وقـد زال البــلاءُ والجريــضُ
وندخـل مرتـع الأحبـاب والأمـــ ... ـــنُ فيـه مســتَتِبٌّ مســتفيضُ
ومـــاذاك علـــى اللّـــه عزيـــز ... فبحـر الفيـض فيـاض يفيـضُ
ولا سِـيما وقـد لذنـا بمـن لا ... يفـي بعـلاه نـثر أو قريـضُ
غيـاث الخلـق قسـام العطايـا ... خليفـة مـن لـه الجـاه العريـضُ
عليـــه وآلـــه صلـــى إلهـــي ... مـع التسـليم مـا افـترَّ الوميـضُ

وبعد رحيلهما من جزر القمر اتجها صوب « ممباسه » لزيارة شيخهما الإمام أحمد بن مشهور الحداد، وقد التقيا بالسيد العالم الكبير الحبيب هادي بن أحمد بن عبداللّه الهدار[1] عند الحبيب أحمد المذكور، وكانت معهم جلسات طيبة مباركة، طالما ذكرها سيدي الوالد رحمه اللّه بغاية من الإعجاب، وقد قال السيد هادي الهدار فيهم قصيدة ترحيبية منها قوله:

أهـلاً بمقـدمِ صفـوةٍ ممتـازةٍ ... مختـارةٍ مـن سـادة أخيـارِ

---

(١) هو العلامة الأديب هادي بن أحمد الهدار، من مواليد عينات، وبها نشأ وترعرع، وأخذ مبادئ العلوم على يد والده والحبيب حسن بن إسماعيل الحامد، ثم اتجه إلى افريقيا وقصد زنجبار وممباسه واستقر في جزر القمر،وعمل قاضياً في الجزيرة الخضراء قبل أن يستقر في جزر القمر ، ولازم الإمام عمر بن أحمد بن سميط فترة من الزمن، ثم استوطن أبوظبي وبها فتح منزله لتعقد فيه الدروس العلمية، واستمر داعياً إلى اللّه حتى فاجأه الأجل المحتوم بها على إثر نوبة قلبية سنة ١٤٠٢ هـ ودفن بها وهو في العقد السابع من عمره تقريباً رحمه اللّه رحمة الأبرار .

أهلاً بأعظم من دعى للّه عن صدق دعى في الجهر والإسرارِ
أهلاً بأعظم عالمٍ متواضعٍ أهلاً بكم بمحمد الهدارِ

وهي طويلة اقتصرنا على ماحررناه منها، وفي ممباسه نزلا عند الشيخ صالح عليان، وقال في شيخه الحبيب أحمد مشهور الحداد هذه الابيات :

تمام الحج أن تقف المطايا قليلاً فالخبايا في الزوايا
تقفْ حيث الأكارمُ قد أناخوا نجوم الأرض أرباب المزايا
وزر بحر العلوم ورد زلالاً يزل عنك الأذايا والبلايا
أبا الحسن احمد المشهور طه حميد القول محمود السجايا
عبيدٌ أيها الحداد يدعو على أعتابكم حطّ الروايا
أتاكم والجنيديُّ ضيوفاً حفاة هم وأهلوهم عرايا
وزرنا في «مروني» بحر علم شجاع الدين قسّام العطايا
وأنتم بابه ولكم عليه دلالٌ فارحموا أهل الخطايا
وأوصاكم بنا جماً فقوموا بما جينا له طبق الوصايا
وعندكم من الأسلاف سرّ لأيتام الفروع وللبرايا
فجودوا يا كرام بما وجدتم بما يشفي القوالب والجوايا
ولا تنسوا حقوق بني أبيكم أغيثوا قبل أن يضحوا ضحايا
فقد نصبت لهم رايات غدرٍ أرادتهم لأسهمها رمايا
فهيا سادتي فالخطب إدٌّ ومنّوا بالمنى قبل المنايا
وسيدنا بني الهدار هاد هدانا ثم أهدانا الهدايا
سلام اللّه يغشاكم جميعاً وإيانا بكم ثم البقايا
وصلى ربنا في كل حين وسلم بالغدايا والعشايا
على طه البشير وخير آل وصحب والرعاة مع الرعايا

ثـم أزمعا على الرحيل ومن «ممباسه» اتجهـا إلى نـيروبي، وكـان في اسـتقبالهما الأخ الأديب الأريب طه بن أحمد مشهور الحداد، واستـمرا لديه فترة حتـى هيـأ لهمـا العـزم إلى أديس بابا، وكان في استقبالهما السادة عبداللّه بن عبدربه الجنيدي وعبدالقـادر بـن عبدربه الجنيدي وغيرهـم، ونزلا لديهم ضيوفاً وقد تـم عقد دروس في مسـجد الجـامع الكبير، بمساعدة الشيخ محمد الثاني حبيب والشيخ عبدالرشـيد يوسـف ومحمـد الحـاج والحاج موسى محمود، ثـم اتجه الوالـد بالطـائرة إلى تعـز وبقـي العـم أحمـد حسـين في أديس بابا لـمدة ثلاثة أيام انتقل بعدها إلى صنعاء.

رحلته إلى جنوب شرق آسيا

لقد كان المترجم له رحمه اللّه علـماً من أعلام الهدى نشر الدعوة الإسلامية في كثير من الأقطار كما تكلـمنا في بعض فقرات هذا الكتاب، وكان أعظم ما يثلج صدره أن يقوم المسلـمون بأعباء هذا الدين، وتبليغه في مشارق الأرض ومغاربهـا، وسمـع مـرات وكرات عن جماعة الدعوة والتبليـغ، فارتـاح لطريقتهـم ولتنقلهـم في أوسـاط المجتــمع المسلـم، ولأسلوبهم الحكيم في الدعوة إلى اللّـه، وبـالذات ابتعـادهم عـن الانتــماءات السياسية وإثارة المسائل الخلافية في المسائل الفرعية، وطالـما أثنى عليهــم في محاضراتـه وضرب أمثالاً في جهودهم وأعمالهم، وقد طلب منه كثير منهم أن يحضر اجتـماعاتهم التي تعقد في الباكستان وبنقلادش وغيرها من البـلاد الإسـلامية فأجـاب تلـك الدعـوة وقام بالسفر لحضور بعض اجتـماعاتهم والتي سنأتي على تفصيلها .

جماعة الدعوة والتبليغ

قام بتأسيس هذه الجماعة المرحوم الشيخ محمد إلياس[١] والذي يصور لنا الشيخ أبوالحسن الندوي نموذجاً من حياته ودعوته، حيث يقول: رأيته في حالة عجيبة من التألم والتوجع والقلق الدائم، كأنه على حسك السعدان يتململ تململ السليم[٢] ويتنفس في اختناق لما يرى حوله من الغفلة عن مقصد الحياة، وعن غاية هذا السفر العظيم.. إلى أن قال: وقد أفزع ذلك الشيخ محمد إلياس، الذي رزقه الله من الحمية الدينية والغيرة عن الإسلام النصيب الأوفر، فأقبل الشيخ أولاً على الجولات التي كان هدفها الدعوة والوعظ والإرشاد، ثم على إنشاء المكاتب وبثها في القرى والأرياف.. نظر الشيخ إلى ما أصاب المسلمين في العالم الإسلامي بصفة عامة، وشبه القارة الهندية والباكستانية بصفة خاصة، من الضعف والتدهور في الإيمان حتى صارت مدارس العلوم الشرعية ومراكز الحياة الإسلامية، كجزر في بحر محيط، وأصبحت تتأثر هي نفسها بمحيطها الثائر على الدين.. فاقتنع بأن التعليم وحده لا يكفي، وأن الاعتزال لا مسوغ له، إذاً فلابد من الاتصال بطبقات الشعب على اختلافها.. وقد اهتدى أخيراً إلى أن هذه الدعوة لا تقوم على قدميها ولا تنتشر في العالم ولا تحقق المطلوب إلا إذا كان لها رجال متطوعون محتسبون لا يريدون عليها جزاءً ولاشكورا، فدعا الناس فيها كتجربة أولية إلى الانقطاع المؤقت عن أشغالهم وليس إلى الانصراف عن الحياة ؛ لأنه أدرك أن الناس لايتغيرون في الأخلاق والسلوك ولايتركون عاداتهم السيئة إلا إذا خرجوا عن هذا المحيط الذي يعيشون فيه.

---

(١) انظر « الشيخ محمد إلياس » للشيخ بيرازاده ، «مولانا إلياس» لأبي الحسن الندوي .

(٢) المراد به اللديغ تفاؤلاً له بالسلامة.

وقد أثرت هذه الدعوة التي أدأب الشيخ فيها مهجته ووضع فيها مواهبه رغم ما فيها من مصاعب ومتاعب، وقد نالت تلك الجهود نجاحها في حياة الشيخ وبعد وفاته رحمه الله، ويرى الشيخ محمد إلياس أن من الضروري وجود رحلات تبليغية تهدف إلى الحصول على أحكام الدين، ثم نشرها على المستوى المحلي والعالمي، وإلى جانب هذا فإنها تؤدي إلى تقوية علاقات الحب والأخوة بين المسلمين، كما رأى الشيخ ضرورة الابتعاد في دعوته عن الانتماءات السياسية والخلافات الفرعية، وقد توفي الشيخ محمد إلياس رحمه الله سنة ١٣٦٣هـ فخلفه نجله محمد للقيام بأمور الجماعة يساعده في ذلك تلاميذ الشيخ محمد إلياس، فقاموا بها خير قيام على أحسن وجه وأكمله.

وبحمدالله فإننا اليوم نجد في كل قوم ومنطقة أتباع هذه الطريقة من المجاهدين يخرجون حاملين فرشهم وزاد سفرهم على أكتافهم، يرحلون من بلد إلى بلد حتى بلغت نشاطاتهم اليابان وبريطانيا وأفريقيا واستراليا وأمريكا ودول آسيا فضلاً عن البلدان الإسلامية والعربية.

وبعد هذه المقدمة نعود إلى رحلته فنقول:

بعد أدائه رحمه الله لفريضة الحج عام ١٤٠٢ هـ تهيأ للسفر إلى باكستان للحضور مع جماعة التبليغ اجتماعهم السنوي المعتاد، ومن خلال وصفهم لنتائج هذا الاجتماع وما يدور فيه رغب الحبيب رحمه الله في حضوره، ففي يوم الخميس ١١محرم ١٤٠٣ هـ الموافق ١٩٨٢/١٠/٢٦ هـ وبعد طواف الوداع خرج الحبيب محمد الهدار ومعه المرافقون والمودعون إلى مطار جدة ، وكان من جملة مودعيه السيد

صالح بن محمد السقاف[1] والسيد عبدالله بن عبدالكريم الأهدل[2] والسيد حمود بن قاسم الرفاعي والمحب سالم بن ناجي صالح ومحمود بن عبدالباري، وكان يرافقه في هذه الرحلة نجله طاهر بن محمد الهدار والشيخ علي بن صالح الرويشان[3] وعدد من

---

(١) هو العلامة صالح بن محمد السقاف ولد سنة ١٩٤٥م في مديرية السوادية وبها نشأ وترعرع وحفظ القرآن الكريم ، وانتقل إلى الوضيع بدثينة ، وعمل إماماً وخطيباً ، ثم ضايقه الحزب الاشتراكي فانتقل إلى البيضاء وتولى إمامة مسجد الفلاح، وقد أخذ كثيراً من المعارف عن سيدي الوالد وعن الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط ، ولا زال في عناية الله تحفه رعايته متردداً على الرباط في العقد الخامس من عمره .

(٢) هو السيد عبدالكريم بن عبدالله الأهدل ،أصله من المراوعة، ولد في ريمه، وبها نشأ وترعرع وقرأ القرآن الكريم، ورحل إلى الحرمين الشريفين، وبها استقر فترة من الزمن، ثم عاد إلى اليمن ورحل إلى كثير من أصقاعه، وقد زار حضرموت في فترة شبابه وهي تعج بالعلماء، واستفاد منهم كثيراً، وأحبه الحبيب جعفر بن أحمد العيدروس وأثنى عليه، ثم وصل إلى البيضاء وبها ألقى عصا الترحال، وتأهل بها ورزقه الله ذرية صالحة، كان كثير المجالسة لسيدي الوالد، مثابراً على دروسه وبالذات في شهر رمضان، ومن العجب أنه كان لا ينام فيه إلا غفوات، وكان كثير الذكر والتلاوة لكتاب الله تعالى، كثير التنقل في البوادي للدعوة إلى الله ، وفي أثناء رحلته إلى مراد بلغنا وفاته فجأة في مأرب ١٤١٥ هـ، وبها دفن وقد تأثر سيدي الوالد رحمه الله بموته تأثرا شديدا، وتوفي وهو في العقد الثامن من عمره تقريباً .

(٣) هو الشيخ النقيب علي بن صالح الرويشان، نائب والده الشيخ صالح بن ناجي الرويشان في شؤون محافظة البيضاء مع عقل راجح وفراسة صادقة لازم والده وأخاه الأكبر الأديب الأريب محمد بن صالح الرويشان المتوفى ١٣٨٠ هـ، وقد استفاد منهما كثيرا وكانت تربطه بسيدي الوالد صداقة، وبعد الثورة انتقل إلى صنعاء واشتغل بالتجارة وتردد بين صنعاء والحديدة، له مواقف مشكورة في إصلاح ذات البين وفي تشجيع العلماء والدعاة، واستمر على ذلك الحال حتى أدركته الوفاة في جدة سنة ١٤١٠ هـ ونقل جثمانه إلى صنعاء ودفن بها رحمه الله رحمة الأبرار .

جماعة التبليغ منهم الشيخ صالح مقبل،قال نجله الأخ طاهر محمد الهدار والذي رافقه في رحلته هذه: «وفي تمام الساعة الواحدة والنصف صعدنا إلى الطائرة متوجهين إلى باكستان بعد توقف في مطار الكويت، وفي تمام الساعة الرابعة وصلنا إلى مطار كراتشي العاصمة السابقة لباكستان، أكبر المدن الباكستانية تبعد عن العاصمة إسلام أباد ١٧٠٠كم، وعدد سكانها يتجاوز ١٠ مليون نسمة ، ويوجد بها ٢٥٠ مسجدا.

ونزلنا في وسط المدينة في مسجد يسمى مكي مسجد أحد أكبر مراكز جماعة التبليغ في هذه المدينة، يرد إليه الخارجون ويصدرون عنه، كذلك كثير الحركة والنشاط والاستقبال والتوديع ليل نهار، وما أن وصلنا إلى فناء المسجد حتى خرج المستقبلون بكل بشاشة وترحيب حاملين أمتعتنا ، ينظرون إلينا بمحبة وابتسامة صادقة تقطر عسلاً تعبر عن حب صادق ، وتنوب عن الكلمات لكون الكثير منهم لا يعرف التحدث باللغة العربية، واستُقبلنا في هذا المركز ، ومن جملة من استقبلنا من المشايخ محمد أمين، أحد كبار المشايخ الباذلين أنفسهم وأولادهم في سبيل الله كما وصفه لنا من عرفه، ذو مهابة ووقار ولحية كثة يشع النور من جوانبها ، ولعله قد تجاوز السبعين من عمره، وأخذونا إلى المكان المهيأ للضيوف ونقلوا لنا الطعام والشراب، وأقمنا في هذا المركز أربعة أيام، حضرنا خلالها عدة اجتماعات في هذا المركز، وزرنا عدداً من المآثر والجامعات الإسلامية، والتقى الحبيب بعدد من العلماء والخارجين من بعض الدول العربية والإسلامية، وفي يوم الاثنين ١٥محرم توجهنا جواً إلى مدينة لاهور استعداداً لحضور الاجتماع الكبير، الذي يعتبر السبب الأول لهذه الرحلة، وفي طريقنا إلى مدينة لاهور هبطنا مؤقتاً في مطار كويتا وهي مدينة جبلية شمال كراتشي على الحدود الإيرانية، بعدها واصلنا الرحلة إلى لاهور التي تبعد عن كراتشي ٢٠٠٠ كم ، ومدينة لاهور من أجمل المدن الباكستانية كثيرة الخضرة والجمال، تقع في ضاحية من ضواحيها مدينة رايوند أكبر مراكز جماعة التبليغ في باكستان، ومن مطار لاهور

توجهنا إلى محطة سكة الحديد وركبنا القطار متوجهين إلى ريواند، وعند وصولنا ريواند رأينا ما لا يوصف من كرم وحفاوة وحسن استقبال من المتخصصين لهذه المهمة من جماعة التبليغ، عانقونا عناقاً حاراً وحملوا عنا المتاع ، وأوصلونا إلى المكان المعد لنا في هذا الموطن المبارك، الذي وصلت إليه الجماعات الكثيرة من كل فج عميق، يقودهم الشوق إلى خدمة الشريعة ونشر الدعوة الإسلامية، وأنت ترى مئات الألوف الذين غمرتهم الروح الإسلامية التي جعلت كلاً منهم يفيض على إخوانه صادق المحبة والإيثار، ويتنافس الجميع في خدمة بعضهم البعض، تدرك مدى عظمة هذا النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا الجمع العظيم حقاً وما يدور فيه من أشياء لا يمكن وصفها، والحديث عنها، وتعجز كل سلطات الدنيا وقواتها وأموالها عن محاكاتها، إنما هو أثر من آثار دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي بدأت سراً ومرت عليها أيام محصورة ، كيف بعد ذلك أثمرت فيما أثمرت مثل هذا ، وما نسبة هذا مضاعفاً آلاف المرات إلى ما دخل في هذا الدين من أممٍ وشعوب لكون مثل هذا الجمع يبعث في وجدان المشاهد بعضاً من عظمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته.

وأقمنا أياماً في هذا المناخ الإسلامي، كانت من أبرك الأيام.. كيف لا والمجتمعون قرابة المليونين يقيمون الصلوات الخمس جماعة واحدة أكبر جماعة على وجه الأرض؟ والبيانات والمحاضرات عقب الصلوات مستمرة ، والمسجلون أنفسهم يقومون بعد كل محاضرة منهم من يتبرع بالخروج في سبيل الله بما تبقى من عمره، ومنهم من يسجل ثلاث سنوات، ومنهم أكثر ومنهم أقل.

وخلال هذه الأيام زار سيدي الحبيب محمد الهدار الشيخ إنعام الحسن أمير الدعوة في مقر إقامته، ومن بحضرته من كبار الشيوخ تشع من وجوههم الأنوار، سيماهم في

وجوههم، وما أن التقى الحبيب بالشيوخ حتى أجهش بالبكاء فاذا كل الحاضرين يبكون فرحاً باللقاء، شوقاً إلى الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه في مقعد صدق، وكيف خدموا الدين باتباعهم وذاقوا حلاوة الإيمان في متابعة نبيهم، حتى جمعهم الله به، يبكون حزناً على واقع المسلمين والإسلام، ومعانٍ أخرى لهذا البكاء الذي استمر أكثر من عشرين دقيقة.

ثم دار حديث حول ما من أجله بكوا ، وبعد ذلك طلب كل منهم من صاحبه الدعاء، وعاد الحبيب محمد الهدار ومرافقوه إلى مكان إقامتهم في المخيم، وبالنسبة لما دار في الاجتماع وكيف كان فإنما يقال فيه: ليس الخبر كالمعاينة، وبعد انتهاء الاجتماع تقرر خروج الحبيب محمد الهدار ومرافقيه مع جماعة كبار الشيوخ منهم الشيخ إنعام الحسن أمير الدعوة وآخرون إلى خارج باكستان لحضور اجتماع تايلاند وماليزيا، وقبل السفر من باكستان خرجنا برفقه الحبيب أياماً للدعوة في مدينة لاهور وضواحيها .

وتنقل الحبيب في المساجد وكان يرافقه مترجم حتى أثناء المذاكرة، كلما ألقى فقرة توقف حتى تُترجم للحاضرين، ثم يواصل وهكذا، والتقى الحبيب بعدد كبير من الخارجين ومن المجاهدين في أفغانستان، وتأثر كثيراً بهم، وكان كثيراً ما يستشهد بهم بعد ذلك في مذاكراته، وأثناء حديثه عن الدعوة والخروج في سبيل الله، وخَرَجت في سبيل الله بعد اجتماع ريواند ٨٤٢ جماعة تضم من ٧ إلى ١٥ فردا كان من جملة هذه الجماعات ٧٣ جماعة لمدة أربعة أشهر لباكستان والهند، و١١٤ جماعة لمدة ٤٠ يوما داخل باكستان و٨ جماعات لمدة ٨ أشهر، وخروج سنة ٩ جماعات و٦ جماعات إلى إفريقيا، و٣ جماعات إلى أوروبا، و٢٨ جماعة إلى الدول العربية بين ثلاثة أشهر وستة أشهر.

وقبل المغادرة إلى المطار عدنـا إلى المركـز وتودعنـا مـن الشيـخ إنعـام الحسـن ومـن الشيوخ، ثـم توجهنا إلى مطار لاهور ومنه إلى كراتشـي وتوجهنـا إلى مكـي مسـجد، ومكثنا يومين على نفس الإقامة الأولى، وفي يـوم الأربعـاء ١صفـر ١٤٠٣ هـ غادرنـا مطار كراتشي على الخطوط البنغالية متوجهين إلى بنقلادش باكستان الشرقية، يفصـل بينها وبين باكستان الهند، وكانت هي وباكستان دولة واحدة حتى انفصلت عنها عام ١٩٧٠ م وعـدد سكان بنقـلادش ١٢٠مليـون نسـمة ، نسـبة المسلـمين ٩٠٪ ، وعاصمتها دكا ، وعدد سكان العاصمة ٨ مليون نسمة .

وبعد أن هبطنا في مطار دكا توجهنا إلى المركز في دكا مسجد كركريـل والتقينـا بعدد من الشيوخ، وفي اليوم الثاني عدنا المطار وتوجهنا إلى تايلاند بلـد خصـب كثير الغابات والأمطار والأنهار والخضرة ، ننظرها من الجو كأنها لوحة رسام، وعاصمتها بانكوك ، وعدد سكانها ٤ مليون ، ونسبة المسلمون فيها تقريباً ٧٪ عدد مسـاجدها ٢٠٠ مسجد، وعـدد سكان تـايلاند ٥٠ مليـون نسـمة ، وبعـد أن هبطنـا في مطـار بانكوك عاصمة تايلاند توجهنا إلى مسجد السلام المركز الرئيسي بهذه البلدة لجماعـة التبليغ .

ونزلنا في مقـر إقامـة الضيـوف الأجـانب، ورأينـا الجمـوع تتوافـد إلى هـذا المركـز استعداداً للاجتـماع الكبير الذي من أجله حضرنا، وبدأ الاجتـماع في سـاحة واسـعة على ضف نهر جميل عذب رقراق، بل إن النهر يتوسط الحاضرين تصل بينهم الجسـور الموصلة بين ظفتي النهر، وبعد الاجتـماع خرجنا جماعات إلى المساجد، فكـان سـيدي الوالد في جماعة ومعه النقيب علي بن صالح الرويشـان والشيخ عـامر أمـير الدعـوة في السودان، وذهبوا إلى أحد المساجد ووزعوا بقية مرافقي الحبيب إلى مساجد أخرى .

وما أن يسمع الناس صوت المتكلـم باللغة العربية وهم لا يفهمونهـا حتـى يهرعـوا إلى المساجد، ففي دقائق يمتلئ المسجد ومايحيط به وتـرى النـاس يزدحمـون ويسـمعون وينصتون، واقفين في أطراف الزحام وفي النوافذ من الخارج منتظرين بشوق وتعطش ترجمة كلـمات هذا المتكلـم العربي، فيقوم بين الهينة والأخرى المترجم وينقـل مـا قالـه المتكلـم، وهذا الوضع واجهه جميع الخارجين من العرب، كـأن للعربي مكانـة خاصـة عند الأعاجم ، وكونه أولاً يتحدث بلغة القرآن واللغة التي نطق بها سيد ولـد عدنـان صلى الله عليه وآله وسلـم.

وكان سيدي الوالد رحمه الله بكل تواضع وانكسار يَنْضم إلى الجماعـة تحـت إمـرةِ أحدهم ويمتثل ما يشيرون بـه محترمـاً نظـامهم وقواعدهـم دون أن يـرى لنفسـه قـدرا، ويزور مع الخارجين كثيرا من الناس إلى بيوتهم ، ويقوم بما يطلب منه من مهـام بكـل فرح وإخلاص، واستـمر الاجتـماع الذي توافد إليه الخـارجون والعلـماء والـمشايخ من أنحاء البلاد، ومن الهند وباكستان وماليزيا وغيرها، وكان عدد الحاضرين أكثر مـن ١٥٠٠٠ ، وكان نموذجا مصغرا للاجتـماع في باكستان ، لكون البلد غير إسـلامي ، والـمسلـمون قليلون ، والعمل جديد في هذه البلدة.

وأسفر عن هذا الاجتـماع خروج جماعات إلى الداخل والخارج، وفي يـوم الثلاثـاء ٧ صفر ١٤٠٣ هـ الساعة الثانية بعد الظهر أقلعنا من مطار بانكوك على متن الخطوط الماليزية متوجهين إلى كوالالـمبور عاصمة ماليزيا ووصلناها برعايـة اللّـه، وبعـد إنهـاء إجراءات السفر وصل جماعة مـن الأحبـاب لاستقبالنا ، وقـد استقبلونا كعـادتهم في الأماكن التي وصلناها سابقاً، وتوجهنا إلى هنديا مسجد في قلب العاصمة كوالالـمبور المركز الرئيسي لجماعة التبليغ في هذه المدينة، وماليزيا دولة إسـلامية فنسـبة المسلـمين فيها ٦٥٪ .

وبعد يومين من الإقامة في هذا المركز تقرر عزمنا إلى مكان الاجتماع الذي سيقام في مدينة ترتغانو شمال العاصمة، والتي تبعد عن العاصمة حوالي ٥٥٠ كم وكانت رحلتنا إليها في غاية المتعة ، لكونها براً إلا أن الطريق من محل الانطلاق إلى محل الوصول مروج خضراء وغابات تجري خلالها الأنهار، وجبال تنحدر منها الشلالات، لم تقع أعيننا على مكان يابس، وبالرغم أن الرحلة استغرقت ثمان ساعات إلا كأنها بعض ساعة فسبحان الخلّاق، ووصلنا إلى محل الاجتماع وكان محلاً واسعاً جداً، والناس يتوافدون من الداخل والخارج ووصفه وصف الاجتماعات التي تقدم وصفها، إلا أنه كان أعظم من اجتماع تايلند ودون اجتماع ريوانـد باكستان ووصفه جملة وتفصيلاً .

وفي آخر يوم للاجتماع قام الشيخ إنعام الحسن بزيارة العرب الحاضرين في الاجتماع ومعه الشيخ محمد عمر، وألقى بياناً باللغة العربية حصل به التأثير الكبير، وفي يوم الثلاثاء آخر أيام الاجتماع توجهنا إلى المركز في ترتغانو، وبعد العصر توزعنا جماعات في المساجد، وبعد صلاة العشاء توجهنا إلى العاصمة كوالالمبور ووصلناها قبل الإشراق، وفي هذه الآونة استأذن سيدي الوالد المشايخ في العودة إلى مكة بعد خروج استمر ٣٥ يوما، فأذنوا له إلا أنهم طلبوا منه وألحوا عليه أن يأذن لي في مواصلة الخروج، ولم أكن أرغب بترك والدي ويقيني أن خدمته ومرافقته أفضل عمل وأفضل جهاد، ولكنهم كرروا الإلحاح فأذن لي غير سخي على فراقي، كيف لا ولا يوجد معه أحد من أسرته ولا من أولاده في هذه الرحلة غيري، فألح عليَّ وأمرني أن لا أعترض.

وكانت لحظات الوداع من أقسى مامر عليَّ في حياتي في هذه البلاد البعيدة وفي هذه الغربة، كيف أترك والدي ؟! ولكن ماذا أعمل وهو الذي بهذا أمر، ولم أملك

نفسي فأجهشت بالبكاء ولم يقو والدي على السيطرة على عواطفه، وهو الأب الرحيم الحنون، فإذا بالدموع تذرف من عينيه، فزاد نحيبي وفارقته على هذه الحالة، ولم أستطع كف البكاء حتى صباح اليوم التالي، واصلت الخروج نيابة عنه إلى سنقافورة وإندونوسيا، وعاد سيدي الوالد إلى جدة يرافقه النقيب علي بن صالح الرويشان.

ورأينا جهود جماعة التبليغ أثمرت وأينعت ووصلتْ إلى أكثر المعمورة في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وفتحت المراكز في عواصم الغرب في باريس، ولندن، وغيرها حتى وصلت عدد المراكز لجماعة التبليغ في دول العالم إلى عام ١٤٠٢ هـ أكثر من ٥٠٠٠ مركز، ويلاحظ أن كل عام أفضل مما قبله، ويقول المشايخ: إنها ستكون في عام ١٤٠٤ هـ ١٠٠٠٠ مركز .

والخلاصة كانت رحلة الحبيب محمد الهدار مع هذه الجماعة رحلة إلى الدعوة إلى اللّه أنفق فيها الكثير من جهده وصحته وظل داعياً إلى اللّه ومهتماً بالإسلام والمسلمين كما هو ديدنه طيلة حياته، وفرح كثيراً بماشاهد ولم يزل يثني على هذه الجماعة، ويشيد بهم كلما سنحت الفرصة أو كانت مناسبة .

رحمه اللّه رحمة الأبرار وأسكنه فسيح الجنان، وتقبل منه كل عمل قام به، أونوى القيام به، وجعله مضاعفاً بتضاعف الأنفاس واللحظات وأدرج نياتنا وأعمالنا في أعماله، بجاه سيد المرسلين صلى اللّه عليه وآله وسلم والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات.

وبعد سفره أرسل رسالة قال فيها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا باللّه العلي العظيم العزيز الحكيم، وصلى اللّه وسلم وشرف وكرم في كل لحظة أبداً عدد معلوماته على سيد ولد آدم

أعظم داع إلى اللّه على بصيرة، محمد بن عبداللّه وآله وأصحابه أهل السرائر المنيرة، وعلينا معهم وفيهم ومنهم في عافية آمين نحن وأحبابنا وولدنا النجيب المبارك طاهر بن محمد بن عبداللّه الهدار ابن شيخ حفظه اللّه وذويه من كل سوء في الدارين آمين..

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.. وعلى سائر الصالحين في كل حين أبداً عدد نعم اللّه وإفضاله وجمعنا اللّه بكم في عافية وسائر الأحباب قريبًا آمين .

بعد عزمكم تأثرنا من فراقكم حتى كدت ألحقكم سنقافورة، وبعد شدة انصرفنا عن هذا الخاطر، وسلمنا الأمر للمولى الكريم الذي استودعناكموه .

فنسأل اللّه سبحانه بحق نبيه محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم أن يحفظنا وإياكم من كل طارق إلا من طارق الخير، وأن يغمرنا وأحبابنا بعفوه وعافيته ورحمته، ويجعلنا من خواص الخواص من المحبوبين لديه في عافية، وأن يلاحظنا أجمعين بعين عنايته حيثما كنا وأينما كنا، وهذا دعاء للحبيب الإمام سيدي علي بن محمد الحبشي رحمه اللّه ورحمنا به:«اللّهم إني في قبضتك حيثما كنت، فلاحظني بعين عنايتك حيثما كنت» ٣ صباحاً و٣ مساءً .

صدر كتاب « إرشاد العباد » طالعوه بعد كل صلاة، وقيدوا الأحاديث لأنه للموعظة، و«الياقوت النفيس» و« نيل الرجاء » كذلك طالعوه لشرح مالابد منه، ونقلونا في الليل إلى المسجد الذي سافرتم منه ولاقصروا معنا، وعيسى يغسل الثياب، وعلي بن صالح الرويشان قام بالمقام التام.

و« النصائح الدينية » صدرت إليكم لأجل تقرؤون على الحبيب علي، ومن رأيتموه تستأذنون ثم تقرؤن من أول « النصائح » عند كل واحد، وإن كثرت استزيدوا ، وفي « شفاء السقيم » ، وكذا « الياقوت النفيس » .

واطلبوا الإجازة والإلباس والتلقيم، واطلبوا لنا الإجازة كذلك والإلباس بالنيابة، صدرت الكتب لكم مع النسخ التي تقرؤونها بعد تصحيحها على من عرفتم من الحبايب والمحبين، وحسنوا هيئتكم يحسن اللّه أحوالكم وتكون العمامة واللحية أكبر دعوة إلى سيرة الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم لأنه غير ذلك لا يقبل معه قول.

وبعد نصف شهر توجهوا إلينا لأنا في انتظاركم في مكة أو في المدينة إن شاء اللّه ، كذلك حاول الاتصال في التلفون من حيث التوجه، وأورادكم والقرآن الكريم، والحفظ فنحن احتملنا مشقة الفراق رجاء مصالح كبرى كبرى كبرى سيظهر لنا سرها قريباً إن شاء اللّه، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته استودعناكم اللّه الذي لا تضيع ودائعه .

والدكم

محمد عبداللّه الهدار بن شيخ بن أحمد

من آل الشيخ أبي بكر بن سالم

١٢صفر ١٤٠٣ هـ

الحمد للّه وصلى بنا المغرب إمام المسجد يوم سفركم فقرأ ﴿لقد صدق اللّه رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء اللّه آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ ، ففرحنا بالفأل الحسن، وعند عزمكم إن شاء اللّه أحرموا من أبعد موقف إذا قدكم في الطائرة ولا يضر بقاءكم في المطار يوما أو نحوه في الإحرام، والشيخ فضل عظيم كونوا احضروا

بياناته ونحن لو معنا مترجم كان شقينا طريقنا، وبارك اللّه فيكم ونحن عازمون إلى كراتشي وبعده إلى جدة أظن بعد ليلة، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

رحلته إلى العراق والشام بقلمه رحمه الله[1]

الحمد للّه شارح الصدور، وميسر الأمور، ومسبب الأسباب، وفاتح الأبواب، والجاعل لكل أجل كتاب، أجرى ينابيع الحكمة من قلوب أصفيائه على ألسنتهم فسالت منها أودية بقدرها، وصلى اللّه على سيدنا ونبينا محمد مفتاح باب رحمة اللّه، والداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وعلى آله مصابيح الظلام وينابيع العلم وهداة الأنام وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، في كل لحظة أبداً عدد معلوماته، وبعد:

فهذه الوريقات اشتملت على يسير من كثير مماجرى في الرحلة المنيفة إلى الأماكن الشريفة، رحلة سيدنا وبركتنا وشيخنا علم الأعلام، وخليفة القوم الكرام، الداعي إلى اللّه حالاً وقولاً وفعالاً سيدي الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف إلى النجف الأشرف، ونبدأها بنبأ وصوله إلى صنعاء اليمن .

ففي ربيع الثاني من العشر الأول ١٣٩٦ هـ وصلتنا برقية من الأخ / محسن بن أبي بكر المحضار من صنعاء بوصول الحبيب عبدالقادر، وذلك لملاقاة إحدى محارمه وصلت من حضرموت لزيارة بنتها أولاً، ثم للتعرف باليمن وأهله، فبادرنا إلى صنعاء، وإذا بالحبيب انتقل إلى تعز لعدم مناسبة الهواء، ورحل إلى زبيد والحديدة،

وزار الإمام أحمد بن علوان[1] هو والحبيب العلامة إبراهيم بن عمر بن عقيل في أقل من أسبوع، ونحن في انتظارهم جميعاً، ومعنا الأخ أحمد الهدار رحمه اللّه ورحمنا به، والولد طاهر وآخرون فوصل الحبيب عبدالقادر، أما الحبيب إبراهيم فرجع إلى تعز وألقى الولد طاهر خطبة عند قدوم الحبيب عبدالقادر مع بعض أبيات سبق ذكرها في ترجمة الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف والتي مطلعها:

أهلاً قُدُومُ الغَيثِ تــمرِيهِ الصَّبـا

وفي صنعاء قام الأخ الفاضل محسن بن أبي بكر المحضار [2] بالمقام التام، ورحل به إلى تعز، ويفرس وزبيد والحديدة ثم إلى صنعاء، وقام بضيافات للأعيان بارك اللّه فيه، وكذلك تضيَّف عند الحاج أحمد محمد السوداني رحمه اللّه، ويوم عند الأخ أحمد الهدار رحمه اللّه في بيت السوداني بمناسبة وجود ولد ميمون له وصل خبر وجوده فسماه عبدالقادر بالحبيب جعله اللّه باراً بوالديه وقرة عين لسيد المرسلين صلى اللّه عليه وآله وسلم، وسائر بني أبيه وذويهم، وتضيَّف يوماً عند الأخ المبارك محمد بن

---

(١) هو الشيخ الكبير، العلم الشهير، صفي الدين أحمد بن علوان الحسني، نبراس التصوف في اليمن، درس العلوم الشرعية والعربية، وعمل كاتباً في ديوان الدولة بعد أبيه، ثم انقطع للعلم والعبادة، صدرت له كثير من الكتب العلمية، وانتشر صيته في الآفاق له شعر رصين ينبي عن مدى تضلعه في العلوم، واستمر داعياً إلى اللّه ومرشداً وموجهاً في منطقة يفرس بالقرب من مدينة تعز حتى توفاه اللّه سنة ٧٥٥ هـ ودفن بها .

(٢) هو الشهم الكريم محسن بن أبي بكر المحضار من مواليد حبان تلقى دراسته بها ثم ارتحل إلى عدن وزاول مهنة التجارة ثم انتقل مع إخوانه إلى صنعاء، وتولى إدارة شركة المحضار للأدوية ولازال بها مقصداً للعلماء مع صلاح ونسك وعبادة مد اللّه في عمره آمين .

صالح الرهينة[1] ببيت آل المحضار، وأكثر جلوس الحبيب في شقة نزل فيها بالكراء صهره السيد سالم بن محمد بن سالم السقاف رحمه اللّٰه المتوفى في سنة ١٣٩٩ هـ وكان الحبيب عبدالقادر في الأسبوع الأول من ربيع الثاني سنة ١٣٩٦ هـ زار شاووش الأولياء أحمد بن علوان بن عطاف اليمني الحسني المتوفى بيفرس سنة ٧٥٥هـ عن عمر ١١٧ سنة ؛ لأن وجوده في سنة ٦٣٨ هـ وعَمر قبته السلطان عامر سنة ٩٢١ هـ .

ودخل الحبيب عبدالقادر والحبيب إبراهيم بن عمر بن عقيل إلى زبيد ليلاً، ونزلا برباط السيد العلامة محمد بن سليمان الأهدل نسخة من أهل الصلاح والفلاح، فزار بهم صباحاً مشاهير أولياء زبيد، وكان أملنا أن الحبيب عبدالقادر سيزور البيضاء كما وعد مراراً ولكن تأثر كثيراً نحو أسبوع في صنعاء، فأضرب عن ذلك إلى وقت ما والتزم به، ولكنه نوى زيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام في النجف في العراق، فنوينا معه ورحلنا مدة بقائه في صنعاء إلى تعز وزرنا الحبيب إبراهيم وعدنا، فتهيأ لنا العزم بحمد اللّٰه وتيسيره وتوفيقه، فوصلنا جدة نحو ١٦ربيع ثاني وبتنا عند الحبيب ودخلنا مكة المشرفة صباحاً وعدنا إلى جدة ثم إلى مكة للجمعة، ثم إلى طيبة شرفها اللّٰه، فعزمنا إليها في ٢٠ ربيع الثاني والحبيب وصل إليها بعد ثلاثة أيام، فزار بنا طيبة وحضرنا معه جلسات، وعدنا إلى جدة.

---

(١) محمدَ صالحَ حسين الرهينة، رجل من أهل الفضل والصلاح ولد في عزة ونشأ بها وتعلم في مدرسة سيدي الوالد وزاول مهنة التجارة وسكن صنعاء، كان مقرباً لدى سيدي الوالد يُوكل إليه كثيراً من أموره، وحينما يمر بصنعاء يكثر النزول عنده ولازال بها تحفه عناية اللّٰه ورعايته.

ولما تأخر العزم دخلنا مكة، وزرنا معه الحبيب حسن بن محمد فدعق[١] المتوفى سنة ١٤٠٠ هـ في رمضان من مشايخنا وبقية من الصلحاء رحمه الله ونفعنا به، فعدنا إلى جدة وعاد يوم الخميس ٣٠ربيع ثاني وحضرنا معه درس في مدرسة بن لادن قراءة إلى روح الفقيدين العظيمين الحبيب محمد بن سالم بن أحمد بن حسن العطاس[٢] المتوفى في الشهر المذكور بجاوه، من العلماء الصلحاء رحمه الله، وقد عرفناه وأجازنا مرات، والحبيب الداعي إلى الله سيدي عبدالله بن أحمد الهدار[٣] صاحب عينات رحمهم الله، وفي صباح الجمعة خرجنا إلى المطار، وخرج جملة لتوديع الحبيب، وخرج الأخ عبدالله بن محمد بن صالح المحضار وإخوانه وآخرون، والأخ طه بن محمد السقاف، وجملة من آل السقاف وآل المحضار، والأخ أحمد عبدالله المحضار كفانا

---

(١) هو العلامة الفقيه التقي حسن بن محمد بن عبدالله بن عمر فدعق، ولد بمكة سنة ١٣٠٩ هـ وحفظ بها القرآن وكثيراً من المتون، وتلقى تعليمه على يد مفتي مكة الحبيب حسين بن محمد الحبشي والشيخ محمد سعيد بابصيل، ورحل إلى جاوه وإلى حضرموت، كان سيدي الوالد كثير التردد عليه إلى منزله في مكة المكرمة، وقد وعد برحلته إلى البيضاء لزيارة الرباط ولزيارة ضريح جده مجمع السادة آل فدعق الحبيب فدعق بن محمد والمدفون بالبيضاء وهو من أعلام القرن العاشر تقريباً، مات في البيضاء ودفن بها في أثناء رحلته من حضرموت للحج. وقد توفي السيد حسن بن محمد فدعق في مكة المكرمة ودفن بها عام ١٤٠٠ هـ .

(٢) هو العلامة محمد بن سالم بن أحمد بن حسن العطاس، من العلماء الأجلاء الذين أسهموا في نشر الدعوة الإسلامية في جزر إندونوسيا، استقر بجاكرتا وكان يتردد على حضرموت، وقد قابلته حينما وصل إلى حضرموت عام ١٣٨٨ هـ، وكان كثير التحدث عن واقع المسلمين في هذه الآونة، ويحذر من أساليب المستشرقين وكيدهم ضد الإسلام، وقد استمر في جاوه داعياً إلى الله ومرشداً حتى أدركته الوفاة بها سنة ١٣٩٦ هـ . رحمه الله رحمة الأبرار .

(٣) تقدمت ترجمته .

مهمات تهيئة السفر، فتوجهنا بحمد اللّٰه في الطائرة العراقية، مع الحبيب والرفقاء الكرام الحبيب محمد بن صالح المحضار والحبيب أبي بكر بن عبداللّٰه المحضار رحمه اللّٰه والأخ أحمد بن حسين الجنيدي رحمه اللّٰه ورحمنا به والحقير محمد الهدار كاتب هذا، فوصلنا العراق إلى المطار بعد نحو ساعتين، ووجدنا الأخ شرف محضار في الانتظار لأن بينه صهارة وبين الأخ محمد بن صالح المحضار، فهيأ لنا ونزلنا الفندق الأزرق عند الجندي المجهول، وآخر النهار خرجنا لزيارة سيدنا الإمام القطب الغوث سيدي عبدالقادر بن أبي صالح الجيلاني، وكانت بحمد اللّٰه زيارة محضورة.

قال الحبيب عبدالقادر: نستفتح بها زيارة أمير المؤمنين . واجتمعنا في المسجد بالشيخ أفهم عزمي الأمين، أرسله أخوه رشيد لأن الأخ محمد بن صالح المحضار له معرفة بهم، فطلب من الحبيب أن يوافق على الركوب في سيارته إلى النجف الأشرف بارك اللّٰه فيه، فعزمنا في سيارته يوم السبت ٣ جمادى الأولى، ومررنا بالكوفة وبالمحل الذي قتل فيه أمير المؤمنين، ودعونا اللّٰه فيه وقريب منه قبة سيدنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب ،المقتول قبل سيدنا الحسين، إذ هو رسوله إلى أهل العراق وقبته مزينة بالذهب، وكذلك القبب والمنابر في النجف وكربلاء، ثم وصلنا بحمد اللّٰه إلى النجف قبل الظهر بساعة فزار بنا الحبيب زيارة عظيمة هبت فيها إن شاء اللّٰه نسيمات القبول، فخرجنا إلى فندق مكة وبقينا في النجف يومين نتردد على الحضرة المشرفة، ثم ودعناها ثالث الأيام فزرنا كربلاء وجلسنا فيها نحو ساعة، زرنا سيدنا الحسين وأخاه العباس ومن عندهم من الشهداء، وعدنا إلى بغداد في سيارة كرا، ونزلنا في الفندق المذكور، وبتنا فيه ليلة.

ثم انتقلنا إلى زاوية سيدنا الإمام الجيلاني في مكان واسع، يجلس فيه الشيخ الفاضل محمود مهاوش رحمه اللّٰه من حملة العلم الشريف ومن الآخذين عن الشيخ

النبهان الحلبي، وقد أتى للاتفاق بالحبيب عبدالقادر بعد أن بحثوا عنه، ولازم الحبيب ملازمة كلية هو وأخوه الفاضل أحمد مهاوش، وأول ضيافة عند الشيخ أفهم ثم أخوه رشيد ثم عند آل مهاوش بقية الأيام. وعند السيد حامد الحسيني العراقي ليلة وعند الأخ شرف محضار ليلة.

وكانت الزيارات في هذه الأيام مستمرة، أما زيارة سيدنا الجيلاني فعلى الدوام، وأما البقية فحسب المتيسر لعدم العارف الملازم، فزرنا بحمد اللّه مقبرة الخيزران وفيها كثيرون، ومنهم أبوبكر الشبلي، ومقبرة الشونيزيه وفيها عدد كثير من الأولياء أهل الكمال، فزرنا فيها الإمام الجنيد بن محمد القواريري سيد الطائفة الصوفية، وخاله السري السقطي، وكان أكثر الضيافات عند آل مهاوش قاموا بالحبيب مقاماً تاماً، وسجلوا كثيراً من مذاكراته ومن دعواته، وزرنا الكاظمية وفيها سيدنا موسى الكاظم، ومحمد الجواد، وزرنا الإمام أباحنيفة، وزرنا خارج بغداد بنحو نصف ساعة في السيارة محلا اسمه سلمان بيك، وفيه ضريح سيدنا سلمان الفارسي الصحابي الجليل، الذي قال فيه صلى اللّه عليه وآله وسلم:«سلمان منا أهل البيت» . وزرنا عنده ضريح سيدنا حذيفة بن اليمان، وقبرا يقال: إنه لطاهر بن زين العابدين.

ورأينا إيوان كسرى ومحل الصدع الذي تصدع ليلة المولد، ثم زرنا ترياق بغداد الإمام معروف الكرخي والإمام أبي حفص عمر السَّهْرَوَرْدِي صاحب « العوارف » ، وأكثر جلوسنا في زاوية سيدنا الجيلاني عند الأخ هاشم، ورحلنا في طائرة يوم السبت ٨ جمادى الأولى إلى البصرة لزيارة من فيها، فزرنا مسجد سيدنا علي، وزرنا سيدنا الإمام الزبير، وطلحة بن عبيد اللّه، والإمام الحسن البصري، والإمام محمد بن سيرين وأهل تربهم، وتغدينا عند السيد عبدالحكيم بن السيد موسى الموسوي الجعفري في خير يوم، وعدنا آخر النهار إلى بغداد وكانت زيارة مع الحبيب عظيمة هبت فيها

نسيمات القبول، وزرنا في سامرا الإمام علي الهادي وولده الإمام حسن العسكري ومن معهم، وكان غداؤنا عند شيخ المعهد الإسلامي الشيخ العالم الصالح أيوب توفيق السامرائي الرفاعي طريقة.

ثم توجهنا إلى دمشق في طائرة لكن تأخرت ست ساعات في مطار بغداد فلم تصل دمشق إلا قريب الفجر، فنزلنا في فندق البحرين، وقبل الظهر خرجنا إلى محل الشيخ الأديب إبراهيم الصباغ وله اتصال بالحبيب مكين، وصلينا في الجامع الأموي الظهرين، وزرنا سيدنا يحيى بن زكريا نبي اللّه المعصوم الحصور مدفن رأسه فقط كما يقال، ثم محل مكث رأس سيدنا الحسين يومين أو ثلاث، وحيث مكث سيدنا زين العابدين بعد أسره وشعرات الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم، ودعا الحبيب بدعوات عظيمة، وذهبنا إلى بيت الأخ إبراهيم الصباغ وهو من المتعلقين بالحبيب، وعدنا إلى الفندق وبتنا به، وفي الليل دخلنا بيت السيد العالم الفاضل الفاتح محمد بن مكي الكتاني ابن الإمام الحافظ محمد بن جعفر ، وهم حسنيون أشراف نفع اللّه بهم، جدهم الحبيب محمد بن جعفر المتوفى بالمغرب، ولهم طريقة ومريدون وأوراد وأذكار ، وقد تعرفوا على الحبيب عبدالقادر في رحلته الأولى، وفي هذه أكثر لأن أكثر الأيام والليالي في ضيافة هذا السيد الجليل ، وهيؤوا لنا محلاً للنزول في بيتهم الجديد في شقة عبدالوهاب حَبّاب.

وأول جلسة حضرة ذكر بعد الإشراق عند الحكيم صلاح الدين خيراللّه، وهو من الصالحين فكانت جلسة مباركة قدم فيها أسئلة للحبيب وطلب منه الجواب على مقتضى مقامه وبلسان أهل الحقائق، فتكلم الحبيب بكلام على حديث ابن صياد وغيره نفيس، وقرأ في صحيح البخاري وشاركنا في القراءة وأعيدت الجلسة عنده في صباح الجمعة ١٥ جمادى الأولى، فكانت أعجب وأعجب قرأ فيها من « الفتوحات »

قوله تعالى: ﴿لهم دار السلام﴾ فتكلم الحبيب بوارد كالسيل ودعوات عظيمة ، واختتمت بتلقين الذكر من الحبيب عبدالقادر والإجازة العامة المطلقة، وكذلك بالإجازة من السيد الفاتح محمد الكتاني، وفي أثناء الإقامة بدمشق وهي نحو خمسة أيام زار بنا الحبيب الشيخ العالم الجليل حسن حبَنّكة ودار الحديث، قال الشيخ كالمعتذر من الدعاء والفاتحة: إن صاحب «المهذب» لما طلع فوق الكرسي مدرساً في بغداد بكى وأنشد:

خَلَتِ البلادُ فَسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ ومن البلاءِ تَفَرُّدِي بالسُّؤْدُدِ

وزرنا سيدنا الصحابي عباس بن مرداس بجوار جامع السنجقدار، ومن حوله حضرنا حضرات ذكر، منها أول ليلة في بيت السيد الفاتح وأنشدت قصائد صوفية شيقة، منه نسيم الوصل للإمام السودي، وحضرة في جامع الحقله حضرة شاذلية عظيمة، وحضرة في بيت السيد هاشم عيطة حضرة ذكرية بالدفوف، ودخلنا بيت العالم المفتي الشيخ أحمد كفتارو، وزار بنا الإمام الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي، والإمام عبدالغني النابلسي.

ثم حضرنا درس الشيخ العالم محمد عوض والمسجد مكتظ بالشباب ففرحنا كثيراً وذلك في مسجد زيد بن ثابت، وزرنا الصحابي الجليل دحية الكلبي، وسيدنا بلال مولى أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه مؤذن الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم، وهو ممن تشتاق الجنة إليه، وزرنا السيد مكي الكتاني رحمه اللّه ، والشيخ بدر الدين الإمام المحدث رحمه اللّه، وفي يوم الخميس اجتمعوا في أربع سيارات وعزمنا لزيارة الإمام محيي الدين يحيى النووي إلى نوى فوصلنا نوى بعد ساعتين ومعنا السيد الفاتح والشيخ محمد عوض وكثيرون وقرؤوا حزب النووي وقرؤوا يس ، ودعا الحبيب بدعوات عظيمة أبكت الحاضرين وظهرت بشائر القبول، وخرجنا إلى قرية يقال: إن

فيها عين نبي اللّه أيوب فزرناها واغتسلنا بها ، وزرنا ضريحاً يقال: إنه قبر سعد بن عبادة ؛ ولكن الأصح أنه في المنيحة قرية قريبة من دمشق ، وقيل: إن قبر نبي اللّه أيوب قريباً ، فرتب له الحبيب فاتحة من السيارة.

ثم عدنا إلى دمشق للصلاة، ثم الغداء في بيت السيد الفاتح بارك اللّه فيه، وصلاة الجمعة في مسجد بدر والخطيب أبو النور محمد قُرَهْ عَلِي وموضوع الخطبة حول التبرج وتقليد الغرب والفرق بين آداب الزواج الشرعي والتقليد الغربي.

وبعد الصلاة طلبوا من الحبيب عبدالقادر أن يتكلم فتكلم قليلاً ودعا بدعوات عظيمة وختمت بالفاتحة، وانتقلنا للغداء إلى قرية بيت سحم وللمولد عند الشيخ محمود وهو داعٍ إلى اللّه في قريته ، وقد ذكر لنا السيد الفاتح أنه لا يوجد في قريته من يستعمل الدخان من آثار دعوة الشيخ محمود، وبعد العصر توجهنا بخمس سيارات لزيارة سيدنا الإمام أبي يزيد البسطامي فزار بنا الحبيب زيارة عظيمة أبكى فيها الحاضرين، ودعا بدعوات مفتوح بها وهو خارج دمشق نحو ١٠ كيلو .

وعدنا إلى دمشق وحضرنا المولد عند الشيخ محمود وأهل قريته فتكلم أحدهم بكلمة طيبة وطلبوا من الحبيب فتكلم بمذاكرة عظيمة ووارد عظيم وقرأت قصائد ومدائح وانتهت الجلسة نصف الليل، وكان السيد الفاتح بيده الزمام لتهيئة المجالس وقام القيام التام مع الحبيب. واستعفى عن وظيفته في المدرسة لحضور مجالس الحبيب وأجابوا جميعاً دعوة الشيخ محمد عوض إلى حضور ضيافة تحسين الصفدي، وتكلم بعد الغداء الولد الأديب حافظ القرآن الكريم محمد نعيم إكسوكي بكلمة طيبة حازت الإعجاب لطلاقة اللسان، وشكر صاحب الضيافة، وذكر واجب الأخوة وفوائد المحبة، وطلبوا من الحبيب أن يتكلم فتكلم بكلمة قيمة ودعا بدعوات عظيمة وختمها بالفاتحة والدعوات الجامعة.

وأكثر من قام بالحبيب وسعفه ولازموهم من ذكرنا في مقدمتهم السيد العالم الفاتح وأبوالطيب محمد قويدر وأخوه أبو سعيد وغيرهم والشيخ أبو العلا محمد حسين وسيارته هي التي حملت الحبيب إلى نوى ذهاباً وإياباً والسواق ولده سامي. وهم من المدينة المنورة، وفي دمشق بالخصوص مآثر عظيمة ومزارات مشهورة سنذكر فيما بعد من تيسر لنا زيارته لأنها الأرض المباركة وفيها وردت أحاديث منها قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم:«طوبى لأهل الشام إن الملائكة باسطة أجنحتها عليها» رواه الإمام أحمد والترمذي .

وقوله لحذيفة بن اليمان:«عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد اللّه يسكنها خيرته من خلقه، وإن اللّه تكفل لي بالشام وأهله» رواه الطبراني.. إلى غير ذلك كما في كتاب «زيارات الشام» ، وذكر فيه من الصحابة كثيرين منهم بلال وأوس بن أوس من أهل الصفة ورؤوس الزاهدين، وأبو الدرداء عويمر حكيم هذه الأمة وزوجته أم الدرداء، وفيها كما يقال قبر نبي اللّه موسى وقبور خمسمئة نبي ونقل أن قبره قريب دمشق قرب الكثيب الأحمر ..إلخ ما أطال .

وتوجهنا بعد الإشراق يوم السبت بعدما ودعنا السيد الفاتح وزودنا بالدعاء والزواد، وتوجهنا إلى حمص وحلب في سيارة أجره فوصلنا بعد نحو ساعتين إلى حمص وزرنا سيدنا خالد بن الوليد واجتمعنا في جناح المسجد بأساتذة صالحين وعلماء يدرسون في المعهد الأهلي متمسكون بالسنة والآداب واللباس وتوفير اللحى..إلخ.

وختم الحبيب المجلس بالفاتحة واستأنفنا المشي فوصلنا حلب قبل الظهر إلى محل صديق الحبيب ومريده السيد محمد محمود باذنجكي[1] من الأولياء الكبار كما قال الحبيب عبدالقادر، ففرح بنا غاية الفرح، ونزلنا عنده في بيته واحتفى بالحبيب حفاوة

---

(١) كان على جانب عظيم من الصلاح توفي رحمه اللّه عام ١٤٠٤ هـ .

جزاه اللّه خيراً هو وأهل بيته وأولاده، وخرجنا عند الشيخ العالـم بكري رجب [١] إلى زاويتـه فأجازنـا، ويـوم الأحـد زرنـا مدرسـة النهضـة للعلـوم الشـرعية، وزار الحبيـب الصفوف وتكلـم مع الطلبة بكلام نفيس، وختـم الجلسات بالفاتحة والدعوات الصالحة بعد أن قرأبعض الطلبة بآيات من أول سورة ﴿حم﴾ الزخرف.

وزرنا الشيخ العالـم عبداللّه سراج الدين، وأهدى لنا بعض الكتب من تأليفه وعزم الحبيب للغداء، ويوم الاثنين وصباح الاثنين كان الفطور في بستان السيد محمد محمـود وحضرت طوائف كثيرة منهم المفتي الشيخ محمد الحكيـم، وخرجنـا بعـد الصبـوح إلى دار الإفتاء ، وكانت جلسة مباركـة أسمعنـا فيهـا النشـيد المجيـد محمـد زاهـر أبيـات في الحضرة المشرفة بصوت شجي وهي:

إنسـانُ عـينِ الكـون روحُ وجـودِهِ ... يـس إكسـيرُ المحـامد طـه

حسـبي فلسـتُ أفي بمـدح محمـدٍ ... لـو أن لي عـدد الـورى أفواهـا

إنـي هديـتُ مـن الكتـاب بآيـةٍ ... فعلـمتُ أنّ عُـلاه ليـس يضاهى

ورأيـتُ فضـل المرسـلين محـدداً ... وفضـائلَ المختـار لا تتنـاهى

كيف السبيل إلى تقصّـي مـدحِ مـن ... قـال الإلـه لـه -وحسبك جاهـا-:

إنّ الذيـن يبـايعونك إنمـا ... هـم مـن يقـال يبـايعون اللّـهَ

ودعوا بدعوات، وزرنا محل مفتي الشافعية وضريح الولي ومن معه، ثـم كان الغـداء عند الشيخ عبداللّـه سـراج واجتـمع كثـيرون ، وكـانت جلسـة بعـد الغـداء مباركـة ختـمت بالإجازة من الحبيب عبدالقادر وتلقين الذكر، وبالإجازة مـن الشـيخ عبداللّـه سراج ثـم الفاتحة .

---

(١) هو العلامة الشيخ بكري رجب، عالـم متوسع، وداعيـة كبـير، لـه مؤلفـات كثـيرة، عرفـه العالـم الإسلامي ناصحاً أميناً ، توفي سنة ١٣٩٩ هـ رحمه اللّه رحمة الأبرار .

وفي يوم الثلاثاء كان الإفطار صباحاً عند المفتي سابقاً الشيخ محمد بلنقو وكانت جلسة مباركة خرج بالحبيب يريه المستشفى الذي عمره على نفقة الخيرية ، وهم مزمعون على توسعته وعمارة مسجد بجواره، وكان الغداء يوم الثلاثاء عند الولد أديب فقدم مائدة فخمة حضرها جمع كثير، وكانت بعدها جلسة مباركة ختمت بالدعوات الصالحة والفاتحة .

ثم خرجنا فزار بنا سيدي نبي اللّه زكريا واستحضر صلحاء الجهة وسائر المسلمين وكانت زيارة عامة عظيمة ودعوات مفتوح بها وآثار القبول إن شاء اللّه ظهرت ، وخرجنا بعد ذلك إلى محل السيد محمد دكانه في بستانه، وحضر معنا الشيخ العالم بدرالدين أبوصالح[1] وهو ممن لازم الحبيب، واجتمع جماعة فبعد صلاة المغربين تقديماً للعشاء تكلم سيدي على قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ بكلام لم نسمعه من غيره ولم نطلع على مثله في كتاب، وهكذا مذاكرات الحبيب ودعواته واردات غريبة كل ساعة لها لون، واستطرد بعد ذكر الأمانة وما قاله المفسرون وأهل الحقائق إلى حديث « كنتُ سمعه الذي يسمع به..الحديث » وذكر فيها معاني غريبة وضرب له أمثلة واستمر الكلام إلى بعد أذان العشاء.

ثم عدنا إلى البيت لتهيئة السفر إلى حمص فدمشق، وفي هذه الرحلة المباركة عملنا بالسُّنة فأمَّرنا الحبيب محمد بن صالح المحضار خشية من تعب الحبيب وعلى ظن أنها أسبوع وتنتهي؛ ولكن استمر الحبيب أميراً وأعجبته الإمارة وصدرت أوامره

(١) كان على جانب عظيم من الصلاح وتوفي في حادث سير في جدة ١٤٠١ هـ رحمه اللّه رحمة الأبرار.

فنفذناها ولم يقصر ولم يقتر ﴿وكان بين ذ لك قواما﴾ . فللّه دره من أمير يخدم المأمورين ويتحمل المشقة للمرافقين ، فجزاه اللّه الخير الكثير.

أما الحبيب عبدالقادر حفظه اللّه فقد كنا نظن أنا سنخدمه فخدمنا أو نعينه فأعاننا، فأصبح الخادم مخدوماً والأمير مأموراً وهكذا يكون أهل الفضل، ومدة البقاء في حلب ثلاث أيام ودخلنا فيها عند الشيخ بكري رجب وأجازنا وأعطانا نسخ من شرح العينية وقدم أبياتاً قال فيها :

أهــلاً بعبدالقــادر الســقافِ ... وذويــه مــن آل النــبي الأشــرافِ

أهـلاً بمـن شَـرُفَتْ بهـم شَـهباؤُنا ... وتزينــت في أكمــل الأوصــافِ

يــا مرحبــاً بقدومهــم لــما أتــوا ... خمساً غـدت تربـوا علـى الآلافِ

يــا ســادة شــرُفتْ معاهدنــا بهــم ... هـم جوهـر حُلـوا حُلـى الأصـدافِ

فعليكــمُ مــني الســلام تحيــة ... مــا لاح بـدر في سمــا الأخيــافِ

اخترت نظم هذه الأبيات الخمسة لأن المعنيين بالمدح خمسة وأهل العباء خمسة تبركاً بهذا العدد المبارك، وقد أجزت الشيخ محمد الهدار بما أجازني به أشياخي من علم الحديث النبوي والتفسير للقرآن الكريم والوعظ العام كما أجازني به رسول صلى اللّه عليه وآله وسلم مناماً .

العبد الفقير إلى اللّه بكري رجب

١٦ جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ

وبتنا بخير ليلة في بيت السيد محمد محمود، وبعد صلاة الصبح جهز لنا سيارة ولده محمود فعزمنا بحمداللّه ووصلنا حمص بعد نحو ساعتين فزرنا التربة وسيدنا الإمام

العادل عمر بن عبدالعزيز رحمه اللّه ، فزار بنا زيارة عظيمة واستحضر بقية الصالحين وسيدنا خالد بن الوليد، ووصلنا دمشق قبل الظهر بساعة ، ونزلنا في المحل المهيأ لنا شقة أبي جميل عبدالوهاب حباب، وخرجنا بعد العصر إلى بيت أبي العلا الشيخ حسين وقدم فاكهة ثم ختمت بالفاتحة .

ثم زرنا سيدتنا زينب بنت علي في قرية يقال لها « رادية » متصلة بدمشق، وهي زوجة سيدنا عمر بن الخطاب توفيت عقيب مقتل سيدنا الحسين بن علي عليهما السلام، والقرية يقال لها قبر الست، وبعد زيارتها عدنا فصلينا المغرب في مقام سيدنا سعد بن عبادة، وزرناه بحمد اللّه .

ودخلنا قبل العشاء إلى مسجد القصور وفيه درس علمي يقوم به إمامه فتكلم الحبيب فيه بكلمة بعد الأذان ثم بعد صلاة العشاء دخلنا بيت السيد مكي الكتاني رحمهم اللّه وأتوا بحلقة ذكر وأناشيد، وانتقلنا إلى بيت مصطفى الدقاق لبعض أذكار ونشائد وفي الصباح دخلنا بيت الحكيم صلاح الدين لجلسة علمية كالعادة وأفاض فيها الحبيب على حديث «قارئ القرآن مع السَّفَرة .. إلخ» ، وخرجنا إلى دار الحديث محل الإمام النووي الشهير وزار بنا الحبيب وختم الدعوات بالفاتحة .

ودخلنا للغداء بيت عبدالماجد حناوي وقدم مائدة فخمة ودعا سيدنا بدعوات عظيمة ومجلس عظيم ختم بالفاتحة .

وقد قال لنا الشيخ عبدالماجد أنه رأى قبل وصولنا الحبيب وسعفه وأن زوجته كذلك رأت الحبيب قبل وصوله، ورأى أبوبشار رؤيا صالحة، رأى الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم في صورة الحبيب عبدالقادر وأبو العلا الشيخ حسين رأى من قبل أن الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم يأمره بخدمة سيدي عبدالقادر.

وتهيأنا للعزم إلى مكة المكرمة آخر يوم الخميس ٢١ جماد الأولى ١٣٩٦ هـ ، وخرج إلى المطار عدد كثير لتوديع الحبيب وفي مقدمتهم الحبيب الفاتح محمد مكي والأحباب الشيخ وحيد نعمة وأبو الطيب وأخوه أبو سعيد وإبراهيم الصباغ وعبدالماجد حناوي وغيرهم، وأخبر الأخ إبراهيم جميل صاحب الطريقة الخلوتية أنه كان يسأل من اللّه أن يجمعه برجلٍ إذا صافحه وصله باللّه وإذا نظر إليه اخضر عوده وأثمر، فرأى في الليلة الثانية سيدي الحبيب عبدالقادر أقبل عليه فصافحه . اهـ .

واختلف علينا وعد الطائرة فلما أتت من استنبول عائدة إلى جدة حدث غيار في بابها فرفض سائقوها إلا إرجاعها إلى جدة فارغة، وجاء المطار كثير من استنبول وفيهم سيدي الحبيب عمر بن عبداللّه ابن الشيخ أبي بكر بن سالم داعي إلى اللّه بلغات شتى تلميذ الحبيب عمر بن أحمد بن سميط ومن خواصه، فبتنا في المطار ساهرين وصلى سيدي بنا بالسجدة وهل أتى ؛ لأنها جمعة وبعض أهل اللّه لا يتركها ولو في السفر، والفقهاء نصوا على أن السنة في صبح المسافر مصلياً الكافرون والإخلاص، وبعضهم يجمع بين ذلك كله إذا كان مسافراً وصلى خلفه متم .

ثم وصلت طائرة ضحى يوم الجمعة ولكن أخذت الراكبين من غير دمشق فبقينا في الانتظار، حكمة اللّه الذي يخلق ما يشاء ويختار ، فجاءت الطائرة عصر الجمعة فأحرمنا بالعمرة عند توجهها عن الحبيب عمر بن أحمد بن سميط رحمه اللّه شيخنا، ووصلنا جدة بعد نحو ساعتين، والأخ عبداللّه بن محمد بن صالح المحضار في الانتظار فشيعنا الحبيب إلى البيت الذي يسكن فيه في جده ورتب فاتحة القبول وخاتمة الرحلة المباركة والحقير عزم مع السيد أبي بكر المحضار مكة لإكمال العمرة، وحضور جلسة السادة آل البار .

فحضرنا بحمدالله وأجازنا الحبيب عبدالقادر بن سالـم ودعا لنا، وفي الصباح اتفقنا بشيخنا الحلاحل عمر بن عوض الحداد فأفاد وأجاد وزرنا الحجون بعد الإفطار عند الأخ أبي بكر المحضار، وزرنا بعدها المعلاه، وإذ بولد الحبيب الفقيد أحمد بن عبود البار [1] ، وصل من رابغ في ذه اللحظة، قلنا: كرامة لتعرفنا قبر والدك، شيخنا الحبيب أحمد، فزاره بنا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين وسائر الصالحين في كل حين عدد ماوسعه الله رب العالمين. حرر ٢٤جماد الأول ١٣٩٦ هـ .

يتبع هذه الرحلة المباركة: بعد ما ذكر بقينا في مكة يومين، ثم عزمنا طيبة وزرنا أهل بدر ومعنا الأخ علوي الحداد[2] حفظه الله ووصلنا طيبة ليلاً عند الحبيب

---

(١) الحبيب أحمد بن عبود البار ولد بحضرموت، وأخذ عن جُل علمائها وبالذات الحبيب أحمد بن حسن العطاس الذي تأثر بعلمه كثيراً، ثم انتقل إلى الحجاز وطنَّب خيامه في ينبع، فكان لغزارة علمه وكرمه مقصداً للصادرين والواردين من مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبالذات العلماء كالسيد علوي عباس المالكي وغيره من علماء الحرم، وكان سيدي الوالد كثير التردد عليه للاستفادة من علمه الكبير ونميره الفيّاض ، وقد زاره في عام ١٣٩٢ هـ وكنت بصحبته، وقد أجازنا ودعى لنا بدعوات نسأل الله أن يحققها، ثم انتقل في أواخر عمره إلى جدة وإن كان يحبذ سكنى ينبع ويقول عن ينبع: لقد ألفنا وألفناه . وقد كان رحمه الله كثير العبادة والذكر فاتحاً مسكنه للعلماء ورواد المعرفة حتى توفي عام ١٣٩٥ هـ تقريباً، ودفن بمكة المكرمة بمقبرة المعلاه .

(٢) علوي بن أبي بكر الحداد، أديب وشاعر من مواليد نصاب، وبها تلقى تعليمه على يد خاله الإمام الشهيد أحمد بن صالح الحداد وعلى عمه أحمد بن علوي الحداد،طلب العلم في تريم في معهدها القويم، وأخذ عن كثير من علماء تريم، وعمل في التربية فترة وشاهد محنة خالة فانتقل إلى البيضاء وبها مكث في الرباط لدى سيدي الوالد يكرع من معينه، وبها تأهل ثم

صالح بن حسن الحامد، وهكذا كل مرة ننزل عنده في الرباط ويقوم بنا أتـم القيام ولا يتركنا نخدمه ولو ساعة مع كبر سنه يتحمل المشقات حتى الماء ينقله على ظهـره مـن الطابق الأسفل إلى الأعلى لنا، وفي الصبـاح زار بنـا أولاً سـيدنا البركـة الـولي الصـالح الوالد عمر بن علي المثنى العطاس، ثـم زار بنا الحبيب صالح الحامد المذكور وخرج بنا بعد زيارة الحضرة المشرفة البقيع وزار بنا ودخل عند قبر شيخنا وسيدنا أخيـه الحبيـب أبوبكر بن حسن الحامد وجمع معنا ناساً هو والشيخ الفاضل عبدالرحمن باقيس للغـداء منهم الشيخ العلامة عمر الخطيب التريمي والحبيب عمر والأخ أحمد بن عمر الحبشـي، وزرنا قبل الظهر سيد الشهداء سيدنا حمزة وسيدنا الإمام علي العريضي زيارة رائقـة، قرأنا يس عند سيدنا حمزة وما تيسر وقصيدة على ريم، وعند سيدنا العريضي كذلـك قصيدة نسمات الحي ، وعند الزهراء كذلك.

وأعدنا الزيارة للحضرة المشرفة بعد الظهر واستودعنا وأخذنـا في سـيارته إلى جـدة الحبيب أبوبكر بن حسين الكاف أحسن الله مكافأته، وأحرمنـا بـالعمرة عـن الزهـراء وتوجهنا مكة معاً، وبعد تـمام العمرة آخر نهار الخميس عزمنا على الرجوع إلى جـدة لتعاهد مواقيت السفر وفي هذا اليوم جلسنا كثيراً مع شيخنا العلامـة عمـر بـن عـوض الحداد وصلينا المغربين في جدة، وحضرنا ختـم للـمرحوم محمـد بـن لادن وأطعمـوا طعاماً كثيراً، وتكلـم الحبيب عبدالقادر يسيراً.

ودخلنا عند صالح النامسي وأمه محرم لنا من المصاهرة وبتنا عنده إلى قريـب نصـف الليل في خير ليلته وعزمنا على الرجوع إلى مكة لأن الطائرة وعدها يوم الأحـد فعدنـا بعد صلاة الفجر نحن والإخوان عيدروس وطاهر ابـنـي عمر باعقيل بارك الله فيهم في

انتقل إلى مكة المكرمة، تربطه بسيدي الوالد محبـة عظيمـة وقـد رافقـه في كثير مـن أسـفاره ولازمه في مكة المكرمة ولازال بها تحفه عناية الله .

سيارتهم، فبعد العمرة زاروا بنا سيدتنا خديجة وأهل الحجون والمعلاه ثم زرنا الحبيب العلامة عطاس[1] الحبشي وجلسنا عنده جلسة مباركة نحو ساعة ونصف ونزل أخوه سالم ودعا لنا وأجازنا وخرجنا عند الحبيب العلامة سيدي سالم بن طالب العطاس مبتلى بالشلل رحمه الله رحمة الأبرار ومن كبار الصالحين فأجازنا ودعا لنا.

ثم دخلنا عند الحبيب عبدالقادر فجلسنا جلسة طيبة، وعزم معنا إلى جدة فدخلنا عند الحبيب العلامة حسن بن سيدي الغوث عبداللّه بن عمر بن أحمد الشاطري فجلسنا جلسة طيبة وصلى بنا الظهر وخرجنا لطواف الوداع فصادف فراغ المطاف بحيث تمكنا من تقبيل الركنين واستلامهما في كل شوط بحمد اللّه سبحانه، ثم توجهنا بمعية الحبيب عبدالقادر إلى جدة لأنه على وعد مع بعض الحضارم ونحن غداءنا عند الشيخ الفاضل سيف نعمان سعيد، وطلب منا الحضور بعد العشاء لقراءة المولد فحضرنا بحمد اللّه، واجتمعنا بالإخوان عيدروس وطاهر ابني عمر بن عبدالرحمن باعقيل السقاف، وكانت ليلة مباركة.

وبعد المغرب دخلنا إلى بيت الأخ طه بن محمد السقاف للاستيداع من الحبيب عبدالقادر ومعنا الحبيب العلامة محمد بن علوي الحداد[2] والشيخ الفاضل أحمد بن

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) هو العلامة الداعي إلى اللّه محمد بن علوي الحداد، من مواليد نصاب أخذ مبادئ القراءة والكتابة بها، وارتحل إلى حضرموت وانتظم ضمن طلاب الرباط، وتتلمذ على يد شيخ الإسلام الإمام عبداللّه بن عمر الشاطري، ثم عاد وتولى الإمامة والخطابة في حبان، ولذلك يلقب «بالحباني»، ومن جراء مضايقة الحزب الاشتراكي رحل إلى مكة المكرمة وبها ألقى عصا الترحال وجاور البيت إلى توفاه اللّه سنة ١٤٢٠ هـ ودفن بمقبرة المعلاه رحمه اللّه .

جبران بن عوض جبران[1] فأجازنا الحبيب وألبسنا ومن معنا، وكانت ساعة مباركة دعا لنا فيها بدعوات عظيمة، وبتنا في بيت الشيخ سيف نعمان قرأنا المولد وسمرنا على مذاكرات علمية وصلينا الصبح عنده على ذلك.

---

(١) الشيخ أحمد جبران بن عوض جبران من أهل الفضل والصلاح ولد عام ١٣٤١ هـ في مدينة شبام بحضرموت وبها نشأ وترعرع وأخذ بها مبادئ القراءة والكتابة، ثم رحل إلى المكلا وعمل بها فترة من الزمن ثم انتقل إلى عدن وعمل بها بصحبة أخويه علي ومحمد، وكان منزلهم مقصداً للعلماء ولرواد الهداية والصلاح، ومع تغير الأوضاع انتقل إلى جدة وبها استقر وزاول مهنة التجارة وكان مرشد خير للأعمال الصالحة كثير المساهمة في بناء المساجد ونشر التعليم واستمر بها حتى فاجأه الأجل المحتوم سنة ١٤١٧ هـ وقد رثاه أخوه الشاعر محمد جبران بقصيدة قال فيها:

الحمد للّه في أقداره حِكم — كذا النوائب في طياتها نعمُ
ما قدر اللّه من أمر فليس لنا — أي اعتراض على ما خطه القلمُ
قضى على كل نفس في الوفاة إذا — حانت سويعاتها فالعمر منصرمُ
مات ابن أمي ومات الجود الكرم — من لي بمن بخصال الجود يلتزمُ
ومن إذا جاء بعض الناس يختصم — من بعضهم قام يسعى مصلحٌ حكمُ
ومن إذا جاء شخص يبتغي أرباً — يسعى لحاجته والوجه مبتسمُ
يعطيه من ماله ما في استطاعته — كذاك من وقته والوقت يلتهمُ
أمضى الحياة لنشر العلم من زمنٍ — بهمة وبعزم دونها القممُ
يوزع الكتب في الآفاق ينشرها — داع إلى اللّه بالقرآن ملتزمُ
أقامه اللّه في هذا المقام فلم — يعبأ بمعترض إذ طبعه الشممُ
لم يثنه قول من قد قال عن حسد — أو قاصر الفهم لم تنهض به الهممُ
ياليت شعري هل في الأهل من خلف — يقفو على إثره باللّه يعتصمُ
إني لأرجو من الرحمن يكرمنا — لنهج سيرته تحيى بها الرممُ

وتهيأنا للعزم يومنا الاثنين إلى صنعاء وعزمنا المطار وخرج معنا الأخ أحمد عبدالله وأحمد جبران والأخ أحمد بن حسين الجنيدي وهو من صفوة من عرفناهم وصحبناهم وتأخرنا بسببه حتى غلقوا على الركاب ورفضوا يفتحوا لنا، ولكن إرادة الله حيث حصل في الطائرة كرامة له تغيير فتأخرت فركبناها وبقيت أيضاً نحو ساعة ونصف في المطار متغيرة ثم أقلعت ووصلنا صنعاء قبل العصر بحمد الله ولطفه.

ونزلنا في بيت الأخ أحمد السوداني وجلسنا يوماً وليلة اجتمعنا بالحبيب الوالد إبراهيم بن عمر بن عقيل حفظه الله، وطلبوا منا مجلس علماء صنعاء كتابة في موضوع الأخلاق لما يزمعون جمعه وطبعه من المواضيع.

وركبنا سيارة بعد المغرب ليلة الأربعاء نحن والأخ أحمد الهدار لأن الله سبحانه أتى به من مطار مأرب فأرجعوه من الطائرة، ووصلنا رداع بعد منتصف الليل فرقدنا وبعد صلاة الصبح توجهنا وحصل غيار في العجل، فوصلنا السوادية قبيل الظهر.

وحاول الحبيب مطهر السقاف[1] أن يؤخرنا فاعتذرنا له وبعد تعب شديد قبل العذر ودعا لنا ورتب فاتحة وأكرمنا برأس غنم معنا في سيارة محمد علي حيدرة من مذوقين، فوصلنا عزة بعد العصر والوالدة فيها فبتنا فيها بحمدالله.

يا رب واجعل له الفردوس منزلة	فضلاً ومناً وجوداً منك يا حَكَمُ
ثم الصلاة على المختار شافعنا	يوم القيامة حيث الناس تختصمُ
والآل والصحب والأتباع قاطبة	ما هبت الريح والأمواج تلتطمُ

(١) هو السيد مطهر بن علوي بن حسين السقاف، رجل من أهل الصلاح والفضل سكن السوادية ولازال بها مرجعاً لكثير من الأمور الخيرية، وهو والد زميلنا في طلب العلم الأخ علوي مطهر السقاف والمتوفى ١٤١٨ هـ على إثر جلطة دماغية رحمه الله ، ونسأله

وبعد صلاة الصبح توجهنا فوصلنا بعد الإشراق وهم في بقية ختم الصباح الخميس في المسجد وفي حضرة الإمام عمر بن علي واجتمعنا بالحبائب والإخوان والأولاد، آيبون تائبون لربنا حامدون . فالحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

حرر في ١٣ جمادى الآخر ١٣٩٦ هـ

وأتت الأخبار المدهشة المحيرة للعقول، بموت سيدنا الإمام علم الأعلام جعفر بن أحمد العيدروس[١] في ٣جمادى الثانية ١٣٩٦ هـ، وكم بعده مات من أعلام في هذا العام آخرهم الشيخ العالم الجليل الذي حُشي علماً وتقوى محفوظ بن سالم بن عثمان[٢] ، عالم تريم بل عالم الكون، رحمهما الله ورحمنا بهم، كانت وفاته في حدود آخر القعدة الحرام ١٣٩٦ هـ، وحج عنه الأخ أحمد الهدار رحمهم الله غفر الله لهم ولنا بهم وأعلى مع الصديقين مرتقاهم، والحبيب سالم بن طالب في مكة المذكور آنفاً .

الحمد لله وفي ١٠ شوال تجدد العزم إلى الحرمين الشريفين فكانت رحلة مباركة عبرنا فيها صنعاء وتعز والحديدة وكانت مجالس ميمونة، وصلنا مكة شرفها الله معتمرين بعمرة عن سيدنا الإمام جعفر بن أحمد العيدروس في ١٣القعدة الحرام كما أظن، واعتمرنا عنه رحمه الله كذلك من المدينة المنورة مرتين ومرتين من جده كل

سبحانه أن يلحقه بركب الشهداء وفي السوادية مجموعة من آل السقاف ينتمون إلى الحبيب علوي بن عمر بن علي صاحب الوهط .

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) تقدمت ترجمته .

ذلك قبل الحج، وأحرمنا بالحج عنه من جده رجاء أن يقبلنا اللّه على مافينا واجتمعنا بعدد كثير من العلماء، ورافقنا إلى عرفات ومنى سيدي الحبيب إبراهيم بن عمر بن عقيل فكانت مجالسه مأنوسه ودعواته وصلواته من الغنائم الباردة، ومنهم سيدي الإمام علم الأعلام عبدالقادر بن أحمد السقاف، جالسناه كثيراً قبل الحج وفي الحج وبعد الحج، وسمعنا منه الكثير الطيب، ومنهم سيدي الشيخ العلامة عمر بن عوض الحداد شيخنا وبركتنا وهو مقيم بمكة شرفها اللّه، ومنهم الشيخ محمد نور المكي رحمه اللّه المتوفى ١٤٠٣ هـ ظناً بمكة المكرمة .

الحمدللّه وتجدد العزم في صفر ١٣٩٧ هـ من البيضاء إلى الحديدة وصنعاء، وسافرنا طائرة إلى صنعاء للزيارة والدعوة، واستغرقت الرحلة أكثر من شهر كانت فيها مجالس علمية يسرها اللّه سبحانه، وعدنا من صنعاء في الطائرة، وحضرنا شهر المولد في الرباط في البيضاء ١٣٩٧ هـ وتم على أحسن الأحوال، وزيادة على المعتاد وخرجنا في ربيع الثاني إلى عزة للدعوة في القرى ولإصلاح الخزان الكبير، وسافرنا منها في طائرة البيضاء إلى صنعاء وأتو العائلة من حضرموت وذهبنا تعز وأمرنا الولد حسين بن محمد الهدار ينقل العائلة إلى البيضاء، ومنَّ اللّه علينا سبحانه فيسر لنا زيارة الحبيب الأعظم صلى اللّه عليه وآله وسلم، أعطينا الجواز الأخ المبارك محسن أبي بكر المحضار بصنعاء فعامله وقطع لنا التذاكر مرجعاً إلى جده، وكان عزمنا بمعية الأخ عبداللاه بن محمد بن علي بن محمد بن عيدروس بن عمر الحبشي وجعلنا الحبيب عيدروس جَدَّه إن شاء اللّه وسيلتنا في قبول الزيارة، فوصلنا جدة بعد عصر يوم الأربعاء ٢ جمادى الأول ١٣٩٧ هـ ونزلنا محل الأخ علي بن سيدي حسين عيديد لأنه جالس بالنيابة عن الأخ محمد بن أحمد بن هارون يخطب ويتأمم ويدرس في مسجد بن لادن ومدرسته في الكندرة، وعزمنا بعد الفجر المطار وركبنا المدينة المنورة ومنَّ اللّه سبحانه وله الحمد بالوصول فزار بنا أحد أهل المدينة، وكان الحبيب محمد بن علوي العطاس الزبيدي

يقول: «ينبغي أول زيارة بأحد من أهل المدينة وأول طوفة بأحد من أهل مكة لأنه يؤثر عن المتقدمين «طوفوا بأهل مكة وزوروا بأهل المدينة».

وبعد الزيارة وإذا بشيخنا عمر بن عوض حداد في الروضة وصلينا معه فيها وزار بنا، ثم بعد الظهر وإذا بالحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف باقي في المدينة، فاجتمعنا به وزار بنا من ناحية المسجد ودعا وأطنب عجل اللّه إجابة الدعاء، فأخذنا معه لحضور مأدبة فخمة ومولد بمناسبة وجود الحبيب عبدالقادر في المدينة عند بعض الأثرياء، وذاكر الحبيب بعد قراءة فصول مذاكرة عظيمة في شمائل الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم وخصوصياته من الفتح الرباني، وبقينا نتردد عليه ونحضر معه المآدب والموالد وأمر أحد أصدقاءه يحجزون لنا غرفة في فندق قصر طيبه جزاه اللّه عنا خيرا، وأينما جلس في الحرم أو غيره يهرع إلى مجلسه الأخيار، فهو مغناطيس جذاب لأهل الخير . أتى إليه في مجلس في الحرم موظف مع الحكومة التونسية في السفارة اسمه عبدالحي الكتاني وتباحث معه في مواجيد أهل اللّه، قال في الأثناء: إنه سأل بعض علماء المغرب عن قول الإمام ابن الفارض رحمه اللّه:

فإن اكتفى غيري بطيف خياله ... فأنا الذي بوصاله لا أكتفي

فأجاب بقول بعضهم:

ليس من لُوِّحَ بالوصل له ... كالذي سِيرَ به حتى وصلْ
لا ولا الواصلُ عندي كالذي ... طرقَ الباب وللدار دخلْ
لا ولا الداخل عندي كالذي ... سَرّرُوه فهو للسر محلّ
لا ولا من سَرّرُوه كالذي ... صار إياهم فدع عنك العللْ
ذاك شيءٌ عَلِقَ القلبُ به ... لو تجلى منه للذاتِ قتلْ

وفي سنة ١٤٠٠ هـ اتفقنا بالسيد الهمام المعمر محسن بن عبدالله بن علي بن محمد بن شيخ بن محمد بن شيخ بن محمد بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وعمره نحو من مئة عام مكتمل العقل والحواس، كثير العبادة والذكر، وقد وصل من جاوه وهو من أهل الزلاف [1] من أهل الخبش، كما اتفق رحمه الله بالعالم الجليل الفاضل السيد علي بن صالح العيدروس الريامي[2] مراراً عديدة وكنت مرافقاً له في كثير منها . ثم توالت الرحل إلى الحرمين في كل سنة مرتين خصوصاً بعد وصول عائلتنا بنت آل العيدروس وسكناهم في الحرمين وأكرمنا الله بوجود البنت سلمى والولد المبارك طه بن محمد الهدار.

---

(١) آل الزلاف أسرة من آل محمد بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم ، ومنهم آل باعش وآل الطالبي وآل سليم، وقد سكنوا عزة ومنطقة الحد، والجد الجامع لأكثرهم هو السيد سالم بن محسن بن أحمد بن سالم بن أحمد الملقب الزلاف ابن محمد بن أحمد بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، ومن هذه الأسرة الكريمة الأخ صالح بن محمد بن أحمد باعش ، ويعتبر أحد أولاد سيدي الوالد فقد أحبه وقربه إليه كثيراً وقد تزوج إحدى بنات سيدي الوالد ، وهو شاب نشأ في طاعة الله له كثير من الأيادي البيضاء في إغاثة الملهوف وسد حاجة المعوزين ، سكن المدينة المنورة مجاوراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبها استقر متردداً على المسجد النبوي الشريف ولازال تحفه عناية الله، يتردد إلى البيضاء من وقت إلى آخر وبالذات في العطل الصيفية جعل الله الخير باقياً فيه وفي عقبه وإيانا إلى يوم الدين آمين .

(٢) هو السيد الناسك العابد العالم علي بن صالح العيدروس السقاف الريامي، سكن ريام من ضواحي رداع، وهو من أسرة سكنت المنطقة ينتسبون إلى العلامة الكبير عمر بن صاحب الوهط، وقد نشأ المترجم له في المنطقة المذكورة وتردد على رداع وأخذ عن علمائها وتردد على الحرمين كثيراً ولازم السيد علوي بن عباس المالكي وولده محمدا، واستمر على ذلك الحال حتى أدركته الوفاة في جدة بعد رجوعه من المدينة المنورة، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ودفن به في رجب عام ١٤٢٠ هـ، وكنت ممن شيعه، وقد أسس مسجداً في منطقته وبجواره مدرسة للتحفيظ وللعلوم الشرعية وأتى له بمدرس وسماه رباط العيدروس .

وفي هذه السنة ١٤٠١ هـ في الحج ومحرم ١٤٠٢ هـ اجتمعنا بعدد كثير فأجازونا منهم مولانا الشيخ عبدالله بن محمد الصديق الغماري المغربي اجتمعنا به والشيخ العلامة عبدالعزيز بن محمد الصديق الغماري في مكة المكرمة في مدرسة دار العلوم الدينية ليلة الخميس ١٧ الحجة الحرام ١٤٠١ هـ فحدثونا بحديث الأولية بسندهم إلى سفيان بن عيينة عن عمر بن دينار عن أبي قابوس عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» ، وأجازونا بجميع مروياتهم وكتبوا لنا بذلك.

واجتمعنا بالشيخ عزالدين أحمد بن الشيخ أحمد الخزنوي السوري زرناه إلى الفندق فدعى لنا، وفي جدة بالشيخ محمد الفاتح قريب الله السوداي وأجازنا في الطريقة السّمّانية المنسوبة إلى الشيخ محمد السّمّان، وأجازنا عموماً الحبيب عبدالقادر مراراً، والحبيب أحمد مشهور الحداد، والحبيب أبوبكر بن عبدالله الحبشي الملقب عطاس، والحبيب محمد بن علوي الحداد الحباني، والحبيب هدار بن محمد الهدار في المدينة، وبالمسند الكبير الشيخ محمد ياسين الفاداني المكي وأعطانا كتبا في أسانيده ، ويقال: إنه المسند الأكبر الآن ، فترجع الإسنادات إلى ثبته .

وتهيأت بحمد الله لنا زيارة بغداد والنجف وكربلاء مرة أخرى بمساعدة الحبيب الفاضل عبدالرحمن الجيلاني فبتنا بعد زيارة سيدنا الجيلاني ليلة في المدرسة، وصباح الجمعة زرنا النجف بسيارة خاصة أجرة، ثم الجمعة في كربلاء عند بعض أهل السنة لعل ذلك في عام ١٣٩٨ هـ .



عمله في اليوم والليلة

أما عمله في اليوم والليلة فهو كثير وذلك فضل من اللّه ونعمة، فكم من أذكار وأوراد كان يأتي بها رحمه اللّه ونحيل المتتبع لها إلى كتبه القيمة في هذا الإطار، غير أن من المعتاد له رحمه اللّه والذي لا يتركه في حضره وسفره هو كتالي:

يبدأ رحمه اللّه عمله اليومي التهجد والقيام قبل الفجر، وللقيام بحزب القرآن الذي كان يحث عليه قبل الفجر ويشدد على من لم يحضره حسب عادة مساجد تريم، وغالباً ما يحث على الأذكار الواردة في كتابه « الفوائد الاثنا عشر» والتي تقال في الثلث الأخير من الليل، وكذا يأتي بآيات الحرز المذكورة في كتابه « الفتح والنصر » فإذا أذن المؤذن بادر بالإجابة، وهي التي يحث على عدم التكلم فيها حينما يسمع الأذان ، وأن يشتغل المستمع بالإجابة وصلاة ركعتي الفجر ويقرأ فيها بعد الفاتحة ﴿قولوا آمنا باللّه وما أنزل إلينا﴾ إلى قوله: ﴿ونحن له مسلمون﴾ ، و﴿قل يأيها الكافرون﴾ وفي الثانية ﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء﴾ إلى قوله: ﴿فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ و﴿قل هو اللّه أحد﴾ .

ثم يأتي بالأذكار المذكورة في برنامج الرباط في كتاب « الفوائد الاثنا عشر » حتى قيام الصلاة ، وبعد الصلاة يأتي بالأذكار الواردة والمذكورة في كتاب «الفوائد الاثنا عشر» ثم ينتقل إلى المدرس الصباحي ليقرأ ﴿يس﴾ وما قبله ومابعده من الدعاء، ثم مقرأين من القرآن وما تيسر من التفسير ، ثم في «صحيح الإمام البخاري» أو مسلم و«الجامع الصغير» وفي بعض كتب الفقه ، ثم في بعض كتب الإمام الحداد.

ويختتم المدرس بحسب العادة بآخر حديث في صحيح الإمام البخاري ثم بقصيدة من ديوان الإمام الحداد ودعاء خاتمة المجالس وبعد نهاية المدرس يركع أربع ركعات ينوي بها الإشراق والضحى يدرج فيها صلاة الاستخارة يومياً.

دعاء الاستخارة: ومما كان يواظب عليه من أدعية الاستخارة هذا الدعاء:«الحمدللّه رب العالمين، اللّهم صل وسلم وبارك في كل لحظة أبداً بجميع الصلوات كلها على سيدنا محمد وعلى آله عدد نعم اللّه وإفضاله، اللّهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللّهم وما علمته أبداً من سائر الأمور والأشياء خيراً لي ولذريتي ولأحبابنا وللمسلمين إلى يوم الدين، في ديننا ودنيانا وأخرانا ومعادنا ومعاشنا وعاقبة أمورنا عاجلها وآجلها، فاقدره لنا ويسره لنا، ثم بارك لنا فيه، اللّهم وماعلمته أبداً شراً لنا في ديننا ودنيانا وأخرانا ومعادنا ومعاشنا وعاقبة أمورنا عاجلها وآجلها، فاصرفه عنا واصرفنا عنه، واقدر لنا الخير حيث كان، ثم رضّنا به يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين، اللّهم إن علم الغيب عندك ، وهو محجوب عني ولا أعلم أمراً أختاره لنفسي، فكن أنت المختار لي، فإني فوضت إليك مقاليد أمري ورجوتك لفقري وفاقتي، فأرشدني إلى أحب الأمور إليك، وأرضاها لديك، وأحمدها عاقبةً في خير وعافية، فإنك تفعل ما تشاء وأنت على كل شيء قدير، اللّهم يسر لنا اليسرى وخيرات الدارين، وجنبنا العسرى وشرور الدارين، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم في كل لحظة أبداً عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

ثم يحضر حزب القرآن ليقرأ جزأً بعد الإشراق ثم يعود إلى منزله ويشتغل بأموره الخاصة إلى قريب الظهر فينام القيلولة ، ويقول إنها لقائم الليل كالسحور للصائم ،

فإذا أذن المؤذن أجابه وصلى أربع ركعات يقرأ فيهن أربعة مقارئ من ﴿يس﴾ ، في الركعة الأولى من قوله تعالى:﴿يس والقرآن الحيكم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بماغفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ وفي الثانية من قوله تعالى: ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ وفي الثالثة من قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أفلا يعقلون﴾ وفي الرابعة من قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر﴾ حتى نهاية السورة .

وبعد صلاة الظهر يقرأ في « رياض الصالحين » وفي « الشفاء » للقاضي عياض و«إحياء علوم الدين» للغزالي ، ثم يستقبل الفتاوى ويجيب عليها ويصلح بين المتنازعين ويقرأ جزءاً من القرآن مع الطلاب ويركع بعدية الظهر ثم يعود إلى المنزل ويشتغل بالمراجعة في كثير من الكتب الفقهية حتى أذان العصر ، فإذا أذن المؤذن أجابه وركع القبلية أربع ركعات ويقول: إن الفصل فيها أولى بأن تصلى ركعتين ركعتين يفصل بينهما فيقول: «السلام على الأنبياء والمرسلين السلام على الملائكة المقربين السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» .

ويحث عليها ويقول: إنها من موجبات الرحمة لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «رحم الله امرءاً صلى قبل العصر أربعاً» رواه الترمذي، ثم يأتي بالأذكار الواردة في كتابه «الفتح والنصر» وبعد أداء الصلاة قراءة في كتاب « صحيح البخاري» ثم في «الإحياء» ويختتم الدرس بآخر حديث في « صحيح البخاري » ثم يأتي بالأذكار الواردة في كتابه «الفتح والنصر» ، وطالما مكث معه الحاج محمد عوض عبد أحمد[1] إلى قبل المغرب فيخرج ليستعد لصلاة المغرب .

---

(١) هو الحاج محمد عوض عبد أحمد، رجل من أهل الصلاح والفلاح كثير العبادة كان يداوم على أذكار الصباح والمساء في الرباط وكان مستمراً على قراءة أذكار بعد العصر المبيَّنة في

وبعد صلاة المغرب يأتي بالبعدية ثـم يركع أربع ركعات يقرأ بعد الفاتحة في الأولى قوله تعالى: ﴿أفحسبتـم أنمـا خلقنـاكم﴾ إلى قولـه تعـالى: ﴿وكذلـك تخرجـون﴾ وفي الثانية من أول ﴿الصافات﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مـن طـين لازب﴾ وفي الثالثـة مـن أول ﴿غافر﴾ إلى قوله: ﴿وإليه المصير﴾وآية الكرسي ، وفي الرابعة ﴿لقـد جـاءكم رسـول من أنفسكم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿رب العرش العظيم ﴾.

ومما كان يواظب عليه كل ليلة سورة الملك، ويحث عليها في كثـير مـن محاضراتـه، وكان يقول:المجنون من نام ولـم يقرأ سورة الملك، لأنها المانعة من عذاب القـبر، كمـا في الحديث[1] ثـم يقوم بالدرس الفقهي وقد يأتي بالأذكـار ويتعهـد الحلقـات الفقهيـة التي تقام في الرباط والأذكار التي يعمل بهـا مذكـورة في كتابـه « ناشئة الليـل» حتـى صلاة العشاء .

وبعد صلاة العشاء في حال صحته كان يقوم بحلقات الفقه في « فتـاوى المشـهور » وفي «الـمنهاج» ، وعندما أقعدته الأمراض يشتغل بالأذكار الـواردة في كتابـه « ناشـئة الليل » حتى ثلث الليل الأول ، وآخرها راتب الإمام عمـر بـن عبدالرحمـن العطـاس . كما أوصانا وحثنا على قراءة ﴿آلـم﴾ و﴿وإلهكم إله واحد﴾ وآية الكرسي و﴿آمـن الرسول﴾ و﴿إن الدين عندالله الإسلام﴾ إلخ واثنا عشر من ﴿قل هو الله أحـد﴾ بعـد الصبح وإحدى عشر بعد كل صلاة والـمعوذتين والفاتحة .

كتاب «الفتح والنصر» واستمر على ذلك الحال فترة طويلة حتى آخر أيامه ولـم ينقطع عـن الرباط إلا حينما حبسه العذر توفي في مدينة البيضاء ودفن بمقبرة الشعب ١٤٢٠ هـ .

(١) في الحديث عن رسول صلى الله عليه وآله وسلـم «أن سورة تبـارك هـي المانعـة مـن عـذاب القبر» ذكره القرطبي في تفسيره، وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلـم أنه قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شَفعت لرجل حتى غفر اللّـه له، وهي سورة تبارك»، وفي رواية له: « هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر» .

ويقول: إن ذلك من موجبات حفظ الإيمان . كما يحث على مئة بعد صلاة الظهر من «لا إله إلا اللّه الملك الحق المبين» ، وكان يداوم على قراءة حزب البحر كل يوم بعد العصر، وكذا يداوم على قراءة حزب الإمام النووي، وورد الإمام السكران .

صلاة التسبيح: ومن عاداته رحمه اللّه صلاة التسبيح في كل ليلة من ليالي شهر رمضان بعد بعدية المغرب مباشرة يصليها أربع ركعات متوالية ويقرأ فيها ما يقرؤه في الأربع الركعات التي بعد المغرب كما سبق، ويزيد في الركعة الأولى ﴿ألهاكم التكاثر﴾ وفي الثانية ﴿والعصر﴾ وفي الثالثة ﴿الكافرون﴾وفي الرابعة ﴿الإخلاص﴾ ويفيد أن ذلك الوقت وقت غفلة فيحب أن يكتب اللّه له فيه عملا صالحا.

وكان رحمه اللّه يداوم على صيام الاثنين والخميس وأيام البيض من كل شهر وكذا الأيام الفاضلة كست شوال والتي يحث على صيامها حثا شديدا وكذا يوم تاسوعاء وعاشوراء ويوم عرفة إن لم يكن حاجا، وفي يوم عاشوراء يأتي بالسنن المأثورة في كتاب «كنز النجاح والسرور» ، وله رحمه اللّه ترتيب في كل المناسبات كختوم رمضان والعوادات والموالد سوف نذكرها إن شاء اللّه في كتاب مستقل .



علاقته بالتصوف رضي الله عنه

وعلاقة فقيدنا رحمه اللّه بالتصوف المبني على الكتاب والسنة علاقة متينة، فلقد أخذ بنصيب وافر منه بل كان من رموزه البارزين في هذا الزمن إن لم يكن أهم أعلامه في اليمن، في هذا الحقب، غير أن تصوفه مرتبط بالشريعة المطهرة كما سيأتي:

والتصوف لغة: مشتق من فعل «تَصَوَّفَ»، أي: لَبِسَ الصوفَ، ونسبة الصوفية إلى الصوف أقرب إلى القاعدة العربية واللغوية في صيغة النَّسَب، ووجه النِّسبة أن الفقراء المؤمنين الزاهدين منذ بداية الإسلام كانوا يلبسون الصوف، وكان لبس الصوف علامةً للفقراء ورمزاً للتواضع والابتعاد من الاستكبار، ولم تكن هذه العادة سيرةَ الزاهدين والفقراء الصابرين في الإسلام فحسبُ، بل كان الأنبياء السابقون أيضا كثيراً ما يشتملون شَمْلَةَ الصوف، فعن ابن مسعود عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه قال: كان على موسى يومَ كَلَمهُ ربُّه كساءُ صوفٍ وجُبَّةُ صوفٍ وكمة صوف وسراويل صوف»، وقيل: إن عيسى ابن مريم كان يلبس الصوف والشعر ويأكل الشجر ويبيت حيث أمسى . وقال الحسن البصري: أدركتُ سبعين بدرياً كان لباسهم الصوف . اهـ من «عوارف المعارف» .

وفي «سنن الترمذي»: «أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم كان يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف»، وكان يقول: «ما لي وللدنيا، إنما مَثَلُ الدُّنيا كراكبٍ استظلَّ تحتَ شجرةٍ ثم تركها وراح» رواه الترمذي .

ونسبة التصوف إلى الصوف هو الأرجح وإن كان رأيُ كثيرٍ من العلماء أنه من الصَّفاء، أو أنه من الصف الأول، أو أنه منسوبٌ إلى أهل الصُّفَّة . وقد استَنَدَ مَن نَسَبَهُ إلى الصوف من أن الزاهدين والمتنسكين حاولوا الإعراض عن الدنيا بلُبس الصوف

لأن في لُبسه تحقيقاً لأهدافهم التي تقوم على التَّقشُّف والخشونة، فهو بطبيعته متينٌ رخيصٌ خشنٌ لا يحتاج لابسه في الشتاء إلى غيره، ولا يحتاج إلى تغييره كثيراً لأنه لا يَبْلَى على وجه السرعة، ولأنه يوحي بالتواضع اللائق إلى من يتواضع للّه تعالى.

والصوفية لم يتعمقوا في التسمية في حدِّ ذاتها، وإنما اتجهوا إلى كُنْهِه ولبه، وأنشد في ذلك الإمام السبكي:

تَنازَعَ الناسُ في «الصُّوفيِّ» فاختلفوا ... قِدْماً وظَنُّوهُ مشتقاً من «الصوفِ»

ولستُ أَنْحَلُ هذا الاسمَ غيرَ فتىً ... صافَى فصُوفِيَ حتى لُقِّبَ «الصُّوفي»

النِّيَّةُ الصَّالحَةُ في اللباس

غير أن السلف الصالح من أساطين التصوف يشترطون النية الصالحة في لُبسه للسير على منهاج الأنبياء والصالحين، فقد أخرج الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي أمامة الحارثي مرفوعا: «البَذاذة من الإيمان، البَذاذة من الإيمان، البَذاذة من الإيمان»، فقال عبد اللّه بن الإمام أحمد: سألتُ أبي: ما البَذاذة ؟ قال: التواضع في اللباس .

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «إن اللّه عزَّ وجل يحب المتبذِّلَ الذي لا يبالي في لُبسه» رواه البيهقي . وأخرج الحاكم في «المستدرك» بسند صحيح عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه خرج إلى مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم فإذا هو بمعاذ بن جبل رضي اللّه عنه عند قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يبكي، فقال: ما يُبكيك يا معاذ ؟ قال: يبكيني شيءٌ سمعته من صاحب هذا القبر . قال: سمعتُه يقول: «إن اليسيرَ مِنَ الرياءِ شِرْكٌ، وإن من عادى وليا للّه فقد بارز اللّه تعالى بالمحاربة، وإن اللّه يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يُفتقدوا،

وإن حَضَرُوا لـم يُدْعَوا ولـم يُعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كـل غـبراءَ مظلـمة» . وفي «سنن ابن ماجه»: «مَن لبس ثوبَ شهرةٍ في الدنيا ألبسه اللّه ثوبَ مذلّةٍ يوم القيامة ثـم ألْهَبَ فيه ناراً» .

وللعلـماء كلامٌ نفيسٌ في من يُظهر الزهد والورع وهو على خـلاف ذلـك، إذ إن العبرة بما تنطوي عليه القلوب والسرائر من الخير والشـر، لا بمـا يُـترائى بـه مـن الطَّـوْرِ والـمظهر، ولذلك رأى البعض من العلـماءِ التوسـط في الملبس، ولذلـك قـال الإمـام الغزالي: لا يَلْبِسُ المشهورَ ولا المحقورَ، ولا يُطيل في ثيابه تَكَبُّراً، ولا يُقَعِّرُها تـمسكناً.

قال ابن بَطَّال: كَرِهَ مالكٌ لُبْسَ الصـوف لـمن يجـد غـيرَه، لـما فيـه مـن الشـهرة بالزهد لأن إخفاء العمل أولى .

ومِن ذلك يُعلـم أن لو كان نعيمُ الدنيا هو السبيل إلى قـوة الفـرد والدولـة ووحـدة الأمة وحمايتها من أطماع المعتدين؛ لنال المسلـمون بقيادة نبيهم صلـى اللّـه عليـه وآلـه وسلـم وخلفائه الراشدين أعظم قصـد مـن هـذا النعيـم، ولعاشـوا يتقلّبـون في رفاهيـة العيش وسَعة الرزق؛ ولكنهم كانوا على العكس من ذلك تـماماً .

لقد كانتْ أمم الفرس والروم على قَدْرٍ عالٍ من النعيم والبذخ، وكان يمرّ على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم ثلاثةُ أَهِلَّةٍ لا يوقدُ في بيته نارٌ لطعام، ولقد كانت تتهاوى حصـونُ الأعداء أمام فتوحات المسلـمين وهم في شظفٍ من العيش وشدةِ الفقر، وأعداؤهم يخوضـون في ألوانِ الرفاهية والنعيم، وقد روى مسلـم بسنده عن سعد بن أبـي وقـاص رضـي اللّـه عنـه قال: «واللّه إني لأولُ رجلٍ من العرب رمى بسهمٍ في سبيل اللّه، ولقد كنا نغـزو مـع رسـول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم ما لنا طعامٌ نأكله إلا وَرَق الحَبَلَة وهذا السُّمُر، حتى إن أحدنـا لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاة» وهذا الرخاء نفسه بمظاهره المختلفة لـم يستطعْ أن يكون حصناً منيعـاً

يقي الفرس والروم وأمثالهما من سطوة المسلمين وبأسهم، بل انتثر كل ذلك تحت أقدام المسلمين الزاهدين.

ونأخذ على سبيل المثال صورة حية تناقلها المتأخرون عن ذلك الرعيل السابق ممن حملوا مشعل الهداية والنور، فكانت سيرتهم العاطرة نبراسا وسناء يستضاء به إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها، فقد روى ابن الجوزي في كتابه «صفوة الصفوة» قال: سأل معاويةُ بن أبي سفيان رضي اللّه عنه ضِرارَ بنَ ضَمُرَة أن يَصِفَ علياً رضي اللّه عنه وكرم وجهه وقد صحبه طويلاً وعرفه عن كثب، فاعتذر ضرار بن ضمرة ولكن لما أَلَحَّ معاويةُ وَصَفَ علياً رضي اللّه عنه وكرم اللّه وجهه وصفاً يُصَوِّرُ به حالَه في الإمارة والخلافة، قال:

«كان يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وكان واللّه غزير الدمعة طويل الفكرة، يقلّب كفيه ويخاطب نفسه، يُعجبه من اللباس ما خَشُن ومن الطعام ما جَشُب، وكان واللّه كأحدِنا يجيبُنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن واللّه مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبةً ولا نبتديه، فإن تبسَّم فعن أسنانٍ مثل اللؤلؤ المنظوم، يُعَظِّمُ أهلَ الدين ويحبُّ المساكين، ولا يطمع القويُّ في باطله، ولا يَيْأَسُ الضعيفُ من عدله، وأشهدُ باللّه لقد رأيتُه في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُجوفَه [١] وغارتْ نجومُه، وقد تمثَّل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم[٢]، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا أَلِيَّ تَعَرَّضْتِ؟ أم إِلَيّ تَشَوَّفْتِ؟ هيهاتَ هيهاتَ.. غُرِّي غَيرِي فقد طَلَّقْتُكِ ثلاثاً لا رجعةَ لي فيك،

---

(١) السجوف: جمع سِجاف، وهو الساتر، كناية عن الظلام، وفي رواية: سُدُولَهُ.

(٢) السليم اللديغ أو الجريح الذي أشرف على الهلاك يُتفائل له بالسلامة.

فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آهِ من قلةِ الزاد وبُعدِ السَّفر ووَحْشَةِ الطريق» .

والتصوف في الاصطلاح هو: مَنْزَعٌ عِلميّ وعَمَلِيّ دعت إليه الحياة الروحية والإسلامية منذ أوائل نشأتها في صدر الإسلام، أو إنه منسوب إلى أهل الصفة ممن كان ملازماً المسجد في زمن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم .

وقيل في تعريفه: إنه علم يُعلم به كيفيةُ تصفية الباطن من عيوب النفس وصفاتها المذمومة كالحقد والحسد والغش والغل وطلب الجاه والعلو، ويقال: هو حفظ الحواسّ ومراعاة الأنفاس، مبناه على التمسك بآداب الشريعة والتباعد عن الشبهات.

وموضوعه أفعال القلب والحواس من حيث التزكية والتصفية . وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى اللّه تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، وفي ذلك قيل:

ليسَ التَّصَوُّفُ لُبْسَ الصُّوفِ تَرْقَعُهُ ... ولا بُكاؤُكَ إنْ غَنّا المغَنُّونا

ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طَرَبٌ ... ولا اضطِرابٌ كأَنْ قد صِرْتَ مجنونا

بل التصوفُ أَنْ تَصْفُو بلا كَدَرٍ ... وتَتْبَعَ الحقَّ والقرآنَ والدِّينا

وأَنْ تُرى خاشعاً للّه مكتئباً ... على ذنوبِكَ طُولَ الدهرِ محزونا

التَّصَوُّفُ هُوَ الإحسان

والتصوف بهذا المعنى مرآةٌ للحياة الروحية التي يُخْضِعُ الإنسانُ فيها نفسَه لألوانٍ من الرياضة الروحية الإسلامية والمجاهدات، ويُعِدُّ فيها قلبَه لمعرفة الحقائق في هذا الكون، كـ«مِن أين أتى الإنسان ؟ وإلى أين ينتهي ؟ ولماذا وُجِدَ ؟» عملاً بقوله

تعالى: ﴿قد أَفْلَحَ مَن زَكّاها. وقد خاب مَن دَسّاها﴾، وتقوم الرياضاتُ والـمجاهداتُ وَفْقاً لـما سار عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلـم وأصحابـه وتـابعيهم، وقـد انطوى التصوفُ الإسلامي على عناصرَ نظريةٍ وعلـميةٍ وروحيةٍ تكشف دراسـتُها عـن قواعدِ السلوك ومبادئ الاخلاق، ولـما وقعتِ الفتنةُ في الدنيا وظهر الترف والبذخ في الأوساط الإسلامية أقبل على اللّه أناسٌ من المنصرفين عن تلـك الفـتن والـتزموا بمنهـج الورع والزهد فسُمُّوا «بالصوفية» .

ومنذ أواخر القرن الثاني الهجري صار هذا الاسم عَلـماً يُمَيَّزُ بـه السـالكون لهـذا الطريـق مـن خـواص المسلـمين، والتصـوف في تكوُّنِـه العلـميِّ أحـدُ قِسْمَيْ عِلـمي الشريعة الذي انقسم في تطوره إلى قسمين: **علـم الظاهر**، وهو ما اختـص بـه الفقهـاء من الأحكام العامة والعبادات والـمعاملات، **وعلـم البـاطن**، وهـو مـا اختـص بزيـادة الإيمان وقوة اليقين والـمراقبة للّه تعالى والـمحاسبة للنفس والرياضة والـمشاهدة لإزالة مثالبها، وفي ذلك يقول ابن رسلان:

وعِلـــم داءٍ للقلـــوبِ مُفْسِـــدِ ‍ ‍ ‍ ‍ كـــالعُجْبِ والكِبْرِ وداءِ الحَسَـدِ

ويعلـم من ذلك أن التصوف هو الإحسان للعبادة، والـمذكور في حديث جـبريل عليه السلام حيث يقول: «الإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لـم تكـن تـراه فإنـه يراك»، وفي ذلك يقول الإمام أحمد بن أبي بكر بن سميـط: وأمـا التصـوف الـذي هـو منتهى الإيمان فلا يُعْتَدُّ بصاحبه من دون فقه، وقد بيَّن الشارعُ الإسلامَ قبـل الإحسـان كما مرَّ في حديث جبريل عليه السلام، فلْيَكُنِ التَّعَلـم كذلك، قال الإمام الغزالي: مَـن حَصَّلَ العِلـم ثـم تَصَوَّفَ أَفْلَح، ومن تَصَوَّفَ قبل الفقه خاطر بنفسه .

قال سيدي علي الخواص: لا يكون الرجل معدوداً عندنا من أهل الطريق حتى يكون عالماً بالشريعة المطهرة بمجملها ومفصلها ناسخِها ومنسوخِها خاصِّها وعامِّها، ومَن جَهِلَ حُكماً واحداً سقط من درجة الرجال .

ولذلك آثَرَه الإمامُ الغزاليُّ – وهو من جهابذة التصوف – على غيره من العلوم لأن جميع حركات الصوفية مقتبسةٌ من مشكاة النبوة ومرتبطة بالكتاب والسنة، قال رحمه اللّه في كتابه «المنقذ من الضلال»: ولقد علمتُ يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق اللّه تعالى خاصة، وأن سيرتَهم أحسنُ السِّيَر، وطريقَهم أصوبُ الطرق وأخلاقَهم أزكى الأخلاق . انتهى .

يقول الشيخ الشِّرباصي: التصوف الإسلامي القويم هو أن يبلغ المؤمن درجة الإحسان – التي هي أعلى الدرجات – بالتوجه إلى اللّه عزَّ وجل، والتي يشير إليها في قوله تعالى: ﴿والذين جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وإن اللّه لمعَ المحسنين﴾ .

مُحاسَبَةُ النفْس

قال الحسن البصري رضي اللّه عنه: المؤمن قوّامٌ على نفسه يحاسب نفسه، وإنما خُفِّف الحسابُ يوم القيامة على قومٍ حاسبوا أنفسهم في الدنيا، ولما كان المسلم عاملاً في هذه الحياة فإن المتحتم عليه أن يجعلَ تزكية النفس من أهم أسباب سعيه، ليتخذ منه سبيلاً إلى بلوغ الدار الآخرة ويؤهلَه لكرامتها، فالدنيا موسمٌ لذلك العمل، وكان عليه أن ينظر إلى الفرائض الواجبة كنظر التاجر إلى رأس ماله، وينظر إلى النوافل نظرة الأرباح والفوائد، أما المعاصي والذنوب فهي الخسارة بعينها، بل إن الواجب

والمتحتم عليه أن يخلوَ بنفسه ساعةً من نهارٍ يحاسب نفسه فيها على عمله قبل أن يتذكر فلا تنفعه ذكراه .

ونرى أن القرآن الكريم قد نَوَّهَ على ذلك فقال: ﴿كلاّ إذا دُكَّتِ الأرضُ دَكّاً دَكّا. وجاء رَبُّكَ والملَكُ صَفّاً صَفّا . وجيءَ يومئذٍ بجهنَّم يومئذٍ يتذكَّرُ الإنسانُ وأنَّى له الذكرى﴾.

أما المحاسبة للنفس فهي الطريق إلى إصلاحها وتزكيتها وتطهيرها، وصدق اللّه حيث يقول: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا اتَّقُوا اللّه ولْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، ومنها نعلم أن قوة النفس هي الكنز المعنوي للإنسان، فبه تتحقَّقُ أمانيه بالتخلي عن الصفات الدنيئة والتحلي بالصفات الحميدة، ليرقى الإنسان بنفسه إلى المستوى الأفضل، ونرى أن الإسلام وحده هو الذي خَبَرَ أبعاد الطبيعة البشرية كلِّها وقَدَّرَها ثم أقامها على ضوءٍ من حقيقتها الكاملة .

أُصُولُ التَّصَوُّف

وأصول التصوف -كما حدَّدَها الإمامُ النوويُّ إمامُ أهل الحديث رضي اللّه عنه فقال-:

(١) تقوى اللّه في السر والعلانية .

(٢) اتِّباعُ السُّنَّة في الأقوال والأفعال .

(٣) الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار .

(٤) الرضى بالقليل والكثير .

(٥) الرجوع إلى اللّه في السَّرّاء والضَّرّاء .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يوصي ولده عبدالله ويقول: يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم، أي: الصوفية، وذكر سَهْلٌ التُّسْتُرِيّ رضي الله عنه نفسَ هذه الأصول بتفصيلٍ أكثرَ فقال: أصول التصوف سبعة أشياء:

(١) التمسك بكتاب الله .

(٢) الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٣) أكل الحلال .

(٤) كَفُّ الأذى .

(٥) اجتناب المعاصي .

(٦) التوبة .

(٧) أداء الحقوق .

وقال الإمام الجنيد: التصوف هو تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقية، واتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

أَعْدَاءُ التَّصَوُّف

لما علم أعداء الإسلام أن التربية الروحية للمسلم هي الهدف الأسمى من التعاليم الإسلامية، حيث عَدَّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهدف المنتهى إليه، وهو الإحسان كما في حديث جبريل عليه السلام، وحينما رأوا مايقوم به كثير من المسلمين الذين أحسنوا أعمالهم وأخلصوها لله سبحانه سواء كان في الجهاد أو في

نشر الدعوة الإسلامية في كثير من أصقاع الأرض كإندونيسيا والهند والفلبين وأستراليا وإفريقيا وغيرها؛ حينما رأوا ذلك كلّه بدأوا يَشُنُّونَ غاراتِهم على التصوف والمتصوفين، ونرى بعض المستشرقين واليهود قد نسب إلى المتصوفة كثيراً من الافتراءات المشبوهة كالقول بوحدة الوجود، وهي واضحة للعِيان في كتبهم.

كما لا ننسى أن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في كتبه كـ«شرح الرسالة القشيرية» والإمام الشَّعراني في كتبه «لواقح الأنوار القدسية في قواعد الصوفية» و«تنبيه المغترين أهل القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر» و«الكوكب الشاهق في التفريق بين المريد الصادق وغير الصادق» والكلاباذي في «التَّعَرُّف لمذهب أهل التصوف» والإمام الحداد في «مكاتباته» و«النفائس العُلْوية في المسائل الصوفية» والإمام السيوطي في كتابه «إعلام الغبي في تبرئة ابن عربي»، ومن أهل العصر العلامة المربي الشيخ عبدالقادر بن عيسى الحلبي الشاذلي في كتابه «حقائقُ عن التصوف» والشيخ العلامة سعيد حوى في سلسلته النفيسة في التصوف «تربيتنا الروحية» و«في منازل الصديقين» و «المستَخْلَص في تزكية الأنفس»، وغيرها من مصنفاتهم لا ننسى أنهم قد بَيَّنُوا فيها كثيراً من الشُّبَه الباطلة في المعتقدات المنسوبة إلى التصوف .

وخلاصةُ القول بأنها شُبَهٌ خارجةٌ عن العقيدة الإسلامية كالقول بالحلول والاتحاد والقول بوحدة الوجود، ولا شك أنها مدسوسةٌ من أعداء الإسلام ليشوهوا كثيراً من أعلامه، ويأبى اللّه إلا أن يُتم نورَه ولو كره الكافرون .

الخُلاصَة

حينما يتم الكلام عن التصوف فإنما يقصد به تزكية النفوس وصفاء القلوب وإصلاح الاخلاق والوصول إلى مرتبة الإحسان، وَفْقاً لكتاب اللّه وسنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿وأما مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ ونهى النَّفْسَ عن الهوى فإنَّ الجنةَ هي المأوى﴾، ولك أن تُطلق عليه أيَّ لفظٍ يتَّفق مع حقيقته ومعناه إلا أن الأمة الإسلامية توارثته بهذا الاسم، فقد كان موجوداً عند كبار الصحابة والتابعين برَسْمِهِ وإن غاب اسْمُه، وبحقيقته وفعلِه وإن غاب لفظُه، كما أقرَّه أئمةُ الدين كالأئمة الأربعة وغيرهم من جهابذة الإسلام وأساطينه.

ولمزيد من التوضيح على المطَّلِع أن يرجع إلى كتبهم كـ«فتح الباري في شرح صحيح البخاري» و«شرح صحيح الإمام مسلم» للإمام النووي و«الرسالة القشيرية» للإمام القشيري و«صفوة الصفوة» لابن الجوزي و«حلية الأولياء» لأبي نُعيم وغيرها من المراجع الإسلامية التي لا أستطيع حصرها في هذه العُجالة .

والمطلع على كتاب «الحاوي للفتاوي» للإمام السيوطي رحمه اللّه يرى أنه حكم على من قال بوحدة الوجود بالكفر المخرج عن دائرة الإسلام، كما قال القاضي عياض في كتابه «الشفاء»: أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول، ومن ادعى حلول الباري سبحانه في أحد الأشخاص، كقول الباطنية والنصارى والقرامطة .

وفي كتاب «عقود الألماس بمناقب العارف باللّه الحبيب أحمد بن حسن العطاس» للإمام الحبيب علوي بن طاهر الحداد رضي اللّه عنه هذه الفتوى . قال الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة المكرمة رحمه اللّه تعالى: سئل الشيخ أحمد الرملي عن القائل بوحدة الوجود فقال: يُقتل هذا المرتد، ويفيد أن الشيخ ابن حجر استحسن منه

هذه الفتوى. وقال السيد علوي بن طاهر الحداد: وإنما صار أولئك إلى الزندقة والإلحاد والعياذ بالله لأنهم اتبعوا ما تقتضيه نصوصها، ومنها الصريح الذي لا يمكن تأويله، وقد حاول قومٌ تأويلها إلى ما يوافق عقائد المسلمين فلم يأتوا بشيءٍ مقبولٍ، لغرق عباراتهم في الضلال والبعد عن الحق، ولم يَتَأَتَّ لهم ولا يتأتى لأحد بعدهم أن يصلح فسادها ولا أن يُقَوِّمَ مُعْوَجَّها .

والتصوف مدرسة كبرى انتشرت فروعها في أرجاء العالم الإسلامي أجمع، ولا زالت آثارُه باديةً للعِيان في المدارس الكبرى، والتي لا زالت في كثير من البلدان الإسلامية كالمغرب والعراق والشام ومصر واليمن .

التصوف في اليمن

عرف التصوف في اليمن منذ نشأته الأولى من عصر التابعين، وقد كان لأويس القرني[1] وطاووس اليماني [2] دورٌ كبيرٌ في نشر التصوف في كثير من الأصقاع

(١) هو سيد التابعين أويس بن عامر بن جزء بن مالك القَرَني، من بني قَرَن بن ردمان بن ناجية بن مراد، أحد النساك العباد المتقدمين من سادات التابعين، أصله من اليمن من قرية قَرَن بمراد، أدرك حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يَرَه، مَنَعَهُ مِن ذلك بِرُّهُ بأمِّه، وفد في خلافة عمر، وأَخْبَرَ به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، وعَظَّمَ من أمره، قتل في وقعة صفين مع علي كرم الله وجهه سنة ٣٧ .

(٢) هو طاووس بن كيسان الخولاني الهَمْدانِيّ بالولاء أبو عبدالرحمن، من أكابر التابعين تفقهاً في الدين وروايةً للحديث وتقشفاً في العيش وجرأةً على وعظ الخلفاء والملوك، أصله من الفرس، مولده ونشأته في اليمن، توفي حاجاً بالمزدلفة أو بمنى، وكان هشام بن عبدالملك

اليمنية، وتبعهما علماء يَجِلُّونَ عن الحصر، ذَكَرَ تراجمَهم مُؤَلِفُ «طبقات الخَواصّ»المؤرخُ الشَّرَجي، و«السلوك» للجَنَدِيّ، وكتاب «صلحاء اليمن» للبريهي و«العقود اللؤلؤية» للخزرجي و«العسجد المسبوك» له أيضاً و«شرح القصيدة العينية» للسيد أحمد بن زين الحبشي و«عقد اليواقيت الجوهرية» للسيد عيدروس بن عمر الحبشي و«النور السافر» للشيخ عبدالقادر العيدروس و«نيل الوطر» لزَبارة، وغيرها من كتب التراجم التي تضيق عنها بطون الأوراق، ولا زالت مدارسهم وآثارهم ظاهرة للعيان، وهي منتشرة في كثير من الأقطار الإسلامية .

وقد نهض التصوف في القرن الخامس والسادس الهجري، ومن أبرز رجاله في اليمن الإمام الفقيه المقدم [١]، والشيخ سعيد بن عيسى العمودي[٢]، والشيخ عمر بن

تلك السنة حاجاً فصلى عليه، وكان يأبى القرب من الملوك والأمراء، قال ابن عيينة: مُتَجَنِّبُو السلطان ثلاثةٌ: أبوذَرٍّ وطاووس والثَّوري .

(١) هو الإمام علم العلماء الأعلام أبو عبدالله جمال الدين محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط، شديد التمسك بكتاب الله وسنة رسوله واقتفاء آثار الصحابة، أخذ عن كثير من الأئمة، منهم الفقيه أبوالحسن علي بن مروان الحضرمي، قوي الجد في تحصيل أنواع العلوم النقلية والعقلية والتغلغل في بحار جواهرها، وتحصيل يواقيتها ودررها، حتى فاق في جميع العلوم، وتخرج على يديه جمعٌ لا يُحصى عددُهم، وكان يؤثر الخمول في حياته، ولد سنة ٥٧٤هـ، وتوفي في ذي الحجة ٦٥٣ هـ .

(٢) هو الشيخ الكبير والصوفي الشهير سعيد بن عيسى بن أحمد العمودي، ينتهي نسبه إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدنا أبي بكر الصديق، وهو من أكابر العلماء العاملين، وممن أخذ عن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، يوصف بالتواضع والخمول والزهد، وقد تتلمذ على يده خلقٌ كثيرٌ، وفي مدينة قيدون استمر داعياً إلى الله حتى انتقل إلى جوار ربه سنة ٦٧١ هـ .

عبدالله بامخرمة[١] في حضرموت، والشيخ عبدالله بن أسعد[٢] اليافعي، والشيخ سفيان الأَبْيَنِـيّ[٣]، والشـيخ عمـر بـن المبـارك الجعفـي[٤]، والشـيخ موسـى بـن عمـر

---

(١) هو الشيخ العلامة عمر بن عبدالله بـن أحمـد بامخرمـة الشيباني الحميري، شاعرٌ مـن أعيـان حضرموت، ولد في مدينة الهَجْرين، وتفقه وتأدَّب في عدن، وعاد إلى الهجرين فعَظُمَ شأنُه، فنفاه السلطان بدر الكَثِيري إلى الشحر، ثـم إلى سيؤون، فتصوَّف وصنَّفَ كتباً منها «الـوارد القدسي في تفسير آية الكرسي» و «الـمطلب اليسير من السـالك الفقـير»، ولـه ديـوان شـعر مطبوع بمجلدين، وتوفي في سنة ٩٥٢ هـ .

(٢) هو الشيخ الكبير والعلـم الشهير عبدالله بن أسعد اليافعي عفيف الدين، مؤرخٌ باحثٌ، نسبته إلى يافع من حمير، مولده ومنشؤه في عدن، حج عام ٧١٢ هـ وعاد إلى اليمن ثـم رجـع إلى مكة ٧١٨ هـ فأقام وتوفي بها، من كتبه «مرآة الجَنـان وعـبرة اليقظـان في معرفـة حـوادث الزمان» في أربعة مجلدات، و«نشر المحاسن العلية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامـات العلية» وغيرها، وكانت ولادته ٦٩٨ هـ ووفاته ٧٦٨ هـ .

(٣) هو الإمام أبو محمد سفيان بن عبدالله الأبيـني، نسـبة إلى أبـين بلـدة كـبرى في اليمـن، كـان عالـماً عاملاً، تخرج على يده علـماءُ كثيرٌ، أطنب في ترجمته الشَّـرَجيُّ وقـال عنـه: إنـه كـان فقيهاً عالـماً فاضلاً، وكان من أول المجاهدين في دِمياط بمصـر، ويقـال: إن اللّـه حَرَّرهـا مِـنَ الإفرنج على يديه، وقد تخرج على يده علـماء كثير، منهم تلـميذه الشـيخ عمـر بـن المبـارك الجعفي، وكانت وفاته في مدينة لحج، توفي عام ٦١٠ هـ، ترجـم لـه استقلالاً السـيد حـامد الحداد في «الجواهر الحسان في ترجمة الشيخ سفيان»، وفيها مـن قصيـدةٍ لـه أن نسـبه هـاشميٌّ حسينيٌّ .

(٤) هو الإمام الحجة عمر بن المبـارك الجعفـي ابـن أبـي الزَّغَـب، كـان علـى جـانب عظيـم مـن الصلاح مجتهداً في العبادة، مكث فترةً طويلةً ملازماً للشيخ سفيان الأبيني وانتفع به كثير، ثـم عاد إلى منطقته حصي، وهي مدينـة كـبرى كـانت الأولى في محافظـة البيضـاء لـم يبـق مـن معالـمها غير مساندها ومآثرها، واستـمر بها داعياً إلى اللّه وتخرج علـى يديـه علـماء كثـير،

الجعفي[1] الذي أصبح مرجعاً للعلماء حتى لُقِّب «بجُنيد اليمن»، وتبعهم علماءُ أجلاّءُ حتى يومنا هذا . رحمهم الله آمين آمين آمين .

ولم تقتصر دعوة علماء التصوف في اليمن على اليمن فحسب، بل انتشرت دعوتهم إلى إندونيسيا بكافة جزرها وماليزيا وسنقافورا والفلبين وأستراليا والهند ومعظم الدول الإفريقية، وبالذات الصومال وجيبوتي وتنزانيا وجزر القمر ومدغشقر، ولا زالت الأربطة والمدارس العربية ظاهرة شاهدة للعيان .

ولو رجعنا إلى كتاب «مدخل الإسلام إلى الشرق الأقصى» لرأينا العجب العجاب من القيام لعلماء التصوف الذين هاجروا من اليمن إلى تلك البلدان، وأسسوا فيها كثيراً من المدارس العلمية، وأسلم على أيديهم الجم الغفير .

منهم أولاده الكرام وآخَرُون، وتوفي بها في محل يسمى «الشعرة»، ولم أعثر على تاريخ وفاته إلا أنه لا يعدو أن يكون في أوائل القرن السابع الهجري رحمه الله وإيانا آمين .

(١) هو شيخ الإسلام وبركة الأنام الشيخ موسى بن عمر بن المبارك الجعفي لُقِّبَ «بجُنَيد اليمن» تشبيها بجُنَيد العراق أبي القاسم الجنيد، وإليه انتهى علم التصوف في اليمن، أخذ العلوم عن كثير من العلماء، ورحل لطلبه إلى إبّ وتعز وتِهامة، ثم عاد إلى موطنه أثعب بمحافظة البيضاء، وكانت تهابه ملوك الدولة الرسولية، إذ إنه كان مسموع الكلمة في أوساط المجتمع، لا يرضى بظلم، وقد ترجم له كثير من العلماء، ورباطه مشهور، ولا زال مشيداً منذ عمارته، وإليه تنسب كثيرٌ من الأسر العلمية كآل الفقير وآل المسعودي وآل الشقاع، وتوفي في أثعب عام ٦٨٢ هـ .

التصوف في الشرق الأقصى

رحل كثير من رواد مدرسة التصوف الإسلامي -والتي قامت في اليمن- إلى إندونيسيا، ولتوضيح ذلك فقد رحل كثيرٌ من علماء حضرموت إلى جنوب شرق آسيا وبالذات إندونوسيا -إذا لم نقل جُلُّهم- لمزاولة التجارة وللدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وحوَّلوها إلى دار إسلام وسلام، وقد دخل سكان تلك الجزر بواسطة العلماء الحضارم، وقد أُلِّفَتِ كتبٌ عن دخول الإسلام إلى تلك الجزر، وأنه لم يكن إلا بتلك الجهود العظيمة لأولئك العلماء الأبرار، ومن أبرزها كتاب «مدخل الإسلام إلى الشرق الأقصى» لمؤلفه الإمام الحبيب علوي بن طاهر الحداد، ولا شك أن هجرة سكان حضرموت إلى إندونيسيا هي أعظم هجرة في تاريخهم، كما أنه سبقها هجرتهم إلى زنجبار بإفريقيا ومقديشو بالصومال، وهجرتهم إلى الهند؛ ولكنها تتضاءل أمام الهجرة إلى إندونيسيا . والتي استطاع فيها أولئك الرجال بما أُوتوا من جَلَدٍ ومن صَبْرٍ وذكاءٍ وهِمَّةٍ عاليةٍ وأمانةٍ وصدقٍ أن يَجُوبُوا تلك الجزرَ الخضراءَ وينسابوا بين طبقات السكان من الإندونيسيين .

ولقد اتسع نطاق تجارتهم اتساعاً ما كانوا يحلمون به، ونَمَتْ ثروتُهم نمواً واسعاً، وكانت مراكبهم الشراعية تجوب بحار جاوة ذاهبةً إلى الهند وإلى سواحل الجزيرة العربية، ثم تعود محملةً بأنواع البضائع وأصناف السلع، وكانوا يقودون تلك المراكب بأنفسهم دون الاستعانة بمرشدين، إلا أنها في عام ١٢٧١ هـ (١٨٥٥م) تقريبا بدأت تتناقص بسبب منافسة المراكب التجارية .

ومع ذلك فقد تواصلت الهجرة حتى بلغ عدد المهاجرين من حضرموت إلى جاوة لعام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠م) ٤٤٩٢١ مهاجراً [١]، وفي ذلك الوقت قامت الحكومة الهولندية بمضايقتهم فمنعت التَّحَرُّك من مدينة إلى أخرى إلا بإذنٍ مسبقٍ وخاصٍّ، ولم

---

(١) انظر «مدخل الإسلام إلى الشرق الأقصى» وكتاب «الجنوب العربي» .

تستمر تلك القيود بل سرعان ما تلاشت وانتهت، نظراً لما يتمتع به المهاجر اليمني من محبةٍ بين تلك الطبقات من السكان الإندونيسيين .

وحينما دخل أهلها في الإسلام تسامع العلماء الحضارم بها وقصدوها واتخذوها سكناً لهم، ومن أهم الأسر التي هاجرتْ ولا زالت هنالك: آل العيدروس وآل السقاف وآل العطاس وآل الهدار وآل العمودي وآل الجفري وآل البار وآل المحضار وآل بافضل وآل الخطيب وآل الجنيد وآل خرد وآل الحداد وآل السري وآل الكثيري وآل منقوش وآل مشعبي وآل باجمال وآل بامشموس .

وهناك أسرٌ كثيرةٌ لا أستطيع حصرها في هذه العجالة، غير أن تلك الأسر نَقَلَتْ معظمَ العادات والتقاليد التي نَشَؤُوا عليها إلى تلك الديار، ومن أهمها مجالس العلم وحلق الذكر، واتخذوا قاعدةً فيما بينهم وهو إرسال أولادهم حينما يبلغون العاشرة من أعمارهم تقريباً ليدرسوا في اليمن بحضرموت وليتدربوا على خشونة العيش، وليتعلموا كثيرا من العادات الطيبة التي حَظِيَ بها المجتمع اليمني، والتي ليستْ إلا منبثقةً من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، كإكرام الضيف وصلة الأرحام والأمانة في المعاملات إلى غير ذلك .

ومن المعلوم أنه قلَّ أن يوجد مهاجرٌ هاجر بأسرته من حضرموت، فكلُّهم يتزوجون من الإندونيسيات، ولذلك فقد اختفتِ الملامحُ العربيةُ في بعض مواليد العرب، وقد أسسوا مدارس كبرى من أهمها «مدرسة الجنيد» التي لا زالت تضيءُ الطريق وتحافظ على السير للأجيال، كما قام مجموعة من العلماء المهاجرين في إندونيسيا بإنشاء «جمعيات خيرية»، ومن أهم أهداف تلك الجمعية: جمع الشمل ومساعدة الفقراء والمعسرين، كما قامت بفتح مدرسة كبرى لتربية النَّشْءِ وتعليمهم القراءة والكتابة وأمور الدين، وانتدبت للتعليم فيها كثيراً من جهابذة الفكر والأدب،

وحفظ اللّه بتلك الجهود كثيراً من التعاليم الإسلامية الغراء في بلد بها كثير من السلبيات التي تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، فجزاهم اللّه خيراً على تلك الجهود العظيمة والكبيرة، والتي جعلت المتتبع لها ينظر إليها بغاية من الإعجاب والإكبار .

كما قام أبناء الجالية اليمنية من الحضارمة بإنشاء حزب سياسي في إندونيسيا من أهدافه المطالبة بالحقوق في المناصب السياسية، والتي يتمتع بها مواليد الجاليات الأخرى، وإنشاء مدارس هولندية عربية ليستطيع أبناؤها مواصلة دراساتهم العليا، كما أصدرت كثيرا من الصحف والمجلات، والمتتبع لأخبار تلك الأسر وما قدمت من جهود يصاب بذهولٍ كبيرٍ لذلك الجهد الذي بذله أولئك الرجال، ولما حققه اللّه على أيديهم من انتشارٍ للإسلام بصورة لم تظهر على أيدي الفاتحين من قبل، وتراجم العلماء المذكورين أكبرُ دليلٍ على ذلك لمتتبع آثارهم، غير أن الهجرة إلى تلك الديار تركت آثاراً سلبيةً في حضرموت، فقد رحل إليها معظم العلماء والصلحاء، وأَنِسُوا إلى سكناها وحصل من جراء ذلك الأخذُ بكثيرٍ من أمراض التمدن العصري والتأثر به إلى حد كبير، كما صور ذلك الكاتب الكبير أحمد بن عبداللّه السقاف [١] في كتابه

(١) هو العلامة الكبير الشاعر الناثر أحمد بن عبداللّه السقاف، ولد في الشحر عام ١٢٩٩هـ ونشأ وتربى في حجر والده، وأخذ علومه عن كثير من العلماء في حضرموت الداخل والساحل، ورحل إلى الهند واستقر بحيدر أباد عند العلامة الكبير أبي بكر بن عبدالرحمن بن شهاب، وأخذ عنه كثيراً من العلوم والمعارف، وكان شديد التأثر به، يتضح لنا من خلال التطلع في مرثاته فيه، والتي أبدع فيها بكثير من المعاني الراقية، وانتقل من الهند إلى جاوة واشتغل بالتجارة مع الدعوة إلى اللّه، وصدرتْ لهُ كثير من المؤلفات منها «فتاة قاروت» في جزئين و«دروس المحفوظات» و «منظومة الآداب» و «الصبر والثبات» .

وأصدر مجلةً شهريةً بعنوان «الرابطة في جاوة»، ثم أزمع على الرحيل منها إلى

«الصبر والثبات» وهي أول مسرحية يمنية كما أفاد الأستاذ المؤرخ عبدالله بن محمد الحبشي كُتبتْ في إندونيسيا، عالجتْ كثيراً من الأمراض الاجتماعية هنالك، ومن أهمها الاتجاه نحو التمدن الغربي بكل مساوِيه كالتبرج والاختلاط والسفور، وبَطَلَة هذه المسرحية فتاةٌ من أصلٍ عربيٍّ وقفتْ في وجه زوجها الذي طلب منها الخروج عن عادات أهلها والسفور الفاضح، وقد بَيَّنَ وَقْفَتَها الشجاعة، والذي انتهت بالطلاق، ثم ما حَصَلَ للزوج بعد ذلك حتى عاد إلى رشده بعد معاناةٍ شديدةٍ، وقد أبدع الأستاذ الكاتب في شرح تلك القصة مما جعله يخيِّل للقارئ أنه شاهدُ عِيانٍ لما يمليه عليه .

ونجد كثيراً من العلماء يَعْتِبُ على من اتَّخَذَ تلك الديارَ وطناً له وهجر موطنه القديم، ولذلك يردد كثير من العوام المقولة: «السِّناوة ولاجاوه، ونِعْمَ السناوة» والسناوة تعني الاشتغال بنزح الماء للزراعة، كما أطلق الأهالي على جاوة «الحابسة» بمعنى أن من ذهب إليها مكث فيها ولم يعد، ويعتب كثيرٌ من الشعراء على من اتخذها وطنا له، منهم الشاعر عبدالله بن أبي بكر عيديد[1] الذي وصف لنا واقعة ذلك الحال بقوله:

حضرموت، وفي أثناء السفر توفي في الباخرة، وكان مثواه اليم في البحر الفسيح رحمه الله وذلك في عام ١٣٦٩ هـ .

(١) هو العلامة الكبير عبدالله بن أبي بكر عيديد، ولد في تريم عام ١١٩٥ هـ، وأخذ عن جل علمائها، وقصد صنعاء ومكث بها وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى الحرمين الشريفين وتتلمذ على كثير من العلماء، ورحل إلى جاوة وتردد على مدنها في رحلة طويلة فيها كثيرٌ من العجائب، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ، ثم عاد إلى وطنه داعياً إلى الله ومجاهداً بفمه وقلمه، وطالما انتقد الحُكّام حينما يخالفون تعاليم الدين الإسلامي الحنيف حتى أُوذِيَ وقُتِلَ أخوه،

رَحِيلُ المرْءِ مِن ذي الأرضِ أولى — فهلْ مِن سامِعٍ للنُّصْحِ أو لا ؟
تَلافَ العُمْرَ قبلَ تَلافِ نَفْسٍ — وقبلَ تَصِيرُ تحت الأرضِ رَمْلا
فلا إنْ عِشْتَ تَرضاها مَقَرّاً — ولا إنْ مِتَّ تَرضاها مَحَلا
ومِن عاداتها الإنسانُ يَنْسَى — بها وطناً وأولاداً وأهلا
مَحَبَّتُهُ الَّذِينَ دَعَوْهُ بَعْلاً — تُنَسِّيهِ الذي رَبَّوْهُ طِفلا
مقيمٌ لا يَمَلُّ العيشَ فيها — ولو قد جالَ في عُقباه ملا
يَرُوقُ النَّفسَ رَوْنَقُها فتُصْغي — ويأبى العقلُ ذلك لو تَولّى
كأنَّ بمائِها نَفَثاتُ سِحْرٍ — تُصَيِّرُهُ على الآذانِ قُفْلا
وتجعلُه على الأقدامِ قَيْداً — وفي الأيدي إلى الأعناق غِلاّ
فلا هو يستطيعُ لذاك فكّاً — ولا هو يستطيعُ لذاك حَلاّ
ونُغْضِي عن معايبها عيوناً — مُداهَنَةً لسادتِنا الأَجِلاّ
ونرجو اللّه إنْ كنّا وَقَعْنا — بهذا الأمرِ في أيِّ الأَخِلاّ
يسامحُنا ويجعلُنا جميعاً — بمحضِ الفضلِ ممَّن بعدَ «إلاّ»
ويُلْهِمُنا جواباً ما أتانا — بسُنَّةِ مَن عليهِ اللّه صَلَّى
فجُدَّ العزمَ وارحلْ كم خليلٍ — له خِلٌّ ففارَقَه وخَلاّ
تَجِدْ بالدار يا مخدوعُ داراً — وبالخِلِّ الذي تهواهُ خِلاّ
خُدِعْتَ بنظرةٍ منها فدَعْها — فما لَكَ لا ترى شيئاً وتَسْلَى

فاضطُرَّ إلى الانتقال من تريم إلى قرية السويري وبها استمر إلى أن فاجأه الأجل المحتوم عام ١٢٥٥ هـ، له شعرٌ رَصِينٌ وغَزَلٌ رَقِيقٌ، من ذلك قوله:

لو جُدْتَ بالوصلِ حيناً بعد أحيانِ — لكانَ وَصْلُكَ بعدَ الموت أحياني
فجُدْ عَلَيَّ بوَصْلٍ يا شِفا أملي — ولا تَجُدْ لي بتعذيبٍ وهُجرانِ
أَوْقَدْتَ في القلبِ نيراناً فيا عجباً — مِن ساكنٍ وسطَ مَضْرُومٍ بنيرانِ

فلـو فكَّـرْتَ فيمـا بعـدُ فيهـا ... لـما في سُوحِها طوَّلْتَ حَبْلا
وذي الدُّنيـا متـى مـا تـم شُغْلٌ ... بـدا مِـن بعـدِه سبعون شغلا
متـى أدركـتَ فيهـا نيـلَ عِـزٍّ ... فقـد أدركـتَ في التحقيـقِ ذُلاّ
فمنهـا قَـطُّ لا تَحْظَـى بشـيءٍ ... سوى شيءٍ إذا حَصَلَ اضمَحلاّ
بهـا تشـقى لغـيرك في حيـاةٍ ... ولـولا دارُ أُخْـرَى كـان أَشْـلا
ومَـن يبتَـغِ غـيرَ الحـقِّ سُـبْلاً ... ففي العُقبـى بـه في النـار يَصلـى
ألـم تسـمعْ مـن التـنزيل يُتلـى ... لـمن يعصي: ﴿نُوَلِّهِ مـا تَـوَلّى﴾
فخـيرُ النـاس إنْ يُعْـطَ كَفافـاً ... تجَـافَى عـن زخارفهـا ووَلّى
فسـافرْنا بعـونِ اللّـه تجـري ... سـفينتُنا بنـا خَبَبـاً وهَشْـلا
ببِسْـمِ اللّـه مجراهـا ومَرسَـا ... وأذكـارٍ بهـا تُقْـرا وتُتْلَـى
جَـرَتْ تَطْوِي سِجِلَّ البَحْـرِ طَيّـا ... كما يَطْوِي الـذي كَتَبَ السِّجلا
متى نُشِرَتْ لهـا الرايـاتُ تَسْمَعْ ... لهـا في لُجَّـةٍ ضربـاً وقتـلا
وتَقْطَـعُ في سباسِـبِهِ لحتـى ... يكونَ القطـعُ في ذا البُعـدِ وَصْلا
وتَعْـدُو إنْ رَأَتْ شُـرُعاً عليهـا ... كصعـبِ الخيـلِ أَنْكَرَهـا فقَـلاّ
وتَزْفُـنُ إذ تَظُـنُّ الريـحَ غَنَّـى ... وضـربَ المـوجِ في الجنبـينِ طَبْـلا
تـمايُلُها إلى يُمنـى ويُسـرا ... على نَغْمـاتِ ذِكْـرِ «الرَّبُّ صَلّى»
ويُجريهـا بـإذن اللّـه ريـحٌ ... إلى بَـرٍّ حَـوَى شـرفاً وفضـلا
تركنـا الأرضَ مَنْبَتُهـا نَضـارٌ ... لأرضٍ نَبْتُهـا أحلـى وأغلـى
بهـا الأرواحُ في عيـشٍ خَصِيـبٍ ... وإن كـانت علـى الأجسـادِ محـلا
رَضِيناهـا فلـو أَلْقَـتْ علينـا ... ترابـاً صـار للعينـين كُحْـلا
فنَمْسَـحُهُ علـى الأبـدان طِيبـاً ... ونَنْـثُرُهُ علـى الجُـلاّسِ فُـلاّ
نـرى الأدنـى بهـا مَنّـاً وسلوى ... وأغلـى غيرهـا بَصَـلاً وبَقْـلا
رجعنـا مُسـرعينَ السـيرَ حتـى ... رأينـا كُـثْرَ طـولِ الأرضِ قُـلاّ

تَناهَينـا عـن التعريـجِ لـما عَقَدْنـا أَلْسُناً عـن قـولِ: «مَهْـلا»
لنقطـعَ هـذه الأسـبابَ قطعـاً ونغسـلَ هـذه الآثـامَ غسـلا
ونَلْقَـى بعـدَ هـذا البُعْـدِ قربـاً ويَجمـعَ بعـدَ هـذا البَيْـنِ شـملا
بأحبـابٍ وأصحـابٍ علينـا لهـم حـقٌّ عَجَزنـا عنـه حِمْـلا

المدارس الصوفية

نظراً لـما يجده المسلم من إشباع لحياته الروحية؛ نرى أن الإسلام اعتنى عناية بالنفس فغذاها بالإيمان الذي إن تغذت به لم تخضع للغرائز، ولم تُسلم قيادتها للشهوات، ولا مرية فإن للتربية الروحية الخالصة تأثيراً بالغاً على الملَكات والقُوَى المعنوية في نفس الإنسان، إن حياة المسلم جهادٌ لتطهير روحه وتزكيتها حتى يصبح أهلاً لكرامة اللّه تعالى ورضاه، وحتى تُصبح كلُّ أخلاقه فاضلةً وخصالُه حميدةً، إن الإنسان مهما انغمسَ في هاوية الشهوات وانساق وراء الدوافع الغريزية وجد نفسه عاجزاً عن إشباع كل رغباته، وظلَّ يعاني من جوعٍ روحيٍّ وأزمةٍ نفسيةٍ حادةٍ وشقاءٍ طَمَسَ كلَّ معاني السعادة والبهجة والسرور في نفسه، وصدق اللّه العظيم: ﴿ومَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فإنَّ له مَعِيشَةً ضَنْكاً . ونَحْشُرُهُ يومَ القيامةِ أعمى . قال رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وقد كُنْتُ بَصِيراً . قال كذلك أَتَتْكَ آياتُنا فنَسِيتَها وكذلك اليومَ تُنْسَى﴾ .

نظراً لذلك وما يدعو إليه التصوف من عُزُوفٍ عن الدنيا وزُهْدٍ فيها التَحَقَتِ الجموعُ الغفيرة من المسلمين بهذه الحركة المباركة وتمسكوا بها، غير أنهم –ومما يُؤْسَفُ له– يُصَبُّ عليهم أنواعُ الأذى في كثيرٍ من البلدان تحت شعار الشرك والضلال

والبدع، ولا ريب في ذلك من أن هذا العِداءَ الغاشم لـم يكـن وليدَ صدفةٍ بـل نظـر أعداء الإسلام إلى جهد كثير من المتصوفين ودخول كثير مـن الأمـم في الإسـلام علـى أيديهم فبدؤوا بتشويههم وشَنِّ الغارات العشواء عليهم؛ لكي يَحُدُّوا من نشاطهم كما أسلفنا، ويأبى الله إلا أن يُتـم نورَه ولو كره الكافرون .

ومع ذلك فهم صابرون لا يزيدهم ذلـك إلا ثباتـاً، بـاثّين شـكواهم إلى مـن يعلـم سرهم ونجواهم، ويُحِسُّ طلبةُ العلـم المتصوِّفون بفـراغٍ كبـيرٍ نظـراً لعـدم مـن يرعـاهم ويكفُّ عنهم الأذى من بعد شتات، وانتهـاء الدولـة العثـمانية الـتي احتضنـت الكثـير والكثير من علـمائهم الأجلاء، بل واستدعت كثـيراً منهـم ليقيـم في الآسـتانة، ونـرى الإقبال على دعوتهم يكثر يوماً بعد يوم ، وذلك لكثير من طلبة العلـم الذيـن يشـبعون نهماتهم العلـمية من جراء البحث في كتب التفاسـير والحديـث والفقـه، والـتي نجدهـا كلها سائرة على نفس طريقتهم، كتفسير الطبري والخازن والبغـوي والسيوطي وابـن كثير، أما كتب الحديث والفقه فحدِّثْ ولا حرج، ولـم نجد من خـرج عـن طريقتهـم إلا النزر الذين لا يبلغون عدد الأصابع .

نبذةٌ عن الأربطةِ في اليمن

الرباطُ هو ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط واحد من الفريقين خيلـه، ثـم صـار لزوم الثغر «رباطا»، وربما سميت الخيل أنفسها «رباطا»، و «الرباط» المواظبة على الأمـر، قال الفارسي: هو مِن لزوم الثغر رباطُ الخيل، وقوله عز وجل: ﴿وصـابروا ورابطـوا﴾ قيل: معناها «حافظوا» وقيل: «واظبوا على مواقيت الصـلاة» . وفي الحديـث عـن أبـي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلـم قـال: «أَلاَ أَدُلُّكُـمْ علـى

ما يمحو اللّه به الخطايا ويرفعُ به الدرجات ؟ قالوا: بلى يارسول اللّه قال: «إسباغُ الوضوءِ على المكاره، وكثرةُ الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاةِ بعدَ الصلاةِ، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» . وفي الأصل «المرابطة» أن يربط الفريقان خيولهما في ثغرٍ كُلٌّ مُعَدٌّ لصاحبه، ويسمى المقام في الثغور «رباطا» ومنه قوله: «فذلِكُمُ الرِّباط» أي: إن المواظبة على الطهارة والصلاة كالجهاد في سبيل اللّه، فيكون «الرباط» مصدرَ «رابطتُ» أي: لازمتُ، وقيل: هو هاهنا اسمٌ لما يُرْبَطُ به الشيء، أي: يُشَدّ، يعني: أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم .

ثم أُطلقتْ على ملازمة المعاهد العلمية التي ينقطع فيها طلاب العلم لدراسة الأمور الشرعية، ويتربون فيها تربيةً روحيةً تحت نظر وتوجيه مشايخ العلم الأجلاء، فالمجاهد المرابط يدافع عن من وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة اللّه يدفع به وبدعائه البلاء عن البلاد والعباد، وقد شابه أهلُ الرباط أهلَ الصُّفَّة من أن الرجل ينزل في المسجد فيكون مرابطاً مع مَن فيه على قصدٍ واحدٍ وعزمٍ واحدٍ وأحوالٍ متناسبةٍ .

قال في «عوارف المعارف»: عن أبي طلحة رضي اللّه عنه قال: كان الرجل إذا قَدِمَ المدينة وكان له بها عَرِيفٌ يَنْزِلُ على عريفه، فإن لم يكن له بها عريف نزل في الصُّفَّة، وكنتُ في منازل الصفة . وهكذا أهل الرباط مجتمعون على الألفة والمودة، يجتمعون للتشاور وللأكل، فهم في الرباط كجسدٍ واحدٍ قلوبُهم متَّفِقَةٌ وعزائمهم متَّحدة .

وإذا تكلمنا عن الأربطة التي انتشرت في مواقع متعددة من اليمن والتي تضيف إلى المتعلم تقديم الأكل وتوفير السكن فهي كثيرة، منها:

(١) رباط الفقيه المقدَّم محمد بن علي باعلوي المتوفى عام ٦٥٣ هـ بحضرموت .

(٢) رباط الشيخة سُلطانة الزُّبيدية الكِنْدِيّة المتوفاة ٨٨٣ هـ بحضرموت .

(٣) رباط الخُرَيبَة بوادي دوعن، أسسه الشيخ العالم الفقيه عبداللّه بن أحمد باسودان بحضرموت .

(٤) رباط أَثْعَب، يقع شمال الزاهر، أسسه الشيخ العلامة موسى بن عمر بن المبارك الجُعْفِي، توفي في محرم عام ٦٨٢ هـ بمحافظة البيضاء .

(٥) رباط آل الطيب، يقع في سافلة خَولان .

(٦) رباط الأَكْحَل، ويقع في عُزْلَة أريان من أعمال يَرِيم، ويسمى رباط صالح أحمد سعيد، ولا يعرف مؤسسه ولا تاريخ بنائه .

(٧) رباط البُرَيهِي، وقد أسسه محمد بن عمر بن أبي بكر البريهي، توفي عام ٧٣٣هـ.

(٨) رباط البَطَّاح في زَبيد .

(٩) رباط الهدار للعلوم الشرعية في مدينة البيضاء، وقد أفردنا له فصلاً مستقلاً تقدم معنا .

(١٠) رباط الصفاء، ويسمى «رباط الصُّفاةِ» بالسُّوَّادِيَّة، ويقع في محافظة البيضاء .

(١١) رباط الغيثي، أسسه جمال الدين محمد بن علي بن بشر بن مُطَرِّف الهَمْدانِيّ.

(١٢) رباط الرَّحانِيَّة في زَبيد .

(١٣) رباط القلعة .

(١٤) رباط الكَدَهِيَّة في الأَخْلُود من أعمال تعز .

(١٥) رباط المقارَنة في ناحية أَسْلم من أعمال حَجَّة .

(١٦) رباط النهاري قِبْلِيّ مدينة زَبيد .

(١٧) رباط الحَوَارَة بلواء إب .

(١٨) رباط باقِل بلواء إب .

(١٩) رباط بني حسين بلواء إب .

(٢٠) رباط أحور، أسسه العلامة الكبير الداعية إلى اللّه الحبيب علي بن أبـي بكـر المشهور [1] سنة ١٤١٧هـ.

---

(١) وُلد الحبيب علي المشهور في مدينة تريم عام ١٣٣٤ هـ، وبها حفـظ القرآن العظيـم، ونشـأ وترعرع في بيئةٍ علـميةٍ عاليةٍ في كَنَف المربِّيِّينِ العالـمينِ والدِه وجـدِّه، والتحق برباط تريـم تحت رعاية شيخ الإسلام عبداللّه بن عمر الشاطري، وبه أخذ كثـيراً مـن العلـوم في التفسـير والحديث والتصوف وعلوم اللغة العربية، وقد صحب سيدي الوالد محمد بـن عبداللّـه الهـدار للطلب في الرباط المذكور، وقد تتلـمذ المترجم له على جُلِّ علـماء تريم، ومن أبرزهم والـده الداعية الكبير الحبيب أبوبكر بن علوي المشهور وشيخ الإسلام عبداللّـه بـن عمـر الشـاطري والحبيب علوي بن عبداللّه بن شهاب الديـن، والحبيـب محمـد بـن حسـن عيديـد، والحبيـب عبدالباري بن شيخ العيدروس وغيرهم، وقد رافق والده في رحلاته للدعوة إلى اللّـه إلى الهنـد وسيلان في رحلة طويلة ليس هذا موضع الكلام عنها .

وفي أثناء رحلاته للدعوة إلى اللّه نزل في أحور بالعوالق السـفلى، فاسـتقبله أهلهـا بكـل ترحيب وإجلال، ثـم طلب منـه سـلطان المنطقـة البقـاء للتعليـم، فاسـتقر بهـا وتـزوج لـدى منصب أحور السيد أبي بكر الحامد، وأسس بها رباطه الميمون، واستـمر داعياً إلى اللّه علـى بصيرة -وبالذات لدى البدو حيث كان يقصـد محلاتهـم البعيـدة والنائيـة- نحـواً مـن خمسـة وثلاثين عاماً حتى تخرج على يديه الكثير الطيب من العلـماء والـمصلحين .

وفي عام ١٣٩٢ هـ اضطر إلى مغادرة اليمن لـما حصل للعلـماء والدعاة من المضايقـات من قبل الحزب الحاكم آنذاك، وقصد أرض الحجاز لأداء مناسك الحج والزيارة، ثـم استـقر في جُدة إماماً وخطيباً لـمسجد العيسائي، وقـد استبشـر سـيدي الوالـد بوصولـه إلى الحجـاز بالسلامة، وذهب لزيارته وكنت بمعيته، واستـمر على ذلـك الحـال حتـى ١٧ شـعبان عـام ١٤٠٢ هـ حيث انتقل إلى جوار ربه على إثر مرضٍ اشتدَّ عليه، ودفـن بمكـة المكرمـة بمقـبرة المعلاة في جنازة مهيبة، وقد أَبَّنه سيدي الوالد بكلـمةٍ أَوْجَعَتِ القلوبَ وذَرَفَتْ منها العيـون،

(٢١) رباط تَبَّة في قرية تَبَّة عُزْلَة الأملوك من ناحية الشَّعِر وأعمال إب .

(٢٢) رباط الشَّقّاع في شبوة بالقرب من حَبّان، وقد كان القائمون عليه المشايخ آل الشقاع، وينتسبون إلى الشيخ عمر بن المبارك صاحب حَصِي .

(٢٣) رباط المسعودي في منطقة رَبِيز بشبوة، قائم به المشايخ من آل المسعودي، ينتسبون إلى الشيخ موسى بن عمر صاحب أثعب .

(٢٤) رباط سيؤون، وقام بتأسيسه الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي، توفي عام ١٣٣٣ هـ .

(٢٥) رباط غيل باوزير، والذي أسسه الشيخ محمد بن عمر بن سِلم سنة ١٣٢١هـ.

(٢٦) رباط مَرْيَع في المحفد، وقائم به المشايخ آل باعَزَب .

(٢٧) رباط رَداع الحرامل، ومن مشايخه الشيخ حسين بن محمد، وهو بالقرب من مكيراس بمحافظة البيضاء .

(٢٨) رباط العيدروس بعدن الذي أسسه الحبيب العلامة أبوبكر العدني بن علي المشهور[1] سنة ١٤١٥هـ.

وقد خلَّفَ أولاداً مباركين من العلماء والدعاة، وهم محمد وأبوبكر وعلوي ومحضار وعبدالله وأحمد وشهاب الدين حفظهم الله وجعل الخير باقياً فيهم وفي عقبهم إلى يوم الدين وإيانا آمين آمين آمين .

وقد أفرد له نجله السيد أبوبكر ترجمةً ضافيةً سماها «قَبَسات النُّور»، تحدث فيها عن سيرة المترجَم ونشاطه العلمي والدعوي ورباط أحور،وقد طبعت.

(١) هو العالم الأديب الأريب أبوبكر العدني ابن علي المشهور ، ولد في مدينة أحور حيث كان يقيم والده بعد أن هاجر من مدينة تريم الغنا ، وبها حفظ القرآن الكريم على يد والده ، كما تلقى مبادئ القراءة والكتابة وانتظم في المدارس الحكومية حتى تخرج منها وعمل مدرساً

(٢٩) رباط المحفد الذي أسسه العلامة السيد أبوبكر المشهور سنة ١٤١٨ هـ.

(٣٠) دار المصطفى بتريم الذي أسسه العلامة الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ[1] سنة ١٤١٨هـ .

(٣١) رباط تريم، والذي تأسس عام ١٣٠٤ هـ، وقاد التعليم فيه شيخ الإسلام عبدالله بن عمر الشاطري، ولأهمية الدور الذي قام به هذا الرباط المبارك فقد أحببنا أن نتوسع في تاريخه في الفصل التالي .

(٣٢) رباط السنيدي في شعب يافع بني قاصد .

في منطقة أحور والقرى التابعة لها ، وكان له تأثير كبير في سلوك الطلاب والتزامهم بالتعاليم الإسلامية، أزمع الرحيل إلى الحجاز نظراً لما عاناه من قبل السلطة الشيوعية واستقر في جدة ملازماً لوالده العلامة الكبير الحبيب علي بن أبي بكر المشهور ، والعلامة الكبير الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف الذي لازمه ملازمة الظل للشاخص واستفاد من مجالسته كثيرا، ثم عاد إلى أحور واستقر في مدينة عدن وفتح فيها رباط العيدروس وكذا رباط المحفد، ولازال تحفه عناية الله ، صدرت له كثير من المؤلفات .

(١) هو العالم الداعي إلى الله عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم ، ولد في تريم وحفظ القرآن الكريم وأخذ عن جلّ علماء مدينة تريم ، وبالذات عن أخيه الأكبر علي الملقب المشهور ، وكذا الشيخ فضل بن عبدالرحمن بافضل مفتي تريم في هذه الآونة ، واستمر في تريم وبها شاهد محنة والده الذي اختطفته السلطة الشيوعية كما أسلفنا في ترجمة والده رحمه الله ، وبعدها انتقل إلى البيضاء وتلقاه سيدي الوالد محمد بن عبدالله الهدار الذي قربه وأحبه كثيرا ، وشاهد فيه محيا والده العالم الشهيد ، وانتظم ضمن طلاب رباط الهدار للعلوم الشرعية ، وبه استقر نحواً من عشر سنوات يكرع من معين ذلك الرباط ويأخذ عن مدرسيه ، وبعد تمام الوحدة اليمنية ١٤١٠ هـ (١٩٩٠م) عاد إلى موطنه تريم وبها استقر وأسس دار المصطفى ، وساعده في ذلك أرباب المال من المحسنين ، وتبادر الطلاب للانضمام في سلكه ، ولازال بحمد الله تحفه عناية الله .

(٣٣) رباط العبادي بيافع بـنـي مالك في لبعوس .

(٣٤) رباط العبادي سيلة يهر بير العروس .

(٣٥) رباط الحداد، وهو عبارة عن مدرسة علـمية أسسها الإمام الشهيد أحمد بـن صالح الحداد في نصاب محافظة شبوة تخرج منها الكثير من العلـماء الأعلام.

(٣٦) ربـاط العيـدروس في ريـام محافظـة البيضـاء أسسـه الشيـخ علي بـن صـالح العيدروس المتوفى سنة ١٤٢٠ هـ .

رباط تريم

أُنشيء هذا الرباط الميمون بعد أن قـام فضيلـة السيـد الجليـل المصلـح الاجتـماعي الكبير عمر بن أحمد الشاطري أحد أعيان مدينة تريم على العمـل في تأسيس «ربـاطٍ علـميٍّ تُدَرَّس فيه فُروع الشريعة المطهـرة واللغـة العربيـة، ويـأوي إليـه طـلاب العلـم الوافدون من أصقاع بعيدة، وقد هـب كثـير مـن أربـاب المـال وعلـى رأسـهم السيد عبدالقادر بن أحمد الحداد، ومحمد بن عبدالرحمن الجنيد، والشيخ محمد بن عمر عرفان، لتشييد هذا الصرح العلمي الكبير، وتـم شراء أرضية في قلب مدينة تريم، وبدأ العمـل في ٢٥ القعدة ١٣٠٣هـ وقد تـم بناء الرباط بجوار مسجد عتيق كان له أثر كبير لقربه من الرباط المذكور، وفي ١٣٠٤ هـ كَمُلَ بناء الرباط وتـمت عمارته، وقد قال بعض الأدباء من أهالي تريم مؤرِّخاً عمارة الرباط بقوله:

لـمولانا جزيـلُ الحَمْـدِ سَـرْمَدْ ... علـى نَفَحـاتِ إحسـان تَجَـدَّدْ

بـدا للعلـم في الغَنّـاءِ بُـرْجٌ ... وطالِعُـهُ علـى الأكـوانِ «أَسْـعَدْ»

بهِمَّـةِ أَنْفُـسٍ للـمجدِ تسـمو ... ونحـوَ مراتـبِ الأفـلاكِ تَصْعَـدْ

عليه سُرادِقُ الحفظِ الإلهي وترعاهُ عنايةُ آلِ أحمدْ
كفيلٌ بالنجاحِ وبالتَّرقِّي لمن رامَ العلومَ بصدقِ مَقْصَدْ
جزى أستاذَه ومديرَه والـ ـمُعاونَ فيهِ بالأجرِ المؤبَّدْ
فقُلْ للطالبِ المشتاقِ: أَرِّخْ «رِباطُ العلمِ للتَّقوى مُشَيَّدْ»

كما تم في ١٣٠٤ هـ تشكيل لجنةٍ ماليةٍ لجمع التبرعات للرباط المذكور من أفضل المصلحين في تريم، وقاموا بشراء أوقافٍ كثيرة منها ما هو في سنقافورا، وتسامع الناس ببناء الرباط الميمون، فحقَّق رغبةً مُلِحَّةً كانت تدور في خَلَدِ كثيرٍ من طلاب العلم الذين يترددون على كثير من علماء تريم حينها .

وكان من أول الوافدين إلى الرباط الشيخ محمد بن حسين الهيثمي البيضاوي، والذي مكث فترةً فيه ثم عاد يحمل مشعل الهداية إلى بلده البيضاء، وتولى زمام الإفتاء في محافظة البيضاء، بل وفي كثير من مناطقها المجاورة، وسنأتي على ترجمته ضمن مشايخ الوالد رحمهم اللّه .

وكان الإمام عبداللّه بن عمر بن أحمد الشاطري يطلب العلم حينها في مكة المكرمة، ويواصل ليله بنهاره باجتهاد منقطع النظير، حتى قيل: إنه ترك رسائل أهله التي تصله طيلة فترة طلبه للعلم حتى لا تشغله عن الدراسة، ولم يطلع عليها إلا حين رجوعه إلى حضرموت، وقيل: إنه كان يقف الساعات الطوال في الملتزم يدعو اللّه أن ينشر تعاليمه ودعوته في مشارق الأرض ومغاربها، واستجاب اللّه له ذلك حيث تخرج على يديه آلاف العلماء الذين تفرقوا في أنحاء المعمورة .

وقد عاد رحمه اللّه من مكة إلى تريم، وتولى التدريس في الرباط المذكور، وتخرج على يديه أعدادٌ كبيرةٌ وجموعٌ غفيرةٌ، واستمر فيه نحواً من خمسين عاماً حتى توفاه اللّه سنة ١٣٦١ هـ، وخلفه أولاده الكرام في القيام بمهامِّ الرباط المذكور، وقام من

بعده الحبيب محمد المهدي [١] ابن عبدالله بن عمر الشاطري حتى توفاه الله، ثم خلفه الحبيب الحسن والحبيب سالم، ولا زالا قائمين به خير قيامٍ جزاهما الله خيراً.

وللتوسع عن تاريخ الرباط انظر كتاب العلامة المؤرخ البحاثة الحبيب عبدالله بن حسن بلفقيه «تذكرة الباحث المحتاط في تاريخ الرباط» مطبوع.

بَذْرَةُ البقاء

على الرغم من الحروب العلمانية والتشويهات الكاذبة التي ألحقت كثيراً من الأمور الوهمية بالتصوف، إلا أن المطلع والباحث يرى فيه الحق جليّاً يَلُوح مدى الأزمان كنبراسٍ يضيءُ الطريق لطلاب الحق والخير والصلاح، وتكمن بذرة البقاء لكونه نابعاً من القناعة التي تمازج العقل والروح، ولكون أربابه وأساطينه ابتعدوا ابتعاداً كلياً عن أن يجعلوه سُلماً للوصول إلى ذُرْوَةِ الحكم، وكما لا يخفى أن السياسة ترتفع يوماً وتنحدرُ يوماً آخر.

---

(١) هو العالم العابد محمد المهدي ابن عبدالله بن عمر الشاطري، ولد ١٣٢٧ هـ أكبر أولاد الإمام عبدالله بن عمر الشاطري، كان مديراً للرباط بعد وفاة والده، وقام به خير قيامٍ، وله رحلاتٌ عديدةٌ إلى كثيرٍ من المناطق للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ثم بعد الاستيلاء على مقاليد الأمور في حضرموت من قبل الحزب الاشتراكي هاجر إلى الإمارات العربية المتحدة واستقر في أبوظبي، وكان موضع تقدير وإجلال الدولة والأهالي، كثيرَ النصح والتوجيه والإرشاد، وبالذات في التجمعات والمناسبات الدينية . وقد زار البيضاء مع إخوانه أبي بكر والحسن عام ١٣٦٨ هـ، ومرة أخرى بمفرده حين تأسيس الرباط بها سنة ١٣٨٢ هـ، وتوفي في أبوظبي سنة ١٤٠٣ هـ ودفن بها رحمه الله.

ونرى أن كلَّ مذهبٍ ارتبط بالحكم فإن مصيره إلى الفناء أقربُ بعد نهاية ذلك الحكم، وأصدق دليل على ذلك بقاء المذاهب الإسلامية حتى يومنا هذا، والتي لم تتَّخِذِ الحكمَ سُلماً في يومٍ ما، وانتهاءُ كثيرٍ من النظريات التي لم يَبْقَ غيرُ اسمها لكونها لم تتَّخِذْ أسلوبَ الإقناع، واكتفتْ بأسلوب القوة ولَيِّ الذراع، نسأل اللّه أن يُرِيَنا الحقَّ حَقّاً ويرزقَنا اتِّباعَه، وأن يُريَنا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .



قيامه بالإصلاح وإطفاء الفتن

قال تعالى: ﴿لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات اللّه فسوف نؤتيه أجراً عظيما﴾ وقال تعالى: ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ وقال تعالى: ﴿والصلح خير﴾ وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ . وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم:«كل سُلامى من الناس عليه صدقة وكل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» متفق عليه . ومعنى « تعدل بينهما » : تصلح بينهما بالعدل . وعن أبي الدرداء قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالوا: بلى ، قال: إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة» رواه الترمذي . وعن عبداللّه بن عمر قال: قال صلى اللّه عليه وآله وسلم:«أفضل الصدقة إصلاح ذات البين» رواه الطبراني في « الكبير » .

ولقد أخذ فقيدنا رحمه اللّه بنصيب وافر من القيام بالإصلاح بين إخوانه المسلمين، فكان لا يقل إصلاحه اليومي عن عدة قضايا بطريقة الفتوى والصلح ، وكثير من المواطنين يرجعون إلى فتواه بقناعة سابقة ، فيتفق المتنازعون على الحل الذي سوف يقدمه رحمه اللّه، وربما عدل عن الفتوى الشرعية إلى الحل المرضي حينما تتأزم الأمور لدى البعض ، ولذلك نرى الرباط يزدحم بالكثير ممن يبحث عن الحل الشرعي في قضيته كل يوم ، وقد دوّن كثيراً من القضايا في فتاويه الشرعية التي ستقدم للطبع إن شاء اللّه .

أما قيامه بإطفاء نار الفتنة بين القبائل التي تهب من وقت إلى آخر للحرب فحدث ولا حرج ، فكلما سمع عن فتنة نشبت بين قبيلتين وإذا به يسارع بالذهاب صوبهم لإطفاء فتيل تلك الفتنة ، يرغِّب ويرهِّب حتى تموت كثير من الفتن في مهدها ، وطالما أخذ معه كثيراً من أهل الحل والعقد ، ومنها الفتنة التي حصلت بين فرقة من الجيش والقبائل في البيضاء عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥م) والتي لولا لطف اللّه لأهلكت الحرث والنسل ، وبالذات حينما استهدفت مدينة البيضاء وما جاورها من القرى ، وهذه القضية اشتهرت على مستوى العالم، وتكلمت عنها الإذاعات والصحف ، ورددها كثير من الشعراء في قصائدهم، ومن أجل هذه القضية وصل إلى البيضاء الشيخ أحمد بن عبدربه العواضي والشيخ أحمد بن سالم العواضي ومعهما كثير من أعيان القبائل ، وتناقش معهم حول إطفاء الفتن في المنطقة والقيام بالإصلاح بين أفراد المجتمع ، ووجد منهم كل تجاوب واهتمام رحم اللّه الجميع ، وأسكنهم فسيح جناته.

كما اتفق بالشيخ الفاضل صالح بن حسين الوهبي شيخ بني وهب وتناقش معه في وجوب إطفاء الفتن وحقن الدماء والقيام بالإصلاح بين الأهالي ، وكان معهما الشيخ أحمد بن حسين الرماح ، ولا زال الشيخ صالح بخير تحفه عناية اللّه ورعايته في العقد التاسع من عمره تقريباً .

وهذه واحدة من القضايا التي يبذل فيها جهده حتى يطفئ اللّه تلك الفتن وتضمحل بتوفيق اللّه وإعانته، وطالما حث كل من لديه القدرة على الإصلاح بين إخوانه المسلمين، ولكم يحث على بذل الجهد في ذلك ، وأن لا يأخذ المصلح من وراء ذلك جزاءاً ولا شكورا، فمنها قوله: «أيها المسلم إن أردت أن تسبق الصوَّام والقوَّام والمتصدقين فاسع في ليلك ونهارك في إصلاح ذات البين فأصلح بين

المسلـمين ، فإن أفضل أعمالك بعد الفرائض المكتوبة إصلاح ذات البـين ، قـال صلـى اللّه عليه وآله وسلـم «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قـالوا: بلى يا رسول اللّه ، قال:«إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة» ، أي: حالقة الدين لا حالقة الشعر .

فإذا أغناك اللّه فلا تطلب أجرا فإن أجرك عند اللّه عظيم.. فلا تستبدل الـذي هـو أدنى بالذي هو خير.. ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معـروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات اللّه فسوف نؤتيه أجراً عظيما﴾ .

واحذر أن تكون ذا وجهين فتكون عند أحد المتنازعين كأنك من إخوانـه ، وعنـد الآخر كأنك من أعوانه ، بأن تُحسِّنَ أو تـمدح أو توعد بنصر كـل منهمـا في معـاداة أخيه فتصير عنداللّه بأخبث المنازل ، وفي الحديث: «ذو الوجهين يأتي يوم القيامـة ولـه لسانان من نار»، وهذه هي النميمـة ، وهـي مـن كبـائر الذنـوب ، وفي الحديـث: «لا يدخل الجنة نمام» ، وعنه صلى اللّه عليه وآله وسلـم: «ليـس مـني ذو حسـد ولا نميمـة ولا كهانة ولا أنا منه» .

اهتمامه بأحوال المسلمين

وفي أثناء إقامته في مكة المكرمة لـم يفته محاولة إصلاح أوضاع كثـير مـن المغـتربين من اليمن وخارجه، وقام بعرض حالتهم على أولياء الأمر هناك، وقد حقـق اللّـه علـي يده كثيراً من ذلك وَوَجَدَتْ كلـمته تجاوباً ملـموساً، وذلك من خلال رفعه برقيـة إلى جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز وولي عهده قال فيها:

«جلالة الملك المفدى، وولي عهدهم المعظم، أيدهم اللّه بتوفيقه وأيد بهم الدين ..

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته..

يسرنا إبلاغ جلالتكم بأن اللّه سبحانه يسَّر على أيديكم و في عهدكم الميمون لكافة المواطنين بل وغيرهم ما لم يعهدوه من الخيرات، فاستبشرا بفضل اللّه، واشكروه على ما هداكم، غير أنه في هذه الأيام بالذات نزلت بالمهاجرين وبقايا الحجاج كارثة مؤلمة، ممن ليس لديهم إقامات، ولم تسمح لهم الدوائر بها، وتوجهت عليهم حملة ، فمنهم الهارب في الظلام، ومنهم المختفي في جوف البيت وفرائصه ترتعد من هبوب الرياح، ودموعهم تتحدر ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، أعاذكم اللّه من أن ينالكم سوء من دعواتهم، وأكثرهم فقراء خرجوا من جنوب اليمن وشماله، ومن جهات أخرى، لاجئين إلى كنفكم لطلب المعيشة، ومن ورائهم عائلات جائعة.

فكانت هذه الحملة خيبة لآمالهم ، مع هذا إنهم مسلمون موحدون ، يعتقدون فيكم عطف الأب الحنون على الابن الضعيف، وسلفكم الصالح في هذه البقاع الطاهرة يقول اللّه سبحانه فيهم: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ .

وأنتم إن شاء اللّه خير خلف لخير سلف، والشريعة السمحاء لا تقر مثل هذا، والحرم على ضيفه يقول اللّه سبحانه فيه: ﴿سواءً العاكف فيه والباد﴾ ، والهجرة إليكم من كل مسلم عند فساد الزمان تكاد تكون واجبة ، فالإيمان يأرز إلى المدينة ، ويقول الرسول الأعظم صلى اللّه عليه وآله وسلم مرغباً للنازحين إلى الجهات: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» وأنتم خلفاء اللّه في أرضه، إليكم يأوي

الضعيف والمظلوم والمنكوب من المسلمين أينما كانوا، فيجد الراحة والأمان والسعة والدعة.

وكلما يرجوه أبناؤكم المنكوبون تفريج كربتهم وإعطاءهم إقامة ولو بضمانة إخوانهم المقيمين قبلهم، قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة» ، «ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة» ، ودمتم في حفظ اللّه وحراسته، وعفواً عن هذا التطفل.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته
مفتي محافظة البيضاء - اليمن
محمد عبداللّه الهدار



مؤلفاته

لقد ترك رحمه الله تراثاً عظيماً من العلوم والمعارف ، ومؤلفاته القيمة بعض من ذلك التراث، وهي:

١.عجلة السباق إلى مكارم الأخلاق	مطبوع
٢.صاروخ القرآن والسنة	مطبوع
٣.شفاء السقيم في أحاديث المنقذ العظيم صلى الله عليه وآله وسلم	مطبوع
٤.جواهر الجواهر	مطبوع
٥.كيفية حفظ أهم الواجبات	مطبوع
٦.كشّافة المجهول (نظم)	مخطوط
٧.نيل السعادة من مخ العبادة	مطبوع
٨.رسالة الحج المبرور	مخطوط
٩.مفتاح الحج	مطبوع
١٠.ناشئة الليل	مخطوط
١١.النفحات الرمضانية	مطبوع
١٢.الفتح فيما يقرأ يوم الخميس بعد الصبح في مسجد الفتح	مخطوط
١٣.الباقيات الصالحات	مخطوط
١٤.نفحة العصر الأزهر	مخطوط
١٥.الفتح والنصر	مخطوط
١٦.الفوائد الاثنا عشر	مخطوط
١٧.كاسحات الألغام الكفرية	مطبوع
١٨.التحصين الحصين	مخطوط
١٩.فوائد ودعوات في العشر وعرفات	مخطوط

٢٠.صاروخ الدعاء	مطبوع
٢١.صاروخ الإصابة	مطبوع
٢٢.الصاروخ السريع	مطبوع
٢٣.الفتاوى	مخطوط
٢٤.ديوان شعر	مخطوط

أما كلامه أثناء المواعظ والمحاضرات فقد قام بجمع بعضه نجله طاهر بن محمد الهدار وتلميذاه محمد بن أبي بكر الحامد وعلوي بن حسن الحداد ، وسوف يتم جمع كل ذلك وترتيبه ويقدم للطبع إن شاء اللّه .



أولاده

وقد خلف رحمه اللّه أولاداً قال فيهم رضي اللّه عنه: «لقد نذرتهم للّه وهم في بطون أمهاتهم آملاً من اللّه سبحانه وتعالى أن يجعلهم من خدمة الشريعة ومن مبلغيها إلى مشارق الأرض ومغاربها» ، ويضيف إلى ذلك قوله: «مع كمال النفع والانتفاع والإخلاص والزهد والعافية واليقين» ، وعددهم إحدى عشر من الذكور وهم:

١. الحسن

٢. الحسين

٣. أحمد

٤. طاهر

٥. عبداللّه

٦. زين

٧. إبراهيم

٨. هاشم

٩. طه

١٠. عبدالرحمن

١١. حمزة

وكلهم بحمداللّه من طلبة العلم نسأل اللّه سبحانه أن يحقق فيهم ما أمله رحمه اللّه.
كما ترك أربعة عشر بنتاً وأربع زوجات .

آخر مذاكرة لسيدي الوالد في أواخر ربيع الأول ١٤١٦ هـ في مولد رباط البيضاء الكبير

قال رضي اللّه عنه:

لكـم بشـرى الإجابـة والقبـولِ   مـن المـولى بواسـطة الرسـولِ

هذه من الفرص الثمينة يسرها اللّه لكم من غير أن تسألوها من اللّه، ومن غير سبب منكم يوجبها فضلاً من اللّه ونعمة ومغفرة ورحمة، فاشكروا اللّه جلّ وعلا، اشكروا اللّه الذي يسر لكم هذا وهداكم لهذا، وقولوا ﴿الحمد للّه الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه﴾، لاشك إن شاء اللّه، الخلاصة من هذه الاجتماعات المشاركة للرسول عليه الصلاة والسلام في أفراحه وأعياده لأن اللّه أعطاه خير كبير ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾، في كل لحظة وحالاته أحسن على الدوام، والحسنات هذه والخيرات كلها بغاها لأمته صلى اللّه عليه وآله وسلم، ولاشك أن هؤلاء المشاركين له في الفرح بايفرحهم اللّه في الدنيا والآخرة، أولاً يفرحنا اللّه بمغفرة ذنوبنا، وفي ستر عيوبنا، وفي غفر ذنوب أمواتنا، وكذلك يجمعنا به صلى اللّه وسلم عليه وهو راضٍ عنا:

والحمـد للّـه شـكرا   علـى نعـم مـن تـترا

نحمـده سـراً وجهـرا   وبالغدايا والاصـال

ونسأل اللّه جلّ وعلا أن يجعل آذاننا صاغية، وقلوبنا واعية للمواعظ الذي سمعتموها وستسمعونها كلها من رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم:

وكلهـم مـن رسـول اللّـه ملتـمس   غرفاً من البحـر أورشـفاً مـن الديـم

وكلها لك لأنه مايحب أحد مثلك، كل واحد منا محبوب عند رسول اللّه ليه؟ لأن اللّه جعل في قلبه رحمة ، هو خَلَقَه رحمه:

رحمــة كلــه وحــزم وعــزم ووقــارٌ وعصمــة وحيــاء

وجعله رحمة للعالمين، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وسمعت أنت في الآيات ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ماعنتم﴾ يعني: مايشق عليكم يشق عليه ﴿حريص عليكم﴾ بغاكم كلكم للجنة ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ حتى في سكرات موته سيدنا جبريل وسيدنا عزرائيل والملائكة يارسول اللّه قال: أنا مشغول على أمتي، قالوا: إن اللّه جلّ وعلا يقول: إنه سيرضيك في أمتك أوكما ورد، قال القائل:

قرأنا في الضحى ﴿ولسوف يعطي﴾ فســر قلوبنــا ذاك العطــاء
وحاشــى يارســول اللّــه ترضــى وفينــا مــن يعــذب أو يســاءُ

اعتصم بحبل اللّه وارتبط بهذا الحبل الذي لاتنفصل عراه:

طوبى لعبد من الخيرات نحره ملاه محبة الخير وأهل الخير قوته وماه

فالمحبة هذه باتقربك إلى خير كبير، ولوعمرك ألف سنة ولاباتحصله إلا من هذه المحبة، فتسأل من اللّه في هذه الساعة المباركة أن يجعلك من المحبين للرسول عليه الصلاة والسلام ولأحبابه، ومن المحبوبين عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وعند أحبابه في خير ولطف وعافية، أقبل رجل والرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم يخطب يسأل: يا رسول اللّه متى الساعة ؟ يعني متى باتقوم القيامة . القيامة مايعلمها إلا اللّه، سكت منه ، رد السؤال ثاني مرة ثالث مرة والنبي ساكت، وسكّتوه الصحابة، فلما تم كلامه عليه الصلاة والسلام، قال: أين السائل عن الساعة ؟ قال: أنا يارسول اللّه، قال: ما أعددت لها؟ شي معك بضاعة لها؟ قال: واللّه يارسول اللّه ما أعددت لها كثير صلاة ولا كثير صيام ولكني أحب اللّه ورسوله، قال: «أنت مع من أحببت» «أنت مع من أحببت» .

ماشاء اللّه، قيل لـم يفرح أصحاب رسول اللّـه بشـيء بعـد الإسـلام مثـل فرحهـم بهذا الحديث، فأنت عندما تحضر الموالد تكثر الصلاة على النبي صلـى اللّـه عليـه وآلـه وسلـم وتقرأ الموالد في بيتك، ماشاء اللّه عندك حصة وهـذه الحصـة متفـاوتين النـاس فيها، حد أعطاه اللّه حصة حتى ماعاد جاه النوم قال القائل:

عجبـاً للـمحب كيـف ينـامُ ؟! كـل نـوم علـى المحـب حـرامُ

حبيبنا جعفر من مشايخنا الكبار العلـماء شيخ الحبيب عبدالقادر وله اعتنـاء في هـذا الرباط يقول:

مـن حـب طـه النـبي يحـرم عليـه المنـام

مـا شـاء اللّـه في ليلهـم وفي نهـارهم مشـغولين بـالصلاة علـى النبي عليـه الصـلاة والسلام، انتبه شف هذه عروة ماتنفصم إذا مكنتها وتـمكنت منها، و الذيـن ضـاعت عقولهـم مسـاكين اللّـه يهديهـم، لأنـه قـال عليـه الصـلاة والسـلام: «سـيأتونكم قـوم يحدثونكم بما لـم تسمعوا أنتـم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم فإياكم وإياهم»، شيء مشى عليه السلف الصالح والعلـماء ملايين الملايين ألـف سـنة وأربعمائـة سـنة وأنتـوا جيتـوا باتقولوا لنا بدعة بدعة ، لاعرفتـوا البدعـة ولا عرفتـوا السـنة، هـؤلاء خصوصـاً أهـل اليمن، عادهم فوق الناس، بشارة كبرى نحو أربعين حديث وردت لهـم «الإيمـان يمـان والحكمة يمانية» هذا في البخاري، والحكمة العلـم النـافع، ﴿يؤتـي الحكمـة مـن يشـاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا﴾ ماشـاء اللّـه لهـم بشـارة كبـيرة، أول شـيء يقول عليه الصلاة والسلام: «إني واقف علـى حوضـي أذود النـاس عـن أهـل اليمـن» يسقي الناس بيده الشريفة.

اللّه يجعلنا من المحبوبين لديـه، ومـن المقربـين لديـه، ويحببنـا إليـه ويحببنـا إلى أحبابـه ويجعل حبه أحب إلينا من أنفسنا وأهلينـا وأولادنـا ووالدينـا، ومـن المـاء البـارد، هـذه

البشارة الذي يسرها اللّه لكم أبشروا بها «وخرجت من منازلها لاحاجة لها إلا الطمع والرغبة فيما لديك منًّا منك عليها ياسيدي لامناً منها عليك» أنت الذي مننت عليها وأخرجتها حتى وصلت إلى الحضرة، وصلت إلى الطاعة، فأبشر بالخير وبشر أمك بالخير وبشر أبوك بالخير، الليلة من فضل اللّه الكبير الواسع، بواسطة الرسول عليه الصلاة والسلام:

وكرر المولد ثم المولدا

ولهذا قيل: من قرأ المولد في هذا الشهر في بيته مرت سنته على أحسن حال، يعني صرف اللّه عنه الأذيات والبليات، فاحمدوا اللّه واشكروه، وأما هؤلاء الذي لهم دعوى ثانية هذي أخبر بها النبي عليه الصلاة والسلام: «ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة» لكن قال العلماء الفرقة الواحدة هي أعظم من الثلاث والسبعين فأكثر، كلها الثلاث والسبعين ضائعة إلا فرقة وهم أهل السنة والجماعة، وهم أهل البيت الكرام، والكبار العظام، ماشاء اللّه قع لك في الصف الثخين، مع الشيخ أبي بكر بن سالم والفقيه المقدم وعبداللّه بن علوي الحداد، والإمام البخاري والشافعي ومالك، باتروح فين ؟ عادك بعيد هي لحظة واحدة وانك معهم، ينقلب موتر ولاّ صَفْرا وانك انتهيت.. من الدنيا ومن البيت ومن السيارة ومن كل شيء.

اللّه اللّه بهذه العروة الوثقى، وهي المحبة وبالتوبة الصادقة لأن هذه فائدة مجالس العلم، أصغر فائدة أن تقوم وقد غفر اللّه ذنبك، وأكبر فائدة -وإن شاء اللّه يغفر اللّه ذنوبنا- يرزقنا كمال الاستعداد للقائه، لأن لقاء اللّه لابد منه لقاء اللّه بالموت ؟ ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بماكنتم تعملون﴾ .

يارب مامعنا لسان ولامعنا طاقة ولا معنا جواب ولا نحتاج لسؤال ولا جواب أكرمنا لأجل نبيك عليه الصلاة والسلام، ولأجل السلف الصالح وعبادك الصالحين، فنحن نحبهم:

معهم وفيهم دائماً في الدار ذه والآخرات
ندخل مع طه وآله في الصفوف الأولات

ولافوز إلا هناك.. ولافرح إلا هناك.. ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ فإذا كان بغيت الفوز شفه هناك، و ماشاء اللّه إذا جاته المنية وهو على حسن الختام، اللّه يرزقنا كمال حسن الختام، ما رزقه أهل حسن الختام، يزودنا من هذه الدنيا بالأعمال الصالحة، وبالإيمان الكامل، وباليقين الكامل، نرجع إلى اللّه جلّ وعلا ونصل ونحن فرحانين، يلتقينا سيد المرسلين، قالوا لبعض الصحابة قده في سكرات الموت تعب السكرات طالت عليه إيش يقول: شدد ما شئت أن تشدد فوعزتك وجلالك إن قلبي يحبك، قالت: أختـه واكرباه ، قال: واطرباه واطرباه ، غداً لقاء الأحبة محمداً وحزبه، فتوبوا إلى اللّه جلّ وعلا من الذنوب صغيرها وكبيرها وانشروا شريعته وانشروا دعوته، وشاركوا الدعاة وشاركوا الطلبة في خروجكم ولو يوم، لأجل تقوموا بالوظيفة لأنها وظيفتكم ووظيفة كل مسلم، ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى اللّه على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ فلا تكسلوا.

وعلم أولادك وعلم إخوانك وعلم أخواتك، قل لها ماشي عيش إلا عيش الآخرة ولا عوض إلا عوض الآخرة، أما هنا المرض موجود، والسفر موجود، والموت موجود، والهموم والغموم موجودة، فنحن في دار البلا، في دار الكَبَد، بغيت فرح بغيت سرور اشتغل بالآخرة، نفرح كلنا ونستريح كلنا، ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ هم ومن؟ ﴿هم وأزواجهم﴾ ماتفرح إلا إذا أصحابك كلهم فرحين،

وأنت علـمهم، وقل أولاً: هذه المجالس التي يسـرها اللّـه لكـم هـذه ليس لها مثـل في الأعمال كلها، فاحمدوا اللّه عليها، واشكروا اللّه عليها لأنها بـاتجيب لكـم خـير كبـير فوق التوبة وفوق المغفرة، ثانياً قل: هذا القبر الذي بانسير إليه بعد يومين أو بعد ثلاث أيام أوبعد يوم أو بعد سنة ولانحن دارين ! علـمنا النـبي عليـه الصـلاة والسـلام سـورة تبارك والإنسان إذا جلس وحده في البيت استوحش فكيف إذا هو وحده في زنزانـة ؟ فكيف إذا هو وحده في مدفن ؟ فكيف هذه روحك تبقى إلى يوم القيامة بغيت أنيـس ؟ لابد لك من أنيس ، بغيت جليس بغيت مفرح؟ سورة تبارك سورة تبارك، لهذا قال العلـماء: مجنون مجنون مجنون من نام ولـم يقرأ سورة تبارك، فهل أنت مجنون؟ علـمها أمك علـمها أختك علـمها زوجتك، اللّه اللّه اللّه اللّه إنها المؤنسة في القـبر والـمنجية من عذاب القبر.

قال أحد الصحابة : يارسول اللّـه البـارح بـت في بريـة فسـمعت أحـداً يقـرأ تحـتي سورة تبارك، قال:« أنت بت على قـبر وهـذا صاحبـه كـان لاينـام حتـى يقـرأ سـورة تبارك»، إنه وقف بين يدي اللّه وجاء الملائكة بعد موته هذا بايحاسب وهذا بايفزعـه وهذا بايسأله عن الغيبة وهذا عن النميمـة، فقـامت سـورة تبـارك وقـالت: أنـا سـورة تبارك، فتجادلوا هم وسورة تبارك تجسمت لهم فقالت: يارب أنا سورة مـن كلامـك وهذا صاحبي يقرأني كل ليلة، فأما تشفعني في صاحبي وإلا فامحني من كلامـك، قـال: قد شفعناكِ فيه، قالوا: فلـم يبق حر ولاعبـد ولاصغير ولاكبـير ولاذكـر ولا أنثـى إلا وحفظ سورة تبارك ، ماشاء اللّه فاللّه اللّه من الليلة، وإذا زرت قبراً اقـرأ عنـده سـورة يس وسورة تبارك وآباءك وأهلك بايدخلهم اللّه معك إن شاء اللّه، اقراها في كل ليلـة الحذر حد يتركها إلا المعذورة بالحيض تأتي بدلها بـ« سبحان اللّـه والحمدللّه ولا إلـه إلااللّه واللّه أكبر » ما تيسر .

هذه من جملةماينفعك في القبر، كذلك الوصية الوصية قالوا: مجنون مجنون من نام بلا وصية ؛ لأنه -ولو شهيد ولو قتل في سبيل الله- إذا كان ماله وصية لا يزور ولا يزَار، هو على خير ولكن لايزور النبي ولا يزور الأنبياء، ولايجتمع بهم بسبب أنه مات بلاوصية، الوصية ماتقطع عمر جهز لك وصية.

افهم الكلام، ولأمك وصية، ولأختك وصية، اكتبها هذه دائماً اكتبها إن اللّه أعطاك شيء شرد لك منه الثلث، لك الثلث، اكتبه للمساجد ولأصحابك ولإخوانك وأنته أحق به إذا عادك احتجته . وإن مت قد شردته في الورقة ؛ لأن اللّه تصدق على كل إنسان بثلث ماله، فاللّه اللّه في هاتين الوصيتين، سورة تبارك والوصية، وكذلك محبة أهل الخير الذي يسره اللّه لك، والشكر عليه، تشكر اللّه عليه وتتوب إلى اللّه من جميع الذنوب، لاتكون قاطع رحم لاتكون عاق والدين، لاتكون مشاحن، لاتكون مدمن خمر، لأن هؤلاء الأربعة محرومون من المغفرة، أعاذنا اللّه منهم، واللّه يردنا إليه مرداً جميلاً هذا الموسم موسم كبير، جاب اللّه لنا فيه خير كبير وإن شاء اللّه يجيب اللّه فيه كل خير لنا ولإخواننا ولأمواتنا ولأحبابنا وللمسلمين أجمعين، في أقطار الأرض وهؤلاء المعترضون والمعارضون اللّه يهديهم اللّه يهديهم اللّه يهديهم، مانسخى بهم ولافيهم سخى يسيروا في الطريق الثاني، ﴿ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ .



خاتمة المطاف

انتقل رحمه الله إلى مكة المكرمة وسكن في شارع التيسير ، حيث كان يحرص كل الحرص على الجلوس في مكة المكرمة، لكون الأعمال تتضاعف فيها حتى إنه قال في كتابه «الحج المبرور» : قال الإمام الشافعي وجماعة رحمهم الله: «مكة أم القرى أفضل بلاد الله»، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أُخرجت منك ماخرجت» أخرجه النسائي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمئة ألف صلاة» رواه البزار بإسناد حسن، قال الإمام الغزالي رحمه الله عن الحسن البصري رضي الله عنهم: «إن صوم يوم بمكة بمئة ألف يوم، وصدقة درهم بمئة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمئة ألف»، أي: فلا تختص الفضائل بالمسجد كما اعتمده بعضهم بل في سائر أجزاء مكة، قال الإمام النووي في « كتاب المناسك » في خصوصيات الحرم: الرابع عشر: تضعيف الأجر في الصلوات بمكة وكذا سائر أنواع الطاعات.

وقد كان رحمه الله كثير التردد على مجالس العلم التي تعقد في مكة عند كثير من العلماء الأعلام، كما كان مقصداً لطلاب العلم ومرجعاً لكثير من المسائل العلمية، وكان كثير التردد على المدينة المنورة، وعندما يتجه لزيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقف أمام المواجهة الشريفة نحواً من ساعتين قائماً يسلم على الحضرة النبوية، ويأتي بالسلام الوارد عن جملة من العلماء المتقدمين، وغالباً ما يتردد بعد العصر لزيارة

شهداء أحد وبالذات سيدنا حمزة بن عبد المطلب، ومنه ينتقل إلى عند ضريح الإمام العريضي[١] .

وحينما تعقد جلسات علمية في المدينة المنورة كان من أول الحاضرين فيها والمذاكرين لمن فيها وبالذات درس الحبيب هدار بن محمد الهدار[٢] رحمه اللّه، والذي كان يقوم به في كثير من الأوقات السيد سقاف بن علي الكاف رحمه اللّه[٣].

---

(١) هو الإمام علي بن جعفر الصادق، سمي العريضي نسبة إلى محل له يسمى العريض على بضعة أميال من المدينة المنورة، كان مقيماً به وبه دفن، أخذ عن أبيه وعن أخيه موسى الكاظم، وعن الحسن بن زيد بن علي كان رحمه اللّه عابداً عالماً توفي سنة ٢١٠ هـ ، وللعلامة سقاف بن علي الكاف ترجمة مستقلة لهذا الإمام لا زالت مخطوطة يسر اللّه طبعها.

(٢) هو العابد الناسك هدار بن محمد بن عمر الهدار، ولد بمدينة القطن بحضرموت سنة ١٣١٠ هـ، وأخذ عن جُل علماء حضرموت في ذلك الحقب من الزمن، وبالذات الحبيب أحمد بن محسن الهدار، ثم انتقل إلى المدينة المنورة وبها طنب خيامه ، وكان يقيم درساً عاماً في كل ليلة ثلاثاء في منزله وكانت الصلة بينه وبين سيدي الوالد قوية للغاية، وقد كان سيدي الوالد كثير التردد عليه كثير التوقير له ، وكان كثيراً ما يردد:

إلهي نجني من كل ضيق ... بجاه المصطفى مولى الجميع

وهب لي في مدينته قراراً ... ورزقاً ثم دفناً بالبقيع

وقد أوصى بمكتبته للوالد وتوفي بالمدينة المنورة عام ١٤١٢ هـ ودفن بالبقيع .

(٣) هو المؤرخ الفقيه سقاف بن علي بن عمر بن شيخ الكاف ، من مواليد تريم عام ١٣٦٥ هـ، نشأ بمسقط رأسه وتلقى تعليمه الابتدائي بها بمدرسة الكاف وجمعية الأخوّة والمعاونة، ثم برباط تريم، ثم بالمعهد العلمي بتريم، ثم بالأزهر الشريف، وتخرج عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠م) من كلية الشريعة والقانون ، ثم عمل بسلك القضاء بسيئون، ثم بالمدينة المنورة، حتى توفي في جدة على إثر عملية جراحية ، وكان آخر لقائي به قبل إجراء تلك العملية رحمه اللّه ، وذلك عام ١٤١٧ هـ.

إلا أن هواء مكة كان يناسب صحته كثيراً نظراً لجوها الحار وكثرة الهواء بها، لكونه يعاني من مرض في الصدر منذ سنة ١٣٨٧ هـ كما شرحناه سابقاً، وإن كان يحبذ السكنى في المدينة المنورة، ويرى أنه أحب إليه من مكة المكرمة ويميل إلى من يقول بتفضيل المدينة على مكة، إذا نُسبت الأولى إلى رسول الله صلى اللّه عليه وآله وسلم والثانية إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، أما إن نسبت مكة إلى اللّه سبحانه وتعالى فلاشك أنها أفضل من المدينة المنورة كما نقله الإمام الحداد ولذلك قال في مدح مكة المكرمة:

هِيَ وادي الخليلِ كَمْ زارها جبـ ـريلُ يأتي الحبيبَ بالآياتِ

وُلِدَ المصطفى بها وكَفاها وبه تَزْدَهِي مدى الأوقاتِ

هي خيرُ البلدانِ حاشا كما قا لَ المصِيبُونَ طَيْبَةُ الطَّيِّباتِ

كم لها من فضائلٍ ليس تُحصى وبها اللّه ضاعفَ الحسناتِ

فهنيئاً لساكِنِيها معَ الآ دابِ والزائرينَ لو لحظاتِ

رَبِّ هَبْنا خيراتِها في عوافي وأَجِرْنا بها من المعْضِلاتِ

وكان رحمه اللّه يقضي أسعد الساعات وأحبها إلى قلبه في مجالسة العلامة الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، وكان يأتي لدروسه من مكة المكرمة إلى جدة وحينما يصل إلى الدرس كان يجلس حيث ينتهي به المجلس إلا أن الحبيب عبدالقادر يصر عليه في التقدم إلى صدر المجلس، وكان كثير الثناء عليه وطالما قام حين دخوله لكنه يتأدب معه ويحاول أن يمنعه من القيام فيقول له: «القيام لك فرض ولغيرك نفل»، وطالما قال له: «أهلاً بصاحب العزمات» جمع عزيمة بمعنى الاجتهاد في العبادة.

وربما دارت مسألة من المسائل العلمية في المجلس وفي ذهني أن سيدي الوالد قد أملاها علينا بل وناقشنا فيها مراراً إلا أني كنت أراه لا يتكلم ولايجيب عنها إلا بعد أن يوجه إليه الحبيب عبدالقادر السؤال ، وكان معه كالتلميذ مع الشيخ.

وكانت أواصر المحبة بينهما قوية إلى الغاية منذ أن كان الحبيب عبدالقادر في حضرموت وأذكر أنه كان يودع سيدي الوالد بعد زيارته لحضرموت إلى شبام وكانا يقضيان أكثر الليل في قرية بور بالقرب من سيئون عند الحبيب جعفر بن أحمد العيدروس رحمه اللّه إبَّان بقاء سيدي الوالد في حضرموت وبالذات بعد أن تأهل في تريم،كما كان يكثر التردد على عالم الحجاز السيد العلامة محمد بن علوي المالكي ويحضر كثيراً من دروسه، وكان السيد العلامة محمد بن علوي المالكي كثير التردد على سيدي الوالد إلى مسكنه في مكة وبالذات بعد أن عجز عن التنقل وأقعدته الأمراض، كما كان كثير التردد على الإمام العلامة الحبيب عطاس الحبشي، ويحضر كثيراً من دروسه في مكة خلال إقامته فيها ، كما كان يتردد كثيراً على العلامة العابد الناسك الحبيب عبدالرحمن بن أحمد الكاف رحمه اللّه[1].

---

(١) هو العلامة الجليل العابد الناسك عبدالرحمن بن أحمد الكاف ، من مواليد الهجرين عام ١٣٢٠هـ بحضرموت ، وبها نشأ وترعرع وأخذ عن جل علمائها ، ثم انتقل إلى تريم وانتظم ضمن معهدها القويم ، وكرع من معين العلماء ثم عاد إلى بلده ، واستمر بها داعياً ومرشداً إلى أن ألجأته الظروف التحويلية في حضرموت فاضطر إلى مغادرة موطنه، واستقر في جدة داعياً إلى اللّه على بصيرة منيرة ، صدرت له بعض المؤلفات العلمية منها كتابه «جراب المسكين» ، واستمر في جدة إلى أن بلغ المئة من عمره إلا أنه لم يكل ويتوانى عن العبادة وحضور المجالس العلمية واستقبال طلاب العلم ، حتى أدركته الوفاة في شهر شعبان عام ١٤٢٠هـ بجدة ودفن بمكة بمقبرة المعلاه .

وفي المدينة كنت أراسل صحيفة المدينة المنورة ومجلة الفيصل وأكتب فيهما كثيراً من الأبحاث والتراجم ولا أدري أن البعض يأخذها فيطلع عليها فلم أشعر به إلا وهو يعاتبني بأن كثيراً من تلك البحوث ترمى ولا يستفاد منها، وأنها جواهر في مزابل، وقد جلست معه في ذات يوم وأمرني أن أقرأ شيئاً من تلك المقالات فقرأت نبذة من مقال بعنوان «رحلة في ديوان الإمام الحداد»، فأعجب بذلك كثيراً إلا أنه أمرني بالتوقف حتى لا ترمى كما أسلفنا.

وفي ذات يوم جمعتنا مناسبة بشيخه الحبيب أحمد مشهور الحداد في جدة، وبعد السلام عليه سألني لماذا توقفت عن الكتابة في الصحف فحرت في الجواب وسيدي الوالد حاضر، فنظر إليه وقال: مره فليواصل الكتابة لحصول النفع منها، فأمرني سيدي الوالد بالاستمرار.

وحينما استقر الوالد في الديار المقدسة كان مقصداً للحجاج، والزائرين والمعتمرين،وكان يقوم بمساعدته في تلك الأمور الحاج عمر بن عبدالله القنع الذي كان يعمل لدى شركة الحاج سيف نعمان سعيد، وقد رافقه كثيراً جزاه الله خيرا وشكر الله له، ومعرفته به قديمة منذ عهد الشباب هو وقريبه الشهيد صالح بن محسن الخراز المخطوف من قبل عصابة الشر والإجرام في سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠م) تقريباً.

وهما من أهالي زارة بمديرية لودر ، نشآ في عريب وتعلما على يد العلامة الكبير أحمد بن محسن العوامي، وحينما يبلغ سيدي الوالد أن أحد معارفه قد وصل إلى تلك الديار بحث عنه وطلب منه الجلوس لديه، وطالما أقام دروساً في أحكام الحج والعمرة للواصلين، وليؤدوا تلك المناسك على هدى ومعرفة تامة بها.

وكان رحمه اللّه خلال سكناه في مكة المكرمة يتولى كثيراً من شؤونه ومتطلباته السادة الكرام أبناء الحبيب عبداللّه بن علي المحضار ، وبالذات السيد أحمد بن عبداللّه المحضار[1] الذي كفاه كثيراً من المؤن والأتعاب في كل محتاجاته، كما أنه كثير النزول لديهم في جدة منذ زمن سابق وبالذات في أيام الحج والعمرة، ولقد وقف السيد أحمد بن عبداللّه المحضار معنا في أيام الوفاة وتَعَاهَدَنا وخفف من روعنا، جزاه اللّه عنا خيرا، وقبل عام تقريباً من وفاة سيدي الوالد رحمه اللّه أصيب بالتهاب شديد في الصدر، مما أدى إلى ضيق شديد في التنفس ونقل على إثره إلى مستشفى الدكتور عبدالرحمن طه بخش ذلك الرجل المثالي والذي اتخذ من مستشفاه دار خير وعطف وعناية وحنان ، وسار على قاعدة «العلاج خدمة لا سلعة» . كما قام شقيقه الشيخ عبداللّه طه بخش بتعاهدنا بل بأدوار كثيرة خلال معالجته وقد كانت تربطه بسيدي الوالد محبة ومودة كبرى تمثل أحد الأصناف السبعة إن شاء اللّه الواردة في الحديث النبوي «ورجلان تحابا في اللّه اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه» جزاه اللّه عن سيدي الوالد وعنا أفضل الجزاء وجعل الخير باقياً فيه وفي عقبه وإيانا إلى يوم الدين آمين.

أقول: لقد وصل سيدي الوالد إلى المستشفى وقام الدكتور عبدالرحمن وطاقم الأطباء بخدمات عظيمة وجليلة للوالد لن ننساها لهم ونسأل اللّه سبحانه أن يجزيهم خير الجزاء، وقد مكث الوالد في المستشفى نحواً من شهرين وهو يعاني من ذلك الداء العضال أشد المعاناة ، وقد أبلغني السيد أحمد بن عبداللّه المحضار بضرورة وصولي مع بقية الإخوان فاتجهت إلى جدة

---

(١) هو السيد أحمد بن عبداللّه بن علي المحضار، ولد في مدينة حبان ١٣٥٠ هـ، ونشأ في حجر والده وأخويه الكريمين محمد وسالم، وأخذ مبادئ القراءة والكتابة في حبان، وانتقل إلى عدن وزاول مهنة التجارة، التي ما هي إلا وسيلة لفعل الخير لديه، واستمر في عدن فترة ثم انتقل إلى جدة وتعاطى الأسباب التجارية فيها، ولازال تحفه عناية اللّه ورعايته ، كثير التردد على الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، كثير التلاوة للأوراد والأذكار أطال اللّه في عمره آمين.

وقبلي اتجه الأخوان طاهر وأحمد وتبعنا الأخوان زين وإبراهيم ومكثنا فترة العلاج في المستشفى، وقد لازمنا في المستشفى المذكور السيد عبدالقادر بن عبدربه الجنيدي[1] والأخ علوي بن أبي بكر الحداد والشيخ عمر بن عوض حداد والأخ علوي بن حسن الحداد وكل الإخوان آل الحداد وكذلك الأخ محمد بن عبدالقادر السقاف والأخ محمد بن عبدالقادر الهدار وأحمد بن صالح الهدار ومحمد بن حسين حيدان ومحسن بن محمد باصهي .

كما تردد علينا الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف والسيد محمد بن علوي المالكي ومحمد بن عبده يماني والسيد عيسى الحداد والأخ المنصب محسن بن محمد المحضار وصالح بن ناصر المحضار والسيد محمد بن علوي باعقيل والشيخ عبدالجبار بن هائل بن سعيد أنعم والشيخ سيف بن نعمان سعيد وابن أخيه الشيخ سيف .

ووصل من البيضاء الحاج ناصر بن علوي القربي والشيخ أحمد بن عبدربه الكور وعلي بن عبدالنبي اليحوي، وكانت المكالمات من اليمن وغيره تصلنا باستمرار للاطمئنان عن صحته رحمه الله ، وكنا نتناوب البقاء عنده وفي ذات يوم كنت أنظر إليه نظر الولد نحو والده وأتذكر ما عانى ويعاني، فذرفت عيناي، فقال لي: «لاإله إلا الله مزجت بدمائنا ولحومنا» ، وهي كلمة كبرى عظيمة لم تنقل عن أحد من السلف إلا عن الإمام عمر بن عبدالرحمن العطاس ، قالها في مرض موته، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) هو السيد الفاضل عبدالقادر بن عبدربه أحمد الجنيدي، شقيق السيد صالح بن عبدربه الجنيدي، من مواليد الماذن وبها نشأ وأخذ مبادئ القراءة والكتابة به ثم ارتحل إلى الحبشة للكد في سبيل الرزق وبها استمر فترة من الزمن ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة وفتح فيها عملاً تجارياً مع صلاح ونسك وعفة نفس وكرم فريد ، إلى أن توفاه الله في رجب ١٤٢٠هـ على إثر نوبة قلبية بمكة المكرمة ودفن بها .

وقد بقينا في جدة حتى خرج من المستشفى بمعية الأخ الدكتور محمد هشام عبدالرحمن الجفري الذي طالما تردد عليه وقام بمعالجته في معظم أحيانه، جزاه اللّه خيرا، ومكثنا معه فترة من الوقت في مكة المكرمة، وقد قرأت عليه جزأً من التائية للإمام عبداللّه بن علوي الحداد، وكان يصحح لي كثيراً من الأخطاء، وقد استأذن لي الدكتور محمد هشام بأن أعود إلى البيضاء لخدمة الرباط حيث إن كثيراً من الإخوان في مكة ماعدا الأخ عبداللّه الذي كلفناه بالعودة ليقوم بتطمين الأسر وللقيام بالرباط فأذن لي في يوم الجمعة وبعد عصر الجمعة دخلت عليه للوداع فأشفق ولم يأذن إلا أنه بعد ذلك استودعنا اللّه، فعدت إلى البيضاء ثم تبعني الإخوان أحمد وزين وإبراهيم، وكنت من وقت لآخر أتصل به عبر الهاتف فيبقى نحواً من نصف ساعة يتابع أخبار الرباط والأسر والمحتاجين، وأما الأخوان طاهر وعبداللّه فيترددان عليه باستمرار وشاءت إرادة اللّه أن لا نتفق بعد ذلك الوداع.

وقد قام بخدمته الأخوان طاهر وعبداللّه والولد النجيب عيدروس بن حسن محمد الهدار ومحمد عبدالقادر الهدار والأخ أحمد صالح الهدار وطه بن محمد الهدار ومحمد بن حسين حيدان جزاهم اللّه خيرا وأخلفه علينا جميعاً بكل خير، وجمعنا وإياه بعد طول العمر في طاعته ورضاه في مستقر رحمته ومحل أوليائه مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . آمين آمين آمين .



وصيته رضي الله عنه[1]

الحمد للّه وبعد فقد أوصى العبد الفقير محمـد بن عبداللّه الهدار بن شيخ، وهو يشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، وأن كل ما جاء به حق، ويشهد أن الموت حق وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن اللّه يبعث من في القبور، مبتهلاً إلى اللّه أن يلحقه وأحبابه أبداً بخواص أهل مقعد الصدق في عافية مع كمال رضوان اللّـه وعافية الدارين وسعادتهما، وأن يتم عليه النعمة فيحييه مؤمناً ويتوفاه مؤمنا على أكمل حسن الختام، ويبعثه مؤمناً مع الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ويسأل اللّه أن يجعله من التوّابين المحبوبين المتطهرين من كل خطيئة، الذين بدل اللّه سيئاتهم حسنات . ويفعل كذلك بأحبابه. أوصى إذا حضره الموت المحتوم على كل الأنام أن يلقن عند الاحتضار شهادة أن لا إله إلا اللّه، ويستقبل به القبلة ويقرأ عنده سورة يس المعظمة وسورة الرعد ويعمل فيه وعنده بما ورد في السنة المطهرة من التجهيز والكفن الكامل.

وأوصى أقاربه بتقوى اللّه ونهاهم عن النياحة وأمرهم بالتصدق عليه، وأن يجروا عليه المعتاد من أمثاله من صدقة وقراءة مأذوناً للوصي في الزيادة إن اتسع الثلث، وأذن لمن شاء الحج عنه والأضحية عنه من الثلث أو تبرعاً .

وجعل ولده حسين وعليه مشاورة أحمد وطاهر وعبداللّه وزين وصياً عنه وناظراً على أولاده يحفظ أموالهم ويتجر للمصلحة وينفق عليهم إلى البلوغ ويقضي ديونه.

قال وأوصى بذلك محمد عبداللّه الهدار

مختاراً صحيح التصرف

التاريخ ٣ ربيع الثاني ١٤١٥ هـ

وقد كتب رحمه اللّه وصية جامعة نافعة وجهها لكافة المسلمين أحببنا أن نثبتها هنا كاملة للفائدة، وهذه هي:

وصية العبد الذميم إلى المولى الكريم

اللّهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وخطرة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله:

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه رب العالمين بجميع محامده كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم، عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم، سبحانك اللّهم وبحمدك اللّهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا كبيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي ذنوبي كلها، فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت، أستغفر اللّه العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه لي ولوالدي وللمسلمين إلى يوم الدين، في كل لحظة أبداً عدد ما وسعه علم اللّه من جميع الذنوب والتبعات ومن سائر الحركات والسكنات، ومن جميع ما يعلمه اللّه، في ما بيننا وبين اللّه وفيما بيننا وبين عباد اللّه ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش، في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

اللّهم لك الحمد في كل لحظة أبداً بجميع محامدك كلها كما أنت أهله ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك. فصلِّ وسلم وبارك في كل لحظة أبداً بجميع الصلوات كلها كما أنت أهله، مثل ذلك كله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وجميع عباد اللّه الصالحين، وعلينا وعلى والدينا وذرياتنا وأحبابنا أبداً وعلى سائر المسلمين، إلى يوم الدين معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك. كل صلاة تهب لنا بها وتهب بها لكل مسلم خيرات الدنيا والآخرة وتعيذنا وتعيذ بها كل مسلم من كل مكروه في الدنيا والآخرة، وافعل بنا وبهم من الجميل ما أنت أهله، إنك أهل التقوى وأهل المغفرة.

اللّهم إنا نسألك لنا ولهم في كل لحظة أبداً من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم وعبادك الصالحون ، ونعوذ بك مما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم وعبادك الصالحون وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم .

اللّهم هب لنا ولهم كل خير عاجل وآجل ظاهر وباطن أحاط به علمك في الدين والدنيا والآخرة ، واصرف وارفع عنا وعنهم كل سوء عاجل وآجل ظاهر وباطن أحاط به علمك في الدين والدنيا والآخرة، يا مالك الدين والدنيا والآخرة، وصل اللّهم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وارزقنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطناً في عافية وسلامة يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العاليمن ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

اللّهم هذه وصيتنا إليك فقد بلغنا عن بعض العلماء أنه كتب وصيته إليك وجعلك وصيه، وإنا ندعوك بها وأوصينا أحبابنا يقرؤونها عنا وعنهم على الدوام،وهي للإمام محيي الدين ابن عربي رحمه اللّه المتوفى سنة ٦٣٨ هـ وهذه وصيته رحمه اللّه ورحمنا به آمين:

«الحمد للّه اللّهم صل على سيدنا محمد و آله وصحبه وسلم، إلهي أنت أمرتنا بالوصية عند حلول المنية، وقد تهجمت عليك وجعلت وصيتي إليك فأول ماتبدأ به من أمري إذا نزلت في قبري، وخلوت بوزري، وأسلمني أهلي في جدثي، تؤنس وحشتي، وتوسع حفرتي، وتلهمني جواب مسألتي، وتكتب على ناصيتي مصيبتي، بقلم عفوك، ﴿اليوم يغفر اللّه لكم وهو أرحم الراحمين﴾ ، فإذا جمعت رفاتي، ونشرتني ليوم ميقاتي، ونشرت صحيفة سيئاتي وحسناتي، فانظر إلى عملي فماكان من حسن فاصرفه في زمرة أوليائك، وما كان من قبيح فمل به إلى ساحة عتقائك، وأغرقه في بحر عفوك ووفائك، ثم أوقف عبدك بين يديك ، فإنه لم يبق له إلا افتقاره إليك واعتماده عليك، فقس بين عفوك وذنبه، وبين غناك وفقره، وبين علمك وجهله، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وأن الموت حق وأن الساعة حق.

اللّهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، اللّهم إنا جعلناك لنا ولذرياتنا ولأحبابنا أبداً وصياً وحسيباً وكفيلاً وناصراً وحافظاً ومعيناً وحارساً وكافياً وكافلاً ووكيلاً في ديننا ودنيانا وبرزخنا وأخرانا أبداً سرمدا، فكن لنا كما كنت لخواص أحبابك وارزقنا كمال عافية الدارين ولا تكن علينا واحمنا من كل مايؤذينا واكفنا ما أهمنا ومالانهتم به في ديننا ودنيانا وأخرانا، والطف بنا في ما تجري به المقادير لطفاً خفياً، واحرسنا ومامعنا ومن معنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لايرام،

وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا وصلى اللّه عليه وآله وسلم ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

﴿ دعوات ووصية العبد الذميم إلى مولاه الكريم الرؤوف الرحيم ﴾

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، الحمدللّه رب العالمين بجميع محامده كلها ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم، ومبلغ الرضى، وزنة العرش في كل لحظة أبداً عدد ما وسعه علم اللّه وجرى به قلمه، اللّهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله بجميع الصلوات كلها في كل لحظة أبداً مثل ذلك عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك، وأذهب حزن قلبي في الدنيا والبرزخ والآخرة، واجعلنا من خواص خواص القائلين: ﴿الحمد للّه الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ والقائلين: ﴿الحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه﴾ ومن خواص خواص من ﴿قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين . فمنَّ اللّه علينا ووقانا عذاب السموم . إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾.

اللّهم لاتجعلنا بدعائك أشقياء وأغننا عن سؤالنا بإحسانك، واكفنا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك، اللّهم لا ملجأ ولامنجا منك إلا إليك ولا حول ولا قوة إلا بك، ما شئته كان وإن لم نشأ، وما لم تشأ لم يكن وإن شئنا، فأنت مأمن الخائفين وملاذ اللائذين، والمفرج عن المكروبين، وكاشف الضر عن المضطرين، ومعاذ المستعيذين، فليس لمخلوق من الأمر شيء في الدارين، ﴿قل إن الأمر كله للّه﴾ .

يا من يجير ولا يجار عليه، يا من يَمُن ولا يمن عليه، يا من لا يبرأ من الحول والقوة إلا إليه، انقطعت الآمال إلا منك، وخابت الظنون إلا فيك، إلى من تكلنا ! إلى بعيدٍ يتجَهَّمُنا؟ أم إلى قريبٍ مَلَّكْتَهُ أمرَنا فيَمُنَّ علينا؟ أم إلى أنفسنا فنضيع؟

نعوذ برضاك من سخطك، ونعوذ بمعافاتك من عقوبتك، ونعوذ بك منك لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ونعوذ بك من الشرك والشك والوعث عند البعث، والكفر والفقر وشتات الأمر، وعذاب القبر، ونعوذ بك من شماتة الأعداء، وعضال الداء وخيبة الرجاء، ومن كل سوء في الدارين، ونعوذ بك من الأشرار والشرور، وأعدائك وأعدائنا، فأعذنا ياالله، وأحبابنا أبداً من ذلك:

إلهي واحم حمانا ودمر من عادانا
وجد فضلاً وإحسانا لأقصانا وأدنانا

اللّهم لا تسلط علينا أحداً وأرنا في العدو ثأرنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا غاية رغبتنا، واجعلنا ممن أخلصتهم بخالصة ذكرى الدار، ومن خواص قوم تحبهم ويحبونك ولاتحوجنا إلى مخلوق أبداً سرمدا، واجعلنا ممن رعته عين عنايتك في كل أطواره فلا نرى مكروهاً ولاضيقاً في الدنيا والبرزخ والآخرة، واكلأنا كلاءة الوليد، وافتح علينا فتوح العارفين، واجعلنا وأحبابنا أبداً من خواص المقربين السابقين، وهب لنا في كل حين أبداً ماوهبت لهم في كل حين أبداً، مع كمال عافية الدارين آمين .

اللّهم سخر لنا جميع المخلوقين، وهيء لنا الأسباب وافتح لنا في الدارين من الخيرات كل باب، اللّهم صل وسلم في كل لحظة أبداً بجميع الصلوات كلها على سيدنا محمد وعلى آله عدد نعم اللّه وإفضاله، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش، اللّهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي، وخذ إلى الخير

بناصيتي، واجعل الإسلام منتهى رضاي، اللّهم إني ضعيف فقوني، وإني ذليل فأعزني، وإني فقير فأغنني، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللّهم يارب كل شيء بقدرتك على كل شيء، اغفر لنا كل شيء ، وأصلح لنا كل شيء، ولا تسألنا عن شيء ، ولا تعذبنا على شيء ، يا اللّه يا اللّه يا اللّه.

اللّهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولاتجعله مبهماً علينا فنتبع الهوى، واجعل هوانا تبعاً لماجاء به حبيبك محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، اللّهم اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لايهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، اللّهم يامن وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه وتقبله منهم، وفقنا للخير وأعنا عليه وتقبله منا، اللّهم لاتحرمنا خير ماعندك لشر ماعندنا، اللّهم استر عوراتنا وآمن رعواتنا، واكفنا كل هول دون الجنة .

اللّهم يا محيط يا عالم يا رب يا شهيد يا حسيب يا فعال يا خلاّق يا باريء يا خالق يا مصور (ثلاثاً) .

اللّهم إني أسألك لي ولأحبابي أبداً إيماناً دائماً، وأسألك قلباً خاشعاً وأسألك علماً نافعاً، وأسألك يقيناً صادقاً وأسألك ديناً قيماً، وأسألك العافية من كل بلية، وأسألك تمام العافية وأسألك دوام العافية، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك الغنى عن الناس (مرتين) .

اللّهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم، عدد كل ذرة ألف مرة، اللّهم إني أسألك العلم اللدني، والمشرب الصافي الهني، ياوهاب ياغني، اللّهم اجعلنا ممن رعته عين عنايتك في جميع أطواره، فلم يمنعه عن الدخول إلى حضرتك قبيح أوزاره، ولم يحجبه عن مواهب فضلك سيء إصراره، اللّهم ياجامع الناس ليوم لاريب فيه، إجمع

بيننا وبين طاعتك على بساط مشاهدتك، وفرق بيننا وبين همّ الدنيا وهمّ الآخرة ونُب عنا في أمرهما، واجعل همنا أنت واملأ قلوبنا من محبتك ونورها بأنوارك، وخشّع قلوبنا لسلطان عظمتك، ولاتكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأصلح لنا شأننا كله إنك على كل شيء قدير، وصل اللّهم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وارزقنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطناً في عافية وسلامة برحمتك ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين ، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك عدد نعمك وإفضالك مئتي ألف ألف ألف مليون مرة في كل ذرة من ذرات الوجود الخلقي ياالله ياالله ياالله عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

اللّهم إنا في قبضتك حيثما كنا وأينما كنا، فلاحظنا بعين عنايتك حيثما كنا وأينما كنا، وقد تطفلنا يامولانا بهذه الوصية إليك عنا وعن أحبابنا وعن المسلمين خصوصاً من مات بلاوصية، وأوصينا أحبابنا إلى يوم الدين يكثرون من قراءتها عنا وعنهم وعن المسلمين ويخلصون الدعاء لنا ولهم بمثل ....(1).

اللّهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم في كل لحظة أبداً عدد معلوماتك، اللّهم أنت وصيي لاوصي لي على الحقيقة غيرك وصيي على نفسي وعلى ذرياتي وأحبابنا أبداً في الحياة وعند الممات وبعد الممات وفي البرزخ والنشور، في الدار الآخرة أبداً، ووصينا على بيوتنا ومايسرته على أيدينا من الرباط والمساجد وغيرها من المشاريع الخيرية التي يسرتها ....(2)، فكن لنا ولهم حافظاً ياخير مستودع، اللّهم احفظنا وإياهم من كل سوء في الدارين، واجمع لنا ولهم بين خيرات الدنياوالدين،

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

واجعلنا وإياهم قرة عين لسيد المرسلين، اللّهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله أوله وآخره علانيته وسره كبائره وصغائره في حقك أو حق خلقك، وبدله بالحسنات التامات المضاعفات، وافعل كذلك بأحبابي أبداً، اللّهم احفظني في ذريتي وأحبابنا إلى يوم الدين، واجعلنا من المحبوبين، وارزقنا كمال عافية الدارين من الذنوب والعيوب والغفلة والحسرة والأمراض والأسقام وارزقنا كمال سعادتهما، واجعل ستر اللّه مسبولاً علينا وعين اللّه ناظرة إلينا، بحول اللّه لايقدر علينا .

اللّهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وخطرة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هوكائن في علمك أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله:

لا إله إلا اللّه الموجود في كل زمان

لا إله إلا اللّه المعبود في كل مكان

لا إله إلا اللّه المذكور بكل لسان

لا إله إلا اللّه المعروف بالإحسان

لا إله إلا اللّه كل يوم هو في شان

لا إله إلا اللّه الأمان الأمان من زوال الإيمان ومن فتنة الشيطان، ياقديم الإحسان كم لك علينا من إحسان إحسانك القديم ياحنان يامنان، يارحيم يارحمن، ياغفور ياغفار، اغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش، في كل لحظة أبداً عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

سبحان اللّه والحمدللّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر ولا حول ولاقوة إلا باللّه العلي العظيم، عدد ماعلم اللّه تعالى،وزنة ماعلم اللّه تعالى، وملء ماعلم اللّه تعالى

(أربعاً) تـمامها، ملء الميزان ومنتهى العلـم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العـرش، في كل لحظة أبداً مثل ذلك عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

أشهد أن لاإله إلا اللّه وحده لاشريك له وأشهد أن محمـداً عبـده ورسـوله، آمنـت باللّه وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، صـدق اللّـه وصـدق رسوله صدق اللّه وصدق رسله، آمنت بالشريعة وصدقت بالشريعة، وإن كنـت قلـت شيئاً يخالف الإجماع رجعت عنه، وتبرأت من كل دين يخالف دين الإسلام، اللّهم إني أؤمن بماتعلـم أنه الحق عندك ، وأبرأ إليك مماتعلـم أنه الباطل عنـدك، فخـذ مـني جمـلاً ولاتطالبـني بالتفصيل.

أستغفر اللّه العظيم وأتوب إليه (ثلاث مرات) .

ندمت من كل شر .

أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لاشريك لـه وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله، وأن عيسى عبداللّه ورسوله وابن أمته، وكلـمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن كل ماأخبر به رسول اللّه صلى اللّه عليـه وآلـه وسلـم حـق، وأن خير الدنيـا والآخـرة في تقـوى اللّـه وطاعتـه وأن شـر الدنيـا والآخـرة في معصيـة اللّـه ومخالفته، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن اللّه يبعث من في القبور، أشـهد أن لا إلـه إلا اللّه وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

لا إله إلا اللّه أفني بها عمري .

لا إله إلا اللّه أدخل بها قبري .

لا إله إلا اللّه أخلو بها وحدي .

لا إله إلا اللّه ألقى بها ربي .

لا إله إلا اللّه قبل كل شيء .

لا إله إلا اللّه بعد كل شيء .

لا إله إلا اللّه يبقى ربنا ويفنى كل شيء .

لا إله إلا اللّه نستغفر اللّه .

لا إله إلا اللّه نستغفر اللّه .

لا إله إلا اللّه نستغفر اللّه .

لا إله إلا اللّه نتوب إلى اللّه .

لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً عدد مافي علم اللّه وزنة مافي علم اللّه وملء مافي علم اللّه وعدد ما أحاط به علم اللّه وماوسعه علم اللّه وعدد كل معلوم للّه وعدد كل موجود مضروباً كل ذلك في جميع مجموع أفراد ذرات الوجود الخلقي، يااللّه يااللّه يااللّه، وفي كل لمحة ونفس أبداً بلسان كل عارف مثل ذلك كله مئتي ألف ألف ألف مليون مرة في كل ذرة من ذرات الوجود الخلقي عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

وبعد فإنا والحمد للّه، قد رضينا باللّه رباً وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم نبياً ورسولا، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخوانا، وتبرأنا من كل دين يخالف دين الإسلام، وآمنا بكل كتاب أنزله اللّه وبكل رسول أرسله اللّه، وبملائكة اللّه، وبالقدر خيره وشره، وباليوم الآخر، وبكل ماجاء به محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم عن اللّه، على ذلك نحيا وعليه نموت وعليه نبعث إن شاء اللّه من الآمنين الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون بفضلك اللّهم يارب العالمين .

أستغفر اللّه إنه كان غفارا، لي ولوالـدي وللـمسلـمين إلى يـوم الديـن، مـن جميـع الذنوب بيننا وبين اللّه، وبيننا وبين عباد اللّه، ومن جميع ما يعلـمه اللّه مئة ألف مليـون مرة، ملء الميزان ومنتهى العلـم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنـة العـرش في كـل لحظـة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلـماته .

أستغفر اللّه لـمايعلـمه اللّه، أستغفر اللّه كمايحبه اللّه، لي ولوالدي وللـمسلـمين إلى يوم الدين، من جميع الذنوب بيننا وبين اللّه وبيننا وبين عباد اللّه، مائة ألف مليون مـرة ملء الميزان ومنتهى العلـم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنـة العـرش في كـل لحظـة أبـداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلـماته .

أستغفر اللّه لذنبي، سبحان اللّه وبحمـد ربـي مائـة ألـف مليـون مـرة، مـلء الميزان ومنتهى العلـم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلـماته .

أستغفر اللّه العظيم لي ولوالدي، ولـمن ظلـمته من المؤمنـين والـمؤمنات، الأحيـاء منهم والأموات، مائة ألف مليون مرة، ملء الميزان ومنتهى العلـم وعـدد النعـم ومبلـغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقـه ورضـى نفسـه وزنـة عرشه ومداد كلـماته.

أستغفر اللّه العظيم لي ولوالدي وللـمسلـمين إلى يـوم الديـن، ولـمن ظلـمناه مـن المؤمنين والـمؤمنات الأحيـاء منهـم والأمـوات، مائـة ألـف مليـون مـرة، مـلء الميزان ومنتهى العلـم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلـماته .

أستغفر اللّه العظيـم، الـذي لاإلـه إلا هـو الحـي القيـوم وأتـوب إليـه، لي ولوالـدي وللـمسلـمين إلى يوم الدين من جميع الذنوب بيننا وبين اللّه وبيننا وبين عبـاد اللّـه مـن

جميع مايعلمه اللّه، مئة ألف مليون مرة، ملء الميزانِ ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

رب اغفر لي وارحمني وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم، واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات إلى يوم الدين، مئة ألف مليون مرة، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

اللّهم أنت ربي، لاإله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ماستطعت، أعوذ بك من شر ماصنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت، مئة ألف مليون مرة، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

أستغفر اللّه ذا الجلال والإكرام، من جميع الذنوب والآثام لي ولوالدي وللمسلمين إلى يوم الدين، مئة ألف مليون مرة، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

أستغفر اللّه العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه توبة عبد ظالم، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا، ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا ، مئة ألف مليون مرة، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

سبحانك اللّهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وأسألك أن تصلي وتسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله أفضل وأتم ما صليت وسلمت على أحد من عبادك المصطفين، مئة ألف مليون مرة، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

اللّهم اغفر لنا ولأحبابنا أبداً وللمسلمين السابقين والموجودين والآتين إلى يوم الدين، جميع الذنوب بيننا وبينك وبيننا وبين خلقك، وتحمل عنا وعنهم التبعات، وبدل سيئاتنا وسيئاتهم حسنات، مضاعفات، واجعل عاداتنا عبادات تامات موصلات، وحول أحوالنا وأحوالهم إلى أحسن الحالات، واجعل قبورنا أجمعين روضات الجنات، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

فقل معي نستغفر اللّه من جميع السيئات
تبنا إلى اللّه من الذنوب ومن العيوب والتبعات
تبنا إلى اللّه من الكلام والحركات والسكنات
نستغفر اللّه العظيم عدد جميع الخطرات
في كل خطره عدد الأشياء مع المضاعفات
لنا وللأحباب وأهل الدين ماضيهم وآت
لماعلمنا أوجهلنا ولجميع الغفلات

ولحـرام أونـدب أومبـاح ومكـروه وواجبـات

ولكـل مايعلـمه اللّـه ماضيـات أو مقبـلات

نسـتغفر اللّـه العظيـم للـمؤمنين والـمؤمنات

يـا اللّـه بهـا ياللّـه بهـا ياللّـه بحسـن الخاتـمات

ياحـافظ احفظنـا وثبتنـا مـع أهـل الثبـات

واغفـر لنـا ماتعلـمه وهـب لنـا كـل الهبـات

ياللّـه بـدل ذنوبنـا حسـنات حتـى التبعـات

ياللّـه سمعنـا وأطعنـا فاهدنـا للصالحـات

وآتنـا ياربنـا في ذه والأخـرى حسـنات

وأعطنـا حسـن اليقـين مـع كمـال العافيـات

دائـم وأصلـح مافسـد وارفـع لكـل المؤذيـات

منـك الهدايـة والعنايـة والنعـائم سـابغات

وماتشـاءه كـان فـانظر بـالعيون الراحمـات

وامنـن إلهـي بـالقبول لاعمالنـا والدعـوات

ندخـل مـع طـه وآلـه في الصفـوف الأولات

ندخـل مـع طـه وآلـه في الصفـوف الأولات

ندخـل مـع طـه وآلـه في الصفـوف الأولات

معهـم وفيهـم دائمـاً في الـدار ذه والآخـرات

واغفـر لناظمهـا وللقـارين هـم والقاريـات

ومـن سمعهـا أو نشـرها وكـاتبين وكاتبـات

وارحـم ووفـق أمة أحمـد واهـد واصلـح للنيـات

عليـه صلـى اللّـه وسلـم عـد ذر الكائنـات

وآلـه وكـل الأنبيـاء والصـالحين والصالحـات

في كـل لحظـة أبـداً علـى عـداد اللحظـات
والحمدللّـه كمـا يحـب عـدّ النعمـات

عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، سبحان ربك رب العزة عمايصفون وسلامٌ على المرسلين والحمدللّه رب العالمين .

اللّهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وخطرة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو كائن في علمك أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله:

أشهد أن لاإله إلا اللّه ولاحول ولاقوة إلا باللّه مائة ألف مليون مرة، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

فهي عهدي الذي اتخذته عند الرحمن أسألك يااللّه يااللّه يااللّه أن تحفظها لي عندك، وتحفظ إيماني وإسلامي، وكل ما أنعمت به عليَّ من النعم الظاهرة والباطنة، الحسية والمعنوية، القالبية والقلبية، الروحية والسرية، الدينية والدنيوية، والبرزخية والأخروية، ما علمت منها وما لم أعلم، كما حفظت الإيمان في قلوب أهل الإيمان، ياحافظ الودائع حتى أجني ثمراتها، وأكون من خواص أهل الشفاعة، أنا وأحبابي أبداً في كل حين أبداً، كما تحب لأحبابك وترضى مع كمال عافية الدارين، آمين آمين ، وافعل كذلك بأحبابي أبداً .

اللّهم أول ما بدأ به من أمري في حياتي وعند موتي وفي قبري ونشري وحشري، مغفرة ذنبي وتحمُّل تبعاتي وقضاء ديني وصلاح جسمي وقلبي، وحفظي وأحبابي أبداً، من كل سوء في الدارين، ومن الشياطين والحاسدين، ومن شر كل ذي شر، ياأرحم الراحمين، واجعلنا أجمعين في كل حين قرة عين لسيد المرسلين وآله صلى اللّه عليه وآله

وسلم إلى يوم الدين، واجعلنا ناصرين شريعته، وناشرين دعوته، وعاملين بسنته، لانخرج عن كمال متابعته طرفة عين ولا أقل من ذلك، واقض عنا كل دين، وأزل عنا كل رين، وأغننا دائماً أبداً بطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والبرزخ والآخرة، وأَنْسِ جوارحَنا وسائرَ الحفظة سيئاتِ أعمالنا، وكن ولينا وحسيبنا ووكيلنا أبداً سرمدا .

اللّهم كن بنا حفيا، وعاملنا بفضلك ولطفك وعفوك وعطفك، واحرسنا من كل سوء أبداً، وبدل سيئاتنا وتبعاتنا بأكمل الحسنات المضاعفات، لكل ذرة من كل سيئة وتبعة من الحسنات عدد ذرات الموجودات، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد مافي علم اللّه وزنة ما في علم اللّه وملء مافي علم اللّه، وعدد ماأحاط به علم اللّه وماوسعه علم اللّه وعدد كل معلوم للّه وعدد كل موجود مضروباً كل ذلك في جميع مجموع أفراد ذرات الوجود الخلقي، يااللّه يااللّه يااللّه، عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم، في كل لمحة ونفس أبداً عدد ماوسعه علم اللّه مئتي ألف ألف ألف مليون مرة، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

لا إله إلا اللّه العظيم الحليم، لاإله إلا اللّه رب العرش العظيم، لاإله إلا اللّه رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم، في كل لمحة ونفس أبداً، بلسان كل عارف مئتي ألف ألف ألف مليون مرة عدد مافي علم اللّه وزنة مافي علم اللّه وملء مافي علم اللّه وعدد ما أحاط به علم اللّه وماوسعه علم اللّه وعدد كل معلوم للّه

وعدد كل موجود مضروباً كل ذلك في جميع مجموع أفراد ذرات الوجود الخلقي، ياالله ياالله ياالله في كل ذرة من ذرات الوجود الخلقي، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

لا إله إلا الله الله أكبر، لاإله إلا الله وحده لاشريك له، لاإله إلا الله له الملك وله الحمد، لا إله إلا الله ولاحول ولاقوة إلا بالله مئتي ألف ألف ألف مليون مرة ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

لا إله إلا الله الملك الحق المبين،محمد رسول الله الصادق الأمين، صل اللهم وسلم في كل لحظة أبداً عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وآلهم وصحبهم والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، بجميع الصلوات والتسليمات السماوية والأرضية، الحقية والخلقية، بلسان كل عارف مثل ذلك كله في كل ذرة من ذرات الوجود الخلقي ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله، عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

وهب لنا في كل لحظة أبداً على عداد اللحظات ماوهبته في كل حين أبداً لسائر خواص الخواص من المحبوبين أهل العنايات، من الأعمال والعلوم والأسرار والأنوار والأحوال والمقامات والدرجات العلى، والبركة في الأقوات والأوقات، ومن الحسنات وسائر الخيرات، مع كمال العافية التامة في الدارين وأهلنا دائماً للاجتماع بصفوة خلقك مع رضاك التام، ورضاهم عنا في كل مقام كريم، وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر، واكتب لنا في كل لحظة أبداً مثل ثواب سائر الأعمال الصالحات المقبولات من أهل الأرض والسموات وانفعنا بذلك وسائر المؤمنين في الحياة وعند

الممات وبعد الممات، وهب لنا ماهو خير من ذلك، وما أنت له أهل، وأجب في كل حين أبداً دعواتنا، وحقق في كل حين آمالنا، ولاتكلنا إلى أنفسنا ولا إلى غيرك طرفة عين ولا أقل من ذلك وحبب صالحي عبادك إلينا، وحببنا إلى سائر مخلوقاتك، وارزقنا أكمل الصحة، والقوة الظاهرة والباطنة ومارزقته الأولين والآخرين، من كل خير ظاهر وباطن عاجل وآجل ديني ودنيوي قالبي وقلبي روحي وسري، مع أكمل التقوى وكمال الإيمان والإسلام والاستقامة وكمال العافية والهدى والتقى والغنى واليقين والرضا والتوفيق وكمال الإخلاص، والتحلي بسائر المنجيات، والتخلي من سائر المهلكات، ومع كمال حفظ القرآن والعلوم النافعة، وكمال النفع بها والانتفاع وكمال الأرزاق الحسية والمعنوية، القالبية والقلبية، والروحية والسرية، الدينية والدنيوية، والبرزخية والأخروية، الواسعة التي لاحساب فيها ولا أتعاب ولا تبعة ولا عتاب الهنيَّة المريئة،المصروفة كل ذرة منها في أكمل الطاعات،المشتمل كل جزء منها على أفضل البركات والنفحات، الحسيات والمعنويات، التي أودعها اللّه في سائر أجزاء المخلوقات، أو منَّ بها أو يمنُّ على أحد من أحبابه في سائر الأوقات ومع كمال طول الأعمار والصحة والتقوى وكمال التوفيق .

اللّهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، اللّهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لنا وترحمنا وتتوب علينا، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، ونسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك، اللّهم اجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا ومن أهلينا ومن الماء البارد، اللّهم إنا نسألك لنا ولوالدينا ولذرياتنا ولأحبابنا ومحبينا أبداً وللمسلمين إلى يوم الدين في هذه الساعة وفي كل حين أبداً في كل ذرة من ذرات الوجود الخلقي من خير ماسألك أويسألك منه عبدك ونبيك محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم وعبادك الصالحون، ونعوذ بك مما استعاذك أو يستعيذك منه عبدك ونبيك محمد صلى اللّه عليه

وآله وسلم وعبادك الصالحون وأنت المستعان وعليك البلاغ ولاحول ولاقوة إلا بالله، اللّهم هب لنا ولهم كل خير عاجل وآجل ظاهر وباطن ، أحاط به علمك في الدين الدنيا والآخرة، واصرف وارفع عنا وعنهم كل سوء عاجل وآجل ظاهر وباطن أحاط به علمك في الدين والدنيا والآخرة، يامالك الدين والدنياوالآخرة، وصل اللّهم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وارزقنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطناً في عافية وسلامة برحمتك ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك، عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

اللّهم احفظني في نفسي وأولادي وذرياتنا وأحبابنا إلى يوم الدين، وما معنا ومن معنا وأموالنا ومابنسب إلينا، احفظنا من كل سوء في الدارين آمين، وعجل بهلاك أعدائنا وأعدائك وحل بينهم وبينما أرادوا، ودمرهم تدميرا، ومزقهم كل ممزق، وأرنا في العدو ثارنا، ولاتسلط علينا أحداً واحفظنا من الشرور والأشرار، اللّهم من أرادنا بسوء فاصرفه عنا وادحر عنا مكره، وادرأ عنا شره، ورد كيده في نحره واجعل بين يديه سدا حتى تعمي عنا بصره، وتصم عن ذكرنا سمعه، وتقفل دون أخطارنا قلبه، وتخرس عنا لسانه، وتقمع رأسه، وتذل عزه، وتكسر جبروته، وتذل رقبته، وتفسخ كبره وتؤمننا من جميع ضره وشره وغمزه ولمزه وحسده وعدوانه، وحبائله ومصائده، ورجله وخيله، إنك عزيز قدير.

يارينا يارينا ياربنا ياربنا
ياربنا أنت لنا كهفٌ وغوثٌ ومعين

ياالله

عجل برفع منازل أنت رحيمٌ لم تزل
سبحان من عزوجل ولاطفٌ بالعالمين

ياالله

رب اكفنا شر العدا　　وخذهم وبددا
واجعلهم لنا فدا　　وعبرة للناظرين

ياالله

يارب شتت شملهم　　يارب فرق جمعهم
يارب قلل عدهم　　واجعلهم في الغابرين

ياالله

ولا تبلغهم مراد　　ونارهم تصبح رماد
بكهيعص　　في الحال ولوا خائبين

ياالله

وشر كل ماكر　　وخائن وغادر
وعائن وساحر　　وشر كل المؤذين

ياالله

من معتد وغاصب　　ومفتر وكاذب
وفاجر وعائب　　وحاسد والشامتين

ياالله

ياربنا ياربنا　　ياذا البها وذا السنا
وذا العطا وذا الغنى　　أنت مجيب السائلين

ياالله

يسر لنا أمورنا　　واشرح لنا صدورنا
واستر لنا عيوبنا　　فأنت بالستر قمين

ياالله

واغفر لنا ذنوبنا　　وكل ذنب عندنا

وامنــــن بتوبـــة لنـــا　　أنـت حبيـب التـائبين

ياالله

بجاه سيدنا الرســول　　والحســنين والبتــول

والمرتضى أبي الفحول　　وجـاه جـبريل الأمــين

ياالله

ثــم الصـلاة والســلام　　على النبي خير الأنـام

وآلــه الغــر الكــرام　　وصحبــه والتــابعين

ياالله

ملء الميزان ومنتهى العلـم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبـداً مئة ألف مليون مرة عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلـماته .

اللّهم وماأعطيته أحدا من الأولين والآخرين مـن خـيرات الداريـن في الدنيـا وعنـد الموت وفي البرزخ وفي النشور، وفي الآخرة، فأعطناه وكـل أحـد مـن أحبابنـا في كـل حين أبداً سرمدا مع السلامة من كل سـوء في الداريـن وزدنـا في كـل حـين أبـداً مـن فضلك ما أنت أهله، وأهلنا له، وارزقنا كمال عافية الدارين، واجعل أرواحنا وأحبابنا مطلقة، تأوي إلى قناديل العرش المضيئة وتطـوف عوالـم اللّـه، ونتعـاهد أحبابنـا أينمـا كانوا، مع خير فريق وأحسن رفيق، و﴿آتنا في الدنيا حسـنة وفي الآخـرة حسـنة وقنـا عذاب النار﴾، واجمعنا بصفوة العبيد مع سيد الأولين والآخريـن، وأنـت راض عنـا في كل مقام كريم وفي كل حين في الحياة وعند الممات وبعد الممات، وفي مقعـد الصـدق عند مليك مقتدر، واحرسنا وذرياتنا وأحبابنا إلى يوم الدين من كل سـوء في الداريـن، وارزقنا في حياتنا وعنـد مماتنـا، وفي قبورنـا ونشـورنا وسـائر أطوارنـا مارزقتـه صفـوة العبيد، واجعل آخر كلامنا من الدنيا لاإله إلا اللّه محمـد رسـول اللّـه صلـى اللّـه عليـه

وعلى آله وسلم في كل لمحة ونفس عدد ماوسعه علم اللّه، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش مع التحقق بحقائقها.

واحفظنا في أنفسنا وأهلينا وأحبابنا واجمعنا بهم أبداً، واجعلنا وإياهم في حماك وحمى أنبيائك وأصفيائك من كل مكروه في الدارين وتحمل عنا وعنهم جميع الظلامات، وارض عنا أهليها وكن خليفتنا في الدنيا والآخرة على أهلينا وأحبابنا وذرياتنا إلى يوم الدين، تدخلنا معهم أبداً في كنفك وحفظك ولطفك وسترك الجميل وعافيتك وعنايتك وسلامتك من شر الأشرار وكيد الفجار وطوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير، ومن شر الحاسدين والماكرين والمؤذين والمعتدين والإنس والجن أجمعين، وكل دابة أنت آخذ بناصيتها يارب العالمين ومن كل سوء في الدارين، حتى لاتصدر منا كلمة ولاحركة ولاسكون إلا في أكمل الطاعات وارزقنا علوم الأولين والآخرين النافعة، مع الأعمال الصالحة وثمراتها والأحوال والمقامات، واجعلنا مابقينا أخداماً للشريعة حامليها حافظيها عاملين بها مبلغيها إلى كل بقعة في مشارق الأرض ومغاربها، مع كمال الإخلاص والصدق والاستقامة والعبودية المحضة، والاستغناء عن الناس وكمال النصر والتأييد والتسديد والحفظ والنفع والانتفاع، وكمال العفو والعافية التامة الدائمة، وما أنت أعلم به ياكريم، اللّهم إنا نعوذ بك من وحشة القبر وشتات الأمر وضيق الدنيا وضيق البرزخ وضيق الآخرة، فأعذنا من ذلك ومن كل سوء في الدارين واجعلنا في الدارين من كمل الخواص أهل الروح والريحان والفرح والبهجة والرضوان خواص خواص السابقين المقربين المؤمنين المتقين المستقيمين المحدَّثين المشاهدين ﴿الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا﴾ المبشرين دائماً من ربهم على لسان ملائكته الكرام بأن لاتخافوا مما هو أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم، وأبشروا بالجنة والفردوس الأعلى، نحن أولياؤكم في الدارين وخلفاؤكم في أهليكم وأحبابكم ورفقاؤكم في جميع أطواركم .

اللّهم اجعل نفوسنا مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك، وتسمع النداء بالبشرى الأبدية ﴿يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ وهون وخفف عنا سكرات الموت وماقبله ومابعده حتى لانحس له ألماً بل لذة وبشرى وروحاً وريحاناً وارزقنا كمال الشوق إلى لقائك في عافية .

اللّهم اعمر منازلنا ومآثرنا ومنازل ذرياتنا وأحبابنا أبداً إلى يوم الدين، بالمتقين والعلماء العاملين، والأعمال الصالحة لاينزل فيها إلا السعداء، نَجْني ثمراتها في كل لحظة أبداً، واجعلها من الصدقات الجارية النافعة الدافعة الرافعة في كل ذرة منها مافي بيوت الرحمة والهداية محفوظة من الشيطان وجنوده وأوليائه ومن كل سوء في الدارين محروسة بعينك التي لا تنام، وكنفك الذي لايرام من المعاصي والعاصين والمؤذين والمعتدين والمبتدعين والباغضين ومن كل سوء أبداً، معمورة أبداً سرمداً بالتقوى والمتقين مغمورة في كل لحظة أبداً بالرحمات والبركات والسكينات والنفحات التي منَّ اللّه بها على الصالحين وأماكنهم ومساكنهم ومعابدهم، اللّهم كن صاحباً لي في سفري في حياتي وعند مماتي وبعد مماتي أبداً سرمداً، وكن لي في كل حالاتي وأطواري وكن حسبي في الأحوال كلها فلا أرى ولا أسمع مكروهاً ولاوحشة ولاسوءاً ولاحساباً ولاعتاباً بل في نعيم مقيم وروح وريحان وجنات ورضوان أبدي وحسنى وزيادة ومرافقة النبيين والمرسلين والشهداء والصالحين وفي أعلى المنازل في مقعد صدق عند مليك مقتدر، مع سيد المرسلين صلى اللّه وسلم عليه وعلى آله في كل حين أبد الآبدين عدد نعم اللّه وإفضاله ومع سلفنا العلويين وأحبابنا أبداً والشهداء والصديقين وحسُن أولئك رفيقا، وافعل كذلك بأحبابي أبداً .

اللّهم احفظنا وسائر المسافرين والـمقيمين من أمة سيدنا محمد صلى اللّه عليه وآلـه وسلـم في البر والبحر والجو، من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في النفس والأهل والـمال والولد، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير، يارحمن .

اللّهم ارزقني وأحبابي أبداً الحياة الأبدية السرمدية، وكن خليفتي في أهلي وأولادي وذرياتنا أبداً وأحبابنا والـمحسنين إلينا، واحفظنا وإياهم من كل مايوجب عقابك ويحرم ثوابك واحرسنا من كل سوء في الدنيا والبرزخ والآخرة، فلاترانا حيث نهيتنا ولاتفقدنا حيث أمرتنا، وزودنا من هذه الحياة في كل لحظة أبداً، بمازودت به خواص المحبوبين فلا تلحقنا حسرة، ولاندامة بل نكون من أهل الفوز العظيم والفضل العظيم والعز والكرامة، واجعلنا مابقينا خدمة لشريعتك في كل أوقاتنا حافظيها عاملين بها ذابين عنها ناشريها مبلغيها إلى كل بقعة من مشارق الأرض ومغاربها، نافعين بها سائر المسلمين إلى يوم الدين مع كمال الإخلاص والصدق والزهد والنصر والتمكين والتسديد والتأييد ومع كمال الفتوح والـمنوح وصلاح الجسم والقلب والروح والتوبة النصوح، وأجب مادعوناك ومانعدوك أبداً سرمدا وزدنا من فضلك في كل حين أبداً ما أنت أهله وما أنت أعلم به وأكرمنا في كل حين أبداً بما أكرمت به أولياءك العارفين من الأسرار والأنوار والأحوال والـمقامات والـمكاشفات والـمشاهدات مع خيرات الدارين وعافيتهما والسلامة من كل سوء فيهما بجاه نبيك محمد صلى اللّه عليه وآله وسلـم وسائر الأنبياء والصالحين إلى يوم الدين .

اللّهم حبب إلينا لقاءك مع كمال الشوق في عافية، اللّهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والبرزخ والآخرة، اللّهم وخفف عنا سكرات الموت وتحمل عنا أتعابه وماقبله ومابعده وتول قبض أرواحنا أنت، واجعلنا من أحب أحبابك إليك، وحببنا إليك، وإلى حبيبك وأنبيائك وأوليائك، وسائر مخلوقاتك، والطف بنا أجمعين بلطفك

الخفي الخفي، الذي إذا لطفت به أحداً كفي وهدي وعوفي ووقي، اللّهــم انظـر إلينا في كل حين أبداً وإلى ذرياتنا وأحبابنا أبداً سرمدا بعين الرحمة:

نظـرة تزيـل العنـــا عنـا وتدنـي المنـــى
منـــا وكـــل الهنـــا نعطاه في كل حين

وانظـــر إلينـــا نظـــرة ســـريعة تشـــفي بهـــا قلوبنـــا الوجيعـــة
تزيـــل عنـــا الظلـــمة الشـــنيعة نرقـــى بهـــا المراتـــب الرفيعـــة
يحصـــل لنـــا بهـــا المنـــى آمينـــا

اللّهم اجعل خير أيامنـا وأسعدها وأفضلها يـوم لقـائك، وزودنـا مـن هـذه الـدار بمازودت به سائر أحبابك مع كمال عافية الداريـن وسعادتهما، اللّهـم إن الوصـي إذا كان قوياً أميناً قد يفوِّض إليه الموصي جميع الأمور يعمل الأصلح فيمـا أوصـاه، وأنـت ياالله القوي القادر المتين، العالـم بالـمصالح وقـد اتخذنـاك وكيـلا ووصيـا علينـا أبـداً، وعلى ذرياتنا وأحبابنا أبداً في الدنيا والـبرزخ والآخـرة، فـألحق بهـذه الوصيـة في كـل لحظة أبداً ماتراه أصلح لنـا ولهـم وأنفـع، وكـن لنـا ولأحبابنـا وللـمسلـمين في جميـع أطوارنا حافظاً وحارساً ومعيناً ووكيلاً ووصياً وراعيا، وتولنـا وذرياتنـا وأحبابنـا أبـداً فيمن توليت واهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شـر ماقضيت، فقد فوضنا إليك مقاليد أمورنا، ورجوناك لفقرنـا وفاقتنـا، فقـدم مـا شـئت وأخر ما شئت، مما علـمته أنفع وأرفع لنا ولذرياتنا وأحبابنا إلى يوم الدين، مـع كمـال العفو والعافية والستر الجميل في الدارين، فأنت المقدم وأنت المؤخر، ﴿لا إلـه إلا أنـت سبحانك إني كنت من الظالـمين﴾، رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين .

بسم اللّه الرحمن الرحيم. اللّهم يا عظيم السلطان، يا قديم الإحسان، يا دائم النِّعم، يا كثير الجود، يا واسع العطاء، يا خفيَّ اللُّطف، يا جميل الصنع، يا حليماً لا يَعْجَل.. صلِّ يا ربِّ على سيدنا محمد وآله وسلم وارضَ عن الصحابة أجمعين، اللّهمّ لك الحمد شُكرا، ولك المنُّ فضلا، وأنت ربُّنا حقّا، ونحنُ عَبيدُكَ رِقا، وأنتَ لم تزل لذلك أهلا؛ يا مُيَسِّرَ كلّ عسير، ويا جابرَ كلّ كسير، ويا صاحبَ كلّ فريد، ويا مُغنيَ كل فقير، ويا مُقوّيَ كلّ ضعيف، ويا مأمنَ كلّ مَخيف.. يسِّر علينا كلّ عسير، فتيسير العسير عليكَ يسير..

اللّهمّ يامن لايحتاجُ إلى البيان والتفسير.. حاجاتنا كثير، وأنتَ عالم بها وخبير. اللّهمّ إني أخافُ منكَ، وأخافُ ممن يخافُ منكَ، وأخافُ ممن لايخافُ منكَ. اللّهمّ بحقِّ من يخافُ منكَ.. نجِّنا ممن لايخافُ منكَ. اللّهمّ بحقِّ محمدٍ احرسنا بعينك التي لاتنام، واكنُفنا بكَنَفكَ الذي لا يُرام، وارحمنا بقُدرَتكَ علينا فلا نهلِكَ وأنتَ ثقتُنا ورجاؤنا.. وصلّى اللّه على سيدنا محمد وآلِهِ وصحبه وسلم، والحمد للّه رب العالمين، عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته .

اللّهم إنا نسألكَ زيادةً في الدين، وبركةً في العمر، وصحةً في الجسد، وسِعَةً في الرزق، وتوبةً قبل الموت، وشهادةً عند الموت، ومغفرَةً بعد الموت، وعفواً عندَ الحساب، وأماناً من العذاب، ونصيباً من الجنة، وارزقنا النظر إلى وجهك الكريم .. وصلّى اللّه على سيدنا محمدٍ وآلِهِ وصحبه وسلم، ﴿ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسلامٌ عَلَى المرْسَلينَ. والحَمْدُ للّه رَبِّ العالمين ﴾، عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

رب إني مغلوب فانتصر، واجبر قلبي المنكسر، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل، لديننا وحسبنا اللّه لدنيانا، وحسبنا اللّه لأخرانا، وحسبنا اللّه لما أهمنا، وحسبنا اللّه لمن

بغى علينا، وحسبنا اللّه لـمن حسدنا، وحسبنا اللّه لــمن كادنـا بسـوء، وحسـبنا اللّـه عند الموت، وحسبنا اللّه عند المسألة في القبر، وحسبنا اللّه عند الحساب، وحسبنا اللّـه عند الميزان، وحسبنا اللّه عند الصراط، وحسبنا اللّه لا إلـه إلا هـو عليـه توكلنـا وهـو رب العرش العظيم، ملء الميزان ومنتهى العلـم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنـة العـرش في كل لحظة أبداً عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلـماته.

أعددنا لكل هول نلقاه في الدنيا والآخرة لاإله إلا اللّه، ولكل هم وغم ماشاء اللّـه، ولكل نعمة الحمد للّه، ولكل رخاء وشدة الشكر للّـه، ولكـل أعجوبـة سـبحان اللّـه، ولكل ذنب أستغفر اللّه، ولكل مصيبة إنا للّه وإنا إليه راجعــون، ولكـل ضيـق حسـبنا اللّه، ولكل قضاء وقدر توكلنا على اللّه، ولكل طاعة ومعصية لاحول ولاقوة إلا باللّـه العلي العظيم، ولكل حركة وسكون بسم اللّه، ملء الميزان ومنتهى العلـم وعدد النعـم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبـداً عـدد خلقـه ورضـاء نفسـه وزنـة عرشـه ومداد كلـماته.

وصل اللّهم على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلــم في كل حين أبداً، ملء الميزان ومنتهى العلـم وعدد النعم ومبلـغ الرضـى وزنـة العـرش مئتي ألف ألف مليون مرة في كل ذرة من ذرات الوجود الخلقي عدد مــافي علــم اللّه وزنة مافي علـم اللّه وملء مافي علـم اللّه وعــدد ماأحـاط بـه علــم اللّـه وماوسـعه علـم اللّه وعدد كل معلوم للّه وعدد كل موجود مضروباً كل ذلـك في جميـع مجمـوع أفراد ذرات الوجود الخلقي يااللّه يااللّه وفي كل لـمحة ونفـس أبـداً بلسـان كـل عارف مثل ذلك كله عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلـماتك .

وصل اللّهم وسلـم وبارك في كل لحظة أبداً على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وعلى سائر الأنبياء والـمرسلين والـملائكة والـمقربين، وعلى جميـع الأبـاء والأمهـات

والأجداد والجدات والأعمام والعمات والأخوال والخالات والإخوان والأخوات والبنين والبنات والزوجات والقرابات والمشايخ وأهل المودات وذوي الحقوق علينا والتبعات، وعلى أبينا آدم وأمنا حواء ومن ولدا من المؤمنين إلى يوم الدين وعلى سائر المؤمنين ماعلمنا منهم وما لم نعلم وعلينا معهم وفيهم برحمتك ياأرحم الراحمين، بجميع الصلوات كلها ما علمت منها وما لم أعلم، في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله كل صلاة تهب لي بها وتهب بها لكل مسلم خيرات الدنيا والآخرة وتعيذني وتعيذ بها كل مسلم من كل مكروه في الدنيا والآخرة، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك.

وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى سائر الصالحين إلى يوم الدين في كل لمحة ونفس بلسان كل عارف في كل ذرة من ذرات الوجود الخلقي مثل ذلك كله، عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك، كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعليهم أجمعين في كل عشر معشار نفس ولمحة ولحظة وخطرة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو كائن في علمك أوقد كان مثل ذلك كله مئتي ألف ألف ألف مليون مرة، ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك.

ونستغفرك اللّهم لنا ولهم بجميع الاستغفارات من جميع الذنوب بيننا وبين اللّه وبيننا وبين عباد اللّه ومن جميع مايعلمه اللّه ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله عدد مافي علم اللّه وزنة مافي

علم اللّه وملء مافي علم اللّه وعدد مأحاط به علم اللّه وماوسعه علم اللّه، وعدد كل معلوم للّه وعدد كل موجود مضروباً كل ذلك في جميع مجموع أفراد ذرات الوجود الخلقي يااللّه يااللّه يااللّه وفي كل لمحة ونفس أبداً بلسان كل عارف مثل ذلك كله مئتي ألف ألف ألف مليون مرة في كل ذرة من ذرات الوجود الخلقي يااللّه يااللّه يااللّه، عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون .

اللّهم اغفر لنا كل ذنب بيننا وبينك وبيننا وبين عبادك وتحمل عنا جميع التبعات وأرض أهلها، وبدل الجميع حسنات مضاعفات لائقة بالكرم الإلهي والنفحات، أشهد أن لاإله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه ولاحول ولاقوة إلا باللّه العلي العظيم ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كله يااللّه يااللّه يااللّه ، عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك، هذه الشهادة ومابعدها هو العهد الذي قال اللّه سبحانه فيه ﴿لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ .

اللّهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، واكفنا كل هول دون الجنة، ونجنا من شدائد القيامة، وأهوال يوم الطامة، حتى يمر علينا بقدر الصلاة المكتوبة، ونحن مع سيد المرسلين وتحت رعايته وعنايته، صلى اللّه وسلم عليه وعلى آله في كل حين أبداً عدد نعم اللّه وإفضاله ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش

يا أمان الخائفين آمنا مما نخاف

يا أمان الخائفين سلمنا مما نخاف

يا أمان الخائفين نجنا مما نخاف

بسم اللّه الرحمن الرحيم، اللّهم يادائم الفضل على البرية، ياباسط اليدين بالعطية، ياصاحب المواهب السنية، صل وسلم في كل لحظة أبداً على خير الورى سجية، سيدنا محمد والآل والذرية، وصحبه والأمة المحمدية، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ذوي المقامات السنية، وعلى الملائكة والمقربين أهل المراتب العلية، وعلى جميع عباد اللّه الصالحين أبداً صلاة أبدية، عدد وزنة وملء ماعلم اللّه رب البرية، عدد كل ذرة من ذرات الموجودات العلوية والسفلية، وعدد كل ذرة من كل نعمة على كل مخلوق ظاهرة أو خفية، صلى اللّه وسلم على سيدنا محمد وعليهم أجمعين في كل لحظة أبداً بجميع الصلوات والتسليمات السماوية والأرضية، مثل ذلك كله بلسان كل عارف من البرية، عدد مافي علم اللّه وزنة مافي علم اللّه وملء مافي علم اللّه، وعدد مأحاط به علم اللّه، وماوسعه علم اللّه، وعدد كل معلوم للّه، وعدد كل موجود مضروباً كل ذلك في جميع مجموع أفراد ذرات الوجود الحسية والمعنوية، ولك الحمد يااللّه على ذلك ومثل ذلك وكما يليق بجلال الربوبية، عدد كل لمحة لمخلوق ونفس ولحظة وخطرة قلبية، وعدد كل حركة وسكون لموجود اختيارية أو قهرية، واغفرلنا ولأحبابنا أبداً وللمسلمين ياذا العلا في هذه الساعة، وفي كل لحظة زمنية كل خطيئة، وادفع وارفع عنا وعنهم كل بلية، وفتنة ومحنة وشدة ورزية، واجعل لنا في الدارين كل حاجة مقضية، في عفو وعافية وعيشة رضية، وخلصنا وسلمنا من جميع المصائب والأسواء والأدواء الحسية والمعنوية، القالبية والقلبية، الروحية والسرية، الدينية والدنيوية، البرزخية والأخروية ، وأصلح لنا كل عمل وقلب ونية، وبلغنا كل أمنية، وهب لنا في كل حين أبداً ماوهبته في كل حين للسابقين وأهل القرب والصديقية، مع طول أعمار وتقوى وصحة ظاهرة وخفية، ومع أرزاق حلال واسعة هنيئة مريئة، تصرف في أكمل الطاعات المرضية، ومع كمال العوافي الدينية والدنيوية، والبرزخية والأخروية، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا واحمنا من كل أذية، ولاتسلط

علينا أحداً وخذ أعداءنا وأعداءك عاجلاً أخذة مبيدة قوية، وتولنا في كل حين واجعلنا من المحبوبين أهل الخصوصية، وبلغنا فوق آمالنا أبداً وزد في العطية، بجاه خير البرية، سيدنا محمد وعترته الزكية، وصحبه والأمة الخيرية، صل اللّهم وسلم وبارك وكرم مثل ذلك كله عدد كلماتك السرمدية، عليه وعليهم في كل لمحة ونَفَسٍ بكرة وعشية، عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمدللّه رب العالمين .

اللّهم ما صليتُ من صلاةٍ فعلى من صليتَ ، أو لعنتُ من لعنٍ فعلى من لعنتَ ، أنت وليّي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين، اللّهم إني أسألك الرضى بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم وشوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يجهل عليَّ أو أعتدي أو يعتدى عليَّ أو أكتسب ذنباً لا تغفره، اللّهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام، إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدا، أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وأن لقاءك حق وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأنك تبعث من في القبور، وأنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة، فإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنوبي كلها إنه لايغفر الذنوب إلا أنت وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم.

وصلى اللّه على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين في كل لحظة أبداً ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد النعم ومبلغ الرضى

وزنة العرش عدد مافي علم اللّه وزنة مافي علم اللّه وملء مافي علم اللّه وعدد ما أحاط به علم اللّه وما وسعه علم اللّه، وعدد كل معلوم للّه وعدد كل موجود مضروباً كل ذلك في جميع بجموع أفراد ذرات الوجود الخلقي يااللّه يااللّه يااللّه في كل لمحة ونفس أبداً بلسان كل عارف مثل ذلك كله مئتي ألف الف ألف مليون مرة في كل ذرة من ذرات الوجود الخلقي عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون بكل فرد من أذكارهم وكل لحظة من غفلاتهم مئة ألف مليون مرة من يوم خلقت الدنيا إلى أبد الآباد في كل عشر معشار نفس ولمحة ولحظة وخطرة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو كائن في علمك أو قد كان وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. في كل لحظة أبداً عدد نعم اللّه وأفضاله، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين في كل لحظة أبداً عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته . أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم . بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿ إن اللّه وملائكته يصلون على النّبيّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ .

اللّهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً في كل لحظة أبداً عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك، الصلاة والسلام عليك ياسيد المرسلين، الصلاة والسلام عليك يا خاتم النبيين، الصلاة والسلام عليك يا من أرسلك اللّه رحمة للعالمين، ورضي اللّه تعالى عن أصحاب رسول اللّه أجمعين، الفاتحة إن اللّه يغفر الذنوب ويستر العيوب ويتقبل من الجميع (الفاتحة) .

الفاتحة لوالدينا ووالديكم وأمواتنا وأمواتكم وأموات المسلمين أجمعين أن اللّه يتغشى الجميع بالرحمة (الفاتحة) .

الفاتحة على هذه النيات وعلى مانواه الصالحون أو ينوونه ، وما علمه اللّه من نيات صالحات ، والفرج العاجل والهلاك لأعداء الدين ، ورد كيدهم في نحورهم ، ورفع ودفع مصائب الدارين وإخماد الفتن ، ما ظهر منها وما بطن .

وبنية الحفظ والحراسة والمتعة الكاملة والشفاء العاجل ، الدائم المبارك الشامل ، لنا ولصلحاء زماننا وعلمائنا وأحبابنا وأهل السر أجمعين ، وكمال النفع والانتفاع بهم ، ويمُن علينا أجمعين بتعجيل إجابة الدعاء، أبداً وتحقيق الرجاء وصرف ورفع كل بلاء ، بسر الفاتحة وإلى حضرة النبي سيدنا محمد وآله ومن والاه، اللّهم صل وسلم عليه وعلى آله ومن والاه (الفاتحة) .

﴿ دعاء خاتمة المجالس ﴾

بسم اللّه الرحمن الرحيم . الحمد للّه رب العالمين، اللّهم صل وسلم في كل لحظة أبداً عدد معلوماتك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعباد اللّه الصالحين إلى يوم الدين، اللّهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللّهم بأسماعنا وأبصارنا وحولنا وقوتنا أبداً ما أبقيتنا ، واجعله الوارث منا، وانصرنا على من عادانا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وأرنا في العدو ثأرنا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا، ولاتسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا ولا يخافك ولا يخشاك ولا يتقيك يا رب العالمين.

اللّهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، اللّهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لنا وترحمنا وتتوب علينا ، وإذا أردت

بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، ونسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك ، واجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ومن الماء البارد.

اللّهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللّهم اغفر لنا ما أخطأنا وماتعمدنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت.

اللّهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللّهم هب لنا ولوالدينا ولذرياتنا وأحبابنا أبداً وللمسلمين في هذه الساعة وفي كل حين أبداً ما أنت أهله واقض لنا كل حاجة في الدارين وارزقنا كمال العافية من كل مرض وذنب وعيب وغفلة وحسرة وندامة ومن شرور الدارين ، واصرف عنا وعن أحبابنا أبداً كل مؤذ وأذى أبداً سرمدا.

اللّهم هب لكل منا في كل حين أبداً مثل ماوهبته لكل أحد من الأولين والآخرين من الهدى والتقى والعفاف والعفو والغنى والعلوم النافعة والأعمال الصالحة الخالصة المقبولة والقوة في طاعة اللّه الظاهرة والباطنة وصحة الجسد والقلب وخيرات الدارين واملأ قلوبنا من الإيمان الصادق والإخلاص والأسرار والأنوار مع كمال المعرفة والمحبة والرضى والصبر والصدق والعافية والتوفيق واليقين.

اللّهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وارزقنا وأحبابنا أبداً والمسلمين إلى يوم الدين من العقول أوفرها ومن الأذهان أصفاها ومن الأعمال أزكاها ومن الأخلاق أطيبها ومن الأرزاق أجزلها ومن العافية أكملها ومن العافية أكملها ومن العافية أكملها ومن الدنيا خيرها ومن الآخرة نعيمها بحق سيدنا محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم، وارحمنا واغفر لنا واسترنا والمسلمين إلى يوم الدين وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، سبحان ربك رب العزة عما

يصفون وسلام على المرسلين والحمدللّه رب العالـمين ملء الميزان ومنتهى العلـم وعدد النعم ومبلغ الرضى وزنة العرش في كل لحظة أبداً مثل ذلك كلـه عـدد خلقـه ورضـاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته .

الفاتحة على هذه النيات وعلى مانواه الصالحون أو ينوونه وماعلـمه اللّـه مـن نيـات صالحة وبأن اللّه يصلح لنا شؤوننا كلها ويغفر لنا ذنوبنـا كلهـا ويجعلنـا وأحبابنـا مـن خواص أحبابه مع الصحة الكاملة والتقوى وطول الأعمار وحسن الأعمال والأخـلاق والأرزاق الواسعة الحلال المصروفة كل ذرة منها في أكمل الطاعات والقربات الباقيات الصالحات المشتـملة كل ذرة منها على مانواه الصـالحون أوينوونـه أو علـمه اللّـه مـن النيات الصالحات ويكرمنا بكمال التوفيق واليقين وعافية الداريـن ويعجـل لنـا بإجابـة الدعاء وصرف ورفع البلاء وفتوح العارفين ويرزقنـا كمـال حسـن السـابقة وكمـال حسن الخاتـمة في عافية وسلامة وإلى حضرة النبي سيدنا محمد وآله اللّهم صـل وسلـم عليه وعلى آله (الفاتحة) .



ذكر خبر وفاته رضي الله عنه وانتقاله إلى رحمة الله

وبعد تواتر نعم اللّه الواسعة عليه وبعد بلوغه مرتبة عالية في كمال الاتباع للمصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم في قوله وفعله، وبعد كل ماشرحناه من مناقبه العظيمة وأخلاقة المنيفة، انتقلت نفسة الزكية إلى باريها، للحاق بركب الأنبياء والمرسلين والصالحين راضية مرضية إن شاء اللّه، فانتقلت روحه الكريمة شريفة عطرة مصفاة، تركت وراءها مجداً عظيماً لاينسى، وتراثاً خالداً من العلوم، ورباطاً للعلم، يعتبر مركزاً إسلامياً تشع أنواره على كثير من أرجاء العالم الإسلامي، وترك رحمه اللّه وراءه ذكراً حسناً، يدوم على مر الأيام والسنين، وعادات حسنة، وأذكار تتلى في كل حين، وأولاداً مباركين، علماء صلحاء إن شاء الله على نهجه سائرين، وكان رحمه اللّه على ظن حسن بربه وأمل ورجاء، في ماعنده فكان اللّه به رحيما، وكان آخر كلامه من الدنيا قوله الذي مازال يردده حتى لحق بربه«لا إله إلا اللّه أفني بها عمري، لا إله إلا اللّه أدخل بها قبري، لا إله إلا اللّه أخلو بها وحدي، لا إله إلا اللّه ألقى بها ربي » .

وكان قد يمَّمَه الأخ أحمد بن صالح الهدار بطلب منه لكونه لم يقدر على الوضوء، لكثرة مايعانيه من المرض، وهو أحد بني إخوانه الملازم له فأمره سيدي أن يخرج وقال له: «احضر من يساعدك فقد حضر ملك الموت» وبعد نهاية التيمم خرَّ ساجداً للّه فلم يتحرك بعدها، وكان مرافقاً له تليمذه النجيب العالم والطبيب محمد هشام الجفري[1] والذي دخل مع الأخ أحمد بن صالح والأخ عبد اللّه على سيدي، وقد

(١) هو العالم النجيب السالك الناسك محمد هشام بن عبدالرحمن الجفري، طبيب مشهور رافق الوالد فترة طويلة وأخذ عنه كثيراً من الفوائد ، وقد أحبه الوالد وأثنى عليه كثيراً ، وقد لازمه فترة مرضه حتى توفاه اللّه ، كما لازم قبله شيخه الحبيب عطاس حبشي ، والحبيب

انتقلت روحه الزكية إلى بارئها، كريمة، هادئة مهدية، في تمام الساعة العاشرة مساء الاثنين الموافق للثامن من ربيع الآخر من عام ألف وأربعمئة وثمانية عشر للّهجرة النبوية ١٤١٨/٤/٨ هـ . فطويت صحيفة هذا الإمام، وبدأت معه مسيرة الكرم الأخروي الرباني الذي طالما انتظره ودعا مولاه بقوله: «ياالله بها ياالله بها ياالله بحسن الخاتمة» .

ولقد استجاب الله دعاءه وأحسن خاتمته مع الشهادة بجانب بيت الله الحرام مكة المكرمة إن شاء الله، ودفن رحمه الله في مقبرة المعلاه بجوار الحبيب الداعي إلى الله أحمد مشهور الحداد، والحبيب العارف بالله عطاس الحبشي، والسيدان صالح بن عبدربه الجنيدي وأحمد بن حسين الجنيدي، وجميعهم من أقرانه الذين نزحوا إلى مكة بعد استيلاء الحزب الاشتراكي على ماكان يسمى بالشطر الجنوبي من اليمن، إذ هربوا حينذاك من طغيانه وبغيه ومضايقته للعلماء، وكان لخبر وفاته في بلاد المسلمين أثر عظيم فكان هذا الخبر كالصاعقة المدوية، تصدّع له قلب كل من كان عرفه أو سمع به أو اطلع على كتبه رحمه الله، فاهتزت المشاعر وامتلأت العيون بالدموع دون توقف حزناً على هذا المصاب الجلل، فما من بيت من كثيرمن بيوت مكة في يوم وفاته إلا وعرف أنه حصل لمكة وأهلها أمر عجيب فقد ارتفعت الأصوات تجهر بالذكر العظيم «لا إله إلا الله لا إله إلا الله» ، فترددت جنبات وديان وسهول وشوارع مكة بهذا الذكر الكريم بنغم شجي سحر الألباب، مماجعل الناس في اندهاش وكل من

العارف بالله عبدالقادر بن أحمد السقاف وغيرهم من العلماء الأعلام، وقد نشأ وتربى على يد والده وأخيه الأكبر عمر الذي رعاه وإخوانه بعد وفاة والدهم، ثم التحق بالمدارس النظامية حتى تخرج طبيباً من كندا، ولا زال في مكة المكرمة وجدة، مرابطاً على مجالس العلم ومعالجاً للعلماء والطلاب والمعدمين، وهو وإخوانه الكرام على غاية من الصلاح، ولهم أيادي بيضاء في المشاريع الخيرية، جزاهم الله خيراً آمين .

سأل عن هذا الحال أُخبر أنها جنازة عارف بالله، وولي من أولياء اللّه اسمه محمد بن عبدالله الهدار، عاش في حياته الدنيا يجهر بذكر الله وبالدعوة إلى الله فأكرمه الله، بأن ينقل إلى آخرته بذكر الله، وكأنَّ الشاعر يعنيه بقوله:

عُلُــوٌّ في الحيــاة وفي الممـــاتِ　　لَعَمْرِيَ تلــك إحــدى المعجــزاتِ

ووصل النبأ الأليم الذي هز المشاعر وأحزن القلوب، إلى كثير من العلماء والصلحاء في مكة وجدة من أراضي الحجاز، كالحبيب العارف بالله الإمام خليفة السلف عبدالقادر بن أحمد السقاف والإمام العلامة المحقق محمد بن أحمد الشاطري والدكتور السيد محمد بن علوي المالكي وكثير من السادة والمشايخ والعلماء والمحبين الذين هبوا مذعورين مصابين بالذهول والحيرة، من شدة وقوع هذه النبأ، ولما لهذا الحبيب رحمه الله من مآثر حميدة، وأخلاق عالية كريمة، أورثته عزا ومهابة وحباً في قلوب كل من عرفه وجالسه أو أخذ عنه أو رآه بعينه:

بخت من قد رآهم أو رأى من رآهم
أو تعلق بهم دائم ولازم حماهم

لأنهم ورّاث السر النبوي وخدام الحضرة الإلهية، فهم أمان الأرض ووعاء العلم، ونفع للعام والخاص، فكيف لايكون لهذا النبأ الوقع الأليم، وبسرعة غير عادية وصل النبأ لأهله وأولاده في مدينة البيضاء فنزل عليهم بغتة، ودون توقع، فكان عليهم صعباً لما لهذا الحبيب بينهم ومعهم من الذكريات الكريمة، ولما له من المآثر الحميدة ، فلقد أشرف على تربية أولاده التربية الصالحة،وغذاهم بالحلم والعلم،وكان لهم فوق مايريدون، وأفضل مايبتغون، بل إن حياتهم ومرابعهم ومنازلهم لتمتلىء فضلاً وخيراً وسعادة عندما يكون بينهم لأنه العالم الجليل الذي يذكر الله في كل حين، وله الترتيب الحسن لأوقاته وساعاته، فيملأ بيوتهم بذكر الله، وبالمذاكرات العلمية من

تفسير وحديث وفقه وعلوم اللغة العربية، وبأوراد الصالحين من راتب الحبيب القطب عبدالله بن علوي الحداد الذي يقرأ في كل بيوت أولاده وبيوته رحمه الله بعد صلاة العشاء كعادة السلف الصالح في حضرموت.

كما أنه رحمه الله ملأ حياتهم بالنصائح الكريمة والإرشادات الحكيمة فكيف لا يكون لوفاته الأثر العميق، بل كانت وفاته جرحاً عمل عمله في القلوب فأدماها، وانتزع الفرح من الأفئدة فأبكاها، وانتزع الدموع من العيون فأجراها، فارتجت الساحات بالبكاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكان وقع نبأ موته رحمه الله في مدينة البيضاء أشبه بفاجعة مدوِّية فقد خيم على مدينة البيضاء حينها ظلام دامس وذهول واضح، وإذا بالأسى والحزن يعلو الوجوه، وليس بمستغرب من أهالي البيضاء وأولاد الحبيب وطلابه ماحصل عليهم من شدة وكرب لأن لهم معه رحمه الله وطيلة سبعين عاماً جميل الذكريات استفادوا من علومه النافعات، وجلسوا معه في الحضرات المباركات حيث التنزلات الربانية والعطايا الرحمانية والمواهب الإلهية، فكم تنقل هذا الحبيب بين مرابعهم ! وكم ذكَّرهم بما يقربهم إلى الله زلفى ! وكم تنقَّل في مساجد البيضاء وقُراها داعياً إلى الله ماشياً على قدميه تارةً وراكباً تارةً أخرى ! وكم تأسست على يديه من العادات الكريمة والحلقات العلمية الجليلة، والأذكار التي تتلى صباحاً ومساءً في المساجد مالايعلم به إلا الله ! وكم أغاث ملهوفهم !وكم أشبع جائعهم !وكم كسى عاريهم !وكم تحمَّل على الغارمين منهم! وكم أصلح بينهم صلحاً كادت القبائل تتقاتل فيما بينهم فتسيل دماءها وتتشعب بها مسالك الفتنة فقام رحمه الله مصلحاً لـما اعوجَّ من أمرهم هادياً لهم فيماضل عنهم من أمور الدارين ! فكيف لايكون لهذاالنبأ العظيم الوقع الأليم ! فما من بيت في البيضاء إلا وبكاه وترحَّم عليه، وتذكَّر مآثره الحميدة ولو رأيت وجوه االناس في ذلك اليوم لرأيتها واجمة، والألسن خارسة، والدموع جارية، والنفوس حائرة، لأن محمد الهدار كان كالمؤمن

الذي يفزعون إليه بعد اللّه، وكان ملجأهم الذي يهرعون إليه وكان أمين سرهم الذي يكاشفوه بخفي أسرارهم، ولأن محمد الهدار كان مناراً في الأرض بما أوتيه من اتباع كامل لسيد المرسلين، فهو في ليله ونهاره مخبتاً منيباً للّه رب العالمين، وكان من خواص دعائه: «اللّهم يامن وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه، وفقنا للخير وأعنا عليه»، واستجاب اللّه دعاءه ووفقه لكثير من الخير وأعانه عليه وختم له بالحسنى، ونسأل اللّه تعالى أن ينفعنا به في الدارين، ويصلح حالنا ببركته في الدارين ياالله، وعَلم طلاب الرباط بهذا الخبر الأليم، فظهرت على وجوههم سمات الحزن والكآبة وكانوا على قسمين:

قِسمٌ عرف هذا الفقيد فكان حزنهم أعظم ومصيبتهم أكبر، لأنهم شاهدوا تلك الطلعة البهية، والهيئة المرضية، والمثالية العالية في أخلاق هذا الإمام، كما شاهدوا تلك السماحة، وذلك الكرم الفياض الذي عطف به عليهم، فكم تفقد أحوالهم ! وكم تودد إليهم بالعطايا تأنيساً لهم !وكم علمهم العلوم النافعة التي تعرفهم بمولاهم جل شأنه،وكم أشار عليهم بنصائحه العظيمة ! وكم خصهم بالدعاء والإجازات العلمية .

وقِسمٌ آخر من الطلاب لا يعرفونه رحمه اللّه رلكنهم سمعوا بمناقبه العظيمة فأحبوه وتمنوا رؤيته فكان حزنهم حزنين حزن على فقده، وحزن على عدم رؤيته .

ذكر التعازي في فقيد الأمة رحمه الله

وتوافدت الأمم كالسيل إلى مدينة البيضاء، تعزي أولاد الفقيد في المصاب وقَدِمَتْ كثير من برقيات ورسائل التعازي والاتصالات الهاتفية من كثير من العلماء وأصحاب الشأن، وكان من أبرز من بعث برقية للتعازي فخامة المشير الأخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية القائد الأعلى للقوات المسلحة والذي جاء فيها:

الأخ حسين محمد الهدار وإخوانه الكرام حياكم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بمزيد من الأسى والأسف نعزيكم في وفاة والدكم المرحوم العلامة / محمد الهدار، الذي كان مثالاً للفضيلة والتقوى، ووهب عمره لتعليم العلم، وإرشاد الناس وتوجيههم للعمل الصالح وطاعة الله ووحدة الصف، وجمع الكلمة، وحب الوطن، رحمه الله رحمة الأبرار، وتلقاه بالمغفرة والرضوان، وكتب أجركم، وضاعف حسناتكم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

المشير علي عبدالله صالح

رئيس الجمهورية

ومنها:

الأخ العلامة حسين محمد بن عبدالله الهدار وإخوانه وأقاربه الكرام وطلاب الرباط

حفظكم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

فوجئنا وفجعنا بنبأ وفاة والدكم المرحوم العلامة الورع المفضال محمد بن عبدالله الهدار الذي منيت اليمن لموته بخسارة فادحة، أفزعت الكبير والصغير، فقد كان رحمه الله عالماً يُرجع إليه في كل الفنون، ومصلحاً ربَّى جيلاً كاملاً على الفضيلة والتقوى، وبذل عمره في إنفاق العلم لطلابه ومريديه، وكانت أوقاته مليئة بالذكر والإرشاد والتوجيه.

فنعزيكم ونعزي أنفسنا ونعزي الشعب في فقيد العلم والفضيلة رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار، وتقبله بعفوه ومغفرته ورضاه، واخلفه عليكم بأحسن خلافه.

ولله الحمد فأنتم خير خلف لخير سلف، نفع الله بكم، وأعاد من فضلكم وعلمكم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

محمد بن إسماعيل الحجي

نائب رئيس مجلس القضاء الأعلى

رئيس جمعية علماء اليمن

ومنها:

الأخ الأستاذ / حسين محمد الهدار وإخوانه الكرام وأسرة آل الهدار جميعاً

حياكم الله..

لقد فجعنا عندما بلغنا نبأ وفاة والدكم المغفور له بإذن الله صاحب الفضيلة الوالد محمد عبدالله الهدار، ذلك العالم الجليل والعلم الشامخ والمصلح التقي والمربي الفاضل، وإن وفاته رحمه الله لم تكن خسارة عليكم فحسب ولكنها خسارة على الإسلام والمسلمين، وإذا كان قد فارقنا جسده فإن روحه الطاهرة وعلمه النافع ومؤلفاته الجمّة ستظل زاداً تتغذى به الأرواح والعقول، وعزاؤنا به أنه قد خلف من أبنائه مصابيح للهدى وقدوة تحتذى فصبراً صبرا، ففحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها، كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها، ولايسعني إلا أن أقول ما قال الشاعر:

مصابٌ ليس يشبهه مصابُ	لذي الألباب إذ فقد الشهابُ
إمامٌ قد حوى من كل علمٍ	كنوزاً نحوها يسعى الركابُ
ليبكي كلُّ ذي علم عليه	فكم علمٍ له ضم الترابُ
وكم كلم موانع قد أتته	ثناها وهي عاصية صعابُ
سقى الله الكريمُ ثراهُ صوباً	له من كل رضوان رضابُ

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ صدق الله العظيم .

أخوكم عقيد/ يحيى محمد الشامي

محافظ محافظة مأرب

قائد المحور الشرقي

١٠/ربيع الثاني ١٤١٨ هـ

ومنها:

فضيلة الشيخ العلامة مفتي محافظة البيضاء وتوابعها / حسين محمد الهدار وإخوانه وأولاده السادة الكرام
حفظكم اللّه جميعاً

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

ببالغ الأسى والحزن تلقيت نبأ وفاة والدكم الشيخ العلامة والحبر الفهامة محمد بن عبداللّه الهدار بمكة المكرمة عبر التلفون، فحزنا لذلك كثيراً ولذا نبعث هذه التعزية إليكم وجميع أسرتكم وعشيرة آل الهدار في وفاة عميدكم وعميد طلبة العلم وشيخهم، نسأل اللّه أن لا يحزنكم ولايفتنكم وأن يعظم لكم الأجر ويعصم قلوبكم بالصبر، فإن للّه ما أعطى وله ماأخذ، وإنا للّه وإنا إليه راجعون، فهذه سُنة الحياة الفانية، ولو كتب البقاء لأحد لكتب لخاتم الأنبياء والمرسلين، وعزاؤنا في الشيخ الجليل والدكم أنه خلف أولاداً صالحين نافعين، ولانزكي على اللّه أحدا، وقد خلف صرحاً للعلم والمعرفة، وقام به في حال عجزه ومرضه ويقوم به وسيقوم به أولاده من بعده لنشر العلوم النافعة وتبصير الناس بأمور دينهم إن شاء اللّه، ونحن إذ نعزيكم في هذا المصاب الجلل الذي هو ثلمة في الدين إنما نتمثل بقول الشاعر:

إني أعزيك لا أني على ثقةٍ   من البقاء ولكنْ سُنّةَ الدينِ
فلا المعزَّى بباقٍ بعدَ ميّتهِ   ولا المُعَزِّي وإن عاشا إلى حينِ

فاللّه يكتب لكم الأجر ويضع عنكم الوزر ويرحم ميتكم ويبارك في حياتكم.
والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته بدءاً وختاماً.

عبداللّه بن علي شارد أبو عيَّة

رئيس محكمة استئناف محافظة شبوة ومأرب

كما وصلت برقيات ورسائل التعازي من كل من المذكورين في هذا المرقوم مرتبة بحسب وصولها إلينا:

١. الحبيب العارف بالله عبدالقادر بن أحمد السقاف من جدة
٢. العلامة المحقق محمد بن أحمد الشاطري من جدة
٣. الحبيب العلامة حسن بن عبدالله الشاطري من تريم حضرموت
٤. العلامة المحقق سالم بن عبدالله بن عمر الشاطري من تريم حضرموت
٥. السيد الدكتور العلامة المحدث محمد علوي المالكي المكي من مكة المكرمة
٦. العلامة علي المشهور بن محمد بن سالم بن حفيظ من تريم حضرموت
٧. العلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ من تريم حضرموت
٨. الحبيب العلامة المحقق زين بن إبراهيم بن سميط من المدينة المنورة
٩. السيد عبدالقادر بن سالم خرد من جدة
١٠. الحبيب العارف بالله أحمد بن علوي الحبشي من جدة
١١. الدكتور هشام بن عبدالرحمن الجفري من جدة
١٢. العلامة أبوبكر بن علي المشهور وإخوانه من عدن
١٣. السيد مصطفى بن أحمد الحداد من تريم حضرموت «منصب آل الحداد»
١٤. السيد مصطفى بن زين العيدروس منصب مقام العيدروس من عدن
١٥. الداعي إلى الله عبدالله بن محمد بن علوي بن شهاب من تريم حضرموت
١٦. السيد أبوبكر العطاس من إندونيسيا
١٧. السيد محسن بن أبي بكر المحضار من صنعاء
١٨. السيد حسين بن أحمد الحسيني من الحديدة
١٩. السيد سالم بن علوي العطاس من جدة
٢٠. عبدالله محمد بن صالح الجنيدي من الدمام

٢١. فضيلة نائب رئيس مجلس القضاء الأعلى رئيس المحكمة العليا العلامة القاضي محمد بن إسماعيل الحجي من صنعاء

٢٢. فضيلة العلامة أحمد بن محمد الشامي وزير الأوقاف

٢٣. اللواء الركن محمد بن ضيف الله محمد وزير الدفاع

٢٤. معالي وزير الداخلية الأستاذ حسين بن محمد عرب

٢٥. معالي نائب وزير الداخلية مطهر بن رشاد المصري

٢٦. معالي الأخ عبدالعزيز بن عبدالغني رئيس المجلس الاستشاري

٢٧. معالي الأخ العميد الركن/ علي بن محسن بن صالح الأحمر من صنعاء

٢٨. العميد محمد بن علي القاسمي نائب رئيس هيئة الأركان العامة

٢٩. معالي الأخ محمد بن حسن دماج عضو المجلس الاستشاري

٣٠. محافظ محافظة البيضاء ناجي بن عبدالله الصوفي

٣١. وكيلا محافظة البيضاء محمد بن عبدالله الوادعي والعقيد محمد بن ناصر العامري

٣٢. الدكتور علي بن حسن الأحمدي محافظ محافظة حجة

٣٣. العلامة محمد بن علي البطاح من علماء زبيد

٣٤. العلامة محمد بن عزي بن محمد بن سليمان الأهدل مفتي زبيد

٣٥. رئيس محكمة الاستئناف بمحافظة البيضاء القاضي مطهر بن يحيى عامر

٣٦. القاضي عبدالله الطاهري والقاضي محمد الشامي عضوا محكمة الاستئناف

٣٧. الدكتور حسين بن أحمد بن صالح الباكري عميد كلية الآداب بجامعة صنعاء

٣٨. الأستاذ عبدالله بن محمد باهارون رئيس جامعة الأحقاف

٣٩. القاضي إبراهيم بن أحمد محمد رئيس محكمة مكيراس

٤٠. العلامة عبدالرحمن بن أحمد أبو طالب رئيس محكمة الاسئناف بالبيضاء سابقاً

٤١. العلامة محمد بن محمد الديلمي رئيس نيابة محافظة المحويت

٤٢. الشيخ سعيد بن عاتق باعزب شيخ آل باعزب من المحفد
٤٣. الشيخ سالـم بن عبدالقوي الحميقاني
٤٤. عبدالله بن محمد العواضي
٤٥. الشيخ سالـم بن عمر باهرمز رئيس محكمة استئناف محافظة أبين
٤٦. الشيخ عبدالله بن عمر باهرمز رئيس الوعظ والإرشاد بمكتب الأوقاف أبين
٤٧. الشيخ العلامة عمر بن أحمد سيف
٤٨. العلامة أحمد بن عمر السقاف
٤٩. الشيخ محمد بن عبدالله المزيد
٥٠. العلامة عبدالله بن حمود عُباد رئيس محكمة خفاش المحويت
٥١. الأستاذ علي بن حسين الوريث مدير عام مكتب التربية والتعليم بمحافظة عدن
٥٢. العلامة محمد بن علي الفران من علـماء اليمن
٥٣. السيد محمد بن يحيى الأنباري من زبيد
٥٤. أحمد بن عبدالله بامجبور من الأردن
٥٥. العلامة إبراهيم بن عبدالله المستكا رئيس محكمة الصومعة الابتدائية
٥٦. العلامة علي بن محمد الدرويش رئيس محكمة البيضاء الابتدائية
٥٧. الأخ الفاضل أحمد بن هائل بن سعيد أنعم من تعز
٥٨. الأخ الفاضل عبدالجبار بن هائل بن سعيد أنعم من تعز
٥٩. أحمد بن عبدالله بن عبدحسين العاقل من لندن
٦٠. الأخ الفاضل أحمد بن عبدالله بن عبدالله بن صالح العاقل من تعز
٦١. الشيخ سالـم بن أحمد السبع من صنعاء
٦٢. الشيخ مقبل العباهي
٦٣. الشيخ عبدالله بن حسين المشدلي

٦٤.الدكتور أحمد بن محمد المرزوقي

٦٥.الأخ علي بن ناصر العاقل من صنعاء

٦٦.الشيخ العلامة محمد بن علي مرعي من الحديدة

٦٧.فيصل بن علي العطاس مستشار وزارة الإدارة المحلية

٦٨.الشيخ الرصاص بن حسين الرصاص البيضاء من مسورة

٦٩.عبدالقوي بن حسين الحميقاني من حديدة

٧٠.المنصب حسن بن أحمد بن علي منصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم

٧١.عبدالله بن محمد العاقل من تعز

٧٢.الشيخ أحمد بن علي بن صالح الدندراوي شيخ الطريقة الأحمدية من عدن

٧٣.الشيخ عبدالله بن علي حسين وإخوانه منصب النجدة من دثينة

٧٤.المنصب عبدالله بن علي العطاس منصب المشهد من حضرموت

٧٥.السيد محمد بن سالم خرد من جدة

٧٦.الأخ هدار بن محمد بن عبدالله باصهي من تبوك

٧٧.السلطان صالح بن حسين جعبل من بريطانيا

٧٨.العميد علي بن حسين العتمي مدير أمن محافظة البيضاء

٧٩.الأخ رياض بن سالم بن محمد المسيبلي من أمريكا

٨٠.السيد محضار بن محمد العيدروس من أبوظبي

٨١.الشيخ أحمد بن علي بن ناصر البرعي من جدة

٨٢.الأخ أحمد بن عاتق السقاف من أبوظبي

٨٣.السيد عمر بن عبدالرحمن باعبود من الرياض

٨٤.علي بن أحمد الحرازي رئيس مصلحة وأراضي وعقارات الدولة

٨٥.المنصب محسن بن محمد المحضار من القاهرة

وأما الاتصالات الهاتفية فكانت تصل على مدار اليوم من اليمن وخارجه كالسعودية ودول الخليج وإندونيسيا وأمريكا وبريطانيا وأكثرها من تلاميذ الحبيب وطلابه.

وبعد وصول النبأ الأليم كما ذكرنا والتسليم للّه السميع العليم الباقي الرحيم عقدت جلسات متعددة يقرأ ما تيسر فيها من القرآن الكريم والتهليل والاستغفار والصلاة على النبي المختار في مناطق عديدة من وطننا العربي واليمن والعالم.

فلقد تم عقد احتفال تأبيني عظيم في إندونيسيا حضره ما يقارب أربعمئة وخمسين ألف مسلم وذبح في ذلك اليوم ألف وخمسمئة رأس من الغنم حسب إفادة تلميذه العلامة السيد أبي بكر العطاس.

وفي مكة المكرمة تمت القراءة على روحه الشريفة وحضرها كثير من العلماء، في مقدمتهم عالم الحرم السيد محمد علوي المالكي الذي أبّنه بكلمات مؤثرة، وكذا في جدة وفي كثير من مدارسها ومحاضرها عقدة الجلسات المباركة ذات الجمع الغفير والذي تصدرها سيدي الإمام العارف باللّه عبدالقادر بن أحمد السقاف والسيد العلامة المحقق محمد بن أحمد الشاطري، كما عقدت جلسات ودروس لقراءة القرآن الكريم على روح فقيدنا بمدينة الطائف حضرها الجمع الغفير من المسلمين ومن محبي الفقيد رحمه اللّه، وكذا تم حضور الجلسات والقراءات في مدينة الرياض، وفي مدينة أبوظبي، والذي حضر فيها السيد محضار العيدروس وكثير من طلاب الفقيد، كما أقيمت الدروس عليه في دبي وألقى تلميذه علي بن محمد العيدروس كلمة عن حياته، كما قام بتوزيعها في كثير من مساجد المنطقة مثبتة في هذا الكتاب.

وأما في داخل اليمن فقد عقدت جلسات التأبين والاجتماعات لقراءات القرآن الكريم إلى روح فقيدنا في مدن يمنية عديدة منها العاصمة اليمينة صنعاء حيث تم عقد

دروس وتأبين قام به العم الكريم محسن بن أبي بكر المحضار رجل الأعمال المشهور وقد حضر الدرس معالي الوالد العلامة وزير الأوقاف أحمد بن محمد الشامي[1] والوالد العلامة محمد بن علي الفران الحمزي ذلك العالم الكبير الذي لازم الوالد نحواً من ثمانية عشر عاما أثناء إقامته في البيضاء، كما حضر الدرس والتأبين الدكتور حسين بن أحمد الباكري عميد كلية الآداب بجامعة صنعاء، وقد تكلموا عن حياة الفقيد العلمية والدعوية بغاية من الإعجاب والإكبار.

وفي عدن حضره العلامة أبوبكر بن علي المشهور ، وفي المكلا حضره مدير عام مكتب الأوقاف. وفي تريم تم الدرس عليه في مسجد آل أبي علوي وقد حضره علماء تريم وفي عينات حضره المنصب حسن بن أحمد بن علي، وفي سيئون حضره علماء مدينة سيئون وعلى رأسهم المنصب علي بن عبدالقادر الحبشي والعلامة محمد بن سالم الحامد، وفي الحوطة حضره جملة من العلماء ومنهم المنصب شيخ الحبشي، وكذا في الهجرين وحريضة، وكثير من مدن وقرى حضرموت.

أما في الحديدة وزبيد وكثير من المدن التهامية فقد تم تأبين الفقيد في كثير من المساجد ولعل من أعظمها التأبين الذي أقيم بكلية العلوم الشرعية بالحديدة، وقد حضره كثير من علماء تلك البلاد وعلى رأسهم فضيلة مفتي الحديدة الشيخ العلامة

---

(١) هو العلامة الجهبذ الأديب الأريب أحمد بن محمد بن علي الشامي من مواليد هجرة المسقاة عام ١٣٤٧ هـ، وبها نشأ وترعرع وأخذ عن جُل علماء بلده، وتولى عدة مناصب في سلك القضاء منها حاكم في البيضاء وقد كان خلال تواجده بها للقيام بالعمل المذكور يسعى بنظر ثاقب، وعقل راجح إلى حل القضايا، وقد تكون بالصلح المرضي، كما كانت تربطه بسيدي الوالد صداقة وتعاون كبير، في هذا الإطار وغيره، وأخيراً عُين رئيساً لاستئناف محافظة تعز، ثم وزيراً للأوقاف، وتم اختياره رئيساً لحزب الحق، ولا زال في صحة وعافية تحفه عناية الله ورعايته .

محمد بن علي مرعي[1] والسيد حسين بن أحمد الحسيني والسيد خالد بن علوي بن محمد الصافي [2].

وفي محافظة تعز أقيمت الدروس والتأبين في كثير من المدن والقرى وبالذات في مدينة تعز والجند ومناطق صبر وفي جميع تلك الجلسات المباركات ألقيت الخطب التأبينية الصادقة المعبرة والتي بينت ما له في النفوس من محبة وإعزاز، كما ألقيت كثير من قصائد الرثاء الرنانة ذات المشاعر الصادقة محبة في الفقيد وإظهاراً لمناقبه العظيمة وأخلاقه الكريمة، وأما في موطنه البيضاء فكان الوضع أعظم والجلسات أكبر والجمع أكثر، ولمدة خمسة عشر يوماً متوالية تمت في مسجد الرباط قراءة الكثير من أجزاء القرآن الكريم وإطعام الطعام لأعداد كبيرة من الناس من مختلف مناطق وقرى المحافظة، ومن مناطق اليمن الذين توافدوا على البيضاء أفواجاً يعزون في الفقيد، وقد عكست ودلت هذه الاجتماعات مالفقيدنا رحمه اللّه من حب عميق راسخ في نفوس الناس،

---

(١) هو العلامة الحُلاحل الشيخ محمد بن علي مرعي مفتي محافظة الحديدة، من أهالي الحديدة وبها نشأ وترعرع، وأخذ عن جُل علماء تهامة، له كثير من المشاريع الخيرية، لكن أهمها مشروعه العظيم وهو كلية دار العلوم الشرعية بالحديدة والتي تضم بين أروقتها نحواً من ألف وخمسمئة طالب، مع تقديم الغذاء والدواء والكساء، وقد تخرجت أول دفعة في سنة ١٤٢٠هـ وقد حضر حفل التخرج فخامة الأخ رئيس الجمهورية وأشاد بالكلية ومؤسسا ولا زال بالحديدة مرجعاً للفتاوى والاستفسارات الشرعية مع علم غزير وعقل راجح، زاده اللّه من فضله وجعل الخير باقياً فيه وفي عقبه وإيانا آمين .

(٢) وهو عابدٌ دائم الذكر والصلاة على النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، نشأ في مدينة عدن ثم انتقل إلى الحديدة وأخذ عن الحبيب أحمد مشهور الحداد وعن سيدي الوالد ، صدرت له كثير من الكتب منها «أفضل الصلوات والسلام» ، و«بشائر الخيرات في أخبار سيد البريات».

فلقد رأينا وجوهاً في هذه الاجتماعات التي لا تعرف البيضاء أبداً إلا أنها سمعت بوفاته الذي في يوم من الأيام قد وصل إلى قراهم ودعاهم إلى الله وأثر فيهم ونصحهم وأرشدهم وكان منهم الوفاء بالقدوم لتعزية أولاده.

وفي هذه الجلسات في البيضاء تكلم كثير من العلماء وأرباب الفصاحة وفي المقدمة أولاد الفقيد حسين وطاهر وزين وإبراهيم والذين سلموا الأمر للّه سبحانه، وترحموا على والدهم ودعوا له بالمغفرة وسألوا اللّه أن يكونوا على نهجه سالكين حاملين مشعل العلم والنور الذي حمله والدهم رحمه اللّه، وكانت كلمات أولاد الفقيد مؤثرة جداً أبكت الناس وذكرتهم بالحبيب رحمه اللّه ، وكان ممن تكلم من العلماء الأخ عبداللّه بن صالح الخشيبي[1] باسم مدرسي الرباط والحبيب العلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ والسيد أحمد بن عمر السقاف[2]، والسيد العالم الأجل محمد بن عبداللّه المحضار[3] والذين أوضحوا بعض مناقب الفقيد ودعوا له

---

(١) هو الشيخ العلامة عبداللّه بن صالح الخشيبي من أهالي الرباط بمديرية مكيراس من مواليد عام ١٣٧٠ هـ، طلب العلم في الرباط على يد سيدي الوالد رحمه اللّه وعلى يد الحبيب العلامة زين بن إبراهيم بن سميط، ولازال يدرس في الرباط حتى يومنا هذا بارك اللّه فيه وإيانا آمين.

(٢) هو السيد أحمد بن عمر بن حسين السقاف من مواليد السوادية، وبها نشأ وترعرع ثم التحق بالرباط ولازم سيدي الوالد فترة من الزمن استفاد منه كثيراً وقد قربه سيدي الوالد كثيراً وأخيراً انتقل إلى مودية بدثينة وعمل إماماً وخطيباً بها ثم مديراً للأوقاف ولا زال بها تحفه عناية اللّه .

(٣) هو العالم الداعي إلى اللّه محمد بن عبداللّه بن محمد المحضار،ولد في مدينة حبان ونشأ وترعرع بها، وكرع من معين العلامة الشهيد السيد أحمد كعيتي المحضار وتأثر به كثيراً، فبرع مدرساً ناجحاً وخطيباً مفوهاً ، اعتقل وأودع السجن أثناء الحكم الشيوعي إلا أنه سلم من معرته فخرج منه، واستمر في حبان مرجعاً للفتاوى والاستفسارات الشرعية،

بالغفران، وأما القصائد والمراثي فهي لكثرتها لا نستطيع حصرها ونظراً لوقع هذا الخبر المؤلم تفتحت قرائح كثير من الناس وعبروا في أشعارهم بألم وحسرة وذكروا مناقبه وكراماته رحمه الله ونفعنا به في الدارين .



ولازال بها تحفه عناية الله في أوائل العقد الخامس من عمره تقريباً، صدر له كتاب في تاريخ مدينة حبان .

من أقوال الصحف

تحت عنوان « أعلام يمانية » نشرت صحيفة الثورة بقلم حداد بلفقيه ما نصه :

«ما تيسر من السيرة الحياتية للعَلم الوضّاء، مفتي البيضاء أحد الرجال الأخيار العلامة الراحل محمد بن عبدالله الهدار، على عادتي أكتب حلقة من حلقات « أعلام يمانية » التي أخصصها لصحيفة «الثورة» الغراء وعلى غير عادتي أكتب في زمن قياسي قصير عن عَلم من الأعلام المشاهير في اليمن، افتقدناه قريباً أكتب السيرة الحياتية للعَلم الوضّاء مفتي مدينة البيضاء العلامة محمد بن عبدالله الهدار رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار، وهاهنا نشير بقلم عاجز عن التعبير عن علم منير شهد له بالفضل الصغير والكبير، ذلكم ماأشرنا إليه سلفاً العلامة الهدار من مواليد الثلاثينيات الهجري .

تربيته: تربى رحمه الله تربية صالحة في محيط بيئي صالح ومنبت طيب فحسنت تربيته وعلت سمعته وكبرت همته، فهو من كمل الرجال المنتهلين من شراب صاف زلال، وكان له الأخذ التام من رجال أخذوا عن رجال بأسانيد لها قوة اتصال منهم علامة زمانه الذي يوصف بالغيث الماطري عبدالله بن عمر الشاطري والعالم المهاب علوي بن عبدالله بن شهاب، ومربي الأجيال مصقل النفوس جعفر بن أحمد العيدروس، ومن له شأن الشيخ محفوظ بن عثمان، والشيخ القدوة الخيِّر سالم بن سعيد بكير، والعلامة محمد بن سالم بن حفيظ و كان للشيخ محمد بن عبدالله الهدار الذي نحن بصدد الكلام عنه، الأخذ في رباط تريم المشهور بأزهر حضرموت حتى إنه من كثرة النفع والإعجاب بإشارة من شيوخه قام بإنشاء رباط البيضاء على نمط وقواعد التعليم في رباط تريم فانتفع به الجم الغفير ومن جملة تلامذة الهدار نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، العلامة زين بن إبراهيم بن سميط، والداعية عمر بن

محمد بن حفيظ، والشيخ محمود عبدالباري . والسيد شهاب الدين بن علي المشهور[١].

مؤلفاته: ومؤلفات فقيدنا الهدار كثيرة وهي ذات نفع ملموس ومحسوس، نذكر منها: «عجلة السباق إلى مكارم الأخلاق» ، و« شفاء السقيم في أحاديث المنقذ العظيم» ، وله في الفقه والأذكار ، و« نفحات رمضانية » و« خطب منبرية » و«جواهر الجواهر» ، وله باع طويل في الشعر ومنه « الهمزية » في مديحة نبوية .

رحلاته: أما رحلاته فهي عديدة ذات فوائد مديدة، في الدعوة إلى اللّه، وله الفضل الكبير في الوعظ والإرشاد والتذكير، ولقد زار كلاً من مصر والشام والعراق والحبشة والهند وباكستان وتايلاند وغيرها من البلدان الأخرى، وهو على صلة قوية بعلماء المسلمين في الخارج وفي موسم الحج يبذل النصح لعامة المسلمين .

---

(١) هو السيد الفاضل شهاب الدين بن علي بن أبي بكر المشهور ، شاب نشأ في طاعة اللّه ، ولد في مدينة أحور عام ١٣٧٨ هـ ، وكان لتربية والده السيد العلامة علي بن أبي بكر المشهور أثر كبير في صقل مواهبه وتنشئته نشأة صالحة وقويمة، فقد منحه اللّه سريرة صافية لا تعرف الأمراض الاجتماعية التي تبلى بها كثير من النفوس كالحقد والحسد والبغضاء، لازم والده رحمه اللّه وبالذات في جدة حينما كان إماماً وخطيباً في جامع العيسائي، وبعد وفاة والده رحمه اللّه وصل إلى البيضاء وانتظم في سلك طلاب الرباط وكرع من معين سيدي الوالد واستفاد كثيراً منه أيام مكثه لطلب العلم، كما لازم الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط في الفترة التي تولى فيها التدريس في الرباط المذكور، وبعد مضي فترة من الزمن انتقل إلى المدينة المنورة مجاوراً لسيد الوجود صلى اللّه عليه وآله وسلم وتأهل بها ورزقه اللّه ذرية صالحة ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة ولازال بها تحفه عناية اللّه جعل اللّه الخير باقياً فيه وفي عقبه وإيانا إلى يوم الدين آمين .

حفل التأبين: أقيم للفقيد الراحل العلامة محمد بن عبدالله الهدار تأبين عزاء في مدينة تريم في مسجد الإمام محمد بن حسن مولى عيديد وآخر حفل ختم القرآن الكريم لروحه الطاهرة في مسجد القوم في مدينة تريم أيضاً. اهـ .

صحيفة البيان

وقد نشرت صحيفة البيان الصادرة عن التجمع اليمني للإصلاح بمدينة البيضاء تحت عنوان « خواطر بيضانية » في عددها الثالث جمادى الأولى سنة ١٤١٨ هـ ما نصه :

« فَقدت البيضاء علماً من أعلامها، عَلماً حمل هذا الدين فرفع مشعلاً من مشاعل العلم في هذه المنطقة التي كانت تغرق في ظلمات الغفلة والجهل، ولا نرانا بحاجة إلى الإشارة إلى مناقب الرجل وسعة أفقه وتسامحه، ولكن لنا وقفة نراها هامة مع النفس ومع الذين بكوه وافتقدوه بعد وفاته رحمه الله، وقفة نسأل بها الكثيرين أين أنتم من مجالس علمه ودروسه هو وغيره من علماء البلدة، حينما كانت لا تضم إلا القليل؟ أين كنتم حينما كان الرجل يتمنى أن يجدكم حيث افتقدكم ؟ لقد رحل السيد محمد الهدار ولاسبيل لعودته، لكن هذا الدين لايزال موجوداً وهو بحاجة إلى من يتعلمه ويفهمه ويدافع عنه ويجاهد في سبيله، إننا ونحن نودع الراحل الحبيب في أمس الحاجة إلى تمثل حبه لهذا الدين، فقد كانت غايته دعوة الناس للعودة إلى الله والتمسك بشرعه، وهي غاية إتفق معه عليها كل الدعاة، وعندما اختلفت بعض الوسائل كانت سعة أفقه وحرصه على هذا الدين دافعاً لترابطه وصلاته الطيبة معه، فقد كان يوقن بأنهم يقفون معاً في نفس الخندق رحمه الله هو وكل الدعاة الذين سبقوه وعوض بلدتنا خيرا .

مجلة الوعي

أما مجلة الوعي فقد كتبت في افتتاحيتها لعددها الخامس السنة الثانية جمادي الأولى سنة ١٤١٨ هـ : «لقد كانت وفاة الحبيب العلامة محمد بن عبدالله الهدار كارثة عظمى حدثت على الأمة المحمدية جمعاء، كيف لا وقد كان رحمه الله منار هدى يستدل به الضائع والتائه، وسفينة نجاة يصعد عليها كل هارب، من طوفان الدنيا إلى شاطىء الآخرة، لقد كان رحمه الله روحاً لهذه المدينة فترى المدينة عند قدومه تهتز طرباً واستبشاراً وتحس كأنها تتحرك وتتحدث في أثناء وجوده، فإذا كان جثمانه قد احتضنته مكة فإن روحه الطاهرة نراها مرفوعة في هذا الرباط المعمور ونراها في أولاده جلية لأنهم ورثته ولم يورث ديناراً ولا درهماً وإنما ورث العلم:

فوا أسفى من فراق قومٍ ... همُ المصابيح والحصونُ[1]

والمُدْنُ والمزنُ والرواسي ... والخير والأمن والسكونُ

لم تتغير لنا الليالي ... حتى توفتهمُ المنونُ

فكلُّ جمرٍ لنا قلوبٌ ... وكلُّ ماءٍ لنا عيونُ

ورحم الله القائل:

لعمرك ما الرزية فقد مالٍ ... ولا فرسٌ يموت ولا بعيرُ

ولكنّ الرزيةَ فقد شخصٍ ... يموت بموته خلقٌ كثيرُ

مجلة النور

أما مجلة النور فقد أوردت النبأ في عددها الصادر ٨٩ في تاريخ جمادى الأولى ١٤١٩هـ بقلم نبيل علي الصوفي ما نصه:

---

(١) كذا في الأصل.

«ومن الإنصاف التعريف برجل بحجم الشيخ محمد الهدار الذي لـم يدخر في حياتـه لحظة إلا وكرسها للعلـم والعمل ولنشر الشذا الطيب لرجل عابد زاهد عالـم لـم يكن حطام الدنيا ليشغله عن غايته التي جعلها نصب عينيه هي إرضاء الله سبحانه، ولسـت أتحدث عن نبي معصوم بل عن فرد من بنـي آدم يخطىء كما يصيب ولـم يدَّع لنفسه فضل الصواب دون الخطأ، فهو يعلـم أنه بشر ولكن كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه، من هو الشيخ الهدار ؟

رجل علـم وعبادة من مواليـد ١٣٤٠ هـ مـن أسـرة اشتهرت بالاشتغال بالعلـم وبالصلاح و التقوى في مدينة البيضاء، التي سكنتها قبل قرابة ٣٠٠ سنة بعد هجرتها من محافظة حضرموت، حفظ القرآن الكريـم علـى يـد والـده عبدالله الهـدار، وتلقى علومه الأولية على يد كوكبة من مشايخ العلـم في البيضاء وعلى رأسهم مفتي البيضـاء الأسبق الشيخ محمد بن حسين الهيثـمي، وحينما اشتد عوده وقوي، شـدَّه الشـوق إلى ديار العلـم والتصوف في حضرموت، فارتحل إلى تريم مدينة العلـم والعلـماء، حيـث كان معهد الشيخ عبدالله بن عمر الشاطري يتلألأ في سماء العلـم والتربية .

وبعد رحلة شاقة قطعها بصحبة الشيخ محسن محمـد الهـدار سيراً على الأقـدام إلى مدينة عدن التي كانت حينها إحدى مستعمرات الإنجليز، أبحرا منها صوب حضرموت ليستنشق عبير العلـم والتقوى والتربية على تراب تريم، ولكنه بمجـرد وصولـه ورفيقـه إلى المكلا قامت السلطات القعيطية بحجزهما، فكان أن وضع هذا الأمر حداً لطمـوح التعليم في الديار التريمية، حيث أعادتهما بحراً إلى عدن ومنها إلى البيضاء لتنتهـي بذلـك أول مشاوير البحث عن المائدة الربانية، لشاب صغير يبحث عـن إشبـاع رغبـة متقـدة للعلـم والتعلـم، هيهات للقلب المسكون بالشجن أن يستريح.

حيث عاد الشيخ مرة أخرى إلى محبوبته تريم، ولكن هذه المرة عبر الصحاري والقفار ليعبَّ من بحر العلم التريمي لمدة أربع سنوات متتالية بحثاً عن إشباع الرغبة المستعرة لعلم الهداة والربانيين، ولم يكن العلم للشيخ غاية يدع عنده مطية الارتحال، فما العلم إلا زاد للطريق وللسفر الطويل.

فقد عاد رحمه اللّه أدراجه عبر الوديان والصحاري إلى البيضاء المدينة التي ودعها ليعود إليها عالماً وشيخاً ومعلماً، عاد إلى البيضاء بعد السنوات التي قضاها في تريم لينشيء مدرسة علمية جعلها محطة لتزويد الباحثين عن علم يوصلهم إلى رضوان اللّه سبحانه وتعالى وبمجرد إنشائه للمدرسة هزه الشوق لرحلة ثانية يكون مقصدها العطاء بعد الرحلة التي أوقفها عن الأخذ، فرحل إلى الصومال ليتولى الإمامة والخطابة في جامع مرواس في مقديشو العاصمة.

ولم يطل به المقام هناك حيث عاد بعد أن أعطى الكثير لأبناء الجالية المسلمة هناك فعاد مرة أخرى إلى مراتع الصبا ومسقط الرأس البيضاء، لينشيء فيها رباط الهدار للعلوم الشرعية، وذلك في عام ١٣٨٠ هـ ليكون الرباط منارة مشعة بالعلم والتقى تضيء لمن حولها ولمن أتاها.

ومن ذلك العام حتى وفاته رحمه اللّه جعل جهده لطلابه في الرباط تعليماً وتربية وتزكية، وقبل وفاته بخمس سنوات اشتدت عليه الأمراض فاستوطن دار المحبة والسلام مكة المكرمة أحب البقاع إلى قلب كل مسلم، وأشرفها على الأرض ليتوفاه اللّه على أرضها ويوسد في ثراها في ٨ربيع الثاني ١٤١٨ هـ رحمه اللّه وتقبل أعماله ورحمه رحمة الأبرار الأخيار .

لعل الشيخ الهدار من القلائل الذين جمعوا بين طول العبادة وسعة التعليم والتعلم والتأليف إلى جانب برنامجه اليومي في التدريس والتنفل ، فقد ألَّف مايفوق على ١٨

مؤلفاً مابين مطبوع ومخطوط ، وفي جوانب عدة، ولعل مايبرز اهتمامه بالجانب الأخلاقي هو تأليفه لكتاب « عجلة السباق إلى مكارم الأخلاق » ، والذي قيل: إنه ألفه بناء على طلب من الشيخ عبدالمجيد الزنداني أطال اللّه عمره والذي كانت تربطه به علاقة وثيقة، ولقد كان الشيخ الهدار رحمه اللّه مثالاً للمربي الناجح،والمعلم الحاذق حيث تخرج على يديه العديد من العلماء العاملين، الذين كان لا يبرح أن ينصحهم بثلاث أمور، تظهر مدى حرصه على إرساء قواعد المنهج التربوي الصحيح، أولها: الابتعاد عن ما يثير الخلاف بين المسلمين والحرص على توحيد كلمتهم وإيكال السرائر إلى رب العالمين، ثانيها: تجنب الأمراض النفسية كالعجب والغرور، ثالثها: أن يجعل كل واحد منهم لنفسه وقفة خاصة بينه وبين ربه لا يعلمها إلا هو، حيث كان يطالبهم بتحديد ساعة من ليل يناجي فيها المخلوق ربه، ويطلبه ويحمده، ولعل كثيراً من طلابه الذين وفقهم اللّه في التزام النموذج يحفظون له قوله لا يسمى طالب علم من ليس له حصة من قيام الليل، وفي ترحاله الطويل بين مختلف المحافظات اليمنية كان أشد حرصاً على أن يجعل من طلابه دعاة لايخشون في اللّه لومة لائم، ولاينتظرون نفقة ولامنة من أحد حيث كان يطالب كل واحد منهم أن يخرج على نفقته الخاصة .

محاربة الإلحاد ومحن طوال: لعل من غير المشهور عن الشيخ الذي يراه الكثير شخصاً هادئاً مسالماً بسيطاً أليفاً مُؤْلفاً من غير المعروف عنه تعرضه لمحن عديدة في سبيل الصدع بكلمة التوحيد والدفاع عنها، فللشيخ الهدار مواقف متنوعة في الدفاع عن كلمة الإيمان سواء أيام الاستعمار البريطاني أو إبَّان حكم الحزب الاشتراكي اليمني في المحافظات الجنوبية والشرقية، ولقد تعرض الشيخ للسجن أثناء إحدى رحلاته في حضرموت وذلك في العام ١٩٧٠م غير أن من يحمل هدفاً على

عاتقه لا تثنيه الصعاب، فلقد اضطر السجان للشكوى بدلاً من المسجون الذي حول السجن داراً للعبادة والإرشاد مما اضطرهم إلى نقله إلى سجن آخر، حتى تمكن الأستاذ فيصل العطاس الذي كان حينها محافظاً لحضرموت من إخراجه.

ولن ينسى الكثير من الفارين من جحيم شمولية الاشتراكي ذراعه المدود لهم في مدينة البيضاء والتي أصبح المفتي لها ، ولقد دون منظومة شعرية تصل إلى أكثر من عشرة الآف بيت باللّهجة العامية تحكي صراعه المرير مع الباطل والظلم بل وتشمل العديد من الآراء السياسية الاجتماعية والتي تظهر سعة إطلاع الشيخ وحبه لدينه وأبناء دينه، ولعل أغلب ما تظهر المنظومة هو صراعه ضد جهود الاشتراكي في ترسيخ قيم مخالفة لقيم الدين إبّان حكمه ومن ذلك قوله وهو يتأوه على حضرموت التي لقيت نصيب الأسد من الظلم والجور:

كم أتانا من حضرموتَ رجالٌ ... آهِ يا حضرموتُ زيدي وهاتي
هل بَقِي فيكِ مَفْزَعٌ للرّزايا ؟ ... هل بقي فيكِ كوكبٌ للسُّراةِ ؟
هل بقي فيكِ مَن يُرَجَّى لكَشف الضُّـ ... ـرِّ أو للحوادثِ القَاصِماتِ ؟
هل بقي في العرينِ حامٍ من الذُّو ... دِ ومِن ذي الخنافِسِ المُنْتِناتِ ؟
ليت شعري وفي الزوايا خبايا ... ما لِأُسْدِ الوَغَى الحُماةِ الكُماةِ ؟!
ما هم سَكَتُوا وأشبالُهُمْ نَهْـ ... ـبُ ضِبَاعِ الفَلا مَعَ اللَّبُواتِ
وهُمُ مَلْجَأُ الوَرَى وأمانُ الأَ ... رْضِ مثلُ النُّجُومِ للسَّمَواتِ
وبهمْ تُرفَعُ البلايا وفيهمْ ... مَن يُبِيدُ الجيوشَ بالصَّيحاتِ
لهمُ العادياتُ تنتظرُ الغا ... راتِ صُبحاً ولم تزل مُسْرَجاتِ
ليتَ شعري متى نرى غارةَ اللّه ... تَحُثُّ المسِيرَ والنَّصْرَ ياتِي
ومتى تِلْكُمُ اللُّيُوثُ نراها ... تَتَعادى على العِدا ضارِياتِ
يا سريعاً يا قاهراً يا عزيزاً ... يا مُبِيداً أَبِدْ جُيُوشَ البُغاةِ

امْحَقِ البَغْيَ أَذْهِبِ الغيظَ واشْفِ الصَّـ ـدْرَ واكْفِ وكُفَّ بأسَ العُداةِ

أُنْصُرِ الدِّينَ كي يكونَ هُوَ الأعـ ـلى وأحكامُ شَرْعِهِ نافذاتِ

أَهْلِكِ المُلْحِدِينَ صُبَّ عليهمْ سَوْطَ مَقْتٍ بأَسْهُمٍ صائِباتِ

عاجلاً عاجلاً فقد شَمَتَتْ أعـ ـداءُ دينِ الإلهِ كلَّ الشَّماتِ

ربَّنا اسْبِلْ سَتْراً جميلاً وتحتَ السَّـ ـتْرِ ما تَرْتَضِيهِ من صالحاتِ

ويقول في موضع آخر:

أماترون حزب اللعين كم أيتموا من عائلات

كم عاقبوا من ضعفاء وضاعفوا المعاقبات

يعذبون بكل نوع كأنهم زبانيات

فينتفوا أظفارهم ويحرقون الحدقات

من اتهموه قتلوه ولو بتهمة كاذبات

ثوراتهم قتل النفوس ولاتضر الغلطات

ثم يطالب المسلمين قائلاً:

يامسلمين في كل قطر ياساكنين كل الجهات

أفضل جهاد جهادهم لأنهم شر الفئات

وفي موطن آخر يخاطب الحزب إبَّان حملة التأميم التي اعتنقها لتحقيق ماكان يسميه بالعدالة الاجتماعية قائلاً:

ياطالبين التسوية بالكلمات الفارغات

فبينما قلتم وبين أفعالكم مخالفات

هل الرئيس فيكم كما عُمَّالكم في النفقات

وتخدعون الفقراء في الصحف والنشرات

قلتم لأجل الكادحين ثوراتنا والكادحات

هـذا نجـاح الكـادحين والحـزب مـص الـثروات
قضـى علـى أمـوال شـعب جمعهـا في سـنوات
أخذهـا وضمهـا والكـادحون يمشـوا عـراة

رحم اللّه الشيخ الهدار وغفر له وأسكنه فسيح جناتـه وألهم محبيـه ومريديه طريـق الهدى والحق والتزام سنة المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلـم الـتي كـان الشيخ أكثر الداعين لها .

ذكر المراثي

الحقيقة التي يؤمن بها كل مسلم حي عن مصيره هي الحقيقة المـرة في قولـه تعـالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلى متاع الغرور﴾، رغم ذلك فإن ردود أفعـال الأحيـاء أمام حادثة الموت تختلف بحسب موقـع الشخص الميـت في التركيـة الاجتـماعية لهـذا المجتـمع أوذاك، ذلك أن حياة بعض الشـخصيات تـمثل بالنسبة إلى مجتـمعه الشعور بالأمان أو الشعور بالقوة أو الشعور بالنور وسط الظلام والجهل مثلاً، ويقيني إن كثيراً من هذه المعاني كانت تـمثلها حيـاة فقيدنـا الإمـام محمـد بـن عبداللّـه الهـدار بالنسبة لـمجتـمعنا، ولذلك فان حالة من الخوف والرهبة والحزن قد سيطرت علـى الأرجـاء، والإنسان في البيضاء وغيرها من المدن، وقد عبر عن هذه الحالة فضيلة القاضي العلامـة مطهر بن يحيى عامر رئيس محكمة الاستئناف في مرثاته للفقيد بقوله:

أو مـا تـرى الدنيـا بيـوم وفاتِـه   وكأنهـا لبسـت حـداداً معلَنـا
أُنظـر إلى البيضـاء كيـف تجمـدتْ   فيهـا الحيـاة بنعيـه إذ أُعلِنـا

نبـأ الوفـاة أثـار كـامنَ شـجوها | صلكّ المسامع حين أَخْرَسَ أَلْسُنا
كـلُّ الوجـوهِ تغـيرتْ قَسَـماتُها | فـالحزن مـا بـين الضلـوع تـمكنا
ومضتْ يعزي بعضها بعضـاً بـه | وكأنهـا فقـدت أباهـا المؤمنـا
بكـتِ الأبـاعدُ والأقـاربُ فقـدَه | وبه استوى حزنُ البعيـد ومـن دنـى
لا غـرو أن لبـس الوجـود بموتـه | ثـوبَ الحداد وهـز أركـان الدنـى

إن المأمول من اللّه سبحانه أن يكون الملكوت الأعلى بما فيهم ملائكـة السماء قد احتفلوا بقدوم هذه النفس الطيبة إلى باريها ؛ لأن معظم أهل العلـم قد هبوا على بكرة أبيهم وقد أصابهم الذهول وخيم عليهم الحزن وفجعهم الخبر، ولكن المسلـم سـرعان مايسلـم أمره للّه ويسترجع امتثالاً لأمر اللّه، وهنا فإنه وإذا كان الكثير قـد عـبروا عـن آلامهم بالبكاء والحزن من الرجال والنساء، فإن القاعدة العريضة في محافظة البيضاء قد عبرت عن حبها العميق وتقديرها الكبير لفقيدها ومعلـمها وإمامهـا مـن خـلال ذلـك الحضور المنقطع النظير في جوامع الرباط وجوامع المدينة وجوامع كثـير مـن المنـاطق في المحافظة، وذلك للدراسة إلى روح فقيدهم رحمه اللّـه، حيـث يزدحـم النـاس في جـامع الرباط وزواياه وأروقته على مدى خمسة عشر يوماً في المسـاء والصبـاح وهـو حضـور لـم نشهد له نظير سابق، ومن جانب آخر فإن كثيراً من المتكلـمين بكلـمات الشعر والنثر قد اتفقوا على ماجبل اللّه فقيدنا من مكارم أخلاق وحب للّه وحب للدعوة إلى طريق الحق والخير والصلاح، وبذلك فإن أيام الدرس قد كانت تواصلاً لدعوة الفقيـد رحمه اللّه للحث على أخذ الزاد من التقوى والصلاح للقدرة على قيـادة سـفينة الحيـاة على بصيرة من منهج اللّه وشرعه، وهذه هي رسالة طلبـة العلـم مـن بـنـيه وتلامذتـه بعون اللّه وتوفيقه، والحقيقة فإننا تلقينا الكثير من انطباعات الناس شعراً ونـثراً ومـدى معاناتهم بعد موته، ونحن وبعد شـكرنا لهـم نسـجل ماتسمح بـه المسـاحة المخصصـة

لذلك من هذه الترجمة، نبدأها بمرثاة القاضي العلامة مطهر بن يحيى عامر[1] رئيس محكمة الاستئناف بمحافظة البيضاء:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سادتي العلماء أولاد وإخوان الحبيب فقيد الإسلام والمسلمين محمد بن عبداللّه الهدار رضي اللّه عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته مع آبائه الطيبين والشهداء والصديقين حفظكم اللّه تعالى وعافاكم، السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، وبعد فهذا مئتيسر لي نظمه في مشاركتي لكم في أحزانكم بفراق الفقيد العظيم وعفوكم من أي تقصير فيها راجياً أن يعمم اللّه قلوبكم بالصبر وأن يعظم لكم الأجر فباللّه فثقوا وإياه فارجوا المصاب من حرم الثواب عظم اللّه أجركم وجبر مصابكم وإنا للّه وإنا إليه راجعون وسبحان اللّه وبحمده سبحان اللّه العظيم وسلام اللّه عليكم ورحمته وبركاته .

في ربيع ثاني ١٤١٨ هـ

مطهر يحيى عامر

رئيس محكمة الاستئناف بمحافظة البيضاء

دمعة حزن على وفاة ولي من أولياء اللّه وهو الحبيب العلامة محمد بن عبداللّه الهدار تغمده اللّه بواسع رحمته آمين :

خطب أصاب المسلمين وأحزنا　　　وأقضَّ مضجعهم وأبكى الأعينا

---

(١) هو الثبت العالم الورع مطهر بن يحيى عامر، علامة متفنن في كثير من العلوم مع صلاح منقطع النظير، ولد في مفحق مركز الحيمة الخارجية حينما كان والده عاملاً للإمام يحيى بها، وبها نشأ وترعرع وأخذ عن كثير من العلماء، تولى كثيراً من المناصب وهو الآن عضو في المحكمة العليا بدرجة وزير، له شعر رصين ينبي عما يتحلى به من علوم ومعارف، وهو في أوائل العقد السابع من عمره مد اللّه في عمره في خير ولطف وعافية وجعل الخير باقياً فيه وفي عقبه وإيانا إلى يوم الدين .

أدمى القلوب لهول فقدان الذي ... كاد الوجودُ لفقده يهوى الفنا
أو ما ترى الدنيا بيوم وفاتِه ... وكأنها لبست حداداً معلَنا
اُنظر إلى البيضاء كيف تجمدتْ ... فيها الحياة بنعيه إذ أُعلِنا
نبأ الوفاة أثار كامنَ شجوها ... صكّ المسامع حين أخْرَسَ ألْسُنا
كلُّ الوجوهِ تغيرتْ قَسَماتُها ... فالحزن ما بين الضلوع تمكنا
ومضتْ يعزي بعضها بعضاً به ... وكأنها فقدت أباها المؤمنا
بكتِ الأباعدُ والأقاربُ فقدَه ... وبه استوى حزنُ البعيد ومن دنى
لا غرو أن لبس الوجود بموته ... ثوبَ الحداد وهز أركان الدنى
فهو الذي قطع الحياة مناجياً ... رب الوجود وداعياً مستيقنا
وهو الذي نفع العباد بعلمه ... درساً وتدريساً وتأسيس البنا
ذاك الحبيب محمدُ الهدار من ... أعطاه خالقه الولاية بيننا
واختاره قطباً لأهل زمانه ... وعليه بين الخلق قد نشر الثنا
نال الولاية حين أفنى عمره ... في طاعة اللّه المهيمن موقنا
ودعاه كل الناس قطب زمانه ... لما غدا في كل شيء محسنا
لما رأوه مجاهداً من أجلهم ... ولنفعهم نشر الهداية كالسنا
وبنا الرباط كمركزٍ متجددٍ ... يهدي إلى الأجيال نوراً بيِّنا
شرفت به البيضاء مبنىً شامخاً ... وبمن يبث العلم فيه ومن بنا
للّه من مبنىً غدا نشرُ الهدى ... ممن تلقى العلم فيه ديدنا
والأجر فيه للمؤسس دائماً ... وبذاك قد صح الحديث مدونا
حياك ياابانيه ربك دائماً ... وحباك في جنات عدن موطنا
لاقيت ربك في جوار محمد ... يوم الوفاة له غريباً موقنا
فكسبت مرتبة الشهادة مثلما ... بالقرب والقربى غدوت مطمئَنا
والإقتراب من الحبيب محببٌ ... وهو الحبيب مع المحب إذا دنا

اللّـه قـدّر حـين عشـت لقربـه ... بـالقرب مـن بيـت لـه أن تدفنـا
نلـت البشـارة في عزيـز جـواره ... حيـاً وحتـى صـرت فيـه مكفنـا
فاسـعد بماقدمتـه مـن صـالح ... يبقـى تواصلـه يضـاهي الأزمنـا
هـذا ربـاطك مثلـما خلفتـه ... ماحـاد عمـا قـد رسمـت ولا انثنـى
وبنـوك أنجمـه المنـيرة بـالهدى ... طيبتهـم ثـمراً فطـابوا في الجنـا
وحسـين في تـمثيل دورك بدرهـم ... قـد زاد فيمـا شـدته أو أحسـنا
ما مات مثلـك حـين خلـف مثلهـم ... فاهنـأ بهـم خلفـاً وطـاب لـك الهنا
والصـبر واجبهـم عليـك لأنـه ... عنـد المصائـب خـير ذخـر يقتنـى
واهنـأ برضـوان الإلـه فـإن مـن ... قـد نالـه نـال السـعادة والـمنى
والفـأل في تـاريخ موتـك قـد أتـى: ... «الخلـد للّهـدار أوعـت موطنـا»

١٤١٨ هـ

وعليـك صلـى اللّـه بعـد محمـد ... والآل مـا داعـي العبـادة أذنـا

وقد شارك الشاعر محمد بن حسن بن علوي الحداد بهذه المرثاة:

مرثاة في فقيد الإسلام والمسلمين الإمام الداعي إلى اللّه السيد محمـد بـن عبداللّه الهدار تغمده اللّه برحمته وأسكنه فسيح جناته ، آمين :

لـك البشـرىٰ قدمـتَ علـى كريـمِ ... وبـتَّ مجـاورَ الـرب الرحيـمِ
قدمـت علـى الأحبـة كـم إمـامٍ ... مـن الأسـلاف كـم حـبر عليـم
وقدمـت الكنـوز كنـوز بـرٍ ... مـن الإيمـان والخـير العميـمِ
وخلفـت المـآثر مثـمراتٍ ... مـدى الآبـاد بـالنفع الجسـيم
تلامـذة دعـاة للبرايـا ... هنـا وهنـاك كـالعقد النظيـمِ
وقـرة أعـين سـطعوا بـدوراً ... هـداة للصـراط المسـتقيم
وكـم أصـدرتَ مـن كتـبٍ وفتـوى ... وأدعيـةٍ «شـفاءٍ للسـقيمِ»

وكـم أتحفتَنـا تحفـاً غـوالٍ ... ونصحـاً باللسـان وبـالرقيمِ

ومعهـدك الأصيـل منار علـم ... تفـرع عـن ربـاط في تريـمِ

بشـارة شـيخك العـالي مقامـاً ... بـه أصبحـت ذا حـظ عظيـمِ

جـزاك اللّـه عنـا كـل خـير ... جـزاء الوالديـن عـن الفطيـمِ

نعـم للّـه قـوم يصطفيهـم ... لطاعتـه ذوو خلـق كريـمِ

عبـاد مخلصـون لهـم سـباق ... إلى الخـيرات بـالطبع السـليمِ

ومنهـم مـن بسـيرته اسـتضأنا ... هـو الهـدار ذو القـدر الفخيـمِ

إمـامٌ فـاضلٌ بـرٌ تقـيٌ ... سمـا بالعلـم والحسـب الصميـمِ

وجـاهد نفسـه حتـى اسـتقامت ... ولبـت حـين قـال لهـا اسـتقيمي

وتـوج علـمه والعلـم نـور ... بـأخلاقٍ أرق مـن النسـيم

صبـورٌ إن دجـى خطـب شـكورٌ ... علـى النعمـاء ذو قلـبٍ رحيـمِ

وصـان الوقـت عـن قيـل وقـالٍ ... وعـن لغـوٍ وعـن لهـوٍ ذميـمِ

وزيَّنـه بتعليـم وذكـرٍ ... وترتيـل لقـرآن كريـمِ

وقـور في الـزلازل ذو أنـاةٍ ... كذلـك شـيمة الرجـل الحليـمِ

وكـم في اللّـه والى مـن تقـي ... وكـم في اللّـه أبغـض مـن أثيـمِ

حميـد شمـائلٍ بِشـرٌ وبُشْـرَى ... لقـد سطعت علـى الوجه الوسـيمِ

بـه البيضـاء قـد سـعدت وفـازت ... وكـانت قبـل في جهـل عقيـمِ

فهذبهـا بتذكـير ونصـح ... وإرشـاد إلى النهـج القويـمِ

وأبدلهـا منـار الجهـل نـوراً ... يمـزق ظلـمة الليـل البهيـمِ

إلى أن أصبحـت غنـاء تزهـو ... بسـادتها ومعهدهـا الشـميمِ

فـآه كـم بقلـبي مـن شـجون ... لـما قـد حل من خطـب جسـيمِ

مضـى عنـا أب بـر شـفيق ... فواأسـفي علـى القلـب الرحيـمِ

سـألت اللّـه يسـكنه بفضـل ... ومـنٍّ منـه جنـات النعيـمِ

مع الأحبـاب في الغـرف العـوالي ... معيـة صـاحب الخلـق العظيـمِ

إليكـم يابنـي الهـدار يـامن ... لهـم ود تـمكن مـن قديـمِ

إليكـم أيهـا الأحبـاب نظمـاً ... بمسـنون العـزاء مـن الصميـمِ

علـى أن المعـزِّي والـمعزَّى ... لفقـد أب المكـارم كالسـليمِ

فعظّـم أجرَكـم ربٌّ كريـم ... وخفـف وطـأة الخطـب الأليـمِ

وسـرّ حبيبنـا الهـدار فيكـم ... سـترون المكـارم عـن كريـمِ

وتـاريخ الوفـاة حكـاه بيـت ... بحسـن الظـن هـاهو يـا نديمـي

وودّعنـا أبـاً منـا وآوى ... إلى الجنـات جنـات النعيـمِ

١٣٧ ٤ ٩١ ١٤ ٣٢ ٤٨٥ ٤٥٤ ٢٠١=١٤١٨

بـه يـارب فانفعنـا جميعـاً ... فـأنت اللّـه ذو فضـل عظيـمِ

ومـن بركاتـه فـأعد علينـا ... عوائـد ذات خـير مسـتديمِ

وصلـى ربنـا أزكـى صـلاة ... علـى مـن جـاء بـالذكر الحكيـمِ

وآل المصطفـى والصحـب طـراً ... وتـابعهم علـى النهـج القويـمِ

ومن المراثي مرثاة للشاعر أحمد عبداللّه الوهاشي:

فقيد بنـي الهدار سلسل أدمعـي ... وأضرم نار الحزن في عش أضلعي

وماذا على الأقدار لو طال عمره ... كشِيثٍ وإدريسٍ ونوحٍ ويوشـعٍ؟

وأبقتْـه فينـا نسـتدرُّ علومـه ... لننهـل منـه نهـل أطفـال رضـع

وعنـد بلـوغ المـرء منـا مقامـه ... من العلـم والفتـوى كبـدر مشعشع

غدونـا جنـوداً طـائعين لأمـره ... مدججـة بالآليـات ومدفـع

فنعلنهـا حربـاً علـى كـل حـاقدٍ ... معـادٍ لأحفـاد الشـفيع المشـفع

نجوم الهدى والعلم والجود والسـخا ... وأقمارها في الفضل مـن كـل مطلـع

أبيضـاءُ عَزِّيـني أعزيـك بالأسـى ... وعـزى بنـي الهـدار سادة مربعـي

كـرام لهـم حـق وفضـل ورفعـة … على الناس في الدنيا وفي الحشر أجمعِ

مصابك مثوى المصطفى وضريحه … وروضتـه الغنـاء أروع موضـعِ

ومهبط جبريل الأمين الذي أتى … من اللّـه بـالنور المبين المشعشعِ

إلي اللّـه فيمـا سـامني وألـم بـي … من الغم والأكدار ما قض مضجعي

بفقد الذي لولاه ما احتل سره … مكانته في الديـن في كـل مهيـعِ

وما طلعت زهـر النجـوم تـمده … بأنوارهـا وسـط الظـلام المـروعِ

وأصبح مفتونـاً وَرا كـل نـاعق … ورهـن إشـارات لإصبـع مدعـي

يسـفِّه أسـلافاً مضـوا بنفـائس … من العلـم والتقـوى طلائع خشعِ

كمـالِكِ مفـتي العالـمين بيـثرب … كـذا الحنبلـيْ والشـافعيّ المجمـعِ

وثمت مولانا ابن نعمان من حوى … من العلم مـا أوهى أقاويل خضعِ

يلي الهيتمي والعسقلاني وغيرهم … من الأمة الأخيار في كل مشرعِ

كـذا النـوويّ والغـزاليّ شـيخنا … أبي حـامد سر العلوم الـتي معي

وذاك ابن عيسى والفقيه كلاهمـا … من السادة الأطهـار من كـل ألمعي

وسـيدنا العطـاس مـولى حريضـة … وتلـميذه بـاراس نعـم المطـوعِ

ومن أمَّن الغيوار من كل مفسد … بنـور تقـاه لا بجنـد ومدفـعِ

كذا العيدروس الحبر من شاع سره … وشنَّف والرحمن ذكراه مسمعي

ومرشـدنا الحـداد قطـب زمانـه … وغوث الورى في كل هول مروّعِ

وآل بنـي الهـدار نسـل محمـد … فقيه التقـى والعلـم في أرض تبعِ

سأرثيه بالأشعار ماعشـت فالرثـا … يخفـف آلام المحـب المولـعِ

فإنْ هـولاء القوم ضلوا فمن ترى … على الحق في الآفاق يا شر لكَّعِ

عليهـم صـلاة اللّـه ثـم سـلامه … مدى الدهر مـا هلت عيون بأدمعِ

كما شارك الأستاذ سالم بن أحمد السبع بهذه المشاركة فقال:

«ربما تستطيع الكتابة في أي شيء وعن أي إنسان في الحالة العادية، لكن الإنسان في حالة حزنه بموت عزيز على نفسه يصاب بالذهول مابين الاقتناع بأنها النهاية ولا لقاء بعده في هذه الحياة مابين الأحبة نسأل الله أن يجمعنا في مستقر رحمته آمين .

هذه هي حالتي حين تلقيت نبأ وفاة أخي وصديقي السيد العلامة محمد بن عبدالله الملقب بالهدار بن شيخ رحمه الله، فعلاقتي به تمتد لأكثر من ستين سنة، فقد تزاملنا معاً في الدراسة، وكانت بداية اللقاء في سنة ١٣٥٥ هـ في مدرسة الحكومة التي كانت تسمى بالمكتب في البيضاء، وكنا متقاربين في السن ودرسنا في هذه المدرسة على يد الحاج حمود الكستبان رحمه الله، قرأنا على يديه القرآن وعلومه وبعض مبادىء الفقه.

وفي هذه المدرسة كنا زميلين وصديقين يجمعنا الحب والتعاون، ثم انتقلنا لندرس على يد القاضي محمد حسين الهيثمي الفقه والنحو والحديث رحمه الله، وظلت هذه الفترة حتى سنة ١٣٥٨ هـ وفي هذه السنة رحل السيد محمد الهدار والسيد محسن الهدار لمواصلة العلم في حضرموت.

وانتقلت أنا إلى عدن للاستعداد لمواصلة العلم في مصر إلا أن ظروف الحرب العالمية الثانية حالت دون سفري، ومكث السيد محمد الهدار والسيد محسن الهدار في حضرموت حتى سنة ١٣٦٢ هـ وفي هذه السنة عاد إلى البيضاء حيث أسس السيد محمد مدرسة في مسقط رأسه قرية عزة في البيضاء، وأسس السيد محسن الهدار مدرسة في مدينة البيضاء، وكانت المدرستان عبارة عن كتابين يدرس فيهما القرآن الكريم وبعض علوم الدين والفقه.

وبعدها بمدة يسيرة سعى السيد محمد الهدار إلى تأسيس رباط للعلم في مدينة البيضاء على شاكلة رباط تريم، وبجهوده المباركة وفقه الله إلى تأسيس الرباط، وقد قصد الرباط طلبة العلم من مختلف المناطق الجنوبية والشمالية، وكان الإقبال عليه كثيراً حتى إنه قصده طلبة علم من بلدان أخرى وخاصة من أفريقيا وأندونوسيا لدراسة العلم ، وكان للرباط تأثير كبير في تغيير الأوضاع الاجتماعية وخاصة في جنوب اليمن قبل الاستقلال .

وكان السيد محمد الهدار من الشخصيات التي جمعت بين الثقافة الدينية والثقافة الأدبية، وكان رجلاً عابداً محباً للخير وفياً في علاقاته الاجتماعية لطيف المعشر، محبوباً في جلساته محباً للجمال في كل شيء من حوله، ومن الذكريات الجميلة التي ربطتني به في فترة الدراسة أننا كنا زميلين متنافسين في العلم وكان التنافس بيننا شديداً لكنه كان تنافساً شريفاً عنوانه الحب وطريقه التعاون ، فكنا متلازمين لا نفترق أبداً حتى في الليل وكنا نستغل الوقت في القراءة ، فقرأنا معاً « الألفية » لابن مالك و« ملحة الإعراب » للحريري، و«شرح متممة الآجُرُّومِيّة» ، وحفظنا متوناً في الفقه مثل متن « الزبد » لابن رسلان، و«الجوهرة» في التوحيد، ومتن «السفينة» ، وقرأنا كتباً عدة في الفقه واللغة والأدب، ليس الآن مجال ذكرها.

وكنا نداوم على القراءة في أي مكان نتواجد فيه، ومن أكثر الأماكن التي كنا نترددها باستمرار مسجد عمر ومسجد القاضي وفي منزل القاضي محمد بن حسين الهيثمي وفي منزلي، وكنا لا نفترق أبداً أثناء تواجده في البيضاء.

وكان رحمه الله شغوفاً بالتعبد حتى إنه أجهد نفسه من كثرة العبادة فأشفقنا عليه وذكرناه بالحديث الشريف: «إن لنفسك عليك حقا» ولكنه يرى متعته وراحة نفسه في العبادة فيزيد من إجهاد نفسه في ذلك، وكان رحمه الله فضلاً عن ورعه وزهده

وشغفه في العبادة يحب الأدب والشعر، وكان شاعره المفضل المتنبي ، وكان يحفظ معظم أشعاره ويتمثل دائماً ببيته المشهور:

ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ

وكنا نعقد جلسات أدبية في الليل نتبادل فيها الأشعار على شكل مناظرات شعرية في مختلف الموضوعات الاجتماعية ، وللأسف لم نكن ندونها لعدم اهتمامنا بالتدوين في ذلك الوقت.

وكنا نتوقع أن يسطع نجم السيد محمد الهدار في الشعر والأدب لما كان يتمتع به من حافظة أدبية وذوق فني رفيع ونفس شعري متميز؛ لكن شغفه الشديد باللّه وإخلاصه للعبادة صرفه عن الشعر إلى الاهتمام بأمور الدين، فكان نبراساً في الرباط يتخرج على يديه المئات من الطلبة .

ولم يكن ممن تلهيهم الحياة عن أصدقائهم، فقد كان من أوفى الأصدقاء بالنسبة لي فوقف معي في السجن حين تخلى عني الناس وذلك في عام ١٣٧٦ هـ، حينما سجنت في تلك الفترة، فقد داوم على زيارتي وحاول بكل جهده التخفيف من معاناتي وعقد صلات عديدة مع المسؤولين في سبيل إطلاق سراحي.

كان رحمه اللّه محبوباً في كل الأوساط وكانت له مكانته لدى علماء حضرموت ولدى سلاطين الجنوب في تلك الفترة لما يتمتع به من علم وأدبٍ وأخلاقٍ . وظل صديقاً وفياً رغم كثرة مسئولياته وتعدد مشاغله، وظلت علاقاتنا قوية حتى رحل إلى مكة للعلاج بعد أن اطمأن إلى الولد الصالح حسين بن محمد الهدار ليخلفه في تحمل تلك المسؤوليات في الرباط.

ولقد وجد في مكة المكرمة ضالته التي وافقت حبه الشديد للّه وشغفه بعبادته ففضل البقاء فيها ، حتى اختاره اللّه إلى جواره ليدفن بجوار بيته العظيم في تاريخ ٨

ربيع الثاني ١٤١٨ هـ ، رحم اللّه السيد محمد الهدار رحمة الأبرار وأسكنه فسيح جناته مع الأنبياء والشهداء والأخيار .

سالم أحمد السبع
٤ جمادى الأول ١٤١٨ هـ
الموافق ١١/٩/١٩٩٧م

كما رثاه بهذه القصيدة فقال:

دمعة حراء على فقيد الكتاب والسنة مفتي محافظة البيضاء العلامة الحجة محمد بن عبداللّه الهدار العلوي الحسيني رحمه اللّه رحمة الأبرار:

لا أرى داعياً للوم المنايا	إن هي استهدفت نفوس البرايا
ليس نقد القضاء واللوم للمو	تِ على مستواك أو مستوايا
كلنا عرضة لدنيا المآسي	للأذى للشقا لكل البلايا
كل حيٍ يموت واللّه باقٍ	يعلم السر وحده والخفايا
يحصد الموت كل حي على الأر	ضِ ولا نستطيع حصر الضحايا
فاتقوا اللّه واستعدوا ليوم	فيه تأتونه حفاة عرايا
أَزِفَتْ ساعة الخلاص وحانت	ساعة الصفر فاسمعوا يا بقايا
نبأ راعني فهز كياني	فيه خارت عزيمتي وقوايا
عبر موج الأثير جاء به البر	قُ وألقاه مسمعي في الحنايا
ذكرتني وفاة عالمنا الهـ	ـدار أوصافه وحسن السجايا
فالفقيد العزيز خير صديق	في شبابي عرفته وصبايا

منـذ فجـر الشـباب كنـا زميليــ	ـــنِ حفظنـا المتـون عـبر الزوايـا
كـم قرأنـا قواعـد الفقـه والنحــ	ـو وكـم غـير ذا حفظنـا وصايـا
كنت في حـالك الظـروف فخـوراً	بصديــق وجــدت فيــه منايــا
مــا تَخَلّـى ولا تَنَكَّــر للــو	دِّ ولا مــلَّ صحبــتي في الرزايــا
أنــا أعددتُــه الصديـــق المُخَبّــا	وكمــا قيــل في الزوايــا خبايــا
كنــت مسـتهدفاً بزنزانـة السجــ	ـانِ ليـس بهـا سـجينٌ سـوايا
زارنـي خلسـة وقـدم بعـض الــ	ـمـال واللّــه عالــم بالنوايــا
قـال لي لا تخـف سـأبذل جهـدي	وعلـى اللّـه حـل كـل القضايـا
أيهـا العالــم الجليـل الـذي ولــ	ــى وأبقـــى مــآثراً ومزايـــا
أيهـا المبتلـى الـذي أتلـف الـدا	ءُ شـــرايينه وأبلـــى الخلايــا
ذكــرك الخــالد الجميــل ينادينــ	ــني وليــت المنـى تلـبي ندايـا
فأســوغ العــزاء شـعراً جميـــلاً	في فقيــد هـــواه طبــق هوايــا
فــإلى روحــك الزكيــة أهـــدي	كلـمات الثنـا وأزكـى التحايـا
وإلى الأســرة الكريمـة أهـــدي	عـــبر تعزيـــتي أعـــز الهدايــا
أملـــي أن أرى محمـــداً الهــــ	ـــدارَ في نسـله سـلوكاً ورايـا
وأرى للكتــاب والســنة الغــــ	ـــراء في ســاحة الربــاط ســرايا
ووجــوه تشـع علـــماً ونـــوراً	أبــداً لا تحــوم حــول الدنايــا
أيهـا الغـافل المصـر علـى اللّهــ	ـوِ علـى الإثـم واكتسـاب الخطايـا
وطـأةُ الحمـل فـوق ظهـرك جـارت	خفـف الحمـل كـي تسـير المطايـا

ومن المراثي مرثاة في فقيد الإسلام الحبيب محمد الهدار من نظم الأستاذ الكبير حامد بن الحبيب أحمد مشهور الحداد:

نجم هوى بل طود علم قد طوتـ ... ـهُ يد المنون فيالها من فاجعةْ
أدمت قلوباً قد تملكها الذهو ... لُ ورُوعت منها النفوس الخاشعةْ
واستوحشت من فقده دور العلو ... م فيالهول مصابها من قارعةْ
فجعت بها البيضا وما البيضاءُ إ ... لاّ واحة هي للمعارف جامعةْ
ورباطها قد لفه ثوب الأسى ... حزناً على كنز العلوم النافعةْ
ياللمصاب ويالرزءٍ حل بالـ ... ـيمن السعيد ويالتلك الواقعةْ
يبكيه في طول البلاد وعرضها ... رواد منهل ورده متتابعةْ
ومحافل العلم التي ما أمها ... إلا وأبدت نبله وتواضعةْ
توري صدى تاريخه وجهاده ... وكفاحه مثل الشموس الساطعةْ
شهدت له أقواله وفعاله ... وروت لنا عزماته المتتابعةْ
بأجل ما أداه من خدمات أسدا ... ها لكي تحيي الجهود الضائعةْ
في أمة لعبت بها أيدي سبأ ... فسبا حجاها الجهل وهي الخاضعةْ
للظلم والطغيان لم يخشَ مُنا ... زلة الطغاة ولا الذئاب الجائعةْ
ودعى إلى هدي الكتاب وسنة الـ ... ـهادي وما تلك القطوف اليانعةْ
إلا مواعظه وهذي كتبه ... لما غدت بين الخلائق شائعةْ
أحيت موات قلوبهم وتفتقت ... أذهانهم لترى المحجة ناصعةْ
تلك التي تروي لنا الأخبار أصـ ... ـدق ما تكون بها الحقيقة قاطعةْ
حتى إذا حان المسير وأقبلت ... رسل المنون ولات حين مراجعةْ
لبى النداء ليمض في ركب الأولى ... مُنْضَمَّ في حلقاتها المتتابعةْ
فبكته مكة والحطيم وزمزم ... وبكته طيبة والبلاد الشاسعةْ

من بعد أن ظلت تناوشه السقا ... م ونفسه لقضا المهيمن طائعةْ

تخذتْ من الصبر الجميل شعارها ... واللّه يجزيها بما هي صانعةْ

وغدا الحجون مقره ومحطه ... لمسيره نحو الجنان الواسعةْ

وهي الجزاء لكل من سبقت له ... لم يفتتن فيها بدنيا خادعةْ

صبراً بني الهدار إن مصابكم ... أنكا الجراح ويالعظم الفاجعةْ

لم يستطع عنها الفرار متى دنت ... وأتى الحمام ليسترد ودائعهْ

مهلاً أبا الأشبال إنك لم تزل ... ما بيننا حياً برغم الفاجعةْ

أيموت من ترك المعارف بعده ... فتُخالها في كل صقع ذائعةْ

ولأجلكم هذِ الوفود تتابعت ... مدهوشة بحشودها المتدافعةْ

جاءت تعبر عن أساها بعدما ... سمعت من الأنباء ماهي سامعةْ

وعزاؤها في عظم رزئك أن ترى ... سحب الرضى بمحيط قبرك هامعةْ

ومنها قصيدة رثاء في الحبيب محمد بن عبداللّه الهدار للشاعر أبي نبهان محمد بن عبداللّه دغلس بتاريخ ٨ ربيع الآخر ١٤١٨ هـ:

عيوني بكت حزناً على سيدٍ وأبْ ... وكل محب ناح في الأرض وانتحبْ

وسحت دموع العين سحاً ولم ... تسح وتجري من معين وما نضبْ

أينضب دمع العين والحب والهوى ... به صار يجري في الشرايين والعصبْ

أينضب دمع العين والبدر قد هوى ... إلى الأرض والنور العظيم قد احتجبْ

أينضب دمع العين والحب في الحشا ... يؤججه الشوق الذي أجَّ والتهبْ

أنا لست أدري كيف أرثي حبيبنا ... فقد هدَّ أعضاء المفاصل والركبْ

فلم يبق بي جهد ولم تبق طاقة ... لأكتب فيه مثل غيري إذا كتبْ

فكم قد رثاه شاعر متمكن ... خبير بأحوال البلاغة والأدبْ

وكم من فصيح صار أخرس بعده ... وكم قلم نحو القريض قد اشرأبْ

وكم منبر يبكي عليه وواعظ … تعلم منه العلم والوعظ والخطبْ
تحيرت الأقلام والشعر والأدب … وأنّت وحنّت ثم كلت من التعبْ
وقد عجزت عجزاً بليغاً وظاهراً … ولا لوم في هذا عليها ولا عتبْ
بأن تصف الهدار نبراسنا الذي … له نسب لا يمتطي فوقه نسبْ
له نسب بالمصطفى وقرابة … وسر وعلم باطنيٌّ قد احتجبْ
فلم تعرفوا منه سوى مابدا لكم … مشاهدة والغيب من أعجب العجبْ
دعوني أصفه وصف من كان عنده … بمنزلة الإبن المحب الذي أحبْ
ولياً وقطباً قد رقى في معارج الـ … ـمقامات حتى نال من ربه الرتبْ
ورتبته معروفة عند من لهم … عيون ترى بالواحد الفرد عن كثبْ
أقام رباط العلم في فترة مضت … فخارت عروش الظلم والباطلُ اضطربْ
وتلك لعمري فترة كان عصرها … كعصر أبي جهل وعصر أبي لهبْ
فقد كان جل الناس لا يعرفون ما … عليهم ومالله في دينهم وجبْ
وكان الرجال والنساء جميعهم … يبيتون طول الليل في اللهو والطربْ
ولازال حتى اليوم بالعلم قائماً … وكل العلوم النافعات به تصبْ
وكم طالب قد جاءه وهو جاهل … فأصبح شيخاً بعد أن نال ماطلبْ
وذلك فضل الله والفضل بعده … لمن شاد مبناه وكان هو السببْ
بنفسي أفدي سيداً ليس مثله … يرى مطلقاً في سائر العجم والعربْ
بنفسي وجهاً نيراً ظل ساجداً … على جبهة تخشى من اللوم والعتبْ
بنفسي ظهراً ظل لله راكعاً … على الرغم مما كان يحمل من وصبْ
بنفسي أفدي جبة وعمامة … وجسماً نظيفاً طاهر القلب منذ شبْ
بنفسي أفدي لحية هاشمية … بها ترفع البلوى بها تكشف الكربْ
بنفسي أفديه وأفدي رباطه … وأولاده الغر الكرام ذوي الحسبْ
لهم ماله في كل قلب معلق … به مطلقاً والله يلعن من كذبْ

ومــاالحب إلا أن تحـب حبيـب مــن تحب وإلا لـم تكـن مـع مـن أحـبْ
ومـن ذا يعــاديهم ويجهـل قدرهــم وقيمتهـــم إلا ســـفيه بـــلا أدبْ
إذا كان قد غاب الحبيب ولـم يعـد فحب بـنيه صار من أفضل القـربْ
إلى اللّــه والإنســانُ لا بــد راحــل إلى اللّه فليحـذر حسـاباً قـد اقـتربْ
وصلـــى إلهـــي بكـــرة وعشـــية على المصطفى الهادي على صفوة العربْ
على من عليه اللّـه صلى ولـم يـزل يصلي على من ذكره يبعث الطـربْ
ويبعــث فينــا الأريحيــة سـيد الـــ ـوجود الذي لـم يبق لي غيره أربْ
وآل النـبي المصطفـى أهــل بيتــه وأصحابه من حققـوا أفضـل الصحـبْ

ومنها مرثاة للسيد عبدالرحمن بن عبداللّه محمد الأهدل:

لك الحمد يـامولاي في كـل فاجعة وإن عظـم الخطـب الجليـل وخيمــا
وأزكى صلاة اللّه بالـــمسك فائحـة على خير مـن للنـاس جـاء معلـــما
إلهي مصــاب الجمع أحدث ضجـة بموت فقيـد العلـم والكـون أظلـما
أخفف حزنـي لكـنِ الخطـبُ فـادح وأمسح دمعي لكن الدمـع قـد همـا
أخاطبهـــا يـــانفس هـــذا محتـــم ولامهربــاً للنفـــس ممـــا تحتــــما
وأهمس في قلبي حنـانيكِ مهجـــتي رويـداك لي جـرحٌ وفي الصـدر آلمــا
فصاحَ جميعُ الجسم: ويحك صــاحبي لقد مات مـولى العلـم فـارتجت السـما
محمـــد الهـــدار والكــــل شـــاهد لشيخ جليـل القـدر للنــاس علـــما
لقـــد غــادر الدنيـا الدنيـة راحــلاً بـه المـوت للشعب اليمـاني أيتـــما
بكته طروس الكتب حتـى تخضبـت فـوا أسـفي مـالي أرى دمعهــا دمــا
وأصبحـت الأقـلام مـن بعـد فقــده تنــادي رعـــاك اللّــه ياسـيداً سمــا
فمـن لي بمـن يعطـي لخطـي حقوقــه ينفـذ بـه حكمـاً لـه الغـرب حرمــا
هو الشيخ ذو الإلـمام بالشرع جملـة كذلـك تفصيــلاً وللجهــل أفحمــا

وتلك تريم العلم تشهد أنه ... لحضرة أهل العلم حقاً تقدما

وجالس أهل العلم فيها برغبة ... بصدق وإخلاص فما خاب مغنما

تلقى علوماً في زمان تثبطت ... عزائم أهل العصر والجهل عمما

ورابط من أجل الإله بنية ... ومن يلزم الإخلاص حاشاه يندما

وحقق ما يرجو من العلم حظه ... وأصبح في الآفاق بدراً متمما

وأضحى حبيب القوم بالعلم زاخراً ... هو البحر والغواص في الساحل ارتمى

فقيل له أهلاً توغلت بطنه ... فقال وجدت البحرصعباً ومحكما

ولكنني ماخبت إذ جئت طالباً ... فجاد بإحسانٍ عليَّ وأكرما

جواهر في بحر العلوم كوامن ... فأين الذي ضحى وللعلم أسهما

فما كل شخص يحسب الدر صدفة ... يجده على شط القمام مكوما

ولكنما الغواص يعرف قدره ... فيقتحم البحر العظيم الذي طما

وماكل غواص أردت وإنما ... أردت ذكي العقل من فهمه نما

فيظفر ذو الإخلاص بالحظ دائماً ... وأما عديم الصدق ينتابه الظما

نعم هكذا الهدار قد كان سادتي ... له الشرق بل والغرب في العلم سلما

ومانام شيخ العلم في قعر داره ... ولكنه للعلم أعطى وقدما

وصار على نهج الهداة مثابراً ... أتى قائداً للحق جيشاً عرمرما

ولما انتضى سيفاً على البغي مصلتاً ... أباد به ظلما ظلوماً وهدما

وصار على خيل الشريعة قائلاً ... هو الحق للأعداء أفنى وأرغما

فأمسى وفي عدنٍ أناخ ركابه ... فقالوا جراح القوم ترجوك بلسما

لقد كثر الفساق في رحب أرضنا ... فآه لشمل القوم لما تقسما

تدفق سيل كالجراد وكلهم ... يريدون فصم الحبل والله الهما

رجالاً من العلماء والشيخ منهم ... فأنعم به شيخاً إليهم قد انتمى

فهبوا لإبطال الضلال وجاهدوا ... بهم خالق الأكوان للظلم ألقما

وشن دعاة الحزب جُل اعتقالهم ... فلم نر شيخ العلم خوفاً تلعثما
وسلم للرحمن فيما أصابه ... عسى فرج يأتي من اللّه عندما
يضيق عليك الأمر يأتيك حله ... فأكرم بتيسير به اللّه أنعما
فأطلق من ظلم السجون وجورها ... وخلصه الرحمن مما تقدما
وحل بأمنٍ في البلاد مرابطاً ... وفي ساحة البيضاء حلَّ معلما
ومن بعد هذا الأمر سافر شيخنا ... إلى مكة دار المكارم حسبما
أتته من الباري إشارات رحلة ... إلى بيت رب الخلق صار وأحرما
وشاء له الجبار مكثاً بساحة ... لها شرف الرحمن حقاً وعظما
وأسس شيخ العلم فيها رباطه ... فأنشأ طلاباً وللدرب قوما
فجاءته أفواج من الناس قصدهم ... مشارب صفو تذهب الجهل والعمى
فقال لهم أهلاً بطلاب علمنا ... فما أحسن الهدار لما تكلما
حياة قضاها خادمٌ شرعَ ربه ... ومن خدم الرحمن لاشك يخدما
وفي الواحة البيضاء خلف سادة ... بنوه رجال العلم لن يدهم الحمى
فأكرم بأهل العلم أولاد شيخنا ... حسين أمير العقد من جوهر سما
فأعظم بهم خلف لأكرم عالم ... ومن لي كأولاد الحبيب وقلما
لئن مت ياهدار فالذكر خالد ... به الطير في جو السماء ترنما
فنم مستريح البال ياخير راحل ... فما أكرم الرحمن ربي وأحلما
عليك رياض مغدقات تهاطلت ... أيارب فلتجزيه فضلاً ومغنما
أيا سادتي إن يعظم الخطب بيننا ... فربي بشيخ العلم أعطى وتمما
قصدت حسين العلم شيخ مبجل ... لَكَم واصل الأوقات للعلم أسهما
تحمل أهوالاً صعاباً فماونى ... وأسس دار العلم للجهل حطما
لكم كابد المذكور أثقال محنة ... ولكنه بالصبر أمضى وصمما
وأنشا في أرض السعيدة جنة ... حوت في صنوف العلم هيا لنطعما

فللّـه مـاأحلى القطـوف بأرضهـا ... لنجـني ثـمار العلـم سـيروا لنكرمـا

فحفوا رجال الخير بالشيخ وابذلوا ... ليحيى منـار العلـم فينـا ويسلـما

تعودتـم الإحسـان مـاأحسـن العطـا ... إذا كان في الطاعات يعلـو بـه النما

أيـاراحم الأمـوات ارحـم فقيدنـا ... وحقـق لـه في الـدار فـوزاً ومقدمـا

وأنعشـه بالإنعـام والفضـل سـيدي ... وأسكنه في الفردوس ياخالق السما

طويـل بحـور الشـعر ألقيتـه لكـم ... وأسـأل رب العـرش حسـناً ومختـما

فعولـن مفـاعيلن فعولـن مفـاعل ... أطـل سـيدي عمـر الكـرام وأكرمـا

وفي الختـم صلـى اللّـه ماشـن مـاطر ... علـى سـيد الأكـوان طـه وسلـما

وآل وأصحـاب ومـن سـار سـيرهم ... ومـابلبل الأشـعار للقـول رقَّمـا

ومنها:

هذه المرثية في قطب الزمان وبحر العرفان سيدي محمد بن عبداللّه الهدار رحمه اللّه نظم محمد عبد اللّه دغلس ٩ ربيع الثاني ١٤١٨ هـ:

يـاَلَخَطْبٍ هـدَّ الجبـال القويـةْ ... والصخـور الثقيلـة الجبليـةْ

زعـزع الكـون كلـه فـإذا بالـ ... ـكـون يبـدو في صـورة بشـريةْ

مِلْـؤُهُ الحـزنُ والـمدامعُ تجـري ... فـوق خـدي وخـده بالسـويةْ

عينَ ابكـي علـى الـذي قـد تـوارى ... عـن عيونـي وأعـين البشـريةْ

وفـراق الحبيـب أصعـب عنـدي ... مـن فراقـي حياتَنـا الدنيويـةْ

إنمـا اللّـه قـد قضـى فلـه الحمـ ... ـدُ ولا يسـتطيع دفـع المنيـةْ

أحـدٌ فـاحذروا هجـوم المنايـا ... فالـمنايا نتيجـةٌ حتـميةْ

غـاب عنـا الحبيـب واللّـه راضٍ ... عنـه قطعـاً ونفسـه مرضيـةْ

هـو عِـزّ الهـدى محمـدٍ الهـ ... ـدارُ تـاج السـلالة النبويـةْ

فهنيئـاً لـه الجنـان اللواتـي ... زُينـت والسـعادة الأبديـةْ

هـو بحـر مـن العلـوم اللواتـي فجرتهـا طاقاتـه الروحيـةْ
هـو صـرح مشـيد ورفيـع شـيدته سـاداتنا العلويـةْ
علـم شـامخ وصـرح منيـف عـاش فينـا معلـماً للبريـةْ
قـد أقـام الربـاطَ والنـاسُ عمـيٌ فـأزاح الضلالـة الجاهليـةْ
وتلاميـذه تلقـوا علومـاً ودروسـاً في النحـو والعربيـةْ
والبخـاريْ ومسلـمٌ درسـوه وعلـوم المسـائل الفرضيـةْ
كـم خطيـب علـى المنابر منهم يرشـد النـاس بكـرة وعشـيةْ
خـدم العلـم دهـره مـاتوانى فلـه السـبق بـل لـه الأسـبقيةْ
قـد بكـاه الربـاط والعلـم دومـاً وكـذاك الموالـد السـنويةْ
نبـأ فـادح وخطـب جليـلٌ ومصـابٌ كـوى القلـوب الزكيـةْ
رَزْؤُهُ عَـمّ شـعبنا وصـداه طـم في كـل أرضنـا اليمنيـةْ
قـد بكتـه البيضـاء والأرض مزنـا وبكتـه مشـارف العامريـةْ
وبكـاه كـلّ المحبـين حتـى بللـت قـبره الدمـوع السـخيةْ
وتريـم العلـوم تبكـي عليـه والديـار النائيّـة الحضرميـةْ
عينيَ ابكي علـى الـذي كـان ذخـراً ومـلاذاً لدفـع كـل بليـةْ
بحـر جـود فكـم لـه مـن عطايـا وهبـات كبـيرة وسـخيةْ
غـوث كـرب إذا دعـاه محـب مسـتجير لحـل أي قضيـةْ
قـال لبيـك مسـرعاً فـإذا بالـ ـحـل يـأتي مـع جزيـل العطيـةْ
كان يعطي عطاء من ليس يخشى الـ ـفقـر كـانت حياتـه روحيـةْ
كـان في الليـل قائمـاً لا ينـام الـ ـليـل حبـاً في الحضـرة القدسـية
كـان يبكـي خوفـاً مـن اللّـه حتـى بلـل الدمـعُ لحيـةً هاشميـة
كـان يعفـو عمـن أسـاء إليـه بـل يـراه قريبـه وصفيـةْ
كـان ممـن يـرى لكـلٍّ مقامـا يتجلـى ولـو بشـكل الهديـةْ

كـان دومـاً يـزور أي مريـض ... كـان ينأى عـن الحيـاة الدنيـةْ

كـان يدعـو إلى اجتنـاب الملاهـي ... فالـملاهي تلهـي عـن الأخرويـةْ

كـان دومـاً يسـير سـيراً حثيثـاً ... نحـو سـكناه في الجنـان العليـةْ

رحـم اللّـه كـل قلـبٍ محـبٍّ ... وأخـص البنـينَ والذريـةْ

وكـذا الأسـرة الكريمـة والأهـ ... ـلَ جميعاً وكـل أهـل العنيـةْ

وعلـى رأسـها الحسـين وإبـرا ... هيـمُ والأخُّ طـاهرٌ والبقيـةْ

مـن بنـيه ومـن أحـب بنـيه ... وذويـه فقـد أحـب نبيـهْ

وأعـزي الحبيـب أحمـد فيمـن ... نـال مـن ربـه الحيـاة الهنيـةْ

حبهـم واجـب علينـا جميعـاً ... فلدينـا مـن الحبيـب وصيـةْ

وهـي أحـرى بـأن تنفـذ هيـا ... نفذوهـا بكـل عـزم ونيـةْ

وعليـه مـن الإلـه سـلام ... مستـمر وألـف ألـف تحيـةْ

وصـلاة علـى النـبي التهـامي ... سـيد الرسـل مـن لـه الأفضليـةْ

ومنها:

قلت هذه الأبيات رثاءً في فقيد الأمة الإسلامية الإمام العالم العلامة العارف باللّه سيدي وشيخي الوالد المغفور له محمد بن عبداللّه الهدار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وقد ألقيتها في حفل الختم الذي أقيم بمكة المكرمة وذلك بتاريخ ١٤١٨/٤/١١ هـ .

محمد بن سالم خرد

لـو يعيـد البكـاء مـن قـد فقدنـا ... لبكينـاه بكـرة وأصيـلا

فجرينـا الدمـوع وهـي غـوال ... بسـخاء كالـمزن تجـري سـيولا

لكـنِ المـوت سـنةُ اللّـه يجريـ ... ـهـا علـى خلقـه فـلا تبديـلا

غـير أن المصـاب يعظـم حزنـا ... إن فقدنـا حـبراً وشـيخاً جليـلا

كالإمـام الهـدار علـماً وحلـماً ... وتقـىً وسـخا وخلقـاً جميـلا

نهل العلم في رباط تريم ... فغدا فوق رأسه إكليلا
وسقته الغناء من مائها العـ ... ـذب كؤوساً من عينها سلسبيلا
شيخه الشاطري أرسى له الـ ... ـساس فجاء البناء صرحاً جميلا
فانبرى يتشر العلوم بجد ... واجتهاد لا يعرف المستحيلا
ليس من يحمل السلاح شجاعاً ... لا وكل الرجال ليسوا فحولا
قاتل الظلم والفساد بإيما ... نٍ قوي فالصبر كان ثقيلا
وتربى على يديه شباب ... شربوا منه كأسه المعسولا
نسأل اللّه أن نراهم قريباً ... ينشرون العلوم عرضاً وطولا
فأخال البيضا وقد لفها ثو ... بُ حداد تهز جسما عليلا
كيف لا والفقيد قرة عين ... قد تباهت به زماناً طويلا
ربنا اخلفه في بنيه وبارك ... سعيهم واهدهم إليك سبيلا
بارِكِ اللّهُ في الحسين وفي إخـ ... ـوانه كن لهم ولياً كفيلا
واجْزِ عنا الفقيد خير جزاء ... يتبوا أعلى الجنان حلولا
مع أجداده الكرام أخص الـ ... ـشيخَ والمرتضى علي والبتولا
وعليه الصلاة من بعد طه ... تتغشاه بكرة وأصيلا

ومنها:

الحمد للّه على كل حال من الأحوال، ونصلي ونسلم على بدر الكمال ، والمنقذ من الضلال ، وشفيع المثال ، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان على ممر الزمان، وبتاريخ الاثنين الثامن من ربيع الثاني عام ١٤١٨ هـ فقد تلقينا نبأ وفاة من قدس اللّه روحه إلى جنة الفردوس ، واختاره لجواره ، الحبيب المنيب الأريب المجمع على فضله وعلمه المغفور له حبيبنا محمد الهدار المتوفى بمكة المكرمة رحمه اللّه وأعلى درجاته وضاعف في حسناته ، وأخلفه على الجميع وأولاده وكل عائلته وطلبته ومحبيه

وأنصاره ، والـمتصلين به وعلينا وعلى جميع المسلـمين بالخلف الصالح، وإنـا للّـه وإنـا إليه راجعون، وهذه الدنيا سبيل وكل منها على رحيل جيـل بعـد جيـل، ونسـأل اللّه الثبات والاستعداد لهذا الأمر المحتوم في اليوم المعلوم ، وقد كان لنـا الاتصـال بـالحبيب محمد من زمن الصغر وبعد وفاة الوالد حتى إننا نحضر معه في آخر الليل بمسجد النـور للحبيب الحسين وجبانة عينات وحول ضريح الشيخ أبي بكر بن سالـم رضي اللّه عنه على أذكار وتوجهات للـمولى تعالى، ولهذا فقد تأثرنا بموته كثـيراً وجـاد فكرنـا بهـذه الأبيات الرثائية عزاءاً وتأبيناً نثبتها للتاريخ والذكرى وأعظم اللّه الأجر وأحسن العـزاء وغفر للحبيب محمد الهدار ولاحول ولاقوة إلا باللّه العلي العظيم .

أبوبكر بن عمر الهدار

عينات – حضرموت

نبـأٌ أثـار مـن الأسـى أكـداري ... والدمـع منهمـلٌ غزيـر جـاري

والقلـب مضطرب وأمر اللّـه محـ ... ـتومٌ علـى كـل الخلائـق جـاري

دنيا ابسمي أو فاعبسي فلكـم نـرى ... ماسـاء فيـك قصـيرة الأعمـارِ

والـموت نقـادٌ ويـأخذ مـاغلا ... مـن صـالحيّ النـاس والأخيـارِ

والعلـم يذهـب عندمـا ذهـب اهلـه ... فصدورهـم موسـوعة الأسـفارِ

والراحـل العلامـة الفـذ الإمـا ... مُ المعتلـي في قمـة الأسـرارِ

أخذ العلـوم عـن الأكـابر كـابراً ... عـن كـابرٍ للـمصطفى المختـارِ

مثـل الإمـام الشـاطريّ وغـيره ... سـادوا بنـور العلـم كالأقمـارِ

ذهـب الغيـور المقتـدى بفعالـه ... في نفعـه شمـس وبـدر سـاري

علـماً وأعمـالاً وأخلاقـاً وكـ ... ـل تواضـعٍ وشمـائل الأبـرارِ

إنـي عرفـتُ صفاتـه قِدمـاً لـه ... قـدم العبـادة في دجـى الأسـحارِ

ومعلـماً للنـاس في بـدوٍ وحضـ ... ـرٍ في إقامتـه وفي الأسـفارِ

يدعو إلى المولى بنية مخلص ... لإلهه في السر والإجهارِ
وله المحاسن والمكارم والمعا ... رف دونت ويجود عن إيثارِ
سل عنه آثاراً مخلدة ستنـ ... ـبيء هذه الآثار عن إكبارِ
تاريخه لا شك يشهد بالوفا ... ء به بكل تجلة وفخارِ
اللّه أكبر يا إماماً غير الـ ... ـمأموم في الإيراد والإصدار
إنا نودع فيك كل فضيلة ... ومجادة وجلالة المقدارِ
إنا نودع شخصك المولى على ... عفو ومغفرة مع استبشارِ
بعد اختتام العمر في أم القرى ... نفعاً جوار البيت خير جوارِ
ولك التوجه نحو طيبة دائماً ... بخيار خير خيار خير خيارِ
فقد انتقلت على رضى المولى من الـ ... ـدنيا إلى الجنات والأنهارِ
في جنة الفردوس تنعم دائماً ... أبداً بلا سقم ولا أضرارِ
جار الرسول وبنته وخديجة الـ ... ـكبرى وأهل البيت والكرارِ
جار الفقيه كذا وسقاف العلا ... والعيدروس الغوث والمحضارِ
جار الإمام القطب يا فخر الوجـ ... ـود وأهل عينات إلى بشار
فرحاً ومسرورا فخوراً بالذي ... أبقيت من تحف ومن آثارِ
ببنيك من سلكوا طريقتكم على ... نهج التقى والعلم خير منارِ
وحسيننا القيدوم وهو خليفة ... لك ذكره قد شاع في الأقطارِ
إني لهم قدمت تعزيتي لكـ ... ـل ذويك والأصحاب والأنصارِ
والطالبين بمعهد ولكل ذي ... قربى وعائلة لكم أو جارِ
وحبيبنا الزين السميط وصاحب ... النظرات والأسرار والأنوارِ
وحبيبنا عمر رقى رتباً سمت ... قد طاب مشربه من الهدارِ
راجي لهم حسن العزاء على المصا ... ب كذا جميل الصبر للأقدار
وصلاة ربي والسلام مُكَرَّرَيـ ... ـنِ على النبيّ وصفو آل نزارِ

طه شفيع الناس طراً يوم تبـ ـعث في قيامتها لدى الجبار
وعلى جميع الآل والأصحاب والـ ـمتبعين بسائر الأعصارِ
يارب واسكب رحمة الجود على جدث الفقيد بفضلك المدرارِ
واخلفه في أولاده جمعاً وكـ ـل ذويه بالبركات والإيسار
واصلح جميع المسلمين وكن لهم عوناً وخَذّل سائر الكفارِ

ومنها:

هذه القصيدة قالها طه بن حسن بن عبدالرحمن السقاف رثاء في فقيد الإسلام والمسلمين الإمام الكبير الداعي إلى الله تعالى الحبيب محمد بن عبدالله بن شيخ الهدار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته وأخلفه بالخلف الصالح، كانت وفاته بمكة المكرمة ليلة الاثنين الثامن من شهر ربيع الثاني عام ١٤١٨ هـ وكانت الصلاة عليه بالمسجد الحرام بعد صلاة المغرب يوم الاثنين ، وشيع في جموع غفيرة إلى المقابر ودفن في حوطة العلويين، وكان الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف حفظه الله قد وصل إلى بيت الفقيد بمكة بعد العصر لتقديم التعزية لأولاده وللصلاة على الفقيد، كما حضر أيضاً الحبيب محمد بن أحمد الشاطري والسيد العلامة محمد علوي المالكي وغيرهم في جموع غفيرة .

ما للزمان أصاب بالأخطارِ أهلَ التقى في سائر الأقطارِ
والجو أظلم والقلوب تصدعت والناس في وله بدون قرارِ
عظم المصاب وإن فقد رجالنا من أعظم الأهوال والأخطارِ
الموت يختار الأكارم دائماً يغتال منا صفوة الأخيارِ
يادهر مالك كم رميت بأسهم كم قد نعيت لنا من الأبرارِ
علمٍ ورا علمٍ تتابع موتهم ذهبوا رجال العلم دون خيارِ
فقلوبنا ذابت أسىً وتوجعت لما أتانا النعي للهّدارِ

خبر فهل هذا صحيح أو به شك وهل قد مات ذو الأنوارِ
شيخ الدعاة خليفة لرجاله قد حاز للميراث والأسرارِ
لا يألُ جهداً منذ فجر شبابه يسعى بجد ليله كنهارِ
في العلم في الأعمال في نشر الهدى لشريعة المختار والأذكارِ
وسماحة جود عظيم إنه مقري الضيوفِ ومكرم للجارِ
وجثى لدى العلما بحسن تأدب فحبوه من إمداد فتح الباري
وجلوسه عند الشيوخ كجعفر والشاطريّ كذاك عبد الباري
وله اتصال بابن أحمد سيدي سقافنا من سابق الأعصارِ
ومحبة وتعلق وترابط الكل يعرفها من الحضارِ
فهو الخليفة بعدهم أحيا به المـ ـولى طريق السادة الأبرارِ
وترى رجال العلم حول رحاله يتسابقون لمعهدٍ وديارِ
يتسابقون إليه عطشى كلهم يرجو الورود لهذه الأنهارِ
حدث عن البيضا وعن علمائها ودعاتها وشبابها الأقمارِ
وعن المدينة طيبة فاسأل بها كم تلق من علما ومن أنصارِ
وبمكة الغراء في أم القرى فيها الدروس تشع بالأنوارِ
وبحضرموت ببدوها وبحاضر وتريم تلك عظيمة المقدارِ
تلقى لطلاب الفقيد تزاحماً وتسابقاً للعلم والأذكارِ
وهو الملقح للرجال فكم به من علماء تخرجوا وخيارِ
منهم دعاةٌ قائمون بوعظهم وعلومهم من فتية أبرارِ
أبقاهم المولى مناراً للّهدى يحيون فينا سيرة المختارِ
ليس المصاب مصابهم بل إنه قد عم كل المدن والأقطارِ
كل البسيطة قد بكته وكلهم عرفوه بالأخلاق والإيثارِ
للّه ياهدار موتك إنه خطب عظيم عم للأمصارِ
فجع الأنام به وكل قد بكا في كل قطر كل دمع جاري

يـارب اليـك المشتكى أنـت اللجـا … فـالطف بنـا يـارب لطفـا جـاري

والهـم لنـا الصبر الجميـل إذا عـرى … خطـب فربـي كاشـف الأخطـارِ

وارحـم أبـا الأشبال واجعـل قـبره … مـن روضـة الفـردوس والأنهـارِ

واخلـف فقيـد العلـم فينـا إنـه … أحيـا العلـوم أشـاد للآثـارِ

يهنـاه قـد وافـا علـى مـولاه في … فـرح وفي طـرب وفي استبشـارِ

يلقـاه طـه المصطفـى وخديجـة … وبتولنـا مـع زوجهـا الكـرارِ

ومقـدم والشـيخ ابوبكـر كـذا … وشـيوخه والقـوم في بشـارِ

قـالوا لـه: أهـلاً وسـهلاً مرحبـاً … أهـلاً بمقـدم إبننـا الهـدارِ

كـم مـن بشـارات أتـت لوفاتـه … يكفيـه مـا أبقـى مـن الآثـارِ

نرجـو الإلـه بفضلـه وبمنـه … يخلفـه في أولاده الأبـرارِ

يبقـى بنـوه علـى طريـق سـارها … بوراثـة للعلـم والأسـرارِ

ورباطـه يبقـى ويبقـى عـامراً … بالعلـم والأعمـال والأنـوارِ

يـارب متعنـا بشـيخ زماننـا … بـنْ أحمـدِ السـقاف رمـز فخـارِ

طـول لـه عمـراً علـى خـير وفي … لطـف ونـور ربوعنـا والـدارِ

وشيوخ هـذا العصـر فـاحفظ إنـه … نعـم الملاذ لنـا مـن الأخطـارِ

كالشـاطريّ محمـد ومحمـد … ألـمالكيْ والبـار والـمحضارِ

ووجيهنـا بـنْ أحمـدٍ والكـاف والـ … ـبـاقون مـن سـاداتنا الأخيـارِ

فـاحفظهم يـارب طـول عمرهـم … في خـير عافيـة ولطـف جـاري

وانظـر لنـا يـارب منـك برحمـة … ورعايـة والحفـظ مـن أشـرارِ

وامـح لنـا الـزلات واغفـر ذنبنـا … حقـق لنـا يـارب للأوطـارِ

وصـلاة مولانـا وتسـليم علـى … خـير الأنـام شـفيعنا المختـارِ

والآل والصحـب الكـرام وتـابع … مـاغرد القمـري علـى الأشـجارِ

مكة المكرمة ١٠/٤/١٤١٨ هـ

ومنها:

هذه المرثية في قطب الزمان العلامة السيد محمد بن عبدالله الهدار رحمه الله:

ياناعياً ينعي أبا الخطباء	شيخ العلوم وسيد العلماء
شيخ المكارم والمعارف والتقى	شيخ الحقيقة باذخ العلياء
فلقد فزعت بنعي شمس أشرقت	بشريعة وحقيقة وصفاء
في ليلة الإثنين شاء إلهنا	أن يؤثر الموتى على الأحياء
بقدوم شمس العلم نحو مقامهم	ضيف كريم في أعز فناء
أأبا حسينٍ طِبْ بقبرك ثاوياً	بجوار بيت الله خير ثواء
أأبا الحبائب قد دعاك إلهنا	والمصطفى مع كافة الفضلاء
فأجبت داعي الحق مشتاقاً إلى	لقيا الأحبة دونما إبطاء
للّه درك من إمام راحل	خلفت فينا خيرة الأبناء
نهضوا بأعباء الرباط وصيروا	أنواره تقضي على الظلماء
هم أنجم زهر لأنك نورهم	فغدوا لمثلك أفضل الخلفاء
أنشأتهم ربيتهم وجعلتهم	للعلم خداماً وللسمحاء
لهفي على ركن العلوم وكم أسى	بفراق شيخ الفقه والفقهاء
ياأيها الشيخ الكريم تحية	تغشاك في الإصباح والإمساء
يا طيباً من طيبين وماجداً	من ماجدين ودونما استثناء
ياشيخنا الهدار يانسل التقى	من جدك المختار والحنفاء
اِقبل قريظي في رثاك مقصراً	فعسى أكون بكم من السعداء
يامن كسا البيضاء نوراً ساطعاً	لولاك ماكانت سوى سوداء
قد شاركتها في البكاء عليك في	كل الجِداد مدائن الخضراء
فعليك رضوان الإله وفضله	وعليك رحمته مدى الآناء

وصلاة رب الكون تغشى المصطفى ... خير البرية سيد البلغاءِ

وعلى جميع الآل والأصحاب ما ... عُبِدَ الإله بكافة الأنحاءِ

إسماعيل ناجي عبدالله الأهدل

تعز ١٤/٨/١٩٩٧م

ومنها:

مرثية في الحبيب العلامة الداعي إلى الله محمد بن عبدالله الهدار ساكن البيضاء باليمن والمتوفى مغرب يوم الأحد ٨ ربيع الثاني سنة ١٤١٨ هـ، بمكة المكرمة وقد أدى صلاة الجنازة عليه إمام الحرم مع جموع المصلين بعد أداء صلاة مغرب يوم الاثنين ٨ ربيع الثاني ١٤١٨ هـ الموافق ١١ أغسطس ١٩٩٧م مقدمة من محمد جبران عوض جبران إلى أولاده الكرام وقرابته ومن يستحق التعزية ، وتم الإلقاء في احتفال ختم القرآن المقام مساء الخميس ١١ ربيع الثاني بمكة المكرمة سائلين المولى أن يلهم ذويه الصبر والسلوان ولا يحرمنا بركة صالحي زماننا والله الموفق:

اندك صرح العلم والأنوار ... بوفاة عالمنا الفتى الهدارِ

شاد المدارس والمعاهد بالتقى ... والعلم والتذكير والأذكارِ

أمضى الحياة مكافحاً ومجاهداً ... في نشره للعلم بالأقطارِ

لاقى المتاعب في إقامة صرحه ... ومشى به قدماً وفي إصرارِ

بذل النفيس ونفسه متقرباً ... لله يبغي منتهى الأوطارِ

أحيا العلوم بقوله وبفعله ... فأمده الرحمن بالأسرارِ

من لي بمثل محمد في صبره ... وأناته وتحمل الأخطارِ

لم يثن قوة عزمه متعجرف ... دنس الطباع مبلبل الأفكارِ

طلابه ساروا على منهاجه ... حتى غدوا من صفوة الأخيارِ

في كـل أنحـاء البـلاد تواجـدوا فهـم الدعـاة لسـيرة المختـارِ
عملوا بما علـموا فـأوتوا حكمـة عمـلاً بمـا قـد جـاء في الآثـارِ
والفضـل يرجـع للفقيـد وسـعيه ودعائـه بـالليل والأسـحارِ
إنـي لـمحزون عليـه ودمعـتي تجـري مـن العينـين كالأمطـارِ
هـذا ونرجـو الخـير في أبنائـه فهـم العـزاء ومجتلـى الأكـدارِ
يتحملـون العـبء بعـد أبيهـمُ في كـل إيـراد وفي إصـدارِ
س يـامحمد فالـمخاوف كلهـا أمـن وقـد آويـت خـير جـوارِ
بجـوار أم المؤمنـين خديجـة فاهنـأ برحمـة ربـك الغفـارِ
يـارب فـاغفر للفقيـد ذنوبـه واسـكنه جنـات مـع الأبـرارِ
واغفـر لكـل الحـاضرين تكرمـا يـارب وانصرنـا علـى الأغيـارِ
ثـم الصلاة علـى النـبي وآلـه والصحـب عـدَّ مجاري الأنهـارِ
والتـابعين لهـم بأحسـن سـيرة تـزداد بالـترديد والتكـرارِ

ومنها:

دمعة صافية على الفقيد الغالي محمد الهدار للشاعر محمد ضياء الدين الصابوني[1]:

يـاعين أنـى دمعـك المـدرارُ ؟ فـابكي عليـه إنـه الهـدارُ
مـات الـذي حـاز المكـارم والعـلا وبفقـده تتنـاثر الأفكـارُ
أبكيـك مـن قلـبي وأعلـم أنـه لا الدمـع يوفيـه ولا الأشـعارُ

(١) محمد ضياء الدين الصابوني عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، شاعر مجيد، ولد في حلب بسوريا عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦م) من أسرة عُرفت بالعلم والفضل، وبها نشأ وترعرع وأخذ عن جُل علمائها، ثم عمل موجهاً للغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم مدرساً في معهد الأئمة العالي بمكة المكرمة، وهو شقيق المفسر الكبير العلامة محمد بن علي الصابوني، ولازال بخير تحفه عناية الله مع صلاح ونسك وعبادة متردداً على الحرمين الشريفين .

للّـــه در فقيدنـــا مـــن عالـــم فلـــه أيـــاد في الصـــلاح كبـــارُ
بالعلـــم لا بالـــمال يعـرف قـدره وبهديـــه تتنـــافس الأخيـــارُ
شـيدت في البيضـاء أكـبر معهـد فسـما علـى الأقـران وهـو منـارُ
إنـي لأُكْـبِرُه وأُكْـبِرُ فضلَـه والفضـلُ مـا شـهدت بـه الآثـارُ
قـد كـان داعيـةً إلى نهـج الهـدى حصنـاً حصينـاً قـطُّ لا ينهـارُ
هـاهم شـبابُك لهفـةً ومحبـةً يبكـون حزنـاً والدمـوع غـزارُ
فهـو الإمـامُ تحبـة وتجلـة فلـه التجلـة منـك والإكبـارُ
جمـع الفصاحـة والبلاغـة والتقـى برثائـه تتضـاءل الأشـعارُ
وكـم اجتـمعنا في رحـاب محمـد وتحوطنـا برحابـه الأنظـارُ
ولكـم أفدنـا مـن مواعـظ جمـة وحديثـه نفـح التقـى معطـارُ
ولقـد صـبرت علـى البـلاء وإنـه راضٍ بمـا تجـري بـه الأقـدارُ
لا تـأمن الدنيـا ولا لذاتهـا فهـي العـدو المـاكر الغـدارُ
وصفـا الزمـان ومـاصفت أيامـه فكأنمـا أيامـه أكـدارُ
فوضـت أمـرك للإلـه فأبشـرن بـالعفو فهـو الواحـد الغفـارُ
والـموت غاية كـل حـي مالنـا إلا الرضـاء فحكمـه قهـارُ
ياللـمصاب ويافداحـة وقعـه خطـبٌ جليـل مالـه إنـذارُ
أمحمـد والفضـل مِـلءُ إهابـه مـا أنـت إلا حجـة ومنـارُ
قـد كنـت للإسـلام خـير منـارة شـهدت لـك العلـماء والأبـرارُ
جـاورت ربـك وهـو أكـرم راحـم نعـم المجـير وحبـذاك الجـارُ
وتغمـد المـولى الفقيـد برحمـة في جنـة مـن تحتهـا الأنهـارُ
صلـى الإلـه علـى النـبي وآلـه مـا غـردت في روضهـا الأطيـار

الخميس ١٤١٨/٤/١١ هـ

ومنها:

مرثاة في فقيد العلم والدعوة والإرشاد الحبيب العلامة محمد بن عبدالله الهدار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم رحمه الله رحمة الأبرار آمين:

خطبٌ أَلَمَّ فأحرق الأكبادا وكوى بنيران الفراق فؤادا
رَزْءٌ أصاب المسلمين بفقدهم علماً سراجاً بينهم وقادا
عظمت مصيبتنا بفقد إمامنا للّه في أكوانه ما أرادا
أسفي على موت الأحبة كم أسى كم هيج الأحزان والأنكادا
قد غاب نجم كان بدراً مشرقاً أحيا لنا الأرواح والأجسادا
هو جهبذ هو عالم هو عارف نصح العباد وقارع الإلحادا
كم قد بنى مجداً عظيماً شامخاً كم قد دعا للمكرمات ونادى
أحيا الشريعة والطريقة والحقيـ ـقة في البلاد وشادا[1]
قبس سرى من نوره في أرضنا واستوطن الأغوار والأنجادا
وأنار من سبل الهداية مسلكاً للمهتدين السالكين وقادا
أبقى لنا حبلاً سبيلاً موصلاً ربط الفروع وحصن الأولادا
رحم الإله محمداً هدارنا وكساه من حلل الجنان وزادا
يارب واجبر في الفقيد مصابنا واشمل ذويه النجل والأحفادا
واخلف إلهي من بنيه ونسله قوماً دعاة قادة زهادا
واحفظ لنا أدياننا في صحة وادفع أذى من قد عصاك وعادى
علِّق قلوب المؤمنين بدينهم وأزل إلهي البغض والأحقادا
وأدم صلاتك والسلام مجدداً تغشى النبي وآله الأمجادا

خالد بن شيخ بن محمد المساوى - سيئون

---

(١) كذا في الأصل.

وقد وصلتنا بعض القصائد من مكة المكرمة حينما أُلقيت في درس التأبين، لكنها لا تحمل اسم قائلها ، ومنها هاتان القصيدتان:

قصيدة في رثاء سيدنا الإمام الداعي إلى الله الحبيب محمد بن عبدالله الهدار رضي الله عنه ونفعنا به آمين :

بكت عيون الورى والله لم تُلَمِ ... ألخلقُ في حيرة والكون في ندمِ

يا لائمي في بكائي والبكا قدرٌ ... لو شفك الحب لم تعذل ولم تلمِ

بموت سيدنا خير الدعاة ومن ... في حضرة المصطفى الموصوف بالشيم

حبرٌ جليل كريمٌ زاهدٌ ورعٌ ... بحرٌ عميقٌ بلا شك ولا تهمِ

آدابه كملتْ أخلاقُه عظمتْ ... ناهيك من شرفٍ ناهيك من كرمِ

زين المحافل والدنيا بأجمعها ... خير الأسود وعالي القدر والهممِ

جلتْ ولايتُه طابتْ مناقبُه ... غوثُ الخلائق في هم وفي غممِ

أعني محمدَ عبدالله قدوتنا ... هدارنا كامل الأوصاف خير كمي

بكل قول مبين فاتح خلص ... يحيى القلوب ويحي ميت الهممِ

تراه من لفظة منه مشرفة ... يوصيك بالعلم والتقوى وبالرحمِ

يطأطئ العلماءُ الهامَ إن نظروا ... إليه من هيبة الأنوار والحكمِ

وفي تخشعه تنبيك خشيته ... قطبٌ عظيمٌ كبير القدر والهممِ

ابن النبي وولي الله في نُزل ... فوق السماء وعند الله في نعمِ

يحي الليالي صلاة لا يقطعها ... إلا بدمع من الوجدان منسجمِ

مناجياً ربه كم قام محتملاً ... سقماً من السهد أو ضراً من الورمِ

رضِيَّة نفسه لا تشتكي ألما ... وما مع الحب إن أخلصت من ألمِ

ونودي ادخل إلى الرحمن فامتلأت ... أسماع مكة من قدسية النغمِ

فلا تسل عن قلوب كيف حيرتها ... وكيف غشيانها في السهل والعلمِ

تساءلوا عن عظيم قد ألم بهم ... رمى المشايخ والولدان باللمم
لا الخطب يحزنهم لا الموت يفزعهم ... لكن دُهُوا بوفاة الصادق العلم
هامت على إثر من قد مات أنفسهم ... والنفس إن يدعها داعي البكا تهم
وفاته شر خطب قد ألم بهم ... وفي الخطوب بحسن الصبر فاعتصم
مشيئة الخالق الباري وقدرته ... إرادة اللّه فوق الظن والحُلم
إن الرثا فيه حب خالص وهوى ... وصادق الحب يملي صادق الكلم
وإنما أنا بعض الخادمين ومن ... يخدمْ حبيبَهُ لا يُذْمَمْ ولا يلم
يارب صل على خير الورى سندي ... محمد خير خلق اللّه كلهم
والآل والصحب والأتباع قاطبة ... كذا السلام عليهم دائماً أدم
يارب وارض عن الهدار شافعنا ... وآله الكلِّ من يسعى لنهجهم
وانشر لنا علمه في الخافقين هدى ... وبارك الكل وامنح حسن مختتم

٩/٤/١٤١٨ هـ

ومنها:

قصيدة في رثاء الإمام الداعي إلى اللّه الحبيب محمد بن عبداللّه الهدار رحمه اللّه آمين:

طب يا فؤاد بما ترى الأقدار ... واصبر إذا ما غيب الهدارُ
لا تجزعنَّ على الفراق فإنه ... قد شاء ذاك الواحد القهارُ
اللّه أكبر كيف يختار الذي ... هم للنبي وشرعه أنصارُ
ياسعده إذ فاز عند إلهه ... برضاه والمختار فيه جارُ
هدار أنت سميه وحبيبه ... شهد الأنام بحبكم والدارُ
كانت لطلعة وجهكم دوماً على ... نور النبي دلائل وشعارُ
فاختارك المولى لذاك بداره ... كي لا يكون لحبكم إسفارُ

فلإن تقاصرت المراتب أن ترى ... من حبها وصلاً فأنت الجارُ
لا غرو فيما قلته أنت الذي ... قد دمت فينا القانت الذكارُ
تدعو إلى شرع النبي وهديه ... ومعزز ومعظم وقّارُ
ومُبَيِّنٌ فضلاً لمن هم شامة ... للناس من آلٍ له أطهارُ
فلكم لهجت بفضله وبفضلهم ... وبفضل أصحاب له أنصارُ
كنت المذكر والدليل عليهم ... والفقه أنت مقرر نضارُ
ولكل علم شاهد من قولكم ... يحكي بأنك جامع مدرارُ
ياسعدكم ياشيخ أرباب النهى ... يا بحر علم أنتم الزخارُ
هذي الثمار بجهدكم قد أينعت ... وبسقيكم قد أنضر الأزهارُ
فلكم عرفت لهم جواهر علمكم ... وغدوا بفضل علومكم أخيارُ
يابلدة البيضاء يأم القرى ... في دار إيمان لك إكبارُ
في أي أرض من يمان شيدت ... فيه رباط للعلوم يزار؟
فتخرج الأجداد والآباء والـ ... أبناء والأسباط والشطارُ
عبر الذي كان الإمام محمد ... قد قام فيه جهده الجبارُ
ولإن أتيت لفضله متعدداً ... لأُبدد الأحزان كيف يصارُ
وفضائل الهدار تترى جمة ... بتناسق لا ينهها الحصارُ
وكفاه فضلاً أنه عَلم الهدى ... وأبو هداة كلهم أنهارُ
من نسله نسباً ونسل علومه ... يمناً وشاماً كلهم أبرارُ
ولإن تذكرنا مواقف جملة ... فلشاهد في ذكره تذكارُ
يوم البرية أذهلت بوفاة من ... زان العلوم وفضله سيارُ
ذاك الإمام الأوحد اسماعيل من ... طارت بذكر علومه الأسفارُ
وغدا علاة القوم حيرى كلهم ... قد أفلست وأمامها سيّارُ
وإذا إمام الحاضرين جميعنا ... هذا يذكر أنه الهدارُ

يحكي ويروي كل قلب صادئٍ ومبيِّن لإمامة تختارُ
ماشابهت كلماته كلمات من أثنى وأشعر قوله سحّارُ
ياسلوتي ماكان ظني أن أرى قوماً تغيب فيهم الهدارُ
فيكوْن من في جمعنا هدارنا يحكي ويذكر مثله ذّكارُ
هذا البنون فكلهم علم الهدى وكذا تلاميذ له أبرارُ
فلإن تغيب شيخنا فعزاؤنا قوم هداة كلهم أطهارُ
واللّه يرحم جمعنا وإمامنا ويوالِ فضلاً ماله إحصارُ
في دار جنته لشيخ فاضل وببرزخ تجري له الأنهارُ
ويديم هذا الفضل بعد وفاته ويقيم أنجالا لهم أقدارُ

ومن المراثي أيضا:

مرثاة في فقيد العلم والتقى السيد العلامة محمد بن عبداللّه الهدار مفتي محافظة البيضاء للسيد عبداللّه بن عمر السقاف الكوني[(١)] :

الحمد للّه منشيء الخلق باريها له البقاء وكل الخلق يفينها
بكت سماء بلادي واكتست حزناً وارتجت الأرض وانهالت روابيها
فجاوبتها الجبال الشم باكية كذا الوحوش وطير في أعاليها
كذا البحار وحيتان بها انتحبت والنمل والذر تبكي في ملاويها

---

(١) عبداللّه بن عمر السقاف،من مواليد ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠م)، قرية العين مديرية لودر، داعٍ إلى اللّه وطالب علم له نشاط ملموس في الدعوة إلى اللّه، ووالده هو السيد الداعي إلى اللّه عمر بن صالح السقاف من أهالي العين بدثينة مديرية ، لودر تولى الإمامة والخطابة في مسجد العين، تربطه بسيدي الوالد علاقة طيبة ومتينة، وللولد وللوالد أثر طيب وجهود قيمة في الدعوة إلى اللّه شكر اللّه سعيهما وجزاهما اللّه خيرا، ولا زالا في صحة وعافية تحفهما عناية اللّه وتوفيقه.

أما ترى هذه البيضاء قد لبست ثوب الحداد وناحت من نواحيها
على المعلم أجيالاً تلوذ به لتنشر الخير في الدنيا ومافيها
على الكريم الذي كالغيث إن نزلت سيوله في الأراضي الجدب يحييها
على الشجاع الذي كانت شجاعته كالليث يسعى مع الأشبال يحميها
على الذي نشر الأخلاق مقتدياً بجده المصطفى المختار هاديها
على جمال الدنا والدين من جمعت له المعارف حتى صار حاويها
محمد ذلك الهدار من شرفت به المنابر يعلو في مراقيها
تبكي القلوب على فقد الحبيب دماً أما العيون فما جفت مآقيها
ومالنا لانسيح الدمع منهمراً على الخدود فتجري في سواقيها
يالائمي في البكا باللّه هل نظرت عيناك مثل ابن عبداللّه يرضيها
كالشمس عنها النجوم الزهر آخذة والبدر من ضوئها نور لياليها
آه وآه على الهدار ما عقدت مجالس العلم أو ماقال راويها
يا مكة النور فيك قد ثوى رجل مطهر من بني الزهراء زاكيها
وحقق اللّه ما قد كان يأمله من الجوار وآمال يرجيها
والدفن في تربة المعلا له أمل عند التي كان جبريل يحييها
ياجدة الآل قومي اليوم فاحتضني حفيدك واصل الأرحام معطيها
قولي لمن شيع الجثمان إن لكم شفاعة يوم يرتاع الورى فيها
ياحاملين لنعش ضم مكتبة من الأحاديث بالإسناد يرويها
عن شيخه الجبل العالي أبا حسن الشاطري إلى المختار يعليها
والفقه والنحو والتفسير آخذه عن الشيوخ كذا الفتوى وباقيها
كذا علوم لها الأرواح سامية في عصرنا قل طالبها وتاليها
له الصواريخ للأعداء محرقة وللأحبة إخلاص الدعا فيها
وكاسحات لألغام أُريد بها تكفير أسلافنا زوراً وتسفيها

كذا المكارم في الأخلاق في عجل ... للسابقين فما أحلى معانيها
وكم وكم ألَّف الهدار من درر ... كل الجواهر طراً لا تساويها
له الرباط مناراً شامخاً وبه ... كواكب تاهت البيضاء بهم تيها
يابانياً لرباط الخير محتسبا ... ياسيدي نم قرير العين هانيها
هذا الحسين به أنعم خليفتكم ... قد قام يبني صروحاً كنت تبنيها
يسير سيراً حثيثاً في طريقتكم ... رغم الصعوبات لكن لا يباليها
هيا امنحوه من الأسرار سركم ... لا تحجبوا عنه ظاهرها وخافيها
كذا البقية من أولادكم فهم ... سلاحه في وغى الهيجاء مواضيها
مامات من خلَّف الأشبال مثلهم ... سرُّ الأبوة في الأبناء ساريها
ياطالباً لحياة لا شقاء بها ... هنا السعادة في الدنيا وتاليها
وهاهنا تنعش الأرواح عالية ... هنا الجنان التي طابت مجانيها
فيها الفواكه والأثمار دانية ... هنا الرياض لمن يهوى مراعيها
رياض علم بها الأملاك طائفة ... فيها السكينة والرحمن راعيها
أعني الرباط رباط الخير من سعدت ... به البرية حاضرها وباديها
ففيه من آل طه أنجم سطعت ... بالنور حتى غدت بيضا لياليها
كذا شيوخ لهم قدر ومكرمة ... مثل الخشييِّ محمودٍ وباقيها
كذا المعلم عبدالرب من خفلت ... به المجالس بالتعليم يحييها
لكنه غادر الدنيا فوا أسفا ... على العلوم التي في الصدر طاويها
كذا الحريريّ في الإنجاد داعية ... في أرض يافع يدعو في أعاليها
منه انبرى سيدي الهدار داعية ... جُلَّ المسافات بالأقدام يمشيها
أنَّى ذهبت إلى أرض تذكرها ... بالعلم قالوا أتى الهدار داعيها
بين العشائين درس للرجال كذا ... يقوم بالدرس للستات تاليها
كم مذنب تاب كم من ناشز رجعت ... خوف العقاب من الجبار واليها

تقـول أمـي أتـى الهـدرا بلدتنـا — يدعـو إلى اللّـه رب الخلـق باريهـا
قال اجمعوا لي النساء واجعلوا حجباً — مـن بيننـا كـي أعلـمها مباديهـا
قـالت أخذتـك طفـلاً نائمـاً لتنـا — ل الخير مـن مجلس للعلـم صافيهـا
ياطـالب العلـم أرجـو الإقتـداء بـه — لا تنثني عـن طريـق قـد مشـى فيهـا
وأنتـم معشـر الآبـاء أنصحكـم — نصيحـة إن يعـد النصـح غاليهـا
خـذوا بأبنـائكم نحـو الربـاط لكـي — يلقـوا علومـاً وأخلاقـاً وتنبيهـا
وتنعمـون بـبر منهـم أبـداً — حـال الحيـاة وبعـد المـوت ترفيهـا
فكـم تـرون عقوقـاً صـار ديدنـه — تشـويه أهـل التقـى ميناً وتـمويها
ولـو نظـرت بعـين الحـق حـالهم — يعظمـوا المـال تقديسـاً وتأليهـا
وأنتـم يـاذوي الأمـوال أينكـمُ — مـن بذلـه في سـبيل جـل معطيهـا؟
فما بذلتـم لهـذا الصرح كـان لكـم — وسـط الجنـان قصـوراً مـن مبانيهـا
ثـم الصلاة على المختـار ماسجعت — حمامـة فـوق غصـنٍ مـن أعاليهـا
والآل والصحـب ثـم التابعين لهـم — مـالعلع الـبرق في يمـنٍ وشـاميها

كما شارك الشيخ محمد بن صالح بن عبداللّه الفقير بقصيدة حمينية قال فيها:

أبو صالح اشْوَعْ عَلَم قلبي بـه اكـترب — وعيني تصب الدم واغْـوِيْ مع الذيـاب
وقـالوا توفـى سـيد العلـم والأدب — وذي حـارب الإلحاد والظلـم والخـراب
ونـادى بدعـوة ديـن ربـه كمـا يجـب — ونوّر قلوب الطفـل والكهـل والشـباب
نبـأ السـيد الهـدار ياخـير مـن خطـب — وهو بحـر زاخـر منبـع العلـم والكتـاب
وجـاهد بمـا يرضـي ضمـيره ومـاكذب — وزاهـد في الدنيـا ولا رام لإكتسـاب
وقاسـى مـن الأهـوال والفقـر والتعـب — مع الحق وأهل الصدق من ربـه الثـواب
وكم صارع أهل الظلـم أمثـال أبي لهب — ويوصي عبـاد اللّـه في يـوم بـه حسـاب
ويكـرم بمـا يملـك ولا رد مـن طلـب — بمـا كـان في وسـعه ومـن جـاه مايخـاب

وله فضل عند اللّه وفي المصطفى نسب   فروعه اصوله طيبه منبع الطياب
ويارب تغفر له ذنوبه وما كسب   وينعم في الفردوس ما لذ له وطاب
وتسقيه من حوض النبي سيد العرب   وسندس حرير أخضر لباسه من الثياب
وتجزيه من فضلك وتعليه في الرتب   مع الأنبياء والأولياء لا يرى عذاب
بحق النبي واله ومن ناصره وحب   يكون الدعا مقبول لا يكون له حجاب
وتخلف لأولاده ولخوان والصحب   خلف من سلف صالح عسى للدعا مجاب
حسين المحمد شيخ يستاهل اللقب   وهو شيخ بعد الشيخ للعلم والصواب
وفيه الكفاية والدراية ومايجب   وأهلاً لها موهوب يتصدر الصعاب
وأزكى تحياتي عدد ما المطر خصب   على حسين واخوانه ملا الفج والرحاب
عدد ماقرا القاري وماكاتبه كتب   وماغرد القمري بلشجار والهضاب
وخص آل يحيى بلغ الكهل والعزب   عدد ما لمى برقه ومايرخي السحاب
لصالح وأبو أنور علي معدن الذهب   وناصر علوي عالي القدر والجناب
وهذه تعازينا ومالفكر به ندب   وتتعزموا بالصبر في النجم يوم غاب
جزاكم ويجزينا من اللّه ماوهب   من الصبر والسلوان يتعزم المصاب
وصلوا على طه النبي سيد العرب   نبي هاشمي طيب وطاهر في الثياب
وآله وأصحابه والأنصار والنسب   وتغشاه إلى مثواه والقبر والتراب

كما شارك الشيخ العلامة عبدالقادر بن أحمد عاتق مفتي بيحان بقصيدة مما قال فيها:

إن بيضا الحسين أنّت أنيناً   وجرى دمها لفقد الجوارِ
قد خلت منكم فعز عليها   أن تغيبوا ياعالي المقدارِ

وكذلك شارك الأديب الأستاذ عبدالاه بن عبداللّه اللسواس، مدير مكتب الإعلام بقصيدة مطلعها:

نجم تــوارى عــن مــدى الأنظــارِ أم غــاب عنــا مفــرد الأقمـــارِ

وهو من أسرة عريقة في البيضاء عرفت بالفضل والصلاح تتعاطى أسباب التجـارة، لها رحلات إلى كثير من الأصقاع. وممن رثاه الأستاذ أحمد بن محمد المشعبي المدير العام المساعد للتربية والتعليم بالبيضاء بقصيدة عصماء .

كما شارك الأستاذ عبدالقادر بن محمد بن صالح القاضي بقصيدة حمينية مطلعها:

أيها السامع لشعري إن دمع العين سال وجـرت منهـا سـيولاً لعظيـم في

أما الأخ هاشم بن محمد الهدار فقد شارك بمرثية بديعة مطلعها:

أم القـرى علِّـي بصوتــك واندبـي

وكذلك الشاعر الأستاذ أحمد بن علي العيدروس بقصيدة عصماء يطول ذكرها .

كما شارك الشعراء الشعبيون بقصائد منهم الأخ أحمد بن عبداللّـه مسود الحميقـاني، والشاعر السيد محمد بن حسين عمر من آل الشيخ أبي بكـر بـن سالـم ، ومحمـد بـن أحمد السيد من عزة، ومحمد بـن حسـين بـن أحمـد عرمـان، ومحمـد بـن أحمـد أبوريـد وغيرهم. ولـم نستطع إثبات كل ذلك حتى نستطيع إبراز هذا الكتاب في نسق متـميز ومناسب.



تقريظ للأستاذ القدير عبدالله بن محمد الحبشي [١]

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم..

وبعدُ فإنه من نعم اللّه الباهرة أن يظهر في فترات متقطعة من الزمن رجال من عباد اللّه الصالحين يحيون في الناس ما اندثر من سنة نبيهم وما طمس من معالم دينه القويم.

وصاحب هذه المناقب الشريفة الحبيب العلامة الداعي إلى اللّه السيد محمد بن عبداللّه بن شيخ الهدار واحد من أولئك الرجال الذين اصطفاهم اللّه لنشر هذا الدين رحمة بالأمة بما يهدونه في سبيله ويبشرون به من فضله وماعنده جل وعلا من حسن الثواب .

وقد أبرَّ اللّه عزوجل دعوة أبيه الحبيب عبداللّه بن شيخ في ابنه هذا، وقد رجا من اللّه أن يكون من أهل الصلاح والهداية، فمنذ نشأته الأولى لم تعرف له صبوة ولم يؤثر عنه مايشين صحيفته النقية بل أنشأه اللّه كما يحب ويرضى، وتلك نعمة منَّ اللّه بها على عباده بوجوده ومن خلال أولئك النفر الذين يظهرون فلتات من الزمان تكون هداية الناس وإرشادهم إلى سواء الطريق، وهي الرحمة الحقَّة التي تنقذهم من سوء المصير .

---

(١) مؤرخ ومحقق معاصر آية في الحفظ والنقل حقق كتباً كثيرة ، تكلم عنه كثير من العلماء والمؤرخين بإعجاب كبير ، ولا زال في نشرٍ مستمر لكل ما يعثر عليه من الكتب التاريخية وغيرها، من أهم مؤلفاته: «مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن» ، و« فهرس الموضوعات المطروقة» ، و«المدارس الإسلامية في عصر بني رسول » وغيرها.

وهو في أخلاقه هي في الحقيقة أخلاق متجسمة من أخلاق النبوة التي درج عليها عاش فيها بكله: وروحه وجسمه وأفعاله وأقواله وحركاته وسكناته، ولاندري بماذا نبتدي منها. فنقول أولاً بما له صلة بهذا الكتاب الذي ألفه ابنه البار وأكبر أولاده المقتفين أثره السيد الفاضل حسين بن محمد الهدار، ونتحدث عن تواضعه الجم الذي لم يعرف عند سواه من حيث إنه تواضع غريزي ليس فيه تصنع ولا رياء ولاتكلف ، وقديماً قال بعض الصوفية: «من علم من نفسه أنه متواضع فليس بمتواضع، وإنما يكون ذلك جبلة في النفس وإيثارا بماعنده لغيره مهما كانت حقارة ذلك الغير» .

وأشهد للّه أنه من تواضع المترجم له رحمه اللّه أنه لو تم تأليف هذا الكتاب في حياته وقدمه إليه ابنه حسين لأمره أن يخفيه ولا يظهره للناس، ذلك أنه لا يحب في حياته أن يذكر بشيء مهما جل قدره أو عظم في نفوس الناس أو كبر شأنه، وذلك من أخلاقه التي شاهدناها فيه ولمسناها مرات عديدة في مناسبات كثيرة، فهو لا يحب أن ينسب إليه شيء ولا يريد أن يذكر عند الناس إلا بما فيه حثهم على الخير وإذكاء هممهم بالعبادة وطاعة اللّه، وكم هي الأعمال الجليلة التي أغفلها صاحب هذا الكتاب ولم يذكرها لأن الحبيب رحمه اللّه كان حريصاً كل الحرص على أن لا تظهر وأن تكون خالصة لوجه اللّه عز وجل فلا أحد يعرفها إلا اللّه عزوجل .

ويكفيه منقبة - إذا أردنا أن نعدد مناقبه الكثيرة - هذه الأجيال التي خرجت على يده من الدعاة المرشدين إلى اللّه والعلماء المتبحرين في مسائل العلم، وقد أحيا بهم اللّه ما اندرس من العلم والدين وهم لايزالون حتى يومنا هذا فرحمه اللّه ونوّر ضريحه .

ومن تواضعه أنك لاتراه إلا مطأطيء الـرأس وخاصـة عندمـا يكـون بـين الضعفـاء والفقراء والـمساكين الذين كان يحرص رحمـه اللّـه دائمـاً أن يجعلهـم بطانتـه وجماعتـه وأهله، وطالـما واساهم واصطحبهم في حله وترحاله .

وتجده دائماً من القُوَّام الصوّام المسبلين دموعهم من خشية اللّه وقد هجع النُـوَّام ، ومنذ عنفوان شبابه وقيام الليل كان دأبه وإحياؤه الليل كله « غالباً » بالعبادة والتهجد والخشية والبكاء والتضرع وتلاوة القرآن ، وفي النهار تجده دائماً إما في تفقـد البيـوت وتتبع الأرامل والعجائز والقاصرين الذين لايجـدون مـن يقضـي حوائجهـم ، فيقضيهـا بنفسه وخاصة حينما كان في مكتـمل العمر وقوة الشباب .

وفي شدة غفلة الناس وحرصهم في التكالب على حطام الدنيـا الفانيـة كـان سـيدنا الحبيب محمد الهدار ممن أعطى الناس درساً عملياً في الزهد عـن هـذه الدنيـا واسـتهانته بأمرها .

ففي شدة الفاقة والـمسغبة كان رضي اللّه عنه يجود بما عنده على قلته ، وقـد فتـح بيته للـمحوجين والـمنقطعين زاده على ذلك كرم منقطع النظير لـم نسمع به إلا عنـد الأوائل الذين تتحدث عنهم كتب الأخبار والـمسامرات، وربما أنفق مـاعنده في اليـوم الواحد ، ويضطر للاقتراض في اليوم الثاني غـير مفكـر بمـا تـؤول إليـه العاقبـة، وتلـك أخلاق عالية هي أخلاق المتوكلين حقاً ، لا بمجـرد القـول والدعـوى ، ومـا أكـثر مـن يتشدق بدعواه حتى إذا جاء الحين خذله الامتحان وبان كذبه ودعواه .

وليس فيما نقوله تفريط أو إطراء دعا إليه سياق التعبـير والإنشـاء – حاشـا للّـه – وإنما هي أمور أدركناها ورأيناها واقعاً في كل يوم وليلة يضيق القرطاس عن حصرهـا، لو أردنا استقصاءها فما نقول في جملة من الفضائل يتعذر تعدادها ولاندري بما نبتـدي وبما ننتهي، فحياته كلها قد صبغها اللّه بالسعادة الـتي هـي في الاقتفـاء التـام والحـرص

الشديد على متابعة آثار نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم في أخلاقه وأفعاله وكل شيء وصل إليه علمه الشريف، وربما تابع ذلك بما سمعه وشاهده من سير العلماء والفضلاء الذين عاصرهم من شيوخه رحمهم اللّه ومن عرفه من أهل الصلاح والتقى الذين هم في الواقع يحذون حذو نبيهم صلى اللّه عليه وآله وسلم .

وكان ينهج دائماً الطريقة المثلى مما علمه وقرأه عن رجال السادة الصوفية من أهل «الرسالة القشيرية» وغيرهم دون أن يكون فيه شيء من التكلف والتصنع ، وقد وضع أمر الناس جانباً فلا تراه يكترث بشيء مما عندهم ، بل كان ممن يمعن في البعد عن أصحاب الجاه والسلطان ، وقد ظل أغلب حياته رهين خلوة وعزلة بين عبادة وأذكار لا تكاد تكف لسانه عن ذكر اللّه ليلاً ونهاراً، حتى إنك إذا وصلت إلى مجلسه فلا تحظى منه بكلام سوى الترحيب اللازم الذي يقال عند قدوم الضيف، وما بعده فلا شيء سوى التسبيح والتهليل والذكر فلا تكاد تفتر لسانه عن ذكر اللّه مهما عظم الأمر حتى وهو في أشد المرض، وقد حدث له رحمه اللّه أن أصابه في يوم من الأيام مرض شديد خشي منه أن يحبسه عن مواصلة قيام الليل وما يعتاده فيه من ذكر وقراءة قرآن فأمر أحد أبنائه أن يقرأ عليه ما يعتاده من أذكار وقراءة قرآن ويمر بها على سمعه الشريف كما اعتاد كل ليلة في قيامه وتهجده .

وكان رحمه اللّه إذا كان في رحلة حج أو دعوة إلى اللّه يأمر خادمه في السفر أن يتكفل بكل نفقات الرحلة ويمنع من يحاول المساهمة في شيء مهما كان أمره على الرغم من وجود من هو أكثر منه مالاً وثروة ، وتلك أخلاق عالية لا نجد لها نظيرا ، ونحن نحمد اللّه تعالى أن شاهدنا هذا الحبيب وعرفناه فعرفنا فيه تلك الأخلاق التي اندرست وذهبت آثارها من زمن بعيد وقد عمت في عصرنا هذا وطمت الكثافات والظلمات التي لا نجد منها مخلصاً.

وكان وجود هذا السيد الفاضل بصيصاً من النور تلمسناه في غياهب الظلمات، وحتى لا يكاد يُصدق أن يكون مثل هذا الرجل في وقتنا هذا، وكأنه يذكرنا بالحديث الذي يقول فيه صلى الله عليه وآله وسلم -بما معناه-: إن لله رجالاً يخبوهم ثم يظهرون في زمن دون زمن يجددون ما اندرس من الدين . ولا يكون ذلك إلا من رجال كبار أمثال الحبيب محمد الهدار الذي قام بأعباء تعجز عنها العصبة من الرجال وذلك بما أعطاه الله من أخلاق كريمة هي كل الأخلاق التي دعا إليها الدين من حلم، وتواضع ، وكرم ، وصبر ، وخشوع ، وإصلاح ما بين الناس، وسائر الأخلاق التي وردت في كتاب « إحياء علوم الدين » ، فلا نطيل بذكرها وحدث عنه فهو البحر مهما قلت لن توفيه حقه.

تقريظ للعلامة الفذ القاضي مطهر بن يحيى عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لابد منها

الحمد لله الذي جعل لأوليائه البشرى في الحياة الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله، وإمام أوليائه ، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ،

وبعد فقد أطلعني مؤلف هذه السيرة العطرة الحبيب العلامة الحسين بن محمد بن عبدالله الهدار على محتواها فتصفحته من البداية وحتى النهاية، ولاأستطيع إخفاء إعجابي الكبير بها وبصاحبها وبمؤلفها، أما إعجابي بها فقد جاءت بمثابة الرد المفحم لمن ينتقدون التصوف الإسلامي في اليمن ؛ لأنها لم تشتمل على أي عيب في

مسلك صاحبها يعيب التصوف بل على العكس من ذلك جاءت مليئة بمكارم الأخلاق مفعمة بالتقوى ناشرة للزهد العلمي في أنصع مظاهره وأصدق صوره.

وإذا كان التصوف هو ما اشتملت عليه هذه السيرة من أخلاق فاضلة وقيم عالية ونكران للذات وذوبانها في خدمة المجتمع وهدايته وإيجاد القدوة الحسنة قولاً وعملاً بالاهتمام بطاعة الله سبحانه، وكثرة الأذكار آناء الليل وأطراف النهار؛ فذلك هو روح الدين الإسلامي، وهوالعلاج النافع لكل أمراض الحضارة الزائفة المهتمة بتقليد القشور وترك اللباب .

وهنا أجد نفسي مضطراً لتسجيل شهادتي عن التصوف الذي عايشته في البيضاء طيلة أربع سنين أيام عملي بها رئيساً لمحكمتها الاستئنافية ففي خلال تلك المدة لم أسمع ولم أر إلا خيرا، شاهدت مساجد عامرة بذكر الله عزوجل وطاعته ، ورجالاً لا يعتريهم كلل ولا ملل عن ذلك المنهج القويم، والصراط المستقيم، يذكّرون بالرعيل الأول، ولم أسمع عنهم ما يذكر عن بعض المتصوفة مثل الحلاج من القول بالحلول والاتحاد أو نحو ذلك، ولذلك فقد استغربت الحملة الظالمة ضدهم من بعض النابئة، ومن المعلوم أن التصوف في البيضاء وما إليها امتد من حضرموت ، وفيها أسسه وهذبه على الطريقة المرضية الدعاة العظام من آل أبي علوي الذين لهم طريقة خاصة سليمة من القدح بعيدة عن الشوائب، وعلى أيديهم انتشر الإسلام في جنوب شرق آسيا وجزرها وأفريقيا أيضاً فرضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم .

أما إعجابي بصاحب السيرة فهو بما يحدثنا عنه هذا المؤلّف بلسان ولده العلامة الحبيب الحسين بن محمد الهدار حفظه الله تعالى، فلقد أفاد وأجاد، وأرضى رب العباد إن شاء الله، ولا ينبئك مثل خبير، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه .

وأهم ما أثار إعجابي هو ما بذله صاحب السيرة من جهد حتى تم له تأسيس الرباط على أحسن وجه فأصبح رباطاً علمياً توفرت له كل المقومات من أقسام ومناهج ومكتبات ونظام وانتظام وغير ذلك من المميزات التي جعلته بحق منهلاً للعلوم الشرعية تشد إليه الرحال بغية طلب العلم وتهذيب النفوس وتقويم السلوك ، ويزداد الإعجاب بصاحبه ومؤسسه إذا عرفنا الظروف الحرجة التي تم التأسيس فيها وكيف بدأه من لاشيء حتى تم له بحسن النية وصادق العزيمة ما أراد ، فجزاه اللّه خير الجزاء.

وأما إعجابي بمؤلّف السيرة فنابع من معرفتي الشخصية به حيث وجدته علامّة متواضعاً وعاملاً مجتهداً يؤدي عمله في الرباط بهمة ونشاط ، ولهذا عهد به والده إليه في حياته عندما اعترته الأمراض ، فقام به خير قيام أثلج صدر والده وأرضاه ، ولايزال موئلاً لطلبة العلم الشريف، يأتون إليه من كل صوب ويجدون فيه الأب الرحيم والمربي الفاضل وإخوته الكرام ، يتفقد أحوالهم ودروسهم ويحل مشاكلهم ليتمكنوا من التفرغ لطلب العلم وتهذيب الأخلاق ، ومن ذلك حرصه الشديد على عدم إثارة المسائل الخلافية وتعويد الطلبة على ذلك، وذلك منهج قويم رابح أتمنى أن يعم اليمن كلها واللّه من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل .

حرر في ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ

الموافق ١٠ يونيو ١٩٩٩م

حرره بصنعاء المفتقر إلى رحمة اللّه

مطهر يحيى عامر عضو المحكمة العليا

بسم اللّه الرحمن الرحيم

تقريظ لفضيلة العلامة الفذ القاضي مطهر بن يحيى عامر عضو المحكمة العليا حفظه اللّه تعالى:

أحسينُ رمزَ العلم والأمجادِ ... ياقائماً بالوعظ والإرشادِ

للّه درك من همامٍ عالمٍ ... بحاثةٍ متبحرٍ نقّادِ

ببيانك السهل المنيع جعلتَ مِن ... شتى العلوم قريبة الإيرادِ

مفهومةً للنشء في يُسرٍ كما ... يحتاجها ذو الغوص في الأبعادِ

فأهم ما في الفقه قد لخصته ... فيما سبقت به مدى الروادِ

و«هداية الأخيار» قد ألفتَها ... فحفظت سيرة وارث العُبادِ

العالم السند الذي بجهوده ... نُشرَ الهدى في السهل والأنجادِ

ودعى لك ابنُ شهابنا لما رأى ... «تاريخه» في أنصع الأبرادِ

و«دواؤك الشافي» به عالجتَ مَن ... خرجوا إلى التكفير بالأحقادِ

ورحلت «رحلة» زاهدٍ متفكرٍ ... في شعر قطب زمانه الحدادِ

وجعلت في «الإيضاح» نحو العرب ... متناول الطلاب خير مُقادِ

وجلوت للبيضاء من «تاريخها» ... ماكان للنسيان رهن نفادِ

وخدمت كل المسلمين بما لهم ... أَلِفت عن خُلقٍ زكيٍ هادي

وبجهدك الشعر الحميني اغتدى ... في مستهل موشحات الضادِ

وغدى إلى ديوان شعرك مصغياً ... سمع الزمان يتوق للإنشادِ

ورأست تحرير «الهدى» فجعلتها ... تهدي إلى القراء أنفع زادِ

أبقاك ربك للهداية مرجعاً ... ووقاك شر مكائد الحسادِ

وإليك تقريظاً لما ألفته ... يُنبي باعجابي وصدق ودادي

فاقبله واستر ماترى من عيبه ... فالستر طبع السادة الأجوادِ

ولنا سلِ اللّهَ الكريمَ بمنه — حسن الختام وذاك كل مرادي
وعليك صلى اللّه بعد محمد — والآل مع أصحابه الزهادِ

تقريظ للسيد محمد حسن علوي الحداد

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي أمد من شاء من عباده بفيوضات فضله وإمداده، وصلى اللّه وسلم على من آتاه اللّه جوامع الكلم وجعلها ميراثاً من بعده في العلماء الأعلام، وعلى آله الأئمة هداة الأمة، وعلى صحبه أجمعين.

وبعد فقد حَظيتُ بوقتٍ ممتع في رياض كتاب « هداية الأخيار في سيرة شيخ الإسلام الحبيب محمد الهدار » ، ولقد ألفيته كتاباً قيما اشتمل على كثير من الفوائد والفرائد، فياحبذا تلك القلائد ، وأنعم وأكرم بالولد والوالد، وتعبيراً عن الإعجاب بمحتويات هذا الكتاب نظمت هذه الأبيات:

ه — هذا كتاب «هداية الأخيار» — يحكي حياة السيد الهدارِ
د — در وياقوت كنوز تقتنى — من در بحر المصطفى المختارِ
ا — أحسنتَ جداً ياحسين جمعت ما — يحلو من الآثار والأخبارِ
ي — يحلو لنا فيه ارتياض كيف لا — وبه تهب نسائم الأسرارِ
ت — تاقت إليه نفوسنا ارتاحت به — أرواحُنا هو بهجة الأنظارِ
ا — اللّه أكبر هذه هي روضة — من جنة فواحة الأزهارِ
ل — للّه درك من إمام مرشد — يحيي النفوس بغيثه المدرارِ
أ — أسلوبك السهل الممتنع إنه — حلو بديع رائع الأفكارِ
خ — خيرت فاخترت السلاسة منهجا — متميزاً في النثر والأشعارِ

ي يامن بوالده اهتدى سمع الندا وبه اقتدى في الورْدِ والإصدارِ
ا اللّهَ أسألُ أن يُبلغك المنى وتنال ما أملت من أوطارِ
ر راقت هديتك التي تاريخها «يهدي حسين هداية الأخيار»
١٤٢٠ هـ = ٢٩ ١٢٨ ٤٢٠ ٨٤٣

محمد حسن علوي الحداد
مكة المكرمة

كلمة في المترجَم رحمه الله للدكتور محمد هشام بن عبد الرحمن الجفري [١]

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه حمداً يوافي نعمه وزيادة، حمداً كثيراً طيباً كالذي أراده، وبه يفتتح المقال السادة، كما جرت به العادة، وفي طيات عاداتهم كم من عبادة، وفي طي طياتهم سر الشهادة، به انتفت عنهم البلادة، وهجروا الشبع والوسادة، واستعذبوا السهد والسغب والزهادة، فقابلتهم قبلتهم بالرفادة، ومنحتهم مراكز القيادة، فتربعوا على كرسي عرش السيادة، وارتقوا أعلى ذرى السعادة، هنا ويوم المنادى فنالوا الحسنى وزيادة، والصلاة والسلام على سيد أهل العبادة، من حصلت للكل منه استفادة، ومن لا يحص فضائله حاص ولو كانت البحار مدادة، وعلى آله وأصحابه الهداة القادة.

وبعدُ فهذه كلمة في سيدي محمد الهدار أرجو وداده، برزت على لساني مما حل بجناني من غرامي بقرطها والقلادة، فيها ملامح سطعت لما كشفت عن محياها غادة،

---

(١) تقدمت ترجمته .

حوراء أصابت قلبي بسهم من عينها الوقادة، سألتها هـل تـراك تبلـغ المسـكين مـراده، فأجابت من مطلع العلياء فصلاً تدك له الشامخات بلا هوادة، من يخطب الحسناء ولـم يغلِ لها مهراً جعلت له الهجر زاده، فقلت أوليس التفضـل والجـود منـك عـادة، وقـد أغاث اللّه الناس بالجود عام الرمادة، فتفضلي باليُمن منا بخلعة التقى حلة أهل الزهادة، فتوارت في عروجها لعروشها عني لكنها قالت: سؤالك أدم لا تـمل تـرداده، فهـاكم تلك الإفادة:

الحمد للّـه علـى مـاتفضل وتـمم، وبـالعقل علـى الإنسـان أنعـم، عقلـه بـه عـن المغـرم والـمأثـم، ومهاوي الهوى والنفس والدنية وخناس للضلالة معلـم، فالعقل مهبـط الحكمـة، ومنبع الفطنة، وسراج الظلـمة، وفيصل التفريق، بين وادي العقيق ومأوى الحريـق، يميز بـه الإنسان بين خزف عاجل فان، ونعيم باق في جنى الجنتين دان، يدرك به طيب العُقْبـة، في مكاره القربة، ومر مذاق المبـاح والشـبهة، في طـول القيـام للنقـاش والحسبة، ويبصـر نـاراً توارت تحت بريق الشهوة، وبه يحذر من شبك الفتن والبلوى، في بحور زينة الدنـى، وكـبر الغنى، وغفلة المنى، وعجب العلـم والفتوى، ما نجـا إلا مـن زهـد مـاء نهـر البلـوى، ومـن شرب منها حتى ارتوى، هوى إلا من اغترف غرفة للقوى، على الطاعة للـمولى، بها يرقى العلى، هذا لـمن ثبت عقله وماعرج، في زمان ماعاد فيه من خرج عن سنة نبي عـرجَ ومـا قط عرج، خلق اللّه الدنيا ومالها عنده مقـدار، فأعطاهـا للأبـرار والكفـار، ورفـع الآخـرة ورجح لها الميزان، فجعلها خالصة لأهل الإيمـان، خالصـة يـوم القيامـة جـاءت في القـرآن ، ليتنبه الإنسان، فهل من سامع للنصح بعد هذا البيان ؟!

والصلاة والسلام على باب العطاء المنفتح، وعين إمداد الهداية للعالـمين في المشـهد المتسع، القابض بالحجز عن الوقوع في شرك إبليس والنفس وهواهـا وزهـرة المنخـدع منبع الفرج، لـمن طالت عقباتـه، وعظمـت حاجاتـه، فإنـه المكتسـح، ونـور الإرشـاد

والإعانة في السلوك والاستقامة لـمقتبس متبع، والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه ومن لآياته سمع.

وبعدُ فهذا بيان لـما شاهدت العينان، واستقر في الجنان، من أمر عاشق ولهان بربه ونبيه سيد ولد عدنان، حبيبنا وشيخنا السيد محمد بن عبدالله الهدار، بذكر ربه الديان، ولد في عزة وتسمى عينات الصغرى، لكن به أصبحت كبرى، واعتلت كمعشوقات الهوى سلمى وعلوى، وأمست تلبس العشاق في اللقاء من فالها خلع العز بالـمليك عن السوى، رحل منها إلى تريم ، قاصداً وجهه الكريم، وغرضه التعليم والتفقه في الشرع الحكيم، وهناك قصد قلبها ولبها، ومن جلس على عرشها، مهبط معاني القرآن ومظهر الحكمة في البيان، وإثمد البصيرة في الشريعة المنيرة، منه تبصر العينان، ومن ساد بحق ذلك الزمان، في كل فن وشان، سيدي عبدالله بن عمر الشاطري، من فاح مسك صيته العاطري، في كل مكان، رابط في رباطه ، وطوى مافوق بساطه، وخاض به معه جولاته وصولاته، وألبسه حلية النحو بضماته، وأجرى الفقه في نيله وفراته، وبالتصوف بطن طياته بطائنه من إستبرق، وصفى نياته فاستدامت لذكر ربها بحالها ومقالها نبضاته، وبشره بشأن عظيم في الدعوة للّه وآياته، وأكثر التردد على الحبيب العيدروس جعفر، وحط رحاله على موائد سره في خزائن صدره، وما سر عليه قر، وعرف به مكنون علوم البحر والبر، سلما لـمعرفته بربه الأبر، فتردى بجلال العيدروسية ، بعدما تأزر بتحف الجود الجمالية، من مواهب ابن سالم السنية، وطرق جميع الزوايا ، فما فاتته الخبايا، وجال بين الحنايا، حتى نادته الكفاية ، أن رويدك ألا تهاب المنايا، فما التفت حتى بلغ النهاية ، وهي -كما قيل- الرجوع إلى البداية.

وعاد الحبيب لـموطن وجوده ، وبدت مظاهر سعوده ، تشرق من عنايات معبوده، وتبدد ظلمة الشيطان وجنوده ، هذا لـمن نظر فؤاده، وأعطاه قياده، ومن

ثـم انفجرت ينابيع العِـزّ مـن عَـزّة ، وسـالت بهـا أوديـة في البيضـاء فـاهتزت وربـت وأنبتت من كل زوج بهيـج ، وعقـدوا فيهـا بـين مسـائل العلـم، وسـجدات العمـل، وصاروا كما في الحديث « قل آمنت بالله ثـم استقم » .

تلكم الولاية، انفلقت فيها بيضة التصوير ، عـن ربـاط الفتـح ذي الشـأن الكبـير ، قريب الفتح لداخله من فتاح قديـر ، وفيـه التيسـير لكـل عسـير، هبـت عليهـم ريـاح السعود، من عين عينات فخر الوجود، فهو لهم بساط وصـل ممـدود، بصـاحب المقـام المحمود، غرس زرع لا ييبس رغم أنف الحسـود، وقـد استجاب لـه أهلـه كقـوم ذي النون المليم، وعمت بركاته أفراد الإقليم، فسبحان من وفق الهدار في الدعوة بتصميـم، وحقق بشارة شيخه الفهيم.

هذه آثاره وهذا صنعه وهو بـه زعيـم، وإن أمعنـت فيـه الفكـر القويـم سمعت النـداء مـن الصميم، يقول: م اأشبه الكرامة التي منح الله الهدار ذي القلب السليم، بمعجـزة النبي الكليـم، إذ أدخل مدينته في جيب عنايته ، وهذبها بعلمه وعمله حتى أخرجها بيضـاء من غـير سـوء تسر الناظرين، استوى اسمها وسرها بشـرى للقـاطنين، وأسـبغ اللـه عليـه مـن نعمـه الظـاهرة والخفيات، ورزقه من صلبه خلفاء بـني علات، يدعون إلى سبيل خير البريات، حـالهم على الدوام هضم الذات، ورؤية الطاعات كـالحصى والـمعاصي كالجبال الشامخات، فمن اسـتضاء بنورهم في عبور العقبات، ومال لحزبهم عن دعاة الترهات، يقال له: ادخـل مـع طه وآلـه في الصفوف الأولات، وحسبي هاهنا وإن لـم أقنع، ففي تعـداد فضائله لـم أطمـع، وأقـول: إن المغبون هو المحروم من إمداده، والسعيد من كتب في عداده، واحتسبه في حياته ومعاده، الكل ينهل من مسياله، والخلق عالة على ابتهاله، وأين ماولوا فثـم نوال وصاله .

الخاتمة

الحمد للّه رب العالـمين ، وصلى اللّـه وسلـم على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يـوم الديـن ، اللّهـم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلــمه ونستغفرك لــما لانعلــمه ، سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إلـه إلا أنـت أستغفرك وأتـوب إليك ، عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومـداد كلـماتك ، كلـما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون .

كـان الفــراغ مــن تبييــض هــذه الصفحــات ليلــة الخميــس في ٢٨ / ٤ /١٤٢٠ من هجرة الرســول صلـى اللّـه عليـه وآلـه وسلــم بمدينة البيضاء اليمن المحمية جعلها اللّه وسائر أعمالنـا خالصـة لوجهـه الكريم ، آمين آمين آمبن .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمـد للّه رب العالـمين .

فهرس الأعلام (١)

(١) تنبيه: اقتُصر في هذا الفهرس على من ترجم لهم في المتن أو ترجم لهم بإيجاز في الحاشية.

ملحق

الصور

« ألحقنا هنا مجموعة من الصور
لغرض التوثيق »



الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف أثناء زيارته للبيضاء عام ١٤٠٦هـ



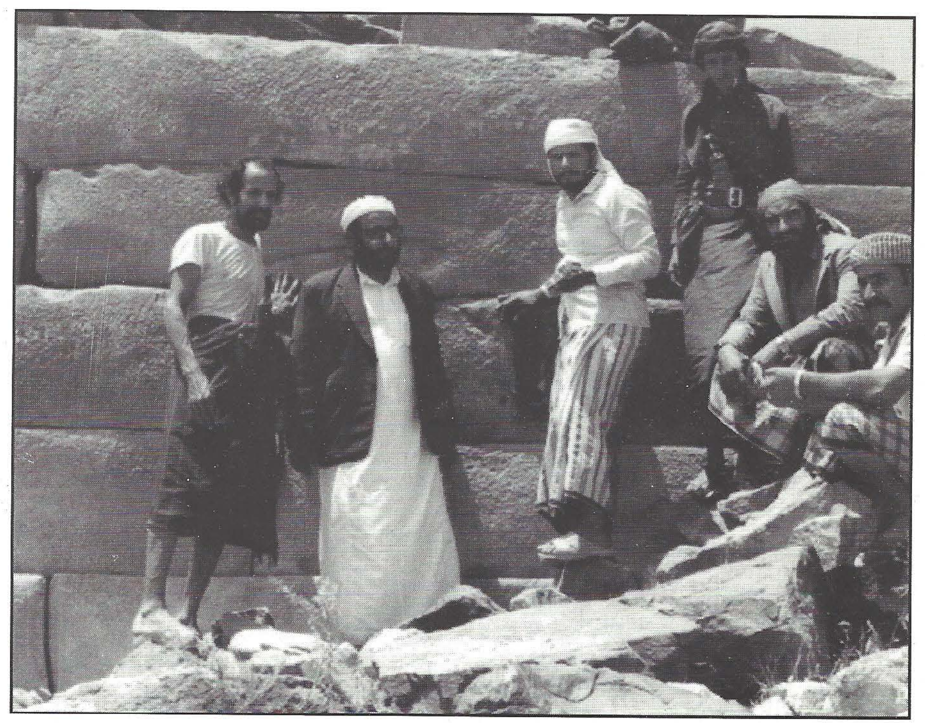
إلى اليمين الشيخ باسعد الربيزي

وبجواره الشيخ محمد صالح الرويشان نجل

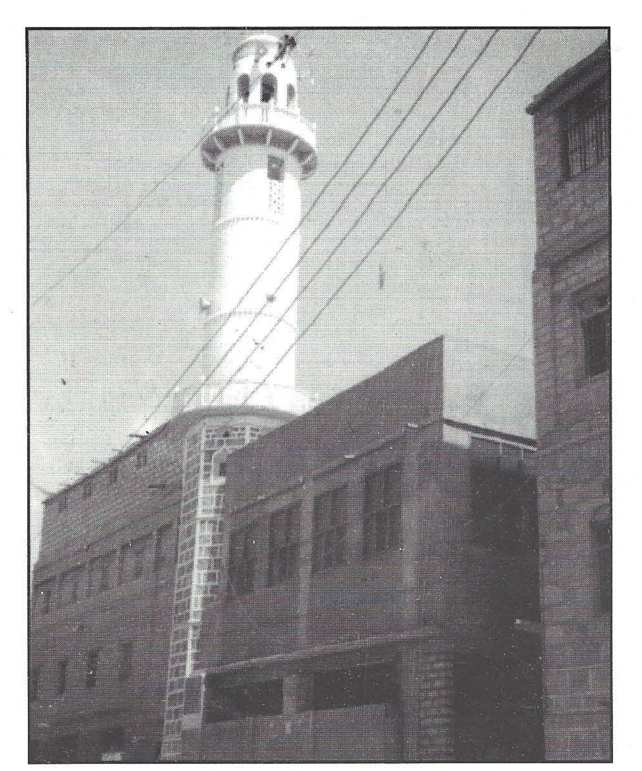
محافظ محافظة البيضاء



إلى اليمين السيد حامد المحضار فالبيضاني فالأستاذ عبدالخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية فمندوب لبنان فالقاضي محمد الزهيري فالقاضي عبدالملك العمري في مدينة البيضاء يناير ١٩٥٧م «أخذت من كتاب البيضاني»



بعض الآثار في هجر قانية



رباط الهدار للعلوم الشرعية



١- المتَرْجَم له رحمه الله ٢- صالح بن عبدربه الجنيدي ٣- صالح بن علوي القربي
٤- الشيخ عمر حداد ٥- محمد بن حسين الجنيدي ٦- السيد محمدبن سالم العيدروس
٧- عمر بن محمد محسن .



صورة لمجموعة من طلبة رباط الهدار أثناء الخروج يوم الجمعة للدعوة إلى الله



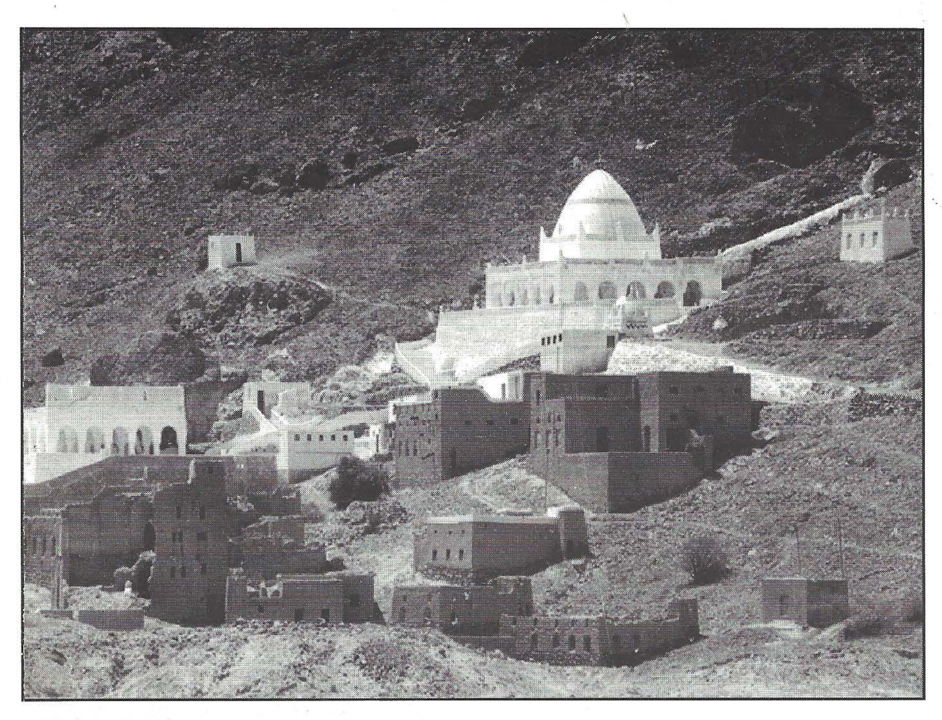
جانب من طلبة رباط الهدار للعلوم الشرعية



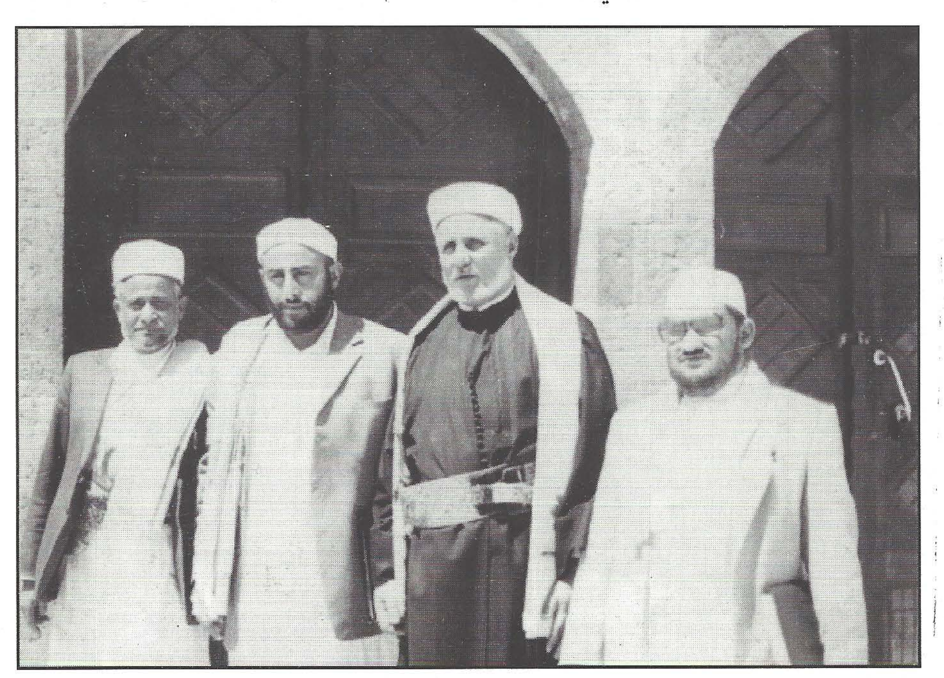
١– الشيخ صالح بن حسين الرماح ٢– حاكم البيضاء السيد علي بن عبدالوهاب الوريث ٣– السلطان محمد عيدروس العفيفي سلطان يافع
٤– الشيخ صالح بن ناجي الرويشان محافظ البيضاء ٥– الشيخ علي بن صالح الرويشان نجل محافظ البيضاء
٦– السيد عبدالله بن محمد الحبشي كاتب محكمة البيضاء.



صورة للمترجم له رحمه الله وبجواره الحبيب العلامة الحسن بن عبدالله الشاطري
وإلى جانبه الحبيب زين بن ابراهيم بن سميط عام ١٣٩٥هـ تقريباً



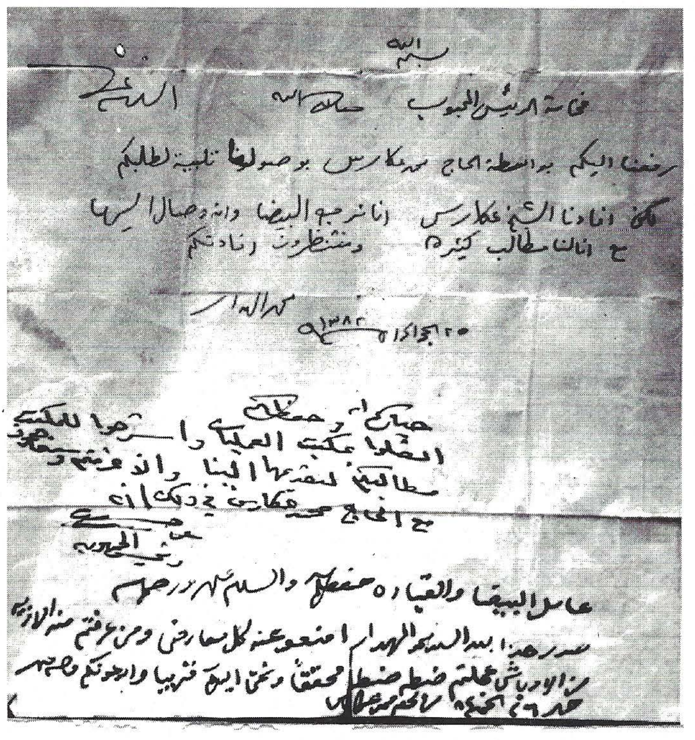
شعب نبي الله هود عليه السلام – حضرموت



من اليمين وزير الأوقاف الأستاذ ناصر الشيباني ثم نائب رئيس مجلس القضاء الأعلى
القاضي محمد بن إسماعيل الحجي ثم المؤلف

الرسالة الأولى بخط الشيخ سالم بن حسين الرماح وإلى جانبها من الأسفل توقيع رئيس الجمهورية المشير السلال

رسالة بقلم الشهيد أبي الأحرار
محمد بن محمود الزبيري



بسم الله

فخامة الرئيس المحبوب حفظه الله السلام عليكم

رفعنا إليكم بواسطة الحاج محمد عكارس بوصولها تلبية لطلبكم

لكن أفادنا الشيخ عكارس أنا نرجع البيضا وانه وصال إليها

مع أن لنا مطالب كثيرة ومنتظرون إفادتكم

[illegible]

٢٠ جماد أول ١٣٨٢هـ

حبيبي الأخ حفظك الله

انقلوا بكتب العليا واشرحوا للكتب [illegible]

مطالبكم لنقدمها إلينا وإذا عرفتم [illegible]

مع الحاج محمد عكارس في ذلك [illegible]

[illegible]

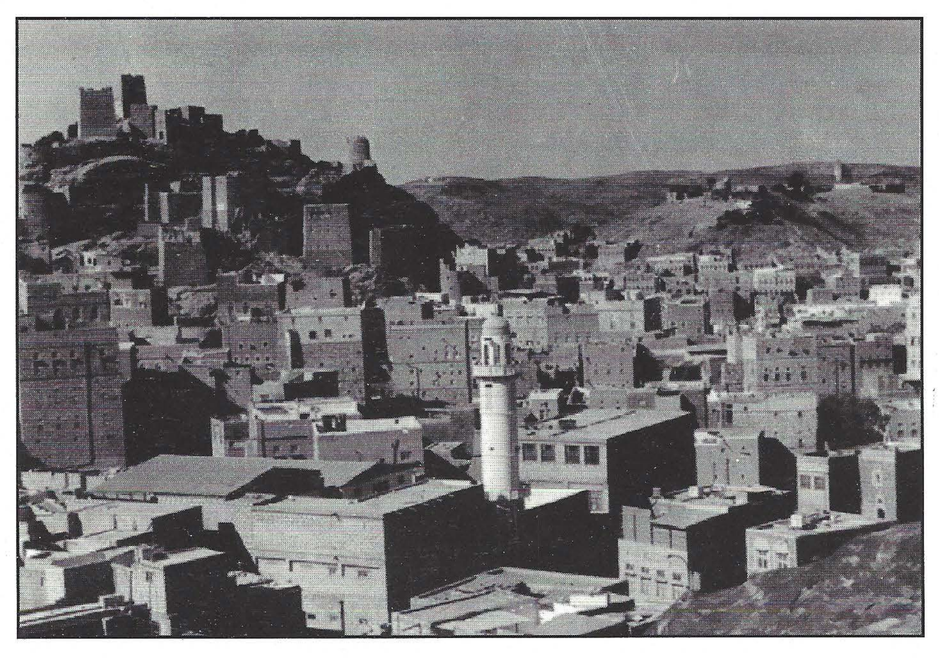
عامل البيضا والقبائل حفظكم والسلام عليكم ورحمة

[illegible] أبعد السيد الهدار امنعوه عن كل معارض ومن عرفتم منه الأذية

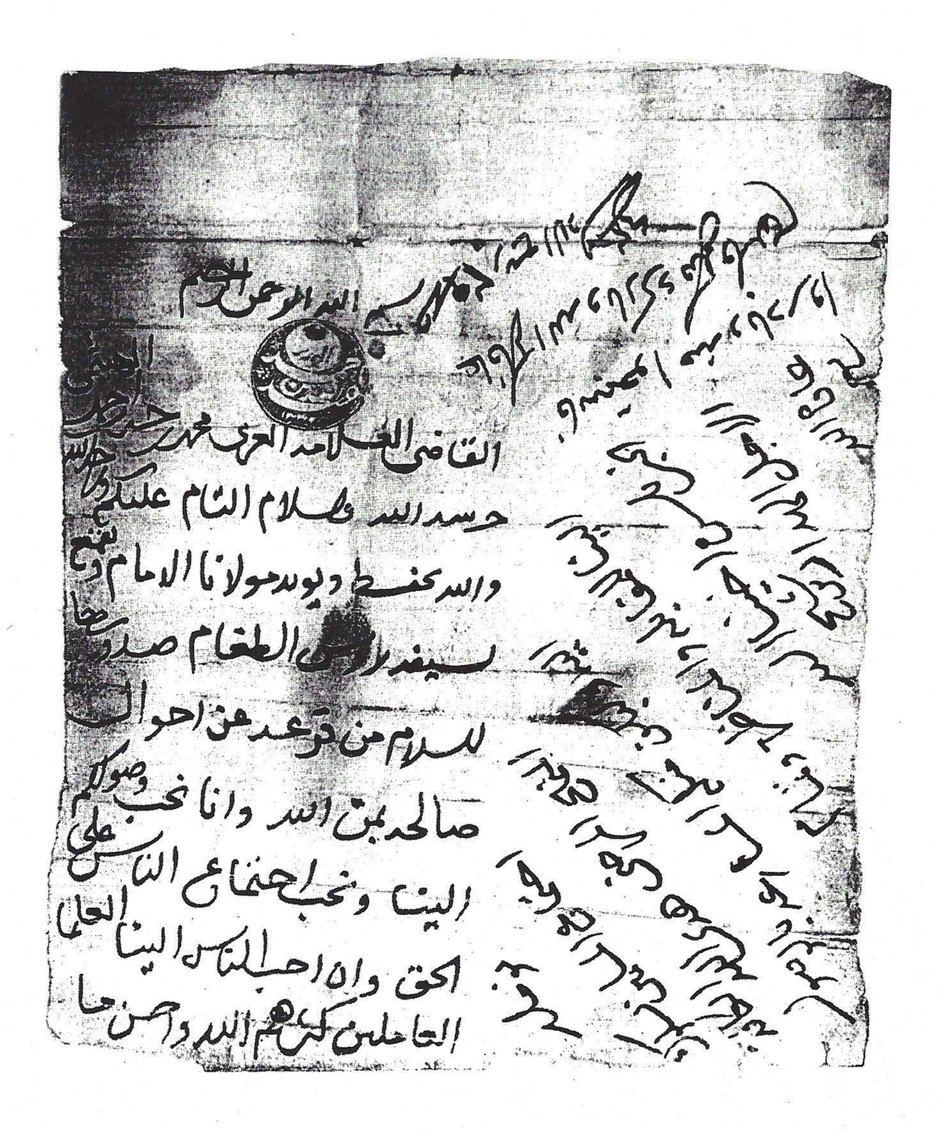
من الأوباش عملتم ضبطه ضبطا محققاً ونحن إليكم قريبا وأرجوكم [illegible]

[illegible]

رسالة بخط المترجم له إلى جانبها خط الرئيس المشير السلال



جانب من مدينة البيضاء ويرى فيها جزء من حي الرباط وقلعة البيضاء



بسم الله الرحمن الرحيم

القاضي العلامة العربي محمد حسين الحبشي

حرسه الله والسلام التام عليكم

والله يحفظ ويؤيد مولانا الامام

الطغام صدر

للسلام من قد بعد عن احوال

صالحه بمن الله وانا نحب وصولكم

الينا ونحب اجتماع الناس على

الحق وان احب الناس الينا العاملين

العاملين كثرهم الله واحسن ما

نموذج من خط الأمير عبدالله بن أحمد الوزير حين دخوله البيضاء سنة ١٣٤٢هـ
وهو عبارة عن رسالة إلى مفتي البيضاء صحبة السيد الهدار بن شيخ رحمهم الله

الفهرس العام